

فهرسة الجزء الرابع من تفسير العلامة الخطيب الشربيني



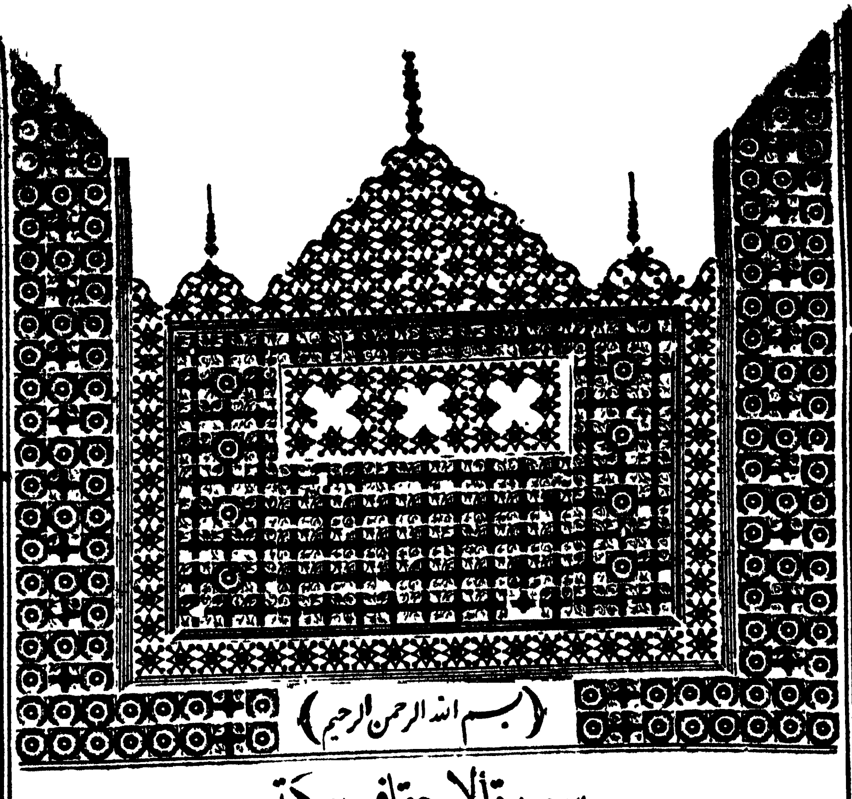
(تمت)

الجزء الرابع من السراج المنير في الاعانة على معرفة
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير
للشيخ الامام الخطيب الشربيني
قدس الله روحه ونور

بالرحمة ضريحه

آمين

وبهامشه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الاسلام ومحقق
الانام الحبر الفاضل والبحر الوافر الكامل الامام أبي يحيى زكريا
الانصاري تغمده الله تعالى برحمته وأفاض علينا من سحب فضله الجاري



سورة الاحقاف مكية

الا قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الآية والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات وهى خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا (بسم الله) الذى لا يذل من والى ولا يعز من عادى (الرحمن) الذى سبقت رحمته غضبه (الرحيم) الذى خص حزبه بعمل الابرار فاز فى دار القرار وتقدم الكلام على قوله تعالى (حم) مرارا وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى باسالة الحاء محضة وقرأ ورش وأبو عمرو باسالتها بين بين وفتحها الباقون وقيل المراد بهم حكمة محمد صلى الله عليه وسلم التى هى النهاية فى الصواب والسداد أحكمها الذى أحاطت قدرته فهو لا يخلف الميعاد وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) اى الجامع لجميع الخيرات بالتدريج على حسب المصالح (من الله) اى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه لانه لم يفعل شيأ الا فى أوفق محاله وأنه الخالق للخير والشر وأنه يعز أولياءه ويذل اعداءه (ماخلقنا) اى على مالنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء (السموات والارض) على مافيهما من الآيات (وما بينهما الا) خلقا ملتبسا (بالحق) اى الامر الثابت من القدرة التامة والتصرف المطلق ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأجل) اى وبتقدير أجل (مسمى) ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) اى خوفوا به من القرآن من هول ذلك اليوم الذى لابد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) اى لا يؤمنون به ولا يتهيؤن للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى لهؤلاء المعرضين أنفسهم لغاية الخطوب منكرا عليهم تبكيتا وتوبيخا

• (سورة الاحقاف) •
(قوله ولكل درجات مما عملوا) • ان قلت كيف وصف الفريقين بان لكل منهما درجات مع ان أهل النار لهم دركات لا درجات (قلت) الدرجات

(أرأيتم) أى أخبرونى عن حال آلهتكم بعد تأمل ورؤية باطنة (ما تدعون) أى تعبدون ثم نبه على سفولهم بقوله تعالى (من دون الله) أى الملك الأعظم الذى كل شئ دونه فلا كفء له مفعول أول وقوله تعالى (أرونى) أى أخبرونى تأكيد وقوله (ماذا خلقوا) مفعول ثان وقوله تعالى (من الارض) بيان لما أى ليصح ادعاء أنهم شركاء فيها باختراع ذلك الجزء (أم لهم) أى الذين تدعونهم (شرك) أى مشاركة (فى) خلق (السموات) أى بنوع من أنواع الشركة مع الله تعالى وأم بمعنى همزة الانكار * ولما كان الدليل أحد شيئين سمع وعقل قال تعالى (ائتونى بكتاب) أى منزل على دعواكم فى هذه الاصنام أنها خلقت شيأ أو أنها تستحق أن تعبد *(تنبيه)* أبدل ورش والسوسى الهمزة من ائتونى فى الوصل ياء وحققها الباقون وأما الابتداء بها فجميع القراء أبدلوها ياء بعد الابتداء بهمزة الوصل مكسورة (من قبل هذا) أى القرآن الذى أنزل على كالتوراة والانجيل والزبور وهذا من أعلام النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية لو أتى بها آت لشهدت عليه * ولما ذكر تعالى الاعلى الذى لا يجب التكليف الا به وهو النقل القاطع سهل عليهم فنزل الى ما دونه فقال (أو أثارة) أى بقية (من علم) يؤثر عن الاولين بصحة دعواكم فى عبادة الاصنام انها تقربكم الى الله تعالى وقال المبرد أثارة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار بالآثار يقال جاء فى الاثر كذا وكذا وقال الواحدى وكلام أهل اللغة فى هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال الاول الاثارة واشتقاقها من أثرت الشئ أثيره اثارة كأنها بقية تستخرج فتثار والثانى من الاثر الذى هو الرواية والثالث من الاثر بمعنى العلامة وقال الكلبى فى تفسير الاثارة أى بقية من علم يؤثر عن الاولين أى يسند اليهم وقال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء قال الرازى وههنا قول آخر أو أثارة من علم هو علم الخط الذى يخط فى الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال كان نبى من الانبياء يخط فمن وافق خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الآية ائتونى بعلم من قبل هذا الخط الذى تخطونه فى الرمل يدل على صحة مذهبكم فى عبادة الاصنام فان صح تفسير الآية بهذا الوجه كان ذلك من باب التهكم بهم وأقوالهم ودلالاتهم ثم أشار الى تقريعهم بالكذب اذ لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله (ان كنتم صادقين) أى عريقين فى الصدق على ما تدعون لانفسكم * ولما أبطل سبحانه قولهم فى الاصنام بعدم قدرتها اتبعه ابطاله بعدم علمها بقوله تعالى (ومن أضل) وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أضل (ممن يدعوا) أى يعبد ما لا قدرة له ولا علم ومن انتفت قدرته وعلمه لم تصح عبادته ببديهة العقل وأرشد الى سفولها بقوله عز وجل (من دون الله) أى من أدنى رتبة من رتب الذى له صفات الكمال فهو يعلم كل شئ ويقدر على كل شئ فهو بحيث يجيب الدعاء ويكشف البلاء ويحقق الرجاء اذا شاء ويدبر عبده لما يعلم من سره وعلنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه به ويريد العبد فى كثير من الاشياء ما لو وكل فيه الى نفسه وأجيب الى طلبته كان فيه حتفه فيدبره سبحانه بما تشتد كراهته له فينكشف الحال على أنه لم يكن له فرج الا فيه (من لا يستجيب له) أى لا توجد الاجابة ولا تطلب ايجادها من الاصنام وغيرها لانه لا أهلية له لذلك والمعنى انه لا أحد أبعد عن الحق وأقرب الى الجهل ممن يدعو من دون الله الاصنام فيتخذها

هى الطبقات من المراتب مطلقا او فيه اضمار تقديره ولكل فريق درجات او دركات لكن حذف الثانى اختصارا لدلالة المذكور عليه (قوله وأتينا بها تعبد فلان)

آلهة ويعبدها وهى اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا فى الحال ولا فى المآل (الى يوم القيامة) وانما جعل ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل ان الله تعالى يحييها ويخاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى حدا وقيل المراد عبدة الملائكة وعيسى وأنهم يوم القيامة يظهرون عداوة هؤلاء العابدين (وهم عن دعائهم) اى دعاء المشركين اياهم (غافلون) اى لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من يدعوهم ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة التى هى من أوصاف العقلاء الجماد تغليبا ان كان المراد أعم من الاصنام وغيرها مما عبد ومن عقلاء الانس وغيرهم ولما أفهم سبحانه يوم القيامة فافهم أنهم يستجيبون أنهم فيه بين ما يحاورونهم به اذ ذاك فقال تعالى (واذا حشر) اى جمع بكره على أيسر وجه وأسهل أمر (الناس) اى يوم القيامة (كانوا) اى المدعوون (لهم) اى الداعين (اعداء) ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه (وكانوا) اى المعبودون (بعبادتهم) اى الداعين وهم المشركون اياهم (كافرين) اى جاحدين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى فى سورة يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ثم بين تعالى أنهم فى نهاية الغباوة بانكارهم الاشئ أبين منه بقوله سبحانه (واذا تتلى) اى تقرأ من اى قارئ كان على وجه المتابعة (عليهم) اى هؤلاء البعداء البغضاء (آياتنا) التى لا أعظم منها فى أنفسها باضافتها الينا وهى القرآن وقوله تعالى (بينات) اى ظاهرات حال قالوا هكذا كان الاصل ولكنه تعالى بين الوصف الحامل لهم على التولى فقال عز وجل (قال الذين كفروا) اى ستروا تلك الانوار التى أبرزتها تلك التلاوة لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى (للحق) اى لاجله (لما) اى حين (جاءهم) اى من غير تنظر وتامل (هذا) اى الذى يتلى (سحر) اى خيال لا حقيقة له (مبين) اى ظاهر فى أنه خيال باطل وقوله تعالى (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو أشنع وانكار له وتعجب ثم بين تعالى بطلان شبهتهم بقوله تعالى (قل) اى يا أشرف الخلق (ان افتريته) اى تعمدت كذبه على زعمكم وأنا انما أريد به نصيحتكم فالذى افترى به عليه وأنسبه اليه يعاقبنى على ذلك ولا يتركنى أصلا وذلك هو معنى قوله (فلا تملكون) اى أيها المنسوبون بوجه من الوجوه ولا فى وقت من الاوقات (لى من الله) اى المتكبر الحليم (شيأ) من الاشياء المبردة عنى انتقامه لان الملك لا يترك من كذب عليه مطلق كذب فكيف من يتعمد الكذب عليه فى الرسالة بأمور عظيمة وملازمته مساء وصباحا فاى حامل لى حينئذ على افترائه ثم علل ما أفاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله (هو) اى الله سبحانه (أعلم) اى منكم ومن كل أحد (بما تفيضون فيه) اى بما تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه بانه سحر (كفى به شهيدا) اى شاهدا بليغ الشهادة لانه أعلم بجميع أحوالنا (بينى وبينكم) اى ان القرآن جاء من عنده فيشهد لى بالصدق ولكم بالكذب وقد شهد بصدقى بعجزكم عن معارضة شئ من هذا الكتاب الذى أتيت به فثبت بذلك أنه كلامه لانى لا أقدر على ما تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين وانتم عرب مثلى بل وأنا امى وفيكم أنتم الكتبة والذين خالطوا العلماء وسمعوا أحاديث الامم وضربوا بعد بلاد العرب فى بلاد العجم فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون (وهو) اى وحده (الغفور) اى الذى من شأنه أن يمحو الذنوب أعيانها وآثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (الرحيم) اى الذى يكرم بعد المغفرة

كنتم من الصادقين قال انما العلم عند الله) وجه مطابقة الجواب فيه للسؤال ان سؤالهم متضمن لاستعجالهم العذاب الذى توعدهم به

ويتفضل

ويتفضل بالتوفيق لما يرضيه قال الزجاج هذا دعاء الى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به * ولما حكى تعالى طعنهم في كون القرآن معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله تعالى على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة أخرى وهو انهم كانوا يقترحون عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل (قل) اى لهؤلاء الذين نسبوك الى الافتراء (ما كنت) اى كونا ما (بدعا) اى منشئا مبتدعا محدثا مخترعا بحيث أكون أجنبيا منقطعا (من الرسل) اى لم يتقدم لى منهم مثال فى أصل ما جئت به وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق بل قد تقدمنى رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا اليه كما دعوت اليه وصدقهم الله تعالى بمثل ما صدقنى به فثبت بذلك رسالتهم وسعد بهم من صدقهم من قومهم وشقى من كذبهم فانظروا الى آثارهم واسألوا عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم وأشياعهم *(تنبيه)* البدع والبديع من كل شئ المبدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله وفى الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار قال البقاعى معناه والله أعلم أنه يبتدع ما يخالف السنة اذا كانت البدعة ضد السنة فاذا أحدث ما يخالفها كان باحداثه ضالا مشركا وكان ما أحدث فى النار ولم يدخل تحت هذا ما يخترعه الانسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل ذلك فيخرج عما ذكر اه وقال ابن عبد السلام البدعة منقسمة الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة قال والطريق فى ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت فى قواعد الايجاب فهى واجبة كالاشتغال بعلم النحو أو فى قواعد التحريم فمحرمة كمذهب القدرية والمجسمة والرافضة قال والرد على هؤلاء من البدع الواجبة أو فى قواعد المندوب فمندوبة كبناء الربط والمدارس وكل احسان لم يحدث فى العصر الاول كصلاة التراويح أو فى قواعد المكروه فمكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف أو فى قواعد المباح فمباحة كالمصافحة عقب الصبح والعصر والتوسع فى المآكل والملابس وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال المحدثات ضربان أحدهما ما خالف كتابا أو سنة أو اجماعا فهو بدعة وضلالة والثانى ما أحدث من الخير وهو غير مذموم واختلف فى تفسير قوله تعالى عن قوله عليه الصلاة والسلام (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) على وجهين أحدهما أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا والثانى أن يحمل على أحوال الآخرة أما الاول ففيه وجوه أحدها أن معناه لا أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم ومن الغالب منا ومن المغلوب ثانيها قال ابن عباس فى رواية الكلبى لما اشتد البلاء باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام أنه يهاجر الى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما بهم من أذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت متى تهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم هو شئ رأيته فى المنام (ان) اى ما (أتبع) اى بغاية جهدى وجدى (الا ما) اى الذى (يوحى) اى يجدد القاؤه (الى) من لا يوحى بحق سواه على سبيل التدريج لا يطلع عليه حق اطلاعه غيرى ثالثها قال الضحاك لا أدرى ما تؤمرون به

قوله بل هو بقرينة قوله بل هو ما استعجلتم به فاجابهم بانه لا علم له بوقت تعذيبهم بل الله تعالى هو العالم به وحده (قوله تدعى كل

ولا ما أومر به من التكاليف والشرائع ولا من الابتلاء والامتحان (وما أنا) اى باخباري لكم عما يوحى الى (الا نذير مبين) اى بين الانذار رابعها كأنه يقول ما أدري ما يفعل بي في الدنيا أموت او اقتل كما قتل الانبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء او يخسف بكم او يفعل بكم ما فعل بسائر الامم قال السدي ثم أخبره الله تعالى أنه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاخبره الله تعالى بما يصنع به وبأمته وأما من حمل الآية على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيأ لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين لهم ما يفعل به وبهم وبهذا قال انس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه لانه انما اخبر به عام الحديبية فنسخ ذلك قال الرازي وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول من وجهين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له واذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في أنه هل هو مغفور له أولا ثانيهما أن الانبياء ارفع حالا من الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو رئيس الانبياء وقدوة الاولياء شاكا في انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول (قل) يا أفضل الخلق لهؤلاء المصرين على التكذيب (أرأيتم) أي أخبروني (ان كان) اى هذا الذي أتيتكم به وهو القرآن (من عند الله) أي الملك الاعظم (وكفرتم به) أي أيها المشركون (وشهد شاهد) واحد أو اكثر (من بني اسرائيل) اى الذي جرت عادتكم أن تستفتوهم وتتقفوا آثارهم (على مثله) اى مثل ما في القرآن من ان من وحد فقد آمن ومن أشرك فقد كفر وان الله تعالى انزل ذلك في التوراة والانجيل وجميع اسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتظافرت به رسلهم وتواترت على الدعاء اليه والأمر به انبياؤهم عليهم الصلاة والسلام (فآمن) اى هذا الذي شهد هذه الشهادة (واستكبرتم) اى أوجدتم الكبر بالاعراض عنه طالبين بذلك الرياسة والفخر فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فضللتم فوضعتم الشيء في غير موضعه فانسد عليكم باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك واكثر المفسرين هو عبد الله بن سلام شهد بنبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وآمن به واستكبرت اليهود فلم يؤمنوا به كما روى انس قال سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ينظر الى وجهه فعلم أنه ليس وجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه

شئ بأمر ربها) اى كل شئ مرت به من أموال قوم عاد وأهليهم (قوله يغفر لكم من ذنوبكم) أفاد بذكر من ان من الذنوب

وسلم أخبرني بهن جبريل آنفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ثم قال اما أول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام تأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم ان اسلم عبد الله بن سلام فقالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف منه يارسول الله قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة وأجاب الكلبي بان السورة مكية الا هذه الآية فانها مدنية وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرآن هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الآخر لان التوراة مشتملة على البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مصدق للتوراة وجواب الشرط ألستم ظالمين دل عليه قوله تعالى (ان الله) اى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة (لا يهدى القوم) اى الذين لهم قوة على القيام بما يريدون (الظالمين) اى الذين من شأنهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم اذ لا احد ارسخ منكم في الظلم الذي تسبب عنه هلاككم (وقال الذين كفروا) اى تمردوا بتغطية الحق (للذين) اى لاجل ايمان الذين (آمنوا) اى سبقوهم الى الايمان (لو كان) اى ايمانهم بالقرآن (خيرا) اى من جملة الخيور (ما سبقونا اليه) ونحن أشرف منهم وأكثر اموالا واولادا واعلم بتحصيل العز والسؤدد الذي هو مناط الخير كما لم يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التي نحن فائزون بها وهم صفر منها لكن ليس بخير فلهذا سبقونا اليه (واذ) اى وحين (لم يهتدوا به) اى بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا) اى القرآن الذي سبقتم اليه (افك) اى شئ مصروف عن وجهه الى قفاه (قديم) اى افكه غيره وعثر هو عليه فأتى به ونسبه الى الله تعالى كما قالوا اساطير الاولين (ومن) اى قالوا ذلك والحال انه كان في بعض الزمن الذي من (قبله) اى القرآن (كتاب موسى) كليم الله تعالى حال كونه كتابه وهو التوراة (اماما) اى يستحق ان يؤمه كل من سمع به (ورحمة) لما فيه من نعم الدلائل على الله تعالى والبيان الشافي وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال تعالى في الآية الاولى واذ لم يهتدوا به

مالا يغفره الايمان كظالم العباد

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

(قوله سيهديهم) وان قلت

(وهذا) اى القرآن (كتاب) اى جامع لجميع الخيرات (مصدق) اى لكتاب موسى عليه السلام
وغيره من الكتب التى تصح نسبتها الى الله تعالى فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من
عند الله تعالى وقوله تعالى (لسانا) حال من الضمير فى مصدق وقوله (عربيا) صفة للسانا وهو
المسوغ لوقوع هذا الجامد حالا اى فى أعلى طبقات اللسان العربى مع كونه اسهل الكتب
تناولا وابعدها عن التكلف ليس هو بحيث يمنعه علوه بفخامة الالفاظ وجلالة المعانى
ودقة الاشارة عن سهولة الفهم وقرب التناول وقوله تعالى (لينذر) اى الكتاب بحسن بيانه
وعظم شانه (الذين ظلموا) اى سواء كانوا عريقين فى الظلم ام لا وقرأ نافع وابن عامر بالتاء
خطابا اى ايها الرسول والباقون بالياء غيبة بخلاف عن البزى (وبشرى) اى كاملة
(للمحسنين) اى المؤمنين بان لهم الجنة * ولما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات
المتكبرين واجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحققين فقال تعالى (ان الذين قالوا ربنا) اى
خالقنا ومولانا والمحسن الينا (الله) وحده (ثم استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو
خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العلم وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل
وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) اى من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) اى
على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (أولئك) أى العالون الدرجات (أصحاب
الجنة خالدين فيها) خلودا لا آخر له جوزوا بذلك (جزاء بما) أى بسبب ما (كانوا) طبعا وخلقا
(يعملون) أى على سبيل التجديد المستمر * ولما كان رضا الله تعالى فى رضا الوالدين وسخطه
فى سخطهما كما ورد به الحديث حث عليه بقوله تعالى (ووصينا) أى بما لنا من العظمة
(الانسان) اى هذا النوع الذى أنس بنفسه (بوالديه) وقرأ (حسنا) نافع وابن كثير وأبو عمرو
وابن عامر بضم الحاء وسكون السين وقرأ الكوفيون بكسر الحاء وقبلها همزة مكسورة وفتح
السين وبعدها ألف فهو منصوب على المصدر بفعل مقدر أى وصيناه أن يحسن اليهما احسانا
ومثله حسنا وقرأ (حملته أمه كرها) أى على مشقة (ووضعته كرها) أى بمشقة الكوفيون
وابن ذكوان بضم الكاف فيهما والباقون بالفتح وهما لغتان بمعنى واحد مثل الضعف
والضعف وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون
بمشقة لقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت فحينئذ حملته كرها
ووضعته كرها * (تنبيه) * دلت الآية على أن حق الام أعظم لانه تعالى قال ووصينا
الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر فقال حملته أمه كرها ووضعته
كرها وذلك يدل على أن حقها اعظم وان وصول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار
كثيرة فى هذا الباب (وحمله وفصاله) أى من الرضاع (ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما
تكابده الام فى تربية الولد ومبالغة فى الوصية بها وفى ذلك دلالة على أن اقل مدة الحمل
ستة أشهر لانه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات
يرضعن أولادهن حولين كاملين فاذا أسقطنا الحولين الكاملين وهى أربعة
وعشرون شهرا من ثلاثين بقى مدة الحمل ستة أشهر وروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال اذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة

كيف قال تعالى فى حق الشهداء بعدما قتلوا ذلك مع ان الهداية انما تكون قبل الموت لا بعده (قلت) معناه سيهديهم الى محاجة

أشهر

أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا وروي عن أبي بكر أن امرأة دفعت اليه وقد ولدت
لستة أشهر فأمر برجمها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان نحوه وأنه
هم بذلك فقرأ ابن عباس رضي الله عنهما عليه الآية وأما مدة أكثر الحمل فليس في القرآن
ما يدل عليه واختلاف الأئمة في ذلك فعند الشافعي أربع سنين وقوله تعالى (حتى اذا بلغ أشده)
لابد فيه من جملة محذوفة تكون حتى غاية لها أي عاش واستمرت حياته حتى اذا بلغ أشده قال
ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء الاشد ثماني عشرة سنة وقيل نهاية قوته وغاية شبابه
واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة فذلك قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة)
وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقيل نزلت في أبي بكر
الصديق رضي الله عنه وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الآية في أبي بكر الصديق أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لاحد
من المهاجرين أبواه غيره أوصاه الله تعالى بهما ولزم ذلك من بعده وكان أبو بكر يصحب النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في
تجارته الى الشام فلما بلغ أربعين سنة وتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه
عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ثم ان أبا بكر دعا ربه بأن (قال رب أوزعني) أي ألهمني
وقرأ ورش والبزي بفتح الياء في الوصل والباقون بسكونها (أن أشكر نعمتك التي أنعمت) أي
بها (علي) أي وعلى أولادي (وعلى والدي) وهي التوحيد وأكثر المفسرين على أن الاشد ثلاث
وثلاثون قال الرازي مراتب الحيوان ثلاثة لان بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية
وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زائدة في أول العمر ناقصة في آخره والانتقال من الزيادة
الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل الاستواء في وسط هاتين المدتين فثبت أن مدة العمر
منقسمة الى ثلاثة أقسام فأولها أن تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية
وحينئذ تكون الاعضاء عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا
هو سن النشوء والثانية وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ
الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو حين الشباب والمرتبة
الثالثة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا
النقصان على قسمين فالاول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان
الظاهر وهو سن الشيخوخة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد الاربعين سنة قال الرازي
وهذا يشكل بعيسى عليه السلام فانه تعالى جعله نبيا من أول عمره الا أنه يجب أن يقال
الاغلب انه ما جاءه الوحي الا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ثم
ان أبا بكر دعا أيضا فقال (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبي بكر
فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله تعالى منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الا أعانه الله عليه
ودعا أيضا فقال (وأصلح لي في ذريتي) فأجاب الله تعالى دعاءه فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع له
اسلام أبويه وأولاده جميعا وأدرك أبواه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه أبو عتيق النبي صلى الله
عليه وسلم وهم مؤمنون ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة (تنبيه) وأصلح يتعدى بنفسه لقوله

منكر ونكير وقيل سم ديهم يوم القيامة الى طريق الجنة (قوله من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) نزل

تعالى وأصلح لي في ذريتي وجوزا بعالماً يعدي بفي لتضمنه معنى الطف بي في ذريتي أو لانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح والمعنى هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم (اني تبت) اي رجعت (اليك) عن كل ما يقدح في الاقبال عليك وأكده اعلاما بان حاله في الاقبال على الشهوات حال من يبعد منه الاقلاع فينكر اخباره به وكذا قوله (واني من المسلمين) اي الذين اسلموا ظواهرهم وبواطنهم فانقادوا أتم انقياد (أولئك) اي العالون الرتبة القائلون هذا القول أبو بكر وغيره (الذين يتقبل) باسهل وجه (عنهم) وأشار بصيغة التفعل الى انه يعمل في قبوله عمل المعتني والتقبل من الله هو ايجاب الثواب له على عمله وقوله تعالى (أحسن ما عملوا) اي أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا (فان قيل) كيف قال الله تعالى أحسن والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه (أجيب) بوجهين أحدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الناقص والاشج أعدلا بني مروان اي عادلا بني مروان ثانيهما ان الحسن من الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المندوب أو الواجب ❊ ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا نبه على ذلك بقوله تعالى (ويتجاوز) اي بوعد لا خلف فيه (عن سيآتهم) اي فلا يعاقبهم عليها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بنون مفتوحة قبل الفوقية من يتقبل ونصب أحسن ونون مفتوحة قبل الفوقية من يتجاوز والباقون بياء مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع أحسن وقوله تعالى (في أصحاب الجنة) في محل الحال اي كائنين في جملة أصحاب الجنة كقولك أكرمني الامير في أصحابه اي في جملتهم وقيل خبر مبتدا مضمر اي هم في أصحاب الجنة وقوله تعالى (وعد الصدق) مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لان قوله تعالى أولئك الذين يتقبل عنهم في معنى الوعد فيكون قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعدا من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز والمعنى يعامل من صفته ما قدمناه بهذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى صدقا لكونه مطابقا للواقع (الذي كانوا يوعدون) اي يقع لهم الوعد به في الدنيا ممن لا أصدق منهم وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام حين أخبروا بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ❊ ولما وصف تعالى الولد البار بوالديه وصف الولد العاق لهما بقوله تعالى (والذي قال لوالديه أف لكما) والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزلت في عبد الله بن أبي وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول أف لكما وقال الحسن وقتادة انها نزلت في كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انها نزلت فيمن تقدم لا ينافي ان المراد الجنس فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي أف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل (أتعدانني) اي على سبيل الاستمرار بالتجديد في كل وقت وقرأ هشام بادغام النون الاولى في الثانية وفتح الياء نافع وابن كثير وسكنها الباقون (أن أخرج) اي من مخرج ما يخرجني من الارض بعد أن غبت فيها وصرت ترابا يحييني كما كنت أول مرة (وقد) اي والحال انه قد (خلت) اي مضت على سنن الموت (القرون) اي الامم الكثيرة مع صلابتهم (من قبلي) اي قرنا بعد قرن وتطاولت الازمان ولم يخرج منهم أحد من القبور (وهما) اي والحال انهما كلما قال لهما ذلك (يستغيثان

في اليهود وقوله بعد من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ نزل في قوم ارتدوا فليس بتكرار

❊(سورة الفتح)❊

الله) اى يطلبان بدعائهما من له جميع صفات الكمال أن يغيثهما بالهامه قبول كلامهما ويقولان ان لم ترجع (ويلك) اى هلاكا كائنا بمعنى هلكت (آمن) اى أوقع الايمان الذى لا ايمان غيره وهو الذى ينقذ من كل هلكة ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث وبكل ما جاء عن الله تعالى ثم عللا أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة انكاره بقولهما (ان وعد الله) اى الملك المحيط بجميع صفات الكمال (حق) اى ثابت أعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الاخلاف الذى لا يرضاه لنفسه أقل الملوك فكيف بملك الملوك (فيقول) مسببا عن قولهما ومعقبا له (ما هذا) اى الذى تذكرانه من البعث (الا أساطير) اى أكاذيب (الاولين) التى كتبوها (أولئك) اى البعداء من العقل والمروأة وكل خير (الذين حق) اى ثبت ووجب (عليهم القول) اى الكامل فى بابه بانهم أسفل السافلين وهذا كما قال البيضاوى يرد على من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه وقال البقاعى وهذا يكذب من قال انها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر فانه أسلم وصار من أكابر الصحابة وحققت له الجنة ولما أثبت لهم هذه الشنعة بين كثرة من شاركهم فيها بقوله تعالى (فى) اى كائنين فى (أمم) اى خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم بعضا (قد خلت) اى تلك الامم (من قبلهم) وكانوا قدوتهم وأدخل الجار لان المحكوم عليه بعض السالفين (من الجن) لان العرب كانت تستعظمهم وتستجير بهم وذلك لانهم يتظاهرون لهم ويؤذونهم ولم يقطع أذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا وباطنا الا القرآن فانه أحرقهم بانواره وجلاهم عن تلك البلاد بتجلى آثاره (والانس) ولا نفعتهم كثرتهم ولا أغنت عنهم قوتهم وقوله تعالى (انهم) اى كلهم (كانوا) اى جبلة وطبعا وخلقا لا يقدرون على الانفكاك عنه (خاسرين) اى عريقين فى هذا الوصف تعليل للحكم على الاستئناف (ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقال مقاتل ولكل واحد من الفريقين يعنى البار بوالديه والعاق لهما درجات فى الايمان والكفر والطاعة والمعصية (فان قيل) كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات على أهل النار وقد روى الجنة درجات والنار دركات (أجيب) من وجوه أحدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج أهل الجنة تذهب علوا ودرج أهل النار تذهب هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب المتزايدة فدرجات أهل الجنة فى الخيرات والطاعات ودرجات أهل النار فى المعاصى والسيئات وقوله تعالى (وليوفيهم أعمالهم) اى جزاءها معلله محذوف تقديره جازاهم بذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء التحتية اى الله والباقون بالنون اى نحن وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) اى شيأ ينقص المؤمنين ولا بزيادة للكافرين اما استئناف واما حال مؤكدة (ويوم) اى واذكر يا أفضل الخلق لهؤلاء يوم يعرضون هكذا كان الاصل ولكنه تعالى أظهر الوصف الذى أوجب لهم الخزى بقوله تعالى (يعرض الذين كفروا على النار) اى يصلون لهيبها ويقلبون فيها كما يعرض اللحم الذى يشوى وقيل تعرض عليهم النار ليروا أهوالها مقولا لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع لانهم لم يذكروه تعالى حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها عند مخالفة أمره سبحانه وتعالى (أذهبتم

(قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا) نزل قبل فتح مكة وجيء بالفعل ماضيا لانه فى علمه تعالى كالواقع لتحقق وقوعه (قوله ليغفر لك الله

طيباتكم) اى لذاتكم باتباعكم الشهوات وقرأ ابن كثير وابن عامر قبل الذال بهمزتين مفتوحتين الاولى محققة بلا خلاف والثانية مسهلة بخلاف عن هشام وأدخل هشام بينهما الفا ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقون بهمزة واحدة محققة (فى حياتكم الدنيا) اى القريبة الدنية المؤذن وصفها بان ثم حياة أخرى بعدها فكان معظمكم فى حركاتكم وسكناتكم لاجلها حتى نلتموها (واستمتعتم) اى طلبتم وأوجدتم انتفاعكم (بها) وجعلتموها غاية حظكم فى رفعتكم ونعمتكم والمعنى أن ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتموه فى الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى قال الواحدى ان الصالحين يؤثرون التقشف والزهد فى الدنيا رجاء ان يكون ثوابهم فى الآخرة أكمل لان هذه الآية لا تدل على المنع من التمتع لانها وردت فى حق الكافر وانما وبخ الله تعالى الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر ان الاحتراز عن التنعم أولى لان النفس اذا اعتادت التنعم صعب عليها الاحتراز والانقياد وحينئذ ربما حمل الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغى روى عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها أنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وما هو الا الماء والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير والاحاديث فى هذا كثيرة * ولما كانت الاستهانة بالاوامر والنواهى استهانة بيوم الجزاء تسبب عنه قوله تعالى (فاليوم تجزون) اى على اعراضكم عنا (عذاب الهون) اى الهوان العظيم المجتمع الشديد الذى فيه ذل وخزى (بما كنتم) اى جبلة وطبعا (تستكبرون) اى تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستمرار (فى الارض) التى هى لكونها ترابا موضوعة على الزوال والخراب أحق شئ بالتواضع والذل والهوان (بغير الحق) اى الامر الذى يطابقه الواقع وهو أوامرنا ونواهينا (وبما كنتم) اى على الاستمرار (تفسقون) اى بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى *(تنبيه)* دلت الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرع بعلة لان الله تعالى علل عذابهم بأمرين أولهما الكفر وثانيهما الفسق وهذا الفسق لابد وأن يكون مغايرا لذلك الكفر لان العطف يوجب المغايرة فثبت أن فسق الكفار يوجب العقاب فى حقهم ولا معنى للفسق الا ترك المأمورات وفعل المنهيات * ولما كان قوم عاد أكثر أموالا وقوة وجاها من أهل مكة ذكر تعالى قصتهم ليعتبر وافيتركوا الاغترار بما وجدوه فى الدنيا فقال عز من قائل (واذكر) يا أشرف الرسل لهؤلاء الذين لا يتعظون (أخا عاد) وهو أخوك هود عليه السلام الذى كان بين قوم أشد من قومك ولم يخف عاقبتهم وأمرهم ونهاهم ونجيناه

ما تقدم من ذنبك وما تأخر) * ان قلت لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ذنب فماذا يغفر له (قلت) المراد ذنب المؤمنين او ترك

منهم فهو لك قدوة وفيه اسوة ولقومك فى قصدهم اياك بالاذى من أمرهم موعظة وقوله تعالى (اذ أنذر) بدل اشتمال من أخا (قومه) اى الذين لهم قوة على القيام فيما يحاولونه (بالاحقاف) قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن فى حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سيارة فى الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء من اليمن كانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر (وقد) اى والحال أنه قد (خلت النذر) اى مرت ومضت الرسل الكثيرون (من بين يديه) اى قبل هود كنوح وشيث وآدم عليهم السلام (ومن خلفه) اى بعده والمعنى أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره والجملة حال او اعتراض ولما أشار الى كثرة الرسل ذكر وحدتهم فى أصل الدعاء فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهى (ان لا تعبدوا) اى أيها العباد المنذرون بوجه من الوجوه شيئا من الاشياء (الا الله) اى الملك الذى لا مالك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا هو فانى أراكم تشركون به من لم يشركه فى شئ من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا (انى أخاف عليكم) لكونكم قومى وأعز الناس على (عذاب يوم عظيم) اى لابد بحجة الاملاك ها عذابه ان أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك (قالوا) له فى جوابه منكرين عليه (أجئتنا) اى ياهود (لتأفكنا) اى لتصرفنا عن وجه أمرنا الى قفاه (عن آلهتنا) فلا نعبدها ولا نعتد بها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب سموا الوعيد وعدا (ان كنت) اى بما لعنك كونا ثابتا (من الصادقين) فى انك رسول من الله وانه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب ان أصررنا (قال) اى هود مكذبا لهم فى نسبتهم اليه ادعاء شئ من ذلك (انما العلم) اى المحيط بكل شئ عذابكم وغيره (عند الله) اى المحيط بجميع صفات الكمال فهو ينزل علم ما توعدون به على من يشاء ان شاء ولا علم لى الى الآن ولا لكم بشئ من ذلك ولا قدرة (وأبلغكم) اى فى الحال والاستقبال وقرأ أبو عمرو بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام (ما أرسلت به) ممن لا مرسل فى الحقيقة غيره سواء أكان وعدا أم وعيدا أم غير ذلك ولم يذكر الغاية لان ما أرسل به صالح لهم ولغيرهم (ولكنى أراكم) اى أعلمكم علما كالرؤية وقرأ نافع والبزى وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وأمال الالف بعد الراء ورش بين بين وأمالها أبو عمرو وحمزة والكسائى محضة والباقون بالفتح (قوما تجهلون) اى باستعجال العذاب فان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا مقترحين (فلما رأوه) اى العذاب الذى توعدهم به (عارضا) اى سحابا أسود بارزا فى الافق ظاهر الامر عند من له أهلية النظر حال كونه قاصدا اليهم (مستقبل أوديتهم) اى طالبا لان يكون مقابلا لها وموجدا لذلك (قالوا) على عادة جهلهم مشيرين بالمبادأة القرب الدالة على أنهم فى غاية الجهل لان جهلهم به استمر حتى كاد أن يواقعهم (هذا عارض) اى سحاب معترض فى عرض السماء اى ناحيتها (ممطرنا) قال المفسرون كان حبس عنهم المطر أياما فساق الله تعالى اليهم سحابة سوداء فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى (بل هو) اى هذا العارض الذى ترونه (ما استعجلتم به) اى طلبتم العجلة فى اتيانه وقوله تعالى (ريح) بدل من ما (فيها عذاب

الافضل او المراد الصغائر او على ما قال به جمع المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله ما تقدم وما تأخر ما فرط منك فرطا

(أليم) أى شديد الايلام روى أنها كانت تحمل الفسطاط فترفعه فى الجو وتحمل الظعينة فى الجو فترفعها وهودجها حتى ترى كأنها جرادة وكانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس والمواشى تطير بهم الريح بين السماء والارض ثم تقذف بهم ثم وصف تلك الريح بقوله تعالى (تدمر) أى تهلك اهلاكا عظيما شديدا (كل شئ) أى أتت عليه من الحيوان والناس وغيرهما هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه السلام ومن آمن به فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أمرها فى اهلاك كل ما مرت عليه أمر خارق للعادة (بأمر ربها) أى المبدع لها والمربى والمحسن بالانتقام من أعدائه (فان قيل) ما فائدة اضافة الرب الى الريح (أجيب) بان فائدة ذلك الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد بعظيم قدرته لانها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه فليس من تأثير الكواكب والقرانات قيل ان أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان أول ما عرفوا به انه عذاب أليم انهم رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمت بهم فى البحر وروى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وكانت الريح التى تصيبهم ريحا طيبة هادية والريح التى تصيب قوم عاد ترفعهم من الارض وتطير بهم الى السماء وتضرب بهم على الارض وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وأثر المعجزة انما ظهر فى تلك الريح من هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم ما أمر الله تعالى خازن الريح أن يرسل على عاد الا مقدار الخاتم وذلك القدر أهلكهم بكليتهم كما قال تعالى (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء التحتية المضمومة ورفع النون من مساكنهم لقيامه مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيا للفاعل ونصب مساكنهم مفعولا به وأمال الالف بعد الراء ورش بين بين وأبو عمرو وحمزة والكسائى محضة وكذلك من القرى (كذلك) أى مثل هذا الجزاء الهائل فى أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الاهلاك (نجزى) بعظمتنا دائما اذا شئنا (القوم المجرمين) أى العريقين فى الاجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل وذلك الجزاء هو الاهلاك على هذا الوجه الشنيع وروى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة أى سحابة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فاحذر وا أيها العرب مثل ذلك ان لم ترجعوا (فان قيل) قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فكيف يحصل التخويف (أجيب) بان ذلك كان قبل نزول الآية ثم أخبر الله تعالى عن مكنة عاد بقوله سبحانه (ولقد

قبل النبوة وبعدها
اوقبل فتح مكة وبعده
او المراد بها تأخر العموم
والمبالغة كقولهم فلان
يضرب من يلقاه ومن

مكناهم) أى مكنا تظهر به عظمتنا (فيما) أى فى الذى (ان) نافية أى ما (مكناكم) يا أهل مكة (فيه) من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها ثم انهم مع ذلك ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم * (تنبيه) * قال البقاعى وجعل النافى ان لانها أبلغ من ما لان ما تنفى تمام الفوت لتركبها من الميم والالف التى حقيقة ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفى أدنى مظاهره مدخولها فكيف بما وراءه من تمامه لان الهمزة أول مظهر لفوت الالف والنون لطاق الاظهار هذا الى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار الى غير ذلك من بديع الاسرار اه وقال الزمخشرى ان نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما بمثلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الاصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال * لعمرك ما ان بان منك لضارب * وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش رحمه الله تعالى فقال

يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول (وجعلنا لهم) اى على ما اقتضته عظمتنا (سمعا) وأفرده لقلة التفاوت فيه (وأبصارا) وجمعه لكثرة التفاوت فى أنوار الابصار وكذا فى قوله تعالى (وأفئدة) أى فتحنا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا فما استعملوه فى سماع الدلائل وأعطيناهم أبصارا فما استعملوها فى دلائل ملكوت السموات والارض وأعطيناهم أفئدة أى قلوبا فما استعملوها فى طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم قال تعالى (فما أغنى عنهم) فى حال ارسالنا اليهم الرحمة على لسان هود عليه السلام ثم النقمة بيد الريح (سمعهم) وأكد النفى بتكرير النافى بقوله تعالى (ولا أبصارهم) وكذا فى قوله تعالى (ولا أفئدتهم) لما أردنا اهلاكهم وأكد باثبات الجار بقوله تعالى (من شئ) اى من الاشياء وان قل وقال الجلال المحلى ان من زائدة وقوله تعالى (اذ) معمولة لاغنى وأشربت معنى التعليل أى لانهم (كانوا) اى طبعا وخلقا (يجحدون) اى يكررون على مر الزمان الجحد (بآيات الله) اى الانكار لما يعرب عن دلائل الملك الاعظم (وحاق) اى نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) لانهم كانوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستهزاء * ولما تم المراد من الاخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع أمرهم اتبعهم من كان مشاركا لهم فى التكذيب فشاركهم فى الهلاك فقال تعالى (ولقد أهلكنا) اى بما لنا من العظمة (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وعاد وأرض سدوم وسبأ ومدين والايكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم ممن فيهم معتبر (وصرفنا) اى بينا (الآيات) أى الحجج البينات (لعلهم) اى الكفار (يرجعون) اى ليكونوا عند من يعرف حالهم فى رؤية الآيات حال من يرجع عن الغى الذى كان يرتكبه لتقليد أو شبهة كشفتها الآيات وفضحتها الدلالات فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سبب اهلاكهم (فلولا) اى فهلا ولم لا (نصرهم الذين) اى نصر هؤلاء المهلكين الذين (اتخذوا) اى اجتهدوا فى صرف أنفسهم عن دواعى العقل حتى أخذوا (من دون الله) اى الملك الذى هو أعظم من كل عظيم (قربانا)

لا يلقاه بمعنى يضرب كل أحد مع ان من لا يلقاه لا يمكنه ضربه (قوله ويهديك) اى يزيدك هدى والا فهو مهدى

اى متقربا بهم الى الله تعالى (آلهة) معه وهم الاصنام ومفعول اتخذوا الاول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا المفعول الثانى وآلهة بدل منه (بل ضلوا) اى غابوا (عنهم) وقت نزول النقمة وقرأ الكسائى بادغام اللام فى الضاد والباقون بالاظهار (وذلك) أى اتخاذهم الاصنام آلهة قربانا (افكهم) اى كذبهم (وما كانوا) اى على وجه الدوام لكونه فى طباعهم (يفترون) اى يتعمدون كذبه لان اصرارهم عليه بعد مجىء الآيات لا يكون الا كذلك لان من نظر فيها بمجرد انفسه عن الهوى اهتدى (واذ) اى واذكر اذ (صرفنا) اى أملنا (اليك نفرا) وهو اسم يطلق على مادون العشرة وسيأتى فى ذلك خلاف (من الجن) اى جن نصيبين اليمن او جن نينوى (يستمعون القرآن) اى يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس وأنت فى صلاة الفجر (١) فى نخلة تصلى بأصحابك (فلما حضروه) اى صاروا بحيث يسمعونه (قالوا) اى قال بعضهم لبعض ورضى الآخرون (أنصتوا) اى اسكتوا وميلوا بكلياتكم واسمعوا حفظا للادب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم فى تعلمه قال القشيرى فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار (تنبيه) ذكروا فى كيفية هذه الواقعة قولين أحدهما قال سعيد بن جبير كان الجن تستمع فلما رجموا قالوا هذا الذى حدث فى السماء انما حدث لشىء فى الارض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة ان يجيبوه خرج الى الطائف ليدعوهم الى الاسلام فلما انصرف الى مكة وكان ببطن نخلة قام يقرأ القرآن فمر به نفر من أشراف جن نصيبين كان ابليس بعثهم ليعرف السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم فسمعوا القرآن فعرفوا ان ذلك هو السبب والقول الثانى ان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه القرآن وينذرون قومهم * روى أن الجن كانوا يهودا لان فى الجن مللا كما فى الانس من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس وأطبق المحققون على أن الجن مكلفون * سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون فى أبواب الجنة و يزدحمون على أبوابها وروى الطبرانى عن ابن عباس ان أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبيش كانوا تسعة أحدهم زوبعة وعن قتادة ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى وروى فى الحديث ان الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون و يظعنون واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أولا وروى عن أنس قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذ اقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها لمشية جنى ثم أتى فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انها لنغمة جنى فقال الشيخ أجل يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أى الجن أنت فقال يارسول الله أنا هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا أرى بينك و بين ابليس الا أبوين قال أجل يارسول الله قال كم أتى عليك من العمر قال أكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن اعوام

نيفكنت

(١) قوله فى نخلة كذا بالنسخ بايدينا ولعله فى بطن نخلة بدليل ماسيأتى اه مصحح

(قوله وكانوا احق بها واهلها) ان قلت مافائدة قوله وأهلها بعد قوله احق بها (قلت) الضمير فى بها لكلمة التوحيد

فكنت أشرف على الآكام وأصطاد الهام وأورش بين الانام فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئس العمل فقال يارسول الله دعنى من العتب فانى ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت هودا فعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين واعوذ بالله ان أكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى به فى المنجنيق وكنت معه فى النار اذ ألقى فيها وكنت مع يوسف اذ ألقى فى الجب فسبقته الى قعره ولقيت موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لى ان لقيت محمدا فاقرأ عليه السلام قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك ياهام ما حاجتك قال ان موسى علمنى التوراة وان عيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن قال أنس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا أيها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين (فلما قضى) اى فرغ من قراءته (ولوا) اى رجعوا (الى قومهم) الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه (منذرين) اى مخوفين لهم ومحذرين عواقب الضلال بامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم ❊ ولما كان كأنه قيل ما قالوا لهم فى انذارهم قيل (قالوا يا قومنا) متر فقين لهم ومترفقين بهم بذكر ما يدل على أنهم منهم يهمهم ما يهمهم (انا سمعنا) أى ما بيننا وبين القارئ واسطة وأشاروا الى انه لم ينزل بعد التوراة شئ جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع الكتب غير هذا وبذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع بقولهم (كتابا) اى ذكرا جامعا لا كما نزل بعد التوراة على بنى اسرائيل (أنزل) اى ممن لا منزل غيره وهو ملك الملوك لان عليه من رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسامعه بانه منها فكيف اذا انضم الى ذلك الاعجاز وعلموا قطعا بعربيته أنه عربى وبانهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغاربها ويسمعون قراءة الناس لما يحدونه من الحكم والخطب والكهانة والرسائل والاشعار وانه مباين لجميع ذلك (من بعد موسى) فلم يقتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل وما قبله لانه لا يساوى التوراة فى الجمع وروى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تسمعوا أمر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى ولما أخبروا بانه منزل أتبعوه ما يشهد له بالصحة بقولهم (مصدقا لما بين يديه) اى من جميع كتب بنى اسرائيل الانجيل وما قبله ثم بينوا تصديقه بقولهم (يهدى الى الحق) الامر الثابت الذى يطابق الواقع فلا يقدر أحد على ازالة شئ مما يخبر به الكامل فى جميع ذلك (والى طريق) موصل الى المقصود (مستقيم) لا عوج فيه (يا قومنا) الذين لهم قوة العلم والعمل (أجيبوا داعى الله) أى الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان دعوة هذا الداعى عامة لجميع الخلائق فالاجابة واجبة على كل من بلغه أمره وفى هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن كما كان مبعوثا الى الانس (وآمنوا به) اى اوقعوا التصديق بسبب الداعى وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا بسبب آخر فان المعول عليه معول مع الله تعالى (فان قيل) قوله تعالى أجيبوا داعى الله أمر باجابته فى كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فكيف قال وآمنوا به

وفى اهلها للتقوى فلا تكرار (قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) ان قلت ما وجه التعليق بمشيئة الله تعالى فى اخباره

(أجيب) بانه انما ذكر الايمان على التعيين لانه أهم الاقسام وأشرفها وقد جرت العادة في القرآن العظيم بأن يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه أشرف أنواعه كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح * ولما أمر تعالى بالايمان ذكر فائدته بقوله تعالى (يغفر لكم) اى الله تعالى (من ذنوبكم) اى بعضها من الشرك وما شابهه مما هو حق لله تعالى وكذا ما يجازى به صاحبه في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهموم ونحوها مما أشار اليه قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وأما المظالم فلا تغفر الا برضا أربابها وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته أن كلمة من هنا لابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران بالذنوب ثم ينتهى الى غفران ما صدر عنكم من ترك الاولى والاكمل (ويجركم) اى يمنعكم منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز الى داعيه صرتم من حزبه (من عذاب أليم) قال ابن عباس فاستجاب لله تعالى لهم من قومهم نحو سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم * (تنبيه) * اختلفوا في أن الجن هل لهم ثواب أولا فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار ويقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وهو قول أبي حنيفة والصحيح أن حكمهم حكم بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وهو قول ابن ابي ليلى ومالك وتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا نحو ذلك قال الضحاك يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لان كل دليل دل على ان البشر يستحقون الثواب فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا انهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تعالى تسبيحه وذكره فيصيبهم من لذته ما يصيب بني آدم من نعيم الجنة وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها * ولما أفهم كلامهم انهم ان لم يجيبوا ينتقم منهم بالعذاب الاليم اتبعوه ما هو أغلظ انذارا منه فقالوا (ومن لا يجب) اى لا يجدد منه ان يجيب (داعى الله) اى الملك الذى لا كفء له (فليس بمعجز) اى لا يعجز الله عز وجل بالهرب منه (في الارض) فيفوته فانه اى مكان سلك فيها فهو في ملكه وملكه وقدرته محيطة به (وليس له من دونه) اى الله تعالى الذى لا مجير عليه (أولياء) يفعلون لاجله ما يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه والاستشفاع له والافتداء (أولئك) البعيدون من كل خير (في ضلال مبين) ظاهر في نفسه أنه ضلال مظهر لكل أحد قبح احاطته بهم * (تنبيه) * ههنا همزتان مضمومتان من كلمتين ولا نظير لهما في القرآن العظيم قرأ قالون والبزى بتسهيل الاولى كالواو مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل بعد تحقيق الاولى ولهما أيضا ابدال الثانية الفا واسقط الاولى ابو عمرو مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد (أولم يروا) اى يعلموا علما هو في الوضوح كالرؤية (ان الله) ودل على ما دل عليه هذا الاسم الاعظم بقوله تعالى (الذى خلق السموات) على ما احتوت عليه بما يعجز الوصف من العبر (والارض) على ما اشتملت عليه من الآيات المدركة

(قلت) ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين او انه استثناء منه تعالى فيما يعلم

قوله ابدال الثانية الفا كذا في الاصول ولعله واوا وتحرر القراءة اه مصححه

بالعيان

بالعيان والخبر (ولم يعى) اى ولم يتعب ولم يعجز (بخلقهن) اى بسبب من الاسباب فانه لو حصل له شئ من ذلك ادى الى نقصان فيهما أو فى احداهما * وأكد الانكار المتضمن للنفى بزيادة الجار فى خبران فقال (بقادر) اى قدرة عظيمة (على أن يحيى) اى على سبيل التجديد مستمرا (الموتى) والامر فيهم لكونه اعادة وكونه جزأ يسيرا مما ذكر أختراعه أصغر شأنا وأسهل صنعا وأجاب بقوله تعالى (بلى) لان هذا الاستفهام الانكارى فى معنى النفى اى قد علموا أنه قادر على ذلك عما هو فى ايقانه كالبصر لانهم يعلمون أنه المخترع لذلك وأن الاعادة أهون من الابتداء فى مجارى عاداتهم ولكنهم عن ذلك غافلون لانهم عنه معرضون * وقوله تعالى (انه على كل شئ قدير) تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد * ولما أثبت البعث بما أقام من الدلائل ذكر بعض ما يحصل فى يومه من الاهوال بقوله تعالى (ويوم) اى واذكر يوم (يعرض) اى بأيسر أمر من أوامرنا (الذين كفروا) اى ستروا بغفلتهم وتماديهم الادلة الظاهرة (على النار) عرض الجند على الملك فيسمعون من تغيظها وزفيرها مالو قدر أن احدا يموت فى ذلك اليوم لماتوا من معاينته وهائل رؤيته ثم يقال لهم (أليس هذا) اى الامر الذى كنتم به توعدون ولرسلنا فى اخبارهم به تكذبون (بالحق) اى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع أم هو خيال وسحر (قالوا) اى مصدقين حيث لا ينفعهم التصديق (بلى) وما كفاهم البدار الى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه بقولهم (وربنا) اى انه لحق هو اثبت الاشياء وليس فيه شئ مما يقارب السحر * (تنبيه) * المقصود من هذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده (قال فذوقوا العذاب) اى باشروه مباشرة الذائق باللسان ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم ثم صرح بالسبب فقال تعالى (بما كنتم) اى خلقا مستمرا (تكفرون) فى دار العمل * ولما قرر تعالى المطالب الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجرى مجرى الوعظ والنصيحة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون صدره فقال تعالى (فاصبر) اى على مشاق ماترى فى تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك قال القشيرى الصبر هو الوثوق بحكم الله تعالى والثبات من غير بث ولا استكراه (كما صبر أولوا العزم) اى الثبات والجد فى الامور وقال ابن عباس رضى الله عنهما أولوا الحزم وقوله تعالى (من الرسل) يجوز فيه أن تكون من تبعيضية وعلى هذا فالرسل أولو عزم وغير اولى عزم ويجوز أن تكون للبيان وعليه جرى الجلال المحلى فكلهم على هذا أولو عزم قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم وحزم ورأى وكمال عقل وانما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نجباء الرسل وهم المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الله تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق فى سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر

تعلموا بالعباده ان يستمدوا
فيه لا يعلمون اوانه على
سبيل الحكاية لرؤيا لنبى
صلى الله عليه وسلم فانه
رأى ان قائلا يقول

على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة ونظمهم بعضهم في بيت فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه * فعيسى فنوح هم اولوا العزم فاعلم

قال البغوي ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وعن مسروق قال قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم قال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لابد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله * ولما أمره الله تعالى بالصبر الذي هو من أعلى الفضائل نهاه عن العجلة التي هي من أمهات الرذائل فقال عز من قائل (ولا تستعجل لهم) اى لا تطلب العجلة ونوجدها بان تفعل شيأ مما يسوءهم في غير حينه الاليق به فانه نازل بهم في وقته لا محالة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه واحب أن ينزل الله تعالى العذاب بمن أبى من قومه فامر بالصبر وترك الاستعجال * ثم اخبر أن ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) اى من العذاب بهم في الآخرة (لم يلبثوا) اى في الدنيا (الا ساعة من نهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار أو كأنه لم يكن لهول ما عاينوا ولان ما مضى وان كان طويلا صار كأنه لم يكن قال الشاعر

كأن شيأ لم يكن اذا مضى * كأن شيأ لم يكن اذا أتى

(تنبيه) قد تم الكلام ههنا وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف قدره بعضهم تلك الساعة بلاغ لدلالة قوله تعالى الا ساعة من نهار وبعضهم هذا اى القرآن بلاغ اى تبليغ من الله تعالى الحكيم وجرى عليه الجلال المحلي (فهل) اى لا (يهلك) اى بالعذاب اذا نزل (الا القوم) اى الذين هم أهل القيام بما يحاولونه من اللدد (الفاسقون) اى العريقون في ادامة الخروج من الانقياد والطاعة وهم الكافرون قال الزجاج تأويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله أقوى من هذه الآية * وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا حديث موضوع

سورة محمد صلى الله عليه وسلم مكية

وتسمى القتال والذين كفروا وهي ثمان وثلاثون آية وخمسمائة وتسع وثلاثون كلمة وألفان وثلثمائة وتسعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذي أقام جنده للذب عن حماه (الرحمن) الذي عمت رحمته تارة

لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (قوله لا تخافون) * ان قلت ما فائدة ذكره بعد قوله آمنين (قلت) المعنى

بالبرهان وتارة بالسيف واللسان (الرحيم) الذي خص حزبه بالحفظ في طريق الجنان واختلف في قوله تعالى (الذين كفروا) من هم فقيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل والحرث ابنا هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل أهل الكتاب وقيل كل كافر لانهم ستروا أنوار الادلة وضلوا على علم (وصدوا) اى امتنعوا بانفسهم ومنعوا غيرهم امر اقتهم في الكفر (عن سبيل الله) اى الطريق الرحب المستقيم الذي شرعه الملك الاعظم (أضل) اى ابطل ابطالا عظيما يزيل العين والاثر (أعمالهم) كاطعام الطعام وصلة الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار وغير ذلك فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزى عليها في الدنيا من فضله تعالى *(تنبيه)* أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة * ولما ذكر تعالى أهل الكفر معبرا عنهم بادنى طبقاتهم ليشمل من فوقهم ذكر أضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى (والذين آمنوا) اى اقروا بالايمان باللسان (وعملوا) تصديقا لدعواهم (الصالحات) اى الاعمال الكاملة في الصلاح بتأسيسها على الايمان * ولما كان هذا الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى (وآمنوا) اى مع ذلك (بما نزل) اى ممن لا منزل الا هو منجما مفرقا ليجددوا بعد الايمان به اجمالا الايمان بكل نجم منه (على محمد) النبي الامي العربي القرشي المكي المدني الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو) اى هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه وسلم موصوف بانه (الحق) اى الكامل في الحقيقة (١) ينسخ ولا ينسخ كائنا (من ربهم) اى المحسن اليهم بارساله اما احسانه الى أمته فواضح واما سائر الامم فبكونه هو الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة وأمته هى الشاهدة لهم جملة معترضة وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء والباقون بضمها (كفر عنهم سيئاتهم) اى ستر اعمالهم السيئة بالايمان وعملهم الصالح (وأصلح بالهم) اى حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) اى الامر العظيم الذي ذكرهنا من جزاء الطائفتين (بان) اى بسبب أن (الذين كفروا) اى ستروا مرائي عقولهم (اتبعوا) اى بغاية جهدهم ومعالجتهم (الباطل) من العمل الذي لا حقيقة له في الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوى فضلوا (وان الذين آمنوا) اى ولو كانوا في اقل درجات الايمان (اتبعوا) اى بغاية جهدهم (الحق) اى الذي له واقع يطابقه وذلك هو الحكمة وهو العلم بموافقة العمل وهو معرفة العلوم على ما هو عليه (من ربهم) اى الذي أحسن اليهم بايجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا (كذلك) اى مثل هذا الضرب العظيم الشأن (يضرب الله) اى الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال (للناس) اى كل من فيه قوة الاضطراب والحركة (أمثالهم) اى أمثال أنفسهم أو امثال الفريقين المتقدمين أو امثال جميع الاشياء التي يحتاجون الى بيان أمثالها مبينا لها مثل هذا البيان ليأخذ كل أحد من ذلك جزاء حاله فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله تعالى عمله وفر سيئاته وأفسد باله ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كائنا من كان وهو غاية الحث على طلب العلم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها * ولما بين تعالى أن الذين كفروا أضل أعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو همج اعدامه خير من وجوده

آمنين في حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يفر حكم منه في المستقبل (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه تشبيههم

(١) قوله في الحقيقة كذا في النسخ بايدينا والصواب في الحقيقة اهـ مصحح

بب عنه قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) أيها المؤمنون في المحاربة وقوله تعالى (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والحكمة في اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من الاعضاء أن المؤمن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع الصائل لا ينبغي أولا أن يقصد مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرقى الى درجة الاهلاك فاخبر تعالى أنه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود دفعهم من وجه الارض فاذا ينبغي أن يكون قصدكم أولا الى قتلهم بخلاف دفع الصائل فالرقبة اظهر المقاتل وقطع الحلقوم والاوداج مستلزم للموت لكن في الحرب لا يتهيأ ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حز العنق وهو مستلزم الموت بخلاف سائر المواضع ولاسيما في الحرب وفي قوله تعالى لقيتم ما ينبئ عن مخالفتهم الصائل لان قوله تعالى لقيتم يدل على أن القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيكم ولذلك قال تعالى في غير هذا الموضع فاقتلوهم حيث ثقفتموهم (حتى اذا أثخنتموهم) اى اكثرتم فيهم القتل وهذه غاية الامر بضرب الرقاب لا لبيان غاية القتل (فشدوا) اى فامسكوا عن القتل وأسروهم (الوثاق) اى ما يوثق به الاسرى وقوله تعالى (فاما منا بعد) اى في جميع أزمان ما بعد الاسر (واما فداء) فيه وجهان أشهرهما أنهما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره لان المصدر متى سيق تفصيلا لعاقبة جملة وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير فاما أن تمنوا منا اى باطلاقهم من غير شئ واما أن تفدوا فداء اى تفادوهم بمال او أسرى مسلمين ومثل هذا قول القائل

لاجهدن فاما درء واقعة * تخشى واما بلوغ السؤل والامل

والثاني قاله أبو البقاء انهما مفعولان بهما العامل مقدر تقديره أولوهم منا واقبلوا منهم فداء قال أبو حيان وليس باعراب نحوي وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) اى أثقالها من السلاح وغيره بان يسلم الكافر أو يدخل في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف اى أهل الحرب وهو غاية للقتل والاسر والمعنى أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى تدخل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى عليه السلام وجاء في الحديث الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم * (تنبيه) * اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واليه ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وهو قول الاوزاعي وأصحاب الرأي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بغير عوض أو يفاديهم بالمال أو باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحق قال ابن عباس رضي الله عنهما لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى

[في هامش الصفحة: بالزرع من غنائم وقوتهم كأنه قيل انما قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار وقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) أي]

في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شئت حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه وسلم ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك قال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم وعن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف وقوله تعالى (ذلك) يجوز ان يكون خبر مبتدا مضمر اي الامر ذلك وان ينتصب باضمار افعلوا قال الرازي ويحتمل ان يقال ذلك واجب او مقدم كما يقول القائل ان فعلت فذاك اي فذاك مقصود ومطلوب قال المفسرون ومعناه ذلك الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله) اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال (لانتصر منهم) اي بنفسه من غير أحد انتصارا عظيما فيهلكهم بان لا يبقي منهم أحدا وكفاكم أمرهم بغير قتال (ولكن) أمركم بذلك (ليبلو) اي يختبر (بعضكم ببعض) اي يفعل في ذلك فعل المختبر ليرتب عليه الجزاء فيصير من قتل من المؤمنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار (فان قيل) فما فائدة الابتلاء مع حصول العلم عند المبتلي فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشياء فاي فائدة فيه (أجيب) بان هذا السؤال كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار محرقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسئل عما يفعل ونزل يوم أحد لما فشا في المسلمين القتل والجراحات (والذين قتلوا في سبيل الله) أي لاجل تسهيل طريق الملك الاعظم المتصف بجميع صفات الكمال (فلن يضل) اي لا يضيع ولا يبطل (أعمالهم) وقرأ ابو عمرو وحفص بضم القاف وكسر التاء مبنيا للمفعول على معنى انه أصاب القتل بعضهم كقوله تعالى قاتل معه ربيون والباقون بفتح القاف والتاء والف بينهما اي جاهدوا (سيهديهم) اي ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الدرجات بوعد لا خلف فيه (ويصلح بالهم) اي يرضي خصماءهم ويقبل اعمالهم (ويدخلهم الجنة) اي الكاملة في النعيم (عرفها) اي اعلمها وبينها (لهم) اي بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا يستدلون عليها عن مقاتل

من الذين مع محمد صلى الله عليه وسلم وهم الصحابة مغفرة وأجرا عظيما فان من هنا لبيان الجنس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس

ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما عرفها لهم طيبها مشتق من العرف وهو الريح الطيبة يقال طعام معرف أي مطيب (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بذلك (ان تنصروا الله) أي دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم (ينصركم) أي على عدوكم فانه الناصر لا غيره من عدد أو عدد (ويثبت أقدامكم) أي في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار * والمايز تعالى ما لاهل الايمان بين ما لاهل الكفران بقوله تعالى (والذين كفروا) وهو مبتدأ أي ستروا ما دل عليه العقل وقادت اليه الفطرة الاولى وخبره تعسوا يدل عليه قوله تعالى (فتعسا لهم) أي هلاكا لهم وخيبة من الله تعالى وقال ابن عباس أي بعدا لهم وقيل التعس الجر على الوجه والنكس الجر على الرأس وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف على تعسوا أي ابطلها وان كانت ظاهرة الاتقان لاجل تضييع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى (ذلك) يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار بعده أو خبر مبتدا مضمر أي الامر ذلك (بأنهم) أي بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) أي الملك الاعظم الذي لا نعمة الا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم والذي أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذي لا بقاء بدونه فلما كرهوا الروح الاعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسببا بيانا للمعنى اضلال أعمالهم (فأحبط) أي أبطل ابطالا لا صلاح معه (أعمالهم) بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت وان كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذي لا أمر الا له ولا يقبل من العمل الا ما حده ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى (أفلم يسيروا في الارض) أي التي فيها آثار الوقائع (فينظروا كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (الذين من قبلهم دمر الله) أي أوقع الملك الاعظم الهلاك (عليهم) بما عم أهاليهم وأموالهم وكل من رضي أفعالهم أو مقالهم وعدل عن ان يقول ولهؤلاء الى قوله تعالى (وللكافرين) تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وهو العراقة في الكفر (أمثالها) أي أمثال عاقبة من قبلهم (ذلك) أي الامر العظيم وهو نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله) أي بسبب ان الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال (مولى) أي ولي وناصر (الذين آمنوا) فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له قال القشيري ويصح ان يقال أرجى آية في القرآن هذه الآية لان الله تعالى لم يقل انه هادي العباد وأصحاب الاوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالايمان (وأن الكافرين) أي العريقين في هذا الوصف (لا مولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك * ثم ذكر سبحانه وتعالى مآل الفريقين بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له جميع الصفات (يدخل الذين آمنوا) أي أوقعوا التصديق (وعملوا) تصديقا لما ادعوا أنهم أوقعوه (الصالحات) أي الطاعات (جنات) أي بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها (تجري من تحتها) أي من تحت قصورها (الانهار) فهي دائمة النمو والبهجة والنضارة والثمرة (والذين كفروا يتمتعون) أي في الدنيا بالملاذ كما تتمتع الانعام ناسين ما أمر الله تعالى به معرضين عن كتابه (ويأكلون) على سبيل الاستمرار (كما تأكل

الانعام

من الاوثان لا للتبعيض لان الصحابة كلهم موصوفون بالايمان والعمل الصالح

* (سورة الحجرات) *

الانعام) اى أكل التلذذ ومرح من اى موضع كان وكيف الاكل من غير تمييز الحرام من غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم لا يلتفتون الى الآخرة لان الله تعالى أعطاهم الدنيا ووسع عليهم فيها وفرغهم لها حتى شغلتهم عنه هوانا بهم وبغضا لهم فيدخلهم نارا وقودها الناس والحجارة كما قال تعالى (والنار مثوى لهم) اى منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى أفلم يسيروا فى الأرض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبى صلى الله عليه وسلم مثلا تسلية له فقال تعالى (وكأين) اى وكم (من قرية) أريد أهلها اى كذبت رسولها (هى أشد قوة) وأكثر عددا (من قريتك) مكة اى أهلها وقوله تعالى (التى أخرجتك) روعى فيه لفظ قرية وقوله تعالى (أهلكناهم) اى بانواع العذاب روعى فيه معنى قرية الاولى (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسلهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب أرض الله الى الله وأحب بلاد الله الىّ ولو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فانزل الله تعالى هذه (أفمن كان) اى فى جميع أحواله (على بينة) اى حجة ظاهرة البيان فى أنها حق (من ربه) اى المربى والمدبر له المحسن اليه وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (كمن زين له) بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه (سوء عمله) فرآه حسنا وهم أبو جهل والكفار (واتبعوا أهواءهم) فى ذلك ولا شبهة لهم فى شئ من أعمالهم السيئة فضلا عن دليل

ولما تكرر ذكر الجنة فى هذه السورة بين صفتها بقوله تعالى (مثل) اى صفة (الجنة) اى البساتين العظيمة التى تستر داخلها من كثرة أشجارها (التى وعد المتقون) اى الذين حملتهم تقواهم على الوقوف عن فعل لم يدل عليه دليل على أن اسعدوا منك فانتفعوا باعمالتهم عليه من أمور الدين * (تنبيه) * اختلف فى اعراب هذه الآية على أوجه أحدها أن مثل مبتدأ وخبره مقدر وقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها أنهار مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والجملة بعدها أيضا مفسرة للمثل ثانيها أن مثل زائدة تقديره الجنة التى وعد المتقون (فيها أنهار) ونظير زيادة مثل هنا زيادة اسم فى قول القائل * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ثالثها ان مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله تعالى كمن هو خالد فى النار فقدره ابن عطية أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فقدر حرف الانكار ومضافا ليصح وقدره الزمخشرى أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد والجملة من قوله تعالى فيها أنهار حال من الجنة اى مستقرة فيها أنهار (من ماء) ولما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم مع اتحاد الارض ببساطها وشدة اتصالها الدلالة على أن الفاعل ذلك قادر مختار وقد يكون آسنا اى متغيرا عن الماء الذى يشرب بريح منتنة من أصل خلقته أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه قال تعالى (غير آسن) اى ثابت له فى وقت ما شئ من الطعم أو اللون أو الريح بوجه من الوجوه وان طالت اقامته وان أضيف اليه غيره فانه لا يقبل التغير بوجه بخلاف ماء الدنيا فيتغير لعارض وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمدها وهما لغتان (وأنهار من لبن) ولما كان التغير غير محمود قال تعالى (لم يتغير طعمه) اى بنفسه عن أصل خلقته وان أقام مدى الدهر بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع وهذا يفهم أنهم لو أرادوا

(قوله يا أيها الذين آمنوا) ذكر فى السورة خمس مرات والمخاطبون فيها المؤمنون والمخاطب به أمر أو نهى وذكر فيها يا أيها الناس

تغييره اشهوة اشتهوها لتغيره وانه مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان في الدنيا متنوعا (وأنهار من خمر) ولما كان الخمر يكره طعمها وانما يشربها شاربوها الاثرها وانه متى تغير طعمها زال اسمها عرف ان كل ما في خمر الجنة في غاية الحسن غير متغير الطعم فقال تعالى (لذة) اي لذيذة (للشاربين) في طيب الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب (وأنهار من عسل) ولما كان عسل الدنيا لا يوجد الا مخلوطا بالخروج من بطون النحل بالشمع وغيره من القذى قال تعالى (مصفى) اي موصاف صفاه ما اجتهد في تصفيته من ذلك وهذا الوصف ثابت له دائما الا انه كالذي له في وقت ما *(تنبيه)* قال أبو حيان في حكمة ترتيب هذه الانهار انه بدأ بالماء الذي لا تستغني عنه المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري مجرى المطعومات في كثير من أوقات العرب ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والمطعم تشوقت النفس الى ما تلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المطعوم والمشروب اهـ (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين (أجاب) الرازي بان اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فقال لذة للشاربين باسرهم ولان الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال لذة اي لا يكون في خمر الآخرة كراهة الطعم وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد لكن قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعما واحدا وكذلك اللبن فلم يكن للتصريح بالتعميم حاجة *(فائدة)* روي عن كعب الاحبار أنه قال نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان وجيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر ان كعب الاحبار سئل هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا فقال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله تعالى ان الله عز وجل يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريه ان الله يامرك أن تجري فيجري ما كتب الله تعالى له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل غر حميدا وعن كعب أيضا أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وعنه أيضا أنه قال النيل في الآخرة يكون عسلا أغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل ودجلة في الآخرة لبنا أغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل والفرات خمرا أغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وجيحان ماء أغزر ما يكون من الانهار التي سمى الله عز وجل وأصل هذا كله ما في الصحيح في وصف الجنة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة ولما كانت الثمار ألذ ما يستطاب بعد منافع الشراب قال تعالى (ولهم فيها) وقوله تعالى (من كل الثمرات) فيه وجهان أحدهما ان هذا الجار صفة لمقدر ذلك المقدر مبتدأ وخبره الجار قبله وهو لهم وفيها متعلق بما تعلق به والتقدير ولهم فيها زوجان من كل الثمرات كانه انتزعه من قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان وقدره بعضهم صنف والاول كما قال ابن عادل أليق ثانيهما أن من مزيدة في المبتدا (ومغفرة من

مرة والمخاطبون فيها هم المؤمنون والكافرين كان المخاطب به وهو قوله انا خلقناكم من ذكر وأنثى بعدها افتناسب فيها

ربهم) فهو راض عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد فى الدنيا فانه قد يكون
مع احسانه اليهم ساخطا عليهم وقوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) خبر مبتدأ مقدر اى أمن
هو فى هذا النعيم كمن هو مقيم اقامة لا انقطاع معها فى النار التى لا ينطفئ لهيبها ولا ينفك
أسيرها و وحد لان الخلود يعم من فيها على حد سواء (وسقوا) اى عوض ما ذكر من شراب
أهل الجنة (ماء حميما) هو فى غاية الحرارة (فقطع امعاءهم) اى مصارينهم فخرجت من
أدبارهم وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان (ومنهم من يستمع اليك) اى فى
خطب الجمعة وهم المنافقون والضمير فى قوله تعالى ومنهم يحتمل أن يعود الى الناس كما قال
تعالى فى سورة البقرة ومن الناس من يقول آمنا بالله بعد ذكر الكفار و يحتمل أن يعود الى
أهل مكة لان ذكرهم سبق فى قوله تعالى هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك و يحتمل أن
يرجع الى معنى قوله تعالى هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما اى ومن الخالدين فى النار قوم
يستمعون اليك (حتى اذا) اى واستمر جهلهم لانفسهم فى الاصغاء حتى اذا (خرجوا) اى
المستمعون والسامعون (من عندك قالوا) اى الفريقان تعاميا واستهزاء (للذين أوتوا العلم)
بسبب تهيئة الله تعالى لهم من صفاء الافهام بتجردهم عن النفوس والحظوظ وانقيادهم
لما تدعو اليه الفطرة الاولى منهم ابن مسعود وابن عباس (ماذا قال) اى النبى صلى الله عليه
وسلم (آنفا) اى قبيل افتراقنا وخروجنا عنه روى مقاتل أن النبى صلى الله عليه وسلم كان
يخطب و يعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال
محمد آنفا اى الساعة اى لا نرجع اليه وقرأ البزى بقصر الهمزة بخلاف عنه والباقون
بالمد وهما لغتان بمعنى واحد وهما اسما فاعل كحاذر وحذر (أولئك) اى البعداء من كل
خير (الذين طبع الله) اى الملك الاعظم (على قلوبهم) اى بالكفر فلم يفهموا فهم انتفاع لان
مثل هذا الجحود لا يكون الا بذلك (واتبعوا) اى بغاية جهدهم (أهواءهم) اى فى الكفر
والنفاق فلذلك هم يتهاونون باعظم الكلام و يقبلون على جمع الحطام فهم أهل النار المشار
اليهم قبل آية مثل الجنة بانهم زين لهم سوء عملهم ثم ذكر تعالى اضداد هؤلاء بقوله سبحانه
(والذين اهتدوا) اى اجتهدوا باستماعهم منك فى الايمان والتسليم والاذعان بانواع
المجاهدات وهم المؤمنون (زادهم) اى الله الذى طبع على قلوب الكفرة (هدى) بان شرح
صدورهم ونورها بانوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة (وآتاهم تقواهم) اى ألهمهم
ما يتقون به النار قال ابن برجان التقوى عمل الايمان كما أن اعمال الجوارح عمل الاسلام
(فهل) اى ما (ينظرون) اى ينتظرون وجودها اشارة الى شدة قربها (الا الساعة) وقوله تعالى
(أن تأتيهم) اى الكافرين بدل اشتمال من الساعة اى ليس الامر الا أن تأتيهم (بغتة) اى فجاة
من غير شعور بها ولا استعداد لها وقوله تعالى (فقد جاء اشراطها) جمع شرط بسكون الراء
وفتحها قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت اشراط أوله تبدو

والاشراط العلامات ومنه اشراط الساعة وأشرط الرجل نفسه اى ألزمها أمورا قال
أوس

(قوله لا تقدموا) من قدم بمعنى تقدم لان المراد به نهيهم عن ان يتقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل ذكر الناس

فاشرطيه انفسه وهو يقسم * فانى باسباب له ربو كلا

والشرط القطع أيضا مصدر شرط الجلد يشرطه شرطا قال السهيلي عن ابن سعد عن أنس قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام بعثت والساعة كهاتين وعن أنس قال لاحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة أن يرفع العلم و يكثر الجهل و يكثر الزنا و يشرب الخمر وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وعن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم اذ جاءه أعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة فقيل كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة ومن اشراطها انشقاق القمر المؤذن باية الشمس في طلوعها من مغربها او غير ذلك وما بعد مقدمات الشيء الاحضوره (فأنى) اى فكيف وأين (لهم) اى التذكر والاتعاظ والتوبة (اذا جاءتهم ذكراهم) اى الساعة لا تنفعهم نظيره قوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ولما علم بذلك أن الذكرى غير نافعة اذا انقضت هذه الدار في جملة العمل أو جاءت الاشراط المحققة الكاشفة لها سبب عنه أمر أعظم الخلق تكوينا ليكون لغيره تكليفا فقال (فاعلم أنه) اى الشأن العظيم (لا اله) اى لا معبود بحق (الا الله) اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقال الحسن بن الفضل فازدد علما الى علمك وقال أبو العالية وابن عيينة معناه اذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الى الله (واستغفر لذنبك) اى لاجله أمر بذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقيل معنى قوله لذنبك اى لذنب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) الذين ليسوا من أهل بيتك وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحسنات تنادون ذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وقيل هو كل مقام عال ارتفع منه الى أعلى منه وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) فيها كرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم (والله) المحيط بجميع صفات الكمال (يعلم متقلبكم) اى تصرفكم لاشغالكم بالنهار ومكانه وزمانه (ومثواكم) اى مأواكم الى مضاجعكم بالليل اى هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم وقيل يعلم متقلبكم في أعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يخشى ويتقى وأن يستغفر و يسترحم وعن سفيان ابن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الاية (ويقول الذين آمنوا) طلبا للجهاد (لولا) اى هلا ولا التفات الى قول بعضهم ان لا زائدة والاصل لو (نزلت سورة) أى سورة كانت

لا عن ان يقدموا غيرهم
(قوله ولا تجهروا له بالقول)
فائدة ذكره بعد قوله
لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي النهي عن الجهر في

تسربتعليمها وتعبدكم بتلاوتها وتعمل بما فيها (فاذا أنزلت سورة) اى قطعة من القرآن
تكامل نزولها كلها تدريجا أو جملة وزادت على مطلوبهم فى الحسن بانها (محكمة) اى
مبينة لا يلتبس شئ منها بنوع اجمال ولا بنسخ لكونه جامعة للمحاسن فى كل زمان ومكان
وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين (وذكر
فيها القتال) اى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) اى شك وهم المنافقون (ينظرون
اليك) شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا منهم عن لقاء العدو (نظر المغشى)
والاصل نظرا مثل نظر المغشى (عليه من الموت) الذى هو نهاية الغشى فهو لا يطرف بعينه
بل شاخص لا يطرف كراهية القتال من الجبن والخوف والمعنى أن المؤمن كان ينتظر
نزول الاحكام والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت
بشئ من العبادة خوفا من أن لا يؤهل لها وأما المنافق فاذا أنزلت السورة أو الآية وفيها
تكليف شق عليه ذلك فحصل التباين بين الفريقين فى العلم والعمل وقوله تعالى (فأولى
لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم
المكروه وقوله تعالى (طاعة وقول معروف) مستأنف اى طاعة ومعروف خير لهم وأمثل
أى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا لكان أمثل وأحسن وساغ الابتداء بالنكرة لانها وصفت
بدليل قوله تعالى وقول معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخلصة وقول معروف
خير وقيل يقول المنافقون قبل نزول السورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية اى أمرنا
طاعة أو منا طاعة وقول معروف حسن وقيل متصل بما قبله واللام فى قوله تعالى لهم بمعنى
الباء أى فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة أولى بهم وهذا قول ابن عباس
فى رواية عطاء ثم سبب عنهما قوله تعالى مسندا الى الامر ما هو لاهله تأكيد المضمون
الكلام (فاذا عزم الامر) اى فاذا أمر بالقتال الذى ذكر فى أول السورة وغيره من الاوامر
أمرا مجزوما به مقروحا عليه (فلو صدقوا الله) اى الملك الاعظم فى قولهم الذى قالوه فى طلب
التنزيل (لكان) اى صدقهم له (خيرا لهم) اى من تعللهم وجملة لو جواب اذا نحو اذا جاءنى
طعام فلو جئتنى لاطعمتك وقيل محذوف تقديره فاصدق كذا قدره أبو البقاء وعزم الامر
على سبيل المجاز كقوله ٭ قد جدت الحرب بكم فجدوا ٭ أو يكون على حذف مضاف أى
عزم أهل الامر وقوله تعالى (فهل عسيتم) فيه التفات عن الغيبة الى الخطاب لكم (ان توليتم)
اى أعرضتم عن الايمان والجهاد (أن تفسدوا) اى توقعوا الافساد العظيم الذى يستمر تجدده
(فى الارض) بالمعصية والبغى وسفك الدماء الذى يسخط الله تعالى ويغضبه أشد غضب على
فاعله وتكونوا فى غاية الجراءة عليه وترجعوا الى الفرقة بعدما جمعكم الله بالاسلام وقرأ نافع
بكسر السين والباقون بفتحها (وتقطعوا) اى تقطيعا كثيرا (أرحامكم) اى تعودوا الى أمر
الجاهلية فى الاغارة من بعض على بعض وغير ذلك قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا
عن كتاب الله تعالى ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو
من الولاية قال الفراء يقول فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الارض بالظلم

مخاطبته وان لم يتضمن
رفع أصواتهم على صوته
وقيل المراد به النهى عن
مخاطبته صلى الله عليه
وسلم باسمه (قوله ان تحبط

نزلت فى بنى أميـة و بنى هاشم (أولئك) اى المفسدون (الذين لعنهم الله) اى طردهم أشد الطرد المالك الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى (فأصمهم) اى عن الانتفاع بما سمعوه (وأعمى أبصارهم) اى عن الانتفاع بما يبصرون فليس سماعهم سماع ادراك ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا سماع ولا ابصار (أفلا يتدبرون) بقلوب منفتحة منشرحة ليهتدوا الى كل خير (القرآن) اى يجهدوا أنفسهم فى أن يتفكروا فى الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين الحق والباطل حتى لا يجسروا على المعاصى (فان قيل) قال تعالى فاصمهم وأعمى أبصارهم فكيف يمكنهم التدبر فى القرآن وهو كقول القائل للاعمى أبصر وللاصم اسمع (أجيب) بثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من بعض الاول تكليف ما لا يطاق جائز والله تعالى أمر من علم منه أنه لا يؤمن بأن يؤمن فلذلك جاز أن يصمهم و يعميهم ويذمهم على ترك التدبر الثانى أن قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد منه الناس الثالث أن يقال ان هذه الآية وردت محققة لمعنى الآية المتقدمة كأنه تعالى قال أولئك الذين لعنهم الله اى أبعدهم عنه أو عن الصدق أو الخير أو غير ذلك من الامور الحسنة فاصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام وأعماهم لا يبصرون طريقة الاسلام فاذاهم بين أمرين اما لا يتدبرون القرآن فيبعدون عنه لان الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق والقرآن منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف واما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه فى قلوبهم لكونها مقفلة تقديره أفلا يتدبرون القرآن لكونهم ملعونين مبعدين (أم) اى بل (على قلوب) اى من قلوب القائلين لذلك (أقفالها) فلا تعى شيأ ولا تفهم أمرا ولا تزداد الا غباوة وعنادا لانها لا تقدر على التدبر قال القشيرى فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مغلقا فكما لا يدخل فيه شئ لا يخرج ما فيه فلا كفرهم يخرج ولا الايمان الذى يدعون اليه يدخل اه (فان قيل) ما الفائدة فى تنكير القلوب (أجاب) الزمخشرى بقوله يحتمل وجهين أحدهما أن يكون للتنبيه على كونه موصوفا لان النكرة بالوصف أولى من المعرفة كأنه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة الثانى أن تكون للتبعيض كأنه قال أم على بعض القلوب لان النكرة لا تعم تقول جاءنى رجال فيفهم البعض وجاءنى الرجال فيفهم الكل والتنكير فى القلوب للتنبيه على الانكار الذى فى القلوب وذلك لان القلب اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف قلبا فلا يكون قلبا يعرف كما يقال للانسان المؤذى هذا ليس بانسان فكذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر واذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة بان يقال على قلوبهم أقفالها وهى لعدم عود فائدة اليهم كأنها ليست لهم (فان قيل) قد قال تعالى ختم الله على قلوبهم وقال تعالى فويل للقاسية قلوبهم (أجيب) بان الاقفال أبلغ من الختم فترك الاضافة لعدم انتفاعهم رأسا (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى أقفالها بالاضافة ولم يقل أقفال كما قال قلوب (أجيب) بان الاقفال كأنها ليست الا لها ولم يضف القلوب اليهم لعدم نفعها اياهم وأضاف الاقفال اليها لكونها مناسبة لها أو يقال

اعمالكم) اى مخافة حبوطها (ان قلت) كيف قال ذلك مع ان الاعمال انما تحبط بالكفر ورفع الصوت على صوت النبى

أراد به اقفالا مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد * ولما أخبر تعالى باقفال قلوبهم بين منشأ ذلك فقال تعالى (ان الذين ارتدوا) اى من أهل الكتاب وغيرهم (على أدبارهم) اى رجعوا كفارا (من بعد ما تبين) اى غاية البيان (لهم الهدى) اى بالدلائل التى هى من شدة ظهورها غنية عن بيان مبين (الشيطان سوّل لهم) اى زين وسهل لهم اقتراف الكبائر (وأملى) اى ومد الشيطان (لهم) فى الآمال والامانى بارادته تعالى فهو المضل لهم وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء والباقون بفتح الهمزة واللام وسكون الالف المنقلبة وأمالها حمزة والكسائى محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح قال فى الكشاف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته فى التوراة وقيل هم المنافقون (ذلك) اى اضلالهم (بانهم) اى بسبب انهم (قالوا) اى المنافقون (للذين كرهوا) اى وهم المشركون (ما) اى جميع ما (نزل الله) اى الملك الاعظم على التدريج بحسب الوقائع تنزيلا فى اعجاز الخلق فى بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات وجزالة المعانى السهولة فى النطق والعذوبة فى السمع والملاءمة للطبع (سنطيعكم فى بعض الامر) اى أمر المعاونة على عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فاظهره الله تعالى (والله) اى قالوا ذلك والحال ان الملك الاعظم المحيط بكل شئ علما وقدرة (يعلم) اى على ممر الاوقات (اسرارهم) اى كلها هذا الذى أفشاه عليهم وغيره مما فى ضمائرهم مما لم يبرز على ألسنتهم ولعلهم لم يعلموه فضلا عن أقوالهم التى تحدثت بها أنفسهم فبان بذلك انه لا أديان لهم ولا عقول ولا مروآت وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر (فكيف) أى حالهم (اذا توفتهم الملائكة) أى قبضت رسلنا وهم ملك الموت وأعوانه أرواحهم كاملة وقوله تعالى (يضربون وجوههم وأدبارهم) تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له وعن ابن عباس لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بانهم) اى بسبب انهم (اتبعوا) اى عالجوا فطرتهم الاولى فى ان اتبعوا (ما أسخط الله) اى الملك الاعظم وهو الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان الامر (وكرهوا) بالاشراك (رضوانه) بكراهتهم أعظم أسباب رضاه وهو الايمان فهم لما دونه بالقعود عن الطاعات أكره لان ذلك ظاهر غاية الظهور فى أن فاعله غير معذور فى ترك النظر فيه (فاحبط) اى فلذلك تسبب عنه انه أفسد (أعمالهم) اى الصالحة فاسقطها بحيث لم يبق لها وزن أصلا لتضييع الاساس من مكارم الاخلاق من القرى والاخذ بيد الضعيف والتصدق والاعتاق وغير ذلك من وجوه الارفاق (أم حسب الذين) وكان الاصل أم حسبوا الضعف عقولهم كما أفهمه التعبير بالحسبان ولكنه عبر تعالى بما دل على الآفة التى أدتهم الى ذلك بقوله تعالى (فى قلوبهم) اى التى اذا فسدت فسد جميع أجسادهم (مرض) اى آفة لا طب لها حسبانا هو فى غاية الثبات كما دل عليه التأكيد فى قوله تعالى

صلى الله عليه وسلم ليس
(قلت) المراد به
بكفر
الاستخفاف بالنبى صلى
الله عليه وسلم لانه ربما
يؤدى الى الكفر وقيل

(أن لن يخرج الله) اى يعلم من هو محيط بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التجديد والاستمرار وقوله تعالى (أضغانهم) جمع ضغن وهى الاحقاد اى احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى تعرفوا نفاقهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (ولو نشاء لاريناكهم) من رؤية البصر وجاء على الافصح من اتصال الضميرين ولو جاء على ارينالك اياهم جاز وقال الرازى الاراءة هنا بمعنى التعريف وقوله تعالى (فلعرفتهم) عطف على جواب لو (بسيماهم) اى بسبب علاماتهم التى نجعلها غالبة عليهم عالية لهم فى اظهار ضمائرهم غلبة لا يقدرون على مدافعتها بوجه ولم يذكرهم سبحانه باسمائهم ابقاء على قراباتهم المخلصين من الذين وقوله تعالى (ولتعرفنهم) جواب قسم محذوف (فى لحن القول) اى الصادر منهم ولحنه فحواه اى معناه وما يدل عليه ويلوح عليه من ميله عن حقائقه الى عواقبه وما يؤول اليه أمره مما يخفى على غيرك قال أنس ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس لحن القول هو قولهم مالنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال أبو حيان كانوا اصطلحوا على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح (والله) اى بماله من الكمال (يعلم أعمالكم) كلها الفعلية والقولية جليها وخفيها علما ثابتا غيبيا وعلما راسخا شهوديا يتجدد بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك (ولنبلونكم) اى نعاملكم معاملة المبتلى بان نخالطكم بما لنا من العظمة بالاوامر الشديدة على النفوس والنواهى الكريهة اليها (حتى نعلم) اى بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج من سرائركم ما جبلناكم عليه مما لا يعلمه أحد منكم بل ولا تعلمونه حق علمه (المجاهدين منكم) فى القتال وفى سائر الاعمال والشدائد والاهوال امتثالا للامر بذلك (والصابرين) اى على شدائد الجهاد وغيره من الانكاد قال القشيرى فبالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال فيظهر المخلص ويفتضح المماذق وينكشف المنافق اه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ونبلو أخباركم) اى نخالطها بان نسلط عليها من يعرفها فيجعل حسنها قبيحا وقبيحها حسنا ليظهر للناس العامل لله والعامل للشيطان فان العامل لله اذا سمى قبيحه باسم الحسن علم ان ذلك احسان من الله تعالى اليه فيستحى منه ويرجع واذا سمى حسنه باسم القبيح وأشهر به علم ان ذلك لطف من الله تعالى به لكى لا يدركه العجب أو يهاجمه الرياء فيزيد فى احسانه والعامل للشيطان يزداد فى القبائح لان شهرته عند الناس محط نظره ويرجع عن الحسن لانه لم يوصله الى ما أراده به من ثناء الناس عليه بالخير (ان الذين كفروا) اى غطوا ما دلتهم عليه عقولهم من ظاهر آيات الله لا سيما بعد ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم المؤيد بواضح المعجزات

حبوط العمل هنا مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط الرتبة (قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) * ان قات

(وصدوا)

(وصدوا) أي امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم (عن سبيل الله) أي الطريق الواضح الذي نهجه الملك الأعظم (وشاقوا الرسول) أي الكامل في الرسالة المعروف غاية المعرفة (من بعد ما تبين) أي غاية البيان بالمعجز (لهم الهدى) بحيث صار ظاهراً بنفسه غير محتاج ما أظهره الرسول من الآيات الظاهرة وهم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) أي ملك الملوك (شيئاً) بما هم عليه من الكفر والصد وإن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط) أي يفسد فيبطل بوعد لا خلف فيه (أعمالهم) من المحاسن لبنائها على غير أساس (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بالسنتهم (أطيعوا الله) أي الملك الأعظم تصديقاً لدعواكم طاعة اشتدة الاجتهاد فيها أنها خالصة وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بإفراده فقال تعالى (وأطيعوا الرسول) لأن طاعته من طاعة الذي أرسله فإذا فعلتم ذلك حصنتم أنفسكم وأعمالكم فتكون صحيحة بينا ثم على الطاعة بتصحيح النيات وتصفيتها مع الإحسان للصورة في الظاهر لتستكمل العمل صورة وروحاً (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبي بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر أن تحبط الأعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم نزلت في بني أسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شيء من حسناتنا إلا مقبولاً حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبداً لم يحبط عمله الصالح بعمله السيء وعن ابن عباس لا تبطلوها بالرياء والسمعة أعمالكم وعنه أيضاً بالشك والنفاق وقيل بالعجب فإن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (إن الذين كفروا) أي أوقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر لما دل عليه العقل من آيات الله المرئية والمسموعة (وصدوا عن سبيل الله) أي الملك الأعلى عن الواضح المستقيم الموصل إلى كل ما ينبغي أن يقصد كل من أراده بتماديهم على باطلهم وأذاهم لمن خالفهم (ثم ماتوا) بعد إمدادهم في مضمارهم بالتطويل في أعمارهم (وهم) أي والحال أنهم (كفار فلن يغفر الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال الذي يمنع من تسوية المسيء بالمحسن (لهم) فلا يمحو ذنوبهم ولا يسترعيوبهم بل يفضح سرائرهم ويردهم على أعقابهم في كل ما يتقلبون فيه لأنهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائرة الطاعة فلم يبق لهم ما يغفر لهم بسببه وقد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من أن إحباط العمل في المرتد مشروط بالموت على الكفر قيل نزلت في أصحاب القليب قال الزمخشري والظاهر العموم ثم رغب تعالى في لزوم الجهاد محذراً من تركه بقوله تعالى (فلا تهنوا) أي تضعفوا ضعفاً يؤدي بكم إلى الهوان والذل (وتدعوا) أعداءكم (إلى السلم) أي المسالمة وهي الصلح (وأنتم) أي والحال أنكم (الأعلون) أي الظاهرون الغالبون قال الكلبي آخر الأمر لكم

ما فائدة الجمع بين الفسوق والعصيان (قلت) الفسوق الكذب كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والعصيان بقية المعاصي

وان غلبوكم فى بعض الاوقات وأصل الاعلون الاعليون فاعل وقرأ حمزة وشعبة بكسر السين والباقون بفتحها ثم عطف على الحال قوله تعالى (والله) اى الملك الاعظم الذى لا يعجزه شئ ولا كفء له (معكم) اى بنصره ومعونته وجميع ما يفعله الكريم اذا كان مع عبده ومن علم انه سيده وعلم انه قادر على ما يريد لم يبال بشئ اصلا (ولن يتركم) اى ينقصكم (أعمالكم) اى ثوابها كما يفعل مع أعدائكم فى احباط أعمالهم لانكم لم تبطلوا أعمالكم بجعل الدنيا محط أمركم (انما الحيوة) وأشار الى دناءتها تنفيرا عنها بقوله (الدنيا) اى الاشتغال بها (لعب) اى أعمال ضائعة زائلة تزيد فى السرور وما يسرع اضمحلاله فيبطل من غير ثمرة (ولهو) اى مشغلة يطلب بها اثارة اللذة كالغناء (وان تؤمنوا وتتقوا) اى تخافوا فتجعلوا بينكم وبين غضبه سبحانه وتعالى وقاية من جهاد أعدائه وذلك من أعمال الآخرة (يؤتكم) اى الله سبحانه الذى تعملون ذلك من أجله فى الدار الآخرة (أجوركم) اى ثواب كل أعمالكم بينا ثمها على الاساس ولانه غنى لا ينقصه الاعطاء (ولا يسئلكم) اى الله فى الدنيا (أموالكم) اى لنفسه ولا كلها لغيره بل يقتصر على جزء يسير مما تفضل به عليكم كربع العشر وعشره (ان يسئلكموها) اى كلها (فيحفكم) اى يبالغ فى سؤالكم ويبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك فالاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح واحفى شاربه استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا شيأ (ويخرج اضغانكم) اى تضغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله تعالى أو الرسول أو السؤال أو البخل واقتصر عليه الجلال المحلى قال قتادة علم الله تعالى ان فى مسئلة الاموال خروج الاضغان يعنى ما طلبها ولو طلبها وألح عليكم فى الطلب لبخلتم كيف وأنتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير (ها أنتم) وحقر أمرهم بقوله تعالى (هؤلاء) اى أنتم يا مخاطبون بهؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) اى الملك الاعظم الذى يرجى خيره ولا يخشى غيره استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) اى ناس يبخلون وحذف القسم الآخر وهو ومنكم من يجود لان المراد الاستدلال على ما قبله من البخل ولما كان بخله عن اعطاء المال بجزء يسير منه انما طلبه لينفع المطلوب منه فقط زاد العجب بقوله تعالى (ومن) اى والحال انه من (يبخل) بذلك (فانما يبخل) بماله بخلا صادرا (عن نفسه) فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق (والله) اى الملك الاعظم الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (الغنى) وحده عن نفقتكم (وأنتم) أيها المكلفون خاصة (الفقراء) لاحتياجكم فى جميع أحوالكم اليه (وان تتولوا) عطف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) اى يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين فى الايمان والتقوى (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى التولى عنه والزهد فى الايمان كقوله تعالى ويأت بخلق جديد قيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا

وانما افرد الكذب بالذكر لانه سبب نزول الآية وقيل الفسوق الكبيرة والعصيان الصغيرة (قوله قل لم تؤمنوا ولكن

بأنه يتناوله رجال من فارس رواه الترمذي والحاكم وصححاه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى ان يسقيه من أنهار الجنة حديث موضوع

سورة الفتح مكية

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفا

(بسم الله) اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (الرحمن) الذى عم خلقه بنعمه (الرحيم) لذى خص أهل وداده بمزيد فضله روى زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت امام الناس وخشيت أن يكون نزل فى قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا يصرخ بى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ (انا فتحنا لك) أى بما لنا من العظمة التى لا تثبت لها الجبال (فتحا مبينا) اى لا لبس فيه على أحد واختلفوا فى هذا الفتح فروى عن أنس انه فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على أنه صلح الحديبية قال أنس نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الى آخر الآية مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطوا الحزن والكآبة فقال نزلت على آية هى أحب الى من الدنيا جميعها فلما تلاها نبى الله صلى الله عليه وسلم قال رجل من القوم هنيأ مريأ قد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار حتى ختم الآية وقيل فتح الروم وقيل فتح الاسلام بالحجة والبرهان والسيف والسنان وقيل الفتح الحكم لقوله تعالى افتح بيننا و بين قومنا بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق فمن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لآخر السورة التى قبلها من وجوه أحدها انه تعالى لما قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله الى أن قال ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل لهم اضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على أنفسهم ثانيها لما قال تعالى والله معكم وقال تعالى وأنتم الاعلون بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون ثالثها لما قال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا الصلح بل اصبروا فانكم تسئلوا الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث أتى صناديد قريش مستأمنين ومؤمنين ومسلمين ومستسلمين (فان قيل) ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال تعالى فتحنا بلفظ الماضى (أجيب) من وجهين أحدهما فتحنا فى حكمنا وتقديرنا ثانيهما ما قدره الله تعالى فهو كائن فاخبر بصيغة الماضى اشارة الى أنه أمر واقع لا دافع له وأما حجة قول الاكثرين على انه صلح الحديبية فلما روى البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها فدعا باناء فتوضأ ثم تمضمض ودعا وصبه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع

قوله (أسلمنا) المنفى هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهرا فهما فى اللغة متغايران لهذا الاعتبار كما انهما فى الشرع مختلفان

من كان معه وقيل جاش حتى امتلأت ولم يتقدم ماؤها بعد وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس قال الزهري ولم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام وقال البغوي انا فتحنا لك فتحا مبينا أي قضينا لك قضاء مبينا وقال الضحاك اى بغير قتال وكان الصلح من الفتح واختلف قول المفسرين في معنى اللام في قوله تعالى (ليغفر لك الله) اى الملك الاعظم فقال البيضاوي علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي قيل اللام لام كي معناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الجلال المحلي اللام للعلة الغائية فدخولها مسبب لا سبب وقال بعضهم انها لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيها بلام كي وحذفت النون ورد هذا بان اللام لا تكسر وبانها لا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقي ليدل عليها ولكنه قول مردود وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض الآجل والعاجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للمغفرة والثواب اه قال ابن عادل وهذا الذي قاله مخالف لظاهر الآية فان اللام داخلة على المغفرة فتكون المغفرة علة للفتح والفتح معلل بها فكان ينبغي أن يقول كيف جعل فتح مكة معللا بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللا اه وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلي * واختلف أيضا في الذنب في قوله تعالى (ما تقدم من ذنبك) فقال البقاعي اى الذي تقدم في القتال أمرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الى مقام فوقه أكمل منه فتراه بالنسبة الى أكملية المقام الثاني ذنبا وكذا قوله تعالى (وما تأخر) وقال الرازي المغفرة المعتبرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات حسنات الابرار سيآت المقربين وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك وقال سفيان الثوري ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله قال البغوي ويذكر مثل ذلك على سبيل التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد وقيل المراد به ترك الافضل وقيل الصغائر على رأي من جوز الصغائر على الانبياء وقيل المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله تعالى وما تأخر قيل انه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بانه لا يذنب بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عنه وقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل غير ذلك والاولى في ذلك هو الاول * واختلف أيضا في النعمة في قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) فقال البقاعي بنقلك من عالم

قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله فهو ما تضمنه صدقا اذ الايمان هو التصديق بالقلب بشرط التلفظ بالشهادتين والاسلام بالعكس

الشهادة الى عالم الغيب ومن عالم الكون والفساد الى عالم الثبات والصلاح الذى هو أخص بحضرته وأولى برحمته واظهار أصحابك من بعدك على جميع أهل الملل وقال البيضاوى باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وقال الجلال المحلى بالفتح المذكور وقيل ان التكاليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكاليف والتكليف نعمة وقيل باجلاء الارض لك عن معانديك فان من يوم الفتح لم يبق للنبى صلى الله عليه وسلم عدو فان بعضهم قتل يوم بدر والباقون آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فباستجابة دعائك فى طلب الفتح وفى الآخرة بقبول شفاعتك وقيل غير ذلك والاول أولى واختلف أيضا فى معنى الهداية فى قوله تعالى (ويهديك صراطا) اى طريقا (مستقيما) أى واضحا جليا فقال البقاعى اى بهداية جميع قومك ولما كانت هدايتهم من هدايته أضافها سبحانه اليه اعلاما له أنها هداية تليق بجنابه الشريف سروراله وقال البيضاوى فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وقيل يهدى بك وقيل يديمك على الصراط المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية الى الصراط المستقيم لانه سهل على المؤمنين الجهاد لعلمهم بفوائده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف أى لتعرف أنك على صراط مستقيم (وينصرك الله) اى على ملوك الامم نصرا يليق اسناده الى اسمه المحيط بسائر العظم (نصرا عزيزا) اى يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شئ مع دوامه فلا ذل بعده لان الامة التى تتصف به لا يظهر عليها أحد والدين الذى قضاه لاجله لا ينسخه شئ (فان قيل) ان الله تعالى وصف النصر بكونه عزيزا والعزيز من له النصر (أجيب) من وجهين أحدهما قال الزمخشرى انه يحتمل وجوها ثلاثة الاول معناه نصرا اذا عزة كقولك فى عيشة راضية أى ذات رضا ثانيها وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق ثالثها المراد نصرا عزيزا صاحبه الوجه الثانى أن يقال انما يلزم ماذكره الزمخشرى اذا قلنا العزة فى الغلبة والعزيز الغالب وأما اذا قلنا العزيز هو النفيس القليل النظير أو المحتاج اليه القليل الوجود يقال عز الشئ فى سوق كذا اى قل وجوده مع انه محتاج اليه فالنصر كان محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو أخذ بيت الله تعالى من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد (هو) اى وحده (الذى أنزل) اى فى يوم الحديبية وغيره (السكينة) اى الثبات على الدين والطمأنينة (فى قلوب المؤمنين) اى الراسخين فى الايمان وهم أهل الحديبية بعد ان دهمهم فيها من شأنه ان يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع أحد منهم عن الايمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر مع انه فاروق ومع وصفه فى الكتب السالفة بانه قرن من حديد فما الظن بغيره وكان عند الصديق من القدم الثابت والاصل الراسخ ما علم به انه لم يسابق ثم ثبتهم الله تعالى أجمعين وقال الرازى السكينة الثقة بوعد الله والصبر على حكم الله وقيل السكينة ههنا معنى يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين وأثر هذه السكينة الوقار والخشوع وظهور الحزم فى الامور اه وقال أكثر المفسرين ان هذه السكينة غير السكينة المذكورة فى قوله تعالى يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم ويحتمل أن تكون هى

ورسوله) الآية (ان قلت) العمل ليس من الايمان فكيف ذكر انه منه فى هذه الآية (قلت) المراد منها الايمان الكامل أى انما

تلك لان المقصود منها على جميع الوجوه اليقين وثبات القلب (ليزدادوا) اى بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم انه لابد أن تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ايمانا) عند التصديق بالغيب (مع ايمانهم) الثابت من قبل هذه الواقعة أو بشرائع الدين مع ايمانهم بالله واليوم الآخر وقال القشيرى بطلوع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم بطلوع شمس حق اليقين على بدر عين اليقين وقال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكلما أمروا بشئ فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقيل ازدادوا ايمانا استدلاليا مع ايمانهم الفطرى (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى فى حق الكفار انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولم يقل مع كفرهم وقال فى حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (أجيب) بان كفر الكافر عنادى وليس فى الوجود كفر فطرى ولا فى الامكان كفر غير عنادى لينضم الى الكفر العنادى بل الكفر ليس الا عنادا وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لان من ضرورة الكفر بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة والانقياد ولهذا قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (ولله) اى الملك الاعظم الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين (جنود السموات والارض) فهو قادر على اهلاك عدوه بجنوده بل بصيحة ولم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعدائه بايديهم فيكون لهم الثواب وجنود السموات والارض الملائكة وقيل جنود السموات الملائكة وجنود الارض الجن والحيوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية (وكان الله) اى الملك الاعظم أزلا وأبدا (عليما) اى بالذوات والمعانى (حكيما) فى اتقان ما يصنع وقوله تعالى (ليدخل) متعلق بمحذوف اى أمر بالجهاد ليدخل (المؤمنين والمؤمنات) الذين جبلتهم جبلة خير بجهاد بعضهم ودخول بعضهم فى الدين بجهاد المجاهدين ولو سلط على الكفار جنوده من أول الامر فاهلكوهم أو دمر عليهم بغير واسطة لفات دخول أكثرهم الجنة وهم من آمن منهم بعد صلح الحديبية (جنات) اى بساتين لا يصل الى عقولكم من وصفها الا ما تعرفونه بعقولكم وان كان الامر أعظم من ذلك (تجرى من تحتها الانهار) فاى موضع أردت ان تجرى منه نهرا قدرت على ذلك لان الماء قريب من وجه الارض مع صلابتها وحسنها (خالدين فيها) اى لا الى آخر (فان قيل) ما الحكمة فى انه تعالى ذكر فى بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفى بعضها اكتفى بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى قد أفلح المؤمنون وقوله تعالى وبشر المؤمنين (أجيب) بانه فى المواضع التى فيها ما يوهم اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة المؤمنات لهم ذكرهن الله تعالى صريحا وفى المواضع التى فيها ما لا يوهم ذلك اكتفى بدخولهم فى المؤمنين كقوله تعالى وبشر المؤمنين ولما كان ههنا قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلقا بالامر بالقتال والمرأة لا تقاتل فلا تدخل الجنة الموعود بها فصرح الله تعالى بذكرهن (ويكفر) اى يستر سترا بليغا (عنهم سيئاتهم) فلا يظهرها (فان قيل) تكفير السيآت قبل الادخال فكيف ذكره بعده (أجيب) بان الواو لا تقتضى الترتيب وبان

المؤمنون ايمانا كاملا كما فى قوله انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم

تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال فى الذكر
بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك) اى الادخال والتكفير (عند الله) اى الملك الاعظم ذى
الجلال والاكرام (فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضر * (تنبيه) * عند
متعلق بمحذوف على أنه حال من فوزا * ولما كان من أعظم الفوز اقرار العين بالانتقام من
العدو وكان العدو المكاتم أشد من المجاهر المراغم قال تعالى (ويعذب المنافقين) المخفين
للكفر المظهرين للايمان اى فيزيل كل ما لهم من العذوبة (والمنافقات) لما غاظهم من
ازدياد الايمان (والمشركين والمشركات) اى المظهرين الكفر للمؤمنين وقدم المنافقين على
المشركين فى كثير من المواضع لانهم كانوا أشد على المؤمنين من الكفار المجاهرين لان المؤمن
كان يتوقى المشرك المجاهر ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشى أسراره والى هذا أشار
النبى صلى الله عليه وسلم بقوله أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ولهذا قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديـ * ـق فكان أخبر بالمضره

وقوله تعالى (الظانين بالله) اى المحيط بصفات الكمال صفة للفريقين وأما قوله تعالى (ظن
السوء) فقال أكثر المفسرين هو أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم
الى مكة ظافرين (عليهم دائرة السوء) اى دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم
ودائر عليهم لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين والباقون بالفتح وهما لغتان كالكره
والكره والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل
شئ وأما السوء فجار مجرى الشر الذى هو نقيض الخير (وغضب الله) اى الملك الاعظم بما له
من صفات الجلال والجمال فاستعلى غضبه (عليهم) وهو أنه تعالى يعاملهم معاملة الغضبان
بما لا طاقة لهم به (ولعنهم) اى طردهم طردا انزلوا به أسفل السافلين فبعدوا به عن كل خير (وأعد)
اى هيأ (لهم) الآن (جهنم) تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يتجهمون
عباد الله مع ما فيها من العذاب والحر والبرد والاحراق وغير ذلك من أنواع المشاق (وساءت)
اى جهنم (مصيرا) اى مرجعا وقوله تعالى (ولله) اى الملك الاعظم (جنود السموات والارض)
تقدم تفسيره وفائدة الاعادة التأكيد جنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم
من هو للعذاب وقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع
المؤمنين ملائكة الرحمة فتبشرهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى
جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شئ وأخر ذكر جنود السموات
والارض بعد ذكر تعذيب الكفار والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقونهم أبدا
كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم (فان قيل) قال الله تعالى
وكان الله عليما حكيما وقال هنا (وكان الله) اى الملك الذى لا أمر لاحد معه أزلا وأبدا
(عزيزا) اى يغلب ولا يغلب (حكيما) اى يضع الشئ فى أحكم مواضعه فلا يستطاع نقض
شئ مما ينسب اليه (أجيب) بانه لما كان فى جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو

المسلمون من لسانه ويده

* (سورة ق) *

(قوله ق) ان جعل اسما للسورة فهو خبر مبتدا محذوف

للعذاب وسلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وناسب ان تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما (انا) اى بما لنا من العزو الحكمة (أرسلناك) اى بما لنا من العظمة الى الخلق كافة (شاهدا) على أفعالهم من كفر وايمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فبنفسك ومن كان بعد موتك أو غائبا عنك فبكتابك مع ما أيدناك به من الحفظة من الملائكة الكرام (ومبشرا) اى لمن أطاع بأنواع البشائر (ونذيرا) اى مخوفا لمن خالفك وعصى أمرك بالنار ثم بين تعالى فائدة الارسال بقوله سبحانه (ليؤمنوا بالله) اى لا يسوغ لاحد من خلقه والكل خلقه التوجه الى غيره (ورسوله) اى الذى أرسله من له كل شئ ملكا وخلقا الى جميع خلقه (ويعزروه) اى يعينوه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) اى يعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذى هو التنزيه عن جميع النقائص أو من السبحة وهى الصلاة قال الزمخشرى والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكنايات فى قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله تعالى ويسبحوه (بكرة وأصيلا) اى غدوة وعشيا اى دائما وعن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر على أن الكناية فى ويسبحوه راجعة الى الله عز وجل وقال البقاعى الافعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى لان من سعى فى قمع الكفار فقد فعل فعل المعزر الموقر فيكون اما عائدا على المذكور واما أن يكون جعل الاسمين واحدا اشارة الى اتحاد المسميين فى الامر فلما اتحد أمرهما وحد الضمير اشارة الى ذلك اه فعنده أنه يصح رجوع الثلاثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فسر ويسبحوه بقوله ينزهوه عن كل وخيمة باخلاف الوعد بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء فى الاربعة على الغيبة رجوعا الى قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات والباقون بالتاء على الخطاب ولما بين تعالى أنه مرسل ذكر أن من بايع رسوله فقد بايعه فقال تعالى (ان الذين يبايعونك) يا أشرف الرسل بالحديبية على أن لا يفروا (انما يبايعون الله) أى الملك الاعظم لان عملك كله من قول أو فعل له تعالى وما ينطق عن الهوى وسميت مبايعة لانهم باعوا أنفسهم فيها من الله تعالى بالجنة قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة الآية وروى يزيد بن أبى عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اى شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت وعن معقل بن يسار قال لقد رأيتنى يوم الشجرة والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أى لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر وقوله تعالى (يد الله) اى المتردى بالكبرياء (فوق أيديهم) اى فى المبايعة يحتمل وجوها وذلك أن اليد فى الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان كانت بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما قال الكلبى نعمة الله عليهم فى الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كما قال الله تعالى بل الله يمن عليكم أن هداكم

أى هذه فى بالمعنى السابق فى ص وان جعل قسما فجوابه مع ما عطف عليه محذوف تقديره لتبعثن

للايمان ثانيهما قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والخير أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أى الغلبة والقوة وان كانت بمعنيين ففى حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفى حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبايعونه و يد الله تعالى فوق أيديهم فى المبايعة وذلك أن المتبايعين اذا مد احدهما يده الى الآخر فى البيع و بينهما ثالث يضع يده على أيديهما و يحفظ أيديهما الى أن يتم العقد ولا يترك أحدهما يترك يد الآخر لكى يلزم العقد ولا يتفاسخان فصار وضع اليد فوق الايدى سببا لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق أيديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدى المتبايعين قال البقاعى فلعنة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد ببدعة الاتحاد وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وسائر الائمة الاعلام ورضوا لانفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين اه وقدمر ان التأويل فى الآيات المتشابهات مذهب الخلف ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار الصفات على ماجاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل (فمن نكث) أى نقض البيعة فى وقت من الاوقات فجعلها كالكساء والحبل البالى الذى ينقض (فانما ينكث) أى يرجع وبال نقضه (على نفسه) أى فلا يضر الا هى (ومن أوفى) أى فعل الاتمام والاكثار والاطالة (بما عاهد) وقدم الظرف فى قوله (عليه الله) أى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما من هذه المبايعات وغيرها اهتماما به وقرأ حفص بضم الهاء قبل الاسم الجليل والباقون بكسر الهاء والترقيق (فسيؤتيه) بوعد مؤكد لاخلاف فيه (أجرا عظيما) لاتسعه عقولكم شرح وصفه قال ابن عادل والمراد به الجنة وقرأ أبو عمرو والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون ولما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم الى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الجناب وأبطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله تعالى (سيقول لك) أى بوعد لاخلاف فيه (لك) أى لانهم يعلمون شدة رحمتك ورفقك وشفقتك على عباد الله فهم يطمعون فى قبولك من فاسد عذرهم مالا يطمعون فيه من غيرك من خاص المؤمنين (المخلفون) أى الذين خلفهم الله تعالى عنك فلم يرضهم لصحبتك فى هذه العمرة فجعلهم كالشئ التافه الذى يخلفه الانسان لانه لافائدة فيه فلا يعبأ به وقال تعالى (من الاعراب) ليخرج من تخلف بالجسد من خاص الانصار وغيرهم ممن كان حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب قال ابن عباس ومجاهد يعنى بالاعراب اعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع واسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب والبوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون أى الذين خلفهم الله تعالى من الاعراب عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك وعاتبتهم على التخلف (شغلتنا) أى عن اجابتك فى هذه العمرة (أموالنا وأهلونا) أى النساء والذرارى

بدليل قوله ذلك رجع بعيدا ولقد أرسلنا محمدا بدليل قوله بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم اوهو قوله قد علمنا حذفت منه

فانا لو تركناهم اضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بهم وانت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط
فى العيال ثم سببوا عن هذا القول المراد به السوء قولهم (فاستغفر) أى اطلب المغفرة (لنا)
من الله تعالى ان كنا أخطأنا وقصرنا فكذبهم الله تعالى فى اعتذارهم بقوله سبحانه وتعالى
(يقولون بألسنتهم) أى فى الشغل والاستغفار وأكد ما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهرى
نفيا للكلام الحقيقى الذى هو النفسى بكل اعتبار بقوله تعالى (ماليس فى قلوبهم) لانهم لم يكن
لهم شغل ولا كانت لهم نية فى سؤال الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم الرسول أم لا (قل)
يا أشرف الرسل لهؤلاء الاغبياء واعظا لهم مسببا عن خداعهم لمن لا تخفى عليه خافية اشارة
الى أن العاقل يقبح عليه أن يقدم على ماهو بحيث تخشى عواقبه (فمن يملك لكم) أى أيها
المخادعون (من الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه لانه لا كفء له (شيأ) يمنعكم (ان أراد بكم
ضرا) أى نوعا من أنواع الضر عظيما أو حقيرا فأهلك الاموال والاهلين وأنتم محتاطون
فى حفظها فلم ينفعها حضوركم أو أهلككم أنتم وقرأ حمزة والكسائى بضم الضاد والباقون
بفتحها (أو أراد بكم نفعا) يحفظهما به فى غيبتكم فلا يضرهم بعدكم عنهم ويحفظكم فى انفسكم
(بل كان الله) أى المحيط ازلا وأبدا بكل شئ قدرة وعلما (بما تعملون) أى أيها الجهلة (خبيرا)
يعلم بواطن أموركم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها (بل ظننتم) أى فانتم واقفون مع الظنون
الظاهرة ليس لكم نفوذ الى البواطن وقرأ الكسائى بادغام اللام فى الظاء والباقون
بالاظهار وأشار الى تأكد ظنهم على زعمهم بقوله تعالى (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى
أهليهم أبدا) أى ظننتم أن العدو يستأصلهم ولا يرجعون لما فى قلوبكم من عظمة المشركين
وحقارة المؤمنين فحملكم ذلك على أن قلتم ماهم فى قريش الا أكلة رأس (فان قيل) ما الفرق
بين حرفى الاضراب (أجيب) بان الاضراب الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن
لا يتبعوه واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين أى وصفهم
بماهو أعم منه وهو الجهل وقلة الفقه (وزين ذلك) أى الامر القبيح الذى هو خراب الدنيا
(فى قلوبكم) حتى قلتموه (وظننتم) أى بذلك وغيره مما يترتب عليه من اظهار الكفر وما يتفرع
عنه (ظن السوء) أى الذى لم يدع شيأ مما يكره غاية الكراهة الا أحاط به وقوله تعالى (وكنتم
قوما بورا) جمع بائر أى هالكين عند الله تعالى بهذا الظن وهذا بالنظر الى الجمع من حيث هو
جمع لا بالنسبة الى كل فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير وثبتوا ولم يرتدوا (ومن لم يؤمن)
أى منكم ومن غيركم (بالله) أى الذى لا موجود على الحقيقة سواه (ورسوله) أى الذى أرسله
لاظهار دينه (فانا) على مالنا من العظمة (أعتدنا) أى له هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى
معلقا للحكم بالوصف (للكافرين) ايذانا بان من لم يجمع الايمان بهما فهو كافر وأعدله (سعيرا)
أى نارا شديدة (ولله) أى الملك الاعظم وحده (ملك السموات والارض) أى من الجنود
وغيرها يدبر ذلك كله كيف يشاء (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى لا اعتراض لاحد عليه
لانه لا يجب عليه شئ ولا يكافئه أحد وليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة
الاكفاء المعارضين لهم فى الجملة وعلم من هذا أن منهم من يرتد فيعذبه ومنهم من يثبت على

الاسلام

الادم الطول الكلام او
هو قوله ما يلفظ من قول
(قوله وحب الحسد)
* ان قلت فيه اضافة الشئ
الى نفسه وهى ممتنعة لان

الاسلام فيغفر له لانه لا يعذب بغير ذنب وان كان له أن يفعل ذلك لانه لا يسئل عما يفعل وملكه
تام فتصرفه فيه عدل كيف كان (وكان الله) أى المحيط بصفات الكمال أزلا وأبدا لم يتجدد له
شئ لم يكن (غفورا) أى لذنوب المسيئين (رحيما) أى مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول
وقدرته على الانعام كقدرته على الانتقام (سيقول) أى بوعد لاخلف فيه (المخلفون)
أى الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) أى سرتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها)
أى مغانم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا
من المغانم شيأ وعدهم الله تعالى فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن
غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ (ذرونا) أى على أى حالة شئتم من
الاحوال الدنيئة (نتبعكم) أى الى خيبر لنشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المخلفين
عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هنالك طمع فى الغنيمة وهنا
قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة (يريدون) أى بذهابهم معكم (أن يبدلوا
كلام الله) أى يريدون أن يغيروا مواعيد الملك الاعظم لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة
وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
حيث أمره أن لا يسير معه منهم أحد الى خيبر وقال ابن زيد هو أن النبى صلى الله عليه وسلم
لما تخلف القوم أطلعه الله تعالى على ظنهم وأظهر له نفاقهم وقال للنبى صلى الله عليه وسلم فاذا
استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر اللام بعد الكاف
ولا ألف بعد اللام والباقون بفتح اللام وألف بعدها (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء المبعدين اذا
بلغك كلامهم أنت بنفسك فان غيرك لا يقوم مقامك فى هذا الامر المهم قولا مؤكدا (لن
تتبعونا) أى وان اجتهدتم فى ذلك وساقه مساق النفى وان كان المراد به النهى مع كونه آكد
ليكون علما من أعلام النبوة وهو أزجر وأدل على استهانتهم (كذلكم) أى مثل هذا القول
البديع الشأن العالى الرتبة (قال الله) أى الذى لا يكون الا ما يريد وليس هو كالملوك الذين
لا قدرة لهم على الغفران لمن شاؤا والعقاب لمن شاؤا (من قبل) أى من قبل مرجعنا اليكم ان
غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب * ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيأ
من هذه الاقوال بل يظنون انها حيل على التوصل الى المرادات الدنيوية تسبب عن قوله
لهم ذلك قوله تعالى تنبيها على جلافتهم وفساد ظنونهم (فسيقولون) ليس الامر كما ذكر
مما ادعى أنه قول الله تعالى (بل) انما قلتم ذلك لانكم (تحسدوننا) فلا تريدون ان يصل الينا
من مال الغنائم شئ وقرأ هشام وحمزة والكسائى بادغام اللام فى التاء والباقون بالاظهار (بل
كانوا) أى جبلة وطبعا (لا يفقهون) أى لا يفهمون فهم الحاذق الماهر (الا قليلا) أى فى أمر
دنياهم ومن ذلك اقرارهم باللسان لاجلها وأما أمور الآخرة فلا يفهمون منها شيأ (قل) أى
يا أشرف الرسل (للمخلفين) وزاد فى ذمهم بنسبتهم الى الجلافة بقوله تعالى (من الاعراب) أى
أهل غلظ الاكباد (ستدعون) بوعد لاخلف فيه (الى قوم أولى) أى أصحاب (بأس شديد) أى
شدة فى الحرب وشجاعة قال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن
فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان قوم حنين

الاضافة تقتضى المغايرة بين المضاف والمضاف اليه (قلت) ليست مقتضية مطلقا بل هى جائزة عند اختلاف اللفظين كما فى

وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال أبو هريرة لم يأت تاويل هذه الآية بعد قال ابن الخازن وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما المقاتلة منكم واما الاسلام منهم فان لم يسلموا كان القتال لاغير وان أسلموا لم يكن قتال لان الغرض ليس الا اعلاء كلمة الله تعالى (فان تطيعوا) أي توقعوا الطاعة للداعي الى ذلك (يؤتكم الله) أي الذي له الاحاطة (أجرا حسنا) دنيا وهو الغنيمة وأخرى وهي الجنة (وان تتولوا) أي تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) أي عام الحديبية (يعذبكم) أي يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما (عذابا أليما) لاجل تكرر ذلك منكم فلما أنزلت هذه الآية قال أهل الزمانة كيف بنا يارسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى) أي في تخلفه عن الدعاء الى الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع غيره من أئمة الهدى (حرج) أي ميل بثقل الاثم لانه لا يتمكن الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه ولا الهرب (ولا على الاعرج) وان كان نقصه أدنى من نقص الاعمى (حرج) وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع (ولا على المريض) أي باي مرض كان يمنعه (حرج) وفي معناه صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار أخر دون ماذكر كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه * (تنبيه) * جعل تعالى كل جملة مستقلة تأكيدا لهذا الحكم وقدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قرب (ومن يطع الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء ولو كان ضعيفا المانع منها من يشاء وان كان قويا (ورسوله) من المعذورين وغيرهم فيما ندبا اليه باي طاعة كانت (يدخله) أي الله الملك الاعظم جزاء له (جنات تجري من تحتها الانهار) أي من أي موضع أردت أجريت نهرا (ومن يتول) أي يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه) أي على توليه في الدارين او احداهما (عذابا اليما) أي مؤلما وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما والباقون بالياء التحتية * ولما بين تعالى حال المخلفين بعد قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله عاد الى حال بيان المبايعين بقوله تعالى (لقد رضي الله) أي الذي له الجلال والكمال (عن المؤمنين) أي الراسخين في الايمان أي فعل بهم فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وانهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين بخذلهم في الدنيا مع ما أعد لهم في الآخرة فالآية تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بامور مشاهدة وقوله تعالى (اذ) أي حين (يبايعونك) منصوب برضي واللام في قوله تعالى (تحت الشجرة) للعهد الذهني وكانت شجرة في الموضع الذي كان النبي صلى الله

قوله حق اليقين وحبل الوريد ودار الآخرة وبتقدير امتناعها مطلقا فالتقدير حب الزرع او النبات الحصيد (قوله

عليه وسلم نازلا به فى الحديبية ولاجل هذا الرضا سميت بيعة الرضوان وقصتها ان النبى عليه الصلاة والسلام حين نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعى رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش واحدها حبوش وهو الفوج من قبائل شتى فلما رجع دعا عمر ليبعثه فقال انى اخافهم على نفسى لما أعرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى ادلك على رجل هو اعز بها منى وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما افعل قبل ان يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبس عندهم فارجف انهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة روى البغوى من طريق الثعلبى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لايدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وقال سعيد بن المسيب حدثنى ابى انه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروى ان عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير اهل الارض وكنا ألفا واربعمائة ولو كنت اليوم مبصرا لأريتكم مكان الشجرة وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدى غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره وبايعوه على الموت دونه ٣ على ان لايفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن ابى اوفى كنا أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة ولما دل على اخلاصهم بما وصفهم سبب عنه قوله تعالى (فعلم) اى بماله من الاحاطة (ما فى قلوبهم) اى من الصدق والوفاء فيما بايعوا عليه (فانزل السكينة) اى الطمأنينة والامن بسبب الصلح (عليهم) أو بالتشجيع وسكون النفس فى كل حالة ترضى الله ورسوله فلم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا اليه وان كانوا فى كثرة الكفار كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود (وأثابهم) اى اعطاهم جزاء لهم على ما وهبوه من الطاعة (فتحا قريبا) هو فتح خيبر عقب انصرافهم وعن الحسن فتح هجر ونبه تعالى بصيغة منتهى الجموع فى قوله تعالى (ومغانم) على انها عظيمة ثم صرح بذلك بقوله تعالى (كثيرة تاخذونها) وهى مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله) اى الذى لا كفء له (عزيزا) يغلب ولايغلب (حكيما) اى يقضى ما يريد فلا ينقض حكمه لكم بالغنائم ولا عدائكم بالهلاك على أيديكم ليثيبكم عليه (وعدكم الله) اى الملك الاعظم (مغانم) وحقق معناها بقوله تعالى (كثيرة تاخذونها) اى فيما يأتى من بلدان شتى لاتدخل تحت حصر وليس المغانم كل الثواب بل الجنة والنظر الى وجهه الكريم قدامهم وانما هى كعاجلة عجل بها ولهذا قال تعالى (فعجل لكم) أى من الغنائم (هذه) اى مغانم خيبر (وكف ايدى الناس عنكم) وذلك أن النبى

عن اليمين وعن الشمال قعيد) ان قلت كيف قال قعيد ولم يقل قعيدان مع انه وصف للملكين المذكورين بقوله اذ يتلقى المتلقيان

٣ قوله على أن لايفروا لعله تفسير للمبايعة على الموت كما أشار اليه الحافظ ابن حجر اه مصححه

صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من أسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله تعالى ايديهم بالقاء الرعب فى قلوبهم فنكصوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح وقوله تعالى (ولتكون) اى هذه المعجلة عطف على مقدر أى لتشكروه ولتكون (آية) اى علامة فى غاية الوضوح (للمؤمنين) اى أنهم من الله تعالى بمكان او صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعدهم فتح خيبر فى حين رجوعه من الحديبية او وعدهم الغنم أو عنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا) اى طريقا (مستقيما) أى يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة وبعض المحرم ثم خرج فى سنة سبع الى خيبر روى انس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح و ينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبنا وركبت خلف ابى طلحة وان قدمى لتمس قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله محمد والخميس اى الجيش فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس بن سلمة قال حدثنى ابى قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم ثم قال

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
* وأنزلن سكينة علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر فقال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبى الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه و يقول

قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
* اذا الحروب أقبلت تلهب *

قال فبرز له عامر بن عثمان فقال

قد علمت خيبر أنى عامر * شاكى السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر فرجع سيف عامر على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلنى الى على وهو ارمد فقال لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله فأتيت عليا فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرئ واعطاه الراية وخرج مرحب وقال

أنا الذى سمتنى امى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

(قلت) معناه عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد لكنه حذف احدهما لدلالة المذكور عليه أو ان فعيلا يستوى فيه الواحد

فقال علي كرم الله تعالى وجهه

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

* أكيلكم بالسيف كيل السندره *

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه ومعنى * أكيلكم بالسيف كيل السندره * أي أقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة مكيال واسع قيل يحتمل ان يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة أيضا العجلة والنون زائدة قال ابن الاثير وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروى فتح خيبر من طرق أخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى (وأخرى) صفة مغانم مقدرا مبتدأ وقيل هي مبتدأ والخبر (لم تقدروا عليها) وهي كما قال ابن عباس فارس والروم وما كانت العرب تقدر تقاتل فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليهما بالاسلام وقال الضحاك هي خيبر وعدها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال البقاعي هي والله أعلم غنائم هوازن التي لم يحصل قبلها ما يقاربها (قد أحاط الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما (بها) أي علم انها ستكون لكم (وكان الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال أزلا وأبدا (على كل شيء) منها ومن غيرها (قديرا) أي بالغ القدرة لانه بكل شيء عليم (ولو قاتلكم الذين كفروا) وهم أهل مكة ومن وافقهم وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الاحابيش ومن أطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة لهم الى كراع الغميم ولم يكن اسلم بعد (لولوا) اي بغاية جهدهم (الادبار) منهزمين (ثم) اي بعد طول الزمان وكثرة الاعوان (لا يجدون) اي في وقت من الاوقات (وليا) اي من يفعل معهم فعل القريب من الشفقة (ولا نصيرا) ينصرهم ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله تعالى حيثما كانوا من الرسل واتباعهم وان جندنا لهم الغالبون قال تعالى (سنة الله) اي سن المحيط بكل شيء علما غلبة انبيائه وأتباعهم (التي قد خلت من قبل) أي فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن أنا ورسلي (ولن تجد) أيها السامع (لسنة الله) اي الذي لا يخلف قوله لانه محيط بجميع صفات الكمال (تبديلا) اي تغييرا من مغير ما يغيرها بما يكون بدلها ثم عطف على ما تقديره هو الذي سن هذه السنة العامة قوله تعالى (وهو الذي كف) اي وحده (أيديهم) اي الذين كفروا من اهل مكة وغيرهم فان الكف مشروع لكل أحد (عنكم وايديكم) ايها المؤمنون (عنهم ببطن مكة) أي بالحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة وقيل داخل مكة (من بعد أن اظفركم) أي أظهركم (عليهم) وهذا تبيين لما تقدم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار بتقدير انه كما كف أيديهم عنكم بالفرار وايديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم روى ثابت عن أنس بن مالك ان ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فنزلت هذه الآية وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج

والاثنان والجمع قال تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير أو قال ذلك رعاية للفواصل (قوله وقال قرينه) قاله هنا بالواو وقاله بعد بدونها لان

علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا فى وجوهنا فدعا عليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله أبصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم فى عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت وقيل ان ذلك كان يوم فتح مكة وبه استشهد أبو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا (وكان الله) اى المحيط بالجلال والاكرام أزلا وأبدا وقرأ (بما يعملون) أبو عمرو بالياء التحتية اى الكفار والباقون بالتاء الفوقية اى أنتم (بصيرا) اى محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره * ولما كان ما مضى من وصف الكفار يشمل كفار مكة وغيرهم عينهم بسبب كفهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت الحرام بقوله تعالى (هم) اى اهل مكة ومن لاذ بهم (الذين كفروا) اى أوغلوا فى هذا الوصف ببواطنهم وظواهرهم (وصدوكم) زيادة على كفرهم فى عمرة الحديبية (عن المسجد الحرام) اى منعوكم الوصول الى مكة ونفس المسجد والكعبة للاحلال مما انتم فيه من شعائر الاحرام بالعمرة روى الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم كل منهما يصدق حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش فسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عتبة الخزاعى وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت الحرام فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون انى اميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حرب فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفروا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بغبرة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت اى حرنت القصواء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذى نفسى بيده لا تدعونى قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل من الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم تلبث الناس أن نزحوه وشكا الناس الى النبى صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبى صلى الله عليه وسلم فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال انى تركت كعب

الاول خطاب للانسان من قرينه ومتعلق به فناسب ذكر الواو والثانى استئناف خطاب من الله غير متعلق بما قبله فناسب حذفها

ابن

ابن لؤى وعامر بن لؤى نزلا مع جم أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت الحرام فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا
معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين
الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان أبوا
فو الذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره فقال بديل
سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا
فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأى
منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم
فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال أى قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى فقال
فهل تتهمونى قالوا لا قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلى
وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى
آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من
قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اى محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت احدا من
العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله انى ارى وجوها وأشوابا من الناس خليقا
ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بظر اللات والعزى انحن نفر عنه وندعه
فقال من ذا قالوا أبو بكر فقال اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم اجزك بها
لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة قائم على
رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبى
صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اى غدر الست أسعى فى غدرتك
وكان المغيرة صحب قوما فى الجاهلية فقتلهم واخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اما الاسلام فهدم ما قبله واما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبى
صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى
كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى
أصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان
اى ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان اى ما تنخم نخامة الا
وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا
يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد
عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه فقالوا ائته فلما اشرف
على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا فلان من قوم يعظمون
البدن فابعثوها له فبعثوها له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغى
لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما

(قوله ألقيا) فان قلت كيف
ثنى الفاعل مع انه واحد
وهو مالك خازن النار (قلت)
بل الفاعل مثنى وهما
الملكان اللذان مر ذكرهما

اری ان یصدوا عن البیت ثم بعثوا الیه الحلیس بن علقمة وکان یومئذ سید الاحابیش فلما رآه
رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان هذا من قوم یتألهون فابعثوا بالهدی فی وجهه حتی
یراه فلما رأی الهدی یسیل علیه من عرض الوادی فی قلائده قد أکل اوتاده من طول الحبس
عن محله رجع الی قریش ولم یصل الی رسول الله صلی الله علیه وسلم اعظاما لما رأی فقال یا معشر
قریش انی قد رأیت ما لا یحل صده الهدی فی قلائده قد اکل اوتاده من طول الحبس عن محله
قالوا له اجلس فانما انت رجل اعرابی لا علم لک فغضب الحلیس عند ذلک وقال یا معشر قریش
والله ما علی هذا حالفناکم ولا علی هذا عاقدناکم ان تصدوا عن بیت الله من جاء معظما له
والذی نفس الحلیس بیده لتخلن بین محمد وبین ما جاء له اولانفرن بالاحابیش نفرة رجل واحد
فقالوا امه کف عنا یا حلیس حتی نأخذ لانفسنا ما نرضی به فقام رجل یقال له مکرز بن حفص
فقال دعونی آته فقالوا له ائته فلما اشرف علیهم قال النبی صلی الله علیه وسلم هذا مکرز وهو
رجل فاجر فجعل یکلم النبی صلی الله علیه وسلم فبینما هو یکلمه اذ جاءه سهیل بن عمرو قال عکرمة
لما رآه النبی صلی الله علیه وسلم قال قد سهل لکم من أمرکم قال الزهری فی حدیثه فجاء سهیل
ابن عمرو فقال هات نکتب بیننا وبینک کتابا فدعا رسول الله صلی الله علیه وسلم علی بن أبی طالب
فقال اکتب بسم الله الرحمن الرحیم فقال سهیل اما الرحمن فلا ادری ما هو ولکن اکتب
باسمک اللهم کما کنت تکتب فقال المسلمون والله لا نکتبها الا بسم الله الرحمن الرحیم فقال النبی
صلی الله علیه وسلم لعلی اکتب باسمک اللهم ثم قال اکتب هذا ما قاضی علیه محمد رسول الله
فقال سهیل والله لو کنا نعلم انک رسول الله ما صددناک عن البیت وما قاتلناک ولکن اکتب
محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم والله انی لرسول الله وان کذبتمونی اکتب
محمد بن عبد الله قال الزهری وذلک لقوله صلی الله علیه وسلم لا یسألونی خطة یعظمون فیها حرمات
الله الا اعطیتهم ایاها فکتب هذا ما قاضی علیه محمد بن عبد الله سهیل بن عمرو واصطلحا علی وضع
الحرب عشر سنین یأمن الناس فیه ویکف بعضهم عن بعض فقال له النبی صلی الله علیه وسلم
وعلی ان تخلوا بیننا وبین البیت فنطوف به فقال سهیل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة
ولکن ذلک من العام المقبل فکتب فقال سهیل وعلی ان لا یأتیک منا رجل وان کان علی دینک
الا رددته الینا فقال المسلمون سبحان الله کیف یرد الی المشرکین وقد جاء مسلما وروی ابن اسحق
عن البراء قصة الصلح وفیها قالوا لو نعلم انک رسول الله ما منعناک شیئا ولکن أنت محمد بن
عبد الله قال أنا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلی امح رسول الله فقال والله لا امحوک
أبدا فقال فارنیه فاراه ایاه فمحاه النبی صلی الله علیه وسلم بیده وفی روایة فاخذ رسول الله صلی
الله علیه وسلم الکتاب ولیس یحسن یکتب فکتب هذا ما قاضی محمد بن عبد الله قال البراء صالح
علی ثلاثة اشیاء علی ان من أتی من المشرکین رده الیهم ومن اتاهم من المسلمین لم یردوه وعلی ان
یدخلها من قابل ویقیم بها ثلاثة ایام ولا یدخلها بجلبان السلاح السیف والقوس ونحوه
وروی فی صلح الحدیبیة طرق اخر فی بعضها زیادات وفی بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالی
(والهدی) معطوف علی کم من صدوکم أی وصدوا الهدی وهو البدن التی ساقها رسول الله
صلی الله علیه وسلم وکانت سبعین وقوله تعالی (معکوفا) أی محبوسا حال وقوله تعالی

بقوله وجاءت کل نفس معها سائق وشهید اوان تثنیة الفاعل أقیمت مقام تکرار الفعل للتأکید واتحادهما حکما فکأنه

(أن يبلغ محله) أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (ولولا رجال) أي مقيمون بين أظهر الكفار بمكة (مؤمنون) أي عريقون في الإيمان فكانوا لذلك أهلا للوصف بالرجولية (ونساء مؤمنات) أي كذلك حبس الكل عن الهجرة العذر لأن الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة على أن ذلك شامل لمن جبله الله تعالى على الخير وعلم منه الإيمان وإن كان في ذلك الوقت كافرا (لم تعلموهم) أي لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم بأعيانهم عن المشركين لأنهم ليس لهم قوة التميز منهم وأنتم لا تعرفون أماكنهم لتعاملوهم بما هم له أهل ولا سيما في حال الحرب والطعن والضرب ثم أبدل من الرجال والنساء قوله تعالى (أن تطؤهم) أي تؤذوهم بالقتل أو ما يقارب به من الجراح والضرب والنهب ونحو ذلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (فتصيبكم) أي فيتسبب عن هذا الوطء أن تصيبكم (منهم) أي من جهتهم وبسببهم (معرة) أي مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والإثم بالتقصير في البحث مفعلة من عره إذا عراه ما يكرهه وقوله تعالى (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم أي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (فإن قيل) أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون (أجيب) بأنهم يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والأثم إذا جرى منهم بعض التقصير وقوله تعالى (ليدخل الله) أي الذي له جميع صفات الكمال متعلق بمقدر أي كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء العذاب ليدخل الله قال البغوي اللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني ليدخل الله (في رحمته) أي في إكرامه وإنعامه (من يشاء) بعد الصلح قبل أن يدخلوها من المشركين بأن يعطفهم إلى الإسلام ومن المؤمنين بأن يستنقذهم منهم على أرفق وجه وقوله تعالى (لو تزيلوا) يجوز أن يعود على المؤمنين فقط أو على الكافرين أو على الفريقين والمعنى لو تميز هؤلاء من هؤلاء (لعذبنا) أي بأيديكم بتسليطنا لكم عليهم بالقتل والسبي (الذين كفروا) أي أوقعوا ستر الإيمان (منهم) أي أهل مكة (عذابا أليما) أي شديد الإيجاع قال قتادة في الآية أن الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكافرين كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة * ولما بين شرط استحقاقهم للعذاب بين وقته وفيه بيان العلة فقال تعالى (إذ) أي حين (جعل الذين كفروا) أي ستروا ما تراءى من الحق في مرائي عقولهم وقوله تعالى (في قلوبهم) أي في قلوب أنفسهم يجوز أن يتعلق بجعل على أنها بمعنى ألقى فتتعدى لواحد أي إذ ألقى الكافرون في قلوبهم الحمية وأن يتعلق بمحذوف على أنه مفعول ثان قدم على أنها بمعنى صير (الحمية) أي المنع الشديد والإباء الذي هو في شدة حره ونفوذه في أشد الأجسام كالسم والنار وأنشدوا

الا إنني منهم وعرضي عرضهم * كذا الرأس يحمي أنفه أن يهشما

وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأظهر الذال عند الجيم نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون وقوله تعالى (حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها ووزنها فعيلة وهي مصدر يقال حميت من

قال التي التي كقول امرئ القيس فقفا نبك أو أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم خطابهما يقال خليلي

كذا حمية وحمية الجاهلية هي التي مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أم باطل فتمنع من الاذعان للحق ومبناها على التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواء قال مقاتل قال أهل مكة قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم (فأنزل الله) اى الذي لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ بسبب حميتهم (سكينته) اى الشئ اللائق اضافته اليه سبحانه من الفهم عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو والنصر عليه انزالا كافيا (على رسوله) الذي عظمته من عظمته ففهم عن الله مراده في هذه القضية لجري على أتم مايرضيه (وعلى المؤمنين) أى العريقين في الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فألزمهم قبول أمره وحماهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم مادخل الكفار من الحمية فيقاتلوا غضبا لانفسهم فيتعدوا حدود الشرع (وألزمهم) أى المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة وتعنيف (كلمة التقوى) فانها السبب الاقوى وهي كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى واعلاء كلمة الاخلاص المتقدمة في القتال وهي لا اله الا الله التي هي أحق الحق ولابد من قول محمد رسول الله والا لم يتم اسلامه وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى وقيل هي بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله (وكانوا) أى جبلة وطبعا (أحق بها) أى كلمة التقوى من الكفار (واهلها) أى وكانوا أهلها في علم الله تعالى لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير (وكان الله) أى المحيط علما وقدرة (بكل شئ) من ذلك وغيره (عليما) أى محيط العلم * وروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام في المدينة عام الحديبية قبل خروجه انه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية رجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين فأنزل الله قوله تعالى (لقد صدق الله) أى الذي لا كفء له المحيط بجميع صفات الكمال (رسوله) الذي هو أعز الخلائق عنده وهو غني عن الاخبار عما لا يكون أنه يكون فكيف اذا كان المخبر رسوله (الرؤيا) التي هي من الوحي أى صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروى عن مجمع بن جارية الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم فلما اجتمع عليه الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أوفتح هو يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده ففيه دليل على ان المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر ان الرؤيا التي أراه اياها في مخرجه الى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق وقوله تعالى (بالحق) فيه أربعة أوجه أحدها انه يتعلق بصدق ثانيها أن يكون صفة لمصدر محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح

والحكمة

(قوله وصاحبي وقفا وقفوها) (قوله غير بعيد) ان قلت لم يقل غير بعيدة لكونه وصفا للجنة (قلت) لان فعيلا يستوي فيه المذكر والمؤنث

والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض ثالثها ان يتعلق بمحذوف على أنه حال من الرؤيا أي ملتبسة بالحق رابعها انه قسم وجوابه (لتدخلن) أي بعد هذا دخولا قد تحتم أمره (المسجد) أي الذي يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله الا بدخول الحرم (الحرام) أي الذي أجاره من امتهان الجبابرة ومنعه من كل ظالم قال الزمخشري وعلى تقديره قسما اما أن يكون قسما بالله تعالى فان الحق من أسمائه تعالى واما أن يكون قسما بالحق الذي هو نقيض الباطل (فان قيل) ما وجه دخول (ان شاء الله) أي الذي له الاحاطة بصفات الكمال (أجيب) بأوجه احدها أنه تعالى ذكره تعليما لعباده الادب لان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بآداب الله ومقتدين بسنته لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ثانيها أن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد ثالثها ان ذلك كان على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله رابعها انها حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله كقوله تعالى ان كنتم تعلمون خامسها انها للتبرك وقيل هي متعلقة بآمنين فالاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحوق لا الى الموت وقوله تعالى (آمنين) حال من فاعل لتدخلن وكذا (محلقين رؤسكم) أي كلها (ومقصرين) أي بعضها اي منقسمين بحسب التحليق والتقصير الى قسمين لا تخشون الا الله تعالى وفيه اشارة الى أنهم يتمون الحج من أوله الى آخره فقوله لتدخلن فيه اشارة الى الاول وقوله محلقين ومقصرين الى الآخر (فان قيل) محلقين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا (أجيب) بان قوله آمنين معناه متمكنين من أن تتموا الحج محلقين ومقصرين وأشار بصيغة التفعيل الى الكثرة فيهما غير أن التقديم يفهم ان الاول أكثر وقوله تعالى (لا تخافون) أي لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا ثالثة اما من فاعل لتدخلن أو من ضمير آمنين أو محلقين أو مقصرين فان كانت حالا من آمنين أو حالا من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد وآمنين حال مقارنة وما بعدها حال مقدرة الا قوله لا تخافون اذا جعل حالا فانها مقدرة أيضا (فان قيل) قوله تعالى لا تخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى آمنين (أجيب) بان فيه كمال الامن لان بعد الحلق يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال تدخلون آمنين وتحلقون ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الاحرام (فعلم) أي الله في الصلح من المصلحة (ما لم تعلموا) من المصالح فان الصلاح كان في الصلح وان دخولكم في سنتكم سبب لوطء المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية (فان قيل) الفاء في قوله تعالى فعلم فاء التعقيب فقوله تعالى فعلم وقع عقب ماذا (أجيب) بانه ان كان المراد من فعلم وقت الدخول فهو عقب صدق وان كان المراد فعلم المصلحة فالمراد علم الوقوع والشهادة لا علم الغيب والتقدير لما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة (فجعل) أي بسبب احاطة علمه (من دون) أي أدنى رتبة من (ذلك) أي الدخول العظيم في هذا العام (فتحا

أو لانه صفة لذكر محذوف أي مكانا غير بعيد (فان قلت) ما فائدة قوله غير بعيد بعد قوله ازلفت بمعنى قربت (قلت) فائدته التأكيد

قريبا) يقوي بكم به من فتح خيبر، وضع الحرب بين العرب بهذا الصلح واختلاط بعض الناس بسبب ذلك ببعض الموجب لاسلام ناس كثيرة تتقوون بهم فتكون تلك الكثرة والقوة سبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال فنقل القتلى ترفقا باهل حرم الله اكراما لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله) أي الذي لا رسول أحق منه باضافته اليه (بالهدى) أي الكامل الذي يقتضي أن يهتدي به أكثر الناس تأكيدا لبيان صدق الله تعالى للرؤيا لانه لما كان مرسلا لرسوله بالهدى لا يريه ما لا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون ذلك سببا للضلال (فان قيل) الرؤيا للواقع قد تقع لغير المرسل (أجيب) بان ذلك قليل لا يقع لكل أحد *(تنبيه)* الهدى يحتمل أن يكون هو القرآن كقوله تعالى أنزل فيه القرآن هدى للناس وعلى هذا قوله تعالى (ودين الحق) هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل أن يكون الهدى هو المعجزة أي أرسله بالمعجزة فيكون قوله تعالى ودين الحق اشارة الى ما شرع والالف واللام في الهدى يحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وأن تكون للتعريف اي كل ما هو هدى *(تنبيه)* دين الحق يحتمل أن يكون المراد دين الله لان الحق من أسماء الله تعالى ويحتمل أن يكون الحق نقيض الباطل فكأنه قال ودين الامر الحق (ليظهره) أي دينه (على الدين كله) أي جميع باقي الاديان (وكفى بالله) اى الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال (شهيدا) اى على أنك مرسل بما ذكر كما قال تعالى (محمد رسول الله) أي الملك الذي لا كفء له فهو الرسول الذي لا رسول يساويه فانه رسول الى جميع الخلق من أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد أخذ على الانبياء كلهم الميثاق بان يؤمنوا به ان أدركوه وأخذ ذلك الانبياء على أممهم واشار بذكر هذا الاسم بخصوصه في سورة الفتح الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الخاتم بما أشارت اليه الميم التي مخرجها ختام المخارج واستنبط بعض العلماء من محمد ثلثمائة وأربعة عشر رسولا فقال فيه ثلاث ميمات واذا بسطت كلا منها قلت فيه م ى م وعدتها بحساب الجمل الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة فالجملة ماذكر والاسم واحد فتم عدد الرسل كما قيل انهم ثلثمائة وخمسة عشر وقد تقدم الكلام على أولي العزم منهم في سورة الاحقاف *(تنبيه)* يجوز أن يكون محمد خبر مبتدا مضمر لانه لما تقدم هو الذي أرسل رسوله دل على ذلك المقدر أي هو اى الرسول بالهدى محمد ورسول الله بدل أو بيان أو نعت وأن يكون محمد مبتدأ وخبره رسول الله وقيل غير ذلك ولما ذكر الرسول ذكر المرسل اليهم فقال تعالى (والذين معه) أي بمعية الصحبة من الصحابة وحسن التبعية من التابعين لهم باحسان (أشداء) أي غلاظ (على الكفار) منهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالاسد على فريسته لان الله تعالى أمرهم بالغلظة عليهم لا يرحمونهم (رحماء بينهم) أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد كما قال تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من تراحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا

التذلل

يقولهم هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) اى داع والافكل إنسان له قلب بل كل

قوله هذا التذلل كذا في جميع النسخ التي بايدينا وفي الكشاف هذا التشدد وهو المناسب اهـ مصحح

التذلل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوانهم المؤمنين فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة والمعونة وكف الاذى والاحتمال منهم *(تنبيه)* والذين معه مبتدأ خبره أشداء على الكفار ورحماء بينهم خبر ثان وقيل غير ذلك ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله سبحانه وتعالى (تراهم) اى أيها الناظر اليهم (ركعا سجدا) أى دائمى الخشوع فاكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة آمرة بالخير صينة عن كل نقص وضير ثم أشار الى اخلاصهم بقوله تعالى (يبتغون) أى يطلبون بذلك وغيره من جميع احوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم على شهواتهم وحظوظهم (فضلا) أى زيادة من الخير (من الله) اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال من الجلال والجمال الذى أعطاهم ملكة العظمة على الكفار بما وهبهم من جلاله والرأفة على أوليائه (ورضوانا) اى رضا منه عظيما بما نالهم من رحمته التى هيأهم بها للاحسان الى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن اليهم لا يرون سيدا غيره ولا محسنا سواه ثم بين كثرة صلاتهم بقوله تعالى (سيماهم) اى علامتهم التى لا تفارقهم (فى وجوههم) ثم بين تعالى العلامة بقوله (من أثر السجود) وهو نور وبياض فى وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواه عطية العوفى عن ابن عباس * وعن أنس هو استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر * وقال مجاهد هو السمت الحسن والخشوع والتواضع والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذى يعرفون به وقال الضحاك هو صفرة الوجه وقال الحسن اذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عكرمة هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لانهم يسجدون على التراب لا على الثياب وقال عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لان من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار قال بعضهم دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال البقاعى ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود فى جبهته فان ذلك من سيما الخوارج وفى نهاية ابن الاثير فى تفسير الثقات ومنه حديث أبى الدرداء انه رأى رجلا بين عينيه مثل ثفنة البعير فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعنى كان على جبهته أثر السجود وانما كرهها خوفا من الرياء عليه وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى لابغض الرجل وأكرهه اذا رأيت بين عينيه اثر السجود وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شئ ونرى أحدنا الآن يصلى فيرى بين عينيه ركبة البعير فلا ندرى أثقلت الرؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق ثم أشار تعالى الى علو مرتبة ذلك الوصف بقوله سبحانه (ذلك) أى هذا الوصف العالى جدا البديع المثال البعيد المنال (مثلهم) أى صفتهم (فى التوراة) وههنا تم الكلام فان مثلهم مبتدأ وخبره فى التوراة وقوله تعالى (ومثلهم فى الانجيل) اى الذى نسخ الله تعالى به بعض أحكام التوراة مبتدأ وخبره (كزرع) اى مثل زرع (اخرج شطأه) أى فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وهل يختص ذلك بالحنطة فقط أو بها وبالشعير أو لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

قوله حيوان او المراد بالقالب العقل

(سورة الذاريات)

(قوله انما توعدون لصادق) ان قلت كيف قال ذلك

قوله فى تفسير الثقات كذا بالنسخ التى بايدينا ولعله الثفنات اه مصححه

أخرج الشطأ على وجه الثرى * ومن الاشجار أفنان الثمر

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء والباقون باسكانها وهما لغتان كالنهر والنهر وأدغم ابو عمرو الجيم في الشين بخلاف عنه ثم سبب عن هذا الاخراج قوله تعالى (فآزره) أي قواه واعانه وقرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء والباقون بالمد (فاستغلظ) أي فطلب المذكور من الزرع والشطء الغلظ وأوجده فتسبب عن ذلك اعتداله (فاستوى) اى قوى واستقام وقوله تعالى (على سوقه) متعلق باستوى ويجوز أن يكون حالا أى كائنا على سوقه اى قائما عليها هذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل أنهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه أبو بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله العشرة المبشرون بالجنة كمثل زرع محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان يعني استغلظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه علي بن ابي طالب رضي الله عنه استقام الاسلام بسيفه (يعجب الزراع) قال المؤمنون (ليغيظ بهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان وافرضهم زيد واقرؤهم أبي واعلمهم بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية اخرى وأقضاهم علي وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من اصحابي بارض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة * (تنبيه) * يعجب حال اى معجبا وهنا تم الكلام وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار فيه اوجه احدها انه متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع في نمائهم وقوتهم قال الزمخشري اى شبههم الله تعالى بذلك ليغيظ ثانيها انه متعلق بما دل عليه قوله تعالى اشداء على الكفار الخ اى جعلهم بهذه الصفات ليغيظ ثالثها انه متعلق بقوله تعالى (وعد الله) اى الملك الاعظم (الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا بعزة المؤمنين في الدنيا وما اعد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك وقوله تعالى (وعملوا الصالحات) فيه اشارة الى تصديق دعواهم ومن في قوله تعالى (منهم) للبيان لا للتبعيض لانهم كلهم كذلك فهي كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * ولما كان الانسان وان اجتهد مقصرا عما يجب لله تعالى من العبادة أشار الى ذلك بقوله تعالى (مغفرة) اى لما يقع منهم من الذنوب والهفوات (واجرا عظيما) بعد ذلك الستر وهو الجنة وهما يضاآن بعدهم من ياتي * (فائدة) * قد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع امرهم وعلو نصرهم رضي الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه قال وهذا آخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى

بسورتين

أمع ان الصادق وصف للواعد لا للموعد (قلت) وصف به ما يوعد مبالغة وهو بمعنى مصدوق كعيشة راضية وماء دافق

بسورتين هما فى الحقيقة للنبى صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصره له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا اه وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة حديث موضوع وقال ابن عادل روى أن من قرأ فى أول ليلة من رمضان انا فتحنا لك فتحا مبينا فى التطوع حفظ فى ذلك العام ولم أره لغيره اه

سورة الحجرات مدنية

وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الجبار المتكبر الذى أعز رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) الذى من عموم رحمته الآداب للتوصل الى حسن المآب (الرحيم) الذى خص أولى الالباب بالاقبال على ما يوجب لهم دار الثواب * ولما أتوه سبحانه فى القتال بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وصرح فى ابتدائها باسمه الشريف وسمى السورة به وملأ سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح أتباعه لاجله افتتح هذه السورة باشتراط الآداب معه فى القول والفعل فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى أقروا بالايمان (لا تقدموا) من قدم بمعنى تقدم اى لا تتقدموا وحذف المفعول ليعم كل ما يصح تقديمه فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز ان يكون حذفه من غير قصد اليه أصلا بل يكون النهى موجها الى نفس التقدمة أى لا تتلبسوا بهذا الفعل (بين يدى الله) أى الملك الاعظم الذى لا يطاق انتقامه (ورسوله) أى الذى عظمته ظاهرة جدا [٣] لا نهاية له لان عظمته من عظمته ولذلك قرن اسمه باسمه واختلف فى سبب نزول ذلك فقال الشعبى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة أى لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم وذلك ان أناسا ذبحوا قبله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن مسروق عن عائشة رضى الله عنها انه فى النهى عن صوم يوم الشك اى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وعن ابن الزبير أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافى فقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت هذه الآية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه وعن ابن أبى مليكة نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم وهذا انسب وقال الضحاك يعنى فى القتال وشرائع الدين اى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله قال الرازى والاصح أنه ارشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام على فعل غير ضرورى من غير مشاورة * (تنبيه) * معنى بين يدى الله ورسوله اى بحضرتهما لان ما بحضرة الانسان فهو بين يديه ناظر اليه وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم

(قوله ان المتقين فى جنات وعيون آخذين) ختم الآية هنا بقوله وعيون آخذين وفى الطور بقوله ونعيم فاكهين لان ما هنا

[٣] قوله لا نهاية له كذا بالنسخ والظاهر لا نهاية لها اه مصححه

غيره اذا جاوره ودا ناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة هنا على ضرب من المجاز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلا وقيل المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيم له واشعار بانه من الله تعالى بمكان يوجب اجلاله (واتقوا الله) اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية فان التقوى مانعة من أن تضيعوا حقه وتخالفوا أمره او تقدموا على شئ لم تعلموا رضاه فيه (ان الله) أي الذي له الاحاطة بصفات الكمال (سميع) لاقوالكم (عليم) باعمالكم ونزل فيمن رفع صوته عند النبي عليه الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) أي في شئ من الاشياء عند النطق اذا نطقتم (فوق صوت النبي) اذا نطق ه(تنبيه)ه في اعادة النداء فوائد منها ان في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انها ان تك يا بني أقم الصلوة لان النداء تنبيه للمنادى ليقبل على استماع الكلام ويجعل باله منه فاعادته تفيد تجدد ذلك ومنها أن لا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا فان من الجائز أن يقول القائل يا زيد افعل كذا وكذا يا عمرو فاذا أعاد مرة أخرى وقال يا زيد قل يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم ان المخاطب أولا هو المخاطب ثانيا ومنها أن يعلم ان كل واحد من الكلامين مقصود وليس الثاني تأكيدا للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم الا بالحق وأنه لا يحسن أن يقول يا زيد لا تنطق يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطلوبين (ولا تجهروا له بالقول) اى اذا كلمتموه سواء كان ذلك مثل صوته او أخفض من صوته فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء (كجهر بعضكم لبعض) أي ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من ذلك فانكم ان لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره (فان قيل) ما الفائدة في ولا تجهروا بعد لا ترفعوا (أجيب) بان المنع من رفع الصوت هو أن لا يجعل كلامه أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته والنهي عن الجهر منع من المساواة اى لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظرائكم بل اجعلوا كلمته عليا ثم حذرهم بقوله تعالى (أن) اى كراهة أن (تحبط) أي تفسد فتسقط (أعمالكم) التي هي الاعمال بالحقيقة وهي الحسنات كلها (وانتم لا تشعرون) اى بانها حبطت فان ذلك اذا اجترأ الانسان عليه استخف به واذا استخف واظب عليه واذا واظب عليه اوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لا يشعر روى أنس ابن مالك قال لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت نزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة وروى لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال وما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن

متصل بما به يصل الانسان الى الجنات وهو قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين الآيات وما في الطور متصل بما يناله الانسان

سلول فقال انها اذا دخلت بيت فرشى فشدى على الضبة بمسمار فضربت عليه بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره خبره فقال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت فاخاف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتى أبدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل (ان الذين يغضون) أى يخفضون ويلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته قال الطبرى وأصل الغض الكف فى لين (أصواتهم) تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا (عند رسول الله) اى الذى من شأنه أن يعلو كلامه على كل كلام لانه مبلغ عن الملك الاعظم وعبر بعند الذى للظاهر اشارة الى ان أهل حضرة الخصوصية لا يقع منهم الا أكمل الادب (أولئك) أى عالو الرتبة (الذين امتحن الله) اى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر (قلوبهم للتقوى) أى اختبرها وأخلصها التطهر منهم من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه فان الامتحان اختبار بليغ يؤدى الى خبر فالمعنى أنه طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصائغ الذهب والفضة بالاذابة والتنقية والتخلص من كل غش لاجل اظهار ما بطن فيها من التقوى ليصير معلوما للخلق فى عالم الشهادة كما كان له سبحانه فى عالم الغيب (لهم مغفرة) أى لهفواتهم وزلاتهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم قال أنس فكنا اى بعد نزول هذه الآية فى حق ثابت ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان فى يوم حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار فانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى ابى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طوله وقد وضع على درعى ثوبه فأت ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضيه عنى وفلان من رقيقى عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤية فاجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن انس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه واختلف فى سبب نزول قوله عز وجل (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) فقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بنى العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزارى فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم بعد ذلك رجالهم يفدون الذرارى فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا فى أهله فلما رأتهم الذرارى اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه

فيها وهو قوله ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا الآية (قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين) اثنين أى صنفين (فان

وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا
عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تجعل بينك و بينهم
رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني و بينكم شبرمة بن عمرو
وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لا أحكم بينهم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة
فرضوا به فقال الاعور أرى أن تفادى نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات جمع حجرة وهي ما تحجره من الارض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف
حجرة لانهم لم يعلموه في أيها اصنادا ة الاعراب بغلاظة وجفاء (أكثرهم) أي المنادى والراضى دون
الساكت المذر (لا يعقلون) أي محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم فلم يصبروا بل فعلوا
معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم ببعض (ولو أنهم) اى المنادى و لراضى (صبروا) أي
حبسوا أنفسهم ومنعوها عن منادا تهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها وهو
حبس فيه شدة وصبر (حتى تخرج اليهم) من تلقاء نفسك عند فراغ ما أنت فيه مما يهمك من
واردات الحق ومصالح الخلق (لكان) أي الصبر (خيرالهم) أي من استعجالهم ايقاظك في
الهاجرة وعملوا وقرعوا الباب بالاظافر كما كان يفعل غيرهم من الصحابة قال أبو عثمان الادب
عند الاكابر يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلا والخير في الاولى والعقبى اه فانهم لو تأدبوا
لربهم لزادهم صلى الله عليه وسلم في الفضل فاعتق جميع سبيهم وأطلقهم بلا فداء (والله) أي
المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) اى ستور ذنب من تاب من جهله (رحيم) اى
يعاملهم معاملة الراحم فيسبغ عليهم نعمه وقال قتادة نزلت في ناس من أعراب تميم جاؤا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين
فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه
شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا فقام شاب منهم فذكر
فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب
النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فأجابه وقام شاعر فذكر أبياتا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمد المولى تكلم
خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان من قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهيم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل ما اعطاهم فازدرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات
الاربع الى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد

(قلت) كيف قال ذلك مع
ان العرش والكرسي
واللوح والقلم يحاذى
من كل منها الا واحد
(قلت) معناه ومن كل

الناس به وان يكن مثلكانعش فى جناحه فجاؤا فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يا محمد فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك الآية وقيل المراد بأكثرهم كلهم لان العرب تذكر الاكثر وتريد الكل احترازا عن الكذب واحتياطا فى الكلام لان الكل مالا يحيط به علم الانسان فى بعض الاشياء فيقول الاكثر وفى اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور أتى بما يناسب كلامهم وفيه اشارة الى لطيفة وهى ان الله تعالى يقول مع احاطة على بكل شئ جريت على عادتكم استحسانا لتلك العادة وهى الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا اختيارى ذلك فى كلامى دليلا قاطعا على رضاى بذلك منكم * (تنبيه) * جعل الزمخشرى أنهم من ولو أنهم فاعلا بفعل مقدر أى ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضميرا عائدا على هذا الفاعل ولكن مذهب سيبويه أنها فى محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضميرا عائدا على صبرهم المفهوم وجرى على الاول البيضاوى وعلى الثانى الجلال المحلى واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم) أى فى وقت من الاوقات (فاسق) اى خارج من ربقة الديانة (بنبا) أى خبر يعظم خطبه فيشيرشرا (فتبينوا) صدقه من كذبه فقال أكثر المفسرين نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط وهو أخو عثمان لامه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه الى بنى المصطلق بعد الوقعة واليا ومصدقا أى يأخذ منهم الصدقة وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له فى الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية فى عسكره وأمره أن يخفى عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل فى الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتى المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا (أن تصيبوا) اى بأذى (قوما) اى هم مع قوتهم النافعة لاهل الاسلام برآء مما نسب اليهم (بجهالة) اى مع الجهل بحال استحقاقهم لذلك (فتصبحوا) اى فتصيروا ولكنه عبر بذلك لان أشنع الندم ما استقبل الانسان صباحا وقت انتباهه وفراغه واقباله على لذاته (على ما فعلتم) اى من اصابتهم (نادمين) اى عريقين فى الاسف على ما فات مما اوقع الله تعالى فى نفوسكم من أمور ترجف القلوب وقال الرازى هذا ضعيف لان الله تعالى لم يقل انى أنزلتها لكذا والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه أنه قال وردت الآية لبيان ذلك حسب غاية ما فى الباب أنها نزلت فى ذلك الوقت وهو مثل تاريخ نزول الآية ومما يصدق ذلك ويؤيده ان اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه توهم وظن فاخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقا فكيف والفاسق فى أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدى القوم

حيوان خلقنا ذكرا وأنثى
أو ومن كل شئ تشاهدونه
خلقنا صنفين كالليل
والنهار والنور والظلمة
والصيف والشتاء

الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار الآية
الى غير ذلك اه وقال ابن الخازن في تفسيره وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد
على قول الفاسق وهذا أولى من حمل الآية على رجل بعينه *(تنبيه)* قوله تعالى أن
تصيبوا مفعول له كقوله تعالى أن تحبط قال الرازي معناه على مذهب الكوفيين لئلا تصيبوا
وعلى مذهب البصريين كراهة أن تصيبوا وقرأ حمزة والكسائي بعد التاء المثناة بثاء مثلثة
وبعد الباء الموحدة بتاء مثناة فوق من التثبت أي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال
والباقون بعد التاء المثناة بباء موحدة وبعدها ياء تحتية وبعدها نون من البيان (واعلموا)
اى أيتها الامة (أن فيكم) اى على وجه الاختصاص بكم ويا له من شرف (رسول الله) اى
الملك الاعظم المتصف بالجلال والاكرام فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره بالحال (لو يطيعكم)
وهو لا يحب عنتكم ولا شيأ يشق عليكم (في كثير من الامر) اى الذي تريدونه على فعله من
انه يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم وتستصوبونه ليكون فعله معكم فعل المطاوع
لغيره التابع له فينقلب حينئذ الحال ويصير المتبوع تابعا والمطاع طائعا (لعنتم) اى لأثمتم
دونه وهلكتم لان من أراد أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعا لامره فقد زين له
الشيطان الكفران وقوله تعالى (ولكن الله) اى الملك الاعظم الذي يفعل ما يريد (حبب
اليكم الايمان وزينه) اى حسنه (في قلوبكم) فالزمتم طاعته وعشقتم متابعته استدراك من
جهة المعنى لا من جهة اللفظ لبيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر
كما قال تعالى (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد
او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل قال الرازي هذه الامور
الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل المزين وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل
بالاركان فقوله تعالى كره اليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان
وأما الفسوق فقيل هو الكذب كما قاله ابن عباس قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسمى
الكاذب فاسقا وقال البيضاوي الكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد
والعصيان الامتناع عن الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان
هو الصغيرة (أولئك) اى الذين أعلى الله تعالى مقاديرهم (هم الراشدون) أي الكاملون في
الرشد ٣ الثابتون الاستقامة وعلى دينهم وفي تفسير الاصفهاني الرشد هو الاستقامة على
طريق الحق مع تصلب فيه وقوله تعالى (فضلا) مصدر منصوب بفعله المقدر أي فضل وقيل
تعليل لكره أو حبب وما بينهما اعتراض فهو امتنان عظيم ودرجة عالية (من الله) أي الملك
الاعظم الذي بيده كل شيء (ونعمة) اى وعيشا حسنا ناعما وكرامة (والله) أي المحيط بصفات
الكمال (عليم) أي محيط العلم بعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) أي بالغ
الحكمة فهو يضع الاشياء في أوفق محالها وأتقنها وكذلك وضع نعمته من الرسالة والايمان
على حسب علمه وحكمته ونزل في قصة (وان طائفتان من المؤمنين) الآية وهي ان النبي
صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن
رواحة لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قومهما ضرب بالايدي والنعال

والخير والشر والحياة والموت والبر والبحر والسماء والارض والشمس والقمر (قوله الى لكم منه نذير مبين) قاله

٣ قوله الثابتون الاستقامة الخ كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط الثابتون على دينهم اه مصححه

والبعث

والعنف وعن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهو بأرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة في حق فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقي بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه واقتتلوا بالايدي والنعال فنزلت وجمع تعالى قوله سبحانه (اقتتلوا) نظرا للمعنى لان كل طائفة جماعة وثنى الضمير في قوله تعالى (فأصلحوا) اي اوقعوا الاصلاح ليحصل الصلح (بينهما) نظرا للفظ اي أصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى (فان بغت) اي أوقعت الارادات السيئة الكائنة من النفوس التي لا تأمر بخير (احداهما) اي الطائفتين (على الاخرى) فلم ترجع الى حكم الله الذي خرجت عنه ولم تقبل الحق (فقاتلوا) اي اطلبوا وأوجدوا مقاتلة (التي تبغي) اي توقع الارادة السيئة وتصر عليها وأديموا القتال لها (حتى تفئ) اي ترجع عما صارت اليه من حر القطيعة الذي كانه حر الشمس حتى نسخه الظل الى ما كانت فيه من البرد والخير الذي هو كالظل الذي نسخته الشمس وهو معنى قوله تعالى (الى امر الله) اي التزام ما أمر به الملك الذي لا يهمل الظالم بل لابد من ان يقاصصه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالياء والباقون بتحقيقهما (فان فاءت) اي رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بامر الله الذي هو العدل (فأصلحوا) اي أوقعوا الاصلاح (بينهما بالعدل) اي بالانصاف ولا يحملنكم القتال على الحقد على المقاتلين فتحيفوا (وأقسطوا) اي وأزيلوا القسط بالفتح وهو الجور بان تفعلوا القسط بالكسر وهو العدل الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع أموركم ثم علله ترغيبا فيه بقوله تعالى مؤكدا تنبيها على أنه من أعظم ما يتمادح به وردا على من لعله يقول انه لا يلزم نفسه الوقوف عنده الاضعيف (ان الله) اي الذي بيده النصر والخذلان (يحب المقسطين) اي يفعل مع أهل العدل من الاكرام فعل المحب (انما المؤمنون) اي كلهم وان تباعدت أنسابهم وبلادهم (اخوة) أي في الدين لانتسابهم الى أصل واحد هو الايمان * ولما كانت الاخوة داعية ولابد الى الاصلاح تسبب عنها قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) كما تصلحون بين أخويكم من النسب ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمور مبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهما الشقاق وعن أبي عثمان الحيري

هذا وبعده وليس بتكرار لان الاول متعلق بترك الطاعة الى المعصية والثاني بالشرك بالله (قوله وما خلقت الجن والانس الا

ان اخوة الدين أثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب (واتقوا الله) أى الملك الاعظم فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء عند أنفسكم ان يكرمكم الذى لا قادر على الاكرام فى الحقيقة غيره بأنواع الكرامات كما رحمتم اخوانكم باكرامكم عن افساد ذات البين وعن الزهرى عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة * (تنبيه) * فى هاتين الآيتين دليل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين يدل عليه ماروى عن على بن أبى طالب سئل وهو القدوة فى قتال أهل البغى عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم قال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغى فى الشرع هو الخارج عن الامام العدل بتأويل محتمل وشوكة لهم ومطاع تحصل به قوة الشوكة وان لم يكن لهم امام والحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام أمينا فطنا ناصحا يسألهم ما ينقمون فان ذكروا مظلمة أو شبهة أزالها وان أصروا نصحهم ثم أعلمهم بالقتال فان استمهلوا اجتهد وفعل ما رآه صوابا والحكم فى قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ويرد سلاحهم وخيلهم اليهم اذا انقضت الحرب وأمنت غائلتهم ولا يستعمل فى قتال الا لضرورة ولا يقاتلون بعظيم كنار ومنجنيق الا لضرورة ولو أخذوا مالا أو أخذوا زكاة وجزية وخراجا وفرقوا اسهم المرتزقة على جندهم صح ما فعلوه وما أتلفه باغ على عادل وعكسه ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد منهما والا فعلى المتلف الضمان قال ابن سهل كانت فى تلك الفتنة دماء يعرف فى بعضها القاتل والمقتول وأتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أتلفه ولو أظهر قوم رأى الخوارج كترك الجماعات وتكفير ذى كبيرة ولم يقاتلوا فلا نتعرض لهم روى ان عليا سمع رجلا يقول فى ناحية المسجد لا حكم الا لله تعالى فقال على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال فان قاتلوا فحكمهم حكم قطاع الطريق وتفريعات أحكام البغاة مذكورة فى الفقه وفى هذا القدر كفاية واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى أوقعوا الاقرار بالتصديق (لا يسخر) أى لا يهزأ والسخرية هى أن لا ينظر الانسان الى أخيه بعين الاجلال ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته (قوم) أى ناس فيهم قوة المحاولة وهم الرجال وفى التعبير بذلك تنبيه على قيام الانسان على نفسه وكفها عما تريده من النقائص منكرا لما أعطاه الله تعالى من القوة (من قوم) أى من رجال فان ذلك يوجب الشر لان اضعف الناس اذا استهزئ به قوى لما يثور عنده من حظ النفس فقال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر أى ثقل فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فأقبل ذات يوم وقد فاتته

يعبدون) لا ينافى ذلك عدم عبادة الكافر لان الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك بريت القلم لاكتب به فانه قد لا يكتب به أو لان ذلك عام اريد به

ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فضن اى بخل كل رجل منهم بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما فلما فرغ ثابت من صلاته أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس و يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بينه و بينه رجل فقال له تفسح فقال الرجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا فقال له أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر أما له كان يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه فاستحيا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحاك نزلت فى وفد تميم كانوا يستهزؤن بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبيب و بلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم ومعنى الآية لا تحقروا اخوانكم ولا تستصغروهم ثم علل النهى بقوله تعالى (عسى) اى لانه جدير وخليق لهم (أن يكونوا) اى المستهزأ بهم (خيرا منهم) فينقلب الامر عليهم وتكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان أحول كلبا وقال القشيرى ما استصغر أحد أحدا الا سلط عليه ولا ينبغى ان يغتر بظاهر أحوال الناس فان فى الزوايا خبايا والحق سبحانه يستر أولياءه فى حجاب الظنة وكذا فى الخبر كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (ولا) يسخر (نساء من نساء) ثم علل النهى بقوله تعالى (عسى) اى ينبغى أن يخفن من (أن يكن) اى المسخور بهن (خيرا منهن) اى الساخرات روى انها نزلت فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس انها نزلت فى صفية بنت حيى بن اخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين * (تنبيهان) * أحدهما قال الرازى القوم اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الاطفال لانه جمع قائم والقائم بالامور هم الرجال وعلى هذا ففى افراد الرجال والنساء فائدة وهى ان عدم الالتفات والاستحقار انما يصدر فى أكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة فى نفسها ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضم فالمرأة لا يوجد منها استحقار الرجل لانها مضطرة اليه فى رفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد فيهن ذلك ٣ الثانى فى حكمة قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم هى أنهم اذا وجد منهم التكبر المفضى الى احباط العمل جعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابليس حيث لم يلتفت الى آدم وقال انا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى يكونوا أى يصيروا فان من استحقر انسانا لفقره أو ضعفه لا يأمن ان يفتقر هو ويستغنى الفقير ويقوى الضعيف (ولا تلمزوا) اى تعيبوا على وجه الخفية (أنفسكم) بان يعيب بعضكم بعضا باشارة أو نحوها فكيف اذا كان على وجه الظهور فانكم فى التواصل والتراحم كنفس واحدة أو يعمل الانسان ما يعاب به فيكون الانسان قد لمز نفسه أو يلمز غيره فيكون لمزه له سببا لان يبحث عن عيوبه فيلمزه فيكون هو الذى لمز نفسه (ولا تنابزوا بالالقاب) اى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء واختلف فى هذا اللقب فقال عكرمة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال

الخصوص بدليل قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة (قوله وما اريد ان يطعمون) وان

٣ قوله فيهن كذا بالنسخ بايدينا والظاهر فيهما أو فيهم اه مصححه

الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقال عطاء هو ان يقول الرجل لاخيه يا حمار يا خنزير وعن ابن عباس التنابز بالالقاب هو ان يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهى ان يعير بما سلف من عمله والحاصل انه يحرم تلقيب الشخص بما يكره وان كان فيه كالاعور والاعمش ويجوز ذكره بنية التعريف لمن لا يعرفه الا به واما ألقاب المدح فنعما هي فقد لقب الصديق بعتيق وعمر بالفاروق وحمزة باسد الله وخالد بن الوليد بسيف الله وما زالت الالقاب الحسنة فى الجاهلية والاسلام قال الزمخشري الا ما أحدثه الناس فى زماننا من التوسع حتى لقبوا السفلة بالالقاب العلية وهب أن العذر مبسوط فما أقول ان ليس من الدين فى قبيل ولا دبير فلان الدين لعمري والله انها الغصة التى لا تساغ ومعنى اللقب اسم زائد على الاسم يشعر بضعة المسمى أو رفعته والمقصود به الشهرة فما كان مكروها نهى عنه ويسن ان يكنى أهل الفضل الرجال والنساء وان لم يكن لهم ولد وأما التكنى بابى القاسم فهو حرام وقيل انما يحرم فى زمانه صلى الله عليه وسلم فقط وقيل انما يحرم على من اسمه محمد ولا يكنى كافر ولا فاسق ولا مبتدع لان الكنية للتكرمة وليسوا من أهلها بل أمرنا بالاغلاظ عليهم الا لخوف فتنة من ذكره باسمه أو تعريف كما قيل به فى قوله تعالى تبت يدا أبى لهب واسمه عبد العزى ولا بأس بكنية الصغير ويسن ان يكنى من له أولاد باكبر أولاده ويسن لولد الشخص وتلميذه وغلامه أن لا يسميه باسمه والادب أن لا يكنى الشخص نفسه فى كتاب أو غيره الا ان كان لا يعرف بغيرها أو كانت أشهر من الاسم *(تنبيه)* ذكر فى الآية ثلاثة أمور مرتبة بعضها دون بعض كما علم من تقريرها (بئس الاسم) اى المذكور من السخرية واللمز والتنابز وقوله تعالى (الفسوق) اى الخروج من ربقة الدين (بعد الايمان) بدل من الاسم لافادة انه فسق لتكرره عادة وروى ان الآية نزلت فى صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم (ومن لم يتب) اى يرجع عما نهى الله عنه فخفف على نفسه ما كان شدد عليها (فاولئك) اى البعداء من الله تعالى (هم الظالمون) اى العريقون فى وضع الاشياء فى غير مواضعها وأدغم أبو عمرو والكسائى الباء فى الفاء واختلف عن خلاد والباقون بالاظهار (يا أيها الذين آمنوا) أى اعترفوا بالايمان وان كانوا فى أول مراتبه (اجتنبوا) اى كلفوا أنفسكم أن تتركوا وتبعدوا وتجعلوا فى جانب بعيد عنكم (كثيرا من الظن) اى فى الناس وغيرهم واحتاطوا فى كل ظن ولا تمادوا معه حتى تجزموا بسببه *(تنبيه)* أفهم ذلك ان من الظن ما لا يجتنب كما فى الاجتهاد حيث لا قاطع وكما فى ظن الخير فى الله تعالى ففى الحديث أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى الا خيرا بل قد يجب كما فى قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق الى

قوله
[ف]ان قلت ما فائدة ذكره بعد قوله
ما أريد منهم من رزق (قلت)
فائدته افادة حكم زائد على
ما قبله اذ المعنى ما أريد
منهم ان يطعموا أنفسهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان
عندك فضل من طعام فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله
فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل
فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا له لو بعثناه الى بئر سميحة
لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله
يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما فقال ظللتم تأكلون لحم أسامة وسلمان فأنزل الله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقوله تعالى (ان بعض الظن اثم) تعليل مستأنف
للامر قال صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث والاثم الذنب الذي
يستحق العقوبة عليه وجعل الزمخشري همزه بدلا من واو وقال لانه يثم الاعمال أي يكسرها
قال ابن عادل وهذا غير مسلم بل تلك مادة أخرى قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم
وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقوله تعالى (ولا
تجسسوا) حذف منه احدى التاءين أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها قال
صلى الله عليه وسلم لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد
الله اخوانا وقال عليه الصلاة والسلام يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه
لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك
وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك وقيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن
عقبة تقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس وان يظهر لنا شيأ نأخذ به * (تنبيه) * قرأ
ولا تنابزوا ولا تجسسوا ولتعارفوا البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد * ولما
كانت الغيبة أعم من التجسس قال (ولا يغتب) اى ولا يتعمد أن يذكر (بعضكم بعضا) اى في
غيبته بما يكره قال القشيري وليس تحصل الغيبة للخلق الا من الغيبة عن الحق وقال أبو
حيان قال ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان
كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
فقالوا لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتموه فقالوا
انما حدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت أخاك بما فيه وفي هذا اشارة الى وجوب حفظ
عرض المؤمن فان تمزيق عرض الانسان كتمزيق أديمه ولحمه كما قال تعالى (أيحب أحدكم أن
يأكل لحم أخيه) وقرأ (ميتا) نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون ولما كان الجواب قطعا
لا يحب أحد ذلك أشار اليه بما سببه من قوله تعالى (فكرهتموه) أي بسبب ما ذكر طبعا
فأولى ان تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لان داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع أعمى جاهل

وما أريد منهم ان يطعموا
عبيدي وانما أضاف
تعالى الاطعام الى نفسه
لان الخلق عيال الله وعبيده
ومن أطعم عيال غيره فكأنه

(تنبيه) فى هذا التشبيه اشارة الى أن عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان أشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك أشد ألما وقوله تعالى لحم أخيه آكد فى المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفى قوله تعالى ميتا اشارة الى دفع وهم وهو أن يقال ان الشتم فى الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم فيقال لحم الاخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو فى غاية القبح كما انه لو اطلع عليه لتألم فان الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو ان الاغتياب أكل لحم الآدمى ميتا ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمى فلا يأكل لحم الآدمى فكذلك المغتاب اذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب قال مجاهد لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اى كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال الرازى وفى ضمير فكرهتموه وجوه أظهرها أن يعود الى الاكل وثانيها أن يعود الى اللحم اى فكرهتم اللحم وثالثها أن يعود الى الميت فى قوله تعالى ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة فى التحذير يعنى الميتة ان أكلت فى الندرة تستطاب نادرا ولكن اذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغى أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة الى حد لا يشتهى الانسان أن يبيت فى بيت فيه ميت فكيف يقرب به بحيث يأكله ففيه اذا كراهية شديدة وكذلك حال الغيبة وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لما عرج بى مررت بقوم لهم أظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم وقال ميمون بن سنان بينا أنا نائم اذا أنا بجيفة زنجى وقائل يقول لى كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال انك اغتبت عبد فلان قلت والله ماذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده وقوله تعالى (واتقوا الله) اى اجعلوا بينكم وبين الملك الاعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الاوامر والنواهى اى اجتنبوا واتقوا الله (ان الله) اى الملك الاعظم (تواب) اى مكرر للتوبة وهى الرجوع عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التائب وان كرر الذنب فلا ييأس أحد وان كثرت ذنوبه وعظمت (رحيم) يزيده على ذلك بان يكرمه غاية الاكرام *(تنبيه)* ختم سبحانه وتعالى الآيتين بذكر التوبة فقال فى الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتداء فى الآية الاولى بالنهى فى قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر النفى الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالامر فى قوله تعالى اجتنبوا كثيرا فذكر الاثبات الذى هو قريب من الامر وقوله تعالى (يا أيها الناس) اى كافة المؤمن وغيره (انا) اى على ما لنا من العظمة (خلقناكم) اى أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير (من ذكر وأنثى) الآية

اطعمه ويؤيده خبران الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى اى استطعمك عبدى فلم تطعمه

مبين ومقررا لما تقدم لان التفاخر به من الغير وغيبته ان كان ذلك بسبب غير الدين والايمان فلا يجوز لان الناس بعضهم بعض كافرهم ومؤمنهم يشتركون فيما يفتخر به المفتخر لان التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسيبا والمؤمن مولى وعبدا أسود وبالعكس فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون ومتقاربون ولا يؤثر شيء من ذلك مع عدم التقوى كما قال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم فقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى اى آدم وحواء فانتم متساوون فى النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونهم ابناء رجل واحد وامرأة واحدة قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس وقوله للرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يا رسول الله فقال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا فى الدين والتقوى فنزلت هذه الآية ونزل فى الذى لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس الآية وقال قتادة لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن أسيد بن ابى العيص الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد أغير من هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان انى لا أقول شيأ أخاف أن يخبره به رب العالمين رب السموات فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالوه فدعاهم وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء * (تنبيه) * الحكمة فى اختيار النسب مع ان غيره من جملة أسباب التفاخر ولم يذكر الامور التى يفتخر بها فى الدنيا وان كانت كثيرة لان النسب أعلاها لان المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار الغنى المفتخر به عليه والسمن والحسن وغير ذلك لا يدوم والنسب ثابت مستقر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختاره الله تعالى للذكر وأبطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى (فان قيل) اذا كان ورود الآية لبيان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة قوله تعالى انا خلقناكم (أجيب) بان فائدته ان كل شيء يترجح على غيره فاما ان يترجح بامر فيه يلحقه ويترتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح عليه بامر قبله فالذى بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء وأما الذى قبله فاما راجع الى أصله الذى وجد فيه او الى الفاعل الذى أوجده فالاول كقولك هذا من نحاس وهذا من فضة والثانى كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى لا ترجيح بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله تعالى فان كان عندكم تفاوت فهو بامور تحصل لكم بعد وجودكم وأشرفها التقوى * ولما كان تفصيلهم الى فرق كل منها يعرف به أمرا باهرا عبر فيه بنون العظمة فقال تعالى (وجعلناكم) اى بعظمتنا (شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهو أعلى طبقات الانساب مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج (وقبائل) اى تحت الشعوب وذلك ان طبقات النسل التى عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما

* (سورة الطور) *

(قوله وزوجناهم بحور عين) * ان قلت كيف قال ذلك مع ان الحور العين فى الجنة مملوكات ملك يمين

قبيلة فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وعبد مناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة قال البغوى وليس بعد العشيرة حى يوصف اه وسمى الشعب شعبا لتشعب القبائل منه واجتماعهم به كتشعب أغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعب اى جمع ومنه شعب القدح وشعب اى فرق والقبائل واحدها قبيلة سميت بذلك لتقابلها شبهت بقبائل الرأس وهى قطع متقابلة وقيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والاسباط فى بنى اسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يبغضون العرب والعمائر واحدتها عمارة بفتح العين والبطون واحدتها بطن والفصائل واحدتها فصيلة والعشائر واحدتها عشيرة وقال ابو روق الشعوب الذين لا يعتزون الى أحد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون الى آبائهم ثم ذكر تعالى علة الشعب بقوله تعالى (لتعارفوا) اى ليعرف الانسان من يقاربه فى النسب ليصل من رحمه ما يحق له لا لتفاخروا (ان اكرمكم) أيها المتفاخرون (عند الله) اى الملك الذى لا أمر لاحد معه ولا كريم الا من أخبر بكرمه ولا كمال لاحد سواه (أتقاكم) اى أرفعكم منزلة عند الله أتقاكم قال قتادة فى هذه الآية أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور وقال عليه الصلاة والسلام الحسب المال والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه وهو عصا محنية الرأس فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى اذهب عنكم عيبة الجاهلية يعنى كبرها وتفخرها الناس رجل تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وعن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبى الله بن نبى الله بن نبى الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألونى قالوا نعم قال خياركم فى الجاهلية خياركم فى الاسلام اذا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا أحكام الشرع وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم قال الرازى فى المراد بالآية وجهان الاول ان التقوى تفيد الاكرام الثانى ان الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاول أشهر والثانى أظهر (فان قيل) التقوى من الاعمال والعلم أشرف لقوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد (أجيب) بان التقوى ثمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى الا لعالم فالتقى العالم أتم علما والعالم الذى لا يتقى كشجرة لا ثمر لها لكن الشجرة المثمرة أشرف من التى لا تثمر بل هى حطب قال الحسن البصرى انما الفقيه العامل بعلمه اى وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ومن قوله عز من قائل قل هل يستوى الذين يعلمون

لا ملك نكاح (قلت) معناه قرناهم بين قولك زوجت ابلى اى قرنت بعضها ببعض وليس من التزويج الذى هو عقد

والذين لايعاونون (فان قيل) خطاب الناس بقوله تعالى أكرمكم يقتضى اشتراك الكل فى الاكرام ولا كرامة للكافر فانه أضل من الانعام (اجيب) بان ذلك غير لازم مع انه حاصل بدليل قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استمر عليه وزاد زيد فى كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أكثر الكرامة (ان الله) اى المحيط بكل شئ علما وقدرة (عليم) اى بالغ العلم بظواهركم يعلم أنسابكم (خبير) اى محيط العلم ببواطنكم لاتخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم ولما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاتقى لا يكون الا بعد حصول التقوى وأصله الايمان والاتقاء من الشرك (قالت الاعراب) اى اهل البادية من بنى أسد وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفاء (آمنا) اى بجميع ما جئت به فامتثلنا ما أمرنا به فى هذه السورة ولنا النسب الخالص فنحن أشرف من غيرنا من اهل المدر (قل) يا أشرف الخلق تكذيبا لهم مع مراعاة الادب فى عدم التصريح بالتكذيب (لم تؤمنوا) اى لم تصدق قلوبكم لانكم لو آمنتم لم تمنوا الان الايمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذى منه انه لولا منه بالهداية لم يحصل الايمان فلله ولرسوله الذى كان ذلك على يديه المن والفضل (ولكن قولوا اسلمنا) أى أظهرنا الانقياد فى الظاهر للاحكام الظاهرة وأمنا من ان نكون حربا للمؤمنين وعونا للمشركين فاخبر الله تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام هو الدخول فى السلم كما يقال أشتى اذا دخل فى الشتاء وأصاف اذا دخل فى الصيف وأربع اذا دخل فى الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا (ولما يدخل الايمان) اى المعرفة التامة لم تدخل الى هذا الوقت (فى قلوبكم) فلا يعد اقرار اللسان ايمانا الا بمواطأة القلب قال ابن برجان فعموم الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين * وعن سعد بن أبى وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو أعجبهم الى فقمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت مالك عن فلان والله انى لاراه مؤمنا فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال انى لاعطى الرجل وغيره أحب لى منه خشية ان يكب فى النار على وجهه وقال الرازى المسلم والمؤمن واحد عند أهل السنة فنقول الفرق بين العام والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم لكن العام فى صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان فى صورة الانسان أمر لا ينفك عن الانسان فلا يجوز أن يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان فى العموم متحدان فى الوجود وكذلك المؤمن والمسلم وسيأتى زيادة على ذلك فى الذاريات ان شاء الله تعالى وقال الرازى فى الآية اشارة الى بيان حال المؤلفة اذا أسلموا ويكون ايمانهم ضعيفا قال لهم لم تؤمنوا الان الايمان ايقان وذلك بعد لم يدخل فى قلوبهم وسيدخل باطلاعهم على محاسن الاسلام اه بل الايمان دخل فى قلوبهم ولكن لم

الـنكاح ويؤيده ان ذلك
لا يهدى بالباء بل بنفسه كما
قال تعالى زوجناكها (قوله
كل امرئ بما كسب رهين)

يتأفوا باهل الاسلام *(تنبيه)* التعبير بلما يفهم انهم آمنوا بعد ذلك ويجوز أن يكون المراد بهذا النفي نفي التمكن في القلب لا نفي مطلق الدخول بدليل انما المؤمنون دون انما الذين آمنوا (وان تطيعوا الله) أي الملك الذي من خالفه لم يأمن عقوبته (ورسوله) اى الذى طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من الامر الظاهر فتؤمن قلوبكم (لا يالتكم) أي لا ينقصكم (من اعمالكم شيأ) بل يعطيكم ما يليق به من الجزاء لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة قدرثمنها في السوق درهم فاعطاه الملك درهما انتسب الملك الى البخل فهو يعطى ما تتوقعون باعمالكم وزيادة من غير نقص فلا حاجة الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال وقرأ الدوري عن أبي عمرو بعد الياء التحتية بهمزة ساكنة وأبدلها السوسي ألفا والباقون بغير همز ولا ألف* ولما كان الانسان مبنيا على النقص وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله تعالى (ان الله) اى الذى له صفات الكمال (غفور) اى ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ولغيره ان شاء فلا عتاب ولا عقاب (رحيم) اى يزيد على الستر عظيم الاكرام ثم بين تعالى لهم حقيقة الايمان بقوله تعالى (انما المؤمنون) اى العريقون في الايمان الذى هو حياة القلوب قال القشيري والقلوب لا تحيا الا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تعيش (الذين آمنوا) اى صدقوا معترفين (بالله) معتقدين جميع ماله من صفات الكمال (ورسوله) شاهدين برسالته وهذا الاثبات هنا يدل على ان المنفي فيما قبل الكمال المطلق والا لقال تعالى انما الذين آمنوا (ثم لم يرتابوا) اى لم يشكوا في دينهم وأيقنوا بان الايمان ايقان* (تنبيه)* ثم للتراخي في الحكاية كانه يقول آمنوا ثم أقول شيأ آخر لم يرتابوا ويحتمل أن تكون للتراخي في الفعل اى آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فيما نقل النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر (وجاهدوا) اى أوقعوا الجهاد بكل ما ينبغي أن تجهد النفوس فيه تصديقا لما ادعوه بألسنتهم من الايمان (باموالهم) وذلك هو النية وقوله تعالى (وانفسهم) أعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة وقدم الاموال لقلتها عند العرب (في سبيل الله) اى طريق الملك الاعظم بقتال الكفار وغيره من سائر العبادات المحتاجة الى المال والنفس لا الذين يتخلفون ويقولون شغلتنا أموالنا وأهلونا قال القشيري جعل الله تعالى الايمان مشروطا بخصال ذكرها وذكره بلفظ انما وهي للتحقيق يقتضي الطرد والعكس فمن أفرد الايمان عن شرائطه التي جعلها الله فردود عليه قوله (أولئك) اى العالو الرتبة (هم الصادقون) اى في قولهم وفعلهم انهم مؤمنون ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعلم الله منهم غير ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى لهؤلاء الاعراب مجهلا لهم وموبخا (أتعلمون الله) اى اتخبرون اخبارا عظيما الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما (بدينكم) اى بقولكم آمنا (والله) اى والحال ان الملك المحيط بكل شئ (يعلم ما في السموات) كلها على عظمها وكثرة ما فيها (وما في الارض) كذلك (والله) اى الذى له الاحاطة الكاملة (بكل شئ) اى مما ذكر ومما لم يذكر (عليم) اى لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ (يمنون عليك) اى يذكرون ذكر من اصطنع صنيعة وأسدى اليك نعمة (أن اسلموا) اى من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم* ولما كان المن هو القطع من العطاء الذى لا يراد عليه جزاء

قال

*ان قلت كيف قال تعالى في وصف أهل الجنة ذلك مع ان المعنى كل امرئ مرهون في النار بعمله

قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى فى جواب قولهم هذا (لا تمنوا على اسلامكم) لو فرض انكم كنتم متدينين بدين الاسلام الذى هو انقياد الظاهر مع اذعان الباطن أى لا تذكروا الامتنان أصلا لان الاسلام لا يطلب جزاؤه الا من الله تعالى فلا ينبغى عده صنيعة على أحد فان ذلك يفسده (بل الله) أى الملك الاعظم الذى له المنة على كل موجود ولا منة عليه بوجه (يمن عليكم) أى يذكر أنه اسدى اليكم نعمه (أن) أى بأن (هداكم للايمان) اى فهو المنان عليكم لا أنتم عليه وعلى (فان قيل) كيف من عليهم بالهداية الى الايمان مع أنه تبين أنهم لم يؤمنوا (أجيب) باوجه احدها انه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم أن رزقكم الايمان بل قال أن هداكم للايمان ثانيها انه تعالى من عليهم بما زعموا فكأنه تعالى قال أنتم قلتم آمنا فذلك نعمة فى حقكم حيث تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم فى زعمكم ولهذا قال تعالى (ان كنتم صادقين) اى فى قولكم آمنا فانه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله تعالى وهو الذى خلق لكم قدرة الطاعة فهو الفاعل فى الحقيقة فله المنة عليكم قال القشيرى من لاحظ شيأ من أحواله فان رآها من نفسه كان مشركا وان رآها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو شرك أو مكر والذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا لعمرى فضيحة والمنة تكدر الصنيعة اذا كانت من المخلوقين وبالمنة تطيب النعمة اذا كانت من قبل الله تعالى (ان الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يعلم غيب السموات) أى ما غاب فيها كلها (والارض) كذلك ولما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين اظهر ولم يضمر قوله تعالى (والله) اى الذى له الاحاطة بذلك وبغيره مما لا تعلمون (بصير) اى عالم أتم العلم (بما تعملون) أى من ظاهر اسلامكم فى الماضى والحاضر والآتى سواء أكان ظاهرا أم باطنا سواء أكان قد حدث فصار بحيث تعلمونه انتم او كان مغروزا فى جبلاتكم وهو خفى عنكم وقرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة نظرا لقوله تعالى يمنون وما بعده والباقون بالفوقية على الخطاب نظرا الى قوله تعالى لا تمنوا على اسلامكم الى آخره وفى هذه الآية اشارة الى أنه يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه شئ وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه حديث موضوع

سورة ق مكية

الا قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الآية فمدنية وهى خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

(بسم الله) أى الذى احاط علمه بجميع خلقه العاكف منهم والباد (الرحمن) اى الذى عم خلقه برحمته حين أرسل اليهم بشرا نعمه أصدق العباد (الرحيم) أى الذى خص بالفوز فى دار القرار أهل الرشاد واختلف فى تفسير قوله عز من قائل (ق) فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء القرآن وقال القرطبى هو مفتاح اسمه قدير وقادر وقاهر وقريب وقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفاها ويقال هو وراء الحجاب الذى تغيب الشمس

(قلت) بل المعنى كل نفس مرهونة بالعمل الصالح الذى هى مطالبة به فان عمل صالحا فكها والا اوبقها أو الجملة من صفات

من ورائه بسير سنة وقيل متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها قال الرازي وهذا القول ضعيف لوجوه أحدها ان اكثر القراء يقف عليها ولو كان اسم جبل لما جاز الوقف في الادراج لان من قال ذلك قال ان الله تعالى أقسم به ثانيها انه لو كان كما ذكر لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وفي جميع المصاحف تكتب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الامر فيه كالامر في ص ون وحم وهي حروف لا كلمات فكذلك في ق (فان قيل) هو منقول عن ابن عباس (نقول) المنقول عنه ان القاف اسم جبل واما ان المراد ههنا ذلك فلا اه وقيل معناه قضي الامر وقضي ما هو كائن كما قالوا في حم ٣ وفي ص صدق الله قال الرازي وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن ليكون السامع بسببها يقبل على استماع ما يرد على الاسماع فلا يفوته شيء من الكلام الرائق والمعنى الفائق وذكرنا أيضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارحية ظاهرة ووجد في الجارحية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرمي والسعي وغيرهما ووجد في القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد وامكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق الرسل ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الأحد من السيف الارق من الشعر والميزان الذي توزن به الاعمال فكذلك ينبغي أن تكون الاذكار التي هي العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه كجميع القرآن الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به لمحض الانقياد للامر لا لما يكون في الكلام من طيب الحكاية والقصد الى غرض كقولك ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تعبدا محضا ويؤيد هذا وجه آخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها لان الله تعالى لما أقسم بالتين والزيتون كان تشريفا لهما فاذا أقسم بالحروف التي هي أصل الكلام الشريف الذي هو دليل المعرفة وآلة التعريف كان أولى واذا عرفت هذا فنقول القسم من الله تعالى وقع بامر واحد كما في قوله تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كما في قوله تعالى ص و ن ووقع بامرين كما في قوله تعالى والضحى والليل وفي قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما في قوله تعالى طه وطس وحم ووقع بثلاثة امور كما في قوله تعالى والصافات فالزاجرات فالتاليات وقوله تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وبثلاثة أحرف كما في قوله تعالى الم وطسم الر ووقع بأربعة أمور كما في قوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات وفي قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين وبأربعة أحرف كما في قوله تعالى المص والمر ووقع بخمسة أمور كما في قوله تعالى والطور وكتاب مسطور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله تعالى والمرسلات فالعاصفات والناشرات فالفارقات فالملقيات وفي النازعات وفي الفجر وبخمسة أحرف كما في قوله تعالى كهيعص وحم عسق ولم يقسم باكثر من خمسة أشياء الا في سورة واحدة وهي والشمس وضحاها ولما أقسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وحم وق لان القسم لما كان بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم

٣ قوله كما قالوا في حم الخ عبارته في سورة المؤمن وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كائن كأنهما أشارا الى أن معنى حم حم بضم الحاء وتشديد الميم اه

أهل النار معترضة بين صفات أهل الجنة روي عن مقاتل انه قال معناه كل امرئ كافر عامل من الكفر مرتهن في النار

تسوية بين الحرف وغيره ولم يدخل القسم بالحروف في أثناء السورة لانه يخل بالنظم وقوله
تعالى (والقرآن) أي الكتاب الجامع الفارق (المجيد) أي الذي له العلو والشرف والكرم
والعظمة على كل كلام قسم وفي جوابه أوجه أحدها قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم
ثانيها ما يبدل القول لدي ثالثها ما يلفظ من قول رابعها ان في ذلك لذكرى خامسها بل
عجبوا وهو قول كوفي قالوا لان معناه قد عجبوا سادسها انه محذوف قدره الزجاج والمبرد
والاخفش لتبعثن وغيرهم لقد جاءكم منذر وقدره الجلال المحلي بقوله ما آمن كفار مكة بمحمد
صلى الله عليه وسلم *(تنبيه)* جوابات القسم سبعة ان المشددة كقوله تعالى والعصر ان
الانسان لفي خسر وما النافية كقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك واللام
المفتوحة كقوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وان الخفيفة كقوله تعالى تالله ان كنا لفي
ضلال مبين ولا النافية كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وقد
كقوله تعالى والشمس وضحاها قد أفلح من زكاها وبل كقوله تعالى والقرآن المجيد (بل)
أي ان تكذيبهم ليس لانكار شيء من مجدك ولا انكار صدقك بل لانهم (عجبوا) أي الكفار
واضمرهم قبل الذكر اشارة الى أنه اذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم
والعجب تغير النفس لامر خارج عن العادة (أن جاءهم منذر منهم) أي رسول من أنفسهم
يخوفهم بالنار بعد البعث واقتصر على الانذار لان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو من علمه بالسلام أو غيره والتخويف من أنكر البعث والعجب منهم هو
العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس انه اذا كان النذير منهم لم يداخلهم في انذاره شك
بوجه من الوجوه وهؤلاء خالفوا عادة الناس في تعجبهم من كون النذير وهو أحدهم خص
بالرسالة دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم فلذلك أنكروا رسالته وفضل كتابه
بالسنتهم تمادوا وحسدا لانهم كانوا معترفين بخصائصه التي رفعه الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة
فظلمهم عجبهم ذلك الى الحضيض من دركات السفه وخفة الاحلام لانهم عجبوا أن كان الرسول
بشرا وأوجبوا أن يكون الاله حجرا وعجبوا أن يعادوا من تراب لم يكن له أصل في الحياة ولذلك
سبب عنه قوله تعالى (فقال) أي بسبب انذاره بالبعث (الكافرون) وصرح به في موضع
الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم شيء من أمره ولكنهم ستروا تعديا بر أي عقولهم الدالة على
جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل على النذارة لانها المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع
سياق المعجزات ظاهر فيها (هذا) أي كون النذير منا خص بالرسالة من دوننا وكون ما أنذر به
هو البعث بعد الموت (شيء عجيب) أي بليغ في الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا في ذلك أما
من جهة النذير فان أكثر الرسل من الطوائف الذين أرسلوا اليهم وقليل منهم من كان
غريبا ممن أرسل اليه وأما من جهة البعث فان أكثر ما في الكون مثل ذلك من اعادة كل من
الملوين بعد ذهابه واحياء الارض بعد موتها واخراج النبات والاشجار والثمار وغير ذلك مما
هو ظاهر جدا * ولما كان المتعجب منه مجملا أوضحه بقوله تعالى حكاية عنهم مبالغين في الانكار
بافتتاح انكارهم باستفهام انكاري (أئذا متنا) ففارقت ارواحنا ابداننا (وكنا ترابا) لا فرق
بينه وبين تراب الارض ولما كان العامل في الظرف ما تقديره نرجع دل عليه بقوله تعالى دالا

والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين (قوله ويطوف عليهم) قاله هنا وفي الانسان

بالاشارة بأداة البعد الى عظيم استبعادهم (ذلك) اى الامر الذى فى غاية البعد وهو مضمون
الخبر برجوعنا (رجع) اى رد الى ما كنا عليه (بعيد) جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب
وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية وهى المكسورة وبادخال ألف بينها وبين الهمزة
الاولى المفتوحة وقرأ ورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وقرأ الباقون بتحقيقهما
وأدخل هشام بينهما ألفا بخلاف عنه والباقون بغير ادخال وكسر الميم من متنا نافع وحفص
وحمزة والكسائى والباقون بالضم وقوله تعالى (قد علمنا) اى بما لنا من العظمة (ما تنقص
الارض منهم) أى تأكل من اجزائهم المتحللة من ابدانهم بعد الموت وقيل رد لاستبعادهم لان
من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من اجزاء الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم
كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا وعنه عليه الصلاة والسلام كل ابن آدم يبلى الا عجب
الذنب وعن السدى ما تنقص الارض منهم من يموت منهم ومن يبقى وهذه الآية تدل على جواز
البعث وقدرته تعالى عليه لان الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتى لا يشتبه عليه جزء واحد
بجزء الآخر قادر على الجمع والتأليف فليس الرجع منه ببعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق
العليم حيث جعل للعلم مدخلا فى الاعادة وهذا جواب ما كانوا يقولون أئذا ضللنا فى الارض
اى انه تعالى كما يعلم أجزاءهم يعلم اعمالهم فيرجعهم ويعيدهم بما كانوا يقولون وبما كانوا
يعملون (وعندنا) اى على ما لنا من الغنى عن كل شئ (كتاب) أى جامع لكل شئ (حفيظ) اى
بالغ فى الحفظ لا يشذ عنه شئ من الاشياء جل أو دق وقيل محفوظ من الشياطين ومن أن يندرس
او يتغير وعلى الحالين الحفيظ هو اللوح المحفوظ قال الرازى والاول هو الاصح لان الحفيظ
بمعنى الحافظ وارد فى القرآن قال الله تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليهم
ولان الكتاب للتمثيل ومعناه العلم عندى كما يكون فى الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن
أن يحفظ وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) اى الامر الثابت الذى لا أثبت منه اضراب ثان قال
الزمخشرى اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو
التكذيب بالحق (لما) أى حين (جاءهم) أى لما ثار عندهم من اجل تعجبهم من ارسال رسولهم
من حظوظ النفوس حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه ولا تدبر ولا نظر فيه ولا تذكر فلذلك قالوا
ما لا يعقل من أن من قدر على ايجاد شئ من العدم وابدائه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له
(فهم) اى لاجل مبادرتهم الى هذا القول السفساف (فى امر مريج) أى مضطرب جدا مختلط
من المرج الذى هو اختلاط النبت بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة
وتارة شعر وتارة كذب وتارة غير ذلك لا يثبتون على شئ واحد والاضطراب موجب
للاختلاف وذلك أدل دليل على الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك أدل
دليل على الحقية قال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج أمرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس
عليهم دينهم ثم ذكر تعالى الدليل الذى يدفع قولهم ذلك رجع بعيد بقوله تعالى (أفلم ينظروا) اى
بعين البصر والبصيرة (الى السماء) اى المحيطة بهم (فوقهم) فان غيرها انما هو فوق ناس منهم
لا فوق الكل (كيف بنيناها) أى اوجدناها على ما لنا من الجد والعزمية كالخيمة الا انها
من غير عمد (وزيناها) أى بما فيها من الكواكب الكبار والصغار السيارة والثابتة (وما) أى

بالواو عطفا على ما قبله وقاله
فى الواقعة بغيروا ولانه
حال أو خبر بعد خبر (قوله
فما أنت بنعمت ربك بكاهن
ولا مجنون) ان قلت كيف

والحال ان ما (لها) وأكد النفي بقوله تعالى (من فروج) أي فتوق وطاقات وشقوق بل هي ملساء متلاصقة الاجزاء (والارض) اى المحيطة بهم التى هم عليها (مددناها) أى بسطناها بما لنا من العظمة (وألقينا) أى بعظمتنا (فيها رواسى) أى جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها وخالفت عادة المراسى فى أنها من فوق والمراسى التى تعالجونها أنتم من تحت (وانبتنا) اى بما لنا من العظمة (فيها) اى الارض وعظم قدرته بالتبعيض فقال تعالى (من كل زوج) أى صنف من النبات تزواجت اشكاله (بهيج) اى هى فى غاية الرونق والاعجاب فكان مع كونه رزقا منتزها (تبصرة) اى جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل أن تنظروا بابصاركم وتتفكروا ببصائركم فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ماله من العظمة (وذكرى) اى ولتتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم من القوى والقدر فتعلموا بعجزكم عن كل شئ من ذلك ان صانعها لا يعجزه شئ وانه محيط بجميع صفات الكمال وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح * (تنبيه) * قال الرازى يحتمل أن يكون الامران عائدين الى السماء والارض أى خلق السماء تبصرة وخلق الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير متجددة فى كل عام فهى كالشئ المرئى على ممر الزمان وأما الارض فهى كل سنة تأخذ زينتها وزخرفها فتذكر فالسماء تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامرين موجودا فى كل واحد من الامرين فالسماء تبصرة وتذكرة والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيهما آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسى (لكل عبد) أى لتبصر وتذكر كل عبد بما له من النقص وبما دل عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مربوب لصانعه (منيب) أى رجاع عما حطه اليه طبعه الى ما يغلبه عليه عقله فيرجع من شهود هذه الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات ثم ذكر تعالى دلالة بقوله تعالى (ونزلنا من السماء) أى المحل العالى الذى لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر الا بقاهر (ماء) أى شيأ فشيأ فى اوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا التى لا تضاهى لغاب بما له من الثقل والميوع والنفوذ فنزل دفعة واحدة فاهلك ما نزل عليه فزالت المسرة وعادت المنفعة مضرة (مباركا) أى نافعا جدا كثير البركة وفيه حياة كل شئ وهو المطر فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو انزال الماء من فوق واخراج النبات من تحت (فانبتنا) أى بما لنا من القدرة الباهرة (به جنات) من الشجر والثمر والزرع والريحان وغيره مما تجمعه البساتين فتجن اى تستر الداخل فيها (وحب الحصيد) أى النجم الذى من شأنه أنه يحصد كالبر والشعير ونحوهما وقوله تعالى (والنخل) منصوب عطفا على مفعول أنبتنا اى وانبتنا النخل وقوله تعالى (باسقات) أى طوالا حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اى طال عليهم فى الفضل ومنه قول ابن نوفل فى ابن هبيرة

يا ابن الذين بمجدهم * بسقتهم قيس فزاره

وهو استعارة والاصل استعماله فى بسقت النخلة تبسق بسوقا اى طالت قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات
كرام فى السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها أيدى الجناة

قال ذلك مع ان كل أحد غيره كذلك (قلت) معناه فما أنت بحمد الله وانعامه عليك بالصدق والنبوة بكاهن ولا مجنون كما يقول

وبسقت الشاة ولدت وابسقت الناقة وقع في ضرعها اللبن قبل النتاج وقال سعيد بن جبير
باسقات مستويات وأفردها بالذكر لفرط ارتفاعها (لها طلع) يجوز أن تكون الجملة حالا من
النخل أو من الضمير في باسقات ويجوز أن يكون الحال وحده لها وطلع فاعل به وقوله تعالى
(نضيد) بمعنى منضود بعضها فوق بعض في أكمامها كما في سنبلة الزرع وهو عجيب فإن الأشجار
الطوال ثمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها أصل يخرج منه كالجوز واللوز والطلع
كالسنبلة الواحدة تكون على أصل واحد وقوله تعالى (رزقا) يجوز أن يكون حالا أي مرزوقا
(للعباد) ويجوز أن يكون مفعولا له وللعباد إما صفة وإما متعلق بالمصدر (فإن قيل) ما الحكمة
في قوله تعالى عند ذكر خلق السماء والأرض تبصرة وذكرى وفي الثمار قال رزقا والثمار
أيضا فيها تبصرة وفي السماء والأرض أيضا منفعة غير التبصرة والتذكرة (أجيب) بأن
الاستدلال وقع لوجود أمرين أحدهما الإعادة والثاني البقاء بعد الإعادة فإن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يخبرهم بحشر وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكروا ذلك
فقال أما الأول فالله القادر على خلق السموات والأرض قادر على خلق الخلق بعد الفناء
وأما الثاني فلأن البقاء في الدنيا بالرزق والقادر على إخراج الأرزاق من النخل والشجر قادر
على أن يرزق بعد الحشر فكان الأول تبصرة وتذكرة بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء والرزق
ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى تبصرة وذكرى حيث ذكر ذلك بين الآيتين ثم
بدأ بذكر الماء وإنزاله وإنبات النبات * (تنبيه) * لم يقيد هنا العباد بالإنابة وقيده في قوله تعالى
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب لأن التذكرة لا تكون إلا للمنيب والرزق يعم كل أحد غير أن
المنيب يأكل ذاكرا وشاكرا للإنعام وغيره يأكل كما تأكل الأنعام فلم يخصص بقيد ولما كان في
ذلك أعظم مذكر للبصراء بالبعث وبجميع صفات الكمال أتبعه ما له من التذكير بالبعث
بخصوصه فقال تعالى (وأحيينا به) أي الماء بعظمتنا (بلدة) وسمها بالتأنيث إشارة إلى أنها في
غاية الضعف والحاجة إلى النبات والخلو عنه وذكر (ميتا) للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها
أو حملا على معنى المكان (فإن قيل) ما الفرق بين هذا الموضع وبين قوله تعالى وآية لهم الأرض
الميتة حيث أثبت الهاء هنالك (أجيب) بأن الأصل في الأرض الوصف فقال الميتة لأن معنى
الفاعلية ظاهر هنالك والبلدة الأصل فيها الحياة لأن الأرض إذا صارت حية صارت آهلة
وأقام بها القوم وعمروها فصارت بلدة فأسقط التاء لأن معنى الفاعلية غير ظاهر فتثبت فيه
الهاء وإذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا تثبت فيه الهاء ويحقق هذا القول قوله تعالى بلدة
طيبة حيث أثبت الهاء حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر (كذلك) أي مثل
الإخراج العظيم (الخروج) من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا إذ لا فرق بين خروج النبات
بعد ما تهشم وتفتت في الأرض وصار ترابا كما كان من بين أصفره وأبيضه وأحمره وأزرقه إلى
غير ذلك وبين إخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا * (تنبيه) * قال أبو حيان ذكر تعالى
في السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفي الفروج وفي الأرض ثلاثة المد والقاء الرواسي والإنبات
فقابل المد بالبناء لأن المد وضع والبناء رفع والقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب
لارتكاب كل واحد منها أي على سطح ما هو فيه والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج فلا

الكفار والباء هنا بمعنى
مع كما في قوله تعالى تنبت
بالدهن وقوله فتستجيبون
بحمده (قوله أم يقولون
شاعر) ذكر أم خمس عشرة

شق

شق فيها ونبه فيما نعامل به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت وأكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت وقوله تعالى (كذبت قبلهم) الآية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بأن حاله كحال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فأهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم ولما لم يكن لهؤلاء المكذبين شهرة يعرفون بها قال تعالى (قوم نوح) الذين كان آخر أمرهم انه التقى عليهم الماء آن نزل عليهم ماء السماء وطلع عليهم ماء الارض فاغرقهم ووسم الفعل بالتاء اشارة الى هوانهم في جنب هذا الجد وأسقط الجار من قوله تعالى قبلهم اشارة الى أن هؤلاء الاحزاب لقوتهم وكثرتهم كأنهم أهل الارض قد استغرقوا امكانهم اوزمانهم ثم اتبع قوم نوح مشابهيهم بقوله تعالى (واصحاب الرس) أى البئر كانوا مقيمين عليها على مواشيهم يعبدون الاصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره فخسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبكل مالهم كما ذكرت قصتهم في الفرقان ثم اتبع أصحاب الرس بقوم صالح عليه السلام فقال (وثمود) لان الرجفة التي اخذتهم مبدأ الخسف ثم اتبع ثمود بقوم هود عليه السلام فقال تعالى (وعاد) لان الريح التي أهلكتهم اثرت بها صيحة ثمود وقال تعالى (وفرعون) ولم يقل قوم فرعون لانه ليس في قادة هذه الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمته وانه استخف قومه فاطاعوه (واخوان لوط) اى اصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بعلو كعبهم على من ناواهم بنفسه وعمه خليل الله ابراهيم عليهما السلام ومع ذلك عاملوه بالخيانة والتكذيب (واصحاب الايكة) اى الغيضة وهم قوم شعيب والغيضة الشجر الملتف بعضه على بعض ولما كان تبع الحميرى واسمه سعد وكنيته أبو كرب مع كونه في قومه ملكا قاهرا وخالفوه مع ذلك وكان لقومه نار في بلادهم يتحاكمون اليها فتأكل الظالم ختم بهم فقال تعالى (وقوم تبع) مع كونه ملكا وهو يدعوهم الى الله تعالى فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا بل هو واقع بمن شئنا من قوى وضعيف لا يخرج شئ عن مرادنا (كل) أى من هذه الفرق (كذب الرسل) أى كلهم بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان من اظهار المعجز والدعاء الى الله تعالى (فحق) أى فتسبب عن تكذيبهم لهم أن ثبت عليهم ووجب (وعيد) أى الذى كانوا يكذبون به عند انذارهم لهم اياه فجعلنا لهم منه في الدنيا ما حكمنا به عليهم في الازل فاهلكناهم اهلاكا عاما كاهلاك نفس واحدة على انحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعناه ما هو في البرزخ واخرنا ما هو في القيامة الى يوم البعث فثبت باهلاكهم على تنائى ديارهم وتباعد أعصارهم وكثرة اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة فتسل باخوانك المرسلين وتأس بهم وليحذر قومك ما حل بمن كذبهم ان أصروا (أفعيينا بالخلق) اى أحصل لنا مع مالنا من العظمة الاعياء وهو العجز بسبب الخلق في شئ من ايجاده أو اعدامه (الاول) اى من السموات والارض وما بينهما حين ابتدأناه اختراعا من العدم ومن خلق الانسان وسائر الحيوان مجددا في كل أوان في الاطوار المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك الوجه مما ليس له أصل في الحياة ومن

مرة وكلها الزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب (قوله فانك باعيننا) معنى الجمع هنا التفخيم والتعظيم

اعدامه بعد خلقه جملة كهذه الامم أو تدريجا كغيرهم (بل هم فى لبس) اى شك شديد وشبهة
موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له معنى بل السكوت عنه اجل (من) اى لاجل (خلق جديد
أى بالاعادة ولما ذكر الخافقين أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما فقال تعالى
(ولقد) أى والحال أنا قد (خلقنا) اى بما لنا من العظمة (الانسان) وهو أعجب خلقنا واجمع
من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الانس والطغيان والذكر والنسيان والجهل والعرفان
والطاعة والعصيان وغير ذلك من عجيب الشان ووكلنا به من جنودنا من يحفظه ويضبط
حركاته وسكناته بجميع أحواله (ونعلم) والحال انا نعلم بما لنا من الاحاطة (ما توسوس) أى تكلم
على وجه الخفاء (به) اى الآن وفيما بعد ذلك (نفسه) بما لم يتقدح بعد من خزائن الغيب
الى سر النفس كما علمنا تكلم نفسه وهى الخواطر التى تعرض له حتى انه هو ربما عجز عن
ضبطها افنحن نعلم ان قلوبهم عالمة بقدرتنا على كل ما نريد وبصحة القرآن واعجازه وصدق
الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد والنفاسة والكبر والرياسة على الانكار
باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا وتمادوا فيه حتى غطى على عقولهم فصاروا فى لبس محيط بهم
من جميع الجوانب (ونحن) اى بما لنا من العظمة (اقرب اليه) اى قرب علم وشهود من غير
مسافة (من حبل الوريد) لان ابعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله تعالى شئ
والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان من الرأس الى الوتين وهو
عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وهذا مثل فى فرط القرب واضافته مثل مسجد
الجامع أى حبل العرق الوريد أو لان الحبل أعم فاضيف للبيان نحو بعير سانية أو يراد حبل
العاتق وأضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما فى عضو واحد وقال البغوى حبل
الوريد عرق الفرق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق فى البدن والحبل هو الوريد
فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين قال القشيرى وفى هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم
وروح وأنس وسكون قلب لقوم وقوله تعالى (اذ يتلقى) ظرف لاقرب ويجوز أن يكون
منصوبا باذكر أى واذكر اذ يتلقى أى بغاية الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من كل انسان خلقناه
وأبرزناه الى هذا الوجود (المتلقيان) أى الملكان الموكلان بعمل الانسان ومنطقه يحفظانه
ويكتبانه حال كونهما (عن اليمين) لكل انسان (وعن الشمال) أى أحدهما عن يمينه
والآخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيآت
وقوله تعالى (قعيد) أى قاعدان مبتدأ وخبره ما قبله لان فعيلا يطلق على الواحد والمتعدد
كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال ابن عادل والاجود أن يدعى حذف اما من الاول أى عن اليمين
قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثانى فيكون قعيدا الملفوظ به للاول ومثله قوله

رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريأ ومن أجل الطوى رمانى

وقال مجاهد القعيد المرصد ونحن أعلم منهما وأقرب وانما استحفظناهما لاقامة الحجة بهما على
مجارى عاداتكم وغيره للتمن الحكم (ما يلفظ) أى يرمى ويخرج المكلف من فيه وعم
فى النفى بقوله تعالى (من قول) جل أو قل (الا لديه) أى الانسان أو القول على هيئة من القدرة
والعظمة من أغرب المستغرب (رقيب) من حفظتنا شديد المراعاة فى كل من أحواله (عتيد)

أى بحيث نراك ونحفظك ومثله قوله تجرى بأعيننا

(سورة النجم)

(قوله ما ضل صاحبكم وما غوى)* ان قلت كيف قال ذلك مع ان الضلالة والغواية متحدتان

أي حاضر مراقب غير غافل بوجه قال الجلال المحلي وكل منهما بمعنى المثنى أي رقيبان عتيدان روى أبو امامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيآت على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر *(تنبيه)* اختلف فيما يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يوزر فيه *(فائدتان)* احداهما قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان عند حالتين عند غائطه وعند جماعه * الثانية قال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته

(وجاءت) أي أتت وحضرت (سكرة الموت) أي حالته عند النزع وشدته وغمرته يصير المريض بها كالسكران لا يعي ويخرج بها أقواله وأفعاله عن قانون الاعتدال مجيئا ملتبسا (بالحق) أي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة في الاحتراس منه وقيل للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال (ذلك) أي هذا الامر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل أحد الاعتداد له بغاية الجهد (ما) أي الامر الذي (كنت) أي جبلة وطبعا (منه تحيد) أي تميل وتنفر وتروغ وتهرب *(تنبيه)* قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازي وهو منكر وقيل مع الكافر قال ابن عادل والاقوى أن يقال هو خطاب عام مع السامع وهذا أولى وقوله تعالى (ونفخ في الصور) عطف على قوله تعالى وجاءت سكرة الموت وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع أوان التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام قد التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها وأنسانا لها والمراد بهذه نفخة البعث وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكأنه تعالى قال ذلك الزمان العظيم الاهوال والاوجال (يوم الوعيد) أي للانذار بالعذاب (وجاءت) أي فيه (كل نفس) أي مكلفة (معها سائق) أي ملك يسوقها اليه (وشهيد) يشهد عليها بعملها قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم وهو الايدي والارجل وغيرها وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هما جميعا من الملائكة فالسائق كما قيل لا تعلق له بالشهادة لئلا تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته وقيل السائق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والفاجر أما البر فيساق الى الجنة وأما الفاجر فالى النار قال تعالى وسيق الذين كفروا وقال تعالى وسيق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليها بما عملت *(تنبيه)* يجوز في جملة معها سائق وشهيد أن تكون في موضع جر صفة لنفس وأن تكون في موضع رفع صفة لكل وأن تكون في موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر (لقد كنت) أي كونا كأنه جبلة لك (في غفلة) أي عظيمة محيطة بك ناشئة لك (من هذا) أي من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب والجزاء بالثواب أو العقاب لانه على شدة جلائه خفي على من

(قلت) لا تسلم اتحادهما اذ الضلالة ضد الهدى والغواية ضد الرشد أو المعنى ما ضل في قوله ولا غوى في فعله وبتقدير اتحادهما

اتبع الشهوات (فكشفنا) بعظمتنا بالموت ثم البعث (عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا
على قلبك وسمعك وبصرك من الغفلة بالآمال في الحال والمآل وسائر الحظوظ والشهوات
(فبصرك اليوم) أي بعد البعث (حديد) أي في غاية الحدة والنفوذ فلذا تقر بما كنت
تنكر في الدنيا وقال مجاهد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيآتك
والمعنى أزلنا غفلتك فبصرك اليوم حديد وكان من قبل كليلا واختلف في القرين في قوله
تعالى (وقال قرينه) فأكثر المفسرين على أنه الملك الموكل به فيقول (هذا ما) أي الذي (لدي
عتيد) أي حاضر ونقل الكرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه الشيطان الذي سلط على
اغوائه واستدراجه الى ما يزين له الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقيضنا لهم
قرناء وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالاشارة بهذا الى
المسوق المرتكب الفجور والفسوق والعتيد معناه المعد للنار ومعناه أن الشيطان يقول
هذا العاصي هو شيء عندي معد لجهنم أعددته لها بالاغواء والاضلال وقوله تعالى (ألقيا
في جهنم) أي النار التي تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله تعالى من الكبر والعبوسة
(كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو للواحد
وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كأنه قيل ألق ألق وقيل أراد ألقين بالنون
الخفيفة فأبدلها ألفا اجراء للوصل مجرى الوقف وقيل العرب تخاطب الواحد مخاطبة الاثنين
تأكيدا كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان أزدجر * وان تدعاني أحم عرضا ممنعا

قال ابن عادل وقيل المأمور مثنى وهذا هو الحق لأن المراد ملكان يفعلان ذلك اهـ وهو القول
المتقدم (عنيد) وهو المبالغ في ستر الحق والمعاداة لأهله بغير حجة حمية وأنفة نظرا الى
استحسان ما عنده والثبات عليه تجبرا وتكبرا على ما عند غيره ازدراء له كائنا من كان (مناع)
أي كثير المنع (للخير) من المال وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والمقال والأفعال وقيل
المراد الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه (معتد) أي مجاوز
للحدود (مريب) أي داخل في الريب وهو الشك والتهمة في أهل الدين وقوله تعالى (الذي
جعل مع الله) أي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال (الها آخر) يجوز أن يكون منصوبا
على الذم أو على البدل من كل وأن يكون مجرورا بدلا من كفار أو مرفوعا بالابتداء والخبر
(فألقياه في العذاب) أي الذي يزيل كل عذوبة (الشديد) ودخلت الفاء في الخبر لتضمن
المبتدأ معنى الشرط ويجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي هو الذي جعل ويكون فألقياه
تأكيدا (قال قرينه) مناديا باسقاط الاداة كدأب أهل القرب ايهاما أنه منهم (ربنا) أي أيها
المحسن الينا أيتها الخلائق كلهم (ما أطغيته) أي ما أوقعته فيما كان فيه من الطغيان فاني
لا سلطان لي عليه وأنت أعلم بذلك (ولكن كان) أي بجبلته وطبعه (في ضلال بعيد) أي محيط
به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان يبادر الى كل ما يغضب الله تعالى
(تنبيه) هذا جواب لكلام مقدر فان الكافر حين ما يلقى في النار يقول ربنا أطغاني
شيطاني فيقول ربنا ما أطغيته بدليل قوله تعالى لا تختصموا والذي لأن المخاصمة تستدعي كلاما

من

يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى (قوله كان قاب قوسين أو أدنى) ان قلت كيف أدخل كلمة

من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم الى قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على ان المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد قال الرازي وجاءت هذه الآية بلا واو وفي الاولى بواو عاطفة لان الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك الوقت تجيء ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي الثانية لم يوجد هناك معنيان مجتمعان حتى تذكر الواو وفان الفاء في قوله تعالى فالقياه في العذاب لا تناسب قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته فليس هناك مناسبة مقتضية للعطف (فان قيل) كيف قال ما أطغيته مع انه قال لاغوينهم أجمعين (أجيب) بأن المراد من قوله لاغوينهم أي لادعونهم على الغواية كما ان الضال اذا قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضله كذا هنا فقوله ما أطغيته أي ما كان ابتداء الطغيان مني وقوله تعالى (قال) أي الله تعالى المحيط علما وقدرة الذي حكم عليهم بذلك في الازل (لا تختصموا) أي لا توقعوا الخصومة بهذا الجد والاجتهاد استئناف كأن قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فأجيب بقال لا تختصموا وقوله تعالى (لدي) أي في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي فوق ما كنتم تدركونه من الاخبار عنها بكثير يفيد مفهومه أن الاختصام كان ينبغي أن يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي وقوله تعالى (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي التهديد وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفر والعدوان جملة حالية ولابد من تأويلها وذلك أن النهي في الآخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا فاختلف الزمان فكيف يصح جعلها حالية وتأويلها هو أن المعنى وقد صح أني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد وقدمت يجوز أن يكون بمعنى تقدمت فتكون الواو للحال ولابد من حذف مضاف أي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد ويجوز أن يكون قدمت على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول أي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من قال بزيادتها هناك وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك اشتريت الفرس بلجامه أي معه فكأنه قال تعالى قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانذار (ما يبدل) أي يغير بوجه من الوجوه (القول لدي) أي الواصل اليكم من حضرتي التي لا يحيط بها أحد من خلقي وعبر بما التي هي للحاضر دون لا التي للمستقبل لان الاوقات كلها عنده حاضرة (وما أنا) وأكد النفي بقوله تعالى (بظلام للعبيد) فأعذبهم بغير ظلم (فان قيل) الظلام مبالغة في الظالم ويلزم من انتفائه اثبات أصل الظلم فاذا قال القائل هو كذاب يلزم أن يكون كثير الكذب ولا يلزم من نفيه نفي أصل الكذب لجواز أن يقال ليس بكذاب كثير الكذب لكنه يكذب أحيانا فقوله تعالى ما أنا بظلام لا يفهم منه نفي أصل الظلم وأن الله ليس بظلام (أجيب) بأربعة أجوبة أحدها أن الظلام بمعنى الظالم كالتمار بمعنى التامر فتكون اللام في قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة لان الفعال حينئذ بمعنى ذي ظلم لقوله تعالى لا ظلم اليوم ثانيها قال الزمخشري ان ذلك أمر تقديري كأنه تعالى يقول لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة لكان ذلك غاية الظلم وما أنا بذلك فيلزم من نفي كونه ظلاما نفي كونه ظالما ويحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث قال الله تعالى وما أنا بظلام للعبيد أي في ذلك اليوم الذي أملأ فيه جهنم مع سعتها حتى

الشك وهو محال عليه تعالى (قلت) او للتخيير لا للشك اي ان شئتم قدروا ذلك القرب بقاب قوسين او ادنى منهما او هي بمعنى بل او للتشكيك

أصيح وتقول لم يبق فى طاقتى بهم ولم يبق فى موضع لهم فهل من مزيد استفهام استنكار ثالثها انه لمقابلة الجمع بالجمع والمعنى ان ذلك اليوم مع أنى ألقى فى جهنم عدد الاصحر له لا أكون بسبب كثرة التعذيب كثير الظلم لانه تعالى قال وما أنا بظلام للعبيد (يوم نقول) أى على ما الذى من العظمة (لجهنم) ولم يقل ما أنا بظلام فى جميع الازمان وخصص بالعبيد ولم يطلق فلذلك خصص النفى بنوع من أنواع الظلم ولم يطلق ولم يلزم منه أن يكون ظالما فى غير ذلك الوقت لان التخصيص بالذكر لايدل على نفى ماعداه لانه نفى كونه ظلاما ولم يلزم منه كونه ظالما ونفى كونه ظلاما للعبيد ولم يلزم منه كونه ظلاما لغيرهم *(تنبيه)* يحتمل أن يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الآية والمعنى أعذبهم وما أنا بظلام لهم ويحتمل أن يكون المراد منه المؤمنين والمعنى ان الله تعالى يقول لو بدلت قولى ورحمت الكافر لكنت فى تكليف العباد ظالما لعبادى المؤمنين لانى منعتهم من الشهوات لاجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يأت بما أتى به المؤمن ما يناله المؤمن لكان اتيان المؤمن بما أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ويحتمل أن يكون المراد التعميم وهذا أظهر وقوله تعالى لجهنم أى التى هى دار العذاب مع الكراهة والعبوسة والتجهم (هل امتلأت) استفهام تحقيق لوعده عليها وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وتقول) بصورة الاستفهام كالسؤال (هل من مزيد) أى قد امتلأت ولم يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار وقيل بمعنى الاستزادة رواه أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعلى هذا يكون السؤال وهو قوله تعالى هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها فتقول ألست قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول هل من مزيد قط قط قد امتلأت وليس فى مزيد وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد ذلك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة رضى الله عنه نحوه ولا يظلم الله تعالى من خلقه أحدا *(تنبيه)* هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم فى تأويلها بل نفوض بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها أو لها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تؤول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم وهو شائع فى اللغة والمعنى يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل يحتمل أن فى المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض أظهر التأويلات أنهم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولابد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل العقلى القطعى على استحالة

(قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) ان قلت راى هنا من رؤية
اهم فى قدر القرب

الجارحة

الجار رحمه على الله تعالى وقولها قط قط أى حسبى حسبى قدا كتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منوّنة وغير منوّنة ولما ذكر النار التى هى دار الفجار وقدمها لان المقام للانذار اتبعها دار الابرار فقال تعالى سارّا لهم باسقاط مؤنة المسير وطى مشقة البعد (وأزلفت الجنة) أى قربت بأيسر أمر مع الدرجات والحياض المنلئة (للمتقين) أى العريقين فى هذا الوصف فاذا رأوها تسابقوا اليها وتركوا ما كانوا فيه فى الموقف من منابر النور وكثبان المسك ونحو هذا وأما غيرهم من أهل الايمان فقد يكون لهم غير هذا الوصف فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى فى الزمر وقوله تعالى (غير بعيد) يجوز أن يكون حالا من الجنة ولم يؤنث لانها بمعنى البستان أو لان فعيلا لا يؤنث لانه بزنة المصادر قاله الزمخشرى ومنعه أبو حيان وتقدم الكلام على ذلك فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف المكانى أى مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أى ازلافا غير بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشرى فانه قال أو شيأ غير بعيد (فان قيل) ما وجه التقريب والجنة مكان والامكنة يقرب منها وهى لا تقرب (أجيب) من أوجه أولها أن الجنة لا تزال ولا يؤمر المؤمن فى ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوى المسافة التى بين المؤمن والجنة فهو التقريب (فان قيل) فعلى هذا ليس ازلاف الجنة من المؤمن باولى من ازلاف المؤمن من الجنة فما فائدة قوله تعالى أزلفت الجنة (أجيب) بان ذلك اكرام للمؤمن وبيان اشرفه وانه ممن يمشى اليه ثانيها اقرب من الحصول فى الدخول لا بمعنى القرب المكانى ثالثها ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقربها للمؤمن ويحتمل انها أزلفت بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لها لانها تنال بكلمة طيبة وحسنة وخص المتقين بذلك لانهم أحق بها وقوله تعالى (هذا) أى الازلاف والذى ترونه من كل مايسركم (ما) أى الامر الذى (توعدون) أى وقع الوعد لكم به فى الدنيا يجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون معترضا بين البدل والمبدل منه وذلك أن (لكل أوّاب) أى رجاع الى طاعة الله تعالى بدل من المتقين باعادة العامل ثانيهما أن يكون منصوبا بقول مضمر ذلك القول منصوب على الحال أى مقولا لهم وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب ونسب أبو حيان قراءة الياء لابن كثير ولابى عمرو وانما هى لابن كثير فقط وقال سعيد بن المسيب الاوّاب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبى ومجاهد هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء هو المسبح من قوله تعالى يا جبال أوّبى معه وقال قتادة هو المصلى وقوله تعالى (حفيظ) اختلف فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا الحفيظ لامر الله وقال قتادة الحفيظ لما استودعه الله تعالى من حقه والاوّاب والحفيظ كلاهما من باب المبالغة أى يكون كثير الاوب شديد الحفظ ثم أبدل من كل تتميما لبيان المتقين قوله تعالى (من خشى) أى خاف ونبه على كثرة خشيته بقوله تعالى (الرحمن) لانه اذا خافه مع استحضار الرحمة العامة للمطيع والعاصى كان خوفه مع استحضار غيرها أولى وقال القشيرى التعبير بذلك للاشارة الى أنها خشية تكون مقرونة بالانس يعنى الرجاء كما هو المشروع قال

القلب فاين مفعولها الثانى (قلت) هو محذوف تقديره أفرأيتموها بنات الله وانداده والمعنى أخبرونى ألهذه الاصنام قدرة على

قوله ثانيها اقرب كذا بالنسخ التى بايدينا وفى حاشية العلامة الجمل الثانى أن المراد قرب الدخول فيها لا بمعنى الخ وهى ظاهرة اه مصححه

ولذلك لم يقل الجبار أو القهار ويقال الخشية ألطف من الخوف فكأنها قريبة من الهيبة
وقوله تعالى (بالغيب) حال أي غائبا عنه فيحتمل أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول أو منهما
وقيل الباء للمصاحبة أي مصاحب له من غير أن يطلب آية أو أمرا يصير به الى حد المكاشفة بل
استغنى بالبراهين القطعية التي منها أنه مربوب وهو أيضا بيان لبليغ خشيته ويجوز أن يكون
صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب ومعنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه
بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدى يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد وقال الحسن اذا أرخى
الستر وأغلق الباب وقوله تعالى (وجاء) أي بعد الموت (بقلب منيب) اي راجع الى الله
تعالى صفة مدح لان شان الخائف أن يهرب فاما المتقى فجاء به لعلمه أنه لا ينجى الفرار منه والباء
في بقلب اما للتعدية واما للمصاحبة واما للسببية والقلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى
اذ جاء ربه بقلب سليم أي سليم من الشرك والضمير في قوله تعالى (ادخلوها) عائد الى الجنة
وقوله تعالى (بسلام) حال من فاعل ادخلوها أي سالمين من العذاب والهموم فهي حال مقارنة
أو بسلام من الله تعالى وملائكته عليهم فهي حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين كذا
قيل قال ابن عادل وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف
فادخلوها خالدين فانه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول (ذلك) أي اليوم الذي حصل فيه
الدخول (يوم الخلود) أي الدوام في الجنة الذي لا آخر له ولا نفاد لشئ من لذاته أصلا ولذلك
وصل به قوله تعالى جوابا لمن قال على أي وجه دخولهم (لهم) بظواهرهم وبواطنهم
(ما يشاؤن) أي تتجدد مشيئتهم أو يمكن مشيئتهم له (فيها) أي الجنة (ولدينا) أي عندنا من
الامور التي هي في غاية الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغربا (مزيد) أي مما لا يدخل
تحت أوهامهم ليشاؤه فان سياق الامتنان يدل على أن تنوينه للتعظيم والتعبير بلدى يؤكد
ذلك (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى قال ادخلوها بسلام على المخاطبة ثم قال لهم ولم يقل
لكم (أجيب) من وجوه أولها أن قوله تعالى ادخلوها فيه مقدر أي فيقال لهم ادخلوها
فلا يكون التفاتا ثانيها انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كأنه تعالى يقول غير مخل بهم
في غيبتهم وحضورهم ففي حضورهم الحبور وفي غيبتهم الحور والقصور ثالثها أنه يجوز أن
يكون قوله تعالى لهم كلاما مع الملائكة يقول للملائكة توكلوا بخدمتهم واعلموا أن لهم
ما يشاؤن فيها فاذا حضروا بين أيديهم ما يشاؤن وأما أنا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تقدرون أنتم
عليه والمزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل
أن يكون بمعنى المفعول أي عندنا ما نزيده على ما يرجون ويأملون قال أنس وجابر وهو النظر
الى وجه الله الكريم وقيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة في دار كرامته فهذا هو
المزيد ولما ذكر تعالى أول السورة تكذيب الامم السابقة ذكر هنا اهلاك قرون ماضية بقوله
تعالى (وكم أهلكنا) أي بما لنا من العظمة (قبلهم من قرن) أي جيل هم في غاية القوة وزاد
في بيان القوة قوله تعالى (هم أشد منهم) اي من قريش (بطشا) أي قوة وأخذا لما يريدونه
بالعنف والسطوة والشدة * (تنبيه) * كم منصوب بما بعده وقدم اما لانه استفهام واما لان

شئ تتعبدونها دون الله
القادر على كل شئ (ان
قلت) كيف وصف الثالثة
بالاخرى مع انه انما يوصف
بها الثانية وظاهر اللفظ

كم الخبرية تجرى مجرى كم الاستفهامية فى التصدير ومن قرن تمييزوهم اشدصفة اما الكم واما القرن والفاء فى قوله تعالى (فنقبوا) عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا (فى البلاد) والضمير فى نقبوا اماللقرن المتقدم وهو الظاهر واما القريش والتنقيب التنقير والتفتيش ومعناه التطواف فى البلاد قال الحرث بن حلزة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

وقال امرؤ القيس

وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم توجه سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله تعالى (هل من محيص) أى معدل ومحيد ومهرب وان دقمن قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما فى رد أمرنا (ان فى ذلك) أى فيما ذكر فى هذه السورة من الاساليب العجيبة والطرق الغريبة (لذكرى) أى تذكيرا عظيما جدا (لمن كان) أى كونا عظيما (له قلب) أى عقل فى غاية العظمة فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له سليم بل له قلب لاه (أو ألقى السمع) أى استمع الوعظ بغاية اصغائه حتى كانه يرمى بشئ ثقيل من علو الى سفل (وهو) أى والحال انه فى حال القائه (شهيد) أى حاضر بكليته فهو فى غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شئ مما تلى عليه وألقى اليه فيتذكر وعطف على قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قوله تعالى (ولقد خلقنا) أى بمالنا من العظمة التى لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها (السموات والارض) اى على ماهما عليه من الكبر وكثرة المنافع (وما بينهما) من الامور التى لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب والمسببات بدونها (فى ستة أيام) الارض فى يومين ومنافعها فى يومين والسموات فى يومين ولو شاء لكان ذلك فى أقل من لمح البصر ولكنه تعالى سن لنا التأنى بذلك (وما مسنا) لاجل مالنا من العظمة أدنى مس وعم فى النفى فقال تعالى (من لغوب) أى اعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا فكان من ذلك شئ على غير ما أردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى وأنتم تشاهدون الامر فى الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتمام التصرف (فاصبر) يا أشرف الخلق (على ما يقولون) أى اليهود وغيرهم من انكار البعث والتشبيه وغير ذلك فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على البعث وغيره (وسبح) اى أوقع التنزيه عن كل شائبة نقص ملتبسا (بحمد ربك) أى باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع هذه البراهين التى خصك بها فضلا لك على جميع الخلق وقوله تعالى

(قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) اشارة الى طرفى النهار وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) اشارة الى زلفى من الليل وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان مشتغلا بامرين احدهما عبادة الله تعالى والثانى هداية الخلق فاذا لم يهتدوا قيل له أقبل على شغلك الآخر وهو العبادة قبل الطلوع وقبل الغروب لانهما وقتا اجتماعهم ويكون المراد بقوله تعالى ومن الليل أوله لانه أيضا وقت اجتماعهم وقال أكثر المفسرين قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب

يقتضى ان يكون قد سبق ثالثة ثم خلقها ثالثة أخرى ليكون ثالثتين (قلت) الاخرى صفة للعزى وانما أخرها رعاية للفواصل أو

الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد (وادبار السجود) التنفل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء وقال مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل أي وقت صلى وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسر الهمزة على أنه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم آتيك خفوق النجم وخلافة الحجاج ومعنى وقت ادبار الصلاة أي انقضائها وتمامها والباقون بالفتح جمع دبر وهو آخر الليل وعقبها ومنه قول أوس

على دبر الشهر الحرام فأرضنا * وما حولها جدب سنون تلمع

ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله تعالى وأدباره معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل وقال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عنه مرفوعا قال البغوي هذا قول أكثر المفسرين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين أمام الصبح وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن مجاهد وأدبار السجود هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال صلى الله عليه وسلم وماذاك فقالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وقوله تعالى (واستمع) أي لما أخبرك به من أحوال القيامة فيه تهويل وتعظيم للمخبر به والمحدث عنه كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول ثم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى (يوم) ظرف لاستمع أي استمع ذلك في يوم (ينادي المنادي) أي اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل المنادي جبريل (من مكان قريب) بحيث يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب يكونون في السماع سواء لا تفاوت بينهم أصلا واختلف في ذلك المكان القريب فأكثر المفسرين انه صخرة بيت المقدس فانها أقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وقوله تعالى (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله تعالى (بالحق)

حال

قوله ومعنى وقت كذا بالنسخ ولعل الصواب والمعنى الخ اه مصححه

صفة ذم للات والعزى ومناة التي هي ثالثة للتين قبلها فالاخرى على هذا من التاخر في الرتبة

حال من الصيحة أي ملتبسة بالحق أو من الفاعل أي يسمعون ملتبسين بسماع حق (ذلك) اي اليوم العظيم الذي يظهر به الجد ويعلو بضعفاء المؤمنين الجد (يوم الخروج) أي الذي لا خروج أعظم منه وهو خروجهم من قبورهم من الارض التي خلقوا منها الى المحشر وهو من أسماء يوم القيامة (انا) أي بما لنا من العظمة (نحن) أي خاصة (نحيي ونميت) أي نجدد ذلك شيأ بعد شيء سنة مستقرة وعادة مستمرة كما تشاهدونه فقد كان منا بالاحياء الاول المبدأ (والينا) أي خاصة بالاماتة ثم الاحياء (المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي في الآخرة للبعث والينا المصير بعد البعث وقوله تعالى (يوم) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض وقرأ (تشقق الارض) نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون بالتخفيف (عنهم) أي مجاوزة لهم بعد أن كانوا في بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء حال كونهم (سراعا) أي اجابة لمنادينا وهو جمع سريع وأشار الى عظمة الامر بقوله تعالى (ذلك) أي الاخراج العظيم جدا (حشر) اي جمع بكره وزاد في بيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه بتقدم الجار فقال تعالى (علينا) أي خاصة (يسير) فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن أن ينكروا ما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه * (تنبيه) * علينا متعلق بيسير ففصل بمعمول الصفة بينها وبين موصوفها ولا يضر ذلك وقال الزمخشري التقديم للاختصاص وهو ما أشرت اليه أي لا يتيسر ذلك الا على الله تعالى وحده وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد وقوله تعالى (نحن أعلم) أي عالمون (بما يقولون) أي في الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما أنت منذر وقد فعلت ما أمرت به ونحن القادرون على ردهم بما لنا من العلم المحيط وهذا قبل الامر بالقتال (فذكر) اي بطريق البشارة والنذارة (بالقرآن) اي الجامع بجده لكل خير المحيط بكل صلاح (من يخاف وعيد) فانه لا ينتفع به غيرهم وهم المؤمنون وقرأ ورش باثبات الياء بعد الدال وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته حديث موضوع وتارات الموت بمثلثة وهمزة مفتوحة أهواله

سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا

(بسم الله) أي المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف الميعاد (الرحمن) الذي عم الخلائق بنعمة الايجاد (الرحيم) الذي خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم الله سبحانه وتعالى ق بالتذكير بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال عز من قائل مناسبا بين القسم والمقسم عليه (والذاريات) اي الرياح تذرو التراب وغيره وقيل النساء الوالدات فانهن يذرين الاولاد وقوله تعالى (ذروا) منصوب على المصدر المؤكد والعامل فيه فرعه وهو اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا يقال ذرت الريح التراب وأذرته (فالحاملات)

أي السحب تحمل الماء وقيل الرياح الحاملة للسحاب وقيل النساء الحوامل وقوله تعالى (وقرا) أي ثقلا مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال الرازي ويحتمل أن يكون اسما أقيم مقام المصدر كقوله ضربته سوطا (فالجاريات) أي السفن وقيل الرياح الجاريات في مهابها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها وقوله تعالى (يسرا) أي بسهولة مصدر في موضع الحال أي ميسرة (فالمقسمات) اى الملائكة التي تقسم الارزاق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد وقوله تعالى (أمرا) يجوز أن يكون مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق أو المال وأن يكون حالا أي مأمورة وهذه أشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من عطف المتغايرات والفاء للترتيب في القسم لا في المقسم به قال الزمخشري ويجوز أن يراد الرياح وحدها لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وعلى هذا يكون من عطف الصفات والمراد واحد فتكون الفاء على هذا لترتيب الامور في الوجود وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قيل) ان كان وقرا مفعولا فلم لم يجمع وقيل اوقارا (أجيب) بان جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات أمرا اذا قيل انه مفعول به لان جماعة الملائكة قد تجتمع على أمر واحد *(فائدة)* أقسم الله تعالى بجمع السلامة المؤنث في خمس سور ولم يقسم بجمع السلامة المذكر في سورة أصلا فلم يقل والصالحين من عبادنا ولا المقربين الى غير ذلك مع أن المذكر أشرف لان جموع السلامة بالواو والنون في الغالب لمن يعقل ولما كانوا يكذبون بالوعيد أكد الجواب بعد التأكيد بنفس القسم فقال تعالى (انما توعدون لصادق) أي مطابق الاخبار به للواقع وسترون مطابقته له *(تنبيه)* ما يجوز أن تكون اسمية وعائدها محذوف اى توعدونه وأن تكون مصدرية فلا عائد على المشهور وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مبنيا من الوعد وأن يكون مبنيا من الوعيد لانه يصلح ان يقال أوعدته فهو يوعد ووعدته فهو يوعد لا يختلف فالتقدير ان وعدكم أو وعيدكم (وان الدين) اى الجزاء لكل أحد بما كسب يوم البعث (لواقع) لابد منه وان انكرتم (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوي يقال للنساج اذا نسج الثوب فأجاد ما أحسن حبكه وقال سعيد بن جبير ذات الزينة اى المزينة بزينة الكواكب قال الحسن حبكتها النجوم وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطريق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل باصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحي مائه حبك

قوله ويجوز أن يراد الخ هو ما نقله أولا عن الزمخشري اه

الملائكة والظن فيهما مذموم بقوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اى لا يقوم مقام العلم (ان قلت) كيف لا يقوم مقامه مع أنه

والحبك يحتمل أن يكون مفرده حبيكة كطريقة وطرق أو حباك نحو حمار وحمر قال الشاعر
كأنما جللها الحواك * طنفسة في وشيها حباك
وأصل الحبك احكام الشيء واتقانه ومنه يقال للدرع محبوكة وجواب القسم (انكم) يا معشر قريش (لفي قول) محيط بكم في أمر القرآن والآتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون به ابطال الدين الحق (مختلف) فتقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وكاذب (يؤفك) اي يصرف (عنه) أي عن النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن اي عن الايمان بذلك (من أفك) اي صرف عن الهداية في علم الله تعالى ومعناه حينئذ الذم وقيل انه مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من يصرف عن ذلك القول ويرشد الى القول المستوي (قتل) اي لعن (الخراصون) اي الكذابون وهم الذين لا يجزمون بأمر بل هم شاكون متحيرون وهم أصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال تعالى (الذين هم) اي خاصة (في غمرة) اي جهل يغمرهم (ساهون) اي غريقون في السهو وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب الى غير ما يهمه ففاعل ذلك ذو ألوان متخالفة من هول ما هو فيه وشدة كربه (يسألون) النبي استهزاء (أيان) اي متى واي حين (يوم الدين) اي وقوع الجزاء الذي تخبرنا به ولولا أنهم بهذه الحالة لتذكروا من أنفسهم انه ليس أحد منهم يترك عبيده واجراءه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينظر قطعا في احوالهم ويحكم بينهم في اقوالهم وأفعالهم فكيف الظن بأحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم وأبدع لهم هذين الخافقين وهيأ لاجلهم فيهما كل ما يحتاجون اليه فيتركهم سدى ويوجدهم عبثا وقوله تعالى (يوم هم) منصوب بمضمر اي الجزاء كائن يوم هم (على النار يفتنون) اي يعذبون فيها جواب لسؤالهم ايان يوم الدين وقال الرازي يحتمل وجهين أحدهما أن يكون جوابا عن قولهم ايان يقع فكأنهم لم يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجبهم جواب معلم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون لجهلهم بالثاني أقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز أن يكون الجواب بالاخفى فلو قال قائل متى يقدم زيد فلو اجيب بقوله يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب ثانيهما ان يكون ذلك ابتداء كلام تمامه في قوله تعالى (ذوقوا فتنتكم) أي تعذيبكم (فان قيل) هذا يفضي الى الاضمار (اجيب) بان الاضمار لا بد منه لان قوله تعالى ذوقوا فتنتكم لا يتصل بما قبله الا باضمار يقال (هذا) أي العذاب المكون (الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا استهزاء ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده حال المتقين فقال تعالى (ان المتقين) اي الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا (في جنات) اي بساتين عظيمة تجن داخلها اي تستره من كثرة ظلالها الكثيرة أشجارها وعظمها (وعيون) جارية في خلال الجنات * (تنبيه) * المتقي له مقامات أدناها أن يتقي الشرك وأعلاها أن يتقي الدنيا والآخرة وأدنى درجات المتقي الجنة فما من مكلف اجتنب الكفر الا ويدخل الجنة وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائي بكسر العين والباقون بالضم وقوله تعالى (آخذين) حال من الضمير في خبر ان وقوله تعالى (ما آتاهم ربهم) اي المحسن اليهم المدبر لهم

يقوم مقامه في كثير من المسائل كالقياس فالمراد به هذا الظن الحاصل من اتباع الهوى دون الظن الحاصل من النظر

بتمام علمه وشامل قدرته ان كان مما في الجنة فتكون حالا حقيقية وان كان مما آتاهم من امره ونهيه في الدنيا فتكون حالا محكية لاختلاف الزمانين * (تنبيه) * اعلم ان الله تعالى وحد الجنة تارة قال تعالى مثل الجنة وأخرى جمعها كقوله تعالى هذا ان المتقين في جنات وتارة ثناها قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها لاتصال المنازل والاشجار والانهار كجنة واحدة وأما جمعها فانها بالنسبة الى الدنيا وبالاضافة اليها جنات لايحصرها عدد واما تثنيتها فسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في سورة الرحمن وهو قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فقيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقيل جنة لخائف الانس وجنة لخائف الجن فيكون من باب التوزيع قال الرازي غيرأنا نقول ههنا ان الله تعالى عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشراء فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة وعند الاعطاء جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف مالو وعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعود ومعنى آخذين قابضين ما آتاهم شيأ فشيأ ولايستوفونه بكماله لامتناع استيفاء مالانهاية له وقيل قابلين قبول رضا كقوله تعالى ويأخذ الصدقات اي يقبلها قاله الزمخشري وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) اشارة الى انهم اخذوها بثمنها وملكوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما لدخول الجنة واما لايتاء الله تعالى واما ليوم الدين والاحسان يكون في معاملة الخالق والخلائق وقيل هو قول لااله الا الله ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انها لااله الا الله وفي قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان هو الاتيان بكلمة لااله الا الله ثم فسر احسانهم معبرا عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله تعالى (كانوا) أي لما عندهم من الاجلال له والحب فيه بحيث كانهم مطبوعون فيه (قليلا من الليل) الذي هو وقت الراحات وقضاء الشهوات (ما يهجعون) أي يفعلون الهجوع وهو النوم الخفيف القليل بالليل فما ظنك بما فوقه فما مزيدة توكيد يهجعون خبر كان وقليلا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره وقال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ اما من أولها أو من وسطها وعن أنس بن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشاء وقال محمد بن علي كانوا لاينامون حتى يصلوا العتمة وقال مطرف بن عبد الله قل ليلة أتت عليهم هجوعا كلها وقال مجاهد كانوا لاينامون كل الليل ووقف بعضهم على قليلا ثم ابتدأ بما بعده يهجعون أي ماءيهجعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ فقال ما يهجعون من الليل وجعله جحدا أي لاينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل ان ما بمعنى الذي وعائدها محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعونه وهذا فيه تكلف * ولما كان المحسن لايرى نفسه الا مقصرا قال تعالى دالا على ذلك وعلى أن تهجدهم متصل بآخر الليل (وبالاسحار) قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل (هم) أي دائما بظواهرهم وبواطنهم (يستغفرون) أي يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين ويسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله تعالى وأنهم لايقدرون على أن يقدروه حق قدره وان اجتهدوا والقول سيد الخلق محمد

والاستدلال بقرينة قوله ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس (قوله وان ليس للانسان الا ماسعى) ان قلت ثواب

صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك وابراز الضمير دل على أن غيرهم لو فعل هذا لك لأعجب
بنفسه ورأى أنه لا أحد أفضل منه وعلى أن استغفارهم في الكثرة يقتضى أنهم يكونون بحيث
يظن أنهم أحق بالتذلل من المصرين على المعاصى فان استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا
ماله سبحانه في الآفاق وفي أنفسهم من الآيات والحكم البالغة فاقبلوا على الاستغفار عالمين
بانه تعالى لا يقدر حق قدره *(تنبيه)* بالاسحار متعلق بيستغفرون والباء بمعنى في وقدم
متعلق الخبر على المبتدأ لجواز تقديم العامل وقال الكلبي ومجاهد وبالاسحار يصلون وذلك
ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل
الله الى السماء كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعونى فأستجيب
له من الذي يسألنى فاعطيه من الذي يستغفرنى فاغفر له وهذا الحديث من أحاديث
الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يؤمن بها من غير
تأويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه وفي أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب سبحانه عن صفات
الاجسام المذهب الثاني وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات
الاجسام فالله تعالى منزه عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية
والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت
التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام
من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت
نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد
أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد
حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك
حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وزاد في رواية وما أنت أعلم به منى
أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم * ولما ذكر تعالى معاملتهم للخالق أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا لحقيقة الاحسان
فقال تعالى (وفي أموالهم) أى كل أصنافها (حق) أى نصيب ثابت (للسائل) أى الذي يبعثه
على حاجته بسؤال الناس وهو المتكفف (والمحروم) وهو المتعفف الذي لا يجد ما يغنيه ولا
يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه وهذه صفة أهل الصفة رضى الله تعالى عنهم فالمحسنون
يعرفون صاحب الوصف لما لهم من ناقد البصيرة وقفه تعالى بهم العناية وقدم السائل لانه
يعرف بسؤاله أو يكون اشارة الى كثرة العطاء فيعطى السؤال فاذا لم يجدهم يسأل عن
المحتاجين فيكون سائلا ومسؤلا وقيل قدم السائل لتجانس رؤس الآى وقيل السائل هو
الآدمي والمحروم كل ذى روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم في كل كبد
حرى أجر وهذا ترتيب حسن لان الآدمي مقدم على البهائم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب
السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفيء شيء
وقال قتادة والزهرى المحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم المحروم هو
المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب

الصدقة والقراءة والحج والدعاء يحصل المطلب وانس من معه (قلت) وليس من ... مادلت عليه الآية بخصوصه بقوم ابراهيم وموسى وهو

قوله من ناقد البصيرة كذا بالاصل وفي نسخة من نافذ الخ اه مصححه

الجائحة ثم قرأ انا لمغرمون بل نحن محرومون (وفى الارض) أى من الجبال والبحار والاشجار والثمار والنبات وغيرها (آيات) أى دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته (للموقنين) أى الذين صار الايقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيرى من الآيات فيها أنها تحمل كل شئ فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استثقل أحدا أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات فيها أنه يلقى عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح الا بكل خلق حسن على وشيمة زكية (وفى أنفسكم) آيات أيضا من مبدا خلقكم الى منتهاه وما فى تركيب خلقكم من العجائب (أفلا تبصرون) أى بأبصاركم وبصائركم فتتأملوا ما فى ذلك من الآيات فمن تأملها علم انه عبد ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج الى أحد (وفى السماء) أى جهة العلو (رزقكم) بما يأتى من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه وتعالى لمنافع العباد وقال ابن عباس يعنى بالرزق المطر لانه سبب الارزاق وقيل فى السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الارزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل فى الارض حبة قوت (وما توعدون) قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك من الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل (فورب) أى مبدع ومدبر (السماء والارض) أى وما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه (انه) أى الذى توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الاقسام عليه (لحق) أى ثابت يطابقه الواقع (مثل ما أنكم تنطقون) أى مثل نطقكم كما أنه لا شك فى أنكم تنطقون ينبغى لكم أن لا تشكوا فى تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء معناه ان كل انسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق بلسان غيره كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره وأنشدوا فى المعنى

مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن فى وقته * وأخو الجهالة متعب مغبون

وقيل معناه ان القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون وقرأ حمزة والكسائى وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق وما مزيدة وانكم مضاف اليه أى لحق مثل نطقكم ولا يضر تقدير اضافته الى المعرفة لانه لا يتعرف بذلك لابهامه والباقون بالنصب على أنه نعت لحق أيضا كما فى القراءة الاولى وانما بنى الاسم لاضافته الى غير متمكن كما بناه القائل فى قوله

فتداعى منخراه بدم * مثل ما أثمر حماض الجبل

بفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل انها نعت لمصدر محذوف أى لحق حقا مثل نطقكم وقوله تعالى (هل أتاك) أى يا أكمل الخلق (حديث ضيف ابراهيم المكرمين) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا لانه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين عند الله تعالى أو لان ابراهيم عليه السلام أكرمهم بأن عجل قراهم وأجلسهم فى أكرم المواضع واختيار ابراهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بأن يتبع ملته وكان ابراهيم عليه السلام أكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون

حكاية لما فى صحف موسى الما هذه الامة فانها ما سمعت وما سمعى انها او هو على ظاهره لكن دعاء ولد لانسان وصديقه وقرابته مما

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد لان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوين وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (فان قيل) اذا كان المراد من الآية التسلية والانذار فاى فائدة فى حكاية الضيافة (اجيب) بان فى ذلك اشارة الى أن الفرج فى حق الانبياء والبلاء على الجهلة يأتى من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابراهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيرى وقيل كان عددهم اثنى عشر ملكا وقيل جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها (اذ) أى حديثهم حين (دخلوا عليه) أى دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الذال عند الدال والباقون بالادغام *(تنبيه)* اختلف فى العامل فى اذ على أربعة أوجه أحدها أنه حديث أى هل أتاك حديثهم الواقع فى وقت دخولهم عليه ثانيها أنه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لانه فى الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكر وغيره كانه قيل الذين اضفتهم فى وقت دخولهم عليه ثالثها أنه منصوب بالمكرمين ان أريد باكرامهم أن ابراهيم عليه السلام أكرمهم بخدمته لهم كانه تعالى يقول أكرموا اذ دخلوا رابعها أنه منصوب باضمار اذكر ولا يجوز نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (فان قيل) انما ارسلوا الى قوم لوط فما الحكمة فى مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام (أجيب) من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه وعادة الملك اذا ارسل رسولا الى ملك وفى طريقه من هو أكبر منه يقول له اعبر على فلان الملك وأخبره برسالتك وخذ فيها رأيه ثانيهما أن ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك امة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم بشروه بغلام يخرج من صلبه اضعاف من هلك ويكون من صلبه فروع الانبياء عليهم السلام (فقالوا سلاما) اى هذا اللفظ (قال سلام) أى هذا اللفظ والمشهور ان السلام الاول المراد به التحية اى نسلم سلاما وقيل ان سلاما معناه حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من ان يلغو أو يأثم فكانهم قالوا قولا حسنا سليما من الاثم فيكون مفعولا به لانه فى معنى القول وأما رفع الثانى فالمشهور انه التحية فهو مبتدأ وخبره محذوف اى عليكم وقيل انه السلامة اى امرى سلام لانى لا اعرفكم وقرأ حمزة والكسائى بكسر السين وسكون اللام والباقون بفتح السين واللام وألف بعدها والمعنى واحد وقوله تعالى (قوم منكرون) أى غرباء لا اعرفهم قال ذلك فى نفسه كما قاله ابن عباس خبر مبتدا مقدر أى هؤلاء وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال ابو العالية انكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) اى ذهب فى خفية من ضيفه فان من آداب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا (الى اهله) أى الذين عندهم بقره (فجاء بعجل) اى فتى من اولاد البقر لانه كان عامة ماله البقر (سمين) قد شواه وانضجه كما قال تعالى فى سورة هود حنيذ اى مشوى (فقربه اليهم) بان وضعه بين ايديهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) والهمزة اما للانكار عليهم فى عدم اكلهم واما للعرض

وصدرتهما عنه من سمعه ايضا بواسطة اكتسابه القرابة والصداقة والمحبة من الناس بسبب التقوى والعمل الصالح (قوله فبأى

واما التحضيض فلم يجيبوا (فاوجس) اى اضمر فى نفسه (منهم خيفة) لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا بعذاب فلما عرفوا منه ذلك (قالوا) مؤنسين له (لا تخف) واعلموه انهم رسل الله (وبشروه بغلام) يأتيه على شيخوخته ويأس امرأته بالطعن فى السن بعد عقمها وهو اسحق عليه السلام (عليم) اى مجبول جبلة مهياة للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل فى اوانه فان جميع الانبياء بعده من ذريته الا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام * (تنبيه) * ذكر ههنا من آداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقاءه بالوجه الحسن والمبالغة فى الاكرام بقوله سلام وهو آكد وسلامهم بالمصدر وفى قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبياء فقال سلام اى امرى مسالمة ثم فيها من آداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفاء فى قوله فراغ تدل على التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضى الاخفاء وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح ويأتى بما ينعه الحياء منه ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف فى مكانه ولا ينقل الضيف للطعام لقوله قربه اليهم ويعرض الاكل عليه ولا يأمره لقوله تعالى قال الا تأكلون ولم يقل كلوا وسروره بأكله لا كما يوجد فى بعض البخلاء الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره ونظر اهل بيته الى الطعام حتى يمسك الضيف يده عنه لقوله تعالى فاوجس منهم خيفة لعدم اكلهم ومن آداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا به أو يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام أن لا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح لى بل يأتى بعبارة حسنة ويقول فى مانع من أكل الطعام لانهم أجابوه بقولهم لا تخف ولم يذكروا فى الطعام شيأ ولا أنه يضرهم بل بشروه بالولد اشعارا بأنهم ملائكة وبشروه بالاشرف وهو الذكر حيث فهموه انهم ليسوا ممن يأكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم أشرف الصفات ثم أدب آخر فى البشارة وهو أن لا يخبر الانسان بما يسره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستأنس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك (فان قيل) قال تعالى فى سورة هود فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على أن انكاره حصل بعد تقريب العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى أهله بفاء التعقيب وذلك يدل على أن تقريب الطعام منهم بعد حصول انكاره فما وجهه (أجيب) بان يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس فى الشكل والهيئة ولذلك قال قوم منكرون أى عند كل أحد واشترك ابراهيم عليه السلام وغيره فيه ولهذا لم يقل أنكرتم بل قال أنتم منكرون فى أنفسكم عند كل أحد منا ثم لما امتنعوا من الطعام تأكد الانكار لان ابراهيم تفرد بمشاهدة امساكهم فنكرهم فوق الانكار الاول وحكاية الحال فى سورة هود أبسط مما ذكره ههنا فانه هنالم يبين المبشر به وهنا ذكره باسمه وهو اسحق وههنا لم يقل ان القوم قوم من وهناك قال قوم لوط ولما كانا بعيدين عن قبول الولد تسبب عن ذلك قوله تعالى دالا على ان الولد اسحق مع الدلالة على أن خفاء الاسباب لا يؤثر فى وجود المسببات (فاقبلت) أى من سماع هذا الكلام (امرأته) سارة قيل

آلاء ربك تتمارى) اى تشك
والخطاب فيه للوليد
ابن المغيرة (ان قلت)
كيف قال تعالى ذلك بعد
تعديد النقم والآلاء النعم

لم

لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه وقوله تعالى (فى صرة) أى صيحة حال أى جاءت صائحة لانها قد امتلأت عجبا (فصكت) قال ابن عباس لطمت (وجهها) واختلف فى صفته فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهى عادة النساء اذا أنكرن شيأ وأصل الصك ضرب الشئ بالشئ العريض وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها عجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا انكرن شيأ (وقالت) تريد أن تستبين الامر هل الولد منها أو من غيرها (عجوز) قال القشيرى قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين سنة ومع ذلك (عقيم) فهى حال شبابها لم تكن تقبل الحبل فلم تلد قط ولما قالت ذلك قالوا مجيبين لها (قالوا كذلك) أى مثل ماقلناه من هذه البشرى العظيمة (قال ربك) أى المحسن اليك بتاهيلك لذلك على ماذكرت من حالك وبتاهيلك من قبل الاتصال بخليله صلى الله عليه وسلم (انه هو) أى وحده (الحكيم) الذى يضع الاشياء فى أحق مواضعها (العليم) المحيط العلم فهو لذلك لايعجزه شئ ثم بين سبحانه وتعالى ما كان من حال ابراهيم وحال الملائكة بعد ذلك بقوله تعالى (قال) اى ابراهيم عليه السلام مسببا عمارأى من حالهم وان اجتماع الملائكة على تلك الحالة لم يكن لهذه البشارة فقط (فما خطبكم) أى خبركم العظيم (أيها المرسلون) أى لامر عظيم وهذا أيضا من آداب المضيف اذا بادر الضيف بالخروج قال له ماهذه العجلة وماشانك لان فى سكوته مايوهم اشتغاله ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذى لايسر عن الصديق شيأ وكان ذلك باذن الله تعالى لهم فى اطلاع ابراهيم عليه السلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بابى الانبياء اسحق عليه السلام (فان قيل) فما الذى اقتضى ذكره بالفاء ولم لاقال ماهذا الاستعجال وما خطبكم المعجل لكم (أجيب) بانه لما أوجس منهم خيفة لو خرجوا من غير بشارة واينا س فلما آنسوه قال فما خطبكم أى بعد هذا الانس العظيم ماهذا الايحاش الاليم (قالوا) قاطعين بالتاكيد بان مضمون خبرهم حتم لابد منه ولامدخل للشفاعة فيه (انا أرسلنا) أى ارسال من تعلم (الى قوم مجرمين) أى هم فى غاية القوة على مايحاولونه وقد صرفوا ما أنعم الله تعالى به عليهم من القوة فى قطع مايحق وصله ووصل مايحق قطعه يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم) أى من السماء التى فيها ماوعد العباد به وتوعدوا (حجارة من طين) أى مهيأ للاحراق والاحتراق (مسومة) أى معلمة بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها وقوله تعالى (عند ربك) أى المحسن اليك بهذه البشارة وغيرها ظرف لمسومة أى معلمة عنده (للمسرفين) أى المتجاوزين الحدود غير قانعين بما أبيح لهم فالمسرف المتمادى ولو فى الصغائر فهم مجرمون أى مسرفون والمجرم قال ابن عباس هو المشرك لان الشرك أعظم الذنوب * وهنا لطيفة * وهى ان الحجارة سومت للمصر المسرف الذى لايترك الذنب فى المستقبل وذلك امر يعلمه الله تعالى فلذلك قال عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين واللام فى المسرفين لتعريف العهد أى لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم بانهم أتوا بما لم يسبقهم به أحد من العالمين وفى هذا دليل على رجم اللائط والفائدة فى ارسال جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفى فيه الواحد منهم اذ الملك العظيم قد يهلك

قوله فى هامش الصحيفة التى قبلها تعديد النعم صوابه تعديد النقم اه مصححه

(قلت) قد تقدم أيضا انه تعديد النعم مع ان النقمة فى طيها نعمة لما تضمنته من المواعظ والزواجر والمعنى فباى نعم

بالامر الحقير كما أهلك النمروذ بالبعوض وكما أهلك فرعون بالقمل والجراد بل بالريح التى بها الحياة اظهار القدرة وقد تكثر الاسباب كما فى يوم بدر أمر بخمسة آلاف من الملائكة باهلاك اهل بدر مع قلتهم اظهار العظيم قدرته *(تنبيه)* قوله تعالى من طين أى ليس من البرد والفاصل لذلك هو الله تعالى لا كما تقول الحكماء فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله تعالى من طين يدفع ذلك التوهم قال الرازى ان بعض من يدعى العقل يقول لا ينزل من السماء الاحجارة من طين مدورات على هيئة البرد وهيئة البنادق التى يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك ان الاعصار تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التى لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق ذلك الى هواء ندى فيصير ذلك طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيته يقطر كرات مدورات كاللآلئ الكبار ثم فى النزول ان اتفق أن تضربه النيران التى فى الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من هدا الله تعالى هلاكه وقد ينزل كثيرا فى المواضع التى لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين لان مالا يكون من طين كالحجر الذى يكون فى الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يمطر وهذا تعسف لان ذلك الاعصار لما وقع فان وقع لحادث آخر لزم التسلسل ولابد من الانتهاء الى محدث ليس بحادث فذلك المحدث لابد وأن يكون فاعلا مختارا والمختار له أن يفعل ذلك وله أن يخلق الحجارة من طين على وجه آخر من غير نار ولا غبار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه ومالا يصل العقل اليه لا يؤخذ الا بالنقل والنص ومن المعلوم أن نزول حجارة الطين من السماء أغرب وأعجب من غيرها * ولما أراد الله تعالى أن يهلك المجرمين من المؤمنين بقوله تعالى (فأخرجنا) أى بما لنا من العظمة بعد أن ذهبت رسلنا اليهم ووقعت بينهم وبين لوط عليه السلام محاورات معروفة لم يدع الحال هنا الى ذكرها (من كان فيها) أى قرى قوم لوط (من المؤمنين) اى المصدقين بقلوبهم لئلا نسويهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على قلتهم وضعفهم وقوة المخالفين وكثرتهم (فما وجدنا فيها) أى تلك القرى أسند الامر اليه تشريفا للرسل واعلاما بان فعلهم فعله تعالى (غير بيت) أى واحد وهو بيت ابن أخى ابراهيم عليهما السلام وقيل كانت عدة الناجين منهم ثلاثة عشر (من المسلمين) أى العريقين فى اسلام الظاهر والباطن لله تعالى من غير اعتراض أصلا وهم ابراهيم وآله عليهم السلام وانهم أول من وجد منهم الاسلام الاتم وتسموا به كما مر فى سورة البقرة وسموا به أتباعهم فكان هذا البيت الواحد صادقا عليه الايمان الذى هو التصديق والاسلام الذى هو الانقياد قال البغوى وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم يعنى لما بينهما من التلازم وان اختلف المفهومان وقال الاصفهانى وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وقيل هم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أى هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات *(تنبيه)* فى الآية اشارة الى أن الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف مالو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون ومثاله أن العالم كالبدن ووجود الصالحين كالاغذية الباردة والحارة والسموم الواردة عليه الضارة ثم ان البدن اذا خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان

(قوله كذبت قبلهم قوم نوح الى قوله وما أمرنا الا واحدة) ... ربك الدالة على وحدانيته تشكيكا بالوليد بن المغيرة *(سورة القمر)*

خلاعن الضار وفيه النافع طاب وغاوان وجدا فيه معافالحكم للاغلب والاطلاق الخاص على العام لامانع منه لان المسلم أعم من المؤمن فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما فكأنه تعالى قال أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الاعم منهم الا بيتا من المسلمين ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين (وتركنا) أى بما لنا من العظمة (فيها) أى تلك القرى بما أوقعنا بها من العذاب (آية) أى علامة عبرة على هلاكهم كالحجارة أو الماء المنتن فانا قلعنا قراهم كلها وصعدت فى الجو كالغمام الى عنان السماء ولم يشعر أحد من أهلها بشئ من ذلك ثم قلبت واتبعت بالحجارة ثم خسف بها وغمرت بالماء الذى لا يشبهه شئ من مياه الارض كما ان جنايتهم لم تكن تشبه جناية أحد ممن تقدمهم من أهل الارض (للذين يخافون العذاب الاليم) أى أن يحل بهم كما حل بهذه القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء الذارى الى عنان السماء وقلبهم واتباعهم الحجارة المحرقة وغمرهم بالماء المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه وما ادخر لهم فى الآخرة أعظم وخص الذين يخافون بالذكر لانهم المعتبرون بها وقوله تعالى (وفى موسى) عطف على قوله تعالى فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتعلق بتركنا من حيث المعنى ويكون التقدير وتركنا فى قصة موسى آية (اذ أرسلناه) أى بما لنا من العظمة (الى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة واضحة وهى معجزاته الظاهرة كاليد والعصا ومع ذلك لم ينتفع بها ولذلك سبب عنها وعقب بها قوله تعالى (فتولى) أى كلف نفسه الاعراض عنها بعد ما دعاه عملها الى الاقبال اليها وأشار الى قواه بقوله تعالى (بركنه) أى بسبب ما يركن اليه من القوة فى نفسه وبأعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه كناية عن المبالغة فى الاعراض (وقال) معلما بعجزه عما أتاه به وهو لا يشعر (ساحر) ثم ناقض كمناقضتكم فقال بجهله عما يلزم على قوله (أو مجنون) أى لا جراءته على مع مالى من عظيم الملك بمثل هذا الذى يدعو اليه * (تنبيه) * أو هذا على بابها من الابهام على السامع أو للشك نزل نفسه مع أنه يعرفه نبيا حقا منزلة الشاك فى أمره تمويها على قومه وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو قال لانه قد قالهما قال تعالى ان هذا الساحر عليم وقال فى موضع آخر ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو الى ذلك واما الآيتان فلا تدلان على أنه قالهما معا فى آن واحد وانما يفيدان انه قالهما أعم من أن يكونا معا أو هذه فى وقت وهذه فى آخر ولما وقعت التسلية بهذا للاولياء قال تعالى محذرا للاعداء (فأخذناه) أى أخذ غضب وقهر بعظمتنا وقوله تعالى (وجنوده) يجوز أن يكون معطوفا على مفعول أخذناه وهو الظاهر وأن يكون مفعولا معه (فنبذناهم) أى طرحناهم طرح مستهين بهم كما تطرح الحصيات (فى اليم) أى البحر الذى هو أهل لان يقصد بعد أن سلطنا الريح عليه ففرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه ونشفت أرضه وأيبست ما أبرزت فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك أعدائنا (وهو) أى والحال ان فرعون (مليم) أى آت بما يلام عليه من تكذيب الرسول ودعوى الربوبية وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصا أخر تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم احداها قوله تعالى (وفى عاد) أى اهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام آية عظيمة (اذ) أى حين (أرسلنا) بعظمتنا (عليهم الريح) فاتتهم تحمل سحابة سوداء وهى تذر الرمل

نوح فكذبوا عبدنا) ان قلت ما فائدة اعادة التكذيب فيه (قلت) فائدته حكاية الواقع وهو انهم كذبوا تكذيبا

وترمى بالحجارة كما مرت الاشارة اليه على كيفية لاتطاق (العقيم) أى التى لاخير فيها لاتحمل المطر ولاتلقح الشجر وهى الدبور ثم بين عقمها واعقامها بقوله تعالى (ماتذر) أى تترك على حالة رديئة وأغرق فى النفى فقال تعالى (من شئ أتت عليه) أى اتيانا أراد مرسلها اهلاكه بها (الاجعلته كالرميم) أى الشئ البالى الذى دهكته الايام والليالى الى حالة الدمار وهو فى كلامهم مايبس من نبات الارض وديس قاله ابن جرير (فان قيل) الجبال والصخور وغير ذلك أتت عليهم وماجعلتهم كالرميم (أجيب) بان المراد أتت عليه قاصدته وهو عاد وابنيتهم وعروشهم لانها كانت مأمورة بامر من عند الله فكانها كانت قاصدة لهم فماتركت شيأ من تلك الاشياء الاجعلته كالرميم ثانيها قوله تعالى (وفى ثمود) أى اهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام آية عظيمة (اذ) أى حين (قيل لهم) أى ممن لايخاف الميعاد وقرأ هشام والكسائى بضم القاف والباقون بكسرها (تمتعوا) أى بلبن الناقة وغيره مما مكناكم فيه من الزروع والنخيل والابنية فى الجبال والسهول وغير ذلك من جلائل الامور على الوجه الذى أمرنا كم به ولاتطغوا (حتى حين) أى وقت ضربناه لآجالكم (فعتوا) أى أوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو وهو التكبر والاباء (عن أمر ربهم) أى مولاهم الذى أعظم احسانه اليهم فعقروا الناقة وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم) أى بسبب عتوهم أخذ قهر وعذاب (الصاعقة) أى الصيحة العظيمة التى حملتها الريح فأوصلتها الى مسامعهم بغاية العظمة ورجت ديارهم رجة أزالت أرواحهم بالصعق وقرأ الكسائى باسكان العين ولاألف قبلها والباقون بكسر العين وقبلها الف وقوله تعالى (وهم ينظرون) دال على انها كانت فى غمام وكان فيها نار ويجوز مع كونه من النظر أن يكون أيضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة أيام وجعل فى كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه فى اليوم الرابع وقال بعض المفسرين المراد منه هو ما أمهلهم الله تعالى بعد عقرهم الناقة وهو ثلاثة أيام بقوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وكان فى تلك الايام تتغير ألوانهم فتحمر وتصفر وتسود قال الرازى وهذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن أمر ربهم بحرف الفاء دليل على أن العتو كان بعد قوله تعالى تمتعوا فاذا الظاهر أن المراد هو ماقدر الله تعالى للناس من الآجال فمامن أحد الا وهو يمهل مدة الاجل انتهى ولحسن هذا فسرت الآية به (فما) أى فتسبب عن ذلك انهم ما (استطاعوا) أى تمكنوا وأكد النفى بقوله تعالى (من قيام) أى فماقاموا بعد نزول العذاب وماقدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة كقوله تعالى فأصبحوا فى ديارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا) أى كونا ما (منتصرين) أى لم يكن فيهم أهلية الانتصار بوجه لابانفسهم ولابناصر ينصرهم فيطاوعونه فى النصرة لان تهيؤهم لذلك سقط بكل اعتبار ثالثها قوله تعالى (وقوم نوح) بالجر وهى قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى عطف على ثمود أى وفى اهلاكهم بماء السماء والارض آية وبالنصب وهى قراءة الباقين أى وأهلكنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل اهلاك هؤلاء المذكورين ثم علل اهلاكهم بقوله تعالى (انهم كانوا) خلقا وطبعا لاحيلة لغيرنا من أهل الاسباب فى صلاحهم (قوما) أى أقوياء (فاسقين) أى عريقين فى الخروج عن حظيرة الدين ثم ذكر مايدل على تمام

بعد تكذيب أو الاول تكذيبهم بالتوحيد والثانى بالرسالة أو الاول تكذيبهم بالله والثانى

القيرة

القدرة على البعث بقوله تعالى (والسماء بنيناها) أى بما لنا من العظمة (بأييد) أى بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها * (فائدة) * رسمت بأييد بياءين بعد الالف (وانا) على عظمتنا بعد ذلك (لموسعون) أى أغنياء وقادرون ذو وسعة لا تتناهى ولذلك أوسعنا بقدر جرمها وما فيها من الرزق عن أهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة فى وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الالهية التى لا تصح معها الشركة أصلا فلسنا كمن تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا شيأ لم يقدروا على أعظم منه وان قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسترون فى اليوم الآخر ما ينه لا شى ما ترون فى جنبه ومن ايساعنا جعلها بلا عمد مع ماهى عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور الخارقة للعوائد وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة (والارض فرشناها) أى بسطناها ومهدناها بما لنا من العظمة فصارت ممهدة جديرة بان تستقر عليها الاشياء وهى آية على تمهيد أرض الجنة وشققنا انهارها وغرسنا اشجارها (فنعم) أى فتسبب عن ذلك أن يقال فى وصفنا نعم (الماهدون) والمخصوص بالمدح محذوف لفهم المعنى أى نحن لكمال قدرتنا فما نزل من السماء شئ ولا نبع من الارض شئ الا بارادتنا واختيارنا وتقديرنا من الازل لانا اذا صنعنا شيأ انما يكون منه من حين انشائه الى حين افنائه ولا يكون شئ منه الا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والنار فما فيهما من خير فهو آية على الجنة وما فيها من شر فهو آية على النار وقوله تعالى (ومن كل شئ خلقنا) يجوز أن يتعلق بخلقنا أى خلقنا من كل شئ (زوجين) وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من زوجين لانه فى الاصل صفة له اذ التقدير خلقنا زوجين كائنين من كل شئ أى صنفين كل منهما يزاوج الآخر من وجه وان خالفه من آخر ولا يتم نفع أحدهما الا بالآخر من الحيوان والنبات وغيرهما او يدخل فيه الاضداد من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد اللذين هما من نفس جهنم آية بينة عليها وبناؤها على الاعتدال فى بعض الاحوال آية على الجنة مذكرة بها مشوقة اليها والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر قال الحسن كل اثنين منها زوج والله سبحانه وتعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعلموا ان خالق هذه الاشياء واحد لا شريك له لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الارواح وقرأ حفص والكسائى بتخفيف الذال والباقون بالتشديد (ففروا) اى أقبلوا والجؤا (الى الله) اى الذى لا سمى له فضلا عن مكافئ وله الكمال كله فهو فى غاية العلو فلا يفر ويسكن احد الى غير محتاج مثله فان المحتاج لا غنى عنده ولا يفر اليه سبحانه الا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية الى اوج صفاته الروحانية وذلك من وعيده الى وعده اللذين دل عليهما بالزوجين فتكمل السياق بالتحذير والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجأ منك الا اليك أعوذ بك منك قال القشيرى ومن صح فراره الى الله تعالى صح قراره مع الله تعالى قال البقاعى وهو بكمال المتابعة لنبينا ومن فهم منه اتحادا بذات أو صفة فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله (انى لكم منه) اى لا من غيره (نذير) اى من ان يفر احد الى غيره فانه لا يحصل له قصد (مبين) اى بين

(قوله فالتقى الماء) ان قلت القياس الماآن كما قرئ به شاذا أى ماء السماء وماء الارض (قلت) أراد به

برسوله صلى الله عليه وسلم

الانذار ففرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ومن الكسل الى التشمير حذرا وحزما ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استغرافا فى وحدانيته (ولا تجعلوا) اى باهوائكم (مع الله) وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لانه لم يشاركه فى التسمية به أحد وتنبيها على ماله من صفات الكمال وتعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن لو قيل معه ان المراد النهى عن الجعل من جهة الفرار لا من جهة غيرها (الها آخر) ثم علل النهى مع التأكيد باعادته فى نذارته فقال (انى لكم منه) أى لا من غيره فان غيره لا يقدر على شئ (نذير) أى محذر من الهلاك الابدى بالعقوبة التى لا خلاص معها ان فعلتم ذلك (مبين) أى لا أقول شيأ من واضح النقل الاودليله ظاهر (كذلك) أى مثل قول قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب بماله من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا المقدر بقوله تعالى مستأنفا (ماأتى الذين من قبلهم) أى كفار مكة وعمم النفى فقال تعالى (من رسول) أى من عند الله تعالى (الا قالوا ساحر أو مجنون) أى مثل تكذيبهم لك بقولهم ذلك لان الرسول ياتيهم بمخالفة مألوفاتهم التى قادتهم اليها أهواؤهم والهوى هو الذى أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت أو للتفصيل لان بعضهم قال واحدا و بعضهم قال آخر أو كانت للشك لان الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون بالضد من ذلك (فان قيل) قوله تعالى الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ذلك والامر ليس كذلك لان ما من رسول الا وآمن به قوم (أجيب) بان ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال الا قالوا ولما كان كثير منهم قائلين قال تعالى الا قالوا (فان قيل) فلم لم يذكر المصدقين كما ذكر المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت و بعضهم كذبت (أجيب) بان المقصود التسلية وهى أعلى التكذيب فكأنه تعالى قال لا تاس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا ثم عجب منهم بقوله تعالى (أتواصوا به) فهو استفهام للتعجب والتوبيخ والضمير فى به يعود على القول المدلول عليه بقالوا اى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول المتضمن لساحر أو مجنون والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد كأنهم تواطؤا عليه واوصى أولهم آخرهم بالتكذيب وقوله تعالى (بل هم قوم) اى ذو شماخة وكبر (طاغون) اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد أيامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فتول) اى اعرض (عنهم) اى كاف نفسك الاعراض عن الابلاغ فى ابلاغهم ولا تأسف على تخلفهم عن الاسلام (فما انت بملوم) لانك بلغتهم الرسالة وما قصرت فيما امرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن النبى صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فانزل الله تعالى (وذكر) اى ولا تدع التذكير والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت انفسهم والمعنى ليس التولى مطلقا بل تول واقبل واعرض وادع فلا التولى يضرك اذا كان عليهم ولا التذكير يضيع اذا كان مع المؤمنين وقال مقاتل معناه عظ بالقران كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله تعالى انه

مؤمن

قوله قبل بما منهم من جنس الماء ووحده موافقة (قوله ان كان كفر) جزاء لمن قلت كيف قال ذلك والجزاء انما يكون للكافر

مؤمن منهم وقال الكلبي عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم * ولما بين حال من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في التكذيب بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى الذي خلقهم للعبادة بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) واختلف في تفسير ذلك فاكثر المفسرين على ان المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك بريته هذا القلم لاكتب به فانك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال المحلي واوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الا معدين للعبادة ثم منهم من يتأتى منه ذلك ومنهم من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد لا تكتب به وقد تكتب به انتهى أو ان المراد الا لآمرهم بالعبادة وليقروا بها وهذا منقول عن علي بن أبي طالب أو ان المراد ليطيعوا وينقادوا لقضائي فالمؤمن يفعل ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها أو ان المراد الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحد اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحد اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال البغوي وهذا أحسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص أي ما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتي والاشقياء منهم الا لمعصيتي قال زيد بن أسلم قال هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل وما خلقت الجن والانس المؤمنين وقيل الطائعين *(تنبيه)* استدل المعتزلة بهذه الآية على أن أفعال الله تعالى معللة بالاغراض وأجيبوا بوجوه منها ان اللام قد تثبت لغير الغرض كقوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على أن الاضلال بفعل الله كقوله تعالى يضل من يشاء وأمثاله ومنها قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وقوله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (فان قيل) ما الحكمة في أنه لم يذكر الملائكة مع أنهم من أصناف المكلفين وعبادتهم أكثر من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عباد مكرمون وقال تعالى لا يستكبرون عن عبادته (أجيب) بوجوه أحدها ان الآية سيقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له وهذا مختص بالجن والانس لان الكفر موجود فيهما دون الملائكة ثانيها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس فلما قال تعالى وذكر بين ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة وخصص أمته بالذكر أي ذكر الجن والانس ثالثها ان عباد الاصنام كانوا يقولون ان الله تعالى عظيم الشان خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله تعالى وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله تعالى فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله تعالى كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولم يذكر الملائكة لان الامر فيهم كان مسلما من القوم فذكر المتنازع فيه رابعها فعل الجن يتناول الملائكة لان أصل الجن من الاستتار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول الملائكة فيهم * ولما خص سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله تعالى (ما أريد منهم) أي في وقت من

(قلت) ان لا للمكفور قرئ كفر بالبناء للفاعل شاذا فالجزاء للكافر أو بالبناء للمفعول والاصل كفر به حذف الجار وأوصل

قوله فعل الجن كذا بالنسخ بايدينا ولعل الصواب لفظ الجن اه مصححه

الاوقات وعمم فى النفى بقوله تعالى (من رزق) أى شئ من الاشياء على وجه ينفعنى من جلب
أو دفع لانى منزه عن لحاق نفع أو ضر كما يفعل غيرى من الموالى مع عبيدهم فان ملاك العبيد
انما ملكوهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وأرزاقهم فاما مجهز فى تجارة ليبغى ربحا
أو مرتب فى فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم فى حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق
أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التى هى تصرف فى أسباب المعيشة وأبواب
الرزق لانى الغنى المطلق وكل شئ مفتقر الى (وما أريد) أصلا (أن يطعمون) أى أن يرزقون
رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض بأصنامهم فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها ويحضرون
اليها المآكل فربما أكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك عن عبادتها وقيل فى
الآية حذف مضاف أى وما أريد أن يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه
لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال الله فقد أطعمه كما صح فى الحديث عن أبى هريرة
أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال
يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما انك لو
انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وأنت
رب العالمين قال استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى
يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك
عبدى فلان فلم تسقه أما علمت انك لو اسقيته لوجدت ذلك عندى (فان قيل) ما الفائدة فى
تكرير الارادتين مع أن من لا يريد من أحد رزقا لا يريد أن يطعمه (اجيب) بان السيد
قد يطلب من العبد المكتسب له الرزق وقد يكون للسيد مال وافر يستغنى به عن التكسب
لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه واحضار الطعام بين يديه فقال لا أريد ذلك ولا هذا وقدم
طلب الرزق على طلب الاطعام من باب الارتقاء من الادنى الى الاعلى (فان قيل) ما فائدة
تخصيص الاطعام بالذكر مع أن المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم (اجيب) بانه لما عمم
النفى فى طلب الاول بقوله تعالى من رزق وذلك اشارة الى التعميم فذكر الاطعام ونفى
الادنى ليتبعه بنفى الاعلى بطريق الاولى فكانه قال ما أريد منهم من غنى ولا عمل (فان قيل)
المطالب لا تنحصر فيما ذكره فان السيد قد يشترى العبد لا لطلب رزق منه ولا للتعظيم بل
يشتريه للتجارة (اجيب) بان العموم فى قوله تعالى ما اريد منهم من رزق يتناول ذلك ثم بين تعالى
انه الرزاق لا غيره بقوله عز من قائل (ان الله) اى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن
جميع صفات النقص (هو) أى لا غيره (الرزاق) أى على سبيل التكرار لكل حى وفى كل وقت
(ذو القوة) أى التى لا تزول بوجه (المتين) اى الشديد الدائم (فان قيل) لم لم يقل انى رزاق
بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله هو الرزاق فما الحكمة (أجيب) بان المعنى
قل يا محمد ان الله هو الرزاق او يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة أو يكون قل
مضمرا عند قوله تعالى ما اريد منهم من رزق ولم يقل القوى بل قال ذو القوة لان المقصود
تقرير ما تقدم من عدم ارادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذو القوة لا يدل

بمجروره الفعل فالجزاء للمكنة وربه وهو الله تعالى اونوح عليه السلام والجزاء لكونه مصدرا يضاف تارة

الاعلى أن له قوة مانزاد فى الوصف المتانة وهو الذى له ثبات لا يتزلزل والمعنى فى وصفه سبحانه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ ولما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم الى أن ختم بقوته التى لاحد لها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم (فان للذين ظلموا) اى أوقعوا الاشياء فى غير مواقعها (ذنوبا) أى نصيبا من العذاب طويل الشر كانه من طوله صاحب ذنب (مثل ذنوب أصحابهم) اى الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسول من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب فى الاصل الدلو العظيمة المملوأة ماء وفى الحديث فاتى بذنوب من ماء فان لم تكن ملأى فهى دلو ثم عبر به عن النصيب قال عمرو ابن شاس

وفى كل حى قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبه قال الزمخشرى وهذا تمثيل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا آخر قال الشاعر

لكم ذنوب ولنا ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

وقال الراغب الذنوب الدلو الذى له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب أيضا الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم أسفل المتن ويقال يوم ذنوب أى طويل الشر استعارة من ذلك ويجمع فى القلة على أذنبة وفى الكثرة على ذنائب (فلا تستعجلون) اى تطلبوا أن آتيكم به قبل أوانه الاحق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وأنا متعال عن ذلك لا أخاف الفوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ولا بد أن أوقعه بهم فى الوقت الذى قضيت به فى الازل فانه أحق الاوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم (فويل) اى شدة عذاب (للذين كفروا) اى ستروا ما ظهر من هذه الادلة التى لا يسع عاقلا انكارها (من يومهم الذى يوعدون) أضافه اليهم لانه خاص بهم دون المؤمنين وهو يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العائد لاستكمال شروطه أى يوعدونه وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف عليها فالجميع بكسر الهاء وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا حديث موضوع والله أعلم

للفاعل وتارة للمفعول
(قوله عجاز نخل منقعر)
ذكر وصف النخل بمنقعر

سورة الطور مكيه

وهى تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم ذى الملك والملكوت (الرحمن) الذى عم خلقه بالرحموت (الرحيم) الحى الذى لا يموت وقوله تعالى (والطور) وما بعده أقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواوات التى بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو بمدين أقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذى قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس * (تنبيه) * مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب فى قوله تعالى (وكتاب مسطور) اى متقن الكتابة

بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة وهو كتاب موسى عليه السلام وهو
التوراة وقيل القرآن وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحائف أعمال الخلق قال تعالى ونخرج له
يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى (في رق) متعلق بمسطور أي مكتوب في رق والرق
الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد اه فهو أعم من كونه
جلدا أو غيره (منشور) أي مبسوط مهيأ للقراءة وقوله تعالى (والبيت المعمور) مختلف في
مكانه فقيل في السماء العليا تحت العرش وقيل في السماء الثالثة وقيل في السادسة وعلى
كل قول هو بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض
يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبدا ووصفه
بالعمارة لكثرة الطائفين به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام لكونه معمورا بالحجاج
والعمار والمجاورين وقيل اللام في البيت المعمور لتعريف الجنس كأنه تعالى أقسم بالبيوت
المعمورة والعمائر المشهورة وقوله تعالى (والسقف المرفوع) مختلف فيه أيضا فالاكثر على
أنه السماء كما قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل
سقف الجنة وهو العرش ونقل عن ابن عباس وقوله تعالى (والبحر المسجور) من الاضداد
يقال بحر مسجور أي مملوء وبحر مسجور أي فارغ وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس أنه
قال خرجت أمة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور أي فارغ ويؤيد هذا ان البحار يذهب
ماؤها يوم القيامة وقيل المسجور الممسوك ومنه ساجور الكلب لانه يمسكه ويحبسه وقال
محمد بن كعب القرظي يعني بالمسجور الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس
لما روى انه تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا
البحار سجرت وعن علي أنه سأل يهوديا أين موضع النار في كتابكم قال في البحر قال علي ما أراه
الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يركبن البحر رجل الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقال
الربيع بن أنس المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن (١) المنزل بن سمرة عن علي أنه قال البحر
المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له
بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى أربعين صباحا فينبتون في قبورهم وهذا قول
مقاتل (فان قيل) ما الحكمة في القسم بهذه الثلاثة أشياء (أجيب) بأن هذه الاماكن الثلاثة
وهي الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة أنبياء للخلوة بربهم والخلاص من
الخلق وخطابهم مع الله تعالى أما الطور فانتقل اليه موسى عليه السلام وخاطب الله سبحانه
وتعالى هناك وأما البيت المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقال لربه سلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأما البحر المسجور
فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من
الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فأقسم الله تعالى بها وأما ذكر الكتاب
فلان الانبياء كان لهم مع الله تعالى في هذه الاماكن كلام والكلام في الكتاب *(تنبيه)*
أقسم الله تعالى في بعض السور بجموع كقوله تعالى والذاريات والمرسلات والنازعات وفي

بعضها

وانثه في الحاقة بخاوية رعاية للفواصل فيهما وجاز فيه الامران نظرا الى اللفظ

(١) قوله المنزل كذا بالاصل المطبع وبنسخة خط النزال اه مصحح

بعضها المفرد كقوله تعالى والطور ولم يقل والاطوار والابحار قال الرازي والحكمة فيه
ان في أكثر الجموع أقسم عليها بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة بل هي متبدلة
بافرادها مستمرة بانواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال والذاريات اشارة
الى النوع المستمر لا الى الفرد المعين المستقر وأما الجبل فهو ثابت غير متغير عادة فالواحد من
الجبال دائم زمانا ودهرا فاقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله تعالى والنجم ولو قال والريح
لما علم المقسم به وفي الطور علم وقوله تعالى (ان عذاب ربك) اي الذي تولى تربيتك (لواقع) اي
ثابت نازل بمستحقه جواب القسم كما ان (ماله من دافع) اي مانع لانه لا شريك لموقعه لما دلت
عليه هذه الاقسام من كمال القدرة وجلال الحكمة قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته
يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكانما
صدع قلبي حين سمعته ولم أكن أسلمت يومئذ فاسلمت خوفا من العذاب وما كنت أظن أني
أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين تعالى أنه متى يقع بقوله تعالى (يوم تمور السماء)
اي تتحرك وتضطرب وتجيء وتذهب وتدور دوران الرحى ويموج بعضها في بعض وتتكفأ
باهلها تكفأ السفينة وتختلف أجزاؤها بعضها في بعض قال البغوي والمور يجمع هذه
المعاني وهو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب قال الرازي وقيل تجيء
وتذهب كالدخان ثم تضمحل (مورا) اي اضطرابا شديدا (وتسير الجبال) اي تنتقل من
أمكنتها انتقال السحاب وحقق معناه بقوله تعالى (سيرا) فتصير هباء منثورا وتكون
الارض قاعا صفصفا ثم بين من يقع عليه العذاب بقوله تعالى (فويل) أي شدة عذاب (يومئذ)
اي يوم اذ يكون ما تقدم ذكره (للمكذبين) اي العريقين في التكذيب للرسل (الذين هم) من
بين الناس بظواهرهم وبواطنهم (في خوض) اي أقوالهم وأفعالهم أفعال الخائض في الماء
فهو لا يدري أين يضع رجله (يلعبون) فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل الخوض واللعب
فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه فلا يؤسس على بيان أوجه (فان قيل) أهل
الكبائر لا يكذبون فيقتضي ذلك انهم لا يعذبون (أجيب) بان ذلك العذاب لا يقع على أهل
الكبائر لقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
فالمؤمن لا يلقى فيها القاء هوان وانما يدخل فيها للتطهير ادخالا مع نوع اكرام فالويل انما هو
للمكذبين وقوله تعالى (يوم يدعون) بدل من يوم تمور السماء أو من يومئذ قبله تقديره فويل
يومئذ يوم يدعون اي يدفعون دفعا عنيفا بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله تعالى لذلك
ذاهبين ومنتهين (الى نار جهنم) وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة والكراهة وأكد المعنى
وحققه بقوله تعالى (دعا) قال البغوي وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيديهم الى أعناقهم
ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجا في أقفيتهم مقولا لهم
تبكيتا وتوبيخا (هذه النار) اي الجسم المحرق المفسد لما أتى عليه الشاغل عن اللعب (التي
كنتم بها) في الدنيا (تكذبون) على التجدد والاستمرار وقوله تعالى (أفسحر) خبر مقدم وقوله
تعالى (هذا) هو المبتدأ وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك أنهم كانوا ينسبون

الفعل تارة فيذكر والى
معناه اخرى فيؤنث

(سورة الرحمن)

محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي الابصار بالسحر وان انشقاق القمر وأمثاله سحر فوبخوا به وقيل لهم أفسحر هذا اي الذي أنتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق الذي تصلون فيه (أم أنتم) في منام أو نحوه (لا تبصرون) بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا في أكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون للمنذر بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون (اصلوها) اي اذا لم يمكنكم انكارها وتحققتم أنه ليس بسحر ولا خلل في أبصاركم فقاسوا شدتها (فاصبروا) على هذا الذي لا طاقة لكم به (أو لا تصبروا) فانه لا محيص لكم عنه (سواء عليكم) اي الصبر والجزع فان صبركم لا ينفعكم وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجبا كان الصبر وعدمه سيين في عدم النفع ولما ذكر ما للمكذبين من العذاب أتبعه ما لاضدادهم من الثواب فقال تعالى (ان المتقين) اي الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة (في جنات) اي بساتين أية بساتين دائما في الدنيا حكما وفي الآخرة حقيقة (ونعيم) اي نعيم في العاجل يعني بما لهم فيه من الانس وفي الآجل بالفعل وزاد في تحقيق التنعم بقوله تعالى (فاكهين) اي متلذذين معجبين ناعمين (بما آتاهم) اي اعطاهم (ربهم) الذي تولى تربيتهم باعمالهم بالطاعات الى أن أوصلهم الى هذا النعيم (ووقاهم) اي قبل ذلك (ربهم) اي المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصي والقاذورات (عذاب الجحيم) اي النار الشديدة التوقد ولما كان من باشر النعمة وجانب النقمة في نعيم عظيم قال مترجما لذلك على تقدير القول (كلوا) اي أكلا هنيأ (واشربوا) اي شربا (هنيأ) وهو الذي لا تنغيص فيه فكل ما تتناولونه مأمون العاقبة من التخم والسقم وغيرهما (بما) اي بسبب ما (كنتم) اي كونا راسخا (تعملون) اي مجددين العمل على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم ثم نبه على أنهم مع هذا النعيم مخدومون بقوله تعالى (متكئين) اي مستندين استناد راحة لانهم يخدمون فلا حاجة لهم الى الحركة (على سرر مصفوفة) اي منصوبة واحدا الى جنب واحد مستوية كأنها المسطور على أحسن نظام وأبدعه ثم نبه على تمام سرورهم بالتمتع بالنساء بقوله تعالى (وزوجناهم) اي تزويجا يليق بما لنا من العظمة اي صيرناهم ممتعين (بحور) اي نساء هن في شدة بياض العين وسوادها واستدارة حدقتها ورقة جفونها في غاية حسن لا يوصف (عين) اي واسعات الاعين في رونق وحسن * (تنبيه) * اعلم انه تعالى بين أسباب التنعم على الترتيب فاول ما يكون المسكن وهو الجنات ثم الاكل والشرب ثم الفرش والبسط ثم الازواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله فقوله جنات اشارة الى المسكن وقال فاكهين اشارة الى عدم التنغيص وعلو المرتبة لكونه بما آتاهم الله وقال كلوا واشربوا هنيئا اي مأمون العاقبة وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنويعهما وكثرتهما وقوله تعالى بما كنتم تعملون اشارة الى أنه تعالى يقول اني مع كوني ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلي فلا منة لي عليكم اليوم وانما منتي عليكم كانت في الدنيا هديتكم ووفقتكم للاعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان وأما اليوم فلا منة عليكم لان هذا انجاز الوعد وقوله تعالى (والذين آمنوا) اي أقروا بالايمان وان لم يبالغوا في الاعمال الصالحة مبتدأ وقرأ أبو

(قوله ووضع الميزان) قرنه برفع السماء لانه تعالى عدده على

عمرو (وأتبعناهم) اى بما لنا من الفضل الناشئ عن العظمة بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون العين وبعد العين نون مفتوحة بعدها ألف والباقون بهمزة وصل محذوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين وبعدها تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على آمنوا (ذرياتهم) اى الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه (بايمان) اى بسبب ايمان حاصل منهم ولو كان فى أدنى درجات الايمان ولكنهم ثبتوا عليه الى ان ماتوا وذلك شرط اتباعهم الذريات قال البقاعى ويجوز أن يراد وهو أقرب بسبب ايمان الذرية حقيقة ان كانوا كبارا أو حكما ان كانوا صغارا ثم أخبر عن الموصول المبتدا بقوله تعالى (ألحقنا بهم) تفضلا منا عليهم (ذرياتهم) وان لم يكن للذرية أعمال لانه * لعين تجازى ألف عين وتكرم * والذريات هنا تصدق على الآباء وعلى الابناء وان المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا وهو منقول عن ابن عباس وغيره ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها أخذ لعلم أو عمل كانت أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب فى جواب من سأل عمن يحب القوم ولما يلحق بهم وقرأ ذريتهم بايمان وألحقنا بهم ذرياتهم نافع بالقصر فى الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما الا أنه يرفع التاء فى الاولى ويكسرها فى الثانية (فان قيل) قوله تعالى أتبعناهم ذرياتهم يفيد فائدة قوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم (أجيب) بان قوله تعالى ألحقنا بهم أى فى الدرجات والاتباع انما هو فى حكم الايمان وان لم يبلغوه كما مر ثم أشار الى عدم نقصان المتبوع بقوله تعالى (وما ألتناهم) أى ما نقصنا المتبوعين (من عملهم) وأكد النفى بقوله تعالى (من شئ) اى بسبب هذا الالحاق ولما بين تعالى اتباع الادنى للاعلى فى الخير بين أن الادنى لا يتبع الاعلى فى الشر بقوله تعالى (كل امرئ) من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم (بما كسب) اى عمل من خير أو شر (رهين) اى مرهون يؤخذ بالشر ويجازى بالخير وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك رهين فى النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وقال الواحدى هذا يعود الى ذكر أهل النار وهو قول مجاهد أيضا قال الرازى وفيه وجه آخر وهو أن يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ راهن اى دائم ان أحسن ففى الجنة مؤبدا وان أساء ففى النار مخلدا لان فى الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا فى جوهر ولا يوجد الا فيه وفى الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله تعالى يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقى يبقى مع عمله (وأمددناهم) اى الذين آمنوا والمتقين ومن ألحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة (بفاكهة) وقتا بعد وقت زيادة على ما تقدم ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه فى الدنيا وان كان عيش الجنة بجميع الاشياء تفكها ليس فيه شئ يقصد به حفظ البدن قال تعالى (ولحم مما يشتهون) من أنواع اللحمان والمعنى زدناهم مأكولا ومشروبا فالمأكول الفاكهة واللحم والمشروب الكأس

عباده ومن أجلها الميزان الذى هو العدل الذى به نظام العالم وقوامه وقيل

وفي هذا الطيفة وهي أنه تعالى لما قال وما ألتناهم من عملهم من شئ ونفى النقصان يصدق بحصول المساوي فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة والامداد وقوله تعالى (يتنازعون) في موضع نصب على الحال من مفعول أمددناهم ويجوز أن يكون مستأنفا وقوله تعالى (فيها) يجوز أن يعود الضمير الثمر بها و يجوز أن يعود للجنة ومعنى يتنازعون يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لذة لانهم يفعلون ذلك هم وجلساؤهم من أقربائهم واخوانهم (كأسا) اى خمرا من رقتها حاشيتها تكاد أن لا ترى في كأسها (لا لغو) اى لا سقط حديث وهو ما لا ينفع من الكلام ولا يضر (فيها) اى في تنازعها ولا بسببها الانها لا تذهب بعقولهم فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل بخلاف المتنادمين في الدنيا على الشراب بسفههم وعربدتهم (ولا تأثيم) اى لا يكون منهم ما يؤثمهم وقال الزجاج لا يجرى منهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجرى في الدنيا الشربة الخمر قال الرازي ويحتمل أن يكون المراد من التأثيم السكر وقيل لا يأثمون في شربها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بنصب لغو وتأثيم من غير تنوين والباقون بالرفع فيهما مع التنوين * ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ويعظم أنسها الا بخدم وسقاة قال تعالى (و يطوف عليهم) بالكؤس وغيرها من أنواع التحف (غلمان) اى أرقاء ولما كان أحب مال الى الانسان ما يختص به قال تعالى (لهم) ولم يقل تعالى غلمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا في الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له في الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وأفاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك (كأنهم) في بياضهم وشدة صفائهم (لؤلؤ مكنون) أى مخزون مصون لم تمسه الايدي قال سعيد بن جبير يعني في الصدف لانه فيها أحسن منه في غيرها أو مصون في الجنة لم تغيره العوارض قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم وأما المخدوم فروى عن الحسن انه لما تلا هذه الآية قال يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك وقرأ السوسي وشعبة لولو بالبدل والباقون بالهمز (وأقبل بعضهم) لما ازدهاهم من السرور واللذة والحبور (على بعض يتساءلون) اى يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا (قالوا) اى قال كل منهم (انا كنا قبل) اى في دار العمل (في أهلنا) على ما لهم من العدد والعدد والسعة وانا بهم من جوالب اللذة والدواعي الى اللعب (مشفقين) اى عريقين في الخوف من الله تعالى لا يلهينا عنه شئ مع لزومنا ما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بانا لا نقدره لما له من العظمة والجلال والكبرياء والكمال حق قدره والمعنى انهم يسألون عن سبب ما وصلوا اليه تلذذا واعترافا بالنعمة فيقولون ذلك خشية الله تعالى أي كنا نخاف الله تعالى (فمن الله) الذي له جميع الكمال بسبب

هو القرآن وقيل هو العقل وقيل هو وما يعرف به المقادير كالميزان المعروف

اشفاقنا منه (علينا) بالرحمة والتوفيق (ووقانا) اى وجنبنا باستر نابه (عذاب السموم)
قال الكلبى عذاب النار وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم والسموم فى الاصل الريح
الحارة التى تتخلل المسام والجمع سمائم يقال سم يومنا أى اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة
الحر أو شدة البرد فى النهار وقال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد تكون بالليل والحرور بالليل
وقد تكون بالنهار (انا كنا) اى بما طبعنا عليه وهيئنا له (من قبل) اى فى الدنيا (ندعوه) اى
نسأله ونعبده بالفعل وأما خوفنا بالقوة فقد كان فى كل حركة وسكون ثم علل دعاءهم اياه
مؤكدين لان انعامه عليهم مع تقصيرهم مما لا يكاد يفعله غيره فهو مما يتعجب منه غاية
التعجب بقولهم (انه هو) اى وحده وقرأ نافع والكسائى بفتح الهمزة والباقون بكسرها
(البر) اى الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطاء ولا يزيده منع
فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة وربما بره بالبؤس فهو يختار له من
الاحوال ما هو خير له ليوسع له فى البر فى العقبى فعلى المؤمن أن لا يتهم ربه فى شئ من قضائه
(الرحيم) اى المكرم لمن أراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر
فى خدمته ولما بين تعالى أن الوجود قوم يخافون الله تعالى ويشفقون فى أهليهم والنبى
صلى الله عليه وسلم مأمور بتذكير من يخاف الله تعالى لقوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف
وعيد فوجب التذكير فلذلك قال تعالى (فذكر) أى غظ يا أشرف الخلق بالقرآن ودم على
ذلك ولا ترجع عنه لقول المشركين لك كاهن ومجنون (فما أنت بنعمت ربك) اى بسبب ما أنعم
به عليك الحسن اليك من هذا الناموس الاعظم بعد تأهيلك له بما جبلك به من رجاحة العقل
وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق وجعلك أشرف الناس عنصرا
وأكملهم نفسا وأزكاهم خلقا وهم معترفون لك بذلك قبل النبوة وأكد النفى بقوله تعالى
(بكاهن) اى تقول كلاما مع كونه سجعا متكلفا أكثره فارغ وتحكم على المغيبات من غير
وحى (ولا مجنون) اى تقول كلاما لا نظام له مع الاخبار ببعض المغيبات فلا ينفك قولهم هذا
عن التذكير فانه قول باطل لا تعلقك به معرة أصلا وعما قليل يكون عيبا لهم لا ينفك عنهم
الا تباعهم لك فمن اتبعك منهم غسل عاره ومن استمر على عناده استمر تبابه وخساره *(تنبيه)*
نزلت هذه الآية فى الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة
والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) اى هؤلاء المقتسمون (شاعر) اى هو شاعر قال
الثعلبى قال الخليل كل ما فى سورة والطور من أم فاستفهام وليس بعطف وقال أبو البقاء أم فى
هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف فى المنقطعة هل تقدر ببل وحدها أو ببل والهمزة أو
بالهمزة وحدها والصحيح الثانى وقال مجاهد فى قوله تعالى أم تأمرهم تقديره بل تأمرهم
(نتربص) اى ننتظر (به ريب المنون) اى حوادث الدهر وتقلبات الزمان لانه لا تدوم على
حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

(وقال أبو ذؤيب)

والمكيال والذراع (ان
قاله) ما فائدة تكرار لفظ
الميزان ثلاث مرات مع ان

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

والمنون فى الاصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد والمعنى بل يقولون يعنى هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر نتربص به ريب المنون حوادث الدهر وصروفه وذلك أن العرب كانت تحترز عن ايذاء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ ويدوّن فقالوا لا نعارضه فى الحال مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونتربص موته ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء وتتفرق أصحابه فان أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون يكون بمعنى الدهر وبمعنى الموت سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ثم انه تعالى أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (قل) اى لهؤلاء البعداء (تربصوا) اى انتظروا بى الموت ولم يعرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه من السقوط بمنزلة ما لا يحتاج معه الى رد بمجادلة ثم سبب عن أمره لهم بالتربص قوله (فانى معكم من المتربصين) اى العريقين فى التربص وان ظننتم خلاف ذلك وأكده تنبيها على أنه يرجو الفرج بصيبتهم كما يرجون الفرج بصيبته وأشار بالمعية الى أنه مساواهم فى ذلك وان ظنوا الكثرتهم وقوتهم ووحدته وضعفه ان الامر بخلاف ذلك قال القشيرى جاء فى التفسير ان جميعهم اى الذين تربصوا به ماتوا قال ولا ينبغى لاحد أن يؤمل نفاق سوقه بموت أحد لتنتهى النوبة اليه فقل من تكون هذه صفاته الاوسبقته المنية ولا يدرك ماتمناه من الامنية (فان قيل) هذا أمر للنبى صلى الله عليه وسلم ولفظ الامر يوجب المامور به أو يبيحه ويجوزه وتربصهم كان حراما (أجيب) بان ذلك ليس بامر وانما هو تهديد اى تربصوا ذلك فانى متربص الهلاك بكم كقول الغضبان لعبده افعل ما شئت فانى لست عنك بغافل (أم تامرهم) اى تزين لهم تزيينا يصير مالهم اليه من الانبعاث كالامر (احلامهم) اى عقولهم التى يزعمون انهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث انه كان يقال فيهم أولو الاحلام والنهى فازرى الله تعالى بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل وذلك أن الاشياء لا يعبأ بها الا ان تزينت بعقل أو نقل فقال هل ورد أمر سمعى أم عقولهم تامرهم (بهذا) اى قولهم له ساحر كاهن مجنون وقيل الى عبادة الاوثان وقيل الى التربص اى لا تامرهم بذلك (أم) اى بل (هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) ذو وقوة على ما يحاولونه فهم لذلك (طاغون) اى مفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة الحد فى العصيان وكذلك كل شئ مكر وه ظاهر قال تعالى انا لما طغى الماء * (تنبيه) * اعلم ان قوله تعالى أم تامرهم متصل تقديره أأنزل عليهم ذكر أم تامرهم أحلامهم بهذا وفى هذه الآية اشارة الى أن كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغى أن يقال وانما ينبغى أن يقال ما يجب قوله عقلا والاحلام جمع حلم وهو العقل فهما من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الاحتلام وهو أيضا سبب وقار المرء وثباته لان الحلم فى أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزم الغسل الذى هو سبب البلوغ وعنده يصير الانسان مكلفا فالله تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل العقل ويكلف صاحبه فاشار تعالى الى العقل بالاشارة الى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به

القياس بعد الاول (قلت) فائدته الاضمار بيان ان كلا من الآيات

كمال العقل (أم يقولون) ما هو أفحش عارا من التناقض (تقوّله) أى تكلف قوله من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمام بعضهم بالعلم وعراقة آخرين فى الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزوا عن مثله بل عن مثل شئ منه * (تنبيه) * التقوّل تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب وهذا أيضا متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر تقديره أم يقولون شاعر أم يقولون تقوّله والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة وأبطل جميع الاقسام فقال عز من قائل (فليأتوا) أى على أى تقدير أرادوه (بحديث) أى كلام مفرق مجدد اتيانه مع الازمان (مثله) أى القرآن فى البلاغة وصحة المعانى والاخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هى عليه لا نكلفهم أن يأتوا به جملة (فان قيل) الصفة تتبع الموصوف فى التعريف والتنكير والموصوف هنا حديث وهو منكر ومثله مضاف الى القرآن والمضاف الى القرآن معرف فكيف هذا (أجيب) بأن مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة وذلك أن غيرا ومثلا وأمثالهما فى غاية التنكير لانك اذا قلت مثل زيد يتناول كل شئ فان كل شئ مثل زيد فى شئ فالحمار مثله فى الجسم والحجم والامكان والنبات مثله فى النمو والنشء والذبول والفناء والحيوان مثله فى الحركة والادراك وغيرهما من الاوصاف وأما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت غير زيد صار فى غاية الابهام فانه يتناول أمورا لا حصر لها وأما اذا قطعت غيرا عن الاضافة فربما يكون الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجعل الغير كاسماء الاجناس وتجعله مبتدأ أو تريد به معنى معينا * (تنبيه) * قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا فيكون محدثا وأجيبوا بأن الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول ولهذا يصح أن يقال هذا حديث قديم أى متقادم العهد لا بمعنى سلب الاولية وذلك لا نزاع فيه قال بعض العلماء وهذا أمر تعجيز قال الرازى والظاهر أن الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل ائتوا مطلقا بل قال تعالى (ان كانوا) أى كونا هم راسخون فيه (صادقين) أى فى أنه تقوّله من عند نفسه كما يزعمون فهو أمر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وأمر التعجيز كقوله تعالى فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر وفى هذا تشنيع عليهم سواء ادعوا أنه مجنون أم شاعر أم كاهن أم غير ذلك لان العادة تحيل ان يأتى واحد من قوم وهو مسلولهم بما لا يقدرون كلهم على مثله والعاقل لا يجزم بشئ الا وهو عالم به ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتى به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى الفصاحة والبلاد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء ومزاولة الخطب والرسائل وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه الا بتأييد الهى وهو المراد من تكذيبهم (أم خلقوا) أى وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة (من غير شئ) أى خالق خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لانفسهم وذلك فى البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا وهو الله تعالى فليوحدوه ويؤمنوا به وبرسوله وبكتابه وقال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمنون وقال ابن

قوله والترسل كذا بالاصل وفى نسختى خط الطبع والرسائل اه مصحح

مستقلة بنفسها أو ان كان من الالفاظ الثلاثة مغاير الكل من الآخرين اذ

كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شئ أى لغير شئ أم هم الخالقون لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر وقيل معناه أخلقوا من غير أب وأم * (تنبيه) * لا خلاف ان أم هنا ليست بمعنى بل لكن أكثر المفسرين على أن المراد ما يقع فى صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كأنه يقول أخلقوا من غير شئ قال الرازى ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذى يقع فى أثناء الكلام وتقديره أخلقوا من غير شئ أم هم الخالقون (أم خلقوا) أى على وجه الشركة (السموات والارض) فهم بذلك عالمون بمعانيهما على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا أنك تقولته ليصير لهم رده والتهكم عليه (بل لا يوقنون) أى ليس لهم نوع يقين والا لآمنوا برسوله وكتابه (أم عندهم) أى خاصة دون غيرهم (خزائن ربك) اى المحسن اليك بارسالك فيعلموا ان هذا الذى أتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم انك تقولته (أم هم) أى لا غيرهم (المسيطرون) اى الرقباء الحافظون المتسلطون الجبارون الرؤساء الحكام الكتبة ليكونوا ضابطين للاشياء كلها كما هو شان كتاب السر عند الملوك فيعلمون انك تقولت هذا الذكر لانهم لم يكتبوا به اليك (أم لهم سلم) يصعدون به الى السماء (يستمعون) أى يتعمدون السماع لكل ما يكون فيها ومنها (فيه) اى صاعدين فى ذلك السلم الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليأت مستمعهم) اى مدعى الاستماع (بسلطان مبين) اى بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم لزعمهم ان الملائكة بنات الله قال تعالى (أم له البنات) أى بزعمكم (ولكم البنون) أى خاصة لتكونوا اقوى منه فتكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم تسألهم) اى أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم (اجرا) على ابلاغ ما أتيتهم به (فهم من مغرم) اى غرم لك ولو قل والمغرم التزام ما لا يجب (مثقلون) فهم لذلك يكذبون من كان سببا فى هذا الثقل بغير مستند ليستريحوا مما جره لهم من الثقل (أم عندهم) اى خاصة بهم (الغيب) أى علم ما غاب عنهم (فهم يكتبون) أى يجددون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبوك الى ما نسبوك اليه مما يعلم كل احد نزاهتك عنه وبعدك منه وقال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام فى الغيب لا للعهد ولا لتعريف الجنس بل المراد نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد بيان الحقيقة لا كل لحم ولا لحما معينا (ام يريدون) أى بهذا القول الذى يرمونك به (كيدا) اى مكرا وضررا عظيما ليهلكوك به (فالذين كفروا) وكان الاصل فهم ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف (هم) اى خاصة (المكيدون) اى المغلوبون المهلكون فانهم مكروا به فى دار الندوة فحفظه الله تعالى منهم ثم أهلكهم ببدر عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهى خمس عشرة مرة لان بدرا كانت فى الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشر من النبوة فقد سبب الله تعالى فيها من الاسباب ما اوجب سعيهم الى هلاكهم بامور خارقة للعادة فلو كانت لهم بصائر لكفتهم فى الهداية والرد عن الضلالة والغواية (أم لهم اله) اى يمنعهم من التصديق بكتابنا او يستندون اليه للامان من عذابنا (غير الله) اى الذى احاط بجميع

الاول ميزان الدنيا والثانى ميزان الآخرة والثالث ميزان العقل (ان قلت)

صفات

صفات الكمال (سبحان الله) الملك الاعظم الذي تعالى عن أن يداني جنابه شائبة نقص (عما يشركون) من الاصنام وغيرها (تنبيه) ما الاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ ولما بين تعالى فساد أقوالهم وسقوطها اشار الى أنهم لم يبق لهم عذر فان الآيات والحجج قد ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله تعالى (وان يروا) أي معاينة (كسفا) أي قطعة وقيل قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة وسدر (من السماء) جهارا نهارا (ساقطا يقولوا) جواب اقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء كان الله تعالى يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن قولهم و يقولون لمعاندتهم هذا (سحاب) فان قيل لهم هو مخالف السحاب بصلابته وغلظته قالوا (مركوم) أي مركب بعضه على بعض فتلبد وتصلب وقوله تعالى (فذرهم) أي اتركهم على شر أحوالهم كقوله تعالى فأعرض عنهم وقوله تعالى فتول عنهم الى غير ذلك فقيل كلها منسوخة بآية القتال قال ابن عادل وهو ضعيف وانما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن يصحبه دعه فانه سينال جنايته (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه) أي لا في غيره لان ما حكمنا به لا يتقدم ولا يتأخر (يصعقون) أي يموتون من شدة الاهوال وعظم الزلزال كما صعق بنو اسرائيل في الطور ولكن لا نقيمهم كما أقمنا أولئك الا عند النفخ في الصور لنحشرهم للحساب الذي يكذبون به قال البقاعي والظاهر ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فما أغنى أحد منهم عن أحد شيأ كما قال أبو سفيان بن الحرث ماهو الا أنا لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا و يأسروننا كيف شاؤا وقوله تعالى (يوم لا يغني) أي بوجه من الوجوه بدل من يومهم (عنهم كيدهم) أي الذي يرمونه بهذه الاقوال المتناقضة (شيأ) من الاغناء في دفع شئ يكرهونه من الموت ولا غيره كما يظنون انه يغني عنهم في غير ذلك من أحوال هذه الدار (ولاهم ينصرون) أي يتجدد لهم نصر ما في ساعة ما يمنعهم من العذاب وقوله تعالى (وان للذين ظلموا) يجوز أن يكون من ايقاع الظاهر موضع المضمر وأن لا يكون والمعنى وان للذين أوقعوا الاشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القرآن و يفعلونه من العصيان و يعتقدونه من الشرك والبهتان (عذابا دون ذلك) أي غير عذاب ذلك اليوم قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال الضحاك هو الجوع والقحط سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر والآية تحتمل هذه المعاني كلها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب نازل بهم (فاصبر) أي أوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت عليه من أداء الرسالة (لحكم ربك) أي المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرده لم يكن شئ منه فهو احسان منه اليك وتدريب لك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله تعالى مؤكدا لما يغلب على الطبع البشري في بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان (فانك باعيننا) أي بمرأى منا نراك ونحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا سياقها وهي ظاهرة في الجمع واشارة الى أنه محفوظ بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه وتعالى (وسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أي المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك له عن كل نقص فلا يكون في ملكه ما لا يريده ولا يريد الا ما هو حكمة بالغة (حين تقوم) قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم و بحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى أبو هريرة أن رسول

قوله ان لا تطغوا في الميزان
اي لا تجاوزوا فيه العدل
معن عن الجانبين المذكورتين

الله صلى الله عليه وسلم قال من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أى من الذنوب الصغائر وقال ابن عباس معناه صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبى هو ذكر الله تعالى باللسان حين تقوم من الفراش الى أن تدخل فى الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى وعافنى ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم لامر ما (ومن الليل) أى الذى هو محل السكون والراحة (فسبحه) أى صل له قال مقاتل يعنى صلاة المغرب والعشاء (وأدبار النجوم) أى صل الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هى فريضة صلاة الصبح وهذه الآية نظير قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال الرازى قال تعالى هنا وأدبار النجوم وقال فى سورة ق وأدبار السجود فيحتمل أن يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع ساجد والنجوم سجود قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال الله تعالى ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض الآية أو المراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم فى اللغة أى اذا فرغت من وظائف الصلاة فقل سبحان الله كما مر وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته حديث موضوع

بعده (قلت) الطغيان فيه اخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط

سورة النجم مكية

ثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف

(بسم الله) الذى أحاط بصفات الكمال (الرحمن) الذى عم الموجودات بصفة الجمال (الرحيم) الذى خص أهل وده بصالح الاعمال (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس فى رواية العوفى يعنى الثريا اذا غابت وسقطت وهوت مغيبة والعرب تسمى الثريا نجما وجاء فى الحديث عن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض شئ من العاهات الارفع وأراد بالنجم الثريا وقال مجاهد هو نجم السماء كلها حين يغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والنبت والقرن اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس انها ما يرجم به الشياطين عند استراقهم السمع وقال أبو حمزة الثمالى هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة ويسمى التفريق تنجيما والمفرق منجما هذا قول ابن عباس فى رواية عطاء وقال الكلبى والهوى النزول من أعلى الى أسفل وقال الاخفش النجم هو النبت الذى لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اذا نزل من

السماء ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوى هويا والكلام فى قوله تعالى والنجم كالكلام فى قوله تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما مر *(تنبيه)* أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها فانه تعالى قال فى آخر تلك وأدبار النجوم وقال تعالى فى أول هذه والنجم اذا هوى قال الرازى والفائدة فى تقييد القسم به فى وقت هويه أنه اذا كان فى وسط السماء يكون بعيدا عن الارض لا يهتدى به السارى لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا نزل عن وسط السماء تبين بنزوله جانب المغرب عن المشرق والجنوب عن الشمال وقوله تعالى (ما ضل) أى عن طريق الهداية (صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم وقتا من الاوقات جواب القسم وعبر بالصحبة لانها مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيه ومقبلة بهم اليه ومقبحة عليهم اتهامه فى انذاره وهم يعرفون طهارة شمائله (وما غوى) أى وما مال أدنى ميل ولا كان مقصده مما يغوى فانه محروس من أسباب غواية الشياطين وغيرها *(تنبيه)* الغى جهل عن اعتقاد فاسد بخلاف الضلال وذهب أكثر المفسرين الى أن الغى والضلال بمعنى واحد وفرق بعضهم بينهما فقال الضلال فى مقابلة الهدى والغى فى مقابلة الرشد قال تعالى قد تبين الرشد من الغى وقال تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا قال الرازى وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا فى الوضع تقول ضل بعيرى ورحلى ولا تقول غى *(فائدة)* قد دافع الله سبحانه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأما باقى الانبياء فقد دافعوا عن أنفسهم ليس بى ضلالة ليس بى سفاهة ونحو ذلك قاله القشيرى (فان قيل) كيف الجمع بين قوله تعالى ما ضل صاحبكم وبين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى (أجيب) بان المراد من الآية الآتية وجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهداك اليها بخلاف هذه الآية (وما ينطق) أى يجاوز نطقه فى وقت من الاوقات لا فى هذا الحال ولا فى الاستقبال نطقا ناشئا (عن الهوى) أى عن امره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعراء وغيرهم وما يقول هذا القرآن من عند نفسه (ان) أى ما (هو) أى الذى يتكلم به من القرآن وكل أقواله وأفعاله وأحواله (الا وحى) أى من الله تعالى وأكده بقوله تعالى (يوحى) أى يجدد اليه ايحاؤه منا وقتا بعد وقت *(تنبيه)* استدل بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء (وأجيب) بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (علمه) اى صاحبكم الوحى الذى أتاكم به ملك (شديد القوى) فلا تعجبوا من هذه الابصار الزاهرة فان معلمه بهذه الصفة التى هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله تعالى به وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه نفحة بجناحه فالقاه فى اقصى بلاد الهند (ذو مرة) قال ابن عباس ذو منظر حسن وقال أكثر المفسرين ذو قوة وقدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به والطاقة لحمله بغاية النشاط والحدة كانه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس فى مزاولته ماض على طريقة واحدة على غاية من الجلادة

بين الطرفين المفهوم (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبا ذكرها هنا احدا وثلاثين مر

لا توصف لا التفات له بوجه الى غير ما أمر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشان شديد الشكيمة لا يسام فى شئ يزاوله ومن جملة ما أعطى من القوة القدرة على التشكل والى ذلك أشار بما تسبب عن هذا من قوله تعالى (فاستوى) أى فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على أكمل حالاته فى الصورة التى فطر عليها (وهو) أى والحال ان جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) اى عند مطلع الشمس وذلك ان جبريل عليه السلام كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما التى فى الارض ففى الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بحراء وكان جبريل واعده أن يأتيه وهو بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل له جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين (ثم دنا) اى قرب منه (فتدلى) أى زاد فى القرب (فكان) منه (قاب) اى قدر (قوسين) أى عربيتين (أو أدنى) من ذلك وضمه الى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه وأما فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم *(تنبيه)* القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر

وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا

(فان قيل) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (أجيب) بان تقديره فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو على فى قوله

وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا

أى ذا مقدار مسافة اصبع وروى الشيبانى قال سألت زرا عن قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى قال أخبرنا عبد الله يعنى ابن مسعود أنه محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح وبهذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال آخرون دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ومعنى دنوه تعالى قرب منزلة كقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن مشى الى أتيته هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازى قال البغوى وروينا فى قصة المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابى نمر عن أنس فدنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبى سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه وقد قدمت الكلام على المعراج وعلى جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه فى اول الاسراء وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى أو تقدم الكلام على القاب والقوس ما يرمى به فى قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فاخبر أنه كان بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال مجاهد معناه

ثم انه يقص ما ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق

حيث الوتر من القوس وهذا اشارة الى تاكيد القرب والاصل فى ذلك أن الحليفين من العرب
كانا اذا أرادا الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك أنهما متظاهران
يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين وهو قول
سعيد بن جبير والقوس الذراع يقاس بها كل شئ أو أدنى بل أقرب وانما ضرب المثل بالقوس
لانها لا تختلف بالقاب (فاوحى) أى الله تعالى وان لم يجر له ذكر لعدم اللبس (الى عبده) أى
جبريل عليه السلام (ما أوحى) أى جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر
الموحى تفخيما لشأنه وهذا التفسير ما جرى عليه الجلال المحلى وهو ظاهر وقيل فاوحى الى
جبريل بسبب هذا القرب وعقبه الى عبده أى عبد الله ما أوحى أى جبريل وقيل الضمائر كلها
لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه
برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف فى الموحى على أقوال الاول قال
سعيد ابن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما الى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك الثانى أوحى اليه
الصلاة الثالث أن أحدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وأن أمة من الامم لا تدخلها قبل أمتك
الرابع أنه مبهم لا يطلع عليه أحد وتعبدنا به على الجملة الخامس أن ما للعموم والمراد كل ما جاء به
جبريل (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أى ما رآه ببصره من
صورة جبريل عليه السلام وهذا أيضا ما جرى عليه الجلال المحلى وقال البقاعى ما رأى
البصر أى حين رؤيته البصر كان حاضر القلب لانه ارؤيته ببصر فقط يمكن فيها الخلو عن
حضور القلب وقال القشيرى ما معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره على
الوصف الذى علمه قبل أن رآه فكان علمه حق اليقين وقرأ هشام بتشديد الذال والباقون
بالتخفيف وقوله تعالى (أفتمارونه) أى تجادلونه وتغلبونه (على ما يرى) خطاب للمشركين
المكذبين رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود وعائشة ومن قال ان
المرئى هو الله تعالى اختلفوا فى معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه بفؤاده وهو
قول ابن عباس قال رآه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما رأى وقال أنس والحسن وعكرمة
رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى
اصطفى ابراهيم عليه السلام بالخلة واصطفى موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمدا صلى
الله عليه وسلم بالرؤية وكانت عائشة تقول لم ير محمد صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية على
رؤية جبريل قال مسروق قلت لعائشة يا أمتاه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما
قلت اين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم
قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله
الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس
ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى ارض تموت ومن حدثك انه كتم شيأ مما أنزل الله تعالى
فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل فى
صورته مرتين وروى ابو ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال

وعادهم ثم سبعة منها عقب
آيات فيها ذكر النار
وشدائدها بعدد أبواب

نوراني أراه وحاصل المسئلة ان الصحيح ثبوت الرؤية وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الامة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات وقد راجعه أبو عمرو فاخبره انه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لانها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم أر وانما اعتمدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وأجيب عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الآية بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدم من الادلة وأما قوله صلى الله عليه وسلم نوراني أراه فقال الماوردي الضمير في أراه عائد الى الله تعالى ومعناه أنه خالق النور المانع من رؤيته أي رؤية احاطة كما مر اذ من المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك (فان قيل) هلا قيل أفتماورنه على ما رأى بصيغة الماضي لانهم انما جادلوه حين أسرى به فقالوا اصف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وما الحكمة في ابرازه بصيغة المضارع (أجيب) بأن التقدير أفتمارونه على ما يرى فكيف وهو قد رآه في السماء فماذا تقولون فيه والواو في قوله تعالى (ولقد رآه) يحتمل أن تكون عاطفة ويحتمل أن تكون للحال أي كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه (نزلة أخرى) على وجه لا شك فيه *(تنبيه)* قوله تعالى نزلة فعلة من النزول كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان الضمير في رآه عائد الى جبريل أي رأى جبريل نزلة أخرى أي رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء مرة أخرى وذلك أنه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (عند سدرة المنتهى) قال الرازي ويحتمل أن تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني أن الضمير عائد الى الله تعالى أي رأى الله نزلة أخرى وهذا قول من قال في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو الله تعالى وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا في النزول وجهان أحدهما قول من يجوز على الله الحركة من غير تشبيه وثانيهما أن نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث أن محمدا رأى الله تعالى نزلة أخرى والمراد من النزلة ضدها وهي العرجة كأنه قال رآه عرجة أخرى قال ابن عباس نزلة أخرى هو انه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسئلة التخفيف في الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه في بعضها وروى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رأى ربه بعينه وعلى ان المرئي هو الله تعالى فيكون قوله تعالى عند سدرة المنتهى ظرفا للرائي كما اذا قال القائل رأيت الهلال فيقال له اين رأيته فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية وأما قول من قال بان الله تعالى في مكان فذلك باطل وان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام فظاهر *(تنبيه)* اضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجوها أحدها اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة

جهنم وحسن ذكر الآلاء عقبها لان من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخيره

في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله
تعالى وقيل ينتهي اليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهي اليها الملائكة
والانبياء وقال الربيع تنتهي اليها ارواح المؤمنين وثانيها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار
زيد وشجر زيد وحينئذ المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال الله تعالى الى ربك
المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافة السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف
والتعظيم كما يقال في التسبيح يا غاية رغبتاه ويا منتهى أملاه وثالثها اضافة المحل الى الحال
فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم فتتلق هنالك قال
البقاعي وذلك والله أعلم ليلة الاسراء في السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد
ان ترقى في معارج الكمالات من السنين على عدد السموات وما بينهما من المسافات فانتهى الى
منتهى سمع فيه صرير الاقلام وعظمها بقوله تعالى (عندها) اى السدرة (جنة المأوى) اى
التي لا مأوى في الحقيقة غيرها وهي الجنة التي وعدها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل
هي جنة أخرى عندها تكون أرواح الشهداء تأوي اليها وقيل هي جنة الملائكة وقوله تعالى
(اذ) معمول لرأى أى رأى من آيات ربه الكبرى حين (يغشى السدرة) وهي شجرة النبق
وقوله تعالى (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلفوا فيما يغشاها فقيل فراش أو جراد
من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال الرازي وهذا ضعيف لان ذلك
لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له اه قال القرطبي ورواه ابن مسعود
وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى
وذلك قوله عز من قائل اذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملائكة تغشاها كأنهم طيور يرتقون
اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروى في حديث المعراج عن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة
واذا ثمرها كقلال هجر قال فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله
تعالى يقدر ان ينعتها من حسنها فاوحى الى ما اوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة
وقيل يغشاها انوار الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى
للجبل فظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا ولم تتحرك الشجرة
وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أبهمه تعظيما له
والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القرآن فان قيل لم اختيرت السدرة
لهذا الامر دون غيرها من الشجر قلنا لان السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ
ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل
لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى أبو داود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار وسئل أبو داود عن معنى
هذا الحديث فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا
وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه في النار ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله

العقاب وبعد هذه السبعة
ثمانية في وصف الجنتين
وأهلهما بعدد أبواب

تعالى (مازاغ) أى ما مال أدنى ميل (البصر) أى الذى لا لمخلوق أكمل منه فما قصر عن بصر النظر الى ما أذن له فيه وما زاد (وما طغى) أى تجاوز الحد الى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بنى آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقته وكما هو قال السهروردى فى أول الباب الثانى والثلاثين من عوارفه وأخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم *(تنبيه)* اللام فى البصر تحتمل وجهين أحدهما المعروف أى مازاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ان قيل أن الغاشى للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وان قيل ان الغاشى أنوار الله تعالى ففيه وجهان أحدهما لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها الثانى مازاغ البصر بصعقه بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشى عليه ففى الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم وفى الثانى بيان قوته الوجه الثانى أن اللام لتعريف الجنس أى مازاغ بصره أصلا فى ذلك الموضع لعظم هيبته (فان قيل) لو كان كذلك لقال مازاغ بصره فانه أدل على العموم فان النكرة فى معرض النفى تعم (أجيب) بأن هذا مثل كقوله تعالى لاتدركه الابصار ولم يقل ولا يدركه بصر ولما كانوا قد أنكروا الامر إنكارا لم يقع لهم فى غيره مثله زاد فى تأكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى (لقد رأى) أى أبصر ما أهلناه له من الرسالة تلك الليلة إبصارا ساريا الى البواطن غير مقتصر على الظواهر (من آيات ربه) أى المحسن اليه بما لم يصل اليه أحد قبله ولا يصل اليه أحد بعده (الكبرى) أى العظام أى بعضها واختلف فى ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه فى صورته له ستمائة جناح وقال الرازى والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيما لكنه ورد فى الاخبار أن لله تعالى ملائكة أعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر فكأنه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هن كبر الآيات وقيل رأى رفرفا أخضر سد الافق وقيل أراد ما رأى فى تلك الليلة فى مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فى السموات ولما قرر تعالى الرسالة ذكر ما ينبغى أن يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك بقوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى) اشارة الى ابطال قولهم كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء فى غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذى يدعى الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور أمره فلذلك قال تعالى أفرأيتم اللات والعزى أى كما هما فكيف تشركونهما بالله سبحانه وتعالى واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغطفان وهما أعظم أصنامهم اشتقوا لهما اسمين من اسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وعن مجاهد أن العزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول

الجنة وثمانية أخرى بعدها فى الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاوليين اهـ هذا

يا عز كفرانك لا سبحانك ❊ انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قلعتها فقال ما رأيت قال ما رأيت شيأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقال الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني وذلك أنه لما قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بهما فعاد الى نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا به قال انا أصنع لكم كذلك وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذه من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذى أخذه من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فاسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فامر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها وقال ابن زيد هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف واما قوله تعالى (ومناة) فقال قتادة هي صخرة كانت لخزاعة بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يهلون لمناة فكانت حذو قديد وقال ابن زيد بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبده أهل مكة وقيل للات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها وقوله تعالى (الثالثة الاخرى) نعت لمناة اذ هى الثالثة للصنمين فى الذكر وأما الاخرى فقال أبو البقاء توكيد لان الثالثة لا تكون الا أخرى وقال الزمخشرى الاخرى ذم وهى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم أى وضعاؤهم لأولاهم أى لاشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم اللات والعزى اه قال ابن عادل وفيه نظر لان الاخرى انما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شئ فلقرينة خارجية اه ووجه الترتيب أن اللات كان وثنا على صورة آدمى والعزى شجرة نبات ومناة صخرة فهى جماد فهى فى أخريات المراتب (فان قيل) ما فائدة الفاء فى قوله تعالى أفرأيتم وقد وردت فى مواضع بغير فاء كقوله تعالى أرأيتم ما تدعون من دون الله أرأيتم شركاءكم (أجيب) بانه تعالى لما قدم عظمته فى ملكوته وأن رسوله الى الرسل يسد الآفاق ببعض أجنحته ويهلك المدائن بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة فى مقام جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم فقال بالفاء أى عقب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ أمره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى انظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم اليه ❊(تنبيه) ❊ مفعول أرأيت الاول اللات وما عطف عليه والثانى محذوف والمعنى أخبرونى ألهذه الاصنام قدرة على شئ ما تعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقرأ ابن كثير مناءة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباقون بغير همزة ❊ ولما زعموا أيضا ان الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل (ألكم) أى خاصة (الذكر) أى النوع الاعلى (وله) أى وحده (الانثى) أى النوع الاسفل (تلك) أى هذه القسمة البعيدة عن الصواب (اذا) أى اذ جعلتم البنات له

من قوله تعالى ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها

والبنين لكم (قسمة ضيزى) أى جائرة ظالمة ناقصة فيها بخس للحق الى الغاية عوجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له الى دفنه حيا بل كان ينبغي أن تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير تخالفتم العقل والنقل والعادة (ان) اى ما (هى) اى هذه الاصنام (الا أسماء) اى لا حقائق لها فيما ادعيتم لها من الالهية ليس لها من ذلك غير الاسماء وأكد ذلك بقوله تعالى (سميتموها) أى ابتدعتم تسميتها (فان قيل) الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها (أجيب) بان التسمية وضع الاسم فكانه قال أسماء وضعتموها فاستعمل سميتموها استعمال وضعتموها (أنتم وآباؤكم) اى لا غير (ما انزل الله) اى الذى له جميع صفات الكمال (بها) اى باستحقاقها للاسماء أولما سميتموها به من الالهية واغرق فى النفى فقال (من سلطان) اى حجة تصلح مسلطا على ما يدعى فيها بل لمجرد الهوى لم تروا منها آية ولا كلمتكم قط بكلمة تعتمدونها وعلى تقدير ان تكلم الشياطين على السنتها فاى طريقة قويمة شرعت لكم واى كلام صالح أو بليغ برز اليكم منها واى آية كبرى ارتكموها (ان) اى (ما يتبعون) اى فى وقت من الاوقات فى امر هذه الاوثان بغاية جهدهم من انها آلهة وانها تشفع لهم او تقربهم الى الله تعالى (الا الظن) اى وهو غاية امرهم لمن يحسن الظن بهم والظن ترجيح احد الجائزين على زعم الظان * ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال تعالى (وما تهوى الانفس) اى تشتهى وهى لما لها من النقص لا تشتهى ابدا الا ما يهوى بها عن غاية أوجها الى اسفل حضيضها واما المعالى وحسن العواقب فانما يسوق اليها العقل قال القشيرى فاما الظن الجميل بالله تعالى فليس من هذا الباب والتباس عواقب الشخص عليه ليس من هذه الجملة بسبيل انما الظن المعلول فى الله تعالى واحكامه وصفاته اه ولهذا كان كثير من الفقه ظنيا وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه انا عند ظن عبدى بى (ولقد جاءهم) اى العجب انهم يقولون ذلك والحال انهم قد جاءهم (من ربهم) المحسن اليهم (الهدى) على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع انها ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وقرأ ابو عمرو بكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم (أم للانسان) اى كل انسان منهم (ما تمنى) اى من اتباع ما يشتهى من جاه ومال وطول عمر ورفاهة عيش ومن ان الاصنام تشفع له ليس الامر كذلك (فلله) اى الملك الاعظم وحده (الآخرة) فهو لا يعطى ما فيها الا من تبع هداه وترك هواه (والاولى) اى الدنيا فهو لا يعطى جميع الامانى فيها لاحد أصلا كما هو مشاهد ولكنه يعطى منها ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه سبحانه فى شئ منها (وكم من ملك) اى كثير من الملائكة اى ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ودل على زيادة قربهم بشرف مسكنهم وهو قوله تعالى (فى السموات) اى وهم فى الكرامة والزلفى (لا تغنى شفاعتهم) اى عن أحد من الناس (شيأ) ثم قصر الامر عليه ورده بحذافيره اليه بقوله تعالى (الا من بعد أن يأذن) اى يمكن ويريد (الله) اى الملك الذى لا امر اصلا لاحد معه (لمن يشاء) من عباده من الملائكة أو من الناس ان يشفع (ويرضى) اى ويراه اهلا لذلك فكيف تعبد الاصنام مع حقارتها للتشفع لهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة)

استفهام هاتين الثمانية من الله ووفاة السبعة السابقة (قوله خالق

اى لا يصدقون ولا يقرون بالبعث وغيره من احوال يوم القيامة (ليسمون الملائكة) اى كل واحد منهم (تسمية الانثى) بان سموه بنتا وذلك أنهم كانوا يقولون الملائكة وجدوا من الله تعالى فهم اولاده بمعنى الايجاد ثم انهم رأوا فى الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهم تسمية الاناث (فان قيل) كيف يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوبا على قبر من يموت و يعتقدون انه يحشر عليه (اجيب) بانهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا حشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله تعالى عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وبانهم ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى وردت به الرسل (فان قيل) كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث (اجيب) بان المراد بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمؤاخاة رؤس الآى (وما) اى والحال انهم ما (لهم به) اى بما يقولون وقيل الضمير يعود الى ما تقدم من عدم قبول الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى اى ما لهم بالله تعالى (من علم) ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله تعالى (ان) اى ما (يتبعون) أى بغاية ما يكون من شهوة النفس فى ذلك وغيره (الا الظن) اى الذى يتخيلونه (وان) أى والحال أن (الظن) اى مطلقا فى هذا وفى غيره ولذلك أظهر فى موضع الاضمار (لا يغنى) اى اغناء مبتدأ (من الحق) أى الامر الثابت فى نفس الامر الذى هو حقيقة الشئ وذاته بحيث يكون الظن بدله والظن انما يعتبر فى العمليات لا فى العلميات ولا سيما الاصولية (شيأ) أى من الاغناء عن احد من الخلق فانه لا يؤدى أبدا الى الجزم بالعلم بالشئ على ما هو عليه فى نفس الامر فهو ممنوع فى أصول الدين فان المقصود فيها تحقيق الامر على ما هو عليه فى الواقع وأما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه المأذون فيه وهو رده الى الاصول المستنبط منها لعجز الانسان عن القطع فى جميع الفروع تنبيها على عجزه وافتقاره الى الله تعالى ليقبل عليه و يتبرأ من حوله وقوته ليكشف له عن الحقائق ❊ ولما أن أصروا على الهوى بعد مجئ الهدى سبب عن ذلك قوله تعالى (فأعرض) اى يا اشرف الرسل (عمن تولى) اى كلف نفسه خلاف ما يدعو اليه العقل والفطرة الاولى (عن ذكرنا) اى القران الذى انزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه (ولم يرد) أى فى وقت من الاوقات (الا الحيوة الدنيا) اى الحاضرة لتقيده بالمحسوسات كالبهائم مع العمى عن دناءتها وحقارتها قال الجلال المحلى وهذا قبل الامر بالجهاد قال الرازى وأكثر المفسرين يقولون بان كل ما فى القرآن من قوله تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق لآية القتال فكيف ينسخ بها وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم فى الاول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم أمر بازالة شبههم والجواب عن أباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتى هى أحسن ثم لما لم ينفع قال له ربه اعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به ولا يتبعون الحق وقاتلهم والاعراض عن المناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها (ذلك) اى الامر المتناهى فى الجهل والقباحة (مبلغهم) أى نهاية بلوغهم وموضع بلوغهم والحاصل

الانسان من صلصال كالفخار) أى من طين يابس لم يطبخ لصلصلة أى

اهم وتهكم بهم بقوله تعالى (من العلم) أى غايتهم من العلم انهم آثروا الدنيا على الآخرة والجملة اعتراض مقررلقصور همتهم على الدنيا وقوله تعالى (ان ربك) أى المحسن اليك بالرسالة (هو أعلم) أى عالم (بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى ظاهرا وباطنا فهو تعليل للامر بالاعراض أى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت لان النبى صلى الله عليه وسلم كان كالطبيب للقلوب فأتى على ترتيب الاطباء فى أن المرض اذا أمكن اصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء وما أمكن اصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوى ثم اذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكى كما قيل آخر الدواء الكى فالنبى صلى الله عليه وسلم أولا أمر القلوب بذكر الله تعالى فقط فان بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء تطمئن النفوس والذكر غذاء القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أولا قولوا لا اله الا الله أمر بالذكر فانتفع مثل ابى بكر ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا أفلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح (فان قيل) ان الله تعالى بين أن غايتهم ذلك فى العلم ولا يكلف الله تعالى نفسا الا وسعها والمجنون الذى لا علم له أو الصبى الذى لا يؤمر بما فوق احتماله فكيف يعاقبهم الله تعالى (أجيب) بأنه ذكر قبل ذلك أنهم تولوا عن ذكر الله فكان عدم علمهم لعدم قبولهم العلم وانما قدر الله تعالى توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيتحقق العقاب (ولله) أى الملك الاعظم وحده (ما فى السموات وما فى الارض) أى من الذوات والمعانى فيشمل ذلك السموات والارض معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى (ليجزى الذين أساؤا) أى بالضلال (بما عملوا) أى بسببه أو بجنسه اما بواسطتك بسيوفك وسيوف اتباعك اذ أذنت لكم فى القتال واما بغير ذلك بالموت حتف الانف تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم ثم بعذاب الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم فى الدنيا شئ ينقص بسببه عذاب الآخرة * (تنبيه) * اللام فى ليجزى يجوز أن تتعلق بقوله تعالى بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة أى عاقبة أمرهم جميعا للجزاء بما عملوا قال معناه الزمخشرى وأن تتعلق بما دل عليه قوله تعالى أعلم بمن ضل اى حفظ ذلك ليجزى قاله ابو البقاء (ويجزى) اى ويثيب ويكرم (الذين أحسنوا) اى على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم (بالحسنى) اى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة وبين المحسنين بقوله تعالى (الذين يجتنبون) اى يكلفون أنفسهم ويجهدونها على أن يتركوا (كبائر الاثم) اى ما عظم الشارع اثمه بعد تحريمه بالوعيد والحد وقرأ حمزة والكسائى بكسر الباء الموحدة وبعدها ياء ساكنة والباقون بفتح الموحدة وبعدها ألف وبعد الالف همزة مكسورة وعطف على كبائر قوله تعالى (والفواحش) والفاحشة من الكبائر ما كرهه الطبع وانكره العقل واستخبثه الشرع والكبيرة صفة عائدة الى الكيفية وقوله تعالى (الا اللمم) فيه أوجه أحدها وهو المشهور أنه استثناء منقطع اى لكن اللمم لانه الصغائر فلم تندرج فيما قبلها ثانيها انه صفة والا بمعنى غير كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اى كبائر الاثم والفواحش غير اللمم ثالثها أنه متصل وهذا عند من يفسر اللمم بغير الصغائر قالوا ان

(فان قلت) صورت اذا نقر كيف قال ذلك هنا وقال فى الحجر من صلصال من حما

قوله والمجنون الخ كذا فى عدة نسخ والصواب

اللمم من الكبائر والفواحش قالوا ان معنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع
الوقعة ثم ينتهي وهو قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ورواه عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك قال السدي قال ابو صالح سئلت
عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس
رضي الله تعالى عنهما فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه قال مارأيت شيأ اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان
النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه ولمسلم كتب على ابن آدم نصيبه من
الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه
النطق واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو
يكذبه *(تنبيه)* ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي
الى كبائر وصغائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة وقد اختلف في ضبط الكبيرة
بالحد فقال جمع هي ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وقال جمع هي المعصية
الموجبة للحد والاول أوجه لانهم عدوا الربا وأكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر
ولا حد فيها وقال امام الحرمين هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وأما
عددها فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن
جبير هي الى السبعمائة أقرب أي باعتبار أصناف أنواعها وما عدا المحدود من المعاصي فمن
الصغائر ولا بأس بذكر شيء من النوعين فمن الاول تقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر
ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن واليأس
من رحمة الله تعالى وأمن مكر الله تعالى وقتل النفس عمدا أو شبه عمد والفرار من الزحف
وأكل الربا وأكل مال اليتيم والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط
وشهادة الزور وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما
يقطع به في السرقة وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا وسب الصحابة وأخذ الرشوة والسحر والنميمة واما الغيبة
فان كانت في أهل العلم وحملة القرآن فهي كبيرة والا فصغيرة ومن الصغائر النظر المحرم
وكذب لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك
في الصلاة المفروضة والنياحة وشق الجيب في المصيبة والتبختر في المشي والجلوس بين الفساق
ايناسا لهم وادخال مجانين وصبيان ونجاسة يغلب تنجيسهم المسجد واستعمال النجاسة في بدن أو
ثوب لغير حاجة والاصرار على صغيرة من نوع أو أنواع يصيرها كبيرة الا أن تغلب طاعاته معاصيه
كما أوضحت ذلك في شرح المنهاج وغيره (ان ربك) أي المحسن اليك بارسالك رحمة للعالمين
والتخفيف عن أمتك (واسع المغفرة) يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة وله
ان يغفر ماشاء من الذنوب ماعدا الشرك صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء بخلاف غيره من الملوك فانه لا يغفر لمن تكررت ذنوبه اليهم وان

مسنون اى من طين اسود
متغير وقال في الصافات من
طين لازب اى لازم يلصق

صغرت قال البيضاوي ولعله عقب به وعيد المسيئين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى اهـ ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هو أعلم بكم) أي بذواتكم وأحوالكم منكم بأنفسكم (إذ) أي حين (أنشأكم من الأرض) أي التي طبعها طبع الموت البرد واليبس بإنشاء أبيكم آدم عليه السلام منها وتهيئتكم للتكوين بعد أن لم يكن فيكم وأنتم تراب قابلية للحياة بقوة قريبة ولا بعيدة أصلا فميز التراب الذي يصلح لتكوينكم منه والذي لا يصلح (وإذ) أي وحين (أنتم أجنة) أي مستورون (في بطون أمهاتكم) فهو يعلم إذ ذاك ما أنتم صائرون إليه من خير وشر وإن علمتم مدة من العمر بخلافه لأنه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون وأما في الابتداء بالهمزة فالجميع بضمها (فلا تزكوا) أي تمدحوا بالزكاة وهي البركة والطهارة عن الدناءة (أنفسكم) أي حقيقة بأن يثني الإنسان على نفسه فإن تزكيته لنفسه قال القشيري من علامات كونه محجوبا عن الله تعالى أي من مدح نفسه على سبيل الإعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن أو مجازا بأن يثني على غيره من إخوانه وإنه كثيرا ما يثني بشيء فيظهر خلافه وربما حصل له الأذى بسببه وإن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع الحديث ولذلك علل بقوله تعالى (هو أعلم) أي منكم ومن جميع الخلائق (بمن اتقى) أي فإنه يعلم المتقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم عليه السلام فمن جاهد نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا * ولما بين جهل المشركين في عبادة الأصنام ذكر واحدا منهم بسوء فعله فقال تعالى (أفرأيت الذي تولى) أي عن اتباع الحق والثبات عليه قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال إني خشيت عذاب الله تعالى فضمن الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه فأنزل الله تعالى أفرأيت الذي تولى أي أدبر عن الإيمان (وأعطى قليلا) أي من المال المسمى (وأكدى) أي منع الباقي مأخوذ من الكدية أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر فأكدى أصله من أكدى الحافر إذا حفر شيئا فصادف كدية منعته من الحفر ومثله أجبل إذا صادف جبلا منعه من الحفر وكديت أصابعه كلت من الحفر ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل إليه أو لم يتممه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره قال الحطيئة

وأعطى قليلا ثم أكدى عطاءه * ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

وقال السدي نزلت في العاصي بن وائل السهمي وذلك أنه ربما وافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى أي لم يؤمن به ومعنى أكدى قطع وروي أن عثمان رضي الله تعالى عنه كان يعطي ماله في الخير فقال عبد الله بن سعد بن أبي

(قلت) الآيات كلها بالمد وقال في آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب

سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شئ فقال عثمان ان لى ذنوبا وخطايا وانى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت وقوله تعالى (أعنده علم الغيب) أى ما غاب هو المفعول الثانى لرأيت بمعنى أخبرنى والمفعول الاول محذوف اقتصارا لا أعطى (فهو) أى فتسبب عن ذلك أنه (يرى) أى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ذنوبه (أم) أى بل (لم ينبأ) اى يخبر اخبارا عظيما مستوعبا (بما فى صحف موسى) اى التوراة المنسوبة اليه بانزالها عليه وكذا ما تبعها من أسفار الانبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها وقدم صحف موسى عليه السلام على قوله (وابراهيم) أى وصحفه لان كتاب موسى عليه السلام أعظم كتاب بعد القرآن مع انه موجود بين الناس تمكن مراجعته ثم مدح ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى (الذى وفى) أى أتم ما أمر به من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله باعباء النبوة وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والانوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله تعالى بشئ الا وفى به وصبر على ما امتحن به وما فاق شيأ من قلق وصبر على حر ذبح الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق بل قال لجبريل عليه السلام لما قال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال الضحاك وفى المناسك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذى وفى أربع ركعات من أول النهار وهى صلاة الضحى وروى الا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنون قد أفلح المؤمنون وخص هذين النبيين لان الموعودين من بنى اسرائيل اليهود والنصارى يدعون متابعة موسى عليه السلام ومن العرب يدعون متابعة ابراهيم عليه السلام ومن عداهم لا تمسك لهم ولا سلف فى نبوة محققة ولا شريعة محفوظة وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها ثم فسر تعالى الذى فى الصحف واستأنف بقوله تعالى (أن لا تزر) أى تاثم وتحمل (وازرة) أى نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة لوزر (وزر أخرى) أى حملها الثقيل من الاثم وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وعمه وخاله وامرأته والعبد بسيده حتى جاءهم ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله عز وجل أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولما نفى أن يضره اثم غيره نفى ان ينفعه سعى غيره بقوله تعالى (وان ليس للانسان) كائنا من كان (الا ما سعى) فلا بد ان يعلم الحق فى اى جهة فيسعى فيه ودعاء المؤمنين للمؤمن من سعيه بموادته ولو بموافقته لهم فى الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوها واما الولد فواضح فى ذلك واما ما كان بسبب العلم والصدقة ونحوها فكذلك وتضحية النبى صلى الله عليه وسلم عن أمته اصل كبير فى ذلك فان من تبعه فقد والاه وهو أصل فى التصدق عن الغير واهداء ما له من الثواب فى القراءة ونحوها اليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة اى وانما هو فى صحف موسى

منفقة المعنى لانه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حما مسنونا ثم

وابراهيم عليهما السلام بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقال
عكرمة ان ذلك لقوم موسى وابراهيم عليهما السلام وأما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم
غيرهم لما يروى ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله ألهذا حج فقال نعم ولك أجر وقال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان أمي افتلتت نفسها فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم قال
الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق
الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل
الغير ثانيها ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة
في دخولها ثم لاهل الكبائر في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير ثالثها ان كل
نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير رابعها ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن
في الارض وذلك منفعة بعمل الغير خامسها ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط
بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم
وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها ما قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا
فانتفعا بصلاح أبيهما وليس هو من سعيهما ثامنها ان الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص
السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها ان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص
السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها ان الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل
غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها ان المدين الذي امتنع صلى الله عليه وسلم
من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة
النبي صلى الله عليه وسلم وبردت جلدته بقضاء دينه وهو من عمل الغير ثاني عشرها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل
الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها أن الانسان تبرأ ذمته من ديون الخلق اذا قضاها قاض عنه
وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها ان من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه
وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها ان الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الاثر
وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها ان جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم
يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له والاعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلاة
على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها ان
الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض تاسع
عشرها ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال تعالى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فقد دفع الله تعالى
العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها ان صدقة الفطر تجب
عن الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له حادي عشريها ان
الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع
الانسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز ان تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب
والسنة واجماع الامة والمراد بالانسان العموم وقال الربيع بن أنس ليس للانسان يعني

صوابه الا (قوله رب المشرقين ورب المغربين) فان ذلك لم يذكر الرب هنا دون

الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له وقيل ليس للكافر من الخير الا ما عمله يثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى ان عبد الله بن ابي كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل النبي صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم تبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها (وان سعيه) أي من خير وشر (سوف يرى) أي في ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعد لا خلف فيه وان طال المدى من أريته الشيء أي يعرض عليه ويكشف له (فان قيل) العمل كيف يرى بعد وجوده ومضيه (أجيب) بانه يرى على صورة جميلة ان كان العمل صالحا قال الرازي وذلك على مذهبنا غير بعيد فان كل موجود يرى والله تعالى قادر على اعادة كل ما عدم فبعد الفعل فيرى وفيه بشارة للموحد وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أي السعي (الجزاء الاوفى) أي الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه بالجزاء الاوفى يقال جزيته فلانا سعيه وبسعيه قال الرازي الجزاء الاوفى يليق بالمؤمنين الصالحين لان جزاء الطالح وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها اكثر من نفع الآثام فهي في نفسها أوفر (وان الى ربك) أي المحسن اليك لا الى غيره (المنتهى) أي الانتهاء برجوع الخلائق ومصيرهم اليه فيجازيهم باعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى أبو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فان الله تعالى لا يحيط به الفكر وفي رواية لا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره قال القرطبي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله تعالى ولقد أحسن من قال

ولا تفكرن في ذي العلا عز وجهه ٭ فانك تردى ان فعلت وتخذل

ودونك مخلوقاته فاعتبر بها ٭ وقل مثل ما قال الخليل المبجل

وقيل المراد من الآية التوحيد وفي المخاطب وجهان أحدهما انه عام تقديره الى ربك أيها السامع او العاقل والثاني انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الاول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الاول تكون اللام في المنتهى للعهد الموعود في القرآن وعلى الثاني تكون للعموم أي الى ربك كل منتهى وقوله تعالى (وانه هو) أي لا غيره (أضحك وأبكى) يدل على ان كل ما يعمله الانسان فبقضاء الله تعالى وخلقه حتى الضحك والبكاء وروى انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو أضحك وأبكى أي قضى أسبابهما فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم الله تعالى يقول هو أضحك وأبكى أي قضى أسباب الضحك والبكاء وقال بسام بن عبد الله أضحك أسنانهم وأبكى قلوبهم وأنشد يقول

السن تضحك والاحشاء تحترق ٭ وانما ضحكها زور ومختلق

سورتي المعارج والمزمل (قلت) كرره هنا تأكيدا وخص ما هنا بالتأكيد لانه

يارب باك بعين لا دموع لها * ورب ضاحك سن مابه رمق

وقال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من سائر الحيوان وقيل القرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يونس بن الحسين سئل طاهر المقدسي اتضحك الملائكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان الميت يعذب ببكاء أحد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابا وان الله تعالى هو أضحك وأبكى *(تنبيه)* قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وما بعده يسميه البيانيون الطباق المتضاد وهو نوع من البديع وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان او متنافيان بوجه من الوجوه وأضحك وأبكى لا مفعول لهما في هذا الموضع لانهما سيقا لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا حاجة الى المفعول كقول القائل فلان بيده الاخذ والعطاء يعطى ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى واختار هذين الموضعين المذكورين لانهما أمران لا يعللان فلا يقدر أحد من الطبائعيين يبين لاختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجها ولا سببا واذا لم يعلل بأمر فلابد له من موجد وهو الله تعالى بخلاف الصحة والسقم فانهم يقولون سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال ومما يدل على ذلك انهم اذا عللوا الضحك قالوا لقوة التعجب وهو باطل لان الانسان ربما بهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل لقوة الفرح وليس كذلك لان الانسان قد يبكي لقوة الفرح كما قال بعضهم

هجم السرور علي حتى انه * من عظم ما قد سرني أبكاني

(وانه هو) أي لا غيره (أمات وأحيي) وان رأيتم اسبابا ظاهرة فانها لا عبرة بها في نفس الامر بل هو الذي خلقها أي أمات في الدنيا وأحيا في البعث وقال القرطبي قضى أسباب الموت والحياة وقيل امات الآباء واحيا الابناء وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المؤمن بالايمان (وانه خلق الزوجين) ثم فسرهما بقوله تعالى (الذكر والانثى) فانه لو كان ذلك في يد غيره لمنع البنات لانها مكروهة لغالب الناس وقوله تعالى (من نطفة اذا تمنى) أي تصب يشمل سائر الحيوانات لان ذلك مختص بآدم وحواء عليهما السلام لانهما ما خلقا من نطفة وهذا أيضا تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق الذكر والانثى منها أعجب ما يكون ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعي خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وأنه خلق ولم يقل وانه هو خلق كما قال تعالى وانه هو أضحك وأبكى (أجيب) بان الضحك والبكاء ربما يتوهم انهما بفعل الانسان والاماتة والاحياء وان كان ذلك التوهم أبعد فيهما لكن ربما يقول به جاهل كما قال من حاج ابراهيم عليه السلام انا أحيي وأميت فأكد ذلك بالفصل وأما خلق الذكر

والانثى

موضع الامتنان وتعديد النعم ولان الخطاب فيه مع جنسين هما الانس والجن

والانثى من النطفة فلا يتوهم احد انه يخلق أحد من الناس فلم يؤكد بالفصل الاترى الى قوله تعالى وأنه هو أغنى واقنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان فى معتقدهم أن ذلك بفعلهم كما قال قارون انما أوتيته على علم عندى ولذلك قال هو رب الشعرى فأكد فى مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يؤكد فى غيره (وأن عليه) أى خاصا به علما وقدرة (النشأة) أى الحياة (الاخرى) للبعث يوم القيام بعد الحياة الاولى (فان قيل) الاعادة لاتجب على الله تعالى فما معنى عليه (أجيب) بانه عليه بحكم الوعد فانه قال انا نحن نحيى الموتى فعليه بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين وبعدها ألف ممدودة قبل الهمزة والباقون بسكون الشين وبعدها الهمزة المفتوحة واذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة الى الشين (وانه هو) أى وحده من غير نظر الى سعى ساع ولا غيره (أغنى) قال ابو صالح أغنى الناس بالاموال (واقنى) اعطى القنية وأصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وأقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى أرضى بما أعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضا وقال سليمان التيمى أغنى نفسه وافقر خلقه اليه وقال ابن زيد أغنى أكثر واقنى أقل وقرأ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش أقنى أفقر وقال ابن كيسان أولد وقال الزمخشرى أقنى أعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت على أن لايخرج من يدك *(تنبيه)* حذف مفعولا أغنى وأقنى لان المراد نسبة هذين الفعلين اليه وكذلك باقيها وألف أقنى منقلبة عن ياء لانه من القنية قال الشاعر * الاان بعد العدم للمرء قنية * ويقال قنيت كذا واقنيته قال الشاعر * قنيت حيائى عفة وتكرما * (وانه هو) أى لاغيره (رب الشعرى) أى رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة وحمير وأبو كبشة أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته وبذلك كان مشركو قريش يسمون النبى صلى الله عليه وسلم بابن أبى كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف أديانهم تشبيها بذلك الرجل فى أنه أحدث دينا غير دينهم والشعرى فى لسان العرب كوكبان تسمى أحدهما الشعرى العبور وهى المراد فى الآية الكريمة وهى تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر ويقال لها مرزم الجوزاء وتسمى كلب الجبار أيضا وتسمى الشعرى اليمانية والثانية الشعرى الغميصاء وهى التى فى الذراع والمجرة بينهما وتسمى الشامية وسبب تسميتها بالغميصاء على مازعمه العرب انهما كانا أختين أو زوجتين لسهيل فانحدر سهيل الى اليمن فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء تبكى حتى غمصت عينها ولذلك كانت أخفى من العبور وكان من لايعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها فى العالم (وانه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود عليه السلام هلكوا بريح صرصر والاخرى قوم صالح وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح

بخلاف ذينك (قوله سنفرغ لكم ايه الثقلان) أى سنقصد لحسابكم فهو وعيد

وقرأ نافع وأبو عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلا وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة والباقون بتنوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعدها همزة مضمومة فاذا اقرأ القارئ عادا الاولى لقالون وأبي عمرو فله في الوصل أي وصل عاد بالاولى وجه واحد وهو النقل المذكور وقالون على أصله بالهمزة كما ذكر فاذا وقف على عادا وابتدأ بالاولى فله الابتداء بهمزة الوصل وهو أولى وله أيضا الابتداء بغير همزة الوصل وهو لولى وقالون يهمز الواو في الوجهين الاولين ولم يهمز في الوجه الثالث الذي هو الاصل ووافقهما ورش في الاوجه المذكورة في الوصل والابتداء الا في الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه الا النقل (وثمودا) وهم قوم صالح أهلكهم الله تعالى بصيحة (فما أبقى) منهم أحدا وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل والوقف على الالف (وقوم نوح) أي أهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب (من قبل) اي قبل الفريقين (انهم) اي قوم نوح (كانوا) اي بما لهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكاك عنها (هم) اي خاصة (أظلم) أي من الطائفتين المذكورتين (وأطغى) اي وأشد تجاوزا في الظلم وعلوا واسرافا في المعاصي وتجبرا وعتوا التمادي دعوة نوح عليه السلام قريبا من ألف سنة ولانهم أطول أعمارا وأشد أبدانا وكانوا مع ذلك ملء الارض روى ان الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي قد مشى بي الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه ولهذا قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى (والمؤتفكة) منصوب بقوله تعالى (أهوى) وقدم لاجل الفواصل والمراد بالمؤتفكة قرى قوم لوط رفعها الى عنان السماء على جناح جبريل عليه السلام ثم أهواها الى الارض أي أسقطها وأتبعها بحجارة النار الكبريتية وهو قوله تعالى (فغشاها) أي اتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء وهو له بقوله تعالى (ما غشى) أي أمرا عظيما من الحجارة المنضودة المسومة وغيرها مما لا تسع العقول وصفه (فبأي آلاء) أي أنعم (ربك) أي المحسن اليك (تتمارى) اي تتشكك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أي تكذب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي تشك في اجالة الخواطر في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان أحدا منهم يهلك وقد حكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته فكأن بعض خواطرك في تلك الاجالة يشكك بعضها بعضا (هذا) أي النبي صلى الله عليه وسلم (نذير) أي محذر بليغ التحذير (من النذر الاولى) أي من جنسهم أي رسول كالرسل قبله ارسل اليكم كما ارسلوا الى أقوامهم وقال تعالى الاولى على تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي أنذر بها من قبلكم (أزفت الآزفة) اي قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت الساعة وهو يوم القيامة (ليس لها من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما وقوله تعالى (كاشفة) يجوز أن يكون وصفا وأن يكون مصدرا فان كان وصفا احتمل أن يكون التأنيث لاجل انه وصف

وثم ديدانهم فالفراغ هنا بمعنى القصد للشيء لا بمعنى الفراغ منه اذ معنى الفراغ

لمؤنث

لمؤنث محذوف تقديره نفس كاشفة أو حال كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه تعالى لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وان كانت مصدرا فهى بمعنى الكشف كالعافية والمعنى ليس لها من دون الله كشف اى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره (أفمن هذا الحديث) قال أكثر المفسرين المراد بالحديث القرآن العظيم الذى يأتى على سبيل التجدد بحسب الوقائع والحاجات (تعجبون) انكارا وهو فى غاية ما يكون من ترقيق القلوب وقرأ أبو عمرو بادغام المثلثة فى التاء المثناة بخلاف عنه (وتضحكون) اى استهزاء من هذا الحديث وتجددون ذلك فى كل وقت (ولا تبكون) اى كما هو حق من يسمعه لما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازى يحتمل أن يكون ذلك اشارة الى حديث ازفت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الاجساد والعظام البالية وقوله تعالى (وأنتم سامدون) جملة مستأنفة أخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل أن تكون حالا اى انتفى عنكم البكاء فى حال كونكم سامدين واختلف فى معنى السمود فقيل هو الاعراض والغفلة عن الشئ اى وأنتم معرضون غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك اى لهوك قاله الوالبى والعوفى عن ابن عباس وقال الشاعر

الا أيها الانسان انك سامد ＊ كانك لا تفنى ولا انت هالك

فهذا بمعنى لاه لاعب وقيل هو الجمود وقيل هو الاستكبار قال الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل سعد ＊ بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ＊ ورد وجوههن البيض سودا

فهذا بمعنى الجمود والخشوع وقال عكرمة وأبو عبيدة السمود الغناء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدى لنا اى غنى فكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال مجاهد أشرون وقال الضحاك غضاب تتبرطمون وقال الراغب السامد اللاهى الرافع رأسه من قولهم بعير سامد فى سيره وقال الحسن السامد الواقف للصلاة قبل وقوف الامام لما روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال مالى أراكم سامدين وتسميد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد وقوله تعالى (فاسجدوا) اى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود (لله) اى الملك الاعظم يحتمل أن يكون المراد به سجود التلاوة وأن يكون المراد به سجود الصلاة (واعبدوا) اى اشتغلوا بكل أنواع العبادة ولم يقل واعبدوا الله اما لكونه معلوما من قوله تعالى فاسجدوا لله واما لان العبادة فى الحقيقة لا تكون الا لله ويقوى الاحتمال الاول ما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس وعن عبد الله بن مسعود قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الا رجلا شيخا من قريش أخذ كفا من حصا أو تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفينى هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف كما فى بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن

من الشئ بذل الجهود فيه وهذا لا يقال فى حقه تعالى (قوله وان خاف مقام

الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى لم يكتبها علينا الا أن نشاء وهو قول الشافعي وأحمد رضي الله عنهما أي فهي مستحبة وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب قوم الى انها في المفصل غير مستحبة وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به حديث موضوع

سورة القمر وتسمى اقتربت مكية

الا سيهزم الجمع ويولون الدبر الآيات وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

(بسم الله) أي الذي أحاط علمه فقدرته (الرحمن) الذي وسعت رحمته كل شئ فعمت الشقي والسعيد نعمته (الرحيم) الذي خص باتمام نعمته من اصطفاه فاسعدتهم رحمته (اقتربت الساعة) دنت القيامة وفي اول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الآزفة فكأنه أعاد ذلك مستدلا عليه بقوله تعالى ازفت الآزفة فهو حق اذ القمر انشق وقوله تعالى (وانشق القمر) ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى قوله وقد صح في الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وروى انس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال سنان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة وأوقع الماضي موقع المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انفلق عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح فلقا وأنشد النابغة

فلما ادبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داعي

وانما ذكرت ذلك تنبيها على ضعفه وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسلوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر (وان يروا) أي كفار قريش (آية) اي معجزة له صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر (يعرضوا) عنها (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) أي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشئ واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر قاله مجاهد وقتادة وقال أبو العالية والضحاك مستمر أي قوي شديد من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وأمررته اذا أحكمت فتله واستمر الشئ اذا قوي واستحكم وقيل مستمر أي دائم فان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يأتي كل زمان بمعجزة فقالوا هذا سحر مستمر دائم لا يختلف بالنسبة الى شئ بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الزمخشري ومنه قول الشاعر

ولمن خاف مقام ربه جنتان) أي ولمن خاف قيامه بين يدي ربه والمتقي لكل خائف من

ألا انما الدنيا الليالي وأعصر * وليس على شيء قديم بمستقر

وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقه ودامت حاله قيل فيه قد استمر وقال أبو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل ذلك وقال ليلة بدر أي ليلة اربعة عشر في الشهر فسأل ربه فانشق القمر فقالوا سحر مستمر ولم يؤمنوا (وكذبوا) بكون انشقاقه دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا (واتبعوا) اى بمعالجة فطرهم الاولى المستقيمة في دعائها الى التصديق (أهواءهم) في انه صلى الله عليه وسلم سحر القمر وانه خسوف في القمر وظهور شيء في جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر وانه سحر أعيننا وان القمر لم يصبه شيء فهذه أهواؤهم قال القشيري اذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل التكذيب لان الله تعالى يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضا مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق (وكل امر) اى من أموركم من الخير او الشر (مستقر) اى بأهله في الجنة أو النار وقال قتادة وكل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر مستقر باهل الشر وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعذاب وقيل كل امر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا واتبعوا أهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء (ولقد جاءهم) اى أهل مكة في القرآن قبل الانشقاق (من الانباء) اى اخبار اهلاك الامم الماضية المكذبة رسلهم لان الانباء الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدهد وجئتك من سبأ بنبأ يقين لانه كان خبرا عظيما له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ اى بامر عظيم له خطر وانما يجب التثبت فيما يتعلق به حكم ويترتب عليه أمر ذو بال (ما فيه) خاصة (مزدجر) أي عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من أراد الله تعالى *(تنبيه)* المزدجر اسم مصدر اى ازدجار أو اسم مكان أى موضع ازدجار والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة وقوله تعالى (حكمة) خبر مبتدأ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بالغة) أى انها أعظم البلوغ الى انتهى غايات الحكمة لصحتها ووضوحها ففيها مع الزجر ترجية ومواعظ وأحكام ودقائق (فما تغن) أي تنفع (النذر) اى الانذارات والمنذرون والامور المنذر بها ومنها انما المغني بذلك هو الله تعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال البقاعي ولعل الاشارة باسقاط ياء تغني باجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ الى أنه كما سقطت غاية أحرف الكلمة سقطت ثمرة الانذار وهو القبول *(تنبيه)* يجوز في ما أن تكون استفهامية وتكون في محل نصب مفعولا مقدما أى اى شيء تغني النذر وأن تكون نافية اى لم تغن النذر شيئا والنذر جمع نذير والمراد به المصدر او اسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم نهر لذلك ربما اشتهى اجابتهم الى مقترحاتهم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فتول عنهم) أى كف نفسك الاعراض عن تمني ذلك فما عليك الا البلاغ وأما الهداية فالى الله تعالى وحده *(تنبيه)* قال أكثر

من الفريقين جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني أو المعنى

المفسرين نسختها آية السيف وقال الرازي ان قول المفسرين في قوله تعالى فتول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لا تناظرهم بالكلام وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر أي واذكر يوم (يدع الداع) وقيل منصوب بيخرجون بعده والداعي معرف كالمنادي في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد أخبر عنه فقيل ان مناديا ينادي وداعيا يدعو فقيل الداعي اسرافيل عليه السلام ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل بذلك والتعريف حينئذ لا يقطع حد العلمية ويكون كقولنا جاء رجل فقال الرجل قاله الرازي وقرأ نافع وابو عمرو بحذف الياء بعد العين وقفا واثباتها وصلا وابن كثير باثباتها وقفا ووصلا والباقون بحذفها وقفا ووصلا (الى شيء نكر) اى منكر فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظاما (فان قيل) ماذلك الشيء المنكر (أجيب) بانه الحساب او الجمع له أو النشر للجمع (فان قيل) النشر لا يكون منكرا فانه احياء ولان الكافر من أين يعرف وقت النشر ما يجزى عليه لينكره (أجيب) بانه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم ياويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرأ ابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع ﴿ ولما بين تعالى دعاءه بين حال أمره بين حال المدعوين زيادة في الهول فقال تعالى (خاشعا أبصارهم) اى ينظرون نظر الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذي هو شر حال ونسب الخشوع الى الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر والذل أن يرمي به صاحبه الى الارض مثلا مع هيبة يعرف منها ذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين والباقون بضم الخاء ولا ألف بعدها وفتح الشين مشددة اما القراءة الاولى فهي جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحد تقول تخشع أبصارهم ولا تقول يخشعن أبصارهم وأما القراءة الثانية فجاءت على لغة طيئ يقولون أكلوني البراغيث قال الزمخشري ويجوز أن يكون في خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه اه وتقدم نظير ذلك في قوله تعالى في الانبياء وأسروا النجوى الذين ظلموا وجملة خاشعا أبصارهم حال من فاعل (يخرجون) اى الناس (من الاجداث) اى القبور (كأنهم جراد) اى في كثرتهم وتراكم بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وتموجهم يقال في الجيش الكثير المائج بعضه فوق بعض جاؤا كالجراد وكالذباب (منتشر) اى منبث متفرق في كل مكان لكثرتهم لا يدرون أين يذهبون (مهطعين) اى مسرعين مادي أعناقهم (الى الداع) مصوبي رؤسهم اليه لا يلتفتون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة هذا حال الكل وأما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى (يقول) أي على سبيل التكرار (الكافرون) أي الذين كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الاباطيل المضلة (هذا) أي الوقت الذي نحن فيه لما نرى فيه من الاهوال (يوم عسر) أي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب حالهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على الكافرين ﴿ ولما فرغ من حكاية كلام الكافرين ومن ذكر علامات الساعة أعاد ذكر بعض الانبياء فقال تعالى (كذبت) اى أوقعت التكذيب العظيم الذي عموا به جميع

لكل خائف جنتان جنة لعقيدته وجنة لعمله او جنة لفعل الطاعات

الرسالات

الرسالات وجميع الرسل (قبلهم) اى أهل مكة (قوم نوح) مع ما كان بهم من القوة ولهم من
الانتشار فى جميع الاقطار وأنث فعلهم تحقيرا لهم وتهوينا لامرهم فى جنب قدرته تعالى (فان
قيل) الحاق الضمير المؤنث بالفعل قبل ذكر الفاعل جائز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع
بالفعل قبيح عند أكثرهم فلا يجوزون كذبوا قوم نوح ويجوزون كذبت فما الفرق (أجاب)
الرازى بان التأنيث انما جاز قبل الجمع لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل
الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع لان الجمع للفاعلين بسبب فعلهم (فكذبوا عبدنا) نوحا
عليه السلام على ماله من العظمة بنسبته الينا مع تشريفنا اياه بالرسالة (وقالوا) زيادة على
التكذيب (مجنون) اى فهذا الذى يصدر منه من الخوارق أمر من الجن (وازدجر) وهل
هذا من مقولهم اى قالوا انه ازدجر اى ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد أو هو من كلام
الله تعالى أخبر الله تعالى عنه بانه انتهر وازدجر بالسب وأنواع الاذى وقالوا لئن لم تنته يا نوح
لتكونن من المرجومين قال الرازى وهذا أصح لان المقصود تقوية قلب النبى صلى الله عليه
وسلم بذكر من تقدمه وأيضا يترتب عليه قوله تعالى (فدعا ربه) وهذا الترتيب فى غاية الحسن
لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعائهم دعا ربه الذى رباه بالاحسان اليه وبرسالته (أنى) اى
أنى (مغلوب) اى من قومى كلهم بالقوة والمنعة لا بالحجة وأكده ا بلاغا فى الشكاية واظهارا
لذل العبودية لان الله تعالى عالم بسر العبد وجهره فما شرع الدعاء فى أصله الا لاظهار التذلل
وكذا الابلاغ فيه وقال ابن عطية قد غلبتنى نفسى وحملتنى على الدعاء عليهم قال ابن عادل وهو
ضعيف (فانتصر) اى أوقع نصرتى عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه فانتقم لى منهم (ففتحنا)
أى بسبب دعائه فعلا يليق بعظمتنا (أبواب السماء) أى كلها فى جميع الاقطار وعبر بجمع
القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح والابواب والسماء حقائقها فان للسماء أبوابا تفتح
وتغلق وقيل هذا على سبيل الاستعارة فان الظاهر أن الماء كان من السحاب فهو كقول
القائل فى المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفى قوله تعالى ففتحنا بيان بان الله تعالى انتصر
منهم وانتقم بماء لا بجند أنزله ومن العجب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فاهلكهم الله تعالى
بمطلوبهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء والباقون بالتخفيف وفى الباء فى قوله تعالى
(بماء) وجهان أظهرهما انها للتعدية وذلك على المبالغة فى أنه جعل الماء كالآلة للفتح به كما
تقول فتحت بالمفتاح والثانى أنها للحال أى فتحناها ملتبسة بماء (منهمر) أى منصب بابلغ
ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة
واستمر ذلك أربعين يوما (وفجرنا) أى صدعنا بمالنا من العظمة وشققنا وبعثنا وأسلنا
(الارض عيونا) أى جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة
أن وجه الارض صار كله عيونا وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحمزة والكسائى بكسر
العين والباقون بضمها (فالتقى الماء) أى المعهود وهو ماء السماء وماء الارض بسبب فعلنا
هذا وزاد فى تعظيمه باداة الاستعلاء فقال تعالى (على أمر) أى حال (قد قدر) اى قضى أى فى
الازل وهو هلاكهم غرقا بماء مقدر لا يزيد قطرة ولا ينقص عن أمرنا باهلاكهم (وحملناه)
اى نوحا عليه السلام تميما لانتصاره (على ذات) اى سفينة صاحبة (ألواح) اى أخشاب

وجنة لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه أو المراد

تجرت حتى صارت عريضة (ودسر) جمع دسار ككتاب وهو ما تشد به السفينة من مسمار وحديد او خشب او من خيوط الليف ونحوها قال البقاعى ولعله عبر عن السفينة بشارحها تنبيها على قدرته على ما يريد (تجرى) اى السفينة (باعيننا) اى محفوظة من أن تدخل بحر الظلمات او يأتى عليها غير ذلك من الآفات بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من يتطلع الشئ باعين كثيرة ولا يغيب عنه أصلا وجوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء وقوله تعالى (جزاء) منصوب بفعل مقدر اى أغرقوا انتصارا (لمن كان كفر) وهو نوح عليه الصلاة والسلام او البارى تعالى (ولقد تركناها) اى أبقينا هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا الوجه وابقاء نوع بهاد الة على ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بعينها بقيت على الجودى حتى أدرك بقاياها أول هذه الامة (آية) اى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط والقدرة التامة (فهل من مدكر) اى معتبر ومتعظ بها واصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها وقوله تعالى (فكيف كان) اى وجد وتحقق (عذابى) اى لمن كفر وكذب رسلى (ونذر) اى انذارى استفهام تقرير فكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه وقرأ ورش باثبات الياء بعد الراء وصلا لا وقفا جميع ما فى هذه السورة والباقون بغير ياء وقفا ووصلا قال البقاعى ولما كان هذا المفصل مما أنزل أول القرآن تيسيرا على الامة نبه على ذلك بقوله تعالى (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من العظمة (القرآن) أى على ما له من الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه وصفا لنا (للذكر) أى الاتعاظ والتذكر والتدبر والفهم والتشريف والحفظ لمن يراعيه قال ابن برجان أنزلناه باللسان العربى ونزلناه للافهام تنزيلا وضربنا لهم الامثال وأطلنا لهم فى هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم وقال القشيرى يسر قراءته على ألسنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم أهل القرآن وخاصته وليس يحفظ من كتب الله تعالى عن ظهر قلب غيره قاله المحلى (فهل من مدكر) أى معتبر ومتعظ به وتقدم أصله ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم ذكر قصة عاد لانها أعظم قصة جرت بعد قوم نوح فيما تعرفه العرب بقوله تعالى (كذبت عاد) اى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب تكذيبهم برسولهم هود عليه الصلاة والسلام فى دعائه لهم الحق وانذاره عذابى (فكيف) اى فعلى اى الاحوال لاجل تكذيبهم (كان عذابى) لهم (ونذر) أى وانذارى اياهم بلسان رسولى قبل نزوله أى وقع موقعه (فان قيل) لم لم يقل فكذبوا هودا كما قال تعالى فى قصة نوح فكذبوا عبدنا (أجيب) بان تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم واما الان قصة عاد ذكرت مختصرة ثم بين عذابهم بقوله تعالى (انا أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (عليهم ريحا) وعبر بحرف الاستعلاء لاما بالنقمة ثم وصف الريح بقوله تعالى (صرصرا) أى شديدة الصوت من صرصر الباب أو القلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وقال مكى أصله صرر من صر الشئ اذا صوت لكن أبدلوا من الراء المشددة صادا وهذا قول الكوفيين وقال الرازى الصرصر الدائمة الهبوب من أصر على الشئ اذا دام وثبت وأكد شؤمها بذم زمانها

بالجنتين جنة واحدة وانما
ثنى مراعاة للفواصل
(قوله فيهن قاصرات

فقال تعالى (في يوم نحس) اى شديد القباحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء في آخر الشهر وهو شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء آخره فانه قال تعالى في سورة الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وقال تعالى في حم السجدة في أيام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان وقوله تعالى (مستمر) أى دائم الشؤم الى وقت نفاذ المراد منه بتعدد ما تفيده الايام لان الاستمرار ينبئ عن امتداد الزمان كما تنبئ عنه الايام والحكاية مذكورة هنا على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الايجاز فاستقر عليهم بنحوسه ولم يبق منهم أحدا الا أهلكه هذا وصفها في ذاتها أو أما وصفها بفعلها فيهم فذكره بقوله تعالى (تنزع) أى تأخذ (الناس) أى الذين هم صور لا ثبات لهم بأرواح التقوى من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفروها واعتنوا بها من العذاب فتطيرهم بين السماء والارض كأنهم الهباء المنثور فتقلع رؤسهم من جثثهم وقوله تعالى (كأنهم) أى حين ينزعون فيلقون لأرواح فيهم (أعجاز نخل) أى أصول نخل قطعت رؤسها حال من الناس مقدرة وقوله (منقعر) صفة لنخل باعتبار الجنس وأنث في الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار معنى الجماعة قال ابن عادل واغا ذكر هنا وأنث هناك مراعاة للفواصل في الموضعين وقال الرازي ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الاوجه الثلاثة فقال تعالى والنخل باسقات وذلك حال عنها وهي كالوصف وقال تعالى نخل خاوية ونخل منقعر فحيث قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالمفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعور والخاوي والباسق فاعل واخلاء المفعول من علامة التأنيث أولى تقول امرأة قتيل وأما الباسقات فهي فاعلات حقيقة لان البسوق أمر قائم بها وأما الخاوية فهي من باب حسن الوجه لان الخاوي موضعها فكأنه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الاعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للالفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ * (تنبيه) * الاعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشئ ومنه العجز لانه يؤدي الى تأخير الامور والمنقعر المنقلع من أصله يقال قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت وقعرت البئر وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وكرر قوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال أيضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وتقدم تفسير قوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وكرره ايذانا بأن تفسير القرآن مع اعجازه لا يكون الا بعظمة تفوت قوى البشر وتعجز عنها منهم القدر ولما انقضت قصة عاد ذكر تعالى قصة ثمود لانهم اتى قصة عاد في القطاعة فقال تعالى (كذبت ثمود) أى قوم صالح عليه السلام وقوله تعالى (بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر اى بالانذارات التي أنذرهم بها نبيهم صالح عليه السلام ان لم يؤمنوا به ثم علل ذلك وعقبه بقوله تعالى (فقالوا) منكرين لما جاءهم من الله تعالى غاية الانكار (أبشرا) انكارا لرسالة هذا النوع ليكون انكارا لنبوة نبيهم على أبلغ الوجوه وهو منصوب بفعل يفسره تتبعه الآتي وقولهم (منا) نعت له اى فلا فضل له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم (واحدا) نعت له أيضا ثم عظموا الانكار بقولهم (نتبعه) اى لجاهدا أنفسنا في خلع

(الطرف) جمع الضمير مع ان قبله جنتان لرجوعه الى الآلاء المعدودة في الجنتين

مالوفنا وما كان عليه آباؤنا والاستفهام بمعنى النفي والمعنى كيف نتبعه ونحن أشد الناس قوة وكثرة وهو واحد منا ثم استنتجوا من هذا الانكار الشديد قولهم مؤكدين (انا اذا) أى ان اتبعناه (لفى ضلال) أى ذهاب عن الصواب محيط بنا (وسعر) أى ونيران جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل السعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * ذميل وارخاء من السير متعب

ثم استدلوا بأمر آخر ساقوه مساق الانكار فقالوا (أألقى) أى أنزل (الذكر) أى الوحى الذى يكون به الشرف الاعظم بغتة فى سرعة (عليه) لانه لم يكن عندهم فى مضمار هذا الشأن ولا توسموا فيه قبل اشارته به شيأ منه بل أتاهم به بغتة فى غاية الاسراع ودلوا على وجه التعجب والانكار بالاختصاص بقولهم (من بيننا) أى وفينا من هو أولى بذلك منه سنا وشرفا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المضمومة كالواو وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا بخلاف عن أبى عمرو ولم يدخل ورش وابن كثير ألفا وأما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقها وادخال الالف بينهما مع التحقيق والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حمزة فله فى الثانية التسهيل وابدالها واوا والتحقيق ثم أضربوا عن ذلك الاستفهام لانه بمعنى النفى بقولهم (بل هو كذاب) أى بليغ فى الكذب فى قوله انه أوحى اليه ماذكر (أشر) أى متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه فتكبر فهو يريد الترفع قال الله تعالى (سيعلمون) أى بوعد لاخلف فيه (غدا) اى فى الزمن الآتى القريب وهو يوم القيامة لان كل ما حقق اتيانه قريب عند نزول العذاب فى الدنيا ويوم القيامة وقرأ ابن عامر وحمزة بعد السين بتاء الخطاب وفيه وجهان أحدهما انه حكاية عن قول صالح عليه السلام لقومه والثانى أنه خطاب من الله تعالى على جهة الالتفات والباقون بياء الغيبة جريا على الغيب قبله فى قوله تعالى فقالوا أبشرا واختار هذه القراءة مكى لان عليها الاكثر (من الكذاب الاشر) أى وهو هم بان يعذبوا على تكذيبهم لنبيه صالح صلى الله عليه وسلم وروى أنهم تعنتوا عليه فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (مرسلوا الناقة) أى موجدوها لهم ومخرجوها كما اقترحوا من حجر أهلناه لذلك وخصصناه من بين الاحجار دلالة على ارسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه وذلك انهم قالوا لصالح عليه السلام نريد أن نعرف المحق منا بان ندعو آلهتنا وتدعو الهك فمن اجابه الهه علم انه المحق فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك وأكدوا فكذبوا بعدما كذبوا فى أن آلهتهم تجيبهم وصدق هو عليه السلام فى كل ما قال فاخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم الى اخراجها (فتنة لهم) اى امتحانا يخالطهم به فيميلهم عن حالتهم التى وعدوا بها او يخليهم عنها الان المعجزة فتنة لان بها يتميز المثاب من المعذب فالمعجزة تصديق وحينئذ يفترق المصدق من المكذب أو يقال اخراج الناقة من الصخرة معجزة ودورانها بينهم وقسمة الماء كان فتنة ولهذا قال تعالى انا مرسلوا الناقة ولم يقل مخرجو (فارتقبهم) أى كاف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار من يحرسهم

اوالى الجنتين لكن جهة لاشتمالهما على قصور ومنازل أوالى المنازل

(واصطبر)

(واصطبر) أي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم وأصل الطاء في اصطبر تاء فصورت طاء لتكون موافقة للصاد في الاطباق (ونبئهم) اى أخبرهم اخبارا عظيما بامر عظيم وهو (أن الماء) اى الذي يشربونه وهو ماء بئرهم (قسمة بينهم) اى بين قوم صالح عليه السلام والناقة فغلب العاقل عليها والمعنى انا اذا بعثناها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه ولها يوم لا تدع في البئر قطرة يأخذها احد منهم وتوسع الكل بدل الماء لبنا (كل شرب) اى نصيب من الماء (محتضر) اى فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون *(تنبيه)* الحكمة في قسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق فتنفر منها حيواناتهم فكان يوم للناقة ويوم لهم واما لقلة الماء فلا يحملهم واما لان الماء كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد الناقة على هؤلاء يرجعون على الآخرين وكذلك الآخرون فيكون النقصان على الكل ولا يختص الناقة بجميع الماء روى انهم كانوا يكتفون في يوم وردها بلبنها وليس في الآية الا القسمة دون كيفيتها وظاهر قوله تعالى كل شرب محتضر يعضد الوجه الثالث وحضر واحتضر بمعنى واحد وقوله تعالى (فنادوا صاحبهم) فيه حذف قبله أي فتمادوا على ذلك ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف الذي انتدبوه بطرا وأشر القتل الناقة وكذبا في وعدهم الايمان واكرامها بالاحسان وكان أشجعهم وقيل كان رئيسهم (فتعاطى) أي فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث به (فعقر) أي فتسبب عن ذلك عقرها وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تفاعل الشيء بتكلف قال محمد بن اسحق كمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها وقال ابن عباس كان الذي عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف أفحى يقال له قدار بن سالف والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤم آل ثمود (فكيف كان عذابي) أي كان على حال ووجه هو أهل لان يجتهد في الاقبال على تعرفه والسؤال عنه (ونذر) اى انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله اى وقع موقعه وبينه بقوله تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة (أرسلنا) اى ارسالا عظيما (عليهم صيحة) وحقر شأنهم بالنسبة الى عظمة عذابه بقوله تعالى (واحدة) صاح بها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن لهم بصيحته هذه التي هي واحدة طاقة كما قال تعالى (فكانوا كهشيم المحتظر) وهو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما يسقط من ذلك فداسته هو الهشيم والهشيم المهشوم المكسور ومنه سمي هاشم لهشمه الثريد في الجفان غير ان الهشيم يستعمل كثيرا في الحطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا كالخشب المتكسر الذي يخرج من الحظائر بدليل قوله تعالى هشيما تذروه الرياح وهو من باب اقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم اما لكونهم يابسين كالموتى الذين ماتوا من زمان أو لانضمام بعضهم الى بعض فاجتمعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحاطب الحطب يضعه شيأ فوق شيء منتظرا حضور من يشتري منه قال ابن عادل ويحتمل ان يكون ذلك لبيان كونهم في الجحيم أي كانوا كالحطب اليابس الذي للوقيد كقوله

والقصور التي دل عليها ذكر الجنتين أو الى الفرش افرشها وتكون

تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى فكانوا لجهنم حطبا *(تنبيهات)* أحدها انه تعالى ذكر فكيف كان عذابى ونذر فى ثلاثة مواضع ذكرها فى حكاية نوح عليه السلام بعد بيان العذاب وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها فى حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحيث ذكر قبل بيان العذاب فللبيان كقول العارف حكاية لغير العارف هل تعلم كيف كان أمر فلان وغرضه أن يقول أخبرنى عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقوله فلان أى ضرب وايما ضرب و يقول ضربته وكيف ضربته اى قويا وفى حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان والاستفهام * ثانيها انه تعالى ذكر فى حكاية نوح عليه السلام الذى للتعظيم وفى حكاية ثمود ذكر الذى للبيان لان عذاب قوم نوح كان بامر عظيم عام وهو الطوفان الذى عم العالم ولا كذلك عذاب قوم هود فانه كان مختصا بهم * ثالثها انه تعالى ذكر فى هذه السورة خمس قصص وجعل القصة المتوسطة مذكورة على أتم وجه لان حال صالح عليه السلام كان أتم مشابهة بحال محمد صلى الله عليه وسلم لانه اتى بامر عظيم عجيب ارضى وكان اعجب مما جاء به الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان عيسى عليه السلام أحيا الميت لكن الميت كان محلا للحياة فقامت الحياة باذن الله تعالى فى محل كان قابلا لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعبانا فأثبت الله تعالى له فى الخشب الحياة باذنه سبحانه لكن الخشبة نبات كان له قوة فى النمو فاشبه الحيوان فى النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر فى يده خروج الناقة من الحجر والحجر جماد ليس محلا للحياة ولا محلا للنمو ونبينا صلى الله عليه وسلم أتى باعجب من الكل وهو التصرف فى الجرم السماوى الذى يقول المشرك لا وصول لاحد الى السماء واما الارضيات فقالوا انها أجسام مشتركة المواد يقبل كل واحد منها صورة الاخرى والسماويات لا تقبل ذلك فلما أتى بما اعترفوا بانه لا يقدر على مثله آدمى كان أتم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التى هى أتم من معجزة سائر الانبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد يسرنا) أى على مالنا من العظمة (القرآن) اى الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس (للذكر) اى الحفظ والتذكر والتدبر وحصول الشرف فى الدارين (فهل من مدكر) اى من ناظر بعين الانصاف والتجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فيعينه عليه ولما انقضت قصة ثمود ٣ بما تعرفه العرب بالاخبار ورؤية الآثار فقال تعالى (كذبت قوم لوط) اى وهم فى قوة عظيمة على ما يحاولونه وان كانوا فى تكذيبهم هذا أضعف من عقول النساء عن التجرد عن الهوى بما دل عليه تأنيث الفعل بالتاء وكذا ما قبلها من القصص (بالنذر) اى بالامور المنذرة لهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام ودل على تناهى القباحة فى مرتكبهم بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال تعالى مؤكدا لوعد لمن استمر على التكذيب (انا) اى بما لنا من العظمة (أرسلنا عليهم حاصبا) اى ريحا شديدة ترميهم بالحصباء وهى صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا (الا آل لوط) وهم من آمن به فكان اذا رأيته فكانك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من افعاله والمشى على منواله فى اقواله وافعاله (نجيناهم) اى تنجية عظيمة (بسحر) اى باخر ليلة من الليالى وهى الليلة التى عذب فيها قومه وانصرف لانه نكرة لانا لا نعرف تلك الليلة بعينها ولو قصد به

فى بعض على كافى قوله
تعالى يستمعون فيه أى
عليه (قوله لم يطمثهن

٣ قوله بما تعرفه الخ هكذا
بالاصول ولعله سقط من
قلم الناسخ بعد قوله ولما
انقضت قصة ثمود أتبعها
بما تعرفه الخ اه مصحح

وقت بعينه لمنع الصرف للتعريف والعدل عن أل هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل أنه مبنى على الفتح كأمس مبنيا على الكسر * (تنبيه) * قال الجلال المحلى وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بانه متصل وعلى الثانى بانه منقطع وان كان من الجنس تسمحا وقوله تعالى (نعمة) اما مفعول له واما مصدر بفعل من لفظها أو من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام فالتأويل اما فى العامل واما فى المصدر وقوله تعالى (من عندنا) متعلق بنعمة أو بمحذوف صفة لها (كذلك) اى مثل هذا الانجاء العظيم الذى جعلناه جزاء لهم (نجزى من شكر) اى من آمن بالله تعالى وأطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد لامة محمد صلى الله عليه وسلم بانه يصونهم عن الهلاك العام وقال الرازى ويمكن أن يقال هو وعد لهؤلاء بالثواب يوم القيامة كما أنجاهم فى الدنيا من العذاب لقوله تعالى ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وقال مقاتل من وحد الله تعالى لم يعذبه مع المشركين (ولقد أنذرهم) اى رسولنا لوط عليه السلام (بطشتنا) اى أخذتنا لهم المقرونة من الشدة بما لا من العظمة وهى العذاب الذى نزل بهم وقيل هى عذاب الآخرة لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى (فتماروا) اى تجادلوا وكذبوا (بالنذر) اى بانذاره فكان سببا للاخذ (ولقد راودوه عن ضيفه) اى أرادوا أن يخلى بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الاضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة فى صورة شباب مرد وأفرد لان المراد الجنس (فطمسنا) اى فتسبب عن مراودتهم ان طمسنا بعظمتنا (أعينهم) اى أعميناها وجعلناها بلا شق كباقى الوجه بان صفقها جبريل عليه السلام بجناحه وقال الضحاك بل أعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل وقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فرجعوا فلم يروهم وهذا قول ابن عباس وروى أنهم صارت أعينهم مع وجوههم كالصفيحة الواحدة وقال القشيرى مسح بجناحه على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير والعرب تقول طمست الريح الاعلام اذا دفنتها بما تسفى عليها فانطلقوا هاربين مسرعين الى الباب لا يهتدون اليه ولا يقعون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك وهم يقولون عند ذلك لوط أسحر الناس وما أدتهم عقولهم الى أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم قال القشيرى وكذلك أجرى الله تعالى سنته فى أوليائه بان يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه ويخلصهم من كيدهم وقوله تعالى (فذوقوا عذابى ونذر) اى انذارى ونحو ينى خطاب لهم أى قلنا لهم على لسان الملائكة فذوقوا فهو خطاب مع كل مكذب اى ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبى والمراد من هذا الامر الخبر أى فأذقتهم عذابى الذى أنذرهم به لوط عليه السلام (فان قيل) النذر كيف تذاق (أجيب) بان المراد ثمرته وفائدته (فان قيل) اذا كان المراد بقوله تعالى عذابى هو العذاب العاجل وبقوله تعالى ونذر هو العذاب الآجل فهما لم يكونا فى زمان واحد فكيف قال تعالى فذوقوا (أجيب) بان العذاب الآجل أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع فى زمان واحد وهو قوله تعالى أغرقوا فادخلوا نارا (ولقد صبحهم) اى أتاهم وقت الصباح وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الصاد والباقون بلا اظهار وحقق

(ولا جان) اى لم انس قبلهم ولا جان
يقتض الانسيات
انسى ولا الجنيات جنى

المعنى بقوله تعالى (بكرة) اى فى أول نهار العذاب وانصرف بكرة لانه نكرة ولو قصد به وقت بعينه امتنع الصرف للتأنيث والتعريف (عذاب) اى فقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالماء المنتن الذى لا يعيش به حيوان (مستقر) اى ثابت عليهم غير زائل ليس بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الاكبر فى الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق لسان المقال (فذوقوا) اى بسبب أفعالكم الخبيثة (عذابى ونذر) *(تنبيه)* قد علم من تكرير هذا أن سبب العذاب التكذيب بالانذار لاى رسول كان وكان استئناف كل قصة منها على انها أهل على حدتها الان يتعظ بها (ولقد يسرنا) اى على ما لنا من العظمة (القرآن) اى الجامع الفارق بين الحق والباطل ولو شئنا الا علیناه بما لنا من القدرة الى حد تعجز القوى عن فهمه كما أعليناه الى رتبة وقفت القوى عن معارضته (للذكر فهل من مدكر) اى فيخلص نفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظنا منهم ان الامر لا يصل الى ما وصل اليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب * ولما انقضت قصة لوط عليه السلام أتبعها قصة موسى عليه السلام لانها بعد قوم لوط بقوله تعالى (ولقد جاء آل فرعون) اى فرعون ملك القبط بمصر وقومه الذين اذا رآهم أحد كان كانه فيهم لشدة قربهم منه وتخلقهم باخلاقه (النذر) اى الانذار على لسان موسى وهرون عليهما السلام فلم يؤمنوا بل (كذبوا) اى تكذيبا عظيما مستهزئين (بآياتنا) التى أتاهم بها موسى عليه السلام (كلها) اى التسع التى أوتيها وهى العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (فان قيل) كيف قال ولقد جاء ولم يقل فى غيره جاء (أجيب) بان موسى عليه السلام لما جاء كان غائبا عن القوم فقدم عليهم كما قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم لانه جاءهم من عند الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور والنذر الرسل ولقد جاءهم يوسف وبنوه الى أن جاءهم موسى عليه السلام وقيل النذر الانذارات *(تنبيه)* ههنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرأ أبو عمرو وقالون باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية ولهما أيضا ابدالها ألفا وورش على أصله فى الهمزة المسهلة وبعد الجيم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف حمزة وهشام أبدلا الهمزة ألفا مع المد والتوسط والقصر (فأخذناهم) اى بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الاغراق (أخذ عزيز) اى لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ (مقتدر) اى لا يعجل بالاخذ لانه لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم) اى الراسخون منكم يا أهل مكة فى الكفر الثابتون عليه يا أيها المكذبون لهذا النبى الكريم الساترون لشموس دينه (خير) فى الدنيا بالقوة والكثرة أو فى الدين عند الله أو عند الناس (من أولئكم) اى المذكورين من قوم نوح الى فرعون الذين وعظنا كم بهم فى هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار اى ليسوا باقوى منهم ومعناه نفى اى ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين أهلكوا بكفرهم *(تنبيه)* قوله

تعالى

(سورة الواقعة)

(قوله والسابقون السابقون) فائدة التكرار

تعالى خير مع أنه لا خير فيهم اما أن يكون كقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * أو هو بحسب زعمهم واعتقادهم أو المراد بالخير شدة القوة أو لان كل ممكن فلا بد وأن يكون له صفات محمودة فالمراد تلك الصفات (أم لكم) اى يا أهل مكة (براءة فى الزبر) اى أنزل اليكم من الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو فى أمان من عذاب الله تعالى والاستفهام هنا أيضا بمعنى النفى اى ليس الامر كذلك (أم يقولون) اى كفار قريش (نحن جميع) اى جمع واحد مبالغ فى اجتماعه فهو فى الغاية من الضم فلا افتراق له (منتصر) اى على كل من يعاديه لانهم على قلب رجل واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى ولما قال أبو جهل يوم بدر انا جميع منتصر نزل (سيهزم الجمع) باليسر أمر بوعد لا خلف فيه وقال مقاتل ضرب أبو جهل يوم بدر فرسه فتقدم من الصف وقال نحن ننتصر اليوم على محمد وأصحابه فانزل الله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع (ويولون الدبر) فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل الادبار لموافقة رؤس الآى (بل الساعة) اى القيامة التى يكون فيها الجمع الاكبر والهول الاعظم (موعدهم) اى للعذاب (والساعة أدهى) اى من كل ما يعرض وقوعه فى الدنيا وأدهى أفعل تفضيل من الداهية وهى أمر هائل لا يهتدى لدوائه فهى أمر عظيم يقال دهاه أمر كذا أى أصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية دهوا ودهياء وهى توكيد لها وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (وأمر) لان عذابها للكفار غير مفارق ولا مزايل فهى أعظم نائبة وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يثب فى درعه ويقول اللهم ان قريشا جادلتك وتجاهر رسولك بفخرها بخيلها فأخنهم الغداة يقال أخنى عليه الدهر أى غلبه وأهلكه ومنه قول النابغة

أخنى عليها الذى أخنى على لبد * وأخنيت عليه أفسدت ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أخبر عن غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية وفى البخارى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وانى لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فاخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك وهو فى الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم القيامة والساعة أدهى وأمر مما لحقهم يوم بدر (ان المجرمين) اى المشركين القاطعين لما أمر الله تعالى ان يوصل (فى ضلال) اى هلاك بالقتل فى الدنيا (وسعر) اى نار مسعرة أى مهيجة فى الآخرة وقيل فى ضلال اى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث وسعر قال الضحاك اى نار تسعر عليهم وقيل ضلال لذهاب عن طريق الجنة فى الآخرة وسعر جمع سعير نار مسعر وقال

فيه التأكيد فى مقابلة التأكيد فى أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب

(قوله كنت لا أدرى الخ) عبارة الكشاف لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها اه

الحسين بن الفضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم في الآخرة بقوله تعالى (يوم يسحبون) اى في القيامة اهانة لهم من اى ساحب كان (في النار) اى الكاملة النارية (على وجوههم) لانهم في غاية الذل والهوان جزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى مقولا لهم من اى قائل اتفق (ذوقوا) لانه لا منعة لهم ولا جبهة بوجه (مس سقر) اى حر النار والمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار اى لوحته ويقال صقرته بالصاد وهي مبدلة من السين قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بافنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها التعريف والتانيث وقال بعض المفسرين ان هذه الآية نزلت في القدرية لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله سبحانه ان المجرمين في ضلال وسعر وفي مسلم عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الآية الى آخرها قال الرازي والقدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما مر ان قريشا خاصموا النبي صلى الله عليه وسلم في القدر ومذهبهم ان الله تعالى مكن العبد من الطاعة والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على أن يطعم الفقير ولهذا قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام وقوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة ان أريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدرية في زمانه صلى الله عليه وسلم هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة من آمن به صلى الله عليه وسلم فمعناه ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة فان المجوس أضعف الكفرة المتقدمين شبهة وأشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الامة وكونهم كذلك لا يقتضي الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدري هو الذي ينكر قدرة الله تعالى وقد رد عليهم بالكتاب والسنة أما من الكتاب فقوله تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة (كل شيء) من الاشياء المخلوقة صغيرها وكبيرها (خلقناه بقدر) اى قضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم في وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه وأما من السنة فما روى عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليماني قال أدركت ماشاء الله تعالى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله تعالى قال وسمعت من عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز وعن على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن باربع يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وقال عبد الله خيره وشره (تنبيه) كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر ولما بين سبحانه وتعالى ان كل

شيء

المشأمة ما أصحاب المشأمة كانه قال هم المعروف حالهم المذموم وصفهم أو المعروف

شئ بفعله بين يسر ذلك وسهولته عليه بقوله تعالى (وما أمرنا) في كل شئ أردناه وان عظم أمره (الا واحدة) اى فعلة يسيرة لا معالجة فيها وليس هناك احداث قول لانه قديم بل تعلق القدرة بالمقدور على وفق الارادة الازلية وقيل الا كلمة واحدة وهى قوله تعالى كن كما قال تعالى اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثم مثل لنا ذلك باسرع ما نعقله واخفه بقوله تعالى (كلمح بالبصر) واللمح النظر بالعجلة وفى الصحاح لمحه وألمحه اذا أبصره بنظر خفيف اى فكما ان لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل أيسر وعن ابن عباس معناه وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا) اى بما لنا من العظمة (أشياعكم) اى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السابقة والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فهل من مدكر) اى بما وقع لهم انه مثل من مضى بل أضعف وان قدرته تعالى عليه كقدرته تعالى عليهم لم يرجع عن غيه خوفا من سطوته والاستفهام بمعنى الامر أى اذكروا واتعظوا (وكل شئ فعلوه) قال الجلال المحلى أى العباد وقال أكثر المفسرين اى الاشياع لانه هو المتقدم ذكره (فى الزبر) اى مكتوب فى دواوين الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ وقيل فى أم الكتاب فالحذر والامن أفعالهم فانها غير منسية هذا ما أطبق عليه القراء بما أدى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لاوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم انهم فعلوا فى الزبر كل شئ من الاشياء وهو فاسد (وكل صغير وكبير) اى من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) اى مكتوب فى اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المؤمنين مؤكدا ردا على المنكر فقال عز من قائل (ان المتقين) اى العريقين فى وصف الخوف من الله الذى وفقهم لطاعته (فى جنات) اى خلال بساتين ذات أشجار تستر داخلها وقوله تعالى (ونهر) اريد به الجنس لان فيها أنهارا من ماء وعسل ولبن وخمر أفرد لموافقة رؤس الآى ولشدة اتصال بعضها ببعض فكأنها شئ واحد والمعنى انهم يشربون من أنهارها وقيل هو السعة والصفاء من النهار وكما جعل للمتقين فى تلك الدار ذلك جعل لهم فى هذه الدار أيضا جنات العلوم وأنهار المعارف ولهذا كانوا (فى مقعد صدق) اى حق لا لغو فيه ولا تأثيم ولم يقل فى مجلس صدق لان القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء ولذا قال (عند مليك) اى ملك تام الملك (مقتدر) اى قادر لا يعجزه شئ وهو الله تعالى وعند اشارة للرتبة والكرامة والمنزلة من فضله تعالى جعلنا الله تعالى وأحبابنا منهم وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القمر فى كل غب أى يقرأ يوما ويترك يوما بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر حديث موضوع

والسابقون السابقون الى رحمته وكرامته ثم قيل المراد بهم السابقون

سورة الرحمن وسمى عروس القران

لانها تجمع النعم والجمال والبهجة فى نوعها والكمال مكية كلها فى قول الحسن وعروة وابن الزبير وعطاء وجابر وقال ابن عباس الا آية منها وهى قوله تعالى يسئله من فى السموات والارض الآية وقال ابن مسعود ومقاتل هى مدنية كلها قال ابن عادل والاول أصح لما روى عن عروة

ابن الزبير قال أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود أنا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فأبى ثم قام عند المقام فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن ثم تمادى بها رافعا صوته وقريش في أنديتها فتأملوا وقالوا ما يقول ابن أم عبد قالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه أنزل عليه ثم ضربوه حتى أثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرأ بسورة الرحمن ومر النفر من الجن فآمنوا به وهي سبع وثمانون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي ظهرت احاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته (الرحمن) الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعاته (الرحيم) الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما قهروا من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته * ولما كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بقوله تعالى (الرحمن علم) اي من شاء (القرآن) وقدم من نعمه الدينية ماهو أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه تعالى بالقرآن العظيم وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي الله تعالى رتبة وأعلاها منزلة وأحسنه في أبواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها * (تنبيه) * أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لان آخر تلك مليك مقتدر وأول هذه انه رحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى الر وحم ون فيكون مجموع هذه الرحمن ولله تبارك وتعالى رحمتان رحمة سابقة بها خلق الخلق ورحمة لاحقة بها أعطاهم الرزق والمنافع فهو رحمن باعتبار السابقة رحيم باعتبار اللاحقة * ولما اختص بالايجاد لم يقل لغيره رحمن ولما خلق بعض خلقه الصالحين ببعض اخلاقه بحسب الطاقة البشرية فاطعم ونفع جاز أن يقال له رحيم وفي اعراب الرحمن ثلاثة أوجه أحدها انه خبر مبتدا مضمر أي الله الرحمن الثاني انه مبتدأ وخبره مضمر أي الرحمن ربنا الثالث انه مبتدأ خبره علم القرآن (فان قيل) كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله (أجيب) بانا ان قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر وان قلنا بالوقف على الله ويبتدأ بقوله تعالى والراسخون فلان من علم كتابا عظيما فيه مواضع مشكلة قليلة وتأملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن أو يقال المراد لا يعلمه من تلقاء نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر * واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال أكثر المفسرين نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لأهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن أي سهله ليذكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ولما كان كأنه قيل كيف يعلمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه قال تعالى مستأنفا أو معللا (خلق الانسان) اي الجنس بان قدره وأوجده

الى الايمان من كل أمة وقيل الذين صلوا الى القبلتين وقيل أهل

على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات وأصله منها ثم
عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات وخلقه له دليل على خلقه الكل شيء موجود انا
كل شيء خلقناه بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية (علمه البيان) اى القوة الناطقة وهى
الادراك للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب بقياسه على الحاضر وغير
ذلك مما اودعه له سبحانه مع تعبيره عما أدركه مما هو غائب فى ضميره وافهامه لغيره تارة بالقول
وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك ذا قدرة فى نفسه والتكميل لغيره فهذا انعام
البيان الذى مكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقتادة والحسن يعنى آدم عليه السلام علم
أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف لغة أفضلها العربية وعن
ابن عباس أيضا وابن كيسان المراد بالانسان ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان
الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن الاولين والآخرين وعن
يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال الربيع بن أنس هو ما ينفعه وما يضره وقال
السدى علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم نظيره قوله تعالى
علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (فان قيل) لم قدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متأخر عنه
فى الوجود (أجيب) بان التعليم هو السبب فى ايجاده وخلقه (فان قيل) كيف صرح بذكر
المفعولين فى علمه البيان ولم يصرح بهما فى علم القرآن (أجيب) بان فى ذلك اشارة الى ان
النعمة فى التعميم لا فى تعليم شخص دون شخص وبأن المراد من قوله تعالى علمه البيان تعديد
النعم على الانسان واستدعاء الشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان
وقيل تقديره علم جبريل القرآن وقيل علم محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان وهذا
أولى لعمومه * (تنبيه) * هذه الجمل من قوله تعالى علم القرآن الى هنا جيء بها من غير عاطف
لانها سيقت لتعديد نعمه كقولك فلان أحسن الى فلان أكرمه اشاد ذكره رفع قدره فلشدة
الوصل ترك العاطف وهى أخبار مترادفة للرحمن * ولما ذكر تعالى خلق الانسان وانعامه
عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين بقوله تعالى (الشمس) وهى آية النهار (والقمر) وهو
آية الليل (بحسبان) فانهما على قانون واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تتم منفعتهما
للزراعات وغيرها ولولا الشمس والقمر لفات كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من
الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل أحد مثل ظهور نعمتهما وانهما بحسبان لا يتغير أبدا ولو
كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات فى اوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى
يجريان بحسبان معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك يجريان بحسبان فى
منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار
ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيأ ان كان الدهر كله ليلا أو
نهارا وقال السدى بحسبان تقدير آجالهما أى يجريان بآجال كآجال الناس فاذا جاء
أجلهما هلكا نظيره كل يجرى الى أجل مسمى (والنجم) أى النبات الذى ينجم أى يطلع من
الارض ولا ساق له كالبقول (والشجر) أى الذى له ساق كشجر الرمان وتقدم الجواب عن

قوله بسبعمائة ألف لغة
فى حاشية الجمل بسبعمائة
لغة اهـ مصححه

القرآن وقيل السابقون
الى المساجد والى الخروج
فى سبيل الله وقيل هم

قوله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين فى سورة الصافات (يسجدان) أى ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وقال الضحاك سجودهما سجود ظلالهما وقال الفراء سجودهما انهما يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم يميلان معها حتى ينكسر الفئ وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال تعالى تتفيأ ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده فى قول مجاهد دوران ظله وقيل سجود النجم أفوله وسجود الشجر امكان الاجتناء لثمارها حكاه الماوردى وقال النحاس أصل السجود فى اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك (فان قيل) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (أجيب) بانه استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قيل) أى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (أجيب) بان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل فان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء) أى ورفع السماء ثم فسر ناصبها فيكون كالمذكور مرتين اشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيهما من الحكم فقال تعالى (رفعها) أى حسا قال البقاعى بعدما كانت ملتصقة بالارض ففتقها وأعلاها عنها وقال الزمخشرى وتبعه البيضاوى خلقها مرفوعة قال البيضاوى محلا ورتبة وقال الزمخشرى حيث جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) اى العدل الذى دبر به الخافقين من الموازنة وهى المعادلة لتنتظم أمورنا كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وقال السدى وضع فى الارض العدل الذى امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا أى ألقه وقيل على هذا الميزان القرآن لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة والضحاك هو الميزان الذى يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل عليه قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع الميزان فى الآخرة لوزن الاعمال (ان) اى لاجل ان (لا تطغوا) اى تجاوزوا الحدود (فى الميزان) فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال أنه الميزان الذى يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس لا تخونوا من وزنتم له وعنه أنه قال يا معشر الموالى وليتم أمرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اى وضع الميزان وأمركم أن لا تطغوا فيه (فان قيل) اذا كان المراد به ما يوزن به فاى نعمة عظيمة فيه حتى يعد فى الآلاء (أجيب) بان النفوس تابى الغبن ولا يرضى أحد أن يغلبه

الانبياء (قوله ولدان مخلدون) ان قلت كيف قال ذلك مع ان التخليد

غيره

غيره ولو فى الشئ اليسير و يرى ان ذلك استهانة به فلا يترك خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا بين به التساوى ولا تقع به البغضاء بين الناس وهو الميزان وهو كل ما توزن به الاشياء بين الناس و يعرف مقاديرها به من ميزان ومكيال ومقياس فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء اللذين لا يتبين فضلهما الا عند فقدهما (واقيموا الوزن بالقسط) اى افعلوه مستقيما بالعدل وقال أبو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية (ولا تخسروا الميزان) اى لا تنقصوا الموزون أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء او زيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقيل كرره لحال رؤس الآى وقيل كرره ثلاث مرات الاول بمعنى الآلة وهو قوله تعالى ووضع الميزان والثانى بمعنى المصدر اى لا تطغوا فى الوزن والثالث للمفعول اى لا تخسروا الموزون قال ابن عادل و بين القرآن والميزان مناسبة فان القرآن فيه العلم الذى لا يوجد فى غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذى لا يقام بغيره من الآلات ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السماء ذكر على ذلك الوجه مقابلها بعد ان وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيها على شدة العناية والاهتمام به فقال تعالى (والارض) اى ووضع الارض ثم فسر ناصبها كما فعل فى قوله تعالى والسماء رفعها فقال تعالى (وضعها) اى دحاها و بسطها على الماء (للانام) اى كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الونيم وهو الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنوا آدم خاصة وهو مروى عن ابن عباس ونقل النووى فى التهذيب عن الزبيدى الانام الخلق قال و يجوز الانيم وقال الواحدى قال الليث الانام ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس والجن (فيها) اى الارض (فاكهة) اى ما يتفكه به الانسان من ألوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها فهو من باب الترقى من الادنى الى الاعلى اذ التنكير فيها للتعظيم والتكثير نبه عليه بتعريف فرع منها ونوه به لان فيه مع التفكه التقوت وهو اكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الاول فقال تعالى (والنخل) ودل على تمام القدرة بقوله تعالى (ذات) اى صاحبة (الاكمام) اى أوعية ثمرها وهو الطلع قبل أن ينفتق بالثمر والاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهرى والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كمام وأكمة وا كمام والكمامة ما يكم به فم البعير لئلا يعض وكم القميص بالضم والجمع أكمام وكممة والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطى الرأس (والحب) اى جميع الحبوب التى يقتات بها كالحنطة والشعير (ذو العصف) قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذى تعصفه الريح وقال مجاهد ورق الشجر والزرع وقال سعيد ابن جبير بقل الزرع الذى أول ما ينبت منه وهو قول الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف الزرع اذا قطعوا منه قبل أن يدرك وقيل العصف حطام النبات (والريحان) وهو فى الاصل مصدر ثم أطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير كقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيه الله واسترزاقا وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقتادة انه الريحان الذى يشم وهو قول

لا يختص بالولدان فى الجنة (قلت) معناه انهم لا يتحولون عن شكل

قوله الونيم وهو الصوت لم يذكره القاموس اه

ابن زيد وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف المأكول من الزرع والريحان ما لا يؤكل وقال الكلبي العصف الورق الذي يؤكل والريحان هو الحب المأكول وقيل كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لأن الانسان يراح لها رائحة طيبة أي يشم وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت أبتغي ريحان الله وفي الحديث الولد من ريحان الله وقرأ ابن عامر بنصب الحب وذا والريحان بخلق مضمر أي وخلق الحب ذا العصف والريحان وقرأ حمزة والكسائي برفع الحب وذو عطفا على فاكهة وجر الريحان عطفا على العصف والباقون برفع الثلاثة عطفا على فاكهة أي وفيها أيضا هذه الاشياء * ولما أخذ في قوله تعالى والارض وضعها للانام الجن والانس خاطبهما بقوله تعالى (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المحسن اليكما المدبر لكما الذي لا مدبر ولا سيد لكما غيره (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها وكرر هذه الآية في هذه السورة في احدى وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال القائل * كم نعمة كانت لكم كم كم وكم *

وقال آخر

لا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة * اياك من دمه اياك اياك

وقال آخر

لا تقطعن الصديق ما طرفت * عيناك من قول كاشح أشر

ولا تملن يوما زيارته * زره وزره وزر وزر وزر

وقال الحسين بن الفضل التكرير طردا للغفلة وتأكيدا للحجة قال بعض العلماء والتكرير ههنا كما تقدم في قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكقوله تعالى فيما سيأتي ويل يومئذ للمكذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة الى أن التكرير لاختلاف النعم فلذلك كرر التوقيف مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة نيفا وثلاثين مرة اما للتأكيد ولا يعقل لخصوص العدد معنى وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود وأعظم المكروهات نار جهنم ولها سبعة أبواب وأعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فالمجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للانس والجن ثلاثون والزائد لبيان التأكيد وروى جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وقرأ ورش فبأي آلاء على أصله بالمد والتوسط والقصر جميع ما في هذه السورة * ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالى (خلق الانسان) أي آدم عليه السلام

الولدان والمراد بهم هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا

(من صلصال) اى من طين يابس له صلصلة اى صوت اذا نقر (كالفخار) اى كالخزف المصنوع المشوى بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم وأصل اذا أنتن *(تنبيه)* قال تعالى هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى فى الحجر من حمأ مسنون وقال تعالى فى الصافات من طين لازب وقال تعالى فى آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب وكله متفق المعنى وذلك أنه أخذه من تراب الارض فعجنه بالماء فصار طينا ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا ثم منتنا ثم صوره كما يصور الابريق وغيره من الاوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة فصار كالخزف الذى اذا نقر صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب أولا فالمذكور هنا آخر تخليقه وهو أنسب بالرحمانية وفى غيرها تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالارض أمه والماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذى هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله ومن النار غوايته وحدته ومن الهواء حركته وتقلبه فى محامده ومذامه فالغالب فى جبلته التراب فلهذا نسب اليه وان خلق من العناصر الاربع كما أن الجان خلق من العناصر الاربع لكن الغالب فى جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى (وخلق الجان) اى أبا الجن وهو ابليس وقيل هو أبوهم وليس هو بابليس وقيل هو اسم جنس كالانسان (من مارج من نار) وهو اللهب الخالص من الدخان وقال القشيرى هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار أغلب عناصره وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس أنه اللهب الذى يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحمر وأصفر وأخضر وهو مشاهد فى النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد وقال أبو عبيدة والحسن المارج المختلط من النار وأصله من مرج اذا اضطرب واختلط قال القرطبى يروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احداهما بالاخرى فاكلت احداهما الاخرى وهى نار السموم فخلق منها ابليس *(تنبيه)* من مارج من نار من الاولى لابتداء الغاية وفى الثانية وجهان أحدهما أنها للبيان والثانى أنها للتبعيض (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) الناشئة عن مبدئكما ومربيكما وسيدكما (تكذبان) اى بما أفاض عليكما فى أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات (رب) اى خالق ومدبر (المشرقين) اى مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب المغربين) كذلك (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى الذى دبر لكما هذا التدبير العظيم (تكذبان) اى بما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مرج) اى أرسل الرحمن (البحرين) اى العذب والملح فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب حال كونهما (يلتقيان) اى يتماسان على وجه الارض بلا فصل بينهما فى رؤية العين وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد بن جبير يلتقيان فى كل عام وقيل يلتقى طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللؤلؤ وبحر المرجان (بينهما برزخ) اى حاجز عظيم فعلى القول بانهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجز الذى بينهما هو ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال الباقية قال الحسن

سنة وقيل ولدان على سن
واحد انشأهم الله لاهل
الجنة يطوفون عليهم من

وقتادة هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وهذا أولى (لا يبغيان) اختلف فيه فقال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم كما طغيا فاهلكا من على الارض فى أيام نوح عليه السلام فجعل بينهما وبين الناس اليبس وقال مجاهد وقتادة أيضا لا يبغى أحدهما على صاحبه فيغلبه وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة اى بينهما مدة قدرها الله تعالى وهى مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا أذن الله تعالى فى انقضاء الدنيا صار البحران شيأ واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذى بينهما التوفيق والعصمة وقال الرازى معنى الآية ان الله تعالى أرسل بعض البحرين الى بعض ومن شأنهما الاختلاط فحجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يبغيان اى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه لا فى الظاهر ولا فى الباطن فمتى حفرت على جنب الملح فى بعض الاماكن وجدت الماء العذب وان قربت الحفرة منه قال البقاعى بل كلما قربت كان أحلى فخالطهما سبحانه فى رأى العين وحجز بينهما فى غيب القدرة هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغى بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى الموجد لكما والمربى (تكذبان) أبتلك النعم ام بغيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ) وهو كبار الجوهر (والمرجان) وهو صغار الجوهر قاله على وابن عباس والضحاك وقيل بالعكس وقيل المرجان حجر أحمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان أعجمى اى بمخالطة العذب المالح من غير واسطة أو بواسطة السحاب فصار ذلك كالذكر والانثى وقال الرازى فيكون العذب كاللقاح للملح وقال أبو حيان قال الجمهور انما يخرج من الاجاج فى المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة فاسند ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين قال مكى كما قال على رجل من القريتين عظيم اى من احدى القريتين وحذف المضاف كثير شائع وقيل هو كقوله تعالى نسيا حوتهما وانما الناسى فتاه و يعزى لابى عبيدة قال البغوى وهذا جائز فى كلام العرب ان يذكر شيآن ثم يخص أحدهما بفعل كقوله تعالى يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر وقد شاهده الناس فيكون تولده من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول الطبرى وقال الزمخشرى فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب اه وقال بعضهم كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز أنه يسوقهما من البحر العذب الى الملح واتفق أنهم لم يخرجوهما الا من الملح واذا كان فى البر أشياء تخفى على التجار المترددين القاطعين المفاوز فكيف بما فى قعر البحر قال ابن عادل والجواب عن

غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وقيل أطفال المشركين وهم خدم أهل

هذا ان الله تعالى لا يخاطب الناس ولا يمتن عليهم الا بما يألفون ويشاهدون وقرأ نافع وأبو عمرو يخرج بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول والباقون بفتح الياء وضم الراء مبنيا للفاعل على المجاز وقرأ السوسي وشعبة بابدال الهمزة الساكنة واوا وصلا ووقفا واذا وقف حمزة أبدل الاولى والثانية (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى الملك الاعظم المالك لكما (تكذبان) أبكثرة النعم من خلق المنافع فى البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلى العجيبة أم بغيرها (وله) اى لا لغيره (الجوارى) اى السفن الكبار والصغار الفارغة والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيأ من ذلك اليها وقرأ (المنشآت) حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ الموج بجريها او تنشئ السير اقبالا وادبارا أو التى رفعت شراعها أى قلوعها والشراع القلع وعن مجاهد كل مارفعت قلعها فهى من المنشآت والا فليست منها ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال أنشأت السحابة المطر وقرأ الباقون بفتح الشين وهو اسم مفعول أى انشأها الله تعالى أو الناس أو رفعوا شراعها *(تنبيه)* الجوارى جمع جارية وهى اسم أو صفة للسفينة وخصها بالذكر لان جريها فى البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله وحده وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة فى الساحل كما سماها فى موضع آخر بالجارية كما قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وسماها بالفلك قبل أن لم تكن كذلك فقال تعالى لنوح عليه السلام واصنع الفلك بأعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال تعالى فأنجيناه وأصحاب السفينة قال الرازى فالفلك أولا ثم السفينة ثم الجارية اه والمرأة المملوكة تسمى أيضا جارية لان شأنها الجرى والسعى فى حوائج سيدها بخلاف الزوجة فهى من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد كأنها تسفن الماء وفعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى مسفونة وقوله تعالى (فى البحر) متعلق بالمنشآت وقوله تعالى (كالاعلام) حال اما من الضمير المستكن فى المنشآت واما من الجوارى وكلاهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل علما على الارض قال القائل

* اذا قطعنا علما بدا لنا علم * وقال آخر

ربما أوفيت فى علم * ترفعن ثوبى شمالات

وقالت الخنساء فى أخيها صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

أى جبل فالسفن فى البحر كالجبال فى البر وجمع الجوارى ووحد البحر وجمع الاعلام اشارة الى عظمة البحر (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) العظمى التى عمت خلقه (تكذبان) أبتلك النعم من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر وأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره أم غيرها وقوله تعالى (كل من عليها فان) اى هالك غلب فيه من يعقل على غيره وجميعهم مراد والضمير فى عليها الارض قال بعضهم وان لم يجر لها ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ورد هذا بانه قد تقدم ذكرها فى قوله تعالى والارض

الجنة (قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون) اى فهلا تصدقون بانا خلقناكم

وضعها وقيل الضمير عائد الى الجوارى قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الارض فنزل كل شئ هالك الا وجهه فايقنت الملائكة بالهلاك (فان قيل) الكلام فى تعدد النعم فاين النعمة فى فناء الخلق (أجيب) بانها التسوية بينهم فى الموت والموت سبب للنقل الى دار الجزاء والثواب (ويبقى) اى بعد فناء الكل بقاء مستمرا الى ما لا نهاية له (وجه ربك) اى ذاته فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس الوجه عبارة عنه (فان قيل) كيف خاطب الاثنين بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه ربكما (أجيب) بان الاشارة ههنا وقعت الى كل أحد فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع ليعلم كل أحد ان غيره فان ٣ فلو قال ويبقى وجه ربكما لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه المخاطب عن الفناء (فان قيل) فلو قال ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان أدل على فناء الكل (أجيب) بان كاف الخطاب فى الرب اشارة الى اللطف والابقاء اشارة الى القهر والموضع موضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب * ولما ذكر تعالى مباينته للمخلوقات وصف نفسه بالاحاطة الكاملة فقال تعالى (ذو الجلال) اى العظمة التى لا ترام وهو صفة ذاته التى تقتضى اجلاله عن كل ما لا يليق به (والاكرام) اى الاحسان العام وهو صفة فعله مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى المربى لكما على هذا الوجه الذى ما له الى العدم الى أجل مسمى (تكذبان) أبتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعيم المقيم أم بغيرها وقوله تعالى (يسأله من فى السموات) اى كلها كلهم (والارض) كذلك مستأنف وقيل حال من وجه والعامل فيه يبقى أى يبقى مسؤلا من أهل السموات والارض بلسان الحال أو المقال أو بهما قال ابن عباس وأبو صالح أهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسئلونه الرزق وأهل الارض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج يسأله الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من أهل السماء وأهل الارض لاهل الارض كما فى الحديث قال القرطبى وفى الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله تعالى الرزق للطير وقال ابن عطاء انهم يسألونه القوة على العبادة وقوله تعالى (كل يوم) منصوب بالاستقرار الذى تضمنه الخبر وهو قوله تعالى (هو فى شان) والشان الامر روى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو فى شان قال من شانه أن يغفر ذنبا ويفرج كربة ويرفع أقواما ويضع آخرين وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا وقال أكثر المفسرين من شانه أنه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى قوما ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء وروى البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور

وكلامه

٣ قوله فلو قال الخ يتأمل اه مصححه

(ان قلت) كيف قال ذلك مع انهم مصدقون بذلك بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم

وكل ساعة نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان وقال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله تعالى يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشانه فيه اى في كل يوم من أيامها الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والثاني يوم القيامة وشانه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقال بعض المفسرين شانه تعالى أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى وقيل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ وسال بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يتفكر فيها فقال له غلام أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله تعالى يسهل لك على يدي فاخبره فقال أنا أفسرها للملك فاعلمه فقال أيها الملك شان الله تعالى أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم صحيحا ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشف لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وصح أن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف قال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم تشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فمعناه انه ليس له الا ما سعى عدلا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله تعالى كل يوم هو في شان فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله فقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) المدبر لكما هذا التدبير العظيم (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم) أي سنقصد لحسابكم وجزائكم وقرأ حمزة والكسائي بعد السين بالياء التحتية والباقون بالنون (أيه الثقلان) اى الانس والجن وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل أفرغ فراغا وفروغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودي في كذا أي بذلت وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن يريد تهديده اذا أتفرغ لك أي اقصدك وأنشد ابن الانباري لجرير

الان وقد فرغت الى نمير ● فهذا حين كنت لهم عذابا

يريد وقد قصدت وأنشد الزجاج والنحاس ● فرغت الى العبد المقيد في الحجل ● وفي حديث

ليقولن الله من خلقهم (قلت) هم وان صدقوا لكن لما كان بالسنتهم

النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا أهل الجباجب هذا مذمم والصباة قد اجتمعوا على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة أما والله يا عدو الله لاتفرغن لك اى أقصد الى ابطال أمرك وهذا اختيار الكسائى وغيره قال ابن الاثير الازب فى اللغة الكثير الشعر وهو ههنا شيطان اسمه أزب العقبة وهو الحية وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى وأوعد على الفجور ثم قال تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان أى ما وعدنا كم ونوصل كلا الى ما وعدناه أقسم ذلك وأتفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد *(تنبيه)* رسم أيه بغير ألف فاذا وقف عليها وقف أبو عمرو والكسائى أيها بالالف ووقف الباقون على الرسم أيه وفى الوصل قرأ ابن عامر أيه برفع الهاء والباقون بنصبها *(فائدة)* سمى الانس والجن بالثقلين لعظم شأنهما بالاضافة الى ما فى الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهما ثقلا الارض أحياء وأمواتا قال الله تعالى وأخرجت الارض أثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اى وزنه وقال بعض أهل المعانى كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصائده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمى الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالقمرين والعمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ثقلين كتاب الله عز وجل وعترتى (فبأى آلاء) اى نعم (ربكما) اى المحسن اليكما بهذا الصنيع المحكم (تكذبان) اى أبتلك النعم من اثابة أهل طاعته وعقوبة أهل معصيته أم بغيرها (يا معشر الجن) اى يا جماعة نيهم الاهلية والعشرة والتصادق (والانس) اى الخواص والمستأنسين والمأنوسين المبنى أمرهم على الاقامة والاجتماع (ان استطعتم) اى وجدت لكم اطاعة اليكون فى (أن تنفذوا) اى تسلكوا باجسامكم وتمضوا من غير مانع يمنعكم (من أقطار) اى نواحى (السموات والارض) هاربين من الله تعالى من أنواع الجزاء بينكم أو عصيانا عليه فى قبول أحكامه وجرى مراداته وأقضيته عليكم من الموت وغيره وقوله تعالى (فانفذوا) أمر تعجيز والمعنى ان استطعتم أن تجوزوا نواحى السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لايقدر عليكم فجوزوا ويعنى لامهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله تعالى أينما توليتم فثم ملك الله عز وجل (فان قيل) ما الحكمة فى تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن فى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (أجيب) بان النفوذ من أقطار السموات والارض بالجن أليق ان أمكن والاتيان بمثل القرآن بالانس أليق ان أمكن فقدم فى كل موضع ما يليق به (فان قيل) لم جمع فى قوله تعالى سنفرغ لكم وفى قوله تعالى ان استطعتم وثنى فى قوله أيه الثقلان (أجيب) بانهما فريقان فى حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا فى ربهم (لاتنفذون) أى لاتقدرون على النفوذ (الا بسلطان) أى الا بقوة وقهر وأنى لكم ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال معناه ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان اى ببينة من الله تعالى *(تنبيه)* فى هذه الآيات والتى فى الاحقاف وفى قل أوحى دليل على أن الجن

مكلفون

فهم بهم خلاف ما يقتضيه التصديق كانوا كأنهم مكذبون به أو ان ذلك

مكلفون مخاطبون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) المحسن اليكما لمربى لكما بما تعرفون به قدرته على ما يريد (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها وقال البغوى وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما) أى أيها المعاندون قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حين يخرجون من القبور يسوقهم الى المحشر (شواظ من نار) قال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو اللهب الخالص الذى لا دخان له وقال الضحاك هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس كدخان الحطب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقيل هو اللهب الاحمر وقال عمرو هو النار والدخان جميعا وحكاه الاخفش عن بعض العرب قال حسان

هجوتك فاختضعت لها بذل * بقافية تأجج كالشواظ

وقرأ ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر واختلف فى قوله سبحانه وتعالى (ونحاس) فقيل هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويعذبهم به وقيل هو الدخان الذى لا لهب معه قاله الخليل وهو معروف فى كلام العرب وأنشد الاعشى

تضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال ابن برجان والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها وأجمع القراء على ضمها اه وقال الضحاك هو دردى الزيت المغلى وقال الكسائى التى لها ريح شديد (فلا تنتصران) أى فلا تمتنعان ولا ينصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى المدبر لكما هذا التدبير المتقن (تكذبان) أبتلك النعم فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار فى عداد الآلاء أم بغيرها (فاذا انشقت السماء) أى انفرجت فكانت أبوابا لنزول الملائكة (فكانت وردة) أى محمرة مثل الوردة (كالدهان) أى كالاديم الاحمر على خلاف العهد بها لشدة حر نار جهنم وقال مجاهد والضحاك وغيرهما الدهان الدهن والمعنى صارت فى صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعنى تصير فى حمرة الورد وجريان الدهن أى تذوب مع جريان الدهن حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقال الحسن كصب الدهن فانك اذا صببته ترى فيه ألوانا وجواب اذا فما أعظم الهول (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى الخالق والرازق لكما (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما يكون بعد ذلك (فيومئذ) أى فتسبب عن يوم اذ انشقت السماء أنه (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) أى سؤال تعرف واستعلام بل سؤال تقريع وتوبيخ وملام وذلك أنه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على ان ذلك اليوم طويل وهو ذو ألوان تارة يسئل فيه وتارة لا يسئل والامر فى غاية الشدة وكل لون من تلك الالوان يسمى يوما فيسئل فى بعض ولا يسئل فى بعض وقيل المعنى لا يسئلون اذا استقروا فى النار وقال

تمضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الاول فكأنه

الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن ومجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم دليله قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ورواه مجاهد عنه أيضا في قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتموها سؤال توبيخ وقال أبو العالية لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة يسئلون قبل الختم على أفواههم ثم يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم شاهدة عليهم ✱(تنبيه)✱ الجان هنا وفيما يأتي بمعنى الجني والانس بمعنى الانسي (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي الذي ربى كلا منكم بما لا مطمع في انكاره ولا خفاء فيه (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما أنعم الله تعالى على عباده المؤمنين في هذا اليوم (يعرف) أي لكل أحد (المجرمون) أي العريقون في هذا الوصف (بسيماهم) أي العلامات التي صور الله تعالى ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الآن الليل اذا جاء لا يخفى على أحد أصلا وكذا النهار ونحوهما الفجر الأعمى قال البقاعي وتلك السيمى والله أعلم زرقة العيون وسواد الوجوه والعمى والصمم والمشي على الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتبعها والغرة والتحجيل ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله تعالى مشيرا بالبناء للمفعول الى سهولة الأخذ من أي آخذ كان (فيؤخذ بالنواصي) أي منهم وهي مقدمات الرؤس (والاقدام) بعد أن يجمع بينها فيسحبون بها سحبا من كل ساحب أقامه الله تعالى لذلك لا يقدرون على الامتناع بوجه فيلقون في النار وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وفعل بالكافر ذلك ليكون أشد لعذابه وقيل تسحبه الملائكة الى النار تارة تأخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تأخذ بقدميه وتسحبه على وجهه (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المنعم عليكما الذي دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما وعد أن يفعل من الجزاء في الآخرة لكل شخص بما كان يعمل في الدنيا وغير ذلك من الفضل (هذه جهنم) أي يقال لهم اذا القوا فيها هذه جهنم (التي يكذب) أي ماضيا وحالا وما لا لا استهانة ولو ردوا الى الدنيا بعدا خالهم اياها لعادوا لما نهوا عنه (بها المجرمون) أي المشركون المحققون بالاجرام وهو قطع ما من حقه أن يوصل وهو ما أمر الله تعالى به وخص هذا الاسم اشارة الى انها تلقاهم بالتجهم والعبوسة والكلاحة والفظاعة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام المذكور (يطوفون بينها) أي بين دركات النار (وبين حميم آن) أي حار متناه في الحرارة وهو منقوص كقاض يقال أنى يأنى فهو آن كقضى يقضي فهو قاض والمعنى أنهم يسعون بين الحميم والجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار كالمهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب الأحبار واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى

قال هو خلقكم أولا باعترافكم فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانيا فهلا

يطوفون

يطوفون بينها وبين حميم آن (فان قيل) هذه الاهوال ليست نعمة فكيف قال عز وجل (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى المحسن أيها الثقلان اليكما (تكذبان) (أجيب) من وجهين أحدهما أن ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب المجرمين فيه زجر عن المعاصى وترغيب فى الطاعات وهذا من أعظم النعم روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى على شاب يقرأ فى الليل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول ويحى من يوم تنشق فيه السماء ويحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها فو الذى نفسى بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك الثانى أن المعنى ان كذبتم بالنعمة المتقدمة استحقيتم هذه العقوبات وهى دالة على الايمان بالغيب وهو من أعظم النعم * ولما عرف ما للمجرم المجترئ على العظائم وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سابعا اشارة الى أبواب النار السبع عطف عليه ما للخائف الذى اداه خوفه الى الطاعة وجعله ثامنا على عدد أبواب الجنة الثمانية فقال تعالى (ولمن خاف) أى من الثقلين ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى قلة الخائفين (مقام ربه) أى قيامه بين يدى ربه للحساب بترك المعصية والشهوة قال القرطبى ويجوز أن يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل فى قوله تعالى فاذا جاء أجلهم وقوله تعالى فى موضع آخر ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال مجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته عز وجل (جنتان) أى لكل خائف جنتان على حدة قال مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد ابن على الترمذى جنة بخوف ربه وجنة بترك شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض وقيل جنتان لجميع الخائفين وقيل جنة لخائف الانس واخرى لخائف الجن فيكون من باب التوزيع وقيل مقام مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين يريد ونفيت عنه الذئب قال ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين جنته التى خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل أزواجه كما يفعل رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى أعاليها وقال الفراء انها جنة واحدة وانما ثنى مراعاة لرؤس الآى وانكر القتيبى هذا وقال لا يجوز أن يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر مراعاة لرؤس الآى وقيل جنة واحدة وانما ثنى تأكيدا كقوله تعالى ألقيا فى جهنم وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله تعالى الجنة أخرجه الترمذى قوله أدلج الادلاج مخففا السير أول الليل ومثقلا السير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار فى أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل روى البغوى بسنده عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان قلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولمن خاف مقام ربه جنتان

تصدقون بذلك (قوله أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم الماء الذى

قالت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله قال وان زنى وان سرق على رغم انف أبي الدرداء
* (فائدة) * قال القرطبي في هذه الآية دليل على أن من قال لزوجته أن لم أكن من أهل
الجنة فأنت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه وقاله
سفيان الثوري وأفتى به هذا ومذهب الشافعي أنه لا يحنث اذا كان مسلما ومات على الاسلام
وقال عطاء نزلت هذه الآية في أبي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت والنار حين
أبرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظمأ فأعجبه فسأل عنه فأخبر عنه أنه من غير
حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد أنزلت فيك آية
وتلا عليه الآية (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) المربي لكما باحسانه الكبار التي لا يقدر أحد على
شيء منها (تكذبان) أبتلك النعمة أم بغيرها من نعمه التي لا تحصى ثم وصف الجنتين بقوله
تعالى (ذواتا) أي صاحبتا أو خبر لمبتدأ محذوف أي هما ذواتا وفي تثنية ذات لغتان الرد الى
الاصل فان أصلها ذوية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة ذو والثانية التثنية على اللفظ
فيقال ذاتا وقوله تعالى (أفنان) فيه وجهان أحدهما أنه جمع فنن كطلل وهو الغصن
المستقيم طولا لانه يكون به الزينة بالورق والثمر وكمال الانتفاع قال النابغة الذبياني

بكاء حمامة تدعو هديلا * مفجعة على فنن تغني

وفي الحديث أهل الجنة مرد مكحولون أولو افانين يريد الافانين وهو جمع أفنان وأفنان جمع فنن
من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقال قتادة ذواتا أفنان أي ذواتا سعة وفضل على
سواهما والوجه الثاني أنه جمع فن واليه أشار ابن عباس والمعنى ذواتا أنواع وأشكال وقال
الضحاك ألوان من الفاكهة واحدها فن الا ان الكثير في فن أن يجمع على فنون وقال عطاء
كل غصن فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالى (فبأي آلاء) اي نعم (ربكما) أي المحسن
لكما والمدبر لكما (تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل لكم من أمثاله
ما تعتبرون به أم بغيرها ولما كانت الجنان لا تقوم الا بالانهار قال تعالى (فيهما عينان تجريان)
أي في كل واحدة منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء الزيادة والكرامة من
الله تعالى على أهل الجنة وعن ابن عباس أيضا والحسن تجريان بالماء الزلال احدى
العينين التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء غير آسن والاخرى من
خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان
لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فتجريان في أي مكان شاء صاحبهما
وان علا مكانه كما تصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها (فبأي آلاء) أي نعم
(ربكما) أي المالك لكما والمحسن اليكما (تكذبان) أبتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا
أمثالا كثيرة أم بغيرها (فيهما) أي الجنتين (من كل فاكهة) أي تعلمونها أو لا تعلمونها
(زوجان) أي صنفان ونوعان قيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا
ويابسا وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا أنه
حلو (فان قيل) قوله تعالى ذواتا أفنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة زوجان
كلها أوصاف للجنتين فما الحكمة في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان

تشربون أفرأيتم النار التي تورون) بدأ بذكر خلق الانسان ثم بما لا غنى له

مع أنه تعالى لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران مع أن ارسال الشواظ غير ارسال النحاس (أجيب) بانه تعالى جمع العذاب جملة وفصل آيات الثواب ترجيحاً لجانب الرحمة على جانب العذاب وتطييباً للقلب وتهييجاً للسامع فان اعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام في اللذات مستحسن (فان قيل) فما وجه توسط آية العينين بين ذكر الافنان وآية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان فالمناسبة ان لا يفصل بين آية الاغصان والفاكهة (أجيب) بان ذلك على عادة المتنعمين اذا خرجوا متفرجين في البستان فاول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعاً (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) التي ادخرها الوجود لكما المحسن اليكما (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما فوضه اليكم من سائر النعم التي لا تحصى * ولما كان التفكه لا يكمل حسنه الا مع التنعم من طيب الفرش وغيره قال تعالى مخبراً عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم (متكئين) أي لهم ما ذكر حال الاتكاء والعامل في الحال محذوف أي يتنعمون متكئين (على فرش) وعظمها بقوله تعالى مخاطباً للمكلفين بما يحتمل عقولهم والا فليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شئ من الدنيا (بطائنها من استبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة اذا كانت البطائن التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطائنها لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالى ونظير ذلك في الجنة قوله تعالى عرضها السموات والارض وأما الطول فلا يعلمه الا الله عز وجل لكن قال القرطبي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور يتلألأ وقيل الظهائر من السندس وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهر افيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض فقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوماً كالحائط بينك وبين قوم وعلى أديم السماء وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر *(تنبيه)* قال الرازي الاستبرق معرب وهو الديباج الثخين أي وهذا ومثله لا يخرج القرآن عن كونه عربياً لان العربي ما نطقت به العرب وضعاً واستعمالاً من لغة غيرها وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز بخلاف ما لم يستعملوه من كلام العجم لصعوبته عليهم وذكر الاتكاء لانه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض والمهموم (وجنى الجنتين) أي ثمرهما (دان) أي قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله تعالى ان شاء قائماً وان شاء قاعداً وان شاء مضطجعاً وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك قال الرازي جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها أن الثمرة على رؤس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الآخرة هي تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها أن الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد (فبأي آلاء) أي

عنه وهو الحب الذي منه
قوته ثم بالماء الذي به سبوغه
وعجنه ثم بالنار التي بها نضجه

نعم (ربكما) أي المربي لكما الذي يقدر على كل ما يريده (تكذبان) أمن قدرته على عطف
الاغصان وتقريب الثمار أم من غيرها ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالانس والاحسان قال
تعالى (فيهن) أي الجنان التي علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها جنتين فصح الجمع
وقال الزمخشري فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى
أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس اهـ قال أبو حيان وفيه أي الاول بعد
لان الاستعمال أن يقال على الفراش كذا ولا يقال في الفراش كذا الا بتكلف ولذلك جمع
الزمخشري مع الفرش غيرها حتى صح له أن يقول ذلك وقيل يعود على الجنتين لان أقل الجمع
اثنان وقال الفراء كل موضع في الجنة جنة فلذلك صح أن يقال فيهن (قاصرات الطرف) أي
الاعين على أزواجهن المتكئين من الانس والجن قال الرازي وقوله قاصرات الطرف أي
نساء أو أزواج فحذف الموصوف لنكتة وهي أنه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء بل
بالصفات فقال تعالى حور عين كواعب أترابا قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل
نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجههن اما على عادة العظماء كبنات الملوك انما يذكرن باوصافهن
واما لانهن لما كملن كانهن خرجن عن جنسهن وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن
وعلى حسن المؤمنين في أعينهن فيحببن أزواجهن حبا شديدا يشغلهن عن النظر الى غيرهم قال
ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي
وجعلني زوجك ويدل أيضا على الحياء لان الطرف حركة الجفن والحيية لا تحرك جفنها ولا ترفع
رأسها (تنبيه) انظر الى حسن هذا الترتيب فانه تعالى بين اولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتنزه
به وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر المأكول فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع
الراحة بعد الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون في الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشئ
من أعظم اللذات لاسيما المرأة قال تعالى (لم يطمثهن) أي لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال
طمثت المرأة كضرب وفرح حاضت وطمثها الرجل افتضها وأيضا جامعها (انس قبلهم) أي
المتكئين (ولا جان) فكأنه قال هن أبكار لم يخالطهن أحد فان هذا جمع كل من يمكن منه جماع
وفي ذلك دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الانسي ويدخل الجنة ويكون لهم فيها جنسان قال
ضمرة للمؤمنين منهم أزواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لانهن
خلقن في الجنة فعلى قوله يكن من حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ
أنشئن خلق وهو قول الكلبي أي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه انس ولا جان وأما
في الدنيا فقال مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم ينطوي الجني على احليله فيجامع معه وقال
القرطبي لم يطمثهن لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد وهذا شامل لنساء الجنة ولنساء الدنيا
بعد انشائهن خلقا جديدا وقرأ الكسائي يطمثهن بضم الميم في الموضعين بخلاف عنه وتخيرا
في أحدهما وهما لغتان يقال طمثها يطمثها ويطمثها اذا جامعها (فبأي آلاء) أي نعم
(ربكما) المدبر مصالحكما (تكذبان) أي بأي نوع من انواع هذا الاحسان ام غيره (كأنهن
الياقوت) أي صفاء (والمرجان) أي اللؤلؤ بياضا والياقوت جوهر نفيس يقال ان النار
لا تؤثر فيه والمرجان صغار اللؤلؤ وأشد بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة

وصلاحه وذكر عقب كل من الثلاثة الاولى ما يفسده فقال في الاولى فيهن قاصرات

الياقوت

الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة قال ابن الخازن والاصح انه شبههن بالياقوت لصفائه فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة أي بخور رهم العود ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) أي المالك المالك المربي بدائع التربية (تكذبان) أبما جعله مثالا لما ذكر من وصفهن أم بغيره (هل جزاء الاحسان) اي بالطاعة من الانس والجن وغيرهما (الا الاحسان) أي بالثواب وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة وعن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) الكريم الرحيم الجامع لاوصاف الكمال (تكذبان) أبشئ من هذه النعم الجزيلة أم بغيرها (ومن دونهما) أي من أدنى مكانا ورتبة تحت جنتي هؤلاء المحسنين المقربين (جنتان) أي لكل واحد من دون هؤلاء المحسنين من الخائفين وهم أصحاب اليمين وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الكسائي ومن دونهما أي أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت وعلى هذا فهما أفضل من الاوليين والى هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش وقال مقاتل الجنتان الاوليان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى (فبأي آلاء) اي نعم (ربكما) اي المحسن بنعمه لجميع خلقه (تكذبان) أبشئ مما تفضل به عليكم أم بغيره ثم وصف تلك الجنتين بقوله تعالى (مدهامتان) قال ابن عباس رضي الله عنهما خضراوان وقال مجاهد سوداوان لان الخضرة اذا اشتدت تضرب الى السواد وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره وزرعه والارض اذا اخضرت غاية الخضرة تضرب الى سواد قال الرازي

بعد قوله كم الموت وفي الثانية لو نشاء لجعلناه حطاما وفي الثالثة لو نشاء جعلناه

والتحقيق فيه ان ابتداء الالوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فان الابيض يقبل كل
لون والاسود لا يقبل شيأ من الالوان (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى المحسن اليكما بالرزق
وغيره (تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها ثم وصف تلك الجنتين أيضا بقوله تعالى (فيهما)
أى فى جنتى كل شخص منهم (عينان نضاختان) قال ابن عباس أى فوارتان بالماء والنضخ
بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة لان النضح بالمهملة الرشح والرش وبالمعجمة فوران
الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود تنضخ على أولياء الله تعالى
بالمسك والكافور والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع
الفواكه والماء (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) المربى البالغ الحكمة فى التربية (تكذبان) أبتلك
النعمة أم بغيرها ثم وصف الجنتين أيضا بقوله تعالى (فيهما فاكهة) وخص أشرفها وأكثرها
وجدانا فى الخريف والشتاء كما فى جنان الدنيا التى جعلت مثالا لهاتين بقوله تعالى (ونخل
ورمان) فان كلا منهما فاكهة وادام فلهذا خصا بشرفهما وتنبيها على ما فيهما من التفكه
وأولهما أعم نفعا وأعجب خلقا ولذا قدمه فعطفهما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد
العام تفضيلا له كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على
الصلوات والصلاة الوسطى وقال بعض العلماء ليس ذلك من الفاكهة ولهذا قال أبو حنيفة
اذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وقال القرطبى
وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل
عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم
من ألوان الثمار التى يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما
عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من أرض اليمن فاخرجهما من الذكر من الفواكه
وأفرد الفواكه على حدتها وقيل أفردا بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة
ودواء فلم يخلصا للتفكه قال البغوى وعن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر
وورقها ذهب احمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال
والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى أن الرمانة
من رمان الجنة مثل جلد البعير المقتب وقيل ان نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت
عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) المحسن الى الثقلين
بجليل التربية (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما أحسن به اليكم (فيهن) أى الجنان
الاربع أو الجنتين وقصورهما (خيرات حسان) أى نساء الواحدة خيرة على معنى ذوات
خير وقيل خيرات بمعنى خيرات فخفف كهين ولين روى الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أخبرنى عن قوله تعالى خيرات حسان قال خيرات
الاخلاق حسان الوجوه وقال أبو صالح لانهن عذارى ابكار وقال الحكيم الترمذى فالخيرة
ما اختارهن الله تعالى فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله تعالى لا يشبه اختيار الآدميين
فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيأ بالحسن فانظر ما هناك
وقال الرازى فى باطنهن الخير وفى ظاهرهن الحسن (فبأى آلاء) أى نعم (ربكما) أى الكامل

احتاجوا ولم يقل فى الرابعة ما يفيدها بل قال نحن جعلناها تذكرة يعقلون

الاحسان اليكما (تكذبان) أبنعمة ما جعل لكم من انواع الفوا كه أم غيرها ثم زاد في
وصفهن بقوله تعالى (حور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياضها
(مقصورات) والمقصورات المحبوسات المستورات (في الخيام) وهي الحجال فلسن بالطوافات
في الطرق قاله ابن عباس والنساء تمدح بملازمتهن البيوت كما قال قيس بن الاسلت

وتكسل عن جيرانها فيزرنها * وتعتل من اتيانهن فتعذر

ويقال امرأة مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة

وأنت التي حببت كل قصيرة * الى ولم يعلم بذاك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

والخيام جمع خيمة وهي أربعة أعواد تنصب وتسقف بشيء من نبات الارض وجمعها خيم كتمرة
وتمر وتجمع الخيم على خيام فهو جمع الجمع وأما ما يتخذ من شعر أو وبر أو نحوه فيقال له خباء وقد
يطلق عليه خيمة تجوزا وقال عمر الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس قال وهي فرسخ في فرسخ لها
أربعة آلاف مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون
ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال أبو عبد الله
الحكيم الترمذي قال بلغنا أن سحابة أمطرت من العرش فخلقن أي الحور العين من قطرات
الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى
اذا دخل ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من
الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصرها الله عن أبصار المخلوقين وقال مجاهد
معناه قصرن اطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بدلا وقال صلى الله عليه وسلم لو
أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على أهل الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما
ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها (فائدة) اختلفوا أيما أكثر حسنا وأتم جمالا
الحور أم الآدميات فقيل الحور لما ذكر في وصفهن في القرآن والسنة ولقوله صلى الله عليه
وسلم في دعائه في صلاة الجنازة وأبدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الآدميات أفضل من الحور
العين بسبعين ألف ضعف وروي ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورات في القرآن هن
المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن
البصري قال ابن عادل والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا انما هن مخلوقات
في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات
اهـ لكن مر أنه لم يطمثهن بعد انشائهن خلقا آخر وعلى هذا لا دليل في ذلك (فبأي آلاء) أي نعم
(ربكما) الذي صوركم فأحسن صوركم (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان) كحور الجنتين الاوليين وضميرهم في قبلهم لاصحاب الجنتين (فبأي آلاء) أي نعم
(ربكما) الذي جعل لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
(تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (متكئين) أي انهم ماذكر حالة الاتكاء والعامل في الحال
محذوف أي ينعمون متكئين (على رفرف) أي ثياب ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج
لينة ووسائد عظيمة ورياض باهرة وبسط لها أطراف فاضلة وهو جمع رفرفة لان الله تعالى

بها ومتاعا لهم. قوين أي
للمسافرين يتمتعون بها
(قوله لونشاء لجعلناه

وصفه بالجمع بقوله تعالى (خضر) ووصفه بذلك لان الخضرة أحسن الالوان وأبهجها وقال الجوهري هو ثياب خضر تتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطائر أي ارتفع في الهواء ورفرف بجناحيه اذا نشرهما للطيران وقيل الرفرف طرف الفسطاط والخباء الواقع على الارض دون الاطناب والاوتاد وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة أي رفع طرف الفسطاط وقال الحكيم الترمذي في نوادر الاصول الرفرف أعظم خطرا من الفرش فذكر في الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شئ اذا استوى عليه الولي رفرف به أي طار به حيثما يريد كالمرجاح وروي في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر أنه قال طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي أي في محل تنزلات رحمة ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى أداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور من الدنو والقرب كما أن البراق دابة تركبها الانبياء عليهم السلام مخصوصة بذلك وهذا الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين الدانيتين هو متكؤهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث يشاء الى خيام أزواجه وقوله تعالى (وعبقري) منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري الكامل من كل شئ وقال الخليل هو كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسي وبختي اه والمراد به الجنس ولذلك قال تعالى (حسان) حملا على المعنى أي هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف (فبأي آلاء) أي نعم (ربكما) المحسن الواحد الذي لا محسن غيره ولا احسان الا منه (تكذبان) أبشئ من هذه النعم ام بغيرها * ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على احاطة مبدعها باوصاف الكمال وختم نعم الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقي هو الله تعالى وأن الدنيا فانية ختم نعيم الآخرة بقوله عز من قائل (تبارك) قال ابن برجان تفاعل من البركة ولا يكاد يذكره جل ذكره الا عند أمر معجب اه ومعناه ثبت ثباتا لا يسع العقول وصفه * ولما كان تعظيم الاسم أبلغ في تعظيم المسمى قال تعالى (اسم ربك) أي المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذي جبلك على متابعته فصرت مظهر اله وصار خلقك فصار احسانه اليك فوق الوصف وقيل لفظ اسم زائد وجرى عليه الجلال المحلي والاول اولى (ذي الجلال) أي العظمة الباهرة (والاكرام) قال القرطبي كأنه يريد به الاسم الذي افتتح به السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وانه تعالى كل يوم هو في شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة وأهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في آخر السورة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام أي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كأنه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم

مطلب ما ذكر في جواب لو في الزرع اللام عملا بالاصل وحذفها منه في الماء

وخلقت

وخلقت لكم السماء والارض والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه فقال تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام أي جليل في ذاته كريم في أفعاله وقرأ ابن عامر بالواو وفعاصفة للاسم والباقون بالياء خفضا صفة لرب فانه هو الموصوف بذلك روى الثعلبي عن علي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه حديث موضوع

سورة الواقعة مكيه

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا أربع آيات منها آيتان أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون نزلتا في سفره الى مكة وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين نزلتا في سفره الى المدينة وقدمنا أن في المدني والمكي اصطلاحين وان المشهور ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها وهي ست وتسعون آية قال الجلال المحلي وهي ست اوسبع اوتسع وتسعون آية اهـ وثلثمائة وثمان وتسعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف

(بسم الله) الذي له الكمال كله فتفاوت بين الناس في الاحوال (الرحمن) الذي عم بنعمة البيان وفاضل في قبولها بين أهل الادبار واهل الاقبال (الرحيم) الذي قرب أهل حزبه ففازوا بمحاسن الاقوال والافعال * ولما قسم سبحانه الناس في تلك السورة الى ثلاثة اصناف مجرمين وسابقين ولاحقين شرح احوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر فيه ما كرامه وانتقامه بقوله تعالى (اذا وقعت الواقعة) اى التي لابد من وقوعها ولا واقع يستحق ان يسمى الواقعة بلام الكمال وتاء المبالغة غيرها وهي النفخة الثانية التي يكون عنها البعث الاكبر الذي هو القيامة الجامعة لجميع الخلق فسميت واقعة لتحقق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت وقال الجرجاني اذا صلة كقوله تعالى اقتربت الساعة واتى امر الله وهو كما يقال جاء الصوم اى دنا وقرب وقوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية أي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي أو صفة والموصوف محذوف أي ليس لوقعتها حال كاذبة أي كل من يخبر عن وقعتها صادق أو نفس كاذبة بان تنفيها كما نفتها في الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة أي لا يردها شيء وقيل ان قيامها جد لاهزل وقوله تعالى (خافضة رافعة) تقرير لعظمتها وهو خبر لمبتدا محذوف أي هي قال عكرمة ومقاتل خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت فاسمعت من نأى يعني أسمعت القريب والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت أقواما في عذاب الله تعالى ورفعت أقواما الى طاعة الله تعالى وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خفضت أعداء الله تعالى في النار ورفعت

اختصار الدلالة الاول عليه أوان أصل هذه اللام للتأكيد وهو أنسب

أولياء الله تعالى في الجنة وقال ابن عطاء خفضت قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل ولا مانع أن كل ذلك موجود فيها والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه وتعالى الخفض والرفع الى القيامة توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتها الفعل الى المحل والزمان وغيرهما مما لا يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام في قوله تعالى لوقعتها اما للتعليل أي لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقعتها واما للتعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها أمر يوجد لها كاذب اذا أخبر عنه قال الرازي وعلى هذا لا تكون ليس عاملة في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب (اذا رجت الارض) أي كلها على سعتها وثقلها بأيسر أمر (رجا) أي حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل قال بعض المفسرين ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها والرجرجة الاضطراب وارتج البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت أمواجه والظرف متعلق بخافضة أو بدل من اذا وقعت ❊ ولما ذكر حركتها المزعجة أتبعها غايتها بقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أي فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته قال ابن عباس ومجاهد كما يبس الدقيق أي يلت والبسيسة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز

لا تخبزا خبزا وبسا بسا ❊ ولا تطيلا بمناخ حبسا

أو سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها وبست الابل وأبستها لغتان اذا زجرتها وقلت بس بس قاله أبو زيد وقال الحسن بست قلعت من أصلها فذهبت وتظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية بسطت بالرمل والتراب (فكانت) أي بسبب ذلك (هباء) أي غبارا هو في غاية الانسحاق والى شدة لطافته أشار بصفته فقال تعالى (منبثا) أي منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما تطاير من النار اذا أضرمت يطير منها شرر فاذا وقع لم يكن شيئا (وكنتم) أي قسمتم بما كان في جبلاتكم وطباعكم في الدنيا (أزواجا) أي أصنافا (ثلاثة) كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة قال البيضاوي وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى (فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ وقوله تعالى (ما) استفهام فيه تعظيم مبتدأ ثان وقوله تعالى (أصحاب الميمنة) خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الاول وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مغن عن الضمير ومثله الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك الا في مواضع التعظيم ❊ ولما ذكر الناجين بقسميهم اتبعهم أضدادهم بقوله تعالى (وأصحاب المشأمة) أي الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقوله تعالى (ما أصحاب المشأمة) تحقير لشأنهم بدخولهم النار وقال السدي أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأصحاب المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار والمشأمة الميسرة وكذا الشامة والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الاشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشؤم قال البغوي ومنه سمي الشام واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة

والشام

(قوله فسبح باسم ربك) وترتيبه على المشروب بالمطعوم لانه مقدم وجودا

قوله الانسحاق في بعض النسخ الانسباق بدله اه مصححه

والشأم عن شمالها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وقال زيد بن أسلم هم الذين أخذوا من شق آدم الايمن وقال ابن جريج أصحاب الميمنة هم أصحاب الحسنات وأصحاب المشأمة هم أصحاب السيئات وفى صحيح مسلم من حديث الاسراء عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا انظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال آدم عليه السلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والاسودة التى عن شماله اهل النار وذكر الحديث وقال المبرد أصحاب الميمنة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول اجعلنى فى يمينك ولا تجعلنى فى شمالك اى اجعلنى من المتقدمين ولا تجعلنى من المتأخرين *(تنبيه)* الفاء فى قوله تعالى فأصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كانه قال ازواجا ثلاثة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فأما أصحاب الميمنة وترك التقسيم أولا واكتفى بما يدل عليه بان ذكر الاقسام الثلاثة مع أحوالها (فان قيل) ما الحكمة فى اختيار لفظ المشأمة فى مقابلة الميمنة مع انه قال فى بيان أحوالهم وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال (أجيب) بان اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه ألفاظا فى مواضع فقالوا هذا ميمون تيمنا به ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشئ اليسير اشارة الى ضعفه واستعملوا منه ألفاظا تشاؤما به فذكر المشأمة فى مقابلة الميمنة وذكر الشمال فى مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابله * ولما ذكر تعالى القسمين وكان كل منهما قسمين ذكر أعلى أهل القسم الاول ترغيبا فى حسن حالهم ولم يقسم أهل المشأمة ترهيبا فى سوء حالهم فقال تعالى (والسابقون) أى الى اعمال الطاعة مبتدأ وقوله تعالى (السابقون) تأكيد عن المهدوى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب القرظى هم الانبياء عليهم السلام وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل أمة وقال محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد والضحاك هم السابقون الى الجهاد وأول الناس رواحا الى الصلاة وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبير الى التوبة وأعمال البر قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم أثنى عليهم فقال تعالى أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم أربعة منهم سابق أمة موسى عليه السلام وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال سميط بن عجلان الناس ثلاثة رجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال وروى عن كعب

اى نزه ربك فقوله باسم زائد أو المعنى نزه اسم ربك فالباء زائدة والاسم باق

قال هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أول الناس رواحا الى المسجد وأولهم خروجا فى سبيل الله وخبر المبتدأ (أولئك) اى العالو الرتبة جدا (المقربون) اى الذين قربت درجاتهم فى الجنة من العرش وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه ولولا فضله فى تقريبهم لم يكونوا سابقين قال الرازى فى اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم واعمالهم كلها لله تعالى دينا ودنيا من حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما عندهم حق الله تعالى والدنيا عندهم آخرتهم لانهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا والانقياد وهم صنفان صنف قلوبهم فى جلاله وعظمته هائمة قد ملكهم هيبته فالحق يستعملهم فى وصف آخر قد أرخى من عنانه والامر عليه أسهل لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة ومحله أعلى فهو امين الله تعالى فى أرضه فيكون عليه أوسع اه ثم بين تقريبه اهم بقوله تعالى (فى جنات النعيم) أى الذى لا يكدره بوجه ولا منغص * ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى (ثلة) أى جماعة وقيدها الزمخشرى بالكثيرة وانشد

وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد

قال ابن عادل ولم يقيدها غيره بل صرح بانها الجماعة قلت أو كثرت ثم قال والكثرة التى فهمها الزمخشرى قد تكون من السياق اه لكن قال البغوى والثلة جماعة غير محصورة العدد (من الاولين) أى من الامم السابقة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم السلام ومن آمن بهم (وقليل من الآخرين) وهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كان الانبياء عليهم السلام مائة ألف ونيفا وعشرين ألفا وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو مؤمن به من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين ودون الثمانين ستمائة ألف فما ظنك بمن عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان ومن النساء فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم السلام المجددين من بنى اسرائيل وغيرهم قال البيضاوى ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام أمتى يكثرون سائر الامم لجواز أن يكون سابقو سائر الامم أكثر من سابقى هذه الامة وتابعو هذه الامة أكثر من تابعيهم قيل لما نزلت هذه الآية شق على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل نصف أهل الجنة وتقاسمونهم فى النصف الثانى رواه ابو هريرة رضى الله عنه ذكره الماوردى وغيره ومعناه ثابت فى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكأنه أراد أنها منسوخة قال الرازى وهذا فى غاية الضعف لان عدد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك الزمان بل الى آخر الزمان بالنسبة الى ما مضى فى غاية القلة والمراد بالاولين الانبياء وكبار أصحابهم وهم اذا اجتمعوا كانوا اكثر من السابقين من هذه الامة ولان هذا خبر والخبر لا ينسخ وقال الحسن سابقو من مضى أكثر من سابقينا فلذا قال تعالى وقليل من الآخرين وقال فى اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ولذا قال صلى الله عليه وسلم انى لارجو أن تكون أمتى شطر أهل الجنة ثم تلا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وروى الطبرانى أن الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة فتكون الصحابة كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى رأس القرن الثالث وهم

لا يحصيهم

وهم قوله صنفان صنف الخ لم يذكر الا واحدا اه

على معناه أو هو بمعنى الذات أو بمعنى الذكر والباء متعلقة بمحذوف والمراد

لا يحصيهم الا الله تعالى ومن المعلوم أنه تناقص الامر بعد ذلك الى أن صار السابق فى الناس أقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحال التى بدا عليها من الغربة بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء اى وهم الذين اذا فسد الناس صلحوا كما فسره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو بكر كلا الثلتين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو فى أول أمته ومنهم من هو فى آخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبالاخرين ذرياتهم الملحقون بهم فى قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم واشتقاق الثلة وهى مبتدأ من الثل وهو القطع والخبر (على سرر) جمع سرير وهو ما يجعل للانسان من القاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة (موضونة) قال ابن عباس رضى الله عنهما منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا موضونة أى مصفوفة لقوله تعالى فى موضع آخر على سرر مصفوفة وقيل منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة وأصله من وضنت الشئ أى ركبت بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها قال الاعشى

ومن نسج داود موضونة * تسير مع الحى عيرا فعيرا

ومنه أيضا وضين الناقة وهو حزامها لتراكب طاقاته قال عمر رضى الله عنه وهو مار بوادى محسر

اليك تعدو قلقا وضينها * معترضا فى بطنها جنينها

* مخالفا دين النصارى دينها *

رواه البيهقى ومعناه ان ناقتى تعدو اليك مسرعة فى طاعتك قلقا وضينها وهو حبل كالحزام من كثرة السير والاقبال التام والاجتهاد البالغ فى طاعتك والمراد صاحب الناقة فيسن للمار بوادى محسر أن يقول هذا الكلام الذى قاله عمر رضى الله تعالى عنه * ولما ذكر تعالى السرر وبين عظمها ذكر غاية افتقال سبحانه (متكئين عليها) اى السرر على الجنب او غيره كحال من يكون على كرسى فيوضع تحته شئ آخر للاتكاء عليه (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض وقال مجاهد وغيره هذا فى المؤمن وزوجته وأهله أى يتكؤن متقابلين قال الكلبى طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار ولا ظهور * (تنبيه) * متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى على سرر ويجوز أن تكون حالا متداخلة فيكون متقابلين حالا من ضمير متكئين * ثم بين تعالى انهم فى غاية الراحة بقوله تعالى (يطوف عليهم) اى لكفاية كل ما يحتاجون اليه (ولدان) اى على أحسن صورة وزى وهيئة (مخلدون) قد حكم الله تعالى ببقائهم على ما هم عليه من هيئة على شكل الاولاد قال الحسن والكلبى لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت باوجال

وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل فى الاذنين من الحلق

بالتسبيح الصلاة وباسم ربك التكبير اى افتتح الصلاة بالتكبير (قوله انه

وقيل مقرطقون أي ممنطقون من المناطق والمنطقة ما يجعل في الوسط وأكثر المفسرين انهم على سن واحد انشأهم الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم نشؤا من غير ولادة فيها لان الجنة لا ولادة فيها وقال علي بن أبي طالب والحسن البصري رضي الله عنهما الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين هم خدم أهل الجنة قال الحسن لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيآت يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود ان أهل الجنة على أتم السرور والنعمة وقوله تعالى (باكواب) متعلق بيطوفون والاكواب جمع كوب وهي كيزان مستديرة الافواه بلا عرا ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من أي موضع أراد منها فلا يحتاج ان يحول الاناء عن الحالة التي تناوله بها ليشرب وقوله تعالى (واباريق) جمع ابريق وهي أوان لها عرا وخراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين سمي بذلك لبريق لونه من صفائه (وكأس) أي اناء شراب الخمر (من معين) أي خمر صافية صفاء الماء اليس بتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع أبدا (فان قيل) كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكأس (أجيب) بان ذلك على عادة أهل الشرب فانهم يعدون الخمر في أوان كثيرة ويشربون بكأس واحد وفيها مبالغتهم لاهل الدنيا من حيث انهم يطوفون بالاكواب والاباريق ولا تثقل عليهم بخلاف أهل الدنيا (لا يصدعون عنها) اى بسببها قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها او الصداع هو الداء المعروف الذي يلحق الانسان في رأسه والخمر تؤثر فيه قال علقمة بن عبدة في وصف الخمر

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها * ولا يخالطها في الرأس تدويم

قال أبو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال لي الشيخ ابو جعفر بن الزبير والمعنى لا تتصدع رؤسهم من شربها فهي لذة بلا اذى بخلاف خمر الدنيا وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) أي تذهب بعقولهم بوجه من الوجوه أو يفرغ شرابهم من نزفت البئر اذا نزح ماؤها كله وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بكسر الزاي والباقون بفتحها (وفاكهة مما يتخيرون) اى يختارون ما يشتهون من الفواكه لكثرتها او قيل المعنى وفاكهة متخيرة مرضية والتخير الاختيار (ولحم طير مما يشتهون) اى يتمنون قال ابن عباس رضي الله عنهما يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب (فان قيل) ما الحكمة في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء (أجيب) بان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهٍ والشبعان غير مشتهٍ بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا عن جوع بل للتفكه فميلهم للفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة في القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم (فان قيل) الفاكهة واللحم لا يطوف بهما الولدان والعطف يقتضي ذلك (أجيب) بان الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حال الشرب فجاز أن يطوف بهما الولدان فيناولونهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للاكل بل للاكرام كما يضع المكرم للضيف أنواع الفواكه بيده أو يكون معطوفا على المعنى في قوله جنات النعيم أي مقربون في جنات النعيم وفاكهة ولحم أي

صفة قديمة قائمة بذات الله مكنون) وان قلت القرآن كريم في كتاب

في هذا النعيم يتقلبون * ولما لم يكن بعد الاكل والشرب أشهى من النساء قال تعالى (وحور) أي نساء شديدات سواد العيون وبياضها (عين) أي ضخام العيون وقرأ حمزة والكسائي بخفض الاسمين عطفا على سرر فان النساء في معنى المتكأ لانهن يسمين فراشا والباقون بالرفع عطفا على ولدان (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية الصفاء قال البغوي ويروى انه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا فيقال ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها ويروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وأن عقد الياقوت يضحك في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ولما بالغ في وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لان الجزاء من جنس العمل فقال تعالى (جزاء) أي فعل ذلك لهم لاجل الجزاء (بما كانوا يعملون) أي يجددون عمله على جهة الاستمرار قالت المعتزلة هذا يدل على أن ايصال الثواب واجب على الله تعالى لان الجزاء لا يجوز الاخلال به وأجيبوا بانه لو صح ما ذكر لما كان في الوعد بهذه الاشياء فائدة لان العقل اذا حكم بان ترك الجزاء قبيح وعلم بالعقل أن القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطي هذه الاشياء لانها اجزاؤه وايصال الجزاء واجب فكان لا يصح التمدح به (لا يسمعون فيها لغوا) أي شيئا مما لا ينفع واللغو الساقط (ولا تأثيما) أي ما يحصل به الاثم أو النسبة الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها في رضا الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما باطلا وكذبا قال محمد ابن كعب ولا تأثيما أي لا يؤثم بعضهم بعضا وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مأثما وقوله تعالى (الا قيلا) فيه قولان أحدهما أنه استثناء منقطع وهذا واضح لانه لم يندرج تحت اللغو والتأثيم والثاني أنه متصل وفيه بعد قال ابن عادل فكأن هذا رأى أن الاصل لا يسمعون فيها كلاما فاندرج عنده فيه * ثم بين تعالى ذلك بقوله (سلاما سلاما) أي قولا سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام أو تحييهم الملائكة أو يحييهم ربهم ودل على دوامه بتكريره فقال تعالى سلاما ففيه اشارة الى كثرة السلام عليهم ولهذا لم يكرر في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقال القرطبي السلام الثاني بدل من الاول والمعنى الا قولا يسلم فيه من اللغو * ولما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (وأصحاب اليمين) ثم فخم أمرهم وأعلى مدحهم بتعظيم جزائهم فقال تعالى (ما أصحاب اليمين) فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ أصحاب الميمنة عند تقسيم الازواج الثلاثة وبلفظ أصحاب اليمين عند ذكر الانعام (أجيب) بان ذلك تفنن في العبارة والمعنى واحد (في سدر) أي شجر نبق (مخضود) أي لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه قال ابن المبارك أخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون انا لينفعنا الاعراب ومسائلهم قال أقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر وقال أبو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطائف مخصب فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل

الله تعالى فكيف يكون
حالا في كتاب مكنون اي

هذا فنزلت قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة وما فيها

ان الحدائق في الجنان ظليلة * فيها الكواعب سدرها مخضود

قال مجاهد في سدر مخضود هو الموقر حملا الذي تنثني أغصانه لكثرة حمله من خضض الغصن اذا ثناه وهو رطب وقال سعيد بن جبير ثمرها أعظم من القلال (وطلح منضود) أي منظوم بالحمل من أعلاه الى أسفله ليست له ساق بارزة متراكم يتركب بعضه على بعض على ترتيب هو في نهاية الاعجاب والطلح جمع الطلحة قال على وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين الطلح شجر الموز واحده طلحة وقال الحسن ليس هو موزا ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وأبو عبيدة شجر عظيم كثير الشوك والطلح كل شجر عظيم له شوك وقال الزجاج هو شجر أم غيلان قال مجاهد ولكن ثمرها أحلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدى طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل وقال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها نضيدة ثمر كله كلما أكلت ثمرة عاد مكانها أحسن منها (وظل ممدود) أي دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس لقوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل ليس ظل أشجار بل ظل يخلقه الله تعالى قال الربيع بن أنس رضي الله عنه يعني ظل العرش وقال عمرو بن ميمون رضي الله عنه مسيرة سبعين ألف سنة وقال أبو عبيدة تقول العرب للدهر الطويل والعمر الطويل والشئ الذي لا ينقطع ممدود قال الشاعر

غلب العزاء وكان غير مغلب * دهر طويل دائم ممدود

وفي صحيح الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وفي هذا الحديث رد على من يقول ان الاشجار لا ظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولا اذا ترا ءت له شجرة يقول يارب أدنني من هذه لاستظل في ظلها الحديث من أي شئ يستظل والشمس قد كورت أجاب بقوله تعالى وظل ممدود وبقوله تعالى هم وأزواجهم في ظلال اذ لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل لانه مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل أمر وجودي له نفع باذن الله تعالى في الابدان وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وظل ممدود قال شجرة في الجنة يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وماء مسكوب) أي جار في منازلهم في غير أخدود لا يحتاجون فيه الى جلب ماء من الاماكن البعيدة ولا ادلاء في بئر كأهل البوادي فان العرب كانت أصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك (وفاكهة كثيرة) أي أجناسها وانواعها وأشخاصها (لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أراد أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع أكثر ثمار الدنيا اذا جاء الشتاء ولا يتوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يمنع من أرادها شوك ولا بعد ولا حائط بل اذا اشتهاها العبد

لوح محفوظ او مصحف (ذات) لا يلزم من كتابته في

دنت منه حتى يأخذها قال تعالى قطوفها دانية وجاء فى الحديث ما قطع من ثمار الجنة الا أبدل الله تعالى مكانها ضعفين ولما كان التفكه لا يكمل الالتذاذ به الا مع الراحة قال تعالى (وفرش مرفوعة) أى رفيعة القدر يقال ثوب رفيع أى عزيز مرتفع القدر والثمن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهائرها أو مرفوعة فوق السرر بعضها فوق بعض روى الترمذى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قال حديث غريب وقيل هى كناية عن النساء كما كنى عنهن باللباس أى ونساء مرتفعات الاقدار فى حسنهن وكمالهن والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة دليل هذا التأويل قوله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة التى لا يتعاظمها شئ (أنشأناهن) أى الفرش التى معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت بالبعث وزاد فى التأكيد فقال تعالى (انشاء) أى خلقا جديدا من غير ولادة بل جعلناهن من التراب كسائر بنى آدم ليكونوا كأبيهم آدم عليه السلام فى خلقه من تراب لتكون الاعادة كالبداءة ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى النحاس باسناده أن أم سلمة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن أنشاء فقال هن اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء وروى أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه فى قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال هن العجائز العمش الرمص كن فى الدنيا عمشا رمصا وعن المسيب بن شريك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انا انشأناهن انشاء قال هن عجائز الدنيا انشاهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وعن الحسن رضى الله عنه قالت أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله تعالى ان يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكى فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء (فجعلناهن) أى الفرش المنشآت وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شئ (أبكارا) أى عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله تعالى لم تقع عليهن الولادة وقوله تعالى (عربا) جمع عروب كصبور وصبر وهى الغنجة المحببة الى زوجها وقال الرازى فى اللوامع الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب وقيل الحسناء وقيل الحسنة لكلامها وقال ابن عباس رضى الله عنهما هن العواتق وأنشدوا

وفى الخباء عروب غير فاحشة * ريا الروادف يعشى دونها البصر

وقرأ حمزة وشعبة بسكون الراء والباقون بضمها كرسل ورسل وفرش وفرش وقوله تعالى (أترابا) جمع ترب وهو المساوى لك فى سنك لانه يمس جلدهما التراب فى وقت واحد وهو آكد فى الائتلاف وهو من الاسماء التى لا تتعرف بالاضافة لانه فى معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خدنك لانه بمعنى مصاحبك قال القرطبى سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال فى

كتاب حلوله فيه كالو كتب على شئ ألف دينار لا يلزم منه

النساء أتراب وفي الرجال أقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الفتاء من النساء وانحطت عن الكبر وقال مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي أتراب في الاخلاق لاتباغض فيهن ولا تحاسد وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاثا وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون ألف زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء ينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دني من يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى (لاصحاب اليمين) وجهان أحدهما انها متعلقة بأنشأناهن أي لاجل أصحاب اليمين والثاني انها متعلقة بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أي مساو له ثم بينهم بقوله تعالى (ثلة من الاولين) أي من أصحاب اليمين (وثلة) أي منهم (من الآخرين) فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر ان الآخرين أكثر فان وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة ثلثا أهل الجنة فانهم عشرون ومائة صف هذه الامة منهم ثمانون صفا وأربعون من سائر الامم وعن عروة بن رويم قال لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر وقال يانبي الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا السود من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال عرضت على الامم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه احد ورفع الى سواد عظيم فقلت انهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم ابناؤنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن فقال ادع الله تعالى ان يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة والرهط دون العشرة وقيل الى الاربعين وعن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها حتى أتى على موسى في كبكبة بني اسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء قيل هو اخوك موسى ومن معه من بني اسرائيل قلت يارب وأين أمتي قيل انظر عن يمينك فنظرت فاذا ظراب

وجودها فيه ومثله قوله تعالى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل

مكة قد سد بوجوه الرجال فقال هؤلاء امتك أرضيت فقلت رضيت رب قيل انظر عن يسارك فنظرت فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال فقيل هؤلاء أمتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة لا حساب عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فان عجزتم فكونوا من أهل الافق فانى قد رأيت اناسا يتهاوشون كثيرا وعن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفسى بيده انى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر وتقدم فى الحديث المار انهم ثلثا أهل الجنة ولا منافاة لانه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بالقليل ثم أطلعه الله تعالى على الزيادة * ولما اتم وصف أصحاب الجنة اتبعه اضدادهم بقوله تعالى (وأصحاب الشمال) أى الجهة التى تتشاءم العرب بها ويعبر بها عن الشئ الاخس والحظ الانقص قال البقاعى والظاهر أنهم أدنى أصحاب المشأمة كما ان أصحاب اليمين دون السابقين من اصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم ومصابهم فقال تعالى (ما أصحاب الشمال) أى انهم بحال من الشؤم هو جدير بان يسأل عنه وعما هم بذلك لانهم يأخذون كتبهم بشمالهم ثم بين متقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى (فى سموم) اى ريح حارة من النار تنفذ فى المسام (وحميم) أى ماء حار بالغ فى الحرارة الى حد يذيب اللحم (وظل من يحموم) أى دخان أسود كالحمم اى الفحم شديد السواد وقيل النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها أسود وقيل اليحموم اسم من اسماء النار قال الرازى وفى الامور الثلاثة اشارة الى كونهم فى العذاب دائما لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء اصابهم السموم وان استكنوا كما يفعل الذى يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان بالكن يكونون فى ظل من يحموم وان أرادوا التبرد بالماء من حر السموم يكون الماء من حميم فلا انفكاك لهم من العذاب او يقال ان السموم تضربه فيعطش وتلتهب نار السموم فى احشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل اليحموم وذكر السموم والحميم دون النار تنبيها بالادنى على الاعلى كأنه قال ابرد الاشياء فى الدنيا حار عندهم فكيف أحرها وقوله تعالى (لا بارد) أى ليروح النفس (ولا كريم) اى ليؤنس به ويلجأ اليه صفتان للظل كقوله تعالى من يحموم وقال الضحاك لا بارد اى كغيره من الظلال بل حار لانه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل شئ لا خير فيه ليس بكريم فسماه ظلا ونفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحو ما فى مدلول الظل من الاستروح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفى فى نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذى هو لاضدادهم فى الجنة * ثم بين استحقاقهم لذلك بقوله تعالى (انهم كانوا) أى فى الدنيا (قبل ذلك) أى الامر العظيم الذى وصلوا اليه (مترفين) أى انهم انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا فى الدنيا فى سعة من العيش متكنين فى الشهوات متمتعين بما متمكنين منها (وكانوا يصرون) أى يقيمون ويديمون على سبيل التجديد لما لهم من

فثبت انه ليس حالا فى شئ من ذلك بل هو كلام الله تعالى وكلامه صفة قديمة

الميل الجبلي الى ذلك (على الحنث) أى الذنب ويعبر بالحنث عن البلوغ ومنه قولهم لم يبلغوا
الحنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يؤاخذ بالحنث أى الذنب وتحنث فلان اى
جانب الحنث وفي الحديث كان يتحنث بغار حراء أى يتعبد لمجانبة الاثم نحو تحرج فتفعل في هذه
كلها للسلب ولما كان ذلك قد يكون من الصغائر التى تغفر قال تعالى (العظيم) أى وهو
الشرك قاله الحسن والضحاك وقال مجاهد هو الذنب الذى لا يتوبون منه وقال الشعبى هو
اليمين الغموس وهو من الكبائر يقال حنث في يمينه اى لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون أن
لا بعث وان الاصنام أنداد الله تعالى فذلك حنثهم (فان قيل) المترفه هو المتنعم وذلك لا يوجب ذما
(اجيب) بان الذم انما حصل بقوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم فان صدور
المعاصى ممن كثرت النعم عليه أقبح القبائح وفى الآية مبالغات لان قوله تعالى يصرون
يقتضى ان ذلك عادتهم والاصرار مداومة المعصية ولان الحنث ابلغ من الذنب لان الذنب
يطلق على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الحنث اى بلغ مبلغا تلحقه فيه الكبيرة ووصفه
بالعظيم يخرج الصغائر فانها لا توصف بذلك قال الرازى والحكمة فى ذكره سبب عذابهم ولم
يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين وذلك تنبيه
على ان الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء ذكر سببه أو لم يذكر لا يتوهم
بالمتفضل نقص وظلم وأما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما ويدل على ذلك أنه
تعالى لم يقل فى حق أصحاب اليمين جزاء بما كانوا يعملون كما قال فى السابقين لان اصحاب اليمين
نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن اطلاق الجزاء فى حقه (وكانوا)
اى زيادة على ما ذكر (يقولون) أى انكارا مجددين لذلك دائما عنادا (أئذا) اى انبعث اذا
(متنا وكنا) أى كونا ثابتا (ترابا وعظاما) ثم أعادوا الاستفهام تاكيدا لانكارهم فقالوا
(أئنا لمبعوثون) اى كائن وثابت بعثنا ساعة من الدهر وأكدوا ليكون انكارهم لما دون ذلك
بطريق الاولى وقرأ قالون ائذا بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المكسورة
وادخال الف بينهما وكسر الميم من متنا وهمزة واحدة مكسورة فى أئنا وقرأ ورش بتحقيق
الاولى وتسهيل الثانية ولا ادخال بينهما وكسر ميم متنا وهمزة واحدة مكسورة فى أئنا مع
النقل على اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالاستفهام فيهما مع تسهيل الثانية الا ان ابا عمرو يدخل
بينهما الفا فيهما وابن كثير لا يدخل الفا وضما ميم متنا (أو آباؤنا) أى أو تبعث آباؤنا (الاولون)
أى الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترابا ولا سيما ان حملتهم السيول ففرقت
اعضاءهم وذهبت بها فى الآفاق (فان قيل) كيف حسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من
غير تأكيد بنحن (أجيب) بانه حسن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله تعالى ما اشركنا
ولا آباؤنا الفصل لا المؤكدة للنفى وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو من أو والباقون بفتحها ثم
رد الله تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهؤلاء ولكل من
كان مثلهم وأكد لانكارهم (ان الاولين) أى الذين جعلتم الاستبعاد فيهم وهم الآباء
(والآخرين) وهم الابناء (لمجموعون) أى فى المكان الذى يكون فيه الحساب (الى ميقات يوم)
اى زمان (معلوم) اى معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة اذ هو من شأنه ان يعلم بما عليه من

الامارات

قوله بما لا تفارقه (فان قلت) اذا لم تفارقه فكيف ... (قلت) معنى ...

الامارات والميقات ما وقت به الشئ من زمان أو مكان الى حد (ثم انكم) اى بعد هذا الجمع (ايها الضالون) اى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون فضلوا عن الهدى ثم اتبع ذلك ما أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال تعالى (المكذبون) بالبعث والخطاب لاهل مكة ومن فى مثل حالهم (لآكلون من شجر من زقوم) وهو من اخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى فى الجحيم فهو فى غاية الكراهة وبشاعة المنظر ونتن الرائحة وقد مر الكلام على ذلك فى الصافات * (تنبيه) * من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر (فمالؤن) اى مالؤن فى غاية الثبات وأنتم فى غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة (منها) أى الشجر وأنثه لانه جمع شجرة وهو اسم جنس قال البقاعى وهم يكرهون الاناث فتأنيثه والله أعلم زيادة فى تنفيرهم وقال الزمخشرى انث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى قوله منها وعليه وهو لف ونشر مرتب (البطون) اى يضطركم الى تناول هذا الكريه حتى تملؤا بطونكم منه ثم لما بين ما كلهم أتبعه مشربهم فقال تعالى (فشاربون عليه) أى الاكل أو الزقوم (من الحميم) لاجل مرارته وحرارته يحتاجون الى شرب الماء فيشربون من الماء الحار (فشاربون) أى منه (شرب الهيم) أى الابل العطاش وهو جمع هيمان للذكر وهيمى للانثى كعطشان وعطشى والهيام داء معطش تشرب الابل منه الى أن تموت أو تسقم سقما شديدا وقيل انه جمع هائم وهائمة من الهيام أيضا الا ان جمع فاعل وفاعلة على فعل قليل نحو نازل ونزل وعائد وعود وقيل انه جمع هيام بفتح الهاء وهو الرمل غير المتماسك الذى لا يروى من الماء أصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم خفف باسكان عينه ثم كسرت فاؤه لتصح الياء كما فعل بالذى قبله والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم (فان قيل) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشئ على نفسه (أجيب) بانهما ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع امعائهم أمر عجيب فشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين والباقون بفتحها (هذا) اى ما ذكر (نزلهم) أى ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف أول حلوله كرامة له (يوم الدين) أى الجزاء الذى هو حكمة القيامة واذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعد ما استقروا فى الجحيم وفى هذا تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فان النزل ما يعد للنازل تكرمة له ثم استدل على منكرى البعث بقوله تعالى (نحن) أى لا غيرنا (خلقناكم) أى بما لنا من العظمة (فلولا) تحضيض أى فهلا (تصدقون) أى بالبعث فان الاعادة أسهل من الابتداء وقيل نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا ومتعلق التصديق محذوف تقديره فلولا تصدقون بخلقنا (أفرأيتم) أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة (ما تمنون) أى تصبون من المنى فى أرحام النساء (أأنتم تخلقونه) أى توجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة الى صورة العلقة ثم من صورة العلقة الى صورة المضغة ثم منها الى صورة العظام والاعصاب (أم

انزاله تعالى له أنه علمه جبريل وأمره ان يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم

نحن) أي خاصة (الخالقون) أي الثابت لنا ذلك وقرأ أفرأيتم في الثلاثة مواضع نافع بتسهيل
الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجهان وهو ابدالها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون
بالتحقيق وقرأ أأنتم في الثلاثة مواضع نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتحقيق الاولى وتسهيل
الثانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام ولم يدخل بينهما ورش
وابن كثير ولورش وجه ثان وهو ابدال الثانية ألفا والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال
بينهما ولما كان الجواب قطعا أنت الخالق وحدك أكد ذلك بقوله تعالى (نحن) أي بما لنا من
العظمة لا غيرنا (قدرنا) أي تقديرا عظيما لا يقدر سوانا على نقص شيء منه (بينكم الموت)
أي قسمناه عليكم فلم نترك أحدا منكم بغير حصة منه وأقتنا موت كل بوقت معين لا يتعداه
فقصرنا عمر هذا وربما كان في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على
اطالة عمره ما قدروا ان يؤخروه لحظة واطلنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف
البدن واضطراب المزاج فلو تمالؤا على تقصيره طرفة عين لعجزوا وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال
والباقون بالتشديد (وما نحن) اي على ما لنا من العظمة (بمسبوقين) اي بالموت اي لا عاجزين
ولا مغلوبين (على) اي عن (ان نبدل) اي تبديلا عظيما (امثالكم) اي صوركم وأشخاصكم
(وننشئكم) اي انشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم (في ما لا تعلمون) فان بعضكم تأكله
الحيتان او السباع او الطيور فننشئ ابدانه منها او بعضهم يصير ترابا فربما انشأ منه نبات فأكله
الدواب فنشأت منه ابدانها او ربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة والحديد
والنحاس والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا الى آخرها
ويكون المعنى كما قال البغوي نأت بخلق مثلكم بدلا منكم ونخلقكم فيما لا تعلمون من
الصور اي بتغيير اوصافكم وصوركم الى صور اخرى بالمسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة
وقال الطبري معنى الآية نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم بآخرين
من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم أي لا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم وننشئكم
فيما لا تعلمون من الصور والهيآت قال الحسن أي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام
قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن ببياض وجهه
ونقبح الكافر بسواد وجهه (فائدة) في ما مقطوعة في الرسم (ولقد علمتم النشأة الاولى) اي
الترابية لابيكم آدم عليه السلام والحمية لامكم حواء رضي الله عنها او النطفية لكم وكل منها
تحويل من شيء الى آخر غيره فما الذي شاهدتم قدرته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد ان
تصيروا ترابا الى ما كنتم عليه اولا من الصور ولهذا سبب عما تقدم قوله تعالى (فلولا) أي فهلا
ولم لا (تذكرون) اي تذكرا عظيما تكرهون انفسكم عليه فتعلمون ان من قدر على النشأة
الاولى قدر على الثانية فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه
دليل على صحة القياس وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة
الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والنشاءة
بفتح الشين وبعدها ألف قبل الهمزة والباقون بسكونها ولا ألف بعدها فاذا وقف حمزة نقل
حركة الهمزة الى الشين وخفف ذال تذكرون حمزة والكسائي وحفص وشددها الباقون

وأمره ان يعلمه امنه مع انه لم يزل ولا يزال صفة لله تعالى قائمة به لا تفارقه

ثم

ثم ذكر لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرأيتم) اى اخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا كم عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبيهكم لذلك انكم رأيتم (ما تحرثون) اى تجددون حرثه على الاستمرار من أرضكم فتطرحون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) اى تنشئونه بعد طرحكم وتجعلونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب (أم نحن) خاصة (الزارعون) أى المنبتون له والحافظون روى انه عليه الصلاة والسلام قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة أرأيتم الى قوله تعالى أفرأيتم الآية ولما كان الجواب قطعا أنت الفعال لذلك وحدك قال تعالى موضحا لانه ما زرعه غيره (لو نشاء) اى لو عاملناكم بصفة العظمة (لجعلناه) اى بتلك العظمة (حطاما) اى مكسورا مفتتا لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج او بعده ببرد مفرط او حر مهلك او غير ذلك فلا ينتفع به (فظلتم) اى فاقمتم بسبب ذلك نهارا فى وقت الاشتغال العظيمة وتركتم ما يهمكم (تفكهون) حذفت منه احدى التاءين فى الاصل تخفيفا اى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم وقيل تندمون على ما سلف منكم من المعاصى التى أوجبت تلك العقوبة ٣ قال الزمخشرى ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكهون اى يتندمون وقال الكسائى التفكه التلهف على ما فات من الاضداد تقول العرب تفكهت اى تنعمت وتفكهت اى حزنت وتقولون (انا لمغرمون) بحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن مجيء الغرام بمعنى الهلاك قول القائل

ان يعذب يكن غراما وان يعـ ... ـط جزيلا فانه لا يبالى

وقال ابن عباس الغرام العذاب اى عذبوا بذهاب أموالهم والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض ومن الغرام بمعنى العذاب قول القائل

وثقت بان الحلم منك سجية ... وأن فؤادى مبتلى بك مغرم

وقرأ شعبة أئنا بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة على الاستفهام والباقون بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (بل نحن) اى خاصة (محرومون) اى ممنوعون رزقنا حرمنا من لا يرد قضاؤه فلا حظ لنا فى الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لافلح زرعه ثم ذكر تعالى لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرأيتم الماء) اى أخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا عليه فيما مضى من المطعم وغيره فرأيتم الماء (الذى تشربون) فتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم ذكرهم بنعمه التى أنعم بها عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه أحد الا الله عز وجل (أأنتم أنزلتموه من المزن) أى السحاب وهو اسم جنس واحده مزنة قال القائل

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل ابقالها

وعن ابن عباس والثورى المزن السماء والسحاب وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء اى خاصة وهى أعذب ماء والجمع مزن والمزنة المطرة (أم نحن) اى خاصة (المنزلون) اى له بما لنا من العظمة (لو نشاء) اى حال انزاله او بعده قبل أن ينتفع به (جعلناه) اى بما تقتضيه صفة العظمة (أجاجا) اى ملحا مرا محرقا كانه فى الاحشاء لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا ولا

٠(سورة الحديد)٠

(قوله سبح لله) عبر هنا وفى الحشر والصف بالماضى وفى

٣ قوله قال الزمخشرى عبارته وقرئ تفكنون ومنه الحديث الى أن قال وبقى قوم يتفكنون اى يتندمون اهـ مصححه

ينبت نبتا ينتفع به وقال ابن عادل الاجاج المالح الشديد الملوحة (فلولا) اى فهلا ولم لا
(تشكرون) أى تجددون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم ذلك من القوى فى
طاعة الله الذى أوجده لكم ومكنكم منه ثم ذكر تعالى امهة أخرى بقوله تعالى (أفرأيتم
النار) أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرأيتم النار (التى تورون) أى
تخرجون من الشجر الاخضر (أأنتم أنشأتم) أى اخترعتم وأوجدتم وأحييتم وربيتم ورفعتم
(شجرتها) أى التى يقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما
رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذى توقد به النار (أم نحن) اى خاصة وأكد بقوله تعالى
(المنشؤن) اى لها عالما من العظمة على تلك الهيئة فمن قدر على ايجاد النار التى هى أيبس
ما يكون فى الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على اعادة الطراوة فى
تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس * ولما كان الجواب قطعا أنت وحدك قال تعالى دالا
على ذلك تنبيها على عظم هذا الخبر (نحن) اى خاصة (جعلناها) اى بما اقتضته عظمتنا
(تذكرة) اى شيئا يتذكر به تذكرا عظيما جليلا كما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى
وما نشأ عنها من شجرة الزقوم وغير ذلك وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن وعن أبى هريرة رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار
جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ
كلها مثل حرها (ومتاعا) اى بلغة ومنفعة (للمقوين) اى المسافرين والمقوى النازل فى
أرض القواء بالكسر والقصر والمد وهى القفر البعيدة من العمران والمعنى أنه ينتفع بها
أهل البوادى والاسفار فان منفعتهم بها أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع
ويهتدى الضال الى غير ذلك من المنافع وقال مجاهد للمقوين اى المنتفعين بها من الناس
أجمعين يستضيئون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير
ذلك من المنافع ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين فى اصلاح
طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا اى ما أكلت شيأ قال الشاعر

وانى لأختار القوى طاوى الحشى * محافظة من أن يقال لئيم

وقال قطرب المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على
ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء لاغنى لاحد عنها وقال المهدوى الآية تصلح
للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغنى والفقير * ولما ذكر تعالى ما يدل على
وجوب وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم أو كل أحد
من الناس بقوله تعالى (فسبح) اى اوقع التنزيه العظيم من كل شائبة نقص من ترك البعث
وغيره ولاسيما بعد بلوغ هذه الادلة (باسم) أى ملتبسا بذكر اسم (ربك) أى المحسن اليك بهذا
البيان الاعظم * (فائدة) * أثبتوا ألف الوصل هنا فى اسم ربك لانه لم يكثر دوره كثرته فى البسملة
وحذفوه منها لكثرة دورها وهم شأنهم الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه وهذا معروف
لا يجهل واثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ولذا لا تحذف مع غير

الجمعة والتغابن بالمضارع وفى
الاعلى بالامر وفى الاسراء
بالمصدر استيعابا للجهات

الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة الكريمة من الاسماء وقد أوضحت ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة ولما كان المقام للعظمة قال الله تعالى (العظيم) اى الذى ملأ الاكوان كلها عظمة فلا شئ منها الا وهو عالم بعظمته تنزيها عن أن يلحقه شائبة نقص أو يفوته شئ من كمال فالعظيم صفة للاسم أو الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد أى فسبح ربك واختلف في لا في قوله تعالى (فلا أقسم) فقال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك وانه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والتقدير ليعلم وقال بعضهم انها حرف نفي وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد والتقدير فلا حجة بما يقوله الكافر ثم ابتدأ أقسم بما ذكر وضعف هذا بان فيه حذف اسم لا وخبرها قال أبو حيان ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تلميذ حبر القرآن وهو عبد الله بن عباس ويبعد أن يقوله بعد الا بتوقيف وقال بعضهم انها لام الابتداء والاصل فلأقسم فاشبعت الفتحة فتولد منها ألف كقول بعضهم أعوذ بالله من العقراب قال الزمخشري ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لامرين أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال واختلف أيضا في معنى قوله عز وجل (بمواقع النجوم) فقال أكثر المفسرين بمساقطها الغروب قال الزمخشري ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا عظيمة مخصوصة وللملائكة عبادات موصوفة أو لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وقال عطاء بن أبي رباح أراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواقعها انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقال ابن عباس والسدي المراد نجوم القرآن اى اوقات نزولها وقال الضحاك هي الانواء التي كانت الجاهلية تقول اذا مطروا مطرنا بنوء كذا وقال القشيري هو قسم ولله أن يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة (فان قيل) لو تعلمون جوابه ماذا (أجيب) بانه مقدر تقديره لعظمتموه أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم ولكنكم ما عظمتموه فعلم انكم لا تعلمون وقرأ بموقع حمزة والكسائي بسكون الواو ولا ألف بعدها والباقون بفتح الواو وألف بعدها وقوله تعالى (انه) أى القرآن الذى أنهمته النجوم بعموم افهامها (لقرآن) أى جامع سهل ذو أنواع جليلة (كريم) أى بالغ الكرم منزه عن كل شائبة لؤم ودناءة هو المقسم عليه وفي الكلام اعتراضان أحدهما الاعتراض بقوله تعالى وانه لقسم بين القسم والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون بين الصفة والموصوف

(تنبيه) من كرم هذا القرآن العظيم كونه من الملك الاعلى الى خير الخلق بسفارة روح القدس مشتملا على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد بلسان العرب الذين اتفقت علماء الفرق على ان لسانهم أفصح الالسن وعلى وجه أعجز العرب كافة وبقية الخلق أجمعين واختلف في معنى قوله تعالى (في كتاب) أى مكتوب (مكنون) أى مصون فالذى عليه الاكثر أنه المصحف سمي قرآنا القرب الجوار على الاتساع ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى

المشهورة لهذه الكلمة وبدأ بالمصدر في الامر لانه الاصل ثم بالماضي

أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقوله تعالى (لا يمسه) خبر بمعنى النهى ولو كان باقيا على خبريته لزم منه الخلف لان غير المطهر يمسه وخبر الله تعالى لا يقع فيه خلف لان المراد بقوله تعالى (الا المطهرون) لا المحدثون وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعى رضى الله عنهما وقال ابن عادل والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذى بايدينا لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو بن حزم لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وأنت طاهر وقالت أخت عمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالمصحف لا يمسه الا المطهرون فقام فاغتسل وأسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والانجاس انتهى وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب فى السماء وقال جابر هو اللوح المحفوظ اى لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن وقال السدى الزبور وقيل لا من لا يمسه نافية والضمة فى لا يمسه ضمة اعراب وعلى هذا فى الجملة وجهان أحدهما ان محلها الجر صفة لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة أو المراد به المصحف والمراد بالمطهرين الملائكة كلهم والثانى محلها رفع صفة لقرآن والمراد بالمطهرين الملائكة فقط أى لا يطلع عليه لان نسبة المس الى المعانى متعذرة وقيل انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه أدغم ولما أدغم حرك بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وفى الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم بضم الدال وان كان القياس يقتضى جواز فتحها تخفيفا وبهذا ظهر فساد رد من رد بان هذا لو كان نهيا كان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفى عليه جواز ضم ما قبل الهاء فى هذا النحو بل لا يجوز سيبويه غيره * واختلفوا فى المس المذكور فى الآية فقال أنس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وقال ابو العالية وابن زيد هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بنى آدم وقال الكلبى هم السفرة الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون فى سورة عبس فى قوله تعالى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة وقيل معنى لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون أى الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء ولا يمس اللوح المحفوظ الذى هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث لقال المتطهرون أو المطهرون بتشديد الطاء ومن قال بالاول قال المطهرون بمعنى المتطهرون

(تنبيه) اختلف العلماء فى مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب على وابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد ابن زيد وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى وأما الحمل فلانه أبلغ من المس سواء حمله بعلاقته أم فى كمه أم على رأسه وسواء مس نفس الاسطر أم ما بينها أم الحواشى أم الجلد أم العلاقة أم الخريطة أم الصندوق اذا كان المصحف فيهما

لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل ثم بالامر لخصوصه بالحال

وسواء

وسواء مس بأعضاء الوضوء أم بغيرها وقال جماعة بجواز مسه وحمله واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسه هو وأصحابه وبأن الصبيان يحملون الالواح محدثين بلا انكار وبأنه اذا لم تحرم القراءة فالحمل والمس أولى وبأنه يجوز حمله في أمتعة وأجيب عن الاول بأن ذلك الكتاب كان فيه آيتان ولا يسمى مصحفا ولا مافي معناه وبأنه لو كان كتابا قد تضمن مع القرآن دعاء الى الاسلام فلم يكن القرآن بانفراده مقصودا لجاز تغليبا للمقصود فيه وعن الثاني بأنه أبيح للصبيان للضرورة لانهم غير مكلفين وعن الثالث بأن القراءة أبيحت للحاجة وعدم الوضوء لها كل وقت وبأنا لانسلم الاولوية المذكورة بدليل أن الكافر لايمنع من القراءة ويمنع من حمل المصحف ومسه وعن الرابع بأن جواز حمل المصحف في الامتعة محله اذا لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال آخرون بحرمة المس دون الحمل واحتجوا بأن المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله وأجيب عنه بأنه غير صحيح لان حمل المصحف أبلغ في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم الاعلى أولى ولان تحريم المصحف اعظامه وحرمته فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فان تحريمه مقصور على الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولو لف كمه على يده وقلب به أوراق المصحف حرم عليه لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك بعود ويحرم كتب شئ من القرآن أو من أسمائه تعالى بنجس أو على نجس ومسه به اذا كان غير معفو عنه ولو خاف على المصحف من حرق أو غرق أو وقوع نجاسة عليه أو وقوعه في يد كافر جاز حمله مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف ولو لم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله مع الحدث ويلزمه أن يتيمم ان وجد التراب ولا تجوز المسافرة بالمصحف الى أرض الكفار اذا خيف وقوعه في أيديهم للنهي عنه في الصحيحين وخرج بالمصحف غيره نحو كتب الفقه والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا أن يكون القرآن أكثر من التفسير أو مساويا له فيحرم الحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى (تنزيل) أي منزل الحكم بالتدريج بحسب الوقائع والتقريب للافهام والتأني والترقية من حال الى حال ومن حكم الى حكم بوسائط الرسل من الملائكة (من رب العالمين) أي الخالق العالم بتربيتهم صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله وأوثر المصدر لان تعلق المصدر بالفاعل أكثر وفي ذلك رد على قول من قال بأن القرآن شعر أو سحر أو كهانة (أفبهذا الحديث) أي القرآن الذي تقدمت أوصافه العالية وهو يتجدد الحكم انزاله وقتا بعد وقت (أنتم مدهنون) أي متهاونون كمن يدهن في الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به قال ابن برجان الادهان والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل والركون الى التجاوز اه قال البقاعي فهو على هذا انكار على من سمع أحدا يتكلم في القرآن بما لا يليق ثم لا يجاهره بالعداوة وأهل الاتحاد كابن عربي الطائي صاحب الفصوص وابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت اليه هذه الآية فانهم تكلموا في القرآن على وجه يبطل الدين أصلا ورأسا ويحله عروة عروة وهما أضر الناس على هذا الدين ومن يتأول لهم أو يناضح عنهم أو يعتذر لهم أو يحسن الظن بهم مخالف للاجماع

مع تأخره في النطق به في قولهم فعل بفعل افعل (قوله مالك السموات

الامة الجس حالا منهم فان مراده ابقاء كلامهم الذى لا أفسد الاسلام منه من غير أن يكون لابقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه اه وجرى ابن المقرى فى روضه على تكفير من شك فى كفر طائفة ابن العربى الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الاتحاد وهو بحسب ما فهمه من ظاهر كلامهم ولكن كلام هؤلاء جار على اصطلاحهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة فى معناه الاصطلاحى مجاز فى غيره والمعتقد منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح وأما من اعتقد ظاهره من جهلة الصوفية الذين لا علم عندهم بل أكثرهم يدعى ان العلم حجاب ومدعى ذلك هو المحجوب فانه يعرف فان استمر على ذلك بعد معرفته صار كافرا فنسال الله تعالى التوفيق والعصمة ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين قال تعالى (وتجعلون رزقكم) أى حظكم ونصيبكم وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله (انكم تكذبون) فتضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية أى لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبى وفيه بيان ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغى ان يروه من قبل الوسايط التى جرت العادة بان تكون اسبابا بل ينبغى ان يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وعن ابن عباس ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا ورواه على بن ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر فقال بعضهم هذه رحمة الله تعالى وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه ايضا ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى سفر فعطشوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان دعوت الله تعالى لكم فسقيتم لعلكم أن تقولوا هذا المطر بنوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من أصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله تعالى فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر الله على رزقه اياكم أنكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا كقول القائل جعلت احسانى اليك اساءة منك الى وجعلت انعامى لديك ان اتخذتنى عدوا قال الشافعى لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيأ من المطر والذى أحب أن يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء أنزل الماء كما يقول أهل الشرك فهو كافر حلال دمه ان لم يتب وحاصله ان اعتقد أن النوء هو الفاعل حقيقة فهو كافر والا فيكره لذلك كراهة تنزيه وسبب الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه انه لا فاعل لشئ فى الحقيقة سواه بقوله تعالى (فلولا) وهى أداة تفهم طلبا بزجر وتوبيخ وتقريع بمعنى فهلا ولم لا (اذا بلغت الحلقوم) أى بلغت الروح منكم ومن غيركم عند الاحتضار الحلقوم أضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة

والارض) قاله هنا بحذف
ما موافقة لقوله بعد
خلق السموات والارض

وفي الحديث ان ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئاً فشيئاً حتى
تنتهي الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت والحلقوم مجرى الطعام في الحلق والحلق مساغ
الطعام والشراب معروف فكان الحلقوم أدنى الحلق الى جهة اللسان (وأنتم) أي والحال
أنكم أيها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له (حينئذ) أي بلغت الروح ذلك
الموضع (تنظرون) أي الى أمري وسلطاني أو الى الميت ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر ولم
يقل تبصرون لئلا يظن ان لهم ادراكاً بالبصر لشيء من البواطن من حقيقة الروح ونحوها
(ونحن) أي والحال أنا نحن بما لنا من العظمة (أقرب اليه) أي المحتضر علماً وقدرة
(منكم) على شدة قربكم منه قال عامر بن قيس ما نظرت الى شيء الا رأيت الله أقرب
اليّ منه (ولكن لا تبصرون) من البصيرة أي لا تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (ان كنتم)
أيها المكذبون بالبعث (غير مدينين) أي مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم
أو مقهورين مملوكين مجزيين محاسبين بما عملتم في دار البلاء التي أقامكم فيها أحكم
الحاكمين من دانه اذا أذله واستعبده وأصل تركيب دان للذل والانقياد قاله البيضاوي
(ترجعونها) أي الروح الى ما كانت عليه (ان كنتم) كوناً ثابتاً (صادقين) فيما زعمتم ولولا
الثانية تأكيد للاولى واذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى أنكم في جحودكم
أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم سحر وافتراء وان أرسل
اليكم رسولاً صادقاً قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطراً يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على
مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه
الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ
المعيد * ثم ذكر تعالى طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من قائل (فأما ان كان)
المتوفى (من المقربين) السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا
مرادين قبل أن يكونوا مريدين وليس القرب قرب مكان لانه تعالى منزه عنه وانما هو
بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسان روحاً خالصاً كالملائكة
لا سبيل الى الحظوظ والشهوات عليه وقوله تعالى (فروح) مبتدأ خبره مقدر قبله أي فله
روح أي راحة ورحمة وما ينشأ من نسيم الريح وقال سعيد بن جبير فله فرح وقال
الضحاك مغفرة ورحمة (وريحان) أي رزق عظيم ونبات حسن بهيج وأزاهير طيبة الرائحة
وقال مقاتل هو بلسان حمير رزق يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه وقيل هو الريحان
الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة
فيشمه ثم تقبض روحه وقال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول
دار القرار (وجنت) أي بستان جامع الفواكه والرياحين (نعيم) أي ذات تنعم ليس
فيها غيره وأهله مقصورون عليه * (تنبيه) * جنت هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن
كثير وأبو عمرو والكسائي فالكسائي بالامالة في الوقف على أصله والباقون بالتاء على
المرسوم (وأما ان كان) المتوفى (من أصحاب اليمين) أي الذين هم في الدرجة الثانية من
أصحاب الميمنة (فسلام لك) أي يا صاحب اليمين من اخوانك (أصحاب اليمين) أي يسلمون

وله ملك السموات والارض
وقاله في الخمر والصفت
والجمعة والذهاب باثباتها

عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما وقال القرطبي فسلام لك من أصحاب اليمين أى لست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله تعالى وقيل المعنى سلام لك منهم أى أنت سالم من الاغتمام لهم والمعنى واحد وقيل أصحاب اليمين يدعون لك يا محمد بان يصلى الله عليك ويسلم وقيل معناه سلمت أيها العبد مما تكره فانك من أصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا بالسلام تكرما وعلى هذا فى محل السلام ثلاثة اقوال احدها عند قبض روحه فى الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام الثانى عند مسئلته فى القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه فى القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل أن يسلم عليه فى المواطن الثلاثة ويكون ذلك اكراما بعد اكرام ٭ ولما ذكر تعالى الصنفين الناجيين اتبعهما الهالكين جامعا لهم فى صنف واحد لان من اريدت له السعادة يكفيه ذلك ومن ختم له بالشقاوة والعياذ بالله تعالى لا ينفعه الاغلاظ والاكثار فقال تعالى (واما ان كان) المتوفى (من المكذبين) الذى أخذناه من اصحاب المشأمة وانتم حوله تتقطعوا اكبادكم له ولا تقدرون له على شئ اصلا (الضالين) أى عن الهدى وطريق الحق (فنزل من حميم) كما قال تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون الى أن قال فشاربون شرب الهيم وقال تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم أى ماء متناه فى الحرارة بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به للقادم ليبرد به غلة عطشه ويغسل به وجهه ويديه (وتصلية جحيم) أى ونزل من تصلية جحيم والمعنى ادخال فى النار وقيل اقامة فى الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه أى جعله يصلاها والمصدر ههنا مضاف الى المفعول كما يقال لفلان اعطاء ماله أى يعطى المال (ان هذا) أى الذى ذكر فى هذه السورة من امر البعث الذى كذبوا به فى قولهم أئنا لمبعوثون ومن قيام الادلة عليه (لهو حق اليقين) اى حق الخبر اليقين اى لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كأنه مشاهد مباشر وقيل انما جاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين ٭ ولما حقق له تعالى هذا اليقين سبب عن أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز فقال تعالى (فسبح) أى أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالصلاة وغيرها بان تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسماء الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه نفسه عنه (باسم ربك) اى المحسن اليك بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك واذا كان هذا الاسم فكيف بما هو له (العظيم) الذى ملأت عظمته جميع الاقطار والاكوان وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لان من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا الكلام الاعز الاكرم لا ينبغى لشائبة نقص أن تلم بجنابه أو تدنو من فنائه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم خرجه ابو داود وعن ابى ذر قال قال لى عليه الصلاة والسلام الا أخبرك باحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان

علا بالاصل (قوله له ملك السموات والارض)

ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا ورواه البيهقي وغيره وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه

سورة الحديد مكية او مدنية

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي أحاطت هيبته بجميع الموجودات (الرحمن) الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بما يرضيه من العبادات ولما ختمت الواقعة بالامر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه فقال تعالى (سبح لله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (ما في السموات) أي الاجرام العالية والذي فيها (والارض) والذي فيها أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للاكثر (وهو) أي وحده (العزيز) الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) أي الذي أتقن كل شيء صنعه وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها (له) أي وحده (ملك السموات والارض) وما فيهما وما بينهما ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر ما هو الآن موجود في الدنيا من أرض مدحية وسماء مبنية وكواكب مضيئة وأفلاك ورياح وسحاب مرئية وغير ذلك مما يحيط به علمه تعالى والملك الباطن الغائب عنا وأعظمه المضاف الى الآخرة وهو الملكوت (يحيي) أي له صفة الاحياء فيحيي ما شاء من الخلق بأن يوجده على صفة الحياة كيف شاء في أطوار بقائها كيف شاء وممن شاء (ويميت) أي له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستمرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الاحياء (وهو على كل شيء) أي من الاحياء والاماتة وغيرهما من كل ممكن (قدير) أي بالغ القدرة (هو) أي وحده (الاول) بالازلية قبل كل شيء فلا أول له والقديم الذي منه وجود كل شيء وليس وجوده من شيء لان كل ما نشاهده متأثر لانه متغير وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متأثر ولا متغير (والآخر) أي بالابدية الذي ينتهي اليه وجود كل شيء في سلسلة الترقي وهو بعد فناء كل شيء باق فلا آخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لان كل ما سواه متغير وكل ما تغير بنوع من التغير جاز اعدامه وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن اعدامه (والظاهر) أي الغالب العلي على كل شيء (والباطن) أي العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقال السدي هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذ عصيته فستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر

ذكره مرتين وليس بتكرار لان الاول في الدنيا لقوله عقبه يحيي ويميت والثاني

وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) أى لكون الاشياء عنده على حد سواء والبطون والظهور انما هو بالنسبة الى الخلق وأما هو سبحانه وتعالى فلا باطن من الخلق عنده بل هم فى غاية الظهور لديه لانه الذى أوجدهم (فان قيل) ما معنى هذه الواوات (أجيب) بان الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة انه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والحاضرة والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس قال الزمخشرى وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وهذا على رأيه الفاسد وهو على رأى المعتزلة المنكرين رؤية الله تعالى فى الآخرة وأما أهل السنة فانهم يثبتون الرؤية للاحاديث الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكييف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن سهل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من فضلك وكان يروى ذلك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (هو) أى وحده (الذى خلق السموات) وجمعها لعلم العرب بتعددها (والارض) أى الجنس الشامل للكل وأفردها لعدم توصلهم الى العلم بتعددها وقال تعالى (فى ستة أيام) أى من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة سنا للتأنى فى الامور وتقدير الايام التى أوترها سابعها الذى خلق فيه الانسان الذى دل يوم خلقه باسمه الجمعة على أنه المقصود بالذات وبانه السابع نهاية المخلوقات وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) أى السرير كناية عن انفراده بالتدبير واحاطة قدرته وعلمه كما يقال فى ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى أنه انفرد بالتدبير وقد لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس وأتى باداة التراخى تنبيها على عظمته (يعلم ما يلج) أى يدخل دخولا يغيب فيه (فى الارض) اى من النبات وغيره من أجزاء الاموات وغيرها وان كان ذلك فى غاية البعد فان الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سواء فى القرب والبعد (وما يخرج منها) كذلك * (تنبيه) * فى التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع فى الخافقين من القوى فصارا بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجددا مستمرا الى حين خرابهما (وما ينزل من السماء) من الوحى والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع التى يوجدها سبحانه وتعالى من مقادير أعمار بنى آدم وأرزاقهم وغيرها من جميع شؤنهم (وما يعرج) أى يصعد ويرتقى ويغيب (فيها) كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها ولم يجمع السماء لان المقصود حاصل بالواحد مع ايهام التعبير به الجنس الشامل للكل (وهو معكم) بالعلم والقدرة أيها الخلق (اينما كنتم) لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال فهو عالم بجميع أموركم وقادر عليكم تعالى الله عن اتصال بالعالم ومماسة أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أى على سبيل التجدد والاستمرار (بصير) أى عالم

بجليله

فى العقبى لقوله عقبه والى الله ترجع الامور (قوله لا يستوى منكم من انفق

بجليله وحقيره فيجازيكم به وقدم الجار لمزيد الاهتمام والتنبيه على تحقيق الاحاطة (له) اى وحده (ملك السموات) وجمع لاقتضاء المقام له (والارض) وأفردها لخفاء تعددها عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه واحاطته بقوله تعالى (والى الله) أى الملك الذى لا كفء له وحده (ترجع) بكل اعتبار على غاية السهولة (الامور) أى كلها حسا بالبعث ومعنى بالابتداء والافناء ودل على ذلك بقوله تعالى (يولج) أى يدخل ويغيب بالنقص والمحو (الليل فى النهار) فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد نمحى بعد شخوصه وطوله وزاد النهار وملأ الضياء الاقطار بعد ذلك الظلام (ويولج النهار) الذى عم الكون ضياؤه (فى الليل) الذى كان قد غاب فى علمه فاذا الظلام قد طبق الآفاق فيزيد الليل والطول الذى كان فى النهار قد صار نقصا (وهو) أى وحده (عليم) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فيها من الاسرار والمعتقدات على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على أصحابها ولما قامت الادلة على تنزيهه سبحانه قال تعالى آمرا بالاذعان له ولرسوله صلى الله عليه وسلم (آمنوا) أى أيها الثقلان (بالله) أى الملك الاعظم الذى لا مثل له (ورسوله) الذى عظمته من عظمته ونزل فى غزوة العسرة وهى غزوة تبوك (وأنفقوا) أى فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) أى من الاموال التى فى أيديكم فانها أموال الله تعالى لانها بخلقه وانشائه لها وانما موّلكم اياها وخولكم بالاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم ولما أمر الله تعالى بالانفاق ووصفه بما سهله سبب عنه ما رغب فيه فقال تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) من أموالهم فى الوجوه التى ندب اليها على وجه الاصلاح على ما دل عليه التعبير بالانفاق (لهم أجر كبير) أى لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق فى أيام استخلافكم قبل عزلكم واتلافكم وخصهم بالذكر بقوله تعالى منكم اضيق فى زمانهم وقيل ان ذلك اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله تعالى (وما) أى وأى شئ (لكم) من الاعذار أو غيرها فى أنكم أو حال كونكم (لا تؤمنون بالله) اى تجددون الايمان تجديدا مستمرا بالملك الاعلى اى الذى له الملك كله والامر كله خطاب للكفار اى لا مانع لكم بعد سماعكم ما ذكر (والرسول) اى والحال ان الذى له الرسالة العامة (يدعوكم) فى الصباح والمساء (لتؤمنوا) اى لاجل أن تؤمنوا (بربكم) الذى أحسن تربيتكم بان جعلكم من أمة هذا النبى الكريم فشرفكم به (وقد) اى والحال انه قد (أخذ ميثاقكم) اى وقع أخذه فصار فى غاية القباحة ترك التوثق بسبب نصب الادلة والتمكين من النظر بابداع العقول وذلك كله منضم الى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه السلام حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف على البناء للمفعول ليكون المعنى من اى آخذ كان من غير نظر الى معين وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف على البناء للفاعل والآخذ هو الله القادر على كل شئ

(من قبل الفتح وقاتل) تقديره
من أنفق وقاتل قبل الفتح
ومن أنفق وقاتل بعده

العالم بكل شئ والحاصل انهم نقضوا الميثاق فى الايمان فلم يؤاخذهم حتى أرسل الرسل (ان كنتم مؤمنين) اى مريدين الايمان فبادروا اليه (هو) أى لاغيره (الذى ينزل) اى على سبيل التدريج والموالاة بحسب الحاجة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى (على عبده) الذى هو أحق الناس بحضرة جماله واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (آيات) أى علامات هى من ظهورها حقيقة أن يرجع اليها ويتعبد بها (بينات) أى واضحات وهى آيات القرآن الكريم (ليخرجكم) اى الله بالقرآن أو عبده بالدعوة (من الظلمات) التى أنتم منغمسون فيها من الحظوظ والنقائص التى جبل عليها الانسان والغفلة الكاملة على تراكم الجهل فمن آتاه الله تعالى العلم والايمان فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه (الى النور) الذى كان له وصف الروح وفطرته الاولى السليمة (وان الله) اى الذى له صفات الكمال (بكم لرؤف رحيم) اى حيث نبهكم بالرسل والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية وقرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى بقصر الهمزة والباقون بالمد وورش على أصله بالمد والتوسط والقصر وليس قصره كقصر أبى عمرو ومن معه وانما قصره كمد قالون ومن وافقه (وما) اى وأى شئ يحصل لكم فى (ألا تنفقوا) اى توجدوا الانفاق للمال (فى سبيل الله) اى فى كل مايرضى الملك الاعظم الذى له صفات الكمال ليكون لكم به وصلة فيخصكم بالرأفة التى هى أعظم الرحمة فانه مابخل أحد عن وجه خير الاسلط الله عليه غرامة فى وجه شر (ولله) أى الذى له صفات الكمال لاسيما صفة الارث المقتضية للزهد فى الموروث (ميراث السموات والارض) أى يرث كل شئ فيهما فلا يبقى لاحد مال فمن تأمل أنه زائل هو وكل مافى يده والموت من ورائه وطوارق الحوادث مطبقة به وعاقل لينقل مافى يده الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ثم بين تعالى التفاوت بين المنفقين منهم فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق) اى أوجد الانفاق فى ماله وجميع قواه وما يقدر عليه (من قبل الفتح) اى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة وهو فتح مكة الذى كان سببا لظهور الدين الحق على الدين كله (وقاتل) سعيا فى انفاق نفسه لمن آمن به قبل الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه وفضل الاول لما ناله اذذاك بالانفاق من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ وفى هذا دليل على فضل أبى بكر فانه أول من أنفق لم يسبقه فى ذلك أحد وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا شديدا أشرف منه على الهلاك روى محمد بن فضيل عن الكلبى ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربى انى عن ربى راض انى عن ربى راض (أولئك) اى المنفقون المقاتلون وهم السابقون الاولون من المهاجرين

لان الاستواء انما يكون بين اثنين فاكثر وانما حذفه لدلالة مابعده عليه

والانصار

والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال (أعظم درجة) وتعظيم الدرجة يكون لعظم صاحبها (من الذين أنفقوا من بعد) أي من بعد الفتح (وقاتلوا) أي من بعد الفتح (وكلا) أي وكل واحد من الفريقين (وعد الله) أي الذي له الجلال والاكرام (الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن عامر برفع اللام على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون بنصبها أي وعد كلا (والله) أي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أي تجددون عمله على الاوقات (خبير) أي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التي هي أرواح صورها (تنبيه) التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدين وقد يكون في أحكام الدنيا فاما التقدم في أحكام الدين فقالت عائشة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وأعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا أبا بكر فليصل بالناس وقال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وقال فليؤمكما أكبركما وأما في أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى (من) وأكد بالاشارة بقوله تعالى (ذا) لاجل ما للنفوس من الشح (الذي يقرض الله) أي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى المستحق ماله لوجه الله تعالى فكأنه أقرضه اياه (قرضا حسنا) أي طيبا خالصا مخلصا فيه متحريا به أفضل الوجوه من غير من وكدر بتسويف وغيره (فيضاعفه له) أي يؤتي أجره من عشرة الى أكثر من سبعمائة كما ذكره في البقرة الى ما شاء الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن أن يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال زيد بن أسلم هو النفقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقرأ ابن عامر وعاصم بنصب الفاء بعد العين والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر بغير ألف بعد الضاد وتشديد العين والباقون بألف بعد الضاد وتخفيف العين (وله) أي للمقرض زيادة على ذلك (أجر) لا يعلم قدره الا الله تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى (كريم) أي حسن طيب زاك تام وقوله تعالى (يوم) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر أي واذكر يوم (ترى) أي بالعين (المؤمنين والمؤمنات) أي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة (يسعى نورهم) أي ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى معهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة والثاني نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازي وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود

(قوله أولئك هم الصديقون والشهداء) سماهم شهداء تغليبا أو المراد أن لهم أجر

يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) أي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان * (تنبيه) * بشراكم اليوم مبتدأ واليوم ظرف وقوله تعالى (جنات) خبره على حذف مضاف أي دخول جنات وهو المبشر به ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به بقوله (تجري من تحتها الانهار) ثم آمنهم من خوف الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) أي خلود الا آخر له لان الله تعالى أورثهم ذلك فلا يورث عنه لان الجنة لا موت فيها (ذلك) أي هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنات الخالدة (هو الفوز العظيم) أي الذي ملأ بعظمته جميع جهاتهم * ولما شرح تعالى حال المؤمنين في موقف القيامة أتبع ذلك بشرح حال المنافقين بقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات) وهم المظهرون الايمان المبطنون الكفر * (تنبيه) * يوم بدل من يوم ترى او منصوب باذكر (للذين آمنوا) أي ظاهرا وباطنا (انظرونا) أي انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيؤن به وقرأ حمزة بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء وأما الوقف على آمنوا والابتداء بانظرونا فحمزة على حاله كما يقرأ في الوصل والباقون بضم همزة الوصل في الابتداء والظاء على حالها من الضم (نقتبس) أي نستضئ (من نوركم) أي هذا الذي نراه لكم ولا يلحقنا منه شئ كما كنا في الدنيا نرى ايمانكم بما نرى من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشئ جزاء وفاقا وذلك لان الله تعالى يعطي المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله تعالى ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه الآية مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس الشعلة من النار أو السراج قال ابن عباس وأبو امامة يغشى الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي أظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون فيه وقال الكلبي بل يستضئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل) لهم جوابا لسؤالهم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون أي قول رد وتوبيخ وتهكم وتنديم (ارجعوا وراءكم) أي ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور (فالتمسوا نورا) هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا والتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخييب واقناط لهم وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها ولما كان التقدير فرجعوا أو فقاموا في الظلمة سبب عنه وعقب قوله تعالى (فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أي حائط حائل بين شق الجنة وشق النار (له) أي لذلك السور (باب) موكل به حجاب لا يفتحون الا لمن أذن له الله تعالى من المؤمنين لما يهديهم اليه من نورهم الذي بين ايديهم بشفاعة أو نحوها

باطنه

الشهداء والا فبعضهم لم يقتل حتى يكون شهيدا
(قوله ما اصاب من مصيبة

(باطنه) أي ذلك السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة من جهة الذين آمنوا جزاء لايمانهم الذي هو غيب (فيه الرحمة) وهي ما لهم من الكرامة لانه يلي الجنة التي هي ساترة تبطن من فيها باشجارها او باستارها كما كانت بواطنهم ملآنة رحمة (وظاهره) اى ما ظهر لاهل النار (من قبله) اى من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار لانه يليها الاقتصار اهلها على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ الى باطن وروى عن عبد الله بن عمر أن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وقيل السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين (ينادونهم) اى ينادي المنافقون الذين آمنوا او يترفقون لهم (الم نكن معكم) اى في الدنيا نصلي ونصوم فنستحق المشاركة فيما صرتم اليه بسبب ذلك الذي كنا معكم فيه (قالوا) اى الذين آمنوا (بلى) اى كنتم معنا في الظاهر (ولكنكم فتنتم انفسكم) أي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) اى بالايمان والتوبة وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) اى شككتم في الدين وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيما أوعدكم به (وغرتكم الاماني) اى ما تمنون من الارادات التي معها شهوة عظيمة من الاطماع الفارغة التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء (حتى جاء امر الله) اى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفء له ولا خلف وقرأ قالون وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وايضا لهما ابدالها والباقون بتحقيقهما واما الالف بعد الميم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفتح واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الثانية مع المد والتوسط والقصر (وغركم بالله) اى الملك الذي له جميع العظمة (الغرور) اى من لا صنع له الا الكذب وهو الشيطان فانه يزين لكم بغروره التسويف ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وماذا عسى ان تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم محسن وحليم ونحو ذلك فلا يزال حتى يوقع الانسان فاذا اوقعه واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده (فاليوم) اى بسبب افعالكم تلك (لا يؤخذ منكم فدية) اى نوع من انواع الفداء وهو البدل والعوض النفس على اى حال كان من قلة او كثرة لان الاله غني وقد فات محل العمل الذي شرعه لكم لانقياد انفسكم وقرأ ابن عامر بالتاء الفوقية على التانيث والباقون بالتحتية على التذكير (ولا من الذين كفروا) اى الذين اظهروا كفرهم ولم يستروه كما سترتموه انتم لمساواتكم لهم في الكفر واغا عطف الكافر على المنافق وان كان المنافق كافرا في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) اى منزلكم ومسكنكم لا مقر لكم غيرها تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الاولياء باقبالكم على الشهوات واضاعة حقوق ذوي الحاجات وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وورش لا يبدل هذه الهمزة ثم اكد ذلك بقوله تعالى (هي) اى لا غيرها

في الارض ولا في انفسكم) قاله هنا وقال في التغابن ما اصاب من مصيبة الا

(مولاكم) اى هى اولى بكم وانشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه ● مولى المخافة خلفها وأمامها

والشاهد فى مولى المخافة فولى بمعنى أولى والفرجان الجانبان وهو الخلف والقدام وهو وصف بقرة وحشية أى غدت على حالة كلا جانبيها مخوف وحقيقته فى الآية محرا كم بجاء مهملة وراء أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان كقول القائل انه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا أعمال اهل النار ولما كان التقدير بئس المولى هى عطف عليه قوله تعالى (وبئس المصير) أى هذه النار واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ألم يأن) أى يحن ويدرك وينتهى الى الغاية (للذين آمنوا) أى أقروا بالايمان (أن تخشع) أى تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمئن قلوبهم (لذكر الله) أى الملك الاعظم الذى لا خير الا منه فيصدق فى ايمانه من كان كاذبا ويقوى فى الدين من كان ضعيفا فيعرض عن الفانى ويقبل على الباقى ولا يطلب لداء دينه دواء ولا لمرض قلبه شفاء فى غير القران فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن الحسن أما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤن من القران أقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وقيل كانوا مجهدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم وقال هكذا كنا حتى قست القلوب وقال الشاعر

ألم يأن لى يا قلب أن تترك الجهلا ● وأن يحدث الشيب المنير لنا عقلا

وقوله تعالى (وما نزل من الحق) أى القرآن عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر لان القرآن جامع للامرين للذكر والموعظة أو أنه حق نازل من السموات ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاى والباقون بالتشديد وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) اى قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى معطوف على تخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله تعالى (فطال عليهم الامد) اى الاجل لطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم (فقست) اى بسبب الطول (قلوبهم) اى صلبت واعوجت بحيث لا تنفعل بالطاعات والخير فكانوا كل حين فى تعنت جديد على انبيائهم عليهم السلام يسألونهم المقترحات واما بعد انبيائهم فابعدوا فى القساوة فالوا الى دار الكدر واعرضوا عن دار الصفاء فانجروا الى الهلاك باتباع الشهوات قال القشيرى وقسوة القلب انما تحصل باتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وعن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاقرؤه ولا تطيلوا عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب

باذن الله فصل هنا واجل
ثم موافقة لما قبله ما
لانه فصل هنا بقوله اعلموا

من كان قبلكم (وكثير منهم) أخرجته قساوته عن الدين أصلاً ورأساً فهم (فاسقون) أى
عريقون فى صفة الاقدام على الخروج من دائرة الحق التى حدها لهم الكتاب حتى تركوا
الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقوله تعالى (اعلموا أن الله) أى الملك الاعظم
الذى له الكمال كله فلا يعجزه شئ (يحيى) أى على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه (الارض)
أى بالنبات (بعد موتها) أى يبسها تمثيل لاحياء الاموات بجميع أجسادهم وافاضة الارواح
عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام أول مرة ولاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجوا رحمته لاحياء القلوب فانه قادر على احيائها بروح
الوحى كما أحيا الارض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الارض
بالماء رابية بعد خشوعها وموتها ولما انكشف الامر بهذه غاية الانكشاف أنتج قوله تعالى
(قد بينا) أى على ما لنا من العظمة (لكم الآيات) أى العلامات النيرات (لعلكم تعقلون)
أى لتكونوا عند من يعلم ذلك ويسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد
لكم من فهمه على سبيل التواصل الدائم بالاستمرار وقرأ (ان المصدقين) اى العريقين فى هذا
الوصف من الرجال (والمصدقات) أى من النساء ابن كثير وشعبة بتخفيف الصاد فيهما من
التصديق بالايمان والباقون بالتشديد فيهما من التصدق أدغمت التاء فى الصاد أى الذين
تصدقوا وقوله تعالى (وأقرضوا الله) أى الذى له الكمال كله عطف على معنى الفعل فى
المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا
وأقرضوا الله (قرضاً حسناً) أى بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والنفقة
فى سبيل الخير وحسنه كما قاله الرازى أن يصرف بصره عن النظر الى فعله والنفقة والامتنان به
وطلب العوض عليه (يضاعف) اى ذلك القرض (لهم) من عشرة الى سبعمائة كما مر لان
الذى كان له القرض كريم وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد العين ولا ألف بينها وبين الضاد
والباقون بتخفيف العين وبينها وبين الضاد ألف (ولهم) اى مع المضاعفة (أجر كريم) أى
ثواب حسن وهو الجنة والنظر الى وجهه الكريم ثم بين سبحانه وتعالى الحامل على الصدقة
ترغيباً فيه وهو الايمان فقال تعالى (والذين آمنوا) اى اوجدوا هذه الحقيقة العظيمة فى
أنفسهم (بالله) أى الملك الاعلى الذى له الجلال والاكرام (ورسله) أى كلهم لاجل ما لهم من
النسبة اليه فمن كذب واحداً منهم لم يكن مؤمناً بالله تعالى (أولئك) أى هؤلاء العالو الرتبة (هم
الصديقون) أى الذين هم فى غاية الصدق والتصديق لما يحق له أن يصدقه من سمعه وقال
القشيرى الصديق من استوى ظاهره وباطنه ويقال هو الذى يحمل الامر على الاشق ولا ينزل
الى الرخص ولا يجنح للتأويلات وقال مجاهد كل من آمن بالله تعالى ورسله عليهم السلام فهو
صديق وتلا هذه الآية وقال الضحاك الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل
الارض فى زمانهم الى الاسلام أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ألحقه الله تعالى بهم لما عرف من صدق نيته صلى
الله عليه وسلم وعلى آله واختلف فى نظم قوله تعالى (والشهداء عند ربهم) اى المحسن اليهم
بالتربية لتلك الرتبة العالية فمنهم من قال هى متصلة بما قبلها والواو للنسق وأراد

انما الحيوة الدنيا الآية بخلافه ثم (قوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا

بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال الضحاك هم التسعة الذين سميناهم رضي الله عنهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا هذه الآية وقال قوم تم الكلام عند قوله تعالى هم الصديقون ثم ابتدأ بقوله تعالى والشهداء فهو مبتدأ وخبره (لهم أجرهم) أي جعله ربهم لهم (ونورهم) أي الذي زادهم من فضله برحمته فالواو للاستئناف وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وجماعة ثم اختلفوا فيهم فمنهم من قال هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول مقاتل ابن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله عز وجل * ولما ذكر تعالى أهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالدينا ومحبينا منهم جامعا الاصناف هم اتبعهم أهل الشقاوة كذلك بقوله تعالى (والذين كفروا) أي ستروا ما دلت عليه الادلة (وكذبوا بآياتنا) أي على ما لها من العظمة بنسبتها الينا (أولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (أصحاب الجحيم) أي النار التي هي غاية في توقدها وفي ذلك دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا وأما غيرهم من العصاة فدخولهم فيها ليس على وجه الصحبة الدالة على الملازمة * ولما ذكر تعالى حال الفريقين في الآخرة حقر امر الدنيا بقوله تعالى (اعلموا) اي ايها العباد المبتلون بحب الدنيا (انما الحيوة الدنيا) اي الحاضرة التي رغب في الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مزيدة للتأكيد أي الحياة في هذه الدار (لعب) اي لعب لا ثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان (ولهو) اي شيء يفرح به الانسان فيلهيه أي يشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو الفتيان ثم أتبع ذلك أعظم ما يلهي في الدنيا بقوله تعالى (وزينة) اي شيء يبهج العين ويسر النفس كزينة النسوان واتبعها ثمرتها بقوله تعالى (وتفاخر بينكم) أي كتفاخر الاقران يفتخر بعضهم على بعض ويجر ذلك الى الحسد والبغضاء واتبع ذلك بما يحصل به الفخر بقوله تعالى (وتكاثر) أي من الجانبين كتكاثر الرهبان (في الاموال) أي التي لا يفتخر بها الا أحمق لكونها مائلة (والاولاد) اي التي لا يفتخر بها الا سفيه لانها زائلة وآفاتها هائلة وانما هي فتنة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره ثم ذلك كله قد يكون ذهابه عن قريب فيكون على اضداد ما كان عليه فيكون أشد في الحسرة ثم في آخر ذلك يموت فاذا هو قد اضمحل أمره ونسي عما قليل ذكره وصار ماله لغيره وزينته لغيره فالدنيا حقيرة وأحقر منها طالبها لانها جيفة وطالب الجيفة ليس له خطر وأخسهم من يبخل بها وقال علي لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فارة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال واما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال والله ان المرأة لتزين أحسنها فيراد منها اقبحها اه ويناسب بعض ذلك قول الشاعر

خير لباسهم انسجات دود * وخير شرابهم قيء الذباب
وأشهى ما ينال المرء فيها * مبال في مبال مستطاب

فرحوا بما آتانا لم ليس المراد به الانهاء عن الحزن والفرح الذين لا ينفك

قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا اهـ اي وأما الطاعات وما يعين عليها فمن امور الآخرة * ثم ضرب الله للدنيا مثلا بقوله تعالى (كمثل) أي هذا الذي ذكرته من أمرها يشبه مثل (غيث) اي مطر حصل بعد جدب وسوء حال (أعجب الكفار) اي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث كما يستر الكافر حقيقة أنوار الايمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان (نباته) اي نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى (ثم يهيج) أي ييبس فيتم جفافه فيحين حصاده (فتراه) أي عقب كل ذلك وبالقرب منه (مصفرا) أي على حالة لا نمو بعدها (ثم) أي بعد تناهي الجفاف (يكون) أي كونا كأنه مطبوع عليه (حطاما) أي فتاتا يضمحل بالرياح * ولما ذكر تعالى الظل الزائل ذكر اثره الثابت الدائم مقسما له الى قسمين فقال تعالى (وفي الآخرة عذاب شديد) أي على من آثر الدنيا وأخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة هذا أحد القسمين وأما القسم الآخر فهو ما ذكره بقوله تعالى (ومغفرة) أي ولمن أقبل على الآخرة ورفض الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة (من الله) اي الملك الاعظم (ورضوان) اي في جنة عالية تفضلا منه تعالى ورحمة * وقوله جل وعلا (وما الحيوة الدنيا) اي لكونها تشغل بزينتها مع انها زائلة (الا متاع الغرور) أي هو في نفسه غرور لا حقيقة له الا ذلك لانه لا يسر بقدر ما يضر تأكيدا لما سبق قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا ألهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة * ثم أرشدهم الله تعالى الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والآخرة بقاء وكمال بقوله تعالى (سابقوا) أي سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار (الى مغفرة) أي ستر لذنوبكم عينا وأثرا (من ربكم) أي المحسن اليكم بانواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقال الكلبي سارعوا بالتوبة لانها تؤدي الى المغفرة وقال مكحول هي التكبيرة الاولى مع الامام وقيل الصف الاول (وجنة) اي وبستان هو من عظم أشجاره واطراد انهاره بحيث يستر داخله (عرضها كعرض السماء والارض) أي السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقال مقاتل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من الجنان وسأل عمر ناس من اليهود اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال لهم أرأيتم اذا جاء الليل اين يكون النهار واذا جاء النهار اين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه انه حيث شاء الله وهذا عرضها ولا شك ان الطول ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في أنفسهم وأفكارهم واكثر ما يقع في أنفسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس (اعدت) اي هيئت هذه الجنة الموعود بها وفرغ من امرها بايسر امر (للذين آمنوا) اي اوقعوا هذه الحقيقة (بالله) اي الذي له جميع العظمة لاجل ذاته مخلصين له الايمان (ورسله) فلم يفرقوا بين احد منهم وفي هذا اعظم رجاء واقوى امل

عنهما لان الانسان بطبعه بل المراد الحزن المخرج لصاحبه الى الذهول عن

لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله تعالى في سياق الآية (ذلك) اى الفضل العظيم جدا (فضل الله) اى الملك الذى لا كفء له فلا اعتراض عليه (يؤتيه من يشاء) فبين انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله لا بعمله لما روى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احد منكم عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل رحمته ولا ينافى ذلك قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان الباء فى الحديث عوضية وفى الآية سببية (فان قيل) يلزم على هذا ان يقطع بحصول الجنة لجميع العصاة وان يقطع بانه لا عقاب عليهم (اجيب) بانا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنفى العقاب عنهم لانهم اذا عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة بقوا فيها ابد الآباد فكانت معدة لهم (والله) اى والحال ان الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الامر كله (ذو الفضل العظيم) اى الذى جل أن تحيط بوصفه العقول (ما اصاب من مصيبة فى الارض) أى من قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات وغلاء الاسعار وتتابع الجوائح وغير ذلك (ولا فى أنفسكم) أى من الامراض والفقر وذهاب الاولاد وضيق العيش وغير ذلك (الا فى كتاب) أى مكتوبة فى اللوح المحفوظ مثبتة فى علم الله تعالى (من قبل ان نبرأها) أى نخلق ونوجد ونقدر المصيبة فى الارض والانفس وهذا دليل على ان اكتساب العباد بخلقه سبحانه وتعالى وتقديره (ان ذلك) أى الامر الجليل وهو علمه بالشئ وكتبه له على تفاصيله قبل أن يخلقه (على الله) أى الملك من الاحاطة بصفات الكمال (يسير) لان علمه محيط بكل شئ فقدرته شاملة لايعجزها شئ ثم بين ثمرة اعلامه بذلك بقوله تعالى (لكيلا) أى اعلمناكم بانا على مالنا من العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تاخير ولا تبديل ولا تغيير لا الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ويجمعه كما قال صلى الله عليه وسلم يامعاذ ليقل همك ماقدر يكن لاجل أن لا (تأسوا) اى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا على مافى أصل الجبلة فربما جر ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضاء (على مافاتكم) أى من المحبوبات الدنيوية (ولا تفرحوا) أى تسروا سرورا يوصلكم الى البطر بالتمادى على مافى أصل الجبلة وقوله تعالى (بما آتاكم) قرأه أبو عمرو بقصر الهمزة أى جاءكم منه والباقون بالمد أى اعطاكم قال جعفر الصادق رضى الله عنه مالك تاسف على مفقود ولا يرده عليك الفوت ومالك تفرح بموجود ولا يتركه فى يدك الموت اه ولقد عزى الله تعالى المؤمنين رحمة بهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بان اسفهم على فوت المطلوب لايعيده وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيده وبان ذلك لا مطمع فى بقائه الا بادخاره عند الله تعالى وذلك بان يقول المصيبة قدر الله تعالى وماشاء فعل ويصبر وفى النعمة هكذا اقضى وما أدرى ما آله هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام أكفر فلا يزال خائفا عند النعمة قائلا فى الحالين ماشاء الله تعالى كان ومالم يشأ لم يكن وأكمل من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه فى كلتا الحالتين وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته كما اشار اليه القشيرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس من أحد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهى عنهما هما اللذان تتعدى فيهما الى مالا يجوز (والله) أى الذى له صفات الكمال (لا يحب) أى لا يفعل فعل المحب

الصبر والتسليم لامر الله والفرح المنهى عن الشكر نعوذ بالله منهما

بان

بأن يكرم (كل مختال) أي متكبر نظرا الى ما في يده من الدنيا (فخور) أي به على الناس قال القشيري الاختيال من بقايا النفس ورؤية الفخر من رؤية خطر ما به يفتخر وقوله تعالى (الذين يبخلون) بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال يضن به غالبا (ويأمرون الناس) أي كل من يعرفونه (بالبخل) ارادة أن يكونوا لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى (ومن يتول) أي يكلف نفسه الاعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير والاقبال على الله تعالى (فان الله) الذي له جميع صفات الكمال (هو) أي وحده (الغني الحميد) لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني أي عن ماله وعن انفاقه وكل شيء مفتقر اليه وهو مستحق للحمد سواء أحمده الحامدون أم لا (لقد ارسلنا) أي بما لنا من العظمة (رسلنا) أي الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ومن الانبياء الى الامم (بالبينات) أي الحجج القواطع (وأنزلنا) أي بعظمتنا التي لا شيء أعلى منها (معهم الكتاب) أي الكتب المتضمنة للاحكام وشرائع الدين (والميزان) أي العدل وقيل الآلة روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس بالقسط) أي ليتعاملوا بينهم بالعدل (وانزلنا) أي خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القوة (الحديد) أي المعروف على وجه من القوة والصلابة واللين فلذلك سمى ايجاده انزالا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد وروى من آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة أقعها أي حددتها وفي الصحاح الميقعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروى ومعه المبرد والمسحاة وعن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أنزل اربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس طولها عشرة أذرع مع طول موسى والحديد وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك ان أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه (فيه بأس) أي قوة وشدة (شديد) أي قوة شديدة فمنه جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب (ومنافع للناس) بما يعمل منه من مرافقهم لتقوم أحوالهم بذلك قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد آلتها وقال مجاهد يعني جنة وقيل انتفاع الناس بالماعون الحديد كالسكين والفاس ونحو ذلك وروى أن الحديد أنزل في يوم الثلاثاء فيه بأس شديد أي مهراق الدماء ولذلك نهى عن الفصد والحجامة في يوم الثلاثاء لانه يوم يجري فيه الدم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان في يوم الثلاثاء ساعة لا يرقأ فيها الدم وقوله تعالى (وليعلم الله) أي الذي له جميع العظمة علم شهادة لاجل اقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم عطف على قوله تعالى ليقوم الناس أي لقد أرسلنا رسلنا وفعلنا كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله (من ينصره) أي ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره وقوله تعالى (ورسله) عطف على مفعول ينصره أي وينصر رسله وقوله تعالى

(قوله وأنزلنا معهم الكتاب والميزان) المراد بالميزان العدل أو العقل

(بالغيب) حال من هاء ينصره أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس رضي الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله) أي الذي له العظمة كلها (قوي) أي فهو قادر على اهلاك جميع أعدائه وتاييد من ينصره من أوليائه (عزيز) فهو غير مفتقر الى نصرة أحد وانما دعا عباده الى نصرة دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من أراد بامتثال المأمور ويعذب من يشاء بارتكاب المنهي لبناء هذه الدار على حكمة ربط المسببات بالاسباب ❊ ولما أجمل الرسل في قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا فصل هنا ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب فقال تعالى (ولقد أرسلنا) أي بما لنا من العظمة (نوحا) وهو الاب الثاني وجعلنا الاغلب على رسالته مظهر الجلال (وابراهيم) وهو أبو العرب والروم وبني اسرائيل الذي أكثر الانبياء من نسله وجعلنا الاغلب على رسالته تجلي الاكرام (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (في ذريتهما النبوة) فلا يوجد نبي الا من نسلهما (والكتاب) أي الكتب الاربعة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة والضمير في قوله تعالى (فمنهم مهتد) يعود على الذرية لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة أرسلنا اي هو بعين الرضا منا وهو من لزم طريقة الاصفياء وان كان من اولاد الاعداء (وكثير منهم) اي المذكورين (فاسقون) أي هم بعين السخط وان كانوا من اولاد الاصفياء والمراد بالفاسق ههنا الكافر لانه جعل الفساق ضد المهتدين وقيل هو الذي ارتكب الكبيرة سواء أكان كافرا أم لم يكن لاطلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره (ثم قفينا) أي اتبعنا بما لنا من العظمة (على آثارهم) أي الابوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل أو عاصرهما منهم (برسلنا) أي فارسلناهم واحدا في اثر واحد كموسى والياس وداود وغيرهم ولا يعود الضمير على الذرية لانها باقية مع الرسل وبعدهم وأيضا الرسل المقفى بهم من الذرية (وقفينا) أي اتبعنا بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تندرس (بعيسى ابن مريم) وهو من ذرية ابراهيم من جهة أمه وهو آخر من جاء قبل النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام فامته أولى الامم باتباعه صلى الله عليه وسلم (وآتيناه) أي بما لنا من العظمة (الانجيل) كتابا ضابطا لما جاء به مقيما لملته مبشرا بالنبي العربي موضحا الامر مكثرا من ذكره (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه (رأفة) أي أشد رقة على من كان ينسب الى الاتصال بهم (ورحمة) أي رقة وعطفا على من لم يكن له سبب في الاتصال بهم كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع ان قلوبهم في غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين متوادين بعضهم لبعض وقوله تعالى (ورهبانية) منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر وهو قوله تعالى (ابتدعوها) قال أبو علي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فتكون المسئلة من باب الاشتغال والى هذا نحا الفارسي والزمخشري وأبو البقاء وجماعة الا أن هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو مخلوق له فالرحمة والرأفة لما كانتا من فعل الله تعالى نسب خلقهما اليه والرهبانية لما لم تكن من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستقل بفعلها نسب ابتداعها اليه وقيل ان رهبانية معطوفة على رأفة ورحمة وجعل اما بمعنى خلق أو بمعنى صيروا بتدعوها على

وقيل هو الميزان المعروف أنزله جبريل عليه السلام فدفعه الى نوح

هذا

هذا صفة الرهبانية وانما خصت بذكر الابتداع لان الرأفة والرحمة فى القلب أمر غريزى
لا تكلف للانسان فيه ما بخلاف الرهبانية فانها أفعال البدن وللانسان فيها تكسب لكن أبو
البقاء منع هذا بان ما جعله الله تعالى لا يبتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صح
ذلك فيها والمراد من الرهبانية ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين كافا زائدة
على العبادات التى كانت واجبة عليهم من الخلو واللباس الخشن والاعتزال عن النساء
والتعبد فى الكهوف والغيران يروى ان ابن عباس رضى الله عنهما قال فى أيام الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم غير الملوك التوراة والانجيل فساح نفر وبقى نفر قليل فترهبوا وتبتلوا
قال الضحاك ان ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فانكرها عليهم من
كان بقى على منهاج عيسى فقتلوهم فقال قوم بقى بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا
المقام بينهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التى ابتدعوها رفض
النساء واتخاذ الصوامع وفى خبر مرفوع هى لحوقهم بالبرارى والجبال وقوله تعالى (ما كتبناها)
صفة لرهبانية ويجوز أن يكون استئناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناه ما فرضناها (عليهم)
ولا أمرناهم بها فى كتابهم ولا على لسان رسولهم وقوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) أى الملك
الاعظم استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل مما هو مفعول
من أجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشئ من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى
قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة الله (فما رعوها حق رعايتها) أى ما قاموا بها حق
القيام بل ضموا اليها التثليث وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملكهم وبقى على دين عيسى
كثير منهم وآمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (فآتينا) أى بما لنا من صفات الكمال (الذين آمنوا)
أى بالنبى صلى الله عليه وسلم (منهم أجرهم) أى اللائق بهم وهو الرضوان المضاعف (وكثير منهم)
أى من هؤلاء الذين ابتدعوها فضيعوا (فاسقون) أى مارقون فى وصف الخروج عن الحدود
التى حدها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام روى البغوى
بسنده عن ابن مسعود أنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود
اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم فرقة غزت الملوك
وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم يكن لها طاقة بمعاداة الملوك ولا أن يقيموا بين أظهرهم
فدعوهم الى دين الله تعالى ودين عيسى عليه السلام فساحوا فى البلاد فترهبوا وهم الذين قال
الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم من آمن بى
وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون وعن ابن
مسعود أيضا قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن أم عبد هل
تدرى من أين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة
بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزموا أهل الايمان ثلاث مرار فلم يبق
منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء قتلونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه فتعالوا نتفرق فى
الارض الى أن يبعث الله تعالى النبى الذى وعدنا عيسى عليه السلام يعنون محمدا صلى الله
عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا

عليه السلام وقال لهم ... قوم لن يزنوا به (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

قوله فرقة غزت الملوك الخ هكذا بالنسخ التى بايدينا وليس فيه الفرقة الثالثة فليحرر اهـ مصحح

هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى قوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني من ثبت عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله تعالى وعن ابن عباس قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله تعالى فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل والا ما بدلوا منهما فقالوا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بارض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه السلام وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء مرضاة الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا وصدقوا فقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي بموسى وعيسى عليهما السلام ايمانا صحيحا (اتقوا الله) أي خافوا عقاب الملك الاعظم (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم ايمانا مضموما الى ايمانكم بمن تقدمه هذا اذا كان خطابا لمؤمني أهل الكتاب وأما اذا كان خطابا للمؤمنين من أهل الكتاب وغيرهم فالمعنى آمنوا برسوله ايمانا مضموما الى ايمانكم بالله تعالى فانه لا يصح الايمان بالله الا مع الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) أي يثبكم على اتباعه (كفلين) أي نصيبين ضخمين (من رحمته) يحصنانكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع وهو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز وهذا التحصين لاجل ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع الآصار ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقال أبو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وقال ابن زيد كفلين أجر الدنيا وأجر الآخرة وعن أبي موسى الاشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده (ويجعل لكم) أي مع ذلك (نورا) مجازيا في الدنيا من العلوم والمعارف القلبية وحسيا في الآخرة بسبب العمل (تمشون به) أي مجازا في الدنيا بالتوفيق للعمل وحقيقة

قوله والا فما بدلوا هكذا بالنسخ التي معنا والذي في حاشية العلامة الجمل نقلا عن الخازن الا ما بدلوا بغيروا وفاة فليتأمل اه مصحح

قوله (وآمنوا برسوله) ان قلت كيف قال ذلك مع ان المؤمنين مؤمنون برسوله

فى الآخرة بسبب العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس هو القرآن وقال الزمخشرى هو النور المذكور فى قوله تعالى نورهم يسعى وقيل يمشون فى الناس يدعونهم الى الاسلام فيكونون رؤساء فى دين الاسلام لا تزول عنكم رياستكم فيه وذلك أنهم خافوا ان تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله تعالى لا الرياسة الحقيقية فى الدين (ويغفر لكم) اى ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل وجد (والله) اى المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) اى بليغ المحو للذنوب عينا وأثرا (رحيم) أى بليغ الاكرام لمن يغفر له ويوفقه للعمل بما يرضيه ولما بلغ من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين اما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا ومن لم يؤمن منا فله أجره كأجوركم فما فضلكم علينا فأنزل الله تعالى (لئلا يعلم) اى ليعلم ولا زائدة للتأكيد (أهل الكتاب) الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أن) مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان والمعنى انهم (لا يقدرون على شئ) فى زمن من الازمان (من فضل الله) أى الملك الاعلى فلا أجر لهم ولا نصيب فى فضله ان لم يؤمنوا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من اهل الكتاب المؤمنين منهم فنزلت هذه الآية وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبى يقطع الايدى والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت الآية وروى ان مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبى من رزق الله وقيل نعم الله تعالى التى لا تحصى (وان) اى وليعلموا أن (الفضل) اى الذى لا يحتاج اليه من هو عنده (بيد الله) الذى له الامر كله (يؤتيه من يشاء) لانه قادر مختار فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين (والله) اى الذى أحاط بجميع صفات الكمال (ذو الفضل العظيم) اى مالك له ملكا لا ينفك ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه أصلا فلذلك يخص من يشاء بما يشاء روى البخارى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس أعطى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال أهل التوراة ربنا هؤلاء أقل عملا واكثر أجرا قال هل ظلمتكم من اجركم شيأ قالوا لا قال فذلك فضلى أوتيه من أشاء وفى رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفى رواية انما أجلكم فى اجل من كان قبلكم خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس

(قلت) معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم

ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى أوتيه من شئت وعن ابى موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين من بعدهم فقال اكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل وذلك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقى من النهار شئ يسير فأبوا فاستأجر آخرين على ان يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كلاهما فذلك مثلهم ومثل ما بقوا من هذا النور ٭ وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله حديث موضوع

سورة المجادلة مدنية

فى قول الجميع الارواية عن عطاء الا العشر الاول منها مدنى وباقيها مكى وقال الكلبى نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم نزلت بمكة وهى ثنتان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبعمائة واثنان وسبعون حرفا (بسم الله) الذى تمت قدرته وكملت جميع صفاته (الرحمن) الذى شمل الخلائق جودا بالايجاد وارسال الهداة (الرحيم) الذى خص اصفياءه فتمت عليهم نعمة مرضاته ونزل فى خولة بنت ثعلبة وكانت تحت أوس بن الصامت وكان قد ظاهر منها (قد سمع الله) أى اجاب بعظيم فضله الذى أحاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات (قول التى تجادلك) أى تراجعك أيها النبى (فى زوجها) المظاهر منها روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مر بها فى خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستنى من أول النهار الى آخره لازلت الا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك الذى وسع سمعه كل شئ انى لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تقول يا رسول الله أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم انى أشكو اليك فما برحت حتى نزل بهذه الآية قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية وروى أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه أمرها فلما انصرفت أرادها فأبت فغضب عليها قال عروة وكان امرأ به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت على كظهر أمى وكان الايلاء والظهار من الطلاق فى الجاهلية فسألت النبى صلى

فيكون خطابا لاهل الكتاب خاصة اومعناه يا أيها الذين آمنوا يوم

قوله الارواية عن عطاء الا العشر كذا فى النسخ التى بايدينا وفى حاشية الجمل الارواية عن عطاء ان اه فما هنا تحريف من النساخ اه مصححه

الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب فى فلما علا سنى ونثرت بطنى أى كثر ولدى جعلنى عليه كأمه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت والله ماذكر طلاقا وانه أبو ولدى وأحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى ووحدتى فقد طالت صحبتى ونفضت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا حرمت عليه أو أومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فانزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار فى الاسلام فأنزل الله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت قال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الاربع آيات فقال له هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله انى ان اخطأنى أن آكل فى اليوم مرة أو مرتين لكل بصرى واظننت انى أموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعيننى منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها مريه أن يعتق رقبة فقالت أى رقبة والله لا يجد رقبة وماله خادم غيرى فقال مريه أن يصوم شهرين فقالت والله ما يقدر على ذلك انه يشرب فى اليوم كذا كذا مرة فقال مريه فليطعم ستين مسكينا فقالت أنى له ذلك (وتشتكى) اى تتعمد بتلك المجادلة الشكوى منتهية (الى الله) أى سؤال الملك الاعظم الرحمة الذى أحاط بكل شئ علما (فان قيل) ما معنى قد فى قوله تعالى قد سمع (أجيب) بان معناها التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله تعالى مجادلتها وشكواها وينزل فى ذلك ما يفرج عنها الصدقها فى شكواها وقطع رجائها فى كشف ما بها من غير الله ان الله تعالى يكشف كربتها (والله) اى والحال أن الذى وسعت رحمته كل شئ لان له الامر كله (يسمع تحاوركما) أى تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (ان الله) أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال (سميع) اى بالغ السمع لكل مسموع (بصير) اى بالغ البصر لكل ما يبصر فهما صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة وهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما ه ولما أتم تعالى الخبر عن احاطة العلم استأنف الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال تعالى (الذين يظهرون) اى يوجدون الظهار فى أى زمان كان وقوله تعالى (منكم) أى أيها العرب المسلمون توبيخ لهم وتهجين لعادتهم لان الظهار كان خاصا بالعرب دون سائر الامم فنبه تعالى على أن اللائق بهم ان يكونوا أبعد الناس عن هذا الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا عندهم فى الجاهلية ثم زاده الاسلام استهجانا (من نسائهم) أى يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله تعالى عليهم ظهور امهاتهم والظهار لغة ماخوذ من الظهر لان صورته الاصلية أن يقول لزوجته أنت على كظهر امى وخصوا الظهر دون البطن والفخذ وغيرهما لانه موضع الركوب والمرأة مركوب الزوج وقيل من العلو قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه اى أن

الميثاق آمنوا بالله ورسوله اليوم او آمنوا فى العلانية باللسان اتقوا الله وآمنوا

يملوه وكان طلاقا فى الجاهلية وقيل فى اول الاسلام ويقال كان فى الجاهلية اذا كره احدهم امرأته ولم يرد ان تتزوج بغيره آلى منها أو ظاهر فتبقى لاذات زوج ولاخلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه الى تحريمها بعد العود ولزوم الكفارة كما سيأتى وحقيقته الشرعية تشبيه الزوجة غير البائن بانثى لم تكن حلاله وسمى هذا المعنى ظهارا لتشبيه الزوجة بظهر الام وله اركان أربعة مظاهر ومظاهر منها وصيغة ومشبه به وشرط فى المظاهر كونه زوجا يصح طلاقه وشرط فى المشبه به كونه كل انثى محرم أو جزء انثى محرم لم تكن حلاله كبنته واخته وشرط فى الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت أورأسك أو بدنك كظهر أمى أو كجسمها أو بدنها أوكناية كانت امى أو كعينها أوغيرها مما يذكر للكرامة كرأسها أوروحها ويصح تأقيته وتعليقه وأصل يظهرون يتظهرون أدغمت التاء فى الظاء وقرأ الذين يظاهرون والذين يظاهرون عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء وبعدها ألف وتخفيف الهاء مكسورة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح الياء وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الظاء والهاء الف والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء ولا ألف بينهما (ماهن) اى نساؤهم (امهاتهم) أى على الحقيقة (ان) أى ما (امهاتهم) اى حقيقة (الا اللائى ولدنهم) ونساؤهم لم يلدنهم فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولاهن ممن ألحق بالامهات بوجه يصح كأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام والاعظام لان النبى صلى الله عليه وسلم أعظم فى أبوة الدين من أبى النسب وكذا المرضعات لما لهن من حق الرضاع الذى هو وظيفة الام بالاصالة وأما الزوجة فمباينة لجميع ذلك وقرأ قالون وقنبل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها وقرأ ورش والبزى وابو عمرو بتسهيل الهمزة مع المد والقصر وللبزى وأبى عمرو ايضا وضع الهمزة ياء ساكنة مع المد والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء وهم على مراتبهم فى المد (وانهم) اى المظاهرين (ليقولون) اى فى هذا التظهر على كل حالة (منكرا من القول) اذا الشرع أنكره وهو حرام اتفاقا كما نقل عن الرافعى فى باب الشهادات (وزورا) اى قولا مائلا عن السداد منحرفا عن القصد لان الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتهان والام فى غاية البعد عن ذلك (فان قيل) المظاهر انما قال أنت على كظهر أمى فشبهها بامه ولم يقل انها أمه فما معنى أنه منكر من القول وزور والزور الكذب وهذا ليس بكذب (أجيب) بان قوله هذا ان كان خبرا فهو كذب وان كان انشاء فهو كذلك لانه جعله سببا للتحريم والشرع لم يجعله سببا لذلك وايضا فانما وصف بذلك لان الام مؤبدة التحريم والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار فهو زور محض (فان قيل) قوله تعالى الا اللائى ولدنهم يقتضى ان لا أم الا الوالدة وهذا مشكل بقوله تعالى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم وقوله تعالى وازواجه امهاتهم (أجيب) بان الشارع ألحقهن بالوالدات لما مر (وان الله) اى الملك الاعظم الذى لا امر لاحد معه فى شرع ولا غيره (لعفو) اى من صفاته ان يترك عقاب من شاء (غفور) اى من صفاته ان يمحو عين الذنب وأثره ثم بين احكام الظهار بقوله تعالى (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) والعود فى ظهار غير موقت من غير رجعية ان يمسكها بعد ظهار مع علمه بوجود الصفة فى المعلق زمن امكان فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته

برسوله فى السر بتصديق القلب

(سورة المجادلة)

يقال قال فلان قولا ثم عاد له وعاد فيه اى خالفه ونقضه وهو قريب من قولهم عاد فى هبته ومقصود الظهار وصف المرأة بالتحريم وامساكها يخالفه فلو اتصل بظهاره جنونه أو اغماؤه أو فرقة بموت أو فسخ من احدهما بمقتضيه كعيب باحدهما أو بطلاق بائن أو رجعى ولم يراجع فلا عود والعود فى ظهار غير مؤقت من رجعية سواء أطلقها عقب الظهار أم قبله ان يراجع ولو ارتد متصلا بالظهار بعد الدخول ثم أسلم فى العدة فلا عود بالاسلام بل بعده والفرق ان الرجعة امساك فى ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل للدين الباطل بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امساك وانما يحصل بعده والعود فى ظهار مؤقت يحصل بتغييب حشفة أو قدرها من فاقدها فى المدة ويجب فى العود به وان حل نزع لما غيبه كما لو قال ان وطئتك فانت طالق لحرمة الوطء قبل التكفير كما سيأتى وانقضاء المدة واستمرار الوطء وطء ولما كان المبتدأ الموصول يتضمن معنى الشرط أدخل الفاء فى خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال عز من قائل (فتحرير) اى فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير (رقبة) مؤمنة فلا تجزئ كافرة قال تعالى فى كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة وألحق بها غيرها قياسا عليها بجامع حرمة سببيهما من القتل والظهار أو حملا للمطلق على المقيد كما فى حمل المطلق فى قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد فى قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يخل بعمل فيجزئ صغير ولو ابن يوم وأقرع وأعرج يمكنه تباع مشى بان يكون عرجه غير شديد واعور لم يضعف عوره بصر عينه السليمة ضعفا يخل بالعمل وأصم وأخرس يفهم الاشارة وتفهم عنه واخشم وفاقد أنفه واذنيه وأصابع رجليه لا فاقد رجل أو خنصر وبنصر من يد أو انملتين من كل منهما أو فاقد انملتين من اصبع غيرهما أو فاقد انملة ابهام لاخلال كل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزئ مريض لا يرجى برؤه ولم يبرأ كيد شلاء وهرم بخلاف من يرجى برؤه ومن لا يرجى برؤه اذا برئ ولا مجنون افاقته اقل من جنونه تغليبا للاكثر ويجزئ معلق عتقه بصفة بان ينجز عتقه بنية الكفارة أو يعلقه كذلك بصفة اخرى وتوجد قبل الاولى ويجزئ نصفا رقبتين أعتقهما عن كفارة باقيهما أو فى احدهما كما استظهره بعضهم ويجزى اعتاق رقيقيه عن كفارتيه لا جعل العتق المعلق كفارة عند وجود الصفة ولا مستحق عتق كام ولد ومصحح كتابة (من قبل أن يتماسا) اى يجددا بينهما مسا روى أبو داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ظاهر من امرأته وواقعها لا تقربها حتى تكفر وكالتكفير مضى مدة المؤقت لانتهائه بها وحمل التماس هنا تشبيه الظهار بالحيض على التمتع بما بين السرة والركبة ومن حمله على الوطء الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهر من اربع بكلمة كانتن كظهر أمى فان امسكهن فاربع كفارات لوجود سببها أو ظاهر منهن باربع كلمات ولو متوالية فما عدا من غير الاخيرة ولو كرر فى امرأة متصلا تعدد الظهار ان قصد استئنافا ويصير المظاهر بالاستئناف عائدا (ذلكم) اى ذلك الحكم بالكفارة (توعظون به) اى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه (والله) أى الذى له الاحاطة بالكمال (بما تعملون) اى تجددون فعله (خبير) اى عالم بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا ما أمر به وقفوا عند حدوده وانما يلزم الاعتاق عن الكفارة من ملك رقيقا أو ثمنه فاضلا عن كفاية ممونه من نفسه وغيره قال

(قوله الذين يظهرون منكم من نسائهم) قال ذلك هنا وقال بعد والذين يظهرون

قوله باقيهما اوفى احدهما كذا بالنسخ التى بايدينا والصواب باقيهما أو احدهما كما فى كتب الفقه اه مصححه

الراعي وسكتوا عن تقدير مدة ذلك ويجوز أن تقدر بالعمر الغالب وان تقدر بسنة اه
والذي عليه الجمهور هو الاول ولا يلزمه بيع عقار ورأس تجارة وماشية لا يفضل دخلها عن
غلة العقار وربح مال التجارة وفوائد الماشية من نتاج وغيره عن كفاية ممونه ولا بيع مسكن
ورقيق نفيسين ألفهما ولا يلزمه شراء بغبن (فمن لم يجد) اى الرقبة بان عجز المكفر عن الاعتاق
حسا أو شرعا وقت اداء الكفارة (فصيام) أى فعليه صيام (شهرين متتابعين) عن كفارته
فالرقيق لا يكفر الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيأ وليس لسيده منعه من الصوم ان ضره وانما
اعتبر العجز وقت الاداء لا وقت الوجوب قياسا على سائر العبادات ولو ابتدأ الصوم ثم وجد الرقبة
لم يلزمه الانتقال عنه لانه أمر به حيث دخل فيه وقال أبو حنيفة يعتق قياسا على الصغيرة
المعتدة بالشهور اذا رأت الدم قبل انقضاء عدتها فانها تستأنف الحيض اجماعا ويكفيه نية
صوم الكفارة وان لم ينو الولاء فان انكسر الشهر الاول أتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع
فيه الى الهلال وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعذر كمرض أو سفر فيجب الاستئناف ولو كان
الفائت اليوم الاخير أو اليوم الذي نسيت النية له بخلاف ما اذا فات بجنون أو اغماء
مستغرق لمنافاة ذلك الصوم (من قبل أن يتماسا) كما مر في العتق فان جامع ليلا عصى ولم ينقطع
التتابع لانه ليس محلا للصوم بخلافه نهارا وقال ابو حنيفة ومالك يبطل بكل حال ويجب عليه
ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل أن يتماسا (فمن لم يستطع) بان عجز عن صوم ولاء لمرض يدوم
شهرين بالظن المستفاد من العادة في مثله أو من قول الاطباء أو لمشقة شديدة تلحقه بالصوم أو
بولائه ولو كانت المشقة لشدة شهوة الوطء أو خوف زيادة مرض (فاطعام) أى فعليه اطعام
(ستين مسكينا) أى من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد بان يملك كل مسكين من اهل
الزكاة مدا من جنس الفطرة كبر وشعير واقط ولبن فلا يجزئ لحم ودقيق وسويق وخرج باهل
زكاة غيره فلا يجزئ دفعها الكافر ولا الهاشمي ومطلبي ولا لمواليهما ولا لمن تلزمه مؤنته ولا لرقيق
لانها حق الله تعالى فاعتبر فيها صفات الكمال (ذلك) اى الترخيص العظيم لكم والرفق بكم
والبيان الشافي من أمر الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة أبيكم ابراهيم عليه السلام
(لتؤمنوا) اى ليتحقق ايمانكم (بالله) اى الملك الذي لا أمر لاحد معه فتطيعوا ابا الانسلاخ عن
أمر الجاهلية (ورسوله) اى الذي تعظيمه من تعظيمه ولما رغب في هذا الحكم رهب في التهاون
به بقوله تعالى (وتلك) أى هذه الاحكام العظيمة المذكورة (حدود الله) أى أوامر الملك
الاعظم ونواهيه التي يجب امتثالها والتعبد بها الترعى حق رعايتها فالتزموها وقفوا عندها
ولا تعتدوها فانه لا يطاق انتقامه اذا تعدى نقضه وابرامه (وللكافرين) أى العريقين
في الكفر بها أو بشيء من شرائعه (عذاب أليم) أى بما آلموا المؤمنين به من الاعتداء فان عجز عن
جميع خصال الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته الى ان يقدر على شيء منها فاذا
قدر على خصلة من خصالها فعلها ولا يتبعض العتق ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد
بعض مد اخرجه لانه لا بدل له وبقي الباقي في ذمته قال الزمخشري فان قلت فاذا امتنع
المظاهر من الكفارة هل للمرأة ان ترافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر
وان يحبسه ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها

لان الاول
من نسائهم
خطاب للعرب خاصة وكان
طلاقهم في الجاهلية

في ترك التكفير والانتفاع بحق الاستمتاع فيلزم ابداحقها (فان قلت) فان مس قبل ان يكفر
(قلت) عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه
الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر اه والمراد بالاستغفار هنا التوبة ❁ ولما
ذكر تعالى المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها بقوله تعالى (ان الذين
يحادون الله) أي يغالبون الملك الاعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورته صورة
العداوة لان المحادة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو كقوله تعالى ومن يشاقق الله (ورسوله)
أي الذي عزه من عزه وقيل يحادون الله أي أولياء الله كما في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة والضمير في قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله يحتمل ان يرجع الى المنافقين
فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم فاذلهم الله تعالى
ويحتمل ان يرجع لجميع الكفار فاعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم (كبتوا) أي
أذلوا وقال أبو عبيدة والاخفش أهلكوا وقال قتادة أخذوا وقال أبو زيد عذبوا وقال
السدي لعنوا وقال الفراء أغيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر (كما كبت الذين من قبلهم) أي
المحادين المخالفين رسلهم كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر على العصيان قال القشيري ومن
ضيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو أحدث في دينه بدعة انخرط في هذا السلك (وقد
انزلنا) أي بما لنا من العظمة عليكم وعلى من قبلكم (آيات بينات) أي دلالات عظيمة هي في
غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه الايمان كترك المحادة وتحصيل الاذعان (وللكافرين)
اي الراسخين في الكفر بالآيات أو بغيرها من أوامر الله تعالى (عذاب مهين) بما تكبروا
واعتدوا على أولياء الله تعالى وشرائعه يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم
ويتركون به محادتهم وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر كما قاله الزمخشري قال تعظيما لليوم
أو بالهم اي بالاستقرار الذي تضمنه لوقوعه خبرا أو بفعل مقدر قدره أبو البقاء يهانون أو
يعذبون أو استقر ذلك يوم (يبعثهم الله) اي الملك الاعظم (جميعا) اي حال كونهم مجتمعين
الكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار اليهم الرجال والنساء أحياء كما كانوا لا يترك منهم
أحد وقيل مجتمعين في حال واحد (فينبئهم) أي يخبرهم اخبارا عظيما مستقصى (بما عملوا)
تخجيلا وتوبيخا وتشهيرا لحالهم (احصاه الله) اي أحاط به عددا كما وكيفا وزمانا ومكانا بماله
من صفات الكمال والجلال (ونسوه) لانهم تهاونوا به حيث ارتكبوه ولم يبالوا به لضراوتهم
بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور أو لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف كل واحد على
انفراده (والله) اي بماله من القدرة الشاملة والعلم المحيط (على كل شيء) أي على الاطلاق
(شهيد) اي حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب لا يغفل ثم انه تعالى أكد بيان كونه عالما بكل
المعلومات فقال جل ذكره (ألم تر) اي تعلم علما هو في وضوحه كالرؤية بالعين (ان الله) اي الذي
له صفات الكمال كلها (يعلم ما في السموات) كلها (وما في الارض) كذلك كليات ذلك وجزئياته
لا يغيب عنه شيء منه بدليل أن تدبيره محيط بذلك على اتم ما يكون وهو يخبر من شاء من انبيائه
واصفيائه بما يشاء من اخبار ذلك القاصية والدانية والماضية والآتية فيكون كما اخبر

الظهار والثاني في بيان احكام الظهار للناس عامة (قوله وللكافرين

قوله أو بالهم كذا بالنسخ التي بايدينا والصواب أو بقوله وللكافرين اه مصححه

وقوله تعالى (ما يكون من نجوى) يكون فيه من كان التامة ومن نجوى فاعلها ومن مزيدة
فيه اى ما يقع من تناجى (ثلاثة) و يجوز أن يقدر مضاف اى أهل نجوى فيكون ثلاثة صفة
لاهل وان يؤول نجوى بمتناجين جعلوا نجوى مبالغة فيكون ثلاثة صفة لنجوى واشتقاقها
من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر يرتفع الى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع
عليه وقوله تعالى (الا هو رابعهم) استثناء من أعم الاحوال اى ما يوجد شئ من هذه الاشياء
فى حال من الاحوال الا وهو يعلم نجواهم كأنه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم عند
الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة) اى من نجواهم (الا هو سادسهم) اى يعلم نجواهم كما مر
(فان قيل) ما الداعى الى تخصيص الثلاثة والخمسة (اجيب) بوجهين احدهما أن قوما من
المنافقين تخلفوا للتناجى فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم
مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما
تروتهم يتناجون (ولا أدنى من ذلك) اى من عددهم (ولا أكثر) اى من ذلك (الا هو معهم)
يسمع ما يقولون (أينما) أى فى اى مكان (كانوا) فانه لا مسافة بينه وبين شئ فقد روى عن ابن
عباس أنها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم
أترى ان الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه
فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير
سبب ثابت له مع كل معلوم والوجه الثانى انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد
اهل النجوى والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل احد وانما هم طائفة مجتباة من
اولى النهى والاحلام ورهط من اهل الرأى والتجارب واول عددهم اثنان فصاعدا الى خمسة
الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه
كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وجل الثلاثة والخمسة
وقال ولا ادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا اكثر فدل على ما يلى هذا العدد
ويقاربه وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى خطبته الكبرى اخرجه الحرث بن أبى
أسامة رقى المنبر وقال يا أيها الناس ادنوا واسمعوا لمن خلفكم ثلاث مرات فدنا الناس
وانضم بعضهم الى بعض والتفتوا فلم يروا أحدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن نسمع
يا رسول الله الملائكة فقال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم ولا خلفكم ولكن
عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا فى مكان الايمان هنا والشمائل بل فى المكانة
من ذلك فالله جل جلاله أعلى واجل وأنزه مكانة واكرم استواء (ثم ينبئهم) اى يخبر اصحاب
النجوى اخبارا عظيما (بما عملوا) دقيقه وجليله (يوم القيامة) الذى هو المراد الاعظم من
الوجود لاظهار الصفات العلا فيه أتم اظهار (ان الله) الذى له الكمال كله (بكل شئ) اى
عما ذكر وغيره (عليم) اى بالغ العلم فهو كل على شئ شهيد وهذا تحذير من المعاصى وترغيب
فى الطاعات * واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ألم تر) اى تعلم علما هو كالرؤية (الى الذين
نهوا عن النجوى) فقيل فى اليهود وقيل فى المنافقين وقيل فى فريق من الكفار وقيل
فى فريق من المسلمين لما روى أبو سعيد الخدرى قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا

رسول

عذاب أليم) ختمه هنا بأليم وبعده بمهين

قوله وروى انه الخ غير مستقيم اه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا تبنا الى الله تعالى يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما هو أخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل ذكره الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وأكثروا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى (ثم يعودون) اي على سبيل الاستمرار ولأنه وقع مرة وبادروا الى التوبة منها أو فلتة معفو اعنها (لما نهوا عنه) أي من غير أن يعتدوا بما وقع من جهة الناهي من الضرر عنده (ويتناجون) أي يقبل بعضهم على المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار وقرأ حمزة بعد الياء نون ساكنة وبعدها تاء فوقية مفتوحة ولا ألف قبل الجيم وضم الجيم والباقون بتاء فوقية مفتوحة وبعدها نون مفتوحة وبعد النون ألف وفتح الجيم (بالاثم) أي بالشئ الذي يثبت عليهم به الذنب وبالكذب وبما لا يحل (والعدوان) أي العدوان الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط في مجاوزة الحدود (ومعصيت الرسول) أي مخالفة النبي الذي جاءهم من الملك الاعلى وهو كامل في الرسالة لكونه مرسلا الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده فهو لذلك مستحق غاية الاكرام ❊(فائدة)❊ رسمت معصية في الموضعين بالتاء المجرورة واذا وقف عليها فأبو عمرو وابن كثير والكسائي بالهاء في الوقف والكسائي بالامالة في الوقف على أصله ووقف الباقون بالتاء على الرسم واتفقوا في الوصل على التاء (واذا جاؤك) أي يا أشرف الخلق (حيوك) أي واجهوك بما يعدونه تحية (بما لم يحيك به الله) أي الملك الاعلى الذي لا أمر لأحد معه وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول وعليكم فقالت السيدة عائشة السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش فقالت أولم تسمع ما قالوا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت فأنزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو فقال بعض العلماء ان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه أن ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت أو من سآمة ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سآمة وسأما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول الشاعر ❊ فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ❊ أي لما أجزنا انتحى فزاد الواو وقال آخرون هي للاستئناف كأنه قيل والسام عليكم وقال

لان أولا ولا متصل بضده وهو الايمان فتوعدهم على الكفر بالعذاب الاليم الذي

آخرون هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة * (تنبيه) * اختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل وعليك وعندنا يجب أن يقول له وعليك لما مر في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد علاك السلام أي ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقال في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة * ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون بأملاء الله تعالى لهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر أن ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم) من غير أن يطلع عليه أحد (لولا) أي هلا ولم لا (يعذبنا الله) أي الذي له الاحاطة بكل شئ (بما نقول) أي لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا انه يرد علينا ويقول وعليكم السام فلو كان نبيا لاستجيب له فينا ومتنا وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا أهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يغضبون فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب (حسبهم) أي كافيهم في الانتقام (جهنم) أي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والفظاظة فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة على الكفاية فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة (يصلونها) أي يقاسون عذابها دائما فما قد أعددناها لهم (فبئس المصير) أي مصيرهم (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة (اذا تناجيتم) أي اطلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه وكشفه لصاحبه سرا (فلا تتناجوا) أي توجدوا هذه الحقيقة (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أي الكامل في الرسالة كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد تعالى بقوله آمنوا المنافقين آمنوا بلسانهم وقال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم وقيل يا أيها الذين آمنوا بموسى (وتناجوا بالبر والتقوى) أي الطاعة والعفاف عما نهى الله تعالى عنه (واتقوا الله) أي اقصدوا واقصدا يتبعه العمل بان تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية (الذي اليه) خاصة (تحشرون) أي تجمعون بأيسر أمر وأسهله بقهر وكره وهو يوم القيامة فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والانصاف بينهم بالعدل ومحاسبتهم على النقير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية (انما النجوى) أي المعهودة وهي المنهي عنها (من الشيطان) أي مبتدأة ومتمدة من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها فاعلها تابع لاعدى أعدائه مخالف لاعظم أوليائه (ليحزن) أي الشيطان (الذين آمنوا) أي ليوهمهم أنها بسبب شئ وقع مما يؤذيهم والحزن هم غليظ وتوجع يرق يقال حزنه وأحزنه بمعنى قال في القاموس وأحزنه جعله حزينا وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي من حزن والقراءة الاولى أشد في المعنى على ما في القاموس (وليس) أي الشيطان أو ما حمل عليه من التناجي (بضارهم) أي الذين آمنوا (شيأ) من الضرر وان قل (الا باذن الله) أي بمشيئة الملك المحيط علما وقدرة (فان قيل) كيف لا يضرهم ذلك ولا يحزنهم الا باذن الله (أجيب) بانهم كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان أقاربهم قتلوا فقال تعالى لا يضرهم الشيطان والحزن بذلك الموهم الا باذن الله تعالى أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم والغلبة على الغزاة (وعلى الله) أي

لم يخص الثلاثة والخمسة بالذكر (قالت) لان قوما من المنافقين تخلفوا

الملك الذي لا كفء له لا على أحد غيره (فليتوكل المؤمنون) أي الراسخون في الايمان في جميع
أمورهم فانه القادر وحده على اصلاحها وافسادها فلا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره ولا
بجهره فانهم توكلوا عليه وفوضوا أمورهم اليه وخص الراسخين لامكان ذلك منهم في العادة
وأما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم الا خرق عادة روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله
ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر
حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو أن يجد الثالث من
يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجه
حتى دعا رابعا فقال له وللاول تأخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة خرجه في الموطا ونبه على
العلة بقوله من اجل أن يحزنه اى يقع في نفسه ما يحزن لاجله وعلى هذا يستوى في ذلك كل
الاعداد فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل
وجوده في العدد الكثير أمكن وأوقع فيكون بالمنع أولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه
أول عدد يتأتى ذلك فيه قال القرطبي وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وذهب
اليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواء أكان التناجي في واجب أو مندوب أو مباح فان الحزن
ثابت به وقد ذهب بعض الناس الى أن ذلك كان في أول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين
فيتناجى المنافقون دون المؤمنين فلما فشا الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر
وفي المواضع التي لا يأمن الرجل فيها صاحبه فأما في الحضر و بين العمارة فلا لانه يجد من
يغيثه بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم الغوث ولما نهى المؤمنين عما يكون سببا
للتباغض والتنافر أمرهم الآن بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا) أي الذين اتصفوا بهذا الوصف (اذا قيل لكم) أي من أي قائل كان فان الخير
يرغب فيه لذاته (تفسحوا) اى توسعوا اى كلفوا أنفسكم في اتساع المواضع (في المجلس) أي
الجلوس ومكانه لاجل من يأتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون
في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامرهم أن يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد
بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن وزيد بن أبي حبيب كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح أصحابه على الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في
القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله
عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء
ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا اقبل النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم
ينتظرون أن يوسع لهم فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام وشق ذلك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من أهل
بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال
المنافقون والله ما عدل على هؤلاء ان قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم
وأجلس من أبطأ فنزلت الآية يوم الجمعة وروى عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت بن

العذاب بئس ذلك فقال
مهين (قوله ما يكون من
نجوى ثلاثة) الآية (ان قلت)

قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقر أى الصمم الذى كان فى أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت وقد تقدمت قصته فى سورة الحجرات وقرأ عاصم بفتح الجيم وألف بعدها جمعا لان لكل جالس مجلسا أى فليفسح كل واحد فى مجلسه والباقون بسكون الجيم ولا ألف افرادا قال البغوى لان المراد منه مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وقال القرطبى الصحيح فى الآية أنها عامة فى كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاجر سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو مجلس يوم الجمعة وان كل واحد أحق بمكانه الذى سبق اليه قال صلى الله عليه وسلم من سبق الى مالم يسبق اليه فهو أحق به ولكن يوسع لاخيه مالم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده قراءة الجمع (فافسحوا) أى وسعوا فيه عن سعة صدر (يفسح الله) أى الذى له الامر كله (لكم) فى كل ما تكرهون ضيقه من الدارين وقال الرازى هذا يطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة قال ولا ينبغى للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح فى المجلس بل المراد منه ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور فى قلبه (واذا قيل) أى من أى قائل كان كما مضى اذا كان يريد الاصلاح والخير (انشزوا) أى ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذى تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الاوامر كالصلاة والجهاد (فانشزوا) أى فارتفعوا وانهضوا (يرفع الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (الذين آمنوا) وان كانوا غير علماء (منكم) أى أيها المأمورون بالتفسح السامعون للاوامر المبادرون اليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم فى مجلسهم وتوسعهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم درجات) يجوز أن يكون معطوفا على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام فان الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين ويجوز ان يكون والذين أوتوا العلم من عطف الصفات اى تكون الصفتان لذات واحدة كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات مفعول ثان وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله تعالى منكم وينتصب الذين أوتوا بفعل مضمر اى ويخص الذين أوتوا العلم درجات او ويرفع درجات قال المفسرون فى هذه الآية ان الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء فى هذه الآية والمعنى ان الله تعالى يرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات فى دينهم اذا فعلوا بما أمروا به وقال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل رب زدنى علما وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والآيات فى ذلك كثيرة معلومة وأما الاحاديث فكثيرة مشهورة منها من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وروى ان عمر رضى الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكلموه فى ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله اياه فقال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها والمراد بالحسد الغبطة وهى أن تتمنى مثله ومنها أنه صلى الله

هو جزاء الكافرين والثانى متصل بقوله كبتوا وهو الاذلال والاهانة فوصف

عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وفى رواية كفضلى على أدناكم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله أوحى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام انى عليم أحب كل عليم ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمنزلة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده احد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمونه الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا وأما أقوال السلف فلا تحصر فمنها ما قاله ابن عباس ان سليمان عليه السلام خير بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وما قاله بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وما قاله الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل ما يصير وما قاله الزهرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال وما قاله ابو مسلم الخولانى مثل العلماء فى الارض مثل النجوم فى السماء اذا برزت للناس اهتدوا بها واذا خفيت عنهم تحيروا وما قاله معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وما قاله على العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق وما قاله ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة وما قاله الشافعى رضى الله تعالى عنه من أن طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن ارد الآخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج اليه فى كل منهما وقد ذكرت فى أول شرح المنهاج من الاحاديث ومن أقوال السلف ما يسر الناظر الراغب فى الخير وفيما ذكرته هنا كفاية لأولى الابصار (والله) أى والحال ان المحيط بكل شئ علما وقدرة (بما تعملون) أى حال الامر وغيره (خبير) أى عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم مزينا بالعمل بامتثال الاوامر واجتناب النواهى وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه وان كان على غير ذلك فكذلك واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة أغنياء كانوا وفقراء (اذا ناجيتم الرسول) أى أردتم مناجاة الذى لا أكمل منه فى الرسالة الآية فقال ابن عباس ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكف كثير من الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبى صلى الله عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم فى النجوى فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن أسلم ان المنافقين واليهود

التناجى وكانوا بعدد العدد المذكور وسفا يظة للمؤمنين فنزلت الآية

كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم يناجونه أن جموعا اجتمعت لقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول أي أردتم مناجاته (فقدموا) أي بسبب هذه الارادة وقوله تعالى (بين يدي نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم التي هي سركم الذي تريدون أن ترفعوه (صدقة) لقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم تريد قبل حاجته والصدقة تكون لكم برهانا على اخلاصكم كما وردان الصدقة برهان فهي مصدقة لكم في دعوى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به عن الله تعالى
* (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعده فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان مندوبا لقوله تعالى (ذلك) أي التصدق (خير لكم وأطهر) أي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الواجب ولانه لو كان واجبا لما أزيل وجوبه والكلام متصل به وهو قوله تعالى فان لم تجدوا الآية وأجيب عن الاول بان المندوب كما يوصف بانه خير وأطهر فكذلك أيضا يوصف بهما الواجب وعن الثاني بانه لا يلزم من اتصال الآيتين في التلاوة كونهما متصلتين في النزول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة وعن علي أنه قال لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الاساعة من نهار ثم نسخ وقال مقاتل بن حيان بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ لما روي عن علي أنه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية عنه فاشتريت به عشرة دراهم وكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناج احد الا علي تصدق بدينار وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن يكون لم يجد عند المناجاة شيئا أو أن لا يكون احتاج الى المناجاة ثم نزلت الرخصة وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة وأعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى واختلف في الناسخ لذلك فقيل هي منسوخة بالزكاة وأكثر المفسرين انها منسوخة بالآية التي بعدها وهي أأشفقتم كما سيأتي وكان علي يقول وخفف عن هذه الامة (فان لم تجدوا) أي ما تقدمونه (فان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (غفور رحيم) أي له صفتا الستر للمساوي والاكرام باظهار المحاسن على الدوام فهو يعفو ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي وتارة بالتوسعة للضيق بان ينسخ ما يشق الى ما يخف وقوله تعالى (أأشفقتم) أي خفتم العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفا كاد أن يفطر قلوبكم (أن تقدموا) أي باعطاء الفقراء

بصدقة سألهم نعم يضابهم
أو لان العدد الفرد أشرف
من الزوج لان الله

وهم أخوانكم (بين يدى نجواكم) أى للنبى صلى الله عليه وسلم (صدقات) وجمع لانه أكثر توبيخا من حيث انه يدل على أن النجوى تتكرر واستفهام معناه التقرير وهو الناسخ عند الاكثر كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بتحقيقهما ولا ادخال والاولى مخففة بلا خلاف (فاذ) أى فحين (لم تفعلوا) أى ما أمرتكم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا الاشفاق (وتاب الله) أى الملك الاعلى (عليكم) أى رجع بكم عنها بان نسخها عنكم تخفيفا عليكم (فأقيموا) أى بسبب العفو عنكم شكرا أى على هذا الكرم والحلم (الصلوة) التى هى طهرة لارواحكم وصلة لكم بربكم (وآتوا الزكوة) التى هى براءة لابدانكم وتطهير ونماء لاموالكم وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا فى شئ من ذلك فتهملوه فالصلاة نور يهدى الى المقاصد الدنيوية والاخروية ويعين على نوائب الدارين والصدقة برهان على صحة القصد فى الصلاة ثم عم بعد ان خصص أشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى (واطيعوا الله) اى الذى له الكمال كله (ورسوله) اى الذى عظمته من عظمته فى سائر ما يامركم به فانه تعالى ما أمركم لاجل اكرام رسولكم صلى الله عليه وسلم الا بالحنيفية السمحة (والله) اى الذى احاط بكل شئ علما وقدرة (خبير بما تعملون) اى يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا يخفى عليه خافية (ألم تر) اى تنظر يا اشرف الخلق (الى الذين تولوا) اى تكلفوا بغاية جهدهم وهم المنافقون اى جعلوا اولياءهم الذين يتولون لهم امورهم (قوما) وهم اليهود ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة (غضب الله) اى الملك الاعلى الذى لا نده له (عليهم) اى المتولى والمتولى لهم (ماهم) اى المنافقون (منكم) اى المؤمنين (ولا منهم) اى اليهود بل هم مذبذبون وزاد فى الشناعة عليهم باقبح الاشياء بقوله تعالى (ويحلفون) اى المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار ودل باداة الاستعلاء على انهم فى غاية الجراءة على استمرارهم على الايمان الكاذبة بان التقدير مجترئين (على الكذب) فى دعوى الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظائم الآثام فاذا عوتبوا عليه بادروا الى الايمان (وهم يعلمون) انهم كاذبون متعمدون روى ان عبد الله بن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق العينين أسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال النبى صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (أعد الله) أى الذى له العظمة الباهرة فلا كفء له (لهم عذابا) أى أمرا قاطعا لكل عذوبة (شديدا) أى لا طاقة لهم به ثم علل عذابهم بما دل على انه واقع فى اتم مواقعه بقوله تعالى مؤكدا تقبيحا على من كان يستحسن فعالهم (انهم ساء) أى بلغ الغاية بما يسوء ودل على ان ذلك لهم كالجبلة بقوله تعالى (ما كانوا يعملون) أى يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه قال الزمخشرى اوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا ايمانهم) اى الكاذبة التى لا يتهون على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان (جنة) وقاية وسترة من كل ما يفضحهم

تعالى وترتيب الوترنفس العددان المذكوران بالذكر تنبيها على انه لابد من

من النفاق كانما كان (فصدوا) أى كان قبول ذلك منهم وتأخير عقابهم سببا لابقائهم الصد (عن سبيل الله) أى شرع الملك الاعلى الذى هو طريق الى رضوانه الذى هو سبب الفوز العظيم فانهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويوهنون امره ويحقرونه ومن رآهم قد خلصوا من المكاره بايمانهم الخائنة ودرت عليهم الارزاق استدراجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من أقوالهم المؤكدة بالايمان غره ذلك فاتبع سنتهم فى أقوالهم وافعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر امرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليه من جزاء خداعهم وامرهم واجرى الامر على اسلوب التهكم بالالام التى تكون فى المحبوب فقال تعالى (فلهم) اى فتسبب عن صدهم انه كان لهم (عذاب مهين) جزاء بما طلبوا بذلك الصد اعزاز انفسهم واهانة اهل الاسلام (لن تغنى) اى بوجه من الوجوه (عنهم اموالهم) اى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالافتداء ولا بغيره (ولا اولادهم) اى بالنصرة والمدافعة (من الله) اى اغناء مبتدأ من الملك الاعلى (شيأ) ولو قل جدا فيهما اراده بهم سبحانه كان ونفذ ومضى لا يدفعه شئ تكذيبا لمن قال منهم لئن كان يوم القيامة لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الآن وانتحون بانفسنا واموالنا واولادنا (أولئك) اى البعداء من كل خير (اصحاب النار هم) اى خاصة (فيها) أى خاصة (خالدون) أى دائمون لازمون الى غير نهاية وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر أى واذكر يوم (يبعثهم الله) اى الذى له جميع صفات الكمال (جميعا) ولا يترك أحدا منهم ولا من غيرهم الا أعاده الى ما كان قبل موته (فيحلفون) أى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينتهم ما كانوا يكذبون به انهم يحلفون (له) أى لله فى الآخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك (كما يحلفون لكم) فى الدنيا انهم مثلكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما يحلفون لله تعالى يوم القيامة كذبا كما حلفوا لاوليائه فى الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (ويحسبون) اى فى القيامة بايمانهم الكاذبة (انهم على شئ) أى يحصل لهم به نفع بانكارهم وحلفهم وقيل يحسبون فى الدنيا انهم على شئ لانهم فى الآخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر والمعنى انهم لشدة توغلهم فى النفاق ظنوا يوم القيامة انه يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه الاشارة بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين خصماء الله تعالى فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة أعينهم مائل شدقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس رضى الله عنهما صدقوا والله أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون أنهم على شئ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها (ألا انهم هم الكاذبون) المحكوم بكذبهم فى حسبانهم هم والله القدرية ثلاثا (استحوذ) اى استولى (عليهم الشيطان) مع انه طريد محترق ووصل منهم الى ما يريده وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته وصار هو محيطا بهم من كل جهة غالبا عليهم ظاهرا وباطنا من قولهم حذت الابل وحذتها اذا استوليت عليها والحوذ ايضا السوق السريع ومنه الاحوذى الخفيف فى المشى لحذقه واستحوذ مما جاء على الاصل وهو ثبوت الواو

زيادة الامور الالهية فى جميع الامور ثم بعد ذكرهما زيد عليهما مايعم غيرهما

(قوله والقدرية الخ) كذا فى النسخ ولعله وقع من تقديم فيكون من كلام ابن عباس محله بعد قوله صدقوا

دون

دون قلبها ألقا (فأنساهم) أى فتسبب عن استحواذه عليهم ان أنساهم (ذكر الله) أى الذى له الاسماء الحسنى والصفات العليا (أولئك) أى البعداء البغضاء (حزب الشيطان) أى أتباعه وجنوده وطائفته وأصحابه (الا أن حزب الشيطان) أى الطريد المحترق (هم الخاسرون) أى العريقون فى هذا الوصف لانهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق (ان الذين يحادون الله) أى يفعلون مع الملك الاعظم الذى لا كفؤ له فعل من ينازع آخر فى الارض فيغلب على طائفة فيجعل لها حداً لا يتعداه خصمه (ورسوله) أى الذى عظمته من عظمته (أولئك) أى البعداء البغضاء (فى الاذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى واختلف فى معنى قوله عز وجل (كتب الله) أى الملك الذى لا كفؤ له فقال أكثر المفسرين أى قضى الله عز وجل (لأغلبن) وقال قتادة كتب فى اللوح المحفوظ وقال الفراء كتب بمعنى قال وقوله تعالى (أنا) تأكيد (ورسلى) أى من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فاذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالحرب كان أغلب وأقوى وقال مقاتل قال المؤمنون لئن فتح الله اساً مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال عبد الله بن أبى ابن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم لأكثر عدداً وأشد بطشاً من أن تظنوا فيهم فنزل لأغلبن أنا ورسلى ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرأ نافع وابن عامر بفتح الياء والباقون بالسكون (ان الله) أى الذى له الامر كله (قوى) أى على نصر أوليائه (عزيز) أى لا يغلب عليه فى مراده ثم نهى تعالى عن موالاة أعداء الله تعالى بقوله سبحانه (لا تجد) أى بعد هذا البيان (قوما) أى ناساً لهم قوة على ما يريدون (يؤمنون) أى يجددون الايمان ويديمونه (بالله) أى الذى له صفات الكمال (واليوم الآخر) الذى هو موضع الجزاء لكل عامل بكل ما عمل الذى هو محط الحكمة (يوادون) أى يحصل منهم ودلا ظاهراً ولا باطناً (من حاد الله) أى عادى بالمناصبة فى حدود الملك الاعلى (ورسوله) فان من حاده فقد حاد الذى أرسله بل لا تجدهم الا يحادونهم لأنهم يوادونهم وزاد ذلك تأكيداً بقوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) أى الذين أوجب الله تعالى على الابناء طاعتهم فى المعروف وذلك كما فعل أبو عبيدة بن الجراح حيث قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد (أو أبناءهم) أى الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل أبو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعنى يا رسول الله أكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى (أو اخوانهم) أى الذين هم أعضادهم كما فعل مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وخزف سعد ابن أبى وقاص غير مرة فراغ منه روغان الثعلب فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عنه وقال أتريد أن تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الانصارى أخاه من الرضاع كعب بن الاشرف اليهودى رأس بنى النضير (أو عشيرتهم) أى الذين هم أنصارهم وأمدادهم كما قتل عمر خاله العاصى وهشام بن المغيرة يوم بدر وعلى وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا يوم بدر بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثورى ان السلف كانوا يرون أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان اهـ ومدار ذلك على أن الانسان يقطع رجاءه من غير الله تعالى وان لم يكن كذلك

من المتناجين بقوله ولا أدنى من ذلك ولا أكثر تعميماً للفائدة (قوله ويحلفون على

قوله وخزف سعد الخ كذا بالنسخ التى بايدينا ولتحرر هذه العبارة اهـ مصححه

لم يكن مخلصا فى ايمانه * (تنبيه) * قدم الآباء أولا لانهم تجب طاعتهم على أبنائهم ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلوب وهم حياتها ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازى بغير جناح

ثم ربع بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى أن الميل الى هؤلاء أعظم أنواع المحبة ومع هذا فيجب أن يكون هذا الميل مطروحا بسبب الدين قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى أبى عبيدة بن الجراح لما قتل اباه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قتل خاله العاصى بن هشام يوم بدر وروى انها نزلت فى أبى بكر وذلك ان أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقطت منها اسنانه ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال أوفعلت قال نعم قال لا تعد اليه فقال والذى بعثك بالحق نبيا لو كان السيف منى قريبا لقتلته فهؤلاء لم يوادوا أقاربهم قال القرطبى استدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبى وفى معنى أهل القدر جميع أهل الظلم وعن عبد العزيز بن أبى دواد أنه اتى المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلا الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيت الى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية (أولئك) اى العالو الهمة (كتب) أى أثبت قاله الربيع بن انس رضى الله عنه وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين أى اجعلنا وقوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون وقيل كتب (فى قلوبهم الايمان) بما وفقهم فيه وشرح له صدرهم أى على قلوبهم كقوله تعالى فى جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان قال البيضاوى وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه (وأيدهم) أى وقواهم وشددهم وشرفهم (بروح) أى نور شريف جدا يفهمون به ما أودع فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من نور العلم والعمل (منه) أى من الله تعالى أحياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم فى وقت من الاوقات فأعطاهم استقامة المناهج ظاهرا او باطنا فعملوا الاعمال الصالحة فكانوا للدنيا كالسرج فلا تجد شيأ أدخل فى الاخلاص من موالاة اولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه بل هو عين الاخلاص ومن جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا فى عقيدته نزع الله تعالى نور التوحيد من قلبه قال الزمخشرى ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحياة القلوب به وقال ابن عباس رضى الله عنهما نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لان بها يحيا امرهم وقال الربيع بن انس رضى الله عنه بالقرآن وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة وقيل ايدهم بجبريل عليه السلام (ويدخلهم جنات) اى بساتين تستر داخلها من كثرة اشجارها واخبر عن ريها بقوله تعالى (تجرى من تحتها) أى قصورها (الانهار) فهى بذلك كثيرة الرياض والاشجار وقال تعالى (خالدين فيها) لان ذلك لا يلذ الا بالدوام وقال تعالى (رضى الله) أى الملك الاعظم (عنهم) لان ذلك لا يتم الا برضا مالكها الذى له الملك كله (ورضوا عنه) اى لانه

الكذب وهم يعلمون) اى انهم كاذبون (ان قالت) ما فائدة الاخبار عنهم بذلك

أعطاهم فوق ما يؤملون (أولئك) أى الذين هم فى الدرجات العلا من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله تعالى علما منهم بأنه ليس الضر والنفع الا بيده (حزب الله) أى جند الملك الذى أحاط بجميع صفات الكمال (الا ان حزب الله) اى جند الملك الاعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن والاهم (هم المفلحون) اى الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين وقد علم من الرضا من الجانبين والحزبية والافلاح عدم الانفكاك عن السعادة فاغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأييد ⊛(فائدة)⊛ هذه السورة نصف القرآن عددا وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة الكريمة مرة أو مرتين او ثلاثا وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة حديث موضوع والله تعالى أعلم

(قلت) فائدته بيان ذمهم بارتكابهم اليمين الغموس

⊛(سورة الحشر)⊛

سورة الحشر مدنية

فى قول الجميع وهى أربع وعشرون آية وأربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا (بسم الله) الملك الاعظم الذى لاخلف لميعاده (الرحمن) الذى عمت نعمة ايجاده (الرحيم) الذى خص اهل وده بالتوفيق فهم أهل السعادة ⊛ ولما ختمت المجادلة بانه يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته تنزه عن النقائص تأييد الوعد بنصرهم فقال تعالى (سبح) اى أوقع التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص (لله) الذى احاط بجميع صفات الكمال (ما فى السموات) اى كلها (وما فى الارض) اى كذلك وقيل ان اللام مزيدة اى نزهه وأتى بما تغليبا للاكثر وجمع السماء لانها اجناس قيل بعضها من فضة وبعضها من غير ذلك وافرد الارض لانها جنس واحد (وهو) اى والحال انه وحده (العزيز) الذى يغلب كل شئ ولا يمتنع عليه شئ (الحكيم) الذى نفذ علمه فى الظواهر والبواطن واحاط بكل شئ فاتقن ما اراده فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلا والى بيان ماله من العزة والحكمة سبيلا وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى اربعين وكعب فى أربعين من اليهود المسجد واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام واخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو سفيان فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب

وقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم قالوا اذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وآذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي واصحابه اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج اليك في ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه واشتملوا على الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يامرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم قال ابن عباس رضي الله عنهما على أن يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك على كل ثلاثة نفر بعيرا ووسقا من طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى اذرعات واريحاء الا أهل بيتين من آل بني الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو) اي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب (الذي اخرج) اي على وجه القهر (الذين كفروا) اي ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه النبي الخاتم وما في فطرتهم الاولى من اتباع الحق (من أهل الكتاب) اي الذي انزله الله تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وهم بنو النضير وفي التعبير بكفروا اشعار بانهم الذين ازالوا بالتبديل والاخفاء ما قدروا عليه مما بقي من التوراة (من ديارهم) اي مساكنهم بالمدينة عقوبة لهم لان الوطن عديل الروح لانه البدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية العسر قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لاول الحشر) هو حشرهم الى الشام وآخره ان جلاهم عمر في خلافته الى خيبر وقال مرة الهمداني كان اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على أربعة

(قوله وما أفاء الله على رسوله) قاله هنا بالواو عطف على ما قطعتم من لينة وقاله

قوله على كل الخ كذا في النسخ ولعله على ان لكل الخ

أضرب حشران في الدنيا وحشران في الآخرة أما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان أول حشر في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهم من شك أن المحشر في الشام فليقرأ هذه الآية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر قال قتادة هذا أول الحشر قال ابن عباس رضي الله عنهما هو أول من حشر من أهل الكتاب وأخرج من داره وأما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تأتي نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم وهذا ثابت في الصحيح وذكروا أن تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربي للحشر أول ووسط وآخر فالاول جلاء بني النضير والاوسط جلاء خيبر والآخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي (ما ظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا) اي يوقعوا الخروج من شيء أورثتموه منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من القوة لكثرتهم وشدة بأسهم وقرب بني قريظة منهم وأهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم وكلهم أهل ملتهم والمنافقون من أنصارهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك (وظنوا أنهم) وقوله تعالى (مانعتهم حصونهم) فيه وجهان أحدهما ان تكون حصونهم مبتدأ ومانعتهم خبرا مقدما والجملة خبر انهم الثاني ان تكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعل به نحو ان زيدا قائم ابوه وان عمرا قائمة جاريته وجعله أبو حيان أولى لان في نحو قائم زيد على أن يكون خبرا مقدما ومبتدأ مؤخرا خلافا والكوفيون يمنعونه فجعل الوفاق اولى وقال الزمخشري فان قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم اهـ وهذا الذي ذكره انما يتأتى على الاعراب الاول وقد تقدم انه مرجوح ودل على ضعف عقولهم بأن عبر عن جنده باسمه الاعظم بقوله تعالى (من الله) اى الملك الاعظم الذي لا عز الا له (فأتاهم الله) اى جاءهم الملك الاعظم الذي لا يعقلون بمجيئه (من حيث لم يحتسبوا) بما صوروا لهم من حقارة انفسهم على حسبها وهي خذلان المنافقين وعبا كرعبهم وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بفتحها (وقذف) اى انزل انزالا كأنه قذف بحجارة فثبت (في قلوبهم الرعب) اى الخوف الذي سكنها بعد ان كان الشيطان زين لهم غير ذلك وملأ قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرأ في قلوبهم الرعب وعليهم الجلاء ولاخوانهم الذين حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم وحرك العين بالضم ابن عامر والكسائي والباقون بالسكون ثم بين تعالى حالهم عند ذلك وفسر قذف الرعب بقوله تعالى (يخربون بيوتهم) اى ليستقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء وهما بمعنى

بعد جمع ذنوبها لانه مستفاد مما قبله (قوله والذين تبوءوا الدار) اى المدينة اى

لان خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمز ثم عن أبى عمرو وانه فرق بمعنى آخر فقال خرّب
بالتشديد هدم وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفراء قال المبرد
ولا أعلم لهذا وجها وزعم سيبويه انهما متعاقبان فى بعض الكلام فيجرى كل واحد مجرى
الآخر نحو فرحته وافرحته وقرأ ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة
والباقون بكسرها (بايديهم وأيدى المؤمنين) قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشبة فى منازلهم فيهدمونها
وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقال قتادة والضحاك
كان المؤمنون يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا ما خرب من حصنهم
وقال مقاتل ان المنافقين أرسلوا اليهم أن لا تخرجوا ودربوا عليهم الازقة وكان المسلمون
سائر الجوانب (فان قيل) ما معنى تخريبها لهم بايدى المؤمنين (أجيب) بانهم لما عرضوهم
لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه وقال أبو عمرو بن العلاء بايديهم فى
تركهم لها وبايدى المؤمنين فى اجلائهم عنها ولما كان فى غاية الغرابة أن يعمل الانسان فى
نفسه كما يفعل فيه عدوه تسبب عن ذلك قوله (فاعتبروا) اى احملوا أنفسكم بالامعان فى التأمل
فى عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت
العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى
المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى عن لسان القائل الى عقل المستمع
ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه ومن لم يعتبر
بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيرى الاعتبار هو النظر فى حقائق الاشياء وجهات دلالتها
ليعرف بالنظر فيها شئ آخر من جنسها ثم بين ان الاعتبار لا يحصل الا للاكمل بقوله تعالى (ياأولى
الابصار) بالنظر بابصارهم وبصائرهم فى غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه واعزاز نبيه ولا تعتمدوا على غير الله تعالى كما اعتمد
هؤلاء على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق أسلمه ذلك الى صغاره ومذلته (ولولا أن كتب الله)
اى فرض فرضا حتما الملك الذى له الامر كله (عليهم الجلاء) اى الخروج من ديارهم والجولان
فى الارض فاما معظمهم فاجلاهم بختنصر من بلاد الشام الى العراق وأما هؤلاء فحماهم الله
تعالى بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على يده صلى الله عليه وسلم
فاجلاهم فذهب بعضهم الى خيبر وبعضهم الى الشام مرة بعد مرة (تنبيه) قال الماوردى
الجلاء أخص من الخروج لانه لا يقال الا للجماعة والاخراج يكون للجماعة والواحد وقال
غيره الفرق بينهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد بخلاف الاخراج فانه لا يستلزم ذلك
(لعذبهم) أى بالقتل والسبى (فى الدنيا) كما فعل بقريظة من اليهود (ولهم) أى على كل حال
أجلوا أو تركوا (فى الآخرة) التى هى دار البقاء (عذاب النار) وهو العذاب الاكبر (ذلك)
اى الامر العظيم الذى فعله بهم من الجلاء ومقدماته فى الدنيا و يفعله بهم فى الآخرة (بانهم
شاقوا الله) أى الملك الاعلى الذى له الاحاطة التامة فكانوا فى شق غير شقه بان صاروا فى
شق الاعداء المحاربين بعدما كانوا الموادعين (و) شاقوا (رسوله) اى الذى اجلاله من اجلاله

اتخذوهما منزلا فقوله بعد والايمان منصوب بتبوّؤا

(ومن)

(ومن يشاق الله) اى يوقع فى الباطن مشاقة الملك الاعلى الذى لا كفؤله فى الماضى والحال والاستقبال (فان الله) اى المحيط بجميع العظمة (شديد العقاب) وذلك كما فعل ببنى قريظة بعد هذا حين نقضوا عهدهم وأظهروا المشاقة فى غزوة الاحزاب وكما فعل باهل خيبر وقوله تعالى (ما) شرطية فى موضع نصب بقوله تعالى (قطعتم) وقوله تعالى (من لينة) بيان له واختلف فى معنى قوله تعالى من لينة فاكثر المفسرين على انها هى النخلة مطلقا كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وقال الزهرى هى النخلة مالم تكن عجوة ولا برنية وقال جعفر بن محمد هى العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح عليه الصلاة والسلام فى السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة أصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردى وقال سفيان هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هى النخلة الكريمة أى القريبة من الارض وقيل هى الفسيلة أى بالفاء هى صغار النخل لانها ألين من النخلة وقيل هى الاشجار كلها للينها بالحياة وقال الاصمعى هى الدقل قال ابن العربى والصحيح ٣ ما قاله الازهرى ومالك وجمع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمرة وتمر وقد تكسر على ليان وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بتاء التأنيث شاذ كرطبة ورطب وأرطاب والضمير فى قوله تعالى (أو تركتموها قائمة) عائد على معنى ما ولما كان الترك يصدق ببقائها مغروسة أو مقطوعة قال تعالى (على أصولها فباذن الله) أى فقطعها بتمكين الملك الاعظم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله تعالى عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله تعالى هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع واللام فى قوله تعالى (وليخزى الفاسقين) متعلقة بمحذوف أى وأذن فى قطعها ليخزى اليهود فى اعتراضهم بان قطع الشجر المثمر فساد وليسر المؤمنين ويعزهم وليخزى الفاسقين (فان قيل) لم خصت اللينة بالقطع (أجيب) بانه ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد واحتجوا بهذه الآية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتحريقها وتغريقها وان ترمى بالمجانيق وكذا اشجارهم وعن ابن مسعود انهم قطعوا منها ما كان موضعا للقتال وروى ان رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضور النبى صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من

بتضمينه لزموا او بتقدير اى واعتقدوا او واخلصوا اوو اختاروا الايمان لان

٣ قوله ما قاله الازهرى كذا بالنسخ التى بايدينا ولعل الصواب الزهرى ولينظر ما قول مالك ولعله موافق للزهرى اه مصححه

يقول كل مجتهد مصيب وقال الكيا الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي
صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ذلك وسكت
فتلقوا الحكم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان معهم ولا اجتهاد مع حضوره صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه
وسلم فيما لم ينزل عليه أخذا بعموم الادلة للكفار ودخولا للاذن في الكل بما يقضي عليهم
بالبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين (وما أفاء الله) أي رد الملك الذي له الامر كله ردا
سهلا بعد أن كان في غاية العسر والصعوبة (على رسوله) فصيره في يده بعد ان كان خروجه عنها
بوضع أيدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود الظل الى
الناحية التي كان ابتدأ منها (منهم) أي رد امبتدأ من الفاسقين فبين تعالى ان هذا فيء لا غنيمة
ويدخل في الفيء أموال من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وكذا
الجزية وعشر تجاراتهم وما جلوا أي تفرقوا عنه ولو لغير خوف كضر أصابهم وأما الغنيمة
فهي ما حصل لنا من الحربيين مما هو لهم بايجاف حتى ما حصل بسرقة أو التقاط وكذا
ما انهزموا عنه عند التقاء الصفين ولو قبل شهر السلاح أو اهداه الكافر لنا والحرب قائمة ولم
تحل الغنائم لاحد قبل الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنموا مالا جمعوه فتأتي نار من السماء فتأخذه
ثم أحلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة
وشجاعة بل أعظم ثم نسخ ذلك واستقر الامر على ما هو في سورة الانفال في قوله تعالى واعلموا
أنما غنمتم من شيء الآية وأما الفيء فهو مذكور هنا بقوله تعالى (فما أوجفتم) اي اسرعتم
يا مسلمين (عليه) ومن في قوله تعالى (من خيل) مزيدة أي خيلا وأكد باعادة النافي دفعا الظن
من ظن انه غنيمة لاحاطتهم به بقوله تعالى (ولا ركاب) والركاب الابل غلب ذلك عليها من بين
المركوبات واحدها راكبة ولا واحد لها من لفظها وقال الرازي العرب لا يطلقون لفظ
الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة
ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة فانها كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ولم
يركبوا اليها خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف
فافتتحها صلحا قال الرازي ان الصحابة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم الفيء بينهم
كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين الامرين وأن الغنيمة هي التي أتعبتم أنفسكم
في تحصيلها وأما الفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر مفوضا فيه الى النبي صلى
الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ولكن الله) أي الذي له العز كله فلا كفء له (يسلط رسله)
أي له هذه السنة في كل زمن (على من يشاء) بجعل ما آتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب
أعدائه (والله) أي الملك الذي له الكمال كله (على كل شيء) يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل
ممكن من التسليط وغيره (قدير) أي بالغ القدرة الى أقصى الغايات فلا حق لكم فيه ويختص
به النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان
عليه القسمة من ان لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشاء
ثم بين تعالى مصرف الفيء بقوله تعالى (ما أفاء الله) أي الذي اختص بالعزة والقدرة والحكمة

الايمان لا يتخذ منزلا انهو
على الثاني من باب
* علفتها تبنا وماء باردا *

(على

(على رسوله من اهل القرى) اى قرية بنى النضير وغيرها من وادى القرى والصفراء وينبع وماهنالك من قرى العرب التى تسمى قرى عربية فيخمس ذلك خمسة أخماس وان لم يكن فى الآية تخميس فانه مذكور فى آية الغنيمة فحمل المطلق على المقيد وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له أربعة أخماسه وخمس خمسه ولكل من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فقوله تعالى (فلله) أى الملك الاعلى الذى كله بيده ذلك للتبرك فان كل أمر لا يبدأ فيه به فهو أجذم (وللرسول) اى الذى عظمته من عظمته تعالى وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم وأما بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء بعلوم تتعلق بمصالح المسلمين كتفسير وقراءة والمراد بالقضاة غير قضاة العسكر أما قضاته وهم الذين يحكمون لاهل الفىء فى مغزاهم فيرزقون من الاخماس الاربعة لا من خمس الخمس يقدم وجوبا الاهم فالاهم وأما الاربعة المذكورة معه صلى الله عليه وسلم فاولها المذكور فى قوله تعالى (ولذى القربى) أى منه وهم مؤمنو بنى هاشم و بنى المطلب لاقتصاره صلى الله عليه وسلم فى القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى عميهم نوفل وعبد شمس له واقوله صلى الله عليه وسلم أما بنو هاشم و بنو المطلب فشئ واحد وشبك بين أصابعه فيعطون ولو أغنياء لانه صلى الله عليه وسلم أعطى العباس وكان غنيا ويفضل الذكر على الانثى كالارث فله سهمان ولها سهم لانه عطية من الله تعالى يستحق بقرابة الاب كالارث سواء الكبير والصغير والعبرة بالانتساب الى الآباء فلا يعطى أولاد البنات من بنى هاشم والمطلب شيأ لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان أم كل منهما كانت هاشمية وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح و بين اللفظين وأبوعمرو بين بين والباقون بالفتح وخالفهم أبوعمرو فى واليتامى ثانيها المذكور فى قوله تعالى (واليتامى) أى الفقراء منا لان لفظ اليتيم يشعر بالحاجة لانه مال أخذ من الكفار فاختص كسهم المصالح واليتيم صغير ولو أنثى لخبر لا يتم بعد احتلام رواه أبو داود وحسنه النووى وان ضعفه غيره لا أب له وان كان له أم وجد واليتيم فى البهائم من فقد أمه وفى الطير من فقد أباه وأمه ومن فقد أمه فقط من الآدميين يقال له منقطع ثالثها المذكور فى قوله تعالى (والمساكين) الصادقين بالفقراء وهم أهل الحاجة منا وتقدم تعريفهما فى سورة الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور فى قوله تعالى (وابن السبيل) أى الطريق الفقير منا ذكورا كانوا أو اناثا ولو اجتمع فى واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة أعطى باليتم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة وللامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة ويعم الامام ولو بنائبه الاصناف الاربعة الاخيرة بالاعطاء وجوبا لعموم الآية فلا يخص الحاضر بموضع حصول الفىء ولا من فى كل ناحية منهم بالحاصل فيها نعم لو كان الحاصل لا يسد مسدا بالتعميم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعم للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه للباقين منهم وأما الاخماس الاربعة فهى للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام لهم بعمل الاولين به بخلاف المتطوعة فلا يعطون من الفىء بل من الزكاة عكس المرتزقة ويشرك المرتزقة قضاتهم كامر وأئمتهم ومؤذنوهم وعمالهم ويجب على الامام أن يعطى كلا من المرتزقة بقدر حاجة ممونه

ومنصوب بتبوءوا بلا تضمين على أنه مجاز جعله منزلا لهم لتمكنهم فيه كتمكنهم

من نفسه وغيره إمساكه زوجاته ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة الزمان والمكان والرخص والغلاء وعادة الشخص مروأة وضدها ويزاد إن زادت حاجته بزيادة ولد أو حدوث زوجة فأكثر ومن لا عبد له يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال معه أو لخدمته إن كان ممن يخدم ويعطى مؤنته ومن يقاتل فارسا ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقا لانحصارهن في أربع ثم ما يدفعه إليه لزوجته وولده الملك فيه لهما حاصل من الفيء وقيل يملكه هو ويصير إليهما من جهته فإن مات أعطى الإمام أصوله وزوجاته وبناته إلى أن يستغنوا ويسن أن يضع الإمام ديوانا وهو الدفتر الذي يثبت فيه أسماء المرتزقة وأول من وضعه عمر رضي الله عنه وأن ينصب لكل جمع عريفا وأن يقدم في اسم وإعطاء قريشا لشرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ولخبر قدموا قريشا وأن يقدم منهم بني هاشم وبني المطلب فبني عبد شمس فبني عبد العزى فسائر بطون العرب الأقرب فالأقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسائر العرب فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مرض فكصحيح وإن لم يرج برؤه ويمحى اسم كل من لم يرج وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم وللإمام صرف بعضه في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقار فيء أو بيعه وقسم غلته أو ثمنه كقسم المنقول أربعة أخماسه للمرتزقة وخمسه للمصالح وله أيضا قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس الذي للمصالح لا سبيل إلى قسمته ولما حكم سبحانه هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الأغنياء به بين علته المظهرة لعظمته بقوله تعالى (كي لا يكون) أي الفيء الذي يسره الله تعالى بقوته من قذف الرعب في قلوب أعدائه ومن حقه أن يعطاه الفقراء (دولة) أي متداولا (بين الأغنياء منكم) أي يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية فإنهم كانوا يقولون من عزبز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقرأ هشام بخلاف عنه تكون بالتأنيث دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب فأما الرفع فعلى أن كان تامة وأما التأنيث والتذكير فواضحان لأنه تأنيث مجازي وأما النصب فعلى أنها الناقصة واسمها ضمير عائد على الفيء والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائد على ما اعتبارا بلفظها وكي لا هنا مقطوعة في الرسم (وما آتاكم الرسول) أي وكل شيء أحضره لكم الكامل في الرسالة من الغنيمة أو مال الفيء أو غيره (فخذوه) أي فاقبلوه لأنه حلال لكم وتمسكوا به فإنه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه) أي من جميع الأشياء (فانتهوا) لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يقول ولا يفعل إلا ما أمر به ربه عز وجل * (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى لأن الآية وإن كانت في الغنائم فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرأ علي بهذا آية من كتاب الله تعالى قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له أصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى

وما

في المدينة ففي تميزها جمع بين قيمة واحد الجائز وهو جائز عند الشافعي رضي الله عنه

قوله وقيل دولة عائد الخ كذا بالنسخ بأيدينا ولعل الصواب إسقاط دولة اه مصححه

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك ابن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس ابن أسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب انه أمر بقتل الزنبور وهذا الجواب في غاية الحسن أفتى بقتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاقتداء به وان الله تعالى أمر بقبول ما يقوله صلى الله عليه وسلم فجواز قتله من الكتاب والسنة وسئل عكرمة عن أمهات الاولاد هل هن أحرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه أما قرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث * (فائدة) * الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بالكحل والمستوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل تتفلج في مشيها في كل شيء منهي عنه وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلا خلاف لانها بمعنى الاعطاء (واتقوا الله) أي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق (شديد العقاب) أي العذاب الواقع بعد الذنب قال البقاعي ومن زعم ان شيأ مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة الانفال فقد أخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى (للفقراء) أي الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء لتقيه البرد وماله دثار غيرها بدل من لذي القربى وما عطف عليه قاله الزمخشري والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقراء في قوله تعالى وينصرون الله ورسوله وأنه تعالى يترفع برسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقير وقال غيره انه خبر لمبتدا محذوف أي ولكن الفيء للفقراء وقيل تقديره ولكن يكون للفقراء وقيل تقديره اعجبوا للفقراء واقتصر على هذا التقدير الجلال المحلي وانما جعله الزمخشري بدلا من لذي القربى لانه حنفي والحنفية يشترطون الفقر في اعطاء ذوي القربى من الفيء * وانما قال البيضاوي ومن أعطى أغنياء ذوي القربى أي كالشافعي خصص الابدال بما بعده أو الفيء ببني النضير اه أو انهم كانوا عند نزول الآية كذلك ثم خصص بالوصف بقوله تعالى (المهاجرين) وقيد ذلك بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) لان الله برة

(قوله ولئن نصروهم) ان قلت ان الشرطية انما تدخل على ما يحتمل وجوده

قد تطلق على من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى (وأموالهم) اشارة الى أن المال لما كان يستر الانسان كان كأنه ظرف له * ولما كان طلب الدنيا من النقائص بين انه اذا كان من الله لم يكن كذلك وأنه لا يكون قادحا فى الاخلاص فقال تعالى (يبتغون) أى أخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لاحد شئ بقوله تعالى (فضلا من الله) أى الملك الاعظم الذى لا كفء له لانه المختص بجميع صفات الكمال فيغنيهم بفضله عمن سواه (ورضوانا) بان يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم فى العوض منه قادحا فى الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته وقرأ شعبة بضم الراء والباقون بكسرها (وينصرون) أى على سبيل التجديد والاستمرار (الله) أى دين الملك الاعظم (ورسوله) الذى عظمته من عظمته بأنفسهم وأموالهم ليضمحل حزب الشيطان (أولئك) أى العالو الرتبة فى الاخلاق الفاضلة (هم الصادقون) أى العريقون فى هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما ووالوا أولياءهما وان بعدت دارهم وشط مزارهم ثم اتبع ذكر المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا فى كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدى الغاسل مهما شاء فعل ومهما أراد منهم صاروا اليه بقوله تعالى (والذين تبوءوا) أى جعلوا بغاية جهدهم (الدار) أى الكاملة فى الدور التى جعلها الله تعالى فى الازل للهجرة وهيأها للنصرة وجعلها محل اقامتهم وفى قوله تعالى (والايمان) أوجه أحدها أنه ضمن تبوءوا معنى لزموا فيصح عطف الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوأ ثانيها أنه منصوب بمقدر أى واعتقدوا أو وألفوا أو وأحبوا أو وأخلصوا كقول القائل * علفتها تبنا وماء باردا * وقول الآخر * ومتقلدا سيفا ورمحا * ثالثها أنه يتجوز فى الايمان فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمكان المحيط بهم فكأنهم نزلوه وعلى هذا فيكون جمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها أن يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه خامسها أن يكون سمى المدينة به لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان قال هذين الوجهين الزمخشرى وليس فيه الا قيام أل مقام المضاف اليه وهو محل خلاف وهو ان أل هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه فالكوفيون يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة هى المأوى أى مأواه والبصريون يمنعونه ويقولون الضمير محذوف أى المأوى له وأما كونها عوضا عن المضاف اليه فقال ابن عادل لا نعرف فيه خلافا سادسها أنه منصوب على المفعول معه أى مع الايمان قال وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق فقال ان المدينة تبوئت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرأ والذين تبوءوا الدار والايمان (من قبلهم) أى وهم الانصار (يحبون) أى على سبيل التجديد والاستمرار (من هاجر) وزادهم محبة فيهم بقوله تعالى (اليهم) لان القصد الى الانسان يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه (ولا يجدون فى صدورهم)

وعدمه فكيف قال تعالى ذلك مع اخباره بانهم لا ينصرون (قلت) معناه

قوله وليس فيه الا كذا بالاصل المطبوع وفى بعض النسخ اسقاط الا والمراد

أى التى هى مساكن قلوبهم فضلا عن أن تنطق ألسنتهم (حاجة) قال الحسن حسدا وحزازة
وغيظا (مما أوتوا) أى آتى النبى المهاجرين من أموال بنى النضير وغيرهم وأطلق لفظ الحاجة
على الحسد والغيظ والحزازة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فأطلق اسم اللازم على الملزوم
على سبيل الكناية فعلى هذا يكون الضمير الاول للجائين بعد المهاجرين وفى أوتوا للمهاجرين
وقيل ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج الا انها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى ولا يجدون
طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول
خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشرى والضميران على ما تقدم وقال
أبو البقاء مس حاجة أى انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوؤا الدار
والايمان قال القرطبى كان المهاجرون فى دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى
النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين فى انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم فى
الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم ان أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم
وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم وان أحببتم
أعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين
ويكونون فى دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف
والحرث بن الصمة * ولما أخبر تعالى عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل
فقال عز من قائل (ويؤثرون على أنفسهم) فيبذلون لغيرهم كائنا من كان ما فى أيديهم فان
الايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الاخروية وذلك ينشأ عن
قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة وذكر النفس دليل على انهم فى غاية النزاهة عن
الرذائل فان النفس اذا طهرت كان القلب أطهر وأكد ذلك بقوله تعالى (ولو كان) أى كونا
هو فى غاية المكنة (بهم) أى خاصة لا بالمؤثر (خصاصة) أى فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روى
عن أبى هريرة ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومى
الصبية وأطفئى السراج وقربى للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية وعنه أيضا قال جاء رجل
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك
بالحق ما عندى الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام
رجل من الانصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت
لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وذكر نحو الحديث
الاول وفى رواية فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فانطلق به الى رحله وذكر المهدوى
أنها نزلت فى ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له أبو المتوكل ولم يكن عنده الا قوته وذكر
القشيرى قال أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى
فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعثها اليهم فلم يزل يبعثها واحد الى آخر حتى تداولها سبعة
أبيات حتى رجعت الى الاول فنزلت الآية وذكر القرطبى عن أنس قال اهدى لرجل من

ولئن نصروهم فرضا وتقديرا كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

الصحابة رأس شاة وكان مجهودا فوجه بها الى جاره فتداولها سبعة أنفس فى سبعة أبيات ثم عادت الى الاول فنزلت (فان قيل) قد صح فى الخبر النهى عن التصدق بجميع ما يملكه المرء (أجيب) بان محل النهى فيمن لا يوثق منه بالصبر على الفقر ويخاف أن يتعرض للمسئلة اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين أثنى الله تعالى عليهم بالايثار على أنفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فكان الايثار فيهم أفضل من الامساك والامساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة أولى من الايثار كما روى أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتى أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال * والجود بالنفس أعلى غاية الجود * وأفضل من الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الصحيح ان أبا طلحة ترس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحرى دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فاذا برجل يقول آه آه فاشار الى ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وقال أبو يزيد البسطامى ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ قدم الينا حاجا فقال لى يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وسئل ذو النون ما حد الزهد قال ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت وحكى عن أبى الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الرى وبينهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم يأكل أحد منهم شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه (ومن يوق شح نفسه) أى يجعل بينه وبين اخلاقه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعا لما عنده حريصا على ما عند غيره حسدا قال ابن عمر الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال القرطبى الشح والبخل سواء وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفى الصحاح الشح البخل مع حرص والمراد بالشح فى الآية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوى الارحام والضيافة وما شاكل ذلك وليس بشحيح ولا بخيل من أنفق فى ذلك وان أمسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه روى الاسود عن ابن مسعود ان رجلا أتاه فقال انى أخاف ان أكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدى شيأ فقال ابن مسعود ليس ذلك الذى ذكره الله تعالى انما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بين الشح والبخل وقال طاوس البخل أن يبخل

(قوله لأنتم أشد رهبة) أى خوفا فى صدورهم من الله اشركت ابطن عنك

الانسان بما فى يده والشح أن يشح بما فى أيدى الناس يحب أن يكون له ما فى أيديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكاة وادخار الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس رضى الله عنهما من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع شيأ أمره الله تعالى باعطائه فقد وقاه الله تعالى شح نفسه وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من أدى الزكاة وأقرى الضيف وأعطى فى النائبة وعنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انى أعوذ بك من شح نفسى واسرافها ووساوسها وقال ابن الهياج الاسدى رأيت رجلا فى الطواف يدعو اللهم قنى شح نفسى لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسى لم اسرق ولم ازن ولم اقتل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبى ونزل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا وقال كسرى لاصحابه أى شئ أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال الشح أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع أبدا (فاولئك) أى العالو المنزلة (هم المفلحون) أى الكاملون فى الفوز بكل مراد قال القشيرى وتجرد القلب من الاعراض والاملاك صفة السادة والاكابر لا من اسرته الاخطار ولما أثنى سبحانه وتعالى على المهاجرين والانصار بما هم عليه واهله اتبعهم ذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى (والذين جاؤا) اى من اى طائفة كانوا (من بعدهم) اى بعد المهاجرين والانصار وهم من امن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان الانصار الذين اسلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة (يقولون) على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعائهم (ربنا) أى أيها المحسن الينا بايجادنا من مهد الدين قبلنا (اغفر لنا) أى أوقع ستر النقائص آثارها واعيانها (ولاخواننا) اى فى الدين فانهم اعظم اخوة وبينوا العلة بقولهم (الذين سبقونا بالايمان) قال ابن ابى ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا أجد فكن أنصاريا فان لم تجد فاعمل باعمالهم فان لم تستطع فاحبهم واستغفر لهم كما امر الله تعالى وقال مصعب ابن سعد الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التى بقيت وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه جاءه رجل فقال له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول فى عثمان فقال له يا اخى أنت من قوم قال الله تعالى فيهم للفقراء المهاجرين الآية قال لا قال فانت من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوؤا الدار والايمان الآية قال لا قال فوالله ان لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهى قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم الآية وروى ان نفرا من أهل العراق جاؤا الى محمد بن على بن

الله أى فى صدور المنافقين اوالبهود وظاهره لانهم أشد خوفا من الله (فان قلت)

الحسن فسبوا أبا بكر وعمر وعثمان فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين أنتم فقالوا لا فقال أمن الذين تبوؤا الدار والايمان قالوا لا قال فقد تبرأتم من هذين الفريقين أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم قوموا فعل الله بكم وفعل • (تنبيه) • هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن ابغضهم أو واحدا منهم أو اعتقد فيهم شرا انه لا حق له في الفيء قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه لهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من بعدهم الآية وهي عامة في جميع التابعين الآتين بعدهم الى يوم القيامة يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وددت لو رأيت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعد وانا فرطهم على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانه كل من اتى بعدهم كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا ان الذين جاؤا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة وانما بدؤا في الدعاء بأنفسهم لقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وقال الشعبي تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا أصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالاستغفار لهم فسبوهم وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها اعاذنا الله تعالى ومحبينا من الاهواء المضلة (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي ضغنا وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام (للذين آمنوا) اى اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى درجاته وقيدوا بالقلب لان رذائل النفس قل ان تنفك وانما ان كانت مع صحة القلب أوشك ان لا تؤثر (ربنا) اى ايها المحسن الينا بتعليم مالم نكن نعلم واكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما يقولون بقولهم (انك رؤف) اى راحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من أفعال الخير (رحيم) مكرم غاية الاكرام لمن أردت ولو لم يكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا الآن بين ان تكون انما وصلة فنكون من أهل الرافة أو لا فنكون من أهل الرحمة فقد افادت هذه الآية ان من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة فليس ممن عنى الله تعالى بهذه الآية وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة والباقون بعدها • ولما ذكر حال المؤمنين اتبعهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى (ألم تر) اى تعلم علما هو في غاية الجزم كالمشاهدة يا اعلى الخلق وبين بعدهم عن جنابه العالي ومنصبه الشريف العالي باداة الانتهاء فقال تعالى (الى الذين نافقوا) اى اظهروا غير ما اضمروا وبالغوا في اخفاء عقائدهم وهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة من الضب في نافقائه وقاصعائه وصور حالهم بقوله تعالى (يقولون لاخوانهم الذين كفروا) اى غطوا انوار المعارف التي دلتهم على الحق (من اهل الكتاب)

ان علق قوله من الله بأشهد لزم ثبوت الخوف لله وهو

وهم اليهود من بني قريظة والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا تحتمل وجوها أحدها الاخوة في الآخرة لان اليهود والمنافقين اشتركوا في عموم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود (لئن أخرجتم) أي من مخرج ما من المدينة (لنخرجن معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم) أي في خذلانكم (أحدا) أي يريد خذلانكم من الرسول والمؤمنين وأكدوا ذلك بقولهم (أبدا) أي مادمنا نعيش وبمثل هذا العزم يستحق الكافر الخلود الابدي في العذاب (وان قوتلتم) أي من أي مقاتل كان يقاتلكم ولم تخرجوا (لننصرنكم) أي لنعينكم ولنقاتلن معكم * ولما كان قولهم هذا كلاما يقضي عليه سامعه بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدأ من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله تعالى (والله) أي يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يشهد انهم) أي المنافقين (لكاذبون) أي فيما قالوا ووعدوا وهذا من أعلام دلائل النبوّة لانه اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم أخبر تعالى عن حال المنافقين بقوله تعالى (لئن أخرجوا) أي بنو النضير من أي مخرج كان (لا يخرجون) أي المنافقون (معهم) أي حمية لهم لاسباب يعلمها الله تعالى (ولئن قوتلوا) أي اليهود من أي مقاتل كان فكيف باشجع الخلق وأعلاهم صلى الله عليه وسلم (لا ينصرونهم) أي المنافقون ولقد صدق الله تعالى وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لا نصروهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك من أعلام النبوّة وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين (ولئن نصروهم) أي المنافقون في وقت من الاوقات (ليولن) أي المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله تعالى (الادبار) أي ولو قدر وجود نصرهم لولوا الادبار منهزمين (ثم لا ينصرون) أي لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد منهم نصرة في وقت من الاوقات ولم يزل المنافقون واليهود في الذل (لأنتم) أيها المؤمنون (أشد رهبة) أي خوفا (في صدورهم) أي اليهود ومن ينصرهم (من الله) أي لتأخير عذابه وأصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد الخوف وأشد من رهبتهم من الله لما مر (ذلك) أي الامر الغريب وهو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ماله من العظمة في ذاته ولكونه غيبا عنهم (بأنهم قوم) أي على مالهم من القوّة (لا يفقهون) أي لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله تعالى هو الذي ينبغي أن يخشى لا غيره بل هم كالانعام لانظرالهم الى الغيب انما هم مع المحسوسات والفقه هو العلم بفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي بسرعة فطنة وجودة قريحة (لا يقاتلونكم) أي اليهود والمنافقون (جميعا) اي قتالا تقصدونه مجاهرة وهم مجتمعون كلهم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن (الا في قرى محصنة) أي ممتنعة بحفظ الدروب وهي السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها (أو من وراء جدار) اي محيط بهم سواء كان بقرية أم بغيرها لشدة خوفهم وقد أخرج هذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كالاسير ومن كان ينزل

محل أو بالرهبة لزم كون المؤمنين أشد خوفا من المذكورين وليس

من أهل خيبر من الحصن يدار ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع أو يكون هذا خاصا ببنى النضير فى هذه الكرة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها وأمال الالف أبو عمرو والباقون بضم الجيم والدال (بأسهم) أى حربهم (بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم أجبن خلق الله تعالى (تحسبهم) اى اليهود والمنافقين يا أعلى الخلق أو يا أيها الناظر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائى بكسر السين والباقون بفتحها (جميعا) لما هم فيه من اجتماع الاشباح (وقلوبهم شتى) اى متفرقة أشد افتراق وموجب هذا الشتات اختلاف الاهواء التى لا جامع لها من نظام العقل كالبهائم وان اجتمعوا فى عداوة أهل الحق كاجتماع البهائم فى الهرب من الذئب قال القشيرى اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها أصل كل فساد وموجب كل تخاذل ومقتض لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك فى الهمة والتساوى فى القصد موجب كل ظفر وكل سعادة وقرأ شتى الحسن وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وابو عمرو بين بين والباقون بالفتح وهى على وزن فعلى (ذلك) أى الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق الذى يحصل الاجتماع (بانهم قوم) اى مع شدتهم (لا يعقلون) فلا دين لهم مثلهم فى ترك الايمان (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أى بزمن قريب وهم كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بنو قينقاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأسا شديدا عند ما قصدهم النبى صلى الله عليه وسلم فى اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم بأس الله تعالى فقالوا لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم اما والله لو قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس ثم مكروا بامرأة من المسلمين فراودوها عن كشف وجهها فابت فعقد واطرف ثوبها من تحت خمارها فلما قامت انكشف سوقها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة فقتل اليهودى الذى عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزل الله النبى صلى الله عليه وسلم ساحتهم فاذلهم الله تعالى ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء ابن أبى ولم يغن عنهم شيأ غير أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى أن لا يقتلهم وألح عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير حشر لهم بالالزام بالجلاء (ذاقوا وبال أمرهم) اى عقوبته فى الدنيا من القتل وغيره (ولهم عذاب أليم) اى مؤلم فى الآخرة ومثلهم أيضا فى سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كمثل الشيطان) أى البعيد من كل خير لبعده من الله تعالى المحترق بعذابه والشيطان هنا مثل المنافقين (اذ قال للانسان) وهو هنا مثل اليهود (اكفر) اى بالله بما زين له ووسوس اليه من اتباعه الشهوات القائم مقام الامر (فلما كفر) اى أوجد الانسان الكفر على اى وجه ودلت الفاء على اسراعه فى متابعة تزيينه (قال) اى الشيطان الذى هو هنا عبارة عن المنافقين (انى برئ منك) أى ليس بينى وبينك علاقة فى شئ أصلا ظنا منه ان هذه البراءة تنفعه شيأ مما استوجبه المأمور بقبوله لامره وذلك مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود فى الخذلانهم وعدم الوفاء فى نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف العطف كثير كقولك أنت عاقل أنت كريم أنت عالم وقوله كمثل الشيطان كالبيان لقوله تعالى

مرادا (قلت) الرهبة مصدر رهب بالبناء للمفعول هنا فالمعنى أشد

كمثل الذين من قبلهم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان
راهب نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا
من أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه
الشيطان فوعده ان سجد له أنجاه منهم فسجد له فتبرأ منه وروى عطاء وغيره عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد في صومعة لسبعين سنة لم يعص الله
تعالى فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا
أجد فيكم من يكفيني برصيصا فقال له الابيض وهو صاحب الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل عليه السلام ليوسوس اليه
على وجه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى أقصى أرض الهند فقال الابيض لابليس
أنا أكفيك أمره فانطلق فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه
فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة أيام مرة ولا يفطر في كل عشرة أيام الا مرة
فلما رآه الابيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من
صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم
على نفسه حين لم يجبه فقال له انك حين ناديتني كنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال حاجتي اني
أحببت ان أكون معك فأتأدب بأدبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة وتدعو لي
وأدعو لك فقال برصيصا اني في شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما أدعو
للمؤمنين نصيبا ان استجاب الله لي ثم أقبل على صلاته وترك الابيض فأقبل الابيض يصلي فلم
يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما التفت بعدها رآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة
اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تأذن لي ان ارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه
في صومعته فأقام حولا يتعبد فلا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل من صلاته الا كذلك
وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما
حال الحول قال الابيض لبرصيصا ان لي صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رأيت وكان
بلغنا عنك انك غير الذي رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذي رآه
من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات اعلمكها تدعو بهن فهن خير مما
انت فيه يشفي الله تعالى بها المريض ويعافي بها المبتلى والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه
المنزلة لان في نفسي شغلا واني اخاف ان علم به الناس يشغلوني عن عبادة ربي عز وجل فلم يزل به
الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال والله قد أهلكت الرجل فانطلق الابيض
فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه
قالوا نعم فقال اني لا أقوى على جنيته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه انطلقوا
الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به أجيب فانطلقوا به اليه فسألوه فدعا بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم
فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها ثلاثة اخوة
وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم ها ملك بني اسرائيل فعذبها وخنقها

مرهوبية يعني انكم
في صدورهم اهيب
من كون الله تعالى

ثم جاء اليهم في صورة رجل متطبب فقال أنا أعالجها قالوا نعم قال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال ابنوا صومعة الى جنب صومعته واسكنوا في صومعته حتى يشرف عليها فان قبلها والا فتضعونها في صومعتها ثم قولوا له هي أمانة عندك فاحتسب أمانتك فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة على ما أمرهم به الابيض ووضعوا الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاء الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك وينتهي لك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها ولم أقو عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها الليل فأخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فلما لم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبين جاء الشيطان الى أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا فقال الاخ هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله رأيت مثله وقال الاكبر أنا والله رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال أليس قد أعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتموني فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم فذهبوا اليه ومعهم غلمانهم ومواليهم بالفؤس والمساحي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكتفوه ثم أتوا به الى الملك فأقر على نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك أما اتقيت الله تعالى في الامانة خنت أهلها وانك زعمت انك أعبد بني اسرائيل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وأشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظائرك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه فآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له فقال يا برصيصا هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك الى ان كفرت بربك اني بريء منك

فيها ونظيره قولك زيدا أشد ضربا في الدار من عمرو يعني ضربه

(انى أخاف الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها (رب العالمين) أى الذى أوجدهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا فلا يخفى أحد من خلقه عن أحد شيأ الا باذنه (فكان) أى فتسبب عن قوله ذلك انه كان (عاقبتهما) اى الغار والمغرور (انهما فى النار) حال كونهما (خالدين فيها) لانهما ظلما ظلما لا فلاح معه (وذلك) أى العذاب الاكبر (جزاء الظالمين) أى كل من وضع العبادة فى غير موضعها أوهم الكافرون لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة فدس المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى مادعا كم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم فاجابوهم وان أخرجوكم خرجنا معكم فاجابوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فناصبوهم الحرب فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين فى النار قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكانت الرهبان بعد ذلك فى بنى اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسوق فى الاحبار ورموهم بالبهتان حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله تعالى مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس وكانت قصة جريج ماروى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته أمه وهو يصلى فقالت ياجريج فقال رب أمى وصلاتى وأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته فقال مثل مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فحملت منك فقال أين الصبى فجاؤا به فقال دعوه حتى أصلى فلما انصرف من صلاته أتى الصبى وطعن فى بطنه وقال ياغلام من أبوك فقال فلان الراعى قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم أمه وهى ترضعه فى قصة مشهورة (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بالايمان باللسان (اتقوا الله) أى اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم باتباع أوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى فى يوم القيامة لان هذه الدنيا كلها كيوم واحد يجيء فيه ناس ويذهب آخرون والموت والآخرة لابد من كل منهما وكل مالابد منه فهو فى غاية القرب والعرب تكنى عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على أن الساعة قريبة كقول القائل

* وان غدا لناظره قريب *

وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها كغد لان كل آت قريب والموت لامحالة آت ومعنى ماقدمت أى من خير أو شر ونكر النفس لاستقلال الانفس التى تنظر فيما قدمت للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ونكر الغد لتعظيمه

(قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون) ختمه هنا بقوله لا يفقهون وبعده

وابهام أمره كأنه قال الغد لا تعرف كنه لعظمته وقوله تعالى (واتقوا الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال تأكيد وقيل كرر لتغاير متعلق التقويين فتعلق الاولى أداء الفرائض لاقترانه بالعمل والثانية ترك المعاصى لاقترانه بالتهديد والوعيد قال معناه الزمخشرى (ان الله) أى الذى له الاسماء الحسنى والصفات العليا (خبير) أى عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة (بما تعملون) فلا تعملون عملا الا كان بمرأى منه ومسمع فاستحيوا منه (ولا تكونوا) أيها المحتاجون الى التحذير وهم الذين آمنوا (كالذين نسوا الله) أى اعرضوا عن أوامر ونواهى الملك الاعظم وتركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ماله من صفات الجلال والاكرام (فأنساهم) أى فتسبب عن ذلك ان أنساهم بماله من الاحاطة بالظواهر والبواطن (أنفسهم) أى فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا شيأ كان مشوبا بالمفسدات من الرياء والعجب فكانوا ممن قال فيه تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة الآية لانهم لم يدعوا بابا من أبواب الفسق فان رأس الفسق الجهل بالله ورأس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس فاعرف الناس بنفسه اعرفهم بربه (أولئك) أى البعداء من كل خير (هم الفاسقون) أى العريقون فى المروق من دائرة الدين (لا يستوى) أى بوجه من الوجوه (أصحاب النار) أى التى هى محل الشقاء الاعظم (وأصحاب الجنة) أى التى هى دار النعيم الاكبر لا فى الدنيا ولا فى الآخرة واستدل بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى الناجون من كل مكروه المدركون لكل محبوب وأصحاب النار هم الهالكون فى الدارين كما وقع فى هذه الغزوة لفريقى المؤمنين وبنى النضير ومن والاهم من المنافقين فشتان ما بينهما (لو أنزلنا) أى بعظمتنا التى أبانها هذا الانزال (هذا القرآن) أى الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم (على جبل) أى جبل كان أو جبل فيه تمييز كالانسان (لرأيته) يا أشرف الخلق وان لم يتأهل غيرك لتلك الرؤية (خاشعا) أى متذللا باكيا (متصدعا) أى متشققا غاية التشقق (من خشية الله) أى من الخوف العظيم ممن له الكمال كله وفى هذا حث على تأمل مواعظ القرآن وتدبر آياته (وتلك الامثال) أى التى لا يضاهيها شئ (نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيؤمنون والمعنى أنا لو أنزلنا هذا القرآن على الجبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وأنتم أيها المشهورون باعجازه لا ترغبون فى وعده ولا ترهبون من وعيده والغرض من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه أن ثبته لما لم تثبت له الجبال وقيل انه خطاب للامة والمعنى لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله تعالى والانسان أقل قوة وأكثر ثباتا فهو يقوم بحقه ان أطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب * ولما وصف تعالى القرآن بالعظم ومعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمته تعالى فقال عز من قائل (هو) أى الذى وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شئ يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود دائما أزلا وأبدا فهو حاضر فى كل ضمير غائب

بقوله لا يعقلون لان الاول متصل بقوله لانتم أشد رهبة فى صدورهم من

بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشيته ولما عبر عنه بأخص اسمائه اخبر عنه لطفا بنا وتنزلا لنا باشهرها الذي هو مسمى الاسماء كلها بقوله تعالى (الله) أي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الا له (الذي لا اله الا هو) فانه لا مجانس له ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شئ والاله أول اسم لله تعالى فلذلك لا يكون أحد مسلما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو أساس كل فريضة (عالم الغيب) اى الذي غاب عن جميع خلقه (والشهادة) اى الذي وجد فكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل استوى في علمه السر والعلانية والموجود والمعدوم وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان رحمن أشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لانه تعالى باحسانه في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة يختص انعامه واحسانه بالمؤمنين (هو الله) أي الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء الا هو (الذي لا اله) أي لا معبود بحق (الا هو الملك) أي فلا ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شئ لانه مهما أراد كان فهو متصرف بالامر والنهي في جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أي البليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال او يسبق اليه وهم أو يختلج اليه ضمير ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) أي الذي سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في اعطائه السلامة (المؤمن) قال ابن عباس هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما أوعد الكافرين من العذاب وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو قال ابن عباس اذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (المهيمن) قال ابن عباس أي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه بقدرته وقيل هو الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء (العزيز) أي الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر (الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراده أو جبر حالهم بمعنى أصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذا قوله تعالى (المتكبر) أي الذي تكبر على كل ما يوجب حاجة أو نقصا وهو في حقه تعالى صفة مدح لانه له جميع صفات العلو والعظمة وفي صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه التكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذابا في فعله (سبحان الله) أي تنزه الملك الاعلى الذي اختص بجميع صفات الكمال تنزها لا تدرك العقول منه أكثر من انه علا عن اوصاف الخلق فلا يدانيه شئ من نقص تعالى (عما يشركون) اى من هذه المخلوقات

الله أي لانهم يفقهون ظاهر الشئ دون باطنه والفقه معرفة الظاهر

من الاصنام وغيرها مما في الارض أو في السماء من صغير وكبير وجليل وحقير (هو) أي
الذي لا شئ يستحق أن يطلق عليه هذا الضمير غيره لان وجوده من ذاته ولا شئ غيره الا وهو
ممكن * ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذي هو أظهر الاشياء أخبر عنه باشهر الاشياء الذي
لم يقع فيه شركة بوجه فقال تعالى (الله) الذي ليس له سمي فلا كفء له فهو المعبود بالحق فلا
شريك له بوجه (الخالق) أي المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) أي المخترع المنشئ
للاشياء من العدم الى الوجود بريا من التفاوت وقوله تعالى (المصور) أي الذي يخلق صور
الاشياء على ما يريد بكسر الواو ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترزت بهذا الضبط عن
قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن فانهما قرآ بفتح الواو ونصب الراء وهي قراءة
شاذة وانما تعرضت لها لابين وجهها وهو ان تخرج هذه القراءة على ان يكون المصور
منصوبا بالبارئ والمصور هو الانسان اما آدم واما هو وبنوه وعلى هذه القراءة يحرم الوقف
على المصور بل يجب الوصل ليظهر النصب في الراء والا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز
(له) أي خاصة (الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد فيها الحديث وقد ذكرتها في
سورة الاسراء والحسنى تأنيث الاحسن (يسبح) أي يكرر التنزيه الاعظم عن كل شئ من
شوائب النقص على سبيل التجدد والاستمرار (له) أي على وجه التخصيص (ما في السموات)
أي السموات وما فيها (والارض) وما فيها (وهو) أي والحال انه وحده (العزيز) أي الذي
يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أي الجامع للكمالات باسرها فانهما راجعة الى الكمال في
القدرة والعلم * وعن معقل بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح
ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من سورة
الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا
ومن قاله حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن أبي هريرة انه قال
سألت خليلي أبا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر
سورة الحشر فأكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله
لمكان هذه الآية وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حديث موضوع

والباطن فناسب نفي الفقه عنهم والثاني متصل بقوله تحسبهم جميعا

سورة الممتحنة مدنية

وهي ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الذي من تولاه أغناه عمن سواه (الرحمن) الذي شمل برحمة البيان من حاطه
بالعقل ورعاه (الرحيم) الذي خص بالتوفيق من أحبه وارتضاه * ونزل في حاطب بن أبي بلتعة
(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي) أي وأنتم تدعون موالاتي (وعدوكم) أي العريق
في عداوتكم ما دمتم على مخالفته في الدين (أولياء) وذلك ما روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي
يقال لها سارة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت

قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالى والعشيرة وقد ذهبت الموالى تعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى فقال صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن شباب أهل مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وقد توجه اليكم بجيش كالليل وأقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله تعالى بكم وأنجز له موعده فيكم فالله وليه وناصره فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت ما معها كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من عقاص شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وروى عزيزا فيهم أى غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى فاردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل عليهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم واضافة العدو الى الله تعالى تغليظا فى جرمهم وهذه السورة أصل فى النهى عن موالاة الكفار وتقدم نظيره فى قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم وروى أن حاطبا لما سمع يا أيها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه تعالى استأنف بيان هذا الاتخاذ بقوله تعالى مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله تعالى (تلقون) اى جميع ما هو فى حوزتكم مما لا تطمعون فيه القاء الشئ الثقيل من علو (اليهم) على بعدهم منكم حسا ومعنى (بالمودة) اى بسببها قال القرطبى تلقون اليهم بالمودة يعنى بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أما صاحبكم فقد صدق هذا نص فى اسلامه وسلامة فؤاده وخلوص اعتقاده وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها وقوله تعالى (وقد كفروا) اى غطوا جميع ما لكم من الادلة (بما) اى بسبب ما (جاءكم من الحق) اى الامر الثابت الكامل فى الثبات الذى

وقلوبهم شتى اى لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا وانه مناسب نفى العقل

من فاعل تلقون اى لاتتولوهم ولاتوددوهم وهذه حالهم وقوله تعالى (يخرجون الرسول) يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون تفسيرا لكفرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا من فاعل كفروا وقوله تعالى (واياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم تشريفا له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تؤمنوا) اى توقعوا حقيقة الايمان مع التجدد والاستمرار (بالله) اى الذى اختص بجميع صفات الكمال (ربكم) اى المحسن اليكم تعليل ليخرجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لأن تؤمنوا بالله اى لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن أخرج مع النبى صلى الله عليه وسلم وفى ذلك تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) اى من أوطانكم وقوله تعالى (جهادا فى سبيلى) اى بسبب ارادتكم تسهيل طريقى التى شرعتها لعبادى أن يسلكوها (وابتغاء مرضاتى) اى ولاجل تطلبكم أعظم الرغبة لرضاى علة للخروج وعمدة التعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا وقرأ الكسائى بالامالة محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى (تسرون) اى توجدون جميع مايدل على مناصحتكم اياهم والتودد (اليهم بالمودة) اى بسببها بدل من تلقون قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه أن يكون بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا أو استئناف واقتصر عليه الزمخشرى (وأنا) اى والحال أنى (أعلم) اى من كل أحد حتى من نفس الفاعل وقرأ نافع بمد الالف بعد النون (بما أخفيتم وما أعلنتم) قال ابن عباس بما أخفيتم فى صدوركم وما أظهرتم بألسنتكم اى فاى فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون انى عالم به وان كنتم تتوهمون أنى لا أعلمه فهى القاصمة (ومن يفعله) اى يوجد اسرار خبر اليهم ويكاتبهم (منكم) اى فى وقت من الاوقات (فقد ضل) اى عمى ومال وأخطأ (سواء السبيل) اى قويم الطريق الواسع الموصل الى القصد قويمه وعدله قال القرطبى هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قال القائل

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون بالادغام (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم فى وقت من الاوقات ومكان من الاماكن (يكونوا لكم أعداء) اى ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم) اى خاصة وان كان هنالك فى ذلك الوقت من غيركم من قبل أعز الناس عليهم (أيديهم) اى بالضرب ان استطاعوا (وألسنتهم) اى بالشتم مضمومة الى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما تجرع من آخر من الغصص حتى أوجب له غاية السفه (بالسوء) اى بكل ما من شأنه أن يسوء (وودوا) اى تمنوا قبل هذا (لو تكفرون) لان مصيبة الدين أعظم فهم اليها أسرع لان دأب العدو القصد الى أعظم ضرر اعدوه وعبر بما يفهم التمنى الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى انهم أحبوا ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشرى بانه من قبيل المحال وقدم الاول لانه أبين فى العداوة وان كان الثانى أنكى * ولما كانت عداوتهم معروفة وانما غطاها محبة القرابات لان الحب للشئ يعمى ويصم نخطأ رأيهم فى موالاتهم بما

عنهم (ان قلت) كيف يستقيم التفضيل باشدية الرهبة مع انهم لا يرهبون

قوله وان كان هنالك الخ المناسب وان كنتم من قبل أعز الناس عليهم اه

أعلمه به من حالهم فقال تعالى مستأنفا اعلاما بأنهم أخطأوا على كل حال (لن تنفعكم) بوجه من الوجوه (أرحامكم) أى قراباتكم الحاملة لكم على رحمتكم والعطف عليهم (ولا أولادكم) أى الذين هم أخص أرحامكم ان والبتم أعداء الله تعالى لأجلهم فينبغي أن لا تعدوا أقربهم منكم بوجه أصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله تعالى (يوم القيامة) أى القيام الأعظم (يفصل) أى يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب وقرأ عاصم بفتح الياء واسكان الفاء وكسر الصاد مخففة وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الفاء وفتح الصاد مشددة وحمزة والكسائي كذلك الا أنهما يكسران الصاد والباقون بضم الياء وسكون الفاء (بينكم) أى أيها الناس فيدخل من يشاء من أهل طاعته الجنة ومن يشاء من أهل معصيته النار فلا ينفع أحد أحدا منكم بشيء من الأشياء الا ان كان قد أتى الله تعالى بقلب سليم فيأذن الله تعالى في اكرامه بذلك (والله) أى الذي له الاحاطة التامة (بما تعملون) أى من كل عمل في كل وقت (بصير) فيجازيكم عليه في الدنيا والآخرة ولما نهى تعالى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأن من سيرته التبري من الكفار بقوله تعالى (قد كانت) أى وجدت وجودا تاما وكان تأنيث الفعل اشارة الى الرضا بها ولو كانت على أدنى الوجوه (لكم) أى أيها المؤمنون (اسوة) أى موضع اقتداء وتأسية في ابراهيم وطريقة مرضية وقرأ اسوة في الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها (حسنة) أى يرغب فيها (في ابراهيم) أى في قول أبي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين معه) أى ممن كان قبله من الانبياء قاله القشيري وممن آمن به في زمانه كابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام وهم قدوة أهل الجهاد والهجرة وقيل المراد بمن معه أصحابه من المؤمنين وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وبعدها ياء أى فاقتدوا به الا في استغفاره لأبيه قال القرطبي الآية نص في الأمر بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام في فعله وذلك يدل على أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد في شرعنا ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقا وهو الاصح عندنا (اذ) أى حين (قالوا) وقد كان من آمن به أقل منكم وأضعف (لقومهم) أى الكفرة وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى وكان لهم فيهم أرحام وقرابات ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات (انا برآء) أى متبرؤن تبرئة عظيمة (منكم) وان كنتم أقرب الناس الينا ولا ناصر لنا منهم غيركم (ومما تعبدون) أى توجدون عبادته في وقت من الاوقات (من دون الله) أى الملك الأعظم (كفرنا بكم) أى جحدناكم وأنكرنا دينكم (وبدا) أى ظهر ظهورا عظيما (بيننا وبينكم العداوة) وهي المباينة في الافعال بأن يعدو كل أحد على الآخر (والبغضاء) وهي المباينة بالقلوب للبغض العظيم * ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا (أبدا) أى على الدوام وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد المضمومة واوا خالصة والباقون بتحقيقها وهم على مراتبهم في المد واذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة ألفا مع المد والتوسط والقصر ولهما أيضا التسهيل مع المد والقصر والروم معهما * ولما كان ذلك مؤيسا من صلاح الحال وقد يكون لحظ النفس بينوا غايته

الله لانهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر (قلت) معناه ان رهبتهم في

بقولهم (حتى تؤمنوا بالله) اى الملك الذى له الكمال كله (وحده) اى تتركوا مكذبين بكل مايعبد دون الله تعالى وقوله تعالى (الاقول ابراهيم لابيه) فيه أوجه أحدها انه استثناء متصل من قوله تعالى فى ابراهيم ولكن لابد من حذف مضاف ليصح الكلام تقديره فى مقالات ابراهيم الاقوله كيت وكيت ثانيها انه مستثنى من اسوة حسنة واقتصر على ذلك الجلال المحلى و جاز ذلك لان القول أيضا من جملة الاسوة لان الاسوة الاقتداء بالشخص فى أقواله وأفعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة فى جميع أحواله من قول وفعل الاقوله كذا وهو أوضح لانه غير محوج الى تقدير مضاف وغير مخرج للاستثناء من الاتصال الذى هو أصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشرى غيره ثالثها قال ابن عطية ويحتمل أن يكون الاستثناء من التبرى والقطيعة التى ذكرت اى لم تبق صلة الا كذا رابعها أنه استثناء منقطع اى لكن قول ابراهيم وهذا بناء من قائله على أن القول لم يندرج تحت قوله اسوة وهو ممنوع قال القرطبى معنى قوله تعالى الاقول ابراهيم لابيه (لاستغفرن لك) اى فلا تتأسوا به فى الاستغفار فتستغفروا للمشركين فانه كان عن موعدة منه له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء ان ابراهيم هجر قومه وباعدهم الافى الاستغفار لابيه ثم بين عذره فى سورة التوبة وفى هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء لانا حين أمرنا بالاقتداء به أمرنا أمرا مطلقا فى قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وحين أمرنا بالاقتداء بابراهيم استثنى بعض أفعاله وهذا انما جرى لانه ظن أنه أسلم فلما بان أنه لم يسلم تبرأ منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن انه أسلم وأنتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالونهم وقوله (وما أملك لك من الله) اى من عذاب أو ثواب الملك الاعلى المحيط بنعوت الجلال (من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أحواله وقوله (ربنا) اى أيها المحسن الينا (عليك) اى لا على غيرك (توكلنا) اى فوضنا أمرنا اليك يجوز أن يكون من مقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه فهو من جملة الاسوة الحسنة وفصل بينهما بالاستثناء ويجوز أن يكون منقطعا عما قبله على اضمار قول وهو تعليم من الله تعالى لعباده كانه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا (واليك) اى وحدك (أنبنا) اى رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا (واليك) اى وحدك (المصير) اى الرجوع فى الآخرة (ربنا) اى أيها المربى لنا والمحسن الينا (لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) اى بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانحتمله أو فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لاتعذبنا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك وقيل لاتبسط عليهم الرزق دوننا فان ذلك فتنة لهم (واغفرلنا) اى استر ماوقع منا من الذنوب وامح عينه وأثره (ربنا) اى أيها المحسن الينا وأكدوا الاعلام بشدة رغبتهم فى حسن الثناء عليه فقالوا (انك أنت) اى وحدك لاغيرك (العزيز) اى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) اى الذى يضع الاشياء فى أوفق محالها فلا يستطاع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطى من أمله ماطلب وقوله تعالى (لقد كان لكم) اى يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم) اى ابراهيم ومن معه من الانبياء

الشر منكم أشد من رهبتهم من الله التى ونم الكم وكانوا يظهرون

والاولياء (اسوة حسنة) اى فى التبرى من الكفار وكررلتأكيد وقيل نزل الثانى بعد الاول بمدة قال القرطبى وما أكثر المكرر ات فى القرآن على هذا الوجه وقوله تعالى (لمن كان يرجوا الله) اى الملك المحيط بجميع صفات الكمال (واليوم الآخر) اى الذى يحاسب فيه على النقير والقطمير بدل من الضمير فى لكم بدل بعض من كل وفى ذلك بيان أن هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) اى يوقع الاعراض عن أوامر الله تعالى فيوالى الكفار (فان الله) اى الذى له الاحاطة الكاملة (هو) اى خاصة (الغنى) اى عن كل شئ (الحميد) اى الذى له الحمد المحيط لاحاطته باوصاف الكمال فهو حميد فى نفسه وصفاته أوحميد الى أوليائه وأهل طاعته ولما نزلت الآية الاولى عادى المسلمون أقرباءهم من المشركين فعلم الله تعالى شدة وجد المسلمين فى ذلك فنزل (عسى الله) اى أنتم جديرون بان تطمعوا فى الملك الاعلى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (أن يجعل) اى باسباب لاتعلمونها (بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى كفار مكة (مودة) اى بان يلهمهم الايمان فيصير والكم أولياء وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه لان عسى من الله تعالى وعد وهو لايخلف الميعاد (والله) اى الذى له كمال الاحاطة (قدير) اى بالغ القدرة على كل مايريده فهو يقدر على تقليب القلوب وتيسير العسير (والله) اى الذى له جميع صفات الكمال (غفور) اى محاء لاعيان الذنوب وآثارها (رحيم) يكرم الخاطئين اذا أراد بالتوبة ثم بالجزاء غاية الاكرام فيغفر لمافرط منكم فى موالاتهم من قبل ومابقى فى قلوبكم من ميل الرحم وقوله تعالى (لاينهاكم الله) اى الذى اختص بالجلال والاكرام (عن الذين لم يقاتلوكم) اى بالفعل (فى الدين) الآية رخصة من الله تعالى فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد هذا كان فى أول الاسلام عند الموادعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك أنهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله تعالى فى برهم وقال أكثر أهل التأويل انها محكمة واحتجوا بان أسماء بنت أبى بكر قدمت أمها وهى مشركة عليها المدينة بهدايا فقالت أسماء لاأقبل منك هدية ولاتدخلى على بيتى حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله تعالى هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخل منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفى ذلك اشارة الى الاقتصاد فى العداوة والولاية كما قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وروى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه طلق امرأته قتيلة فى الجاهلية وهى ام اسماء بنت أبى بكر فقدمت عليهم فى المدة التى كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى اسماء بنت ابى بكر قرطا وأشياء فكرهت ان تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين (ولم يخرجوكم من دياركم أن) اى لاينهاكم عن أن (تبروهم) بنوع من أنواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح فى قصد المودة (وتقسطوا اليهم) اى تعطوهم

يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله تعالى (قوله واتنظر نفس ما قدمت

قسطا من أموالكم على وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل فان العدل
واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل وحكى أن القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذمي فاكرمه
فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا عليهم هذه الآية (ان الله) اي الذي له الكمال كله (يحب)
اي يثيب (المقسطين) اي الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل (انما ينهاكم الله) اي الذي
له الاحاطة الكاملة علما وقدرة (عن الذين قاتلوكم) اي جاهدوكم متعمدين لقتالكم (في
الدين) اي عليه فليس شيء من ذلك خارجا عنه (وأخرجوكم من دياركم) اي بانفسهم لبغضكم
وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا) اي عاونوا غيرهم (على اخراجكم) وهم مشركو مكة وقوله
تعالى (ان تولوهم) بدل اشتمال من الذين اي تتخذوهم أولياء وقرأ البزي بتشديد التاء
والباقون بالتخفيف ولما كان التقدير فمن أطاع فاولئك هم المفلحون عطف عليه قوله تعالى
(ومن يتولهم) اي يكلف نفسه الحمل على غير ما تدعو اليه الفطرة الاولى من المنابذة وأطلق
ولم يقيد بعندكم ليعم المهاجرين وغيرهم والمؤمنين وغيرهم (فاولئك) اي الذين أبعدوا عن
العدل (هم الظالمون) اي الغريقون في ايقاع الاشياء في غير مواضعها ولما أمر المسلمين بترك
موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان
التناكح من أوكد أسباب الموالاة فبين أحكام مهاجرة النساء بقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا) اي أقروا بالايمان (اذا جاءكم المؤمنات) اي بانفسهن (مهاجرات) اي من الكفار
بعد الصلح معهم في الحديبية (فامتحنوهن) اي بالحلف انهن ما هاجرن الا رغبة في الاسلام
لا بغضا في أزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحلفهن قيل ان سبب الامتحان انه كان من أرادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بامتحانهن (الله) اي
المحيط بكل شيء قدرة وعلما (أعلم) اي منكم ومن أنفسهن (بايمانهن) هل هو كائن أم لا على
وجه الرسوخ أم لا فانه المحيط بما غاب كاحاطته بما شوهد وانما وكل الامر اليكم في ذلك سترا
للناس (فان علمتموهن مؤمنات) اي العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرات
بالحلف وغيره (فلا ترجعوهن) اي بوجه من الوجوه (الى الكفار) وان كانوا أزواجا قال
ابن عباس لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على ان من أتاه من أهل مكة رده
اليهم جاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية فاقبل زوجها وكان كافرا وكان صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال
يا محمد اردد علي امرأتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه
الآية وروى ان أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أهلها
يسألونه ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها عمارة والوليد فرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط
فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الآية وعن
عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية أن لا يأتيك

لغد) اي ليوم القيامة وفائدة تنكير النفس بيان ان الانفس الناظرة

منا أحد وان كان على دينك الارددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الارده في تلك المدة وان كان مسلما حتى أنزل الله تعالى في المؤمنات ما أنزل وهذا يومئ الى ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن وقال بعض العلماء كله منسوخ بالقرآن وقالت طائفة لم يشترط ردهن في العقد لفظا وانما أطلق العقد في رد من أسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين أحدهما انهن ذوات فروج تحرم عليهم الثاني انهن أرق قلوبا وأسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم (لاهن) اى المؤمنات (حل) اى موضع حل ثابت (لهم) اى الكفار باستمتاع ولاغيره وقوله تعالى (ولاهم) اى رجال الكفار (يحلون لهن) اى المؤمنات تأكيد للاول لتلازمهما وقال البيضاوى والتكرير للمطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف وقيل أراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ماداموا مشركين وهن مؤمنات والمعنى لم يحل الله تعالى مؤمنة لكافر في حال من الاحوال وهذا أدل دليل على ان الذى أوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لاهجرتها وقال أبو حنيفة الذى فرق بينهما هو اختلاف الدارين والصحيح كما قال ابن عادل الاول لان الله تعالى بين العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار * ولما نهى عن الرد وعلله أمر بما قدم من الاقساط اليهم فقال تعالى (وآتوهم) اى اعطوا الازواج (ما أنفقوا) اى عليهن من المهور فان المهر في نظير أصل العشرة ودوامها وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خساران الزوجية والمالية وأما الكسوة والنفقة فانهما مما يتجدد من الزمان * (تنبيه) * أمر الله تعالى برد ما أنفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام وهل يجب ذلك أو يندب ظاهر الآية الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعى لان البضع ليس بمال فلا يشمله الامان كما لا يشمل زوجية والآية وان كان ظاهرها الوجوب محتملة للندب الصادق بعدم الوجوب الموافق للاصل وقال مقاتل يرد المهر للذى يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها الكافر شئ وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء أهل الذمة فاما من لاعهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق قال القرطبى والامر كما قال (ولاجناح) اى حرج وميل (عليكم) يا أيها المشرفون بالخطاب (ان تنكحوهن) اى تجددوا زواجكم بهن بعد الاستبراء وان كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق عنهن لان الاسلام فرق بينهم قال الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولما كان قد أمر برد مهور الكفار فكان ربما ظن انه مغن عن تجديد مهر لهن اذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله (اذا آتيتموهن) اى لاجل النكاح (أجورهن) اى مهورهن وفى شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذان بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى هنا عقد النكاح اى من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمتها

في معادها قليلة جدا كأنه
قيل وانتظر نفس واحدة
في ذلك وأين تلك النفس

فلا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة
قال النخعي المراد بالآية هي المرأة المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون
المسلمات والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية فطلق عمر بن الخطاب
حينئذ امرأتين له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما
على شركهما بمكة وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية أم عبد الله بن المغيرة فتزوجها أبو جهم بن
حذافة وهما على شركهما بمكة فلما ولي عمر قال أبو سفيان لمعاوية طلق قريبة فلا يرى عمر
سلبه في بيتك فأبى معاوية وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن
عبد المطلب ففرق الإسلام بينهما ثم تزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن
فر إلى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن
أمية وقال الشعبي كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن
الربيع أسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة
وأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس
بالنكاح الأول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمرو في حديث بعد ست سنين وقال الحسن بن علي
بعد سنتين قال أبو عمر فإن صح هذا فلا يخلو من وجهين إما أنها لم تحض حتى أسلم زوجها وإما
أن الأمر فيها منسوخ بقوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما
لا خلاف فيه أنه عني به العدة قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل أن تنزل الفرائض
وقال قتادة كان هذا قبل أن تنزل سورة براءة بقطع العهود بينهم وبين المشركين
(تنبيه) المراد بالكوافر هنا عبدة الأوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقيل هي عامة
نسخ منها نساء أهل الكتاب فعلى الأول إذا أسلم وثني أو مجوسي ولم تسلم امرأته فرق بينهما
وهو قول بعض أهل العلم منهم مالك والحسن وطاوس وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله تعالى
ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر بها تمام العدة وهو قول الزهري
والشافعي وأحمد واحتجوا بأن أبا سفيان بن الحرث أسلم قبل هند بنت عتبة امرأته وكان
إسلامه بمر الظهران ثم رجع إلى مكة وهند بها كافرة مقيمة على كفرها فأخذت بلحيته وقالت
اقتلوا الشيخ الضال ثم أسلمت بعده بأيام فاستقرا على نكاحهما لأن عدتها لم تكن انقضت
قالوا ومثله حكيم بن حزام أسلم قبل امرأته ثم أسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي
ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لأن نساء المؤمنين محرمات على الكفار
كما أن المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى لا هن حل لهم
ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة أن مراد الله تعالى من قوله هذا أنه لا يحل بعضهم
لبعض إلا أن أسلم الثاني منهما في العدة وقال أبو حنيفة وأصحابه في الكافرين
الذميين إذا أسلمت المرأة عرض على الزوج الإسلام فإن أسلم وإلا فرق بينهما قالوا ولو كانا
حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلاث حيض إذا كانا جميعا في دار الحرب أو في دار الإسلام
وإن كان أحدهما في دار الحرب والآخر في دار الإسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم

وفائدة تنكير الغد تعظيمه
وإبهام أمره كأنه قيل الغد
لا يعرف النفس كنهه

ان اعتبار الدار ليس بشئ وهذا الخلاف انما هو فى المدخول بها اما غير المدخول بها فلا نعلم
خلافا فى انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول مالك فى المرأة ترتد وزوجها المسلم
تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصرى
والحسن بن صالح وقال الشافعى وأحمد ينتظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين
فاسلمت الزوجة فمذهب مالك والشافعى وأحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الوثنى
تسلم زوجته ان أسلم فى عدتها فهو أحق بها كما ان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل
احق بزوجتيهما لما أسلما فى عدتهما لما ذكر مالك فى الموطا قال بعض العلماء كان
بين اسلام صفوان وبين اسلام امرأته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امرأة هاجرت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين
زوجها الا أن يقدم زوجها مهاجرا قبل ان تنقضى عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح
بينهما لما روى يزيد بن علقمة قال أسلم جدى ولم تسلم جدتى ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس
وعطاء والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل له عليها الا بخطبة (واسئلوا) اى ايها المؤمنون الذين
ذهبت زوجاتهم الى الكفار مرتدات (ما انفقتم) أى من مهور نسائكم (وليسئلوا) أى
الكفار (ما انفقوا) اى من مهور أزواجهم اللاتى أسلمن قال المفسرون كان من ذهب من
المسلمات مرتدات الى الكفار من أهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين
اذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين
الحالين (ذلكم) أى الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيد المنال الرتبة عن كل سفيه
(حكم الله) أى الملك الذى له صفات الكمال فلا تلحقه شائبة نقص (يحكم) اى الله اذ حكمه على
سبيل المبالغة (بينكم) اى فى هذا الوقت وفى غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل
الهدنة التى كانت وقعت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم وأما قبل الحديبية فكان النبى
صلى الله عليه وسلم يمسك النساء ولا يرد الصداق (والله) أى الذى له الاحاطة التامة (عليم) أى
بالغ العلم لا يخفى عليه شئ (حكيم) أى فهو لتمام علمه يحكم كل أمر وغاية الاحكام فلا
يستطيع أحد نقض شئ منها روى ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله تعالى وكتبوا الى
المشركين فامتنعوا فنزل قوله تعالى (وان فاتكم شئ من ازواجكم) أى واحدة فاكثر منهن
أو شئ من مهورهن بالذهاب (الى الكفار) مرتدات (فعاقبتم) فغزوتم وغنمتم من أموال
الكفار فجاءت نوبة ظفركم باداء المهر الى اخوانكم طاعة وعدلا عقب نوبتهم التى اقتطعوا فيها
ما انفقتم ظلما (فآتوا) أى فاحضروا واعطوا من مهر المهاجرة (الذين ذهبت أزواجهم)
اى منكم من الغنيمة (مثل ما انفقوا) اى لفواته عليهم من جهة الكفار روى الزهرى عن
عروة عن عائشة انها قالت حكم الله تعالى بينهم فقال جل ثناؤه واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا
ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله تعالى بيننا بانه ان جاءتكم امرأة منا ان توجهوا
الينا صداقها وان جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا أما نحن فلا نعلم لكم
عندنا شيأ فان كان لكم عندنا شئ فوجهوا به فانزل الله تعالى وان فاتكم شئ من أزواجكم
الآية وقال ابن عباس فى قوله تعالى ذلكم حكم الله أى بين المسلمين والكفار من أهل العهد

عظمته وهو له فالتنكير فيه للتعظيم وفى النفس التعليل (ان قلت) الغد

من أهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد عليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما أمروا ان يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من الفيء والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا وبينه عهد وقالا معنى فعاقبتم فاقتصصتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا اى من المهور وقال ابن عباس معنى الآية ان لحقت امرأة مؤمنة بكفار أهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري يعطى من مال الفيء وعنه يعطى من صداق من لحق بها اهـ (تنبيه) محصل مذهب الشافعي في هذه الآية ان الهدنة لو عقدت بشرط ان يردوا من جاءهم منا مرتدا صح ولزمهم الوفاء به سواء كان رجلا أو امرأة حرا او رقيقا فان امتنعوا من رده فناقضون للعهد لمخالفتهم الشرط أو عقدت على ان لا يردوه جاز ولو كان المرتد امرأة فلا يلزمهم رده لانه صلى الله عليه وسلم شرط ذلك في مهادنة قريش حيث قال اسهيل بن عمرو وقد جاء رسولا منهم من جاءنا منكم رددناه ومن جاءكم منا فسحقا سحقا ومثله ما لو اطلق العقد كما فهم بالاولى ويغرمون فيهما مهر المرتدة (فان قيل) لم غرموا مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من الخلاف (أجيب) بانهم قد فوتوا عليه الاستتابة الواجبة علينا وأيضا المانع جاء من جهتها والزوج غير متمكن منها بخلاف المسلمة الزوج متمكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة رقيق ارتد دون الحر فان عاد الرقيق المرتد الينا بعد أخذنا قيمته رددناها عليهم بخلاف نظيره في المهر لان الرقيق بدفع القيمة يصير ملكا لهم والنساء لا يصرن زوجات (فان قيل) كونه يصير ملكا لهم مبني على جواز بيع المرتد للكافر والصحيح خلافه (أجيب) بان هذا ليس مبنيا عليه لان هذا ليس بيعا حقيقة فاغتفر ذلك لاجل المصلحة وان شرطنا عدم الرد (فان قيل) هل يغرم الامام لزوج المرتدة ما أنفق من صداقها الانا بعقد الهدنة حلنا بينه وبينها ولولاه لقاتلناهم حتى يردوها (أجيب) بان هذا ينبني على ان الامام هل يغرم لزوج المسلمة المهاجرة ما أنفق وقد تقدم الكلام على ذلك

(فائدة) روي عن ابن عباس انه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وكانت تحت شداد بن عياض الفهري وفاطمة بنت ابي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر ان يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة ولما كان التحري في مثل ذلك عسرا فان المهور تتفاوت تارة وتتساوى أخرى قال تعالى (واتقوا) اى في الاعطاء والمنع وغير ذلك (الله) الذي له صفات الكمال وقد أمركم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون (الذي أنتم به مؤمنون) اى متمكنون في رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم موضع الحماية والنصرة للدين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهن بمبايعتهن بقوله تعالى (يا أيها النبي) مخاطبا له بالوصف المقتضي للعلم (اذا جاءك المؤمنات) جعل اقبالهن عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما مع الهجرة مجيئا

قوله اليوم الذى يعقب ليلتك فكيف أطلق على يوم القيامة (قلت) الغد له

قوله فاطمة الخ كذا بالنسخ والذى تقدم انها قريبة فلتحرر فى اسمها خلافا وقوله بنت جرول الذى تقدم انها بنت عمرو فليحرر اه مصححه

لا طلاق الهجرة عليهن (يبايعنك على ان لا يشركن) اى كل واحدة منهن تبايعك على عدم
الاشراك فى وقت من الاوقات (بالله) اى الملك الذى لا كفء له (شيأ) اى من اشراك على
الاطلاق (ولا يسرقن) اى باخذ مال الغير بغير استحقاق فى خفية (ولا يزنين) اى يمكن احدا
من وطئهن بغير عقد صحيح (ولا يقتلن اولادهن) اى بالوأد كما كان يفعل فى الجاهلية من وأد
البنات اى دفنهن احياء خوف العار والفقر (ولا يأتين ببهتان) اى بولد ملقوط او شبهة بان
(يفترينه) اى يتعمدن كذبه بان ينسبنه للزوج ووصفه بصفة الولد الحقيقى بقوله تعالى
(بين ايديهن) اى بالحمل فى البطون لان بطونها التى تحمل فيها الولد بين يديها (وارجلهن) اى
بالوضع من الفروج لان فرجها الذى تلد منه بين رجليها او لان الولد اذا وضعته سقط بين
يديها ورجليها وقيل بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين ارجلهن فروجهن وقيل ما بين
ايديهن من قبلة او جسة وبين ارجلهن الجماع وروى ان هندا لما سمعت ذلك قالت والله ان
البهتان لامر قبيح وما يأمر الا بالارشاد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك) اى على حال من
الاحوال (فى معروف) وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز
الشعر وشق الجيب وخمش الوجه (فبايعهن) اى التزم لهن بما وعدن على ذلك من اعطاء
الثواب فى نظير ما الزمن انفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح
واحدة منهن قالت عائشة رضى الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء
قط الا بما امر الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط
وروى انها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ان
لا يشركن بالله شيأ الى آخرها قالت وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة
الا امرأة يملكها وقالت اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة
فقال فيما استطعتن واطقتن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم بنا من انفسنا وقلت
يا رسول الله صافحنا فقال انى لا اصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأة
وروى انه صلى الله عليه وسلم بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن وقالت
ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم ارسل الينا عمر
ابن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيأ الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا
من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه فغمسن ايديهن فيه وروى
انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال يوم الفتح لمكة وهو على الصفا وعمر بن الخطاب
اسفل منه وهو يبايع النساء بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه ان لا
يشركن بالله شيأ وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة يوم احد فقالت والله انك لتأخذ
علينا امرا ما رأيتك اخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت

معنيان ماذكرتم ومطلق الزمان المستقبل كما ان للامس معنيين مقابلين

من ماله قوتنا فلا أدري أيحل لي أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وما غبر فهو
لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت
نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك وروي انها قالت يا رسول الله ان أبا سفيان رجل مسيك
فهل علي حرج ان أخذت ما يكفيني وولدي قال لا الا بالمعروف فخشيت هند ان تقتصر
على ما يعطيها فتضيع او تأخذ أكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أي لا حرج عليك فيما أخذت بالمعروف يعني من غير استطالة الى
أكثر من الحاجة ثم قال ولا يزنين فقالت هند أوتزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن أي
بالوأد ولا يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا وأنت وهم أعلم
وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فقالت والله ان البهتان
لأمر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله
ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء قال أكثر المفسرين معناه لا يلحقن
بأزواجهن ولدا من غيرهن وكانت المرأة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك
فكان هذا من البهتان والافتراء وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن
الزنا * (تنبيه) * ذكر تعالى في هذه الآية لرسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة
خصالا ستا صرح فيهن بأركان النهي ولم يذكر أركان الامر وهي ست أيضا الشهادة والصلاة
والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي دائم في كل زمان وكل
الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد وقيل ان هذه المناهي كانت في النساء كثيرا
ممن يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه
وسلم لوفد عبد القيس وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية في
شرب الخمر دون سائر المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصي
هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها ولما كان الانسان محل النقصان لا سيما النسوان
رجاهن سبحانه بقوله تعالى (واستغفر) اي اسأل (لهن الله) اي الملك الاعظم ذا الجلال
والاكرام في الغفران ان وقع منهن تقصير وهو واقع لانه لا يقدر أحد أن يقدر الله تعالى حق
قدره (ان الله) اي الذي له صفات الكمال (غفور) اي بالغ الستر للذنوب عينا وأثرا (رحيم)
اي بالغ الاكرام بعد الغفران تفضلا منه واحسانا وروي ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا
يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
لا تتولوا) اي لا تعالجوا أنفسكم ان تتولوا (قوما) اي ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من
باب أولى (غضب الله) اي أوقع الملك الاعلى الغضب (عليهم) لاقبالهم على ما أحاط بهم من
الخطايا فهو عام في كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولا أوليا (قد يئسوا) اي تحققوا
عدم الرجاء (من الآخرة) اي من ثوابها مع ايقانهم بها لعنادهم النبي صلى الله عليه وسلم مع
علمهم أنه الرسول المبعوث في التوراة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) اي من موتاهم
أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين

لما ذكرنا وقيل انما اطلق الغد على يوم القيامة تقريبا له لقوله تعالى وما

قبروا

قبح وامن خبرالآخرة اذتعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا ومايصيرون اليه من النار فيتبين لهم قبح حالهم وسوء منقلبهم وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة حديث موضوع

سورة الصف مدنية

في قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهي أربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم الذى لا كفء له (الرحمن) الذى عم بفضله كل أحد من خلقه (الرحيم) الذى خص من شاء من عباده فهيأه لعبادته وأهله (سبح لله) أى اوقع التنزيه الاعظم للملك الاعظم (مافى السموات) من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم (ومافى الارض) كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة أى نزه الله وأتى بما دون من قال الجلال المحلى تغليبا للاكثر اه (فان قيل) ما الحكمة فى انه تعالى قال فى بعض السور سبح لله بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع وفى بعضها سبح بلفظ الامر (اجيب) بان الحكمة فى ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالى على الدوام كما ان الماضى يدل عليه فى الماضى من الزمان والمستقبل يدل عليه فى المستقبل من الزمان والامر يدل عليه فى الحال (فان قيل) هلا قيل سبح لله السموات والارض ومافيهما وهو أكثر مبالغة (أجيب) بان المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها وبالارض جهة السفل فيشمل الارض ومافيها (وهو) أى وحده (العزيز) اى الغالب على غيره اى شئ كان ذلك الغير ولا يمكن ان يغلب عليه غيره (الحكيم) اى الذى يضع الاشياء فى اتقن مواضعها روى الدارمى فى مسنده قال أنبأنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبد الله ابن سلام قال قعدنا مع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم (يا أيها الذين آمنوا) أى ادعوا الايمان (لم تقولون مالا تفعلون) حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها علينا أبو يحيى فقرأها علينا الاوزاعى فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمى انتهى ولى بقراءتها اسناد متصل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه فانزل الجهاد كرهوه وقال الكلبى قال المؤمنون يارسول الله لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا يقولون لو نعلم الاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله الآية فابتلوا يوم أحد ففروا فنزلت هذه الآية تعييرا لهم بترك الوفاء وقال محمد بن كعب لما أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم

أمر الساعة الا كلمح البصر فكانه لقربه اشبه اليوم الذى يعقب

بثواب شهداء بدر فقالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله تعالى بذلك وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وأبلينا ولم يفعلوا وقيل قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا وقال القرطبي هذه الآية توجب على كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي به وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أنه بعث الى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرأ سورة فنشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب وكنا نقرأ سورة فنشبهها باحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة واما قوله شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة فمعنى ذلك ثابت في الدين فان من التزم شيأ الزمه شرعا وقال القرطبي ثلاث آيات منعتني ان أقضي على الناس أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ويا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به

(تنبيه) قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على وجه الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا واما في المستقبل فيكون خلفا وكلاهما مذموم قال الزمخشري لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثة أربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة اه ووقف البزي له بهاء السكت بخلاف عنه (كبر) أي عظم وقوله تعالى (مقتا) تمييز والمقت أشد البغض وزاد في تشنيعه زيادة في التنفير منه بقوله تعالى (عند الله) أي الملك الاعظم الذي يحتقر عنده كل متعاظم وقيل ان كبر من أمثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحو فقال صيغة ما أفعله وأفعل به وفعل نحو كرم الرجل واليه نحا الزمخشري فقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله ٭ غلت ناب كليب بواؤها ٭ ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله وقوله تعالى (ان تقولوا)

(قوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل) الآية أي لو جعلنا في جبل على ... لتمتك

أي عظم من تلك الجهة ان يقع في وقت من الاوقات أو حال من الاحوال قولكم (ما لا تفعلون)
فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو ان في السورة التي قبلها بين الخروج
الى الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي وفي هذه السورة بين ما يحمل المؤمن ويحثه على الجهاد بقوله تعالى (ان الله) أي
الذي له جميع صفات الكمال (يحب) أي يفعل فعل المحب مع (الذين يقاتلون) أي يوقعون
القتال (في سبيله) أي بسبب تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه وقوله تعالى (صفا) حال
أي مصطفين حتى كأنهم في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي في الاصطفاف
كالبدن الواحد (كأنهم) من شدة التراص والمساواة بالصدور والمناكب والثبات في
المركز (بنيان) وزاد في التأكيد بقوله تعالى (مرصوص) أي ملتزق بعضه الى بعض
ثابت كثبوت البناء وقال ابن عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن
عليه فيسميه أهل مكة المرصوص وقال الرازي يجوز أن يكون المعنى على أن يستوى شأنهم
في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص
قال القرطبي استدل بعضهم بهذه الآية على ان قتال الراجل أفضل من قتال الفارس لان
الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس
من الاجر والغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الآية لان معناها الثبات ولهذا يحرم الخروج
من الصف ان قاومناهم الا متحرفا لقتال كمن ينصرف ليكمن في موضع ويهجم أو ينصرف
من مضيق ليتبعه العدو الى متسع سهل للقتال أو متحيزا الى فئة يستنجد بها ولو بعيدة قليلة
أو كثيرة فيجوز انصرافه لقوله تعالى الا متحرفا لقتال وتجوز المبارزة لكافر لم يطلبها بلا كره
وندب لقوي أذن له الامام أو نائبه لاقراره صلى الله عليه وسلم عليها وهي ظهور رجل من
الصفين للقتال من البروز وهو الظهور فان طلبها كافر سنت للقوي المأذون له للامر بها
في خبر أبي داود ولان في تركها حينئذ اضعافا لنا وتقوية لهم والا كرهت * ولما ذكر
تعالى الجهاد ذكر قصة موسى وعيسى عليهما السلام تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر
على أذى قومه مبتدئا بقصة موسى عليه السلام لتقدمه فقال تعالى (واذ) أي واذكر
يا أشرف الخلق اذ (قال موسى لقومه) أي بني اسرائيل وقوله (يا قوم) استعطاف لهم
واستنهاض الى رضا ربهم (لم تؤذونني) أي تجددون أذاي مع الاستمرار وذلك حين رموه
بالادرة كما مر في سورة الاحزاب ومن الاذى ما ذكر في قصة قارون أنه دس الى امرأة تدعي على
موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم فاذهب أنت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون وقولهم أنت قتلت هرون وغير ذلك وقوله تعالى (وقد تعلمون)
جملة حالية أي علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم كل وقت بتجدد أسبابه بما آتيتكم به من
المعجزات والكتاب الحافظ لكم من الزيغ (أني رسول الله) الملك الاعظم الذي لا كفء له
(اليكم) ورسوله يعظم ويحترم لا أنه ينتقص جلالته ويقتحم وأنا لا أقول لكم شيأ الا عنه ولا
انطق عن الهوى (فلما زاغوا) أي عدلوا عن الحق بمخالفة أوامر الله تعالى وبايذائه

قساوته تمييزا كما في الانسان
ثم أنزلنا عليه القرآن
لتشقق خشية من الله

وقرأ حمزة بالامالة والباقون بالفتح (أزاغ الله) أى الملك الذى له الامر كله (قلوبهم) أى أمالها عن الهدى على وفق ما قدره فى الازل (والله) أى الذى له الحكمة البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال (لا يهدى) أى بالتوفيق بعد هداية البيان (القوم الفاسقين) أى العريقين فى الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم على الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا امثالهم فى العزائم فتساووهم فى عقوبات الجرائم وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان اذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالى (واذ) أى واذكر يا أشرف المرسلين اذ (قال عيسى) ووصفه بقوله (ابن مريم) ليعلم أنه من غير أب وثبتت نبوتى بالمعجزات (يا بنى اسرائيل) فذكرهم بما كان عليه أبوهم من الدين وما أوصى به بنيه من التمسك بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا أب له فيهم وان كانت أمه منهم فان النسب انما هو من جهة الاب وأكد لانكار بعضهم فقال (انى رسول الله) أى الملك الاعظم (اليكم) أى لا الى غيركم (مصدقا لما بين يدى) أى قبلى (من التوراة) التى تعلمون ان الله تعالى أنزلها على موسى عليه السلام وهى أول الكتب التى نزلت بعد الصحف وحكم بها النبيون فتصديقى لها مع تأييدى بها مؤيد لان ما أتت من الدلائل حق ومبين انه دليلى فيما لم أنسخه منها كما يستدل بما تقدمه من الاعلام ويراعيه بصره وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائى بالامالة محضة وقرأ حمزة ونافع بين بين بخلاف عنه عن قالون والباقون بالفتح (ومبشرا) فى حال تصديقى للتوراة (برسول) أى الى كل من شملته الربوبية (يأتى من بعدى) أى يصدق بالتوراة فكأنه قيل ما اسمه قال (اسمه أحمد) والمعنى أرسلت اليكم فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى ان دينى التصديق بكتب الله تعالى وأنبيائه جميعا من تقدم وتأخر (فان قيل) بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما فى الرسول من معنى الارسال أم باليكم (أجيب) بانه بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز أن يعمل شيئا لان حروف الجر لا تعمل بانفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل وعن كعب ان الحواريين قالوا لعيسى يا رسول الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء ابرار أتقياء كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء انا محمد وأنا أحمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اسمى فى التوراة أحيد لانى احيد امتى عن النار واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الاوثان واسمى فى الانجيل احمد وفى القرآن محمد لانى محمود فى اهل السماء والارض بل ذكر بعض العلماء أنه له الف اسم قال البغوى والالف فى احمد للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما أنه مبالغة من الفاعل اى ومعناه ان الانبياء حامدون لله تعالى وهو اكثر حمدا من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول اى ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو

وخوفا ان لا يؤدى حقه
فى تعظيم القرآن والمسجود
تنبيه الانسان على قسوة

احمد

أكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها اهـ وعلى كلا الوجهين منعه من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى الثاني يمتنع تعريفا وتنكيرا لانه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه خلاف سيبويه والاخفش وهي مسئلة مشهورة بين النحاة وانشد حسان يمدحه وصرفه

صلى الاله ومن يحف بعرشه ٭ والطيبون على المبارك احمد

احمد بدل او بيان للمبارك واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن في معنى المبالغة والتكرار فاحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة قال القرطبي كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة محمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فدل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم اشرف الانبياء فاتحهم وخاتمهم عليهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح الياء والباقون بالسكون وقوله تعالى (فلما جاءهم) يحتمل ان يعود فيه الضمير لاحمد اي جاء الكفار واقتصر على ذلك الجلال المحلي ويحتمل عوده لعيسى اي جاء بني اسرائيل (بالبينات) اي من المعجزات العظيمة التي لا يسوغ لعاقل الا التسليم لها ومن الكتاب المبين (قالوا) اي عند مجيئه امن غير نظرة لتامل (هذا) اي الآتي به من البينات أو الآتي بها على المبالغة (سحر) فكانوا أول كافر به لان هذا وصف لهم لازم سواء بلغهم ذلك أم لا (مبين) اي في غاية البيان في سحريته وقرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء وهذه القراءة مناسبة للتفسير الثاني والباقون بكسر السين وسكون الحاء وهذه مناسبة للتفسير الاول (ومن) أي لا أحد (اظلم) اي اشد ظلما (ممن افترى) أي تعمد (على الله) اي الملك الاعلى (الكذب) اي بنسبة الشريك والولد اليه ووصف آياته بالسحر ووصف أنبيائه بالسحرة (وهو) اي والحال أنه (يدعى) أي من اي داع كان (الى الاسلام) اي الذي هو أحسن الاشياء فان له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله تعالى (والله) اي الذي له الامر كله فلا أمر لاحد معه (لا يهدي القوم) اي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة المجادلة للامور الصعاب (الظالمين) أي الذين يخبطون في عقولهم خبط من هو في الظلام (يريدون) أي يوقعون ارادة وردهم للرسالة بافترائهم (ليطفئوا) اي لاجل ان يطفئوا (نور الله) أي الملك الذي لا شئ يكافئه (بافواههم) أي بما يقولون من كذب لا منشأ له غير الافواه لانه لا اعتقاد له في القلوب ٭ (تنبيه) ٭ الاطفاء هو الاخماد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضياء

قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن واعراضه عن تدبر زواجره (قوله

والظهور ويفرق بين الاطفاء والاخماد من حيث ان الاطفاء يستعمل فى القليل فيقال اطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج وفى هذه اللام أوجه أحدها أنها لام العلة كما مر ثانيها أنها مزيدة فى مفعول الارادة وقال الزمخشرى أصله يريدون أن يطفئوا كما فى سورة التوبة وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة توكيدا لها لما فيها من معنى الارادة فى قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام فى لا أبا لك تأكيدا لمعنى الاضافة فى لا أباك قال الماوردى وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم ابطأ عليه الوحى أربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يامعشر يهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية واتصل الوحى بعدها واختلف فى المراد بالنور فقال ابن عباس هو القرآن أى يريدون ابطاله وتكذيبه وقال السدى الاسلام أى يريدون دفعه بالكلام وقال الضحاك انه محمد صلى الله عليه وسلم أى يريدون هلاكه بالاراجيف وقال ابن جريج حجج الله تعالى ودلائله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم وقيل انه مثل مضروب أى من اراد اطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا كذلك من أراد اطفاء الحق (والله) أى الذى لا مدافع له في اتمام عظمته (متم نوره) فلا يضره ستر أحد له بتكذيبه ولا ارادة اطفائه وزاد ذلك بقوله تعالى (ولو كره) أى اتمامه له (الكافرون) اى الراسخون فى جهة الكفر الجمهم دون فى الحاماة عنه (هو) اى الذى ثبت أنه جامع لصفات الكمال والجلال وحده من غير ان يكون له شريك أو وزير (الذى أرسل رسوله) أى الحقيق بان يعظمه كل من بلغه أمره لان عظمته من عظمته ولهذا كرحرف الغاية اشارة الى عموم الارسال الى كل من شمله الملك كما مضى (بالهدى) أى البيان الشافى بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) أى والملة الحنيفية (ليظهره) أى يعليه مع الشهرة واذلال المنازع (على الدين) أى جنس الشريعة التى تجعل لبجازى من يسلكها ومن يزيغ عنها بما شرع فيها من الاحكام (كله) فلا يبقى دين الا كان دونه وانمحق به وذل اهله ذلا لا يقاس به ذل (ولو كره) اى اظهاره (المشركون) أى المعاندون فى كفرهم الراسخون فى سلك المعاندة (فان قيل) قال أولا ولو كره الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بانه تعالى أرسل رسوله وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم فى كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لان لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ الكافر اليق به واما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوها فلهذا قال ولو كره المشركون واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى اقروا بالايمان (هل أدلكم) أى وانا المحيط علما وقدرة فهو ايجاب فى المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشريفا ليكون أوقع فى النفس (على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) اى مؤلم فقال مقاتل نزلت فى عثمان بن مظعون قال يارسول الله لو أذنت لى طلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا انام بليل أبدا ولا افطر بنهار ابدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام انما رهبانية امتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء امتى

الخالق البارئ) الخالق هو الذى يقدر ما يوجده والبارئ هو الذى يميز بعض المخلوقات عن

الصوم ولا تحرموا الطيبات ما أحل الله لكم ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب
عن سنتي فليس مني فقال عثمان والله لوددت يا رسول الله أي التجارة أحب الى الله تعالى
فاتجر فيها فنزلت وقيل ادلكم اي سأدلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية وهذا خطاب لجميع المؤمنين وقيل نزل هذا حين قالوا لو
نعلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به قال البغوي وجعل هذا بمنزلة التجارة لانهم
يربحون بها رضا الله تعالى ونيل جنته والنجاة من النار وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم
والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ثم بين سبحانه تلك التجارة بقوله تعالى (تؤمنون) أي
تدومون على الايمان (بالله) أي الذي له جميع صفات الكمال وعلى هذا لا ينافي ذلك قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا وقيل المراد من هذه الآية المنافقون وهم الذين آمنوا في الظاهر وقيل اهل
الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم آمنوا بالكتب المتقدمة (ورسوله) الذي تصديقه آية
الاذعان للعبودية (وتجاهدون) بيانا لصحة ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار (في سبيل
الله) أي الملك الاعظم الذي لا أمر لغيره (بأموالكم وانفسكم) وقدم الاموال لعزتها في ذلك
الزمان ولانها قوام الانفس فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبي ذكر
الاموال اولا لانها التي يبدأ بها في الانفاق (ذلكم) أي الامر العظيم من الايمان وتصديقه
بالجهاد (خير لكم) أي من اموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أي ان كان يمكن ان يتجدد
لكم علم في وقت فأنتم تعلمون ان ذلك خير لكم فاذا علمتم أنه خير أقبلتم عليه فكان لكم به امر
عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست طماسة الارجاء لصلاحه فصلوا على أنفسكم صلاة الموت
وقوله تعالى (يغفر لكم) فيه أوجه أحدها انه مجزوم على جواب الخبر بمعنى الامر أي آمنوا
وجاهدوا والثاني أنه مجزوم في جواب الاستفهام كما قاله الفراء والثالث أنه مجزوم بشرط
مقدر أي ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي وأدغم بعضهم فقرأ يغفر لكم والاحسن ترك
الادغام فان الراء حرف متكرر قوي فلا يحسن الادغام في اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف اه
وتقدم في آخر سورة البقرة مثل ذلك للزمخشري والبيضاوي ورد عليهما (ذنوبكم) أي جميع
أعيانها وآثارها كلها (ويدخلكم) أي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم (جنات) أي بساتين
(تجري من تحتها) أي من تحت أشجارها وغرفها وكل منتزه فيها (الانهار) فهي لا تزال غضة
زهراء ولم يحتج هذا الاسلوب الى ذكر الخلود لاغناء ما بعده عنه ودل على الكثرة المفرطة في
الدور بقوله في صيغة منتهى الجموع (ومساكن طيبة) روى الحسن قال سألت عمران بن
حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون
فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل
مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله تعالى المؤمن
من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله (في جنات عدن) أي بساتين هي أهل للاقامة
بها لا يحتاج في اصلاحها الى شيء خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها له قال حمزة الكرماني

بعض بالاشكال المختلفة
وقيل الخالق المبدئ
والبارئ المعيد

فى كتابه جوامع التفسير هى أى جنات عدن قصبة الجنان ومدينة الجنة أقربها الى العرش (ذلك) أى الامر العظيم جدا (الفوز العظيم) أى السعادة الدائمة الكبيرة واصل الفوز الظفر بالمطلوب * ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم فى الآخرة بشرهم بنعمته فى الدنيا بقوله تعالى (وأخرى تحبونها) أى ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقوله تعالى (نصر من الله) أى الذى أحاطت عظمته بكل شئ خبر مبتدا مضمر أى تلك النعمة أو الخصلة الاخرى نصر من الله (وفتح قريب) أى غنيمة فى عاجل الدنيا قيل فتح مكة قال الكلبى هو النصر على قريش وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وقوله تعالى (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على يؤمنون فانه فى معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أشرف الرسل بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) أى اقروا بذلك (كونوا) أى بغاية جهدكم (أنصار الله) أى لدينه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو انصارا بالتنوين وجر اللام من الاسم الجليل وترقيقها والباقون بغير تنوين وتفخيم اللام (كما) أى كونوا الاجل الى ندبتكم أنا بقولى من غير واسطة ولذذتكم بخطابى مثل ما كان الحواريون أنصار الله حين (قال عيسى ابن مريم) حين ارسله الى بنى اسرائيل ناصحا شريعة موسى عليه السلام (للحواريين) اى خلص اصحابه وخاصته منهم (من انصارى الى الله) اى المحيط بكل شئ اى انصروا دين الله تعالى مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من انصارى الى الله اى من ينصرنى مع الله تعالى (قال الحواريون) معلمين انهم جادون فى ذلك جد الامر بدعائه لعلمهم ان اجابته اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله تعالى (نحن) اى بأجمعنا وكانوا اثنى عشر رجلا وهم اول من آمن بعيسى (أنصار الله) اى الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا ولو كان عدونا كل اهل الارض * ولما كان التقدير ثم دعوا كل من خالفهم من بنى اسرائيل وبارزهم تسبب عنه قوله تعالى (فآمنت) اى به (طائفة) اى ناس منهم اهل الاستدارة لما لهم من الكثرة (من بنى اسرائيل) قومه (وكفرت طائفة) اى منهم واصل الطائفة القطعة من الشئ وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا) اى قوينا بعد رفع عيسى عليه السلام (الذين آمنوا) أى اقروا بالايمان المخلص (على عدوهم) اى الذين عادوهم لاجل ايمانهم (فأصبحوا) اى صاروا بعدما كانوا فيه من الذل (ظاهرين) اى عالين غالبين قاهرين فى أقوالهم وافعالهم لا يخافون أحدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم قال فأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه حديث موضوع

* (سورة الممتحنة) *

(قوله تلقون اليهم بالمودة) بدأ هنا بتلقون وبعده بتسرون

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

روى مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم أوتوا الكتاب الاول من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له وقال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى (بسم الله) الذي أحاط علمه بكل معلوم فتم بيانه (الرحمن) الذي تمت نعمة بيانه فهو العظيم شأنه (الرحيم) الذي خص حزبه بالتوفيق فثبت عندهم حبه وايمانه (يسبح) أي يوقع التنزيه الاعظم الانهى الاكمل (لله) أي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما (ما في السموات) أي من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم (وما في الارض) كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام مزيدة أي ينزه الله وأتى بما دون من قال الجلال المحلي تغليبا للاكثر ويحتمل ان يكون المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها او بالارض جهة السفل فيشمل الارض وما فيها (الملك) أي الذي ثبت له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده ولو كان ذليلا فيصبح ظاهرا (القدوس) أي المنزه عما لا يليق به وعن احاطة احد من الخلق بعلمه وادراك كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا التردد في شهود افعاله والتدبير لتناهيهم نعوته وجلاله وأحقهم بالقرب والسداد في حزبه المتخلق باوصافه على قدر اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يقول ما لا يفعل او يبني شيئا من أموره على غير احكام (العزيز) اى الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) أي الذي يوقع كل ما أراده في أحكم مواقعه واتمها واتقنها (هو) أي وحده (الذي بعث في الاميين) اى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن والامي من لا يقرأ ولا يكتب (رسولا منهم) أي من جملتهم أميا مثلهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال ابن اسحق الا بني تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان أميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم علمه الله ما لم يكن يعلم من غير تطلب فكانت آثار البشرية عنه مندرسة وانوار الحقائق عليه لائحة وذلك لئلا يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب لان مشاكلته لحال من بعث فيهم أقرب الى مساواتهم له لو أمكنهم فيكون معنى عدم امكان المساواة أدل على الاعجاز وبعثه الى العرب لا ينفي بعثه الى غيرهم لاسيما مع ما ورد فيه من صرائح الدلائل القطعية فذكر موضع البعث وابتداء فتكون الغاية مطلقة تقديرها الى عامة الخلق (يتلوا) أي يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة والعلو والرفعة (عليهم) مع كونه أميا مثلهم (آياته) أي يأتيهم بها على سبيل التجدد والمواصلة وهي القرآن الذي أعجز الجن والانس ان يأتوا بسورة من مثله (ويزكيهم) أي يطهرهم من الشرك والاخلاق الرذيلة والعقائد الزائغة فكانت تزكيته لهم ملتحيا به

تنبيها بالاول على ذم مودة الاعداء سرا وجهرا وبالثاني على تأكيد ذمها

بنظره الشريف اليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بها بحسب القابليات والامور التى قضى الله تعالى ان تكون مهيآت فكان له اعشق فكان لاتباعه ألزم فكان فى كتاب الله وسنته أرسخ (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن المنزل عليه الجامع لكل خير دينى ودنيوى فى الاولى والاخرى (والحكمة) وهى غاية الحكم الكتاب فى قوة فهمه والعمل به فهى العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب القرآن والحكمة السنة وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم والحكمة السنة لان الخط انما فشا فى العرب بالشرع لما أمروا بالتقييد بالخط وقال مالك بن أنس الحكمة الفقه فى الدين (وان) أى والحال أنهم (كانوا) أى كونا هو كالجبلة لهم (من قبل) أى قبل ارساله اليهم (لفى ضلال) أى بعد عن المقصود (مبين) أى ظاهر فى نفسه مناد لغيره انه ضلال باعتقادهم الاباطيل الظاهرة وظنهم انهم على شئ وعموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله تعالى (وآخرين منهم) فيه وجهان أحدهما انه مجرور عطفا على الاميين أى وبعث فى الآخرين من الاميين أى الموجودين والآتين منهم بعدهم (لما) أى لم (يلحقوا بهم) فى السابقة والفضل والثانى انه منصوب عطفا على الضمير المنصوب فى يعلمهم أى ويعلم آخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون وكل من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة لانه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم * (تنبيه) * الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا فى زمنهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجل من هؤلاء وفى رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس أو قال من ابناء فارس حتى تتناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال مجاهد هم الناس كلهم يعنى من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان هم من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وروى سهل بن سعد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى اصلاب أمتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن عادل والقول الاول أثبت وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيتنى أسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا أبا بكر قال يا نبى الله أما السود فالعرب وأما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك أولها الملك يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام رواه ابن ابى ليلى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه (وهو) أى والحال انه وحده (العزيز) أى الذى يقدر على كل ما أراده ولا يغلبه شئ ويزكى من يشاء ويعلمه ما أراد من أى طائفة كان ولو كان أجهل أهل تلك الطائفة لان الاشياء كلها بيده (الحكيم) فهو اذا أراد شيأ موافقا لشرعه وأمر جعله على أتقن الوجوه وأوثقها فلا يستطاع نقضه ومهما أراده كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه * ولما كان

مبرا وخص الاول بالعموم
لتقدمه وباء بالمودة زائدة
وقيل سببية والمعول

هذا أمر أبا هر اعظمه بقوله تعالى على وجه الاستعظام من قدرته (ذلك) الامر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد ان كان العرب اتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف (فضل الله) أى الذى له جميع صفات الكمال والفضل مالم يكن مستحقا بخلاف الفرض (يؤتيه من يشاء) قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبى يعنى الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء وقال مقاتل يعنى الوحى والنبوة وقيل انه المال ينفق فى الطاعة لما روى أبو صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه ان فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وماذاك فقالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أعلمكم شيأ تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا من أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبى صلى الله عليه وسلم ودخولهم فى دينه ونصرته (والله) الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما (ذو الفضل العظيم) ولما ترك اليهود العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) أى كلفوا والزموا حمل الكتاب الذى آتاه الله تعالى لبنى اسرائيل على لسان موسى عليه الصلاة والسلام بان علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ ألفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس وحدودها وأحكامها عن الاهمال والتضييع (ثم لم يحملوها) أى بان حملوا ألفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية باتباع عيسى عليه الصلاة والسلام اذا جاءهم ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا جاء فهى ضارة لهم بشهادتها عليهم فاذا لهم النار من غير نفع أصلا (كمثل) أى مثل مثل (الحمار) أى الذى هو أبلد الحيوان فهو مثل فى الغباوة حال كونه (يحمل أسفارا) أى كتبا كبارا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر عما فيه فى عدم الانتفاع بها لانه يمشى ولا يدرى منها الا ما يضر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر

زوامل للاسفار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * باحماله أو راح ما فى الغرائر

من انشاد الشيخ ابن الخباز (بئس مثل القوم) أى الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون (الذين كذبوا) أى عمدا على علم (بآيات الله) أى دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله) أى الذى له جميع صفات الكمال (لا يهدى القوم) أى لا يخلق الهداية فى قلوب الذين تعمدوا الزيغ (الظالمين) أى الذين تعمدوا الظلم بمنابذة الهدى الذى هو البيان الذى لم يدع لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة ولما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه نزل قوله تعالى (قل) أى

محذوف والتقدير تلقون اليهم أخبار النبى صلى الله عليه وسلم بسبب المودة

يا أشرف الرسل (يا أيها الذين هادوا) أى تدينوا باليهودية (ان زعمتم) أى قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك أكذبتموه (انكم أولياء لله) أى الملك الاعلى الذى لا أمر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية مبتدأة (من دون) أى أدنى رتبة من رتب (الناس) فلم تنفذ الولاية وتلك الرتبة فى الدنيا الى أحد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه أهلية الحركة لاسيما الاميين (فتمنوا الموت) واخبروا عن أنفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء الى محل الكرامة والآلاء (ان كنتم) أى كونا راسخا (صادقين) أى غريقين عند أنفسكم فى الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان فى كدر وكان له ولى قد وعده عند الوصول اليه الراحة التى لا تشوبها ضررغب فى النقلة الى وليه روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذى نفسى بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلم يقلها منهم أحد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم ثم أخبر الله تعالى عنهم انهم لا يتمنونه فى المستقبل أيضا بقوله تعالى (ولا يتمنونه) أى فى المستقبل (أبدا بما قدمت أيديهم) أى بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى التى أحاطت بهم فلم تدع لهم حظا فى الآخرة * (تنبيه) * قال تعالى هنا ولا يتمنونه وفى البقرة ولن يتمنوه قال الزمخشرى لا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى للمستقبل الا أن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه قال أبو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو أن لن تقتضى النفى على التأبيد الى مذهب الجماعة وهى انها لا تقتضيه قال بعضهم وليس فيه رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريكه بين لا ولن فى نفى المستقبل لا ينفى اختصاص لن بمعنى آخر اهـ ودعواهم الولاية الى التوسل الى الجنة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم بدليل ان الدنيا ليست خالصة للاولياء المحقق لهم الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها (والله) أى الذى له الاحاطة بكل شئ قدرة وعلما (عليم) بالغ العلم محيط بهم هكذا كان الاصل ولكنه تعالى قال (بالظالمين) تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى انه عالم بأصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم (قل) أى لهؤلاء يا أشرف الرسل (ان الموت الذى تفرون منه) بالكف عن التمنى (فانه ملاقيكم) أى لا تفوتونه لاحق بكم * (تنبيه) * فى هذه الفاء وجهان أحدهما انها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول فى ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وههنا قال فانه ملاقيكم لما فى معنى الذى من الشرط والجزاء أى ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون مبالغة فى الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه الثانى انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور * ولما كان الحبس فى البرزخ أمر الابد منه مهولا نبه عليه وعلى طوله بأداة التراخى فقال تعالى (ثم تردون الى عالم الغيب) أى السر (والشهادة) أى العلانية أو كل ما غاب عن الخلق وكل ما شوهد (فينبئكم) أى يخبركم اخبارا عظيما مستقصى مستوفى (بما كنتم) أى بما هو لكم كالجبلة (تعملون) أى بكل جزء منه مما برز الى الخارج وبما كان فى جبلاتكم ولو بقيتم لفعلتموه ليجازيكم (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بألسنتهم بالايمان (اذا نودى) أى من أى مناد كان من أهل النداء (للصلاة) أى صلاة الجمعة (من) أى فى (يوم الجمعة) كقوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الارض أى

(قوله التى بينكم وبينهم) (قد كانت لكم أسوة) قاله هنا بتأنيث الفعل مع الفاصل

فى الارض والمراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر أذن بلال وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الدور زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك وعن أبى داود قال كان يؤذن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر على باب المسجد وروى انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فامر بالتأذين الاول على داره التى تسمى زوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر أذن الاذان الثانى الذى كان على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فاذا نزل أقام الصلاة فلم يعب ذلك عليه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى قال الماوردى أما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها وكان عمر أمر أن يؤذن فى السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن سوقهم فاذا اجتمعوا أذن فى المسجد فجعله عثمان أذانين فى المسجد قال ابن العربى وفى الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه فى الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة لمن شاء يعنى الاذان والاقامة ويتوهم بعض الناس انه أذان اصلى جعلوا المؤذنين ثلاثة قال ابن عادل فكان وهما ثم جمعوهم فى وقت واحد فكان وهما على وهم واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فمنهم من قال لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام روى مالك عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه أهبط وفيه مات وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد ومنهم من قال لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤى قال أبو سلمة أول من قال أما بعد كعب بن لؤى وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقيل ان الانصار قالوا اليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم أنزل الله تعالى آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام وروى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب انه كان

اقربه وان جاز التذكير واعاده فى قوله لقد كان لكم فيهم أسوة بتذكير

اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعين أخرجه أبو داود وأما اول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال أهل السير لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ فاقام بها الى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل بها على وجل ومخافة من ربه عنوان صدق على ما تبغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه وأوضح لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين وأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده واجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فأكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم قد أبطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث افتخروا بانهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبانهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم الله بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم يوم الجمعة *(تنبيه)* سمى الله تعالى الخطبة ذكراً له قال أبو حنيفة ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال

وسيأتيكم

قوله أربعين كذا بالاصل الطبع وفي نسخة خط واخرى كذلك من أبي داود أربعون اه مصححه

مع الفاصل لكثرته وان جاز التأنيث وانما كرر ذلك لان الاول في القول

وسماتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لابد من كلام يسمى خطبة ولها أركان وشروط مذكورة في الفقه (فان قيل) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (أجيب) بان ما كان من ذكر رسوله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله وأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحق بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل فان المنصت للخطبة اذا قال لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ومن نكد الايام وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا أيها الذين آمنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتأكد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة الجمعة ههنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة وأما غيرها فهو عام في سائر الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى فلا فائدة فيه واختلف في معنى قوله تعالى (فاسعوا) أي لتكونوا أولياء الله ولا تتهاونوا في ذلك فقال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وانتم تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا واختلفوا أيضا في معنى قوله تعالى (الى ذكر الله) أي الملك الاعظم فقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وقال غيره الخطبة والصلاة المذكرة بالملك الاعظم الذي من انقطع عن خدمته هلك ه ولما أمر بالمبادرة الى تجارة الآخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا التي تعوق عن الجمعة (وذروا البيع) أي اتركوا البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وانما خص البيع من بين الامور الشاغلة عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة يوم تهبط الناس فيه من بواديهم وقراهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله (ذلكم) أي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الاشتغال بالدنيا (خير لكم) لان الامر الذي أمركم به الذي له الامر كله وهو يريد تطهيركم في أديانكم وأبدانكم وأموالكم وبيده اسعادكم واشقاؤكم (فان قيل) اذا كان البيع في هذا الوقت محرما فهل هو فاسد (أجيب) بان عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض

والثاني في الفعل وقيل الاول في ابراهيم والثاني في محمد صلى الله عليه

المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد وزاد فى الحث
على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم) أى بما ولكم كالجبلة (تعلمون) أى يتجدد لكم علم فى يوم
من الايام فانتم ترون ذلك خيرا فاذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان ذلك خيرا لكم وصلاة
الجمعة فرض عين تجب على كل من جمع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة
والاقامة اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء ومن تركها استحق الوعيد قال صلى الله عليه وسلم
لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى
أنه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله تعالى على قلبه قال
ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية ان الجمعة فرض على الكفاية أما من به عذر يعذر به
فى ترك الجماعة مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على أعمى وجد قائدا وشيخ هرم وزمن
وجد امركبا لا يشق ركوبه عليهما واختلف أهل العلم فى موضع اقامة الجمعة وفى العدد الذى
تنعقد به الجمعة وفى المسافة التى يجب أن يؤتى منها فذهب قوم الى أن كل قرية اجتمع فيها
أربعون رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم اقامة الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن عمر وعمر
ابن عبد العزيز وبه قال الشافعى وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد به الجمعة بأقل من أربعين رجلا
على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الاربعين أن يكون فيهم وال وعند أبى حنيفة
تنعقد بأربعة والوالى شرط ولا تقام عنده الا فى مصر جامع وقال الاوزاعى وأبو يوسف تنعقد
بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وأبو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال
شعبة تنعقد باثنى عشر رجلا ولا تجب الجمعة على أهل البوادى الا اذا سمعوا النداء من موضع
تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعى وأحمد واسحق
والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهورى الصوت فى وقت تكون الاصوات هادئة والرياح
ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة فى القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور
الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت قال الزهرى تجب على من كان
على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال
أبو حنيفة لا جمعة على أهل البوادى سواء كانت القرية قريبة أم بعيدة دليل الشافعى ومن
وافقه ما روى البخارى عن ابن عباس أن أول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجوائى من البحرين ولابى داود نحوه وفيه بجوائى قرية من
قرى البحرين * (تنبيه) * فضل يوم الجمعة مشهور وأحاديثه كثيرة مشهورة تقدم بعضها
ومنها ان الله يعتق فى كل جمعة ستمائة عتيق من النار وعن كعب ان الله تعالى فضل من
البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم
الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة
على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على
مراتبهم قال الزمخشرى وكانت الطرقات فى أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة
بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت فى الاسلام ترك البكور الى
الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه ويقول أراك

(قوله الا قول وسلم
ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك) مستثنى من قوله

رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة أي مثل غسلها ثم راح في الساعة الاولى كان كمن قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وروى النسائي في الخامسة كالذي يهدي عصفورا وفي السادسة بيضة فمن جاء في اول ساعة منها ومن جاء في آخرها مشتركان في تحصيل البدنة مثلا لكن بدنة الاول أكمل من بدنة الآخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق غير الامام أما هو فيسن له التأخير الى وقت الخطبة اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن اكثار الدعاء يومها وليلتها أما يومها فلرجاء أن يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفية وارجاها من جلوس الخطيب الى آخر الصلاة كما في خبر مسلم قال النووي وأما خبر يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر فيحتمل ان هذه الساعة منتقلة تكون يوما في وقت ويوما في آخر كما هو المختار في ليلة القدر وأما ليلتها فبالقياس على يومها وقد قال الشافعي بلغني ان الدعاء يستجاب في ليلة الجمعة ويسن اكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر أكثروا علي من الصلاة ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا واكثار قراءة سورة الكهف يومها وليلتها لخبر من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق وخبر من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين وفي هذا القدر كفاية ولما حث على الصلاة وارشد الى أن وقتها لا يصلح لطلب شئ غيرها بين أن وقت المعاش بقوله تعالى (فاذا قضيت الصلوة) أي وقع الفراغ منها على أي وجه كان (فانتشروا) أي فدبوا وتفرقوا مجتهدين (في الارض) أي جميعها للتجارة والتصرف في حوائجكم ان شئتم لا جناح عليكم ولا حرج رخصة من الله تعالى لكم (وابتغوا) أي اطلبوا الرزق (من فضل الله) أي الذي بيده كل شئ ولا شئ لغيره وهذا أمر اباحة كقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم (واذكروا الله) أي الذي له الامر كله (كثيرا) أي بحيث لا تغفلون عنه بقلوبكم أصلا ولا بألسنتكم حتى عند الدخول الى الخلاء وعند أول الجماع واستثنى من الثاني وقت التلبس بالقذر كوقت قضاء الحاجة والجماع (لعلكم تفلحون) أي تفوزون بالجنة والنظر الى وجهه الكريم وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية أنا فيهم فانزل الله تعالى (واذا رأوا تجارة) أي حمولا هي موضع التجارة (أو لهوا) أي ما يلهي عن كل نافع (انفضوا) أي نفروا متفرقين من العجلة (اليها) أي التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو وأيضا العطف بأو فافراد الضمير أولى وقال الزمخشري

اسوة حسنة وقوله وما لك من الله من شئ ليس مستثنى وانما

تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذى قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنى عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال ابن عباس فى رواية الكلبي لم يبق فى المسجد الا ثمانية رهط وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا اليه فلما لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة عاتق الا أتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عند أحجار الزيت وكانت فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج اليه الناس ليتبايعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لرميت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله تعالى هذه الآية والمراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقال علقمة سئل عبد الله أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما تقرأ وتركوك قائما وعن جابر بن عبد الله قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس وذكر أبو داود فى مراسيله السبب الذى ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وقد كانوا خليقا لفضلهم أن لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال أخبرنى أبو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل ابن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين حتى كان يوم جمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه أهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا أنه ليس فى ترك الخطبة شئ فأنزل الله تعالى هذه الآية فقدم النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة الخطبة وأخر الصلاة فكان لا يخرج أحد لرعاف أو حدث بعد النهى حتى يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التى تلى الابهام فيأذن له النبى صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان فى المنافقين من تثقل عليه الخطبة والجلوس فى المسجد فكان اذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فأنزل الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية قال السهيلى وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحية بتجارته

ذكر لكونه تمام قول ابراهيم عليه السلام كأنه قال انما استغفر

وتطرهم الى العير وهى تراه ولا فائدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على ذلك الوجه ولكنه
لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر
ونزل فيه من القرآن وتهجينه باسم اللهو ما نزل وقوله تعالى (وتركوك) أى تخطب حتى بقيت
فى اثنى عشر رجلا قال جابر أنا أحدهم (قائما) جملة حالية من فاعل انفضوا أو تمة قدرة عند
بعضهم *(تنبيه)* فى قوله تعالى قائما تنبيه على مشروعيته فى الخطبتين وهو من الشروط
للقادر على القيام وأما أركانهما فخمسة حمد الله تعالى وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
بلفظهما ووصية بتقوى الله وهذه الثلاثة فى كل من الخطبتين وقراءة آية مفهمة ولو فى
احداهما والاولى أولى ودعاء للمؤمنين والمؤمنات فى ثانية ومن الشروط كونهما عربيتين
وكونهما فى الوقت وولاء وطهر وستر كالصلاة (قل) يا أشرف الخلق للمؤمنين (ما عند الله) أى
المحيط بجميع صفات الكمال (خير) ما موصولة مبتدأ وخير خبرها (من اللهو ومن التجارة)
والمعنى ما عند الله تعالى من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله
من رزقكم الذى قسمه لكم خير مما اقتسمتموه من لهوكم وتجارتكم (والله) أى ذو الجلال
والاكرام وحده (خير الرازقين) أى خير من رزق وأعطى فاطلبوا منه واستعينوا بطاعته
على نيل ما عنده من خيرى الدنيا والآخرة وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم
يأتها فى أمصار المسلمين حديث موضوع

لك وليس فى طاقتى الا
الاستغفار

سورة المنافقين مدنية

(وهى احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله) الذى له الاحاطة العظمى علما وقدرة (الرحمن) الذى ستر بعموم رحمته من أراد من
عباده (الرحيم) الذى وفق أهل وده لما يحبه ويرضاه (اذا جاءك) يا أيها الرسول المبشر بك فى
التوراة والانجيل وقرأ حمزة وابن ذكوان بالامالة والباقون بالفتح واذا وقف حمزة سهل الهمزة
مع المد والقصر وله أيضا ابدالها الفا مع المد والقصر (المنافقون) أى العريقون فى وصف
النفاق وهم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه (قالوا) مؤكدين لاجل استشعارهم بتكذيب
من يسمعهم لما عندهم من الارتياب (نشهد) قال الحسن هو بمنزلة اليمين كأنهم قالوا نقسم
(انك لرسول الله) أى الملك الذى له الاحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر أحوالهم
وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم وقوله تعالى (والله يعلم) أى وعلمه هو العلم فى الحقيقة وأكد
سبحانه بحسب انكار المنافقين فقال تعالى (انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك أم لا
فالشهادة بذلك حق ممن يطابق لسانه قلبه جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله وبين
قوله تعالى والله يشهد لفائدة قال الزمخشرى لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم
لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا
الايهام (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (يشهد) شهادة هى الشهادة لانها محيطة
بدقائق الظاهر والباطن (ان المنافقين) اى الراسخين فى وصف النفاق (لكاذبون)

اى فى اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتى تخالف ذلك فهو كذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم) اى كلها من شهادتهم وكل يمين سواها (جنة) اى سترة عن اموالهم ودمائهم روى البخارى عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى فأصابنى هم لم يصبنى مثله فجلست فى بيتى فأنزل الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك وروى الترمذى عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابى أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجىء أصحابه قال فأتى رجل من الانصار اعرابيا فارخى زمام ناقته لتشرب فأبى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابى خشبة فضرب بها رأس الانصارى فشجه فأتى عبد الله بن أبى رأس المنافقين فأخبره وكان من اصحابه فغضب عبد الله بن أبى ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعنى الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وأنا ردف عمى فسمعت عبد الله بن أبى فاخبرت عمى فانطلق فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبنى قال فجاء عمى الى فقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المنافقون قال فوقع على من جراءتهم ما لم يقع على أحد قال فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قد خفقت رأسى من الهم اذ اتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك أذنى وضحك فى وجهى فكان ما يسرنى ان لى بها الخلد فى الدنيا ثم ان أبا بكر لحقنى فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما قال لى شيئا الا أنه عرك أذنى وضحك فى وجهى فقال أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لابى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وروى انه صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك

وقال

•(سورة الصف)•

(قوله وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) فائدة ذكر قد التأكيد والتكثير

وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا الكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وعت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ＊(تنبيه)＊ سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذى يصف الايمان ولا يعمل به وروى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وروى عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروى عن الحسن انه ذكر هذا الحديث فقال ان بنى يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا القول من النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقة ان تفضى بهم الى النفاق وليس المعنى أن من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد نجز واذا ائتمن وفى والمعنى المؤمن الكامل (فصدوا) أى فسبب لهم اتخاذهم هذا ان أعرضوا بأنفسهم مع سوء البواطن وحرارة ما فى الصدور وحملوا غيرهم على الاعراض (عن سبيل الله) أى عن طريق الملك الاعظم الذى شرعه لعباده ليصلوا به الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك بخداعهم ومكرهم بجراءتهم على الايمان الخائنة (انهم ساء ما كانوا) أى جبلة وطبعا (يعملون) أى يجددون عمله مستمرين عليه عما هو كالجبلة من جراءتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالايمان الخائنة ولما كانت المعاصى تعمى القلوب فكيف باعظمها علله بقوله تعالى (ذلك) أى سوء عملهم (بانهم آمنوا ثم كفروا) (فان قيل) ان المنافقين لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله تعالى آمنوا ثم كفروا (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما يقول محمد حقا

كان يكون للتعليل (قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) ان قلت

فنحن خير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أي وظهر كفرهم بعد ان أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام بقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن وهذا اعلام من الله تعالى بان المنافقين كفار الثالث ان يراد ان ذلك في قوم آمنوا ثم ارتدوا (فطبع) أي فحصل الطبع وهو الختم مع انه معلوم أنه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه (على قلوبهم) أي لاجل اجترائهم على ما هو أكبر الكبائر على وجه النفاق (فهم) أي فتسبب عن ذلك انهم (لا يفقهون) أي لا يقع لهم فقه في شيء من الاشياء فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا حقا من باطل (واذا رأيتهم) أي أيها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر (تعجبك أجسامهم) لضخامتها وصباحتها فان غاية امرهم كلها باصلاح ظواهرهم وترفيه أنفسهم فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق قال ابن عباس كان ابن أبي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجالس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم (وان يقولوا) أي يوجد منهم قول في وقت من الاوقات (تسمع لقولهم) أي لفصاحته فيلذذ السمع ويروق الفكر (كأنهم) أي في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم وفي عدم الانتفاع بهم في شيء (خشب) جمع كثرة لخشبة وهو دليل على كثرتهم (مسندة) أي قطعت من مغارسها مائلة الى الجدار وقرأ أبو عمرو والكسائي بسكون الشين والباقون بضمها (يحسبون) أي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم (كل صيحة) أي من نداء مناد في انشاد ضالة أو انفلات دابة أو نحو ذلك واقعة (عليهم) وضارة لهم لجبنهم وهلعهم لما في قلوبهم من الرعب ان ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ومنه أخذ الاخطل

مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

ومنه قول الآخر

كأن بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

يخال اليه ان كل ثنية * يممها ترمي اليه بقاتل

(هم العدو) أي الكامل العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع اشارة الى انهم في شدة عداوتهم للاسلام وأهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه على قلب رجل واحد وان أظهروا التودد في الكلام والتقرب به الى أهل الاسلام فان ألسنتهم معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم فهم عيون لهم عليكم (فاحذرهم) لان أعدى عدوك من يباشرك وتحت ضلوعه الداء لكنه يكون بلطف الله دائم الخذلان منكوسا في أكثر تقلباته بيد القهر والحرمان لسر قوله تعالى (قاتلهم الله) أي أحاطهم الملك المحيط قدرة وعلما بحلول من يقاتله عدو قاهر له أشد مقاتلة على عادة الفعل الذي يكون بين اثنين وقال ابن عباس

كيف خص عيسى اسم احمد بالذكر دون محمد مع انه اشهر اسمائه النبي صلى الله

أى لعنهم الله وقال ابو مالك هى كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب (أنى) أى كيف ومن أى جهة (يؤفكون) اى يصرفهم عن قبح ماهم عليه صارف ما كان ما كان ليرجعوا عما هم عليه وقال ابن عباس أنى يؤفكون أى يكذبون وقال مقاتل أى يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك (واذا قيل لهم) أى من أى قائل كان (تعالوا) أى ارفعوا أنفسكم مجتهدين فى ذلك بالمجىء الى أشرف الخلق الذى لا يزال مكانه عاليا العلو مكانته (يستغفر لكم) أى يطلب الغفران لاجلكم خاصة من أجل هذا الكذب أى الذى أنتم مصرون عليه (رسول الله) أى أقرب الخلق الى الملك الاعظم الذى لا شبيه لوجوده (لووا رؤسهم) أى فعلوا اللى بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الى جهة أخرى اعراضا وعتوا واظهارا للبغض والنفرة (ورأيتهم) أى بعين البصيرة (يصدون) أى يعرضون اعراضا قبيحا عما دعوا اليه مجددين لذلك كلما دعوا اليه والجملة فى موضع المفعول الثانى لرأيت (وهم مستكبرون) أى ثابتوا الكبر عما دعوا اليه وعن احلال أنفسهم فى محل الاعتذار فهم لشدة غلظهم لا يدركون قبح ماهم عليه ولا يهتدون الى دوائه واذا أرشدهم غيرهم ونبههم لا ينتبهون فقد روى أنه لما نزل القرآن فيهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فلووا رؤسهم أى حركوها اعراضا وإباء قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن أبى موقف فى كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان فأته يستغفر لك فأبى وقال لا أذهب اليه وروى ان ابن أبى رأسهم لوى رأسه وقال لهم أشرتم على بالايمان فآمنت وأشرتم على بان أعطى زكاة مالى ففعلت ولم يبق الا أن تأمرونى بالسجود لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب أن يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك بعض أقاربهم قال تعالى منبها على أنهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون (سواء عليهم أستغفرت لهم) استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أم لم تستغفر) الله (لهم) اى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم (لن يغفر الله) اى الملك الاعظم (لهم) لرسوخهم فى الكفر (ان الله) اى الذى له كمال الصفات (لا يهدى القوم) اى الناس الذين لهم قوة فى أنفسهم على ما يريدونه (الفاسقين) أى لانهم لا عذر لهم فى الاصرار على الفسق وهو المروق من حصن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون فى النفاق والخروج عن مظنة الاصلاح (هم) أى خاصة بخالص بواطنهم (الذين يقولون) أى أوجدوا هذا القول للانصار ولا يزالون يجددونه لانهم كانوا مربوطين بالاسباب محجوبين عن شهود التقدير (لا تنفقوا) اى أيها المخلصون فى النصرة (على من) اى الذين (عند رسول الله) أى الملك المحيط بكل شىء وهم فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى يتفرقوا فيذهب كل أحد منهم الى أهله وشغله الذى كان له قبل ذلك قال البقاعى وما درى الاجلاف أنهم لو فعلوا ذلك

(قلت) خصه
عليه وسلم
بالذكر لانه فى الانجيل
مسمى بهذا الاسم

أتاح الله تعالى غيرهم للانفاق أو أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فدعا في الشئ اليسير فصار كثيرا أو كان بحيث لا ينفد أو أعطى كلا يسيرا من طعام على كيفية لا ينفد معها كتمر أبي هريرة وشعير عائشة وعكة أم أيمن وغير ذلك كما روى غير مرة ولكن من يضلل الله فما له من هاد ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله تعالى (ولله) أي قالوا ذلك واستمروا على تجديد قوله والحال ان للملك الذي لا أمر لغيره (خزائن السموات) أي كلها (والارض) كذلك من الاشياء المعدومة الداخلة تحت مقدوره انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ومن الاشياء التي أوجدها فهو يعطي من يشاء منها حتى مما في أيديهم لا يقدر أحد على منع شئ من ذلك لا مما في يده ولا مما في يد غيره ونبه على سوء غباوتهم وأنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم ان كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم بقوله تعالى (ولكن المنافقين) أي العريقين في وصف النفاق (لا يفقهون) اى لا يتجدد لهم فهم أصلا كالبهائم بل هم أضل لان البهائم اذا رأت شيأ ينفعها يوما في مكان طلبته مرة أخرى وهؤلاء مرارا وأغيرهم مما أخرج الله تعالى من خوارق البركات على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم نفعهم بقوله تعالى (يقولون) أي يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين لاستشعارهم بان أكثر قومهم ينكره (لئن رجعنا) اى أيتها العصابة المنافقة (الى المدينة) اى من غزاتنا هذه وهي غزوة بني المصطلق حي من هذيل خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل (ليخرجن الاعز) يعنون أنفسهم (منها) اى المدينة (الاذل) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم كاذبون في هذا لكونهم تصوروا والشدة غباوتهم ان العزة لهم وانهم يقدرون على اخراج المؤمنين (ولله) أي والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذي له وحده (العزة) اى الغلبة كلها (ولرسوله) لان عزته من عزته (وللمؤمنين) فعزة الله قهره من دونه وكل من عداه دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله تعالى اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين) اى الذين استحكم فيهم مرض القلوب (لا يعلمون) أى لا يوجد لهم علم الآن ولا يتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم يقولون مثل هذا الخرافات روى انه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن أبي ابن سلول الذي نزلت هذه الآيات بسببه كما مر الى أبيه وذلك في غزوة المريسيع لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقته وقال أنت والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ولما أراد أن يدخل المدينة عبد الله بن أبي اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى أنه قال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى ختم الآية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون وختم الثانية

اسمه في السماء احمد فذكر باسمه السماوي لانه احمد الناس لربه لان حمده لربه

بقوله تعالى لايعلمون (أجيب) بأنه ليعلم بالاولى قلة كياستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم وجهلهم ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم أو من فقه يفقه كعظم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف والثاني لابالتكلف فالاول علاجى والثاني مزاجى ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى اقروا بالايمان وقلوبهم مذعنة كظواهرهم (لاتلهكم) أى لاتشغلكم (أموالكم ولاأولادكم) سواء كان ذلك في اصلاحها أوالتمتع بها بحيث تغفلون (عن ذكر الله) أى الملك الاعظم حذر المؤمنين اخلاق المنافقين أى لاتشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشح بأموالهم لاتنفقوا على من عند رسول الله وقوله تعالى عن ذكر الله قال الضحاك أى عن الصلوات الخمس نظيره قوله تعالى لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال الحسن عن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله تعالى وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن ادامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين أى آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب ولما كان التقدير فمن انتهى فهو من الفائزين عطف عليه قوله تعالى (ومن يفعل) أى يوقع في زمن من الازمان على سبيل التجديد والاستمرار فعل (ذلك) أى الامر البعيد عن أفعال ذوى الهمم من الانقطاع الى الاشتغال بالفانى والاعراض عن الباقى فأولئك البعداء عن الخير (هم الخاسرون) أى العريقون في الخسارة في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى حتى كأنهم مختصون بها دون الناس وذلك بضد ما أرادوا (وأنفقوا) أى ما أمرتم به من واجب أو مندوب كما قاله بعض المفسرين وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد زكاة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد في الترغيب بالرضا منهم باليسير بقوله تعالى (مما رزقناكم) أى بعظمتنا قال الزمخشرى من في مما رزقناكم للتبعيض والمراد الانفاق الواجب اه ثم قال تعالى محذرا من الاغترار بالتسويف في أوقات السلامة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى يرى دلائله وأماراته وكل لحظة مرت فهى دلائله وأماراته قال القرطبى وهذا دليل على وجوب تعجيل اخراج الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلا أى بلاعذر وكذا سائر العبادات اذا دخل وقتها وقال الرازى وبالجملة فقوله تعالى لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك ولما كانت الشدة تقتضى الاقبال الى الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى (فيقول) أى سائلا في الرجعة وأشار الى رقة بها القلوب بقوله (رب لولا) أى هلا ولم لا (أخرتنى) أى أخرت موتى امهالا (الى أجل) أى زمان وقوله (قريب) بين به أن مراده استدراك مافات ليس الا وقيل لازائدة ولو للتمنى أى لو أخرتنى الى أجل قريب (فأصدق) أى للتزود في سفرى هذا الطويل الذى أنا مستقبله وعن ابن عباس رضى الله عنهما تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم اذا كان له مال أن يزكى واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعى الزكاة والله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة فقيل أما تتقى الله يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم قرآنا يعنى أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج الاسأل الرجعة

بما يفتحه الله عليه يوم القيامة من المحامد قبل شفاعته لامته سابق على

وقال الضحاك لا ينزل باحد لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت الا وسأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في أهل القبلة وقيل نزلت في المنافقين ولهذا انقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الآية تدل على أن القوم لم يكونوا من أهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع الى الدنيا والتأخير فيها أحد له عند الله تعالى خير في الآخرة أي اذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرأ (وأكون من الصالحين) أي العريقين في هذا الوصف بالتدارك أبو عمرو بواو بعد الكاف ونصب النون عطفا على فاصدق والباقون بحذف الواو لالتقاء الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس في ذلك فقال الزمخشري عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان أخرتني أصدق وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما أي أصدق ثم زد تعالى في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله تعالى مؤكدا لاجل عظم الرجاء من هذا المحتضر بالتأخير عاطفا على ما تقديره فلا يؤخره الله فيفوته ما أراد (ولن يؤخر الله) أي الملك الاعظم الذي لا كفء له فلا اعتراض عليه (نفسا) أي نفس كانت وحقق الاجل بقوله تعالى (اذا جاء أجلها) أي وقت موتها الذي حده الله تعالى لها فلا يؤخر الله تعالى نفس هذا القائل لانها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرأ قالون والبزي وأبو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الاولى ولهما أيضا ابدالها ألفا والباقون بتحقيقهما (والله) أي الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدرة (خبير) أي بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا (بما تعملون) أي توقعون عمله في الماضي والحال والمآل كله باطنه وظاهره وقرأ شعبة بالياء التحتية على الغيبة على الخبر عمن مات وقال هذه المقالة والباقون بالفوقية على الخطاب وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق حديث موضوع

حدهم لهم له تعالى على طلبه صلى الله عليه وسلم الشفاعة لهم (قوله ومن

سورة التغابن مدنية

في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي مدنية ومكية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن سورة التغابن نزلت بمكة الا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم الى آخرها وهي ثماني عشرة آية ومائتان واحدى واربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

(بسم الله) مالك الملك فلا كفء له ولا مثيل (الرحمن) الذي وسع الخلائق بره الجليل (الرحيم) الذي خص من عمه فوفقهم للجميل (يسبح) أي يوقع التنزيه التام مع التجديد والاستمرار (لله) أي الذي له الاحاطة بأوصاف الكمال (ما في السموات) أي كلها (وما في الارض) كذلك وقيل اللام زائدة أي ينزه الله تعالى فال الجلال المحلي وأتى بما دون من تغليبا للاكثر (له) أي وحده (الملك) أي كله مطلقا في الدنيا والآخرة (وله) أي وحده (الحمد) أي الاحاطة بأوصاف الكمال

كلها

كلها فالملك نزهه بجميع مخلوقاته وقدم الظرفين ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى وذلك لبيان الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذا الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شيء قدير هو) أي وحده (الذي خلقكم) أي أنشأكم على ما أنتم عليه (فمنكم) أي فتسبب عن خلقه إياكم وتقديره (كافر) أي عريق في صفة الكفر (ومنكم مؤمن) أي راسخ في الإيمان في حكم الله تعالى في الأزل قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ويعيدهم في القيامة مؤمنا وكافرا وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا مما يكون فقال تولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت مؤمنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا أي وسكت عن القسم الآخر وهو أن يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت كافرا اكتفاء بالمقابل وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى فرعون في بطن أمه كافرا وخلق يحيى بن زكريا عليهما السلام في بطن أمه مؤمنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الأزلي بكل معلوم فيجري ما علم وأراد وحكم فقد يريد إيمان شخص على عموم الأحوال وقد يريده إلى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف لأن المقصود ذكر الطرفين وقيل إنه خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا والتقدير هو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء ثم قال تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الآية قالوا فالله خلقهم والمشي فعلهم وهذا اختيار الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال البغوي وروينا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع على الكفر وقال تعالى ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا وروى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب ذلك في بطن أمه وقال الضحاك فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافق ومنكم

أظلم ممن افترى على الله
الكذب) قاله هنا
بتعريف الكذب إشارة

مؤمن فى العلانية والسر كعمار وزيد وقال عطاء بن ابى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يعنى فى شأن الانواء كما جاء فى الحديث قال القرطبى وقال الزجاج وهو احسن الاقوال والذى عليه الائمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب واختيار وخلق المؤمن وايمانه فعل له وكسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدره عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذى قدره عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى قال البغوى وهذا طريق اهل السنة من سلكه اصاب الحق وسلم من الجبر والقدر قال الرازى فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق فى علمه انه تعالى اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فاى حكمة دعت الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان أفعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه تعالى هذه الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة (والله) أى الذى له الاحاطة الكاملة (بما تعملون) اى توقعون عمله كسبا (بصير) أى بالغ العلم بذلك فهو الذى خلق جميع اعمالكم التى نسب كسبها اليكم وهو خالق جميع الاستعدادات والصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق الخالق ما لا يعلمه ولو سئل الانسان كم مشى فى يومه من خطوة لم يدر فكيف لو سئل اين موضع مشيه ومتى زمانه فكيف وانه لمشى اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك لم يكن خالقا لها بوجه * ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على تمام احاطته بالبواطن والظواهر بقوله تعالى (خلق السموات) اى على علوها وكبرها (والارض) على سعتها (بالحق) اى بالامر الذى يطابقه الواقع لما أراد (وصوركم) اى آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قال مقاتل وقيل جميع الخلائق على صور لا توافق شيأ من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها صور توافق الاخرى من كل وجه (فاحسن صوركم) فجعلها احسن الحيوانات كلها كما هو مشاهد بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته ان خلقه منتصبا غير منكب كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم كما يأتى ان شاء الله تعالى (فان قيل) قد يوجد فى افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة سمج الصورة (اجيب) بانه لا سماجة لان الحسن فى المعانى وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل فى حيز الحسن غير خارج عن حده فقبح القبيح منه انما هو بالنسبة الى احسن منه ولذا قال الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان فقدرة الله سبحانه وتعالى لا تتناهى قال البقاعى فاياك ان تصغى لما وقع فى كتب الغزالى انه ليس فى الامكان ابدع مما كان فان ذلك يفضى الى انه سبحانه لا يقدر أن يخلق احسن من هذا العالم وهذا لا يقوله احد اهـ وهو لا ينقص مقدار الغزالى فان كل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه كما قال الامام مالك وعزاه الغزالى نفسه الى ابن عباس رضى الله عنهما وقال الشافعى صنفت هذه الكتب وما ألوت فيها جهدا وانى لاعلم ان فيها الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند

الى قول اليهود هذا سحر مبين وقاله فى مواضع بتشكيكه جريا على الاكثر

غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدأ عطف عليه قوله تعالى (واليه) وحده (المصير) اى المرجع بعد البعث فيجازى كلا بعمله (يعلم) أى علمه حاصل فى الماضى والحال والمآل (ما) أى كل شئ (فى السموات) أى كلها (والارض) كذلك (ويعلم) أى على سبيل الاستمرار (ماتسرون) أى تخفون (وماتعلنون) أى تظهرون من الكليات والجزئيات (والله) أى الذى له الاحاطة التامة (عليم) أى بالغ العلم (بذات) أى صاحبة (الصدور) من الاسرار والخواطر التى لم تبرز فى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أم لا وعلمه لكل ذلك على حد سواء لاتفاوت فيه بين علم الخفى وعلم الجلى نبه بعلمه مافى السموات والارض ثم بعلم مايسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور ان شيأ من الجزئيات والكليات غير خاف عليه ولاعازب عنه ولايجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ماذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولاتشكر نعمته (ألم يأتكم) أيها الناس ولاسيما الكفار (نبأ) أى خبر (الذين كفروا من قبل) كقوم نوح وهود وصالح (فذاقوا) أى باشروا مباشرة الذائق (وبال أمرهم) أى ضرر كفرهم فى الدنيا وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطر (ولهم عذاب أليم) أى مؤلم فى البرزخ ثم يوم القيامة التى هى موضع الفصل الاعظم (ذلك) أى الامر العظيم من الوبال الدال قطعا على أن الكفر أبطل الباطل وأنه مما يغضب الخالق (بأنه) أى بسبب ان الشان العظيم البالغ فى الفظاعة (كانت تأتيهم) على عادة مستمرة (رسلهم) أى رسل الله الذين ارسلهم اليهم (بالبينات) أى الحجج الظاهرات على الايمان (فقالوا) أى الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار تكبرا وقولهم (أبشر يهدوننا) يجوز أن يرتفع بشر على الفاعلية ويكون من الاشتغال وهو الارجح لان الاداة تطلب الفعل ويجوز أن يكون مبتدأ وخبرا وجمع الضمير فى يهدوننا اذ البشر اسم جنس وقد يأتى الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وقد يأتى الجمع بمعنى الواحد كقوله تعالى ماهذا بشرا فانكروا على الملك الاعظم ارساله لهم (فكفروا) أى بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء الى عباده (وتولوا) عن الايمان (فان قيل) قوله تعالى فكفروا تعميم يفهم منه التولى فما الحاجة الى ذكره (أجيب) بانهم كفروا وقالوا أبشر يهدوننا وهذا فى معنى الانكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولى فكأنهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولى فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسل وتولوا بالبرهان وأعرضوا عن الايمان والموعظة ونبه بقوله تعالى (واستغنى الله) أى الملك الاعظم الذى لا أمر لاحد معه على أن هذا انما هو لصالح الخلق فهو غنى عن كل شئ (فان قيل) قوله تعالى وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولى والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا (أجيب) بان معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك (والله) أى المستجمع لصفات الكمال (غنى) عن خلقه (حميد) أى محمود فى أفعاله (زعم الذين كفروا) أى أوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولو على أدنى الوجوب وزعم قال ابن عربى كنية الكذب وقال الزمخشرى الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام

من استعمال المصدر منكرا

(قوله يريدون ليطفؤا نور الله) اللام زائدة لتأكيد

قوله ولو على أدنى الوجوب لعله الوجوه اه مصحح

زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا وفي حديث ابن
مسعود رضي الله عنه عند أبي داود بئس مطية الرجل زعموا (أن لن يبعثوا) أي من أي باعث
ما بوجه من الوجوه (قل) أي يا أشرف الرسل لهؤلاء البعداء (بلى) أي لتبعثن ثم أكد بصريح
القسم فقال (وربي) اي المحسن الي بالانتقام ممن كذب بي (لتبعثن) أي بأهون شئ وأيسر أمر
(ثم لتنبؤن) أي تخبرن اخبارا عظيما ممن يقيمه الله تعالى لاخباركم (بما عملتم) أي بأعمالكم
لتجزون عليها (وذلك) أي الامر العظيم عندكم من البعث والحساب (على الله) أي المحيط
بصفات الكمال وحده (يسير) اذ الاعادة أسهل من الابتداء (فان قيل) كيف يفيد القسم
في اخباره عن البعث وهم قد أنكروا الرسالة (أجيب) بأنهم أنكروا الرسالة لكنهم يعتقدون
انه يعتقد ربه اعتقادا جازما فيعلمون أنه لا يقدم على القسم بربه الا وأن يكون الاخبار عنده
صدقا أظهر من الشمس في اعتقاده ثم انه أكد الخبر باللام والنون فكأنه قسم بعد قسم
ثم انه تعالى لما أخبر عن البعث والاعتراف بالبعث من لوازم الايمان قال تعالى (فآمنوا بالله)
أي الملك الذي له الاحاطة الكاملة بكل شئ (ورسوله) أي كل من أرسله ولا سيما محمدا صلى الله
عليه وسلم (والنور) أي القرآن (الذي أنزلنا) أي بما لنا من العظمة لانه نور يهتدى به من
ظلمة الضلالة كما يهتدى بالنور في الظلمات (فان قيل) هلا قيل ونوره بالاضافة كما قال ورسوله
(أجيب) بان الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكأنه قال ورسوله ونوره (والله) اى
المحيط علما وقدرة (بما تعملون خبير) أي بالغ العلم بما تسرون وما تعلنون فراقبوه في السر
والعلانية وقوله تعالى (يوم يجمعكم) منصوب بقوله تعالى لتنبؤن عند النحاس وبخبير عند
الحوفي لما فيه من معنى الوعيد كأنه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وباذكر مضمرا عند
الزمخشري فيكون مفعولا به أو بما دل عليه الكلام أي تتفاوتون يوم يجمعكم قاله أبو البقاء
(ليوم الجمع) أي لاجل ما يقع في ذلك اليوم وهو يوم القيامة الذي يجمع الله تعالى فيه الاولين
والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد
وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وأمته وقيل يجمع فيه ثواب
أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي بل هو جامع لجميع ما ذكر (ذلك) أي اليوم العظيم
(يوم التغابن) والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول
السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء
التي كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن ولهذا قيل التفاعل
هنا من واحد لا من اثنين وفي الحديث ما من عبد أدخل الجنة الا أري مقعده من النار لو أساء
ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وهو
معنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وأن تغابنه هو التغابن
في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر في بعض التفاسير أن التغابن هو
أن يكتسب الرجل مالا من غير وجهه ليرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الاول النار
والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغبن البين والمغابن ما انثنى من البدن نحو الابطين
والفخذين والمغبون من غبن في أهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان

[illegible] مفعول يريد وأصله
يريدون أن يطفئوا كما في
[illegible]ة او تعليلية والمفعول

وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وبتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت منزلته فى الجنة بالنسبة الى من هو أعلى منزلة منه (فان قيل) فاى معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها (اجيب) بانه تمثيل للغبن فى الشراء والبيع كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فلما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وماربحوا فى تجارتهم بل خسروا ذكر أيضا انهم غبنوا وذلك ان أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار وقال الحسن وقتادة بلغنا أن التغابن على ثلاثة أصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشقى به ورجل علم علما وعمل به فنجا به ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه وفرط فى طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لاحساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عبد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقى وروى القرطبى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا ما أنتما قائلان فيقول الرجل يارب أوجبت نفقتها على فنفقتها من حرام ومن حلال وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لى ما أوفى فتقول المرأة يارب وما عسى ان يقول اكتسبه حراما وأكلته حلالا وعصاك فى مرضاتى ولم أرض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت أنت به فذلك يوم التغابن وقال بعض علماء الصوفية ان الله تعالى كتب الغبن على الخلق أجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احد الا نادما ان كان مسيأ أن لم يحسن وان كان محسنا أن لم تزدد *(تنبيه)* استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم التغابن انه لا يجوز الغبن فى المعاملات الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد ان لا غبن فى الدنيا فكل من اطلع على غبن فى مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا ولان الغبن فى الدنيا ممنوع منه بالاجماع فى حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا فى كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه فمضى فى البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا لانه لا يخلو منه فاذا كان كثيرا أمكن الاحتراز عنه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير فى الشريعة غير معلوم فقدر بالثلث وهذا الحد اعتبره الشارع فى الوصية وغيرها ويكون معنى الآية على هذا يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذى لا يستدرك ابدا (ومن يؤمن) اى يوقع الايمان ويجدده على سبيل الاستمرار (بالله) اى الملك الاعظم الذى لا كفء له (ويعمل) تصديقا لايمانه (صالحا) اى عملا هو مما ينبغى الاهتمام بتحصيله لانه لا مثل له فى جلب المصالح ودفع المضار (يكفر عنه سيئاته) التى غلبه عليها انقصار الطبع واتبع ذلك الحامل الآخر وهو التوجيه بجلب المسار لان الانسان يطير الى ربه سبحانه بجناحى الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة (ويدخله) اى رحمة له واكراما وفضلا

محذوف تقديره يدون ابطال القران لعطفه (قوله يغفر لكم) مجزوم جوابا

(جنات) اى بساتين ذات أشجار عظيمة وأغصان ظليلة تستر داخلها و رياض مديدة متنوعة الازاهير عطرة الثمر بهيج ريها وأشار الى دوام ريها بقوله تعالى (تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها وأشجارها (الانهار) وقرأ ندخله نافع وابن عامر بالنون فيهما اى نحن بما لنا من العظمة والباقون بالياء التحتية اى الله الواحد القهار (خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها) وأكده بقوله (أبدا) فلا خروج لهم منها (ذلك) اى الامر العالى جدا من الغفران والاكرام (الفوز العظيم) لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وجلب المسار ومن جملة ذلك النظر الى وجه الله الكريم ولما ذكر تعالى الفائز بلزومه التقوى ترغيبا اتبعه بضده ترهيبا فقال عز من قائل (والذين كفروا) أى غطوا أدلة ذلك اليوم فكانوا فى الظلام (وكذبوا) أى أوقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب (بآياتنا) أى بسببها مع مالها من العظمة باضافتها الينا وهى القرآن فلم يعملوا به (أولئك) اى البعداء البغضاء (اصحاب النار خالدين) أى مقدرين الخلود (فيها وبئس المصير) هى قال الرازى فان قيل قال تعالى فى حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفى الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضى فالجواب ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا بآياتنا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار اه (فان قيل) قال تعالى يؤمن بلفظ الوحدان وخالدين فيها بلفظ الجمع (اجيب) بان ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى وبئس المصير بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك بئس المصير (أجيب) بان ذلك وان كان فى معناه فهو تصريح بما يؤكده كما فى قوله ابدا (ما اصاب) احدا (من مصيبة) اى مصيبة كانت دينية اودنيوية فى نفس اومال اوقول اوفعل تقتضى هما او توجب عقابا آجلا او عاجلا (الا باذن الله) اى بتقدير الملك الاعظم وقال الفراء يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله تعالى عن المصائب فى الدنيا فبين الله تعالى ان ما اصاب من مصيبة الا بقضائه وقدره (فان قيل) بم يتصل قوله تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله (أجيب) بانه يتعلق بقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله كان من يؤمن بالله يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله (ومن يؤمن بالله) اى يصدق بانه لا تصيبه مصيبة الا بقضاء الله الملك الاعظم وتقديره واذنه (يهد قلبه) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يجعل فى قلبه اليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه اى فيسلم لقضاء الله وقدره وقال الكلبى هو اذا ابتلى صبر واذا أنعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب فى الجنة وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الحيرى من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون قاله ابن جبير (والله) اى الملك الذى لا نظير له (بكل شئ) مطلقا من غير استثناء (عليم) فلا يخفى عليه تسليم من انقاد لامره فاذا تحقق من هدى قلبه ذلك زاح عنه كل اعتقاد باطل من كفر أو بدعة او صفة خبيثة (وأطيعوا الله) اى الملك الاعلى الذى له الامر كله (وأطيعوا الرسول) اى هونوا على أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله تعالى واعملوا بكتابه واطيعوا الرسول فى العمل بسنته (فان توليتم) اى عن الطاعة

ومن المأخوذ من تؤمنون
أو جوابا للاستفهام فى
قوله هل أدلكم أو مجزوم

(فانما على رسولنا) أضافه اليه على وجه الكمال تعظيما له وتهديدا لمن يتولى عنه (البلاغ المبين) اى الظاهر فى نفسه المظهر لكل احد انه أوضح لغاية الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية فى القلوب (الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (لا اله الا هو) فهو القادر على خلق الهداية فى القلوب والاقبال بها لا يقدر على ذلك غيره (وعلى الله) اى الذى له الامر لا على غيره (فليتوكل المؤمنون) أى لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك وقال الزمخشرى هذا بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم) أى وان أظهرن غاية المودة (وأولادكم) أى وان أظهروا غاية الشفقة (عدوا لكم) فقال ابن عباس نزلت بالمدينة فى عوف بن مالك الاشجعى شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبرى عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فانها نزلت فى عوف ابن مالك الاشجعى كان ذا أهل وولد وكان اذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة وروى الترمذى عن ابن عباس وسئل عن هذه الآية قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد تفقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الآية حديث حسن صحيح وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن آدم فى طريق الايمان فقال له أتؤمن وتذر دينك ودين آبائك فخالفه فآمن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له أتهاجر وتترك أهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له أتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله أن يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين أحدهما يكون بالوسوسة والثانى أن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وفى حكمة عيسى عليه الصلاة والسلام من اتخذ أهلا ومالا وولدا كان فى الدنيا عبدا وقال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دناءة اعظم من دناءة الدينار والدرهم ولا أخس من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل فى قوله تعالى ان من أزواجكم الذكر والانثى فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى (فاحذروهم) أى أن تطيعوهم فى التخلف عن الخير ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعفوا) أى توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة فى ذلك فان من طبع على شئ لا يرجع عنه وانما النافع الحذر الذى ارشد اليه تعالى لئلا يكون سببا للذم المنهى عنه (وتصفحوا) أى بالاعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان (وتغفروا) أى بان تستروا ذنوبهم سترا تاما شاملا للعين والاثر بالتجاوز (فان الله) أى الجامع لصفات الكمال (غفور) أى بالغ المحو لاعيان الذنوب وآثارها جزاء لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب غفرانكم (رحيم) فيكرمكم بعد ذلك الستر بالانعام

بشرط مقدر اى ان تؤمنوا تغفر لكم (قوله كونوا أنصار الله كما قال عيسى

فتخلقوا باخلاقه تعالى يزدكم من فضله (انما أموالكم) اى عامة (واولادكم) كذلك (فتنة) أى اختبار من الله تعالى لكم وهو اعلم بما فى نفوسكم منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من عمله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يعمله فيكون عليه نعمة فربما رام الانسان صلاح ماله وولده فبالغ فافسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده وروى ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات ويكفى فى فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم اللهم اعصمنى من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال ولا ولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى أعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن فى قوله تعالى ان من أزواجكم واولادكم أدخل من للتبعيض لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر فى قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما روى الترمذى وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم أخذ فى خطبته * (تنبيه) * قدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال أكثر وترك ذكر الازواج فى الفتنة قال البقاعى لان منهن من يكون صلاحا وعونا على الآخرة (والله) أى ذو الجلال (عنده) وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته (اجر) ثم وصفه بقوله تعالى (عظيم) اى لمن ائتمر بأوامره التى امره بها وقوله تعالى (فاتقوا الله) اى الملك الاعلى (ما استطعتم) اى جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قاله قتادة والربيع بن انس والسدى وذكر الطبرى عن ابن زيد فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد قال ومن يعرف قدر هذا او يبلغه فلما علم الله تعالى انه قد اشتد عليهم نسخه عنهم وجاء بهذه الآية الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس وهى محكمة لا نسخ فيها ولكن حق تقاته ان يجاهدوا فيه حق جهاده ولا تاخذهم فى الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على انفسهم وآبائهم وابنائهم (فان قيل) اذا كانت الآية غير منسوخة فكيف الجمع بين الآيتين وما وجه الامر باتقائه حق تقاته مطلقا من غير تخصيص ولا مشروط بشرط والامر باتقائه بشرط الاستطاعة (أجيب) بان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم معناه فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من اموالكم واولادكم أن تغلبكم فتنتهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة وانتم مستطيعون وذلك ان الله تعالى قد عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الى قوله تعالى فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم فاخبر تعالى انه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا بالاقامة فى دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى ما استطعتم فى الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام ان تتركوها فتنة اموالكم واولادكم ويدل على صحة هذا ان قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم

ابن مريم الآية) * ان قلت ظاهره تشبيه كونهم أنصار الله بقول عيسى عليه

عقب

عقب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين علماء التأويل في ان هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم اي فيما يتطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته اشتدت على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وقرحت جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عليهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا النقل لان المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها (واسمعوا) اي سماع اذعان وتسليم لما توعظون به وجميع اوامره (واطيعوا) اي وصدقوا ذلك الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة في الاسلاميات من القيام بامر الله تعالى والشفقة على خلق الله في كل امر ونهي على حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة (وانفقوا) اي اوقعوا الانفاق كما حد لكم فيما اوجب او ندب اليه والانفاق لا يخص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتي والخارجي وقوله تعالى (خيرا لانفسكم) في نصبه اوجه احدها قال سيبويه انه مفعول بفعل مقدر دل عليه وانفقوا تقديره قدموا خيرا لانفسكم كقوله تعالى انتهوا خيرا لكم الثاني تقديره يكن الانفاق خيرا فهو خبر كان المضمرة وهو قول ابي عبيدة الثالث انه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائي والفراء اي انفاقا خيرا لانفسكم فان الله يعطي خيرا منه في الدنيا مع ما تزكى به النفس ويدخر عليه من الجزاء في الآخرة بما لا يدري كنهه فلا يغرنكم عاجل شيء من ذلك فانما هو زخرف * ولما ذكر ما في الانفاق من الخير عمم في جميع الاوامر بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه) فيفعل في ماله جميع ما امر به موقنا به مطمئنا اليه حتى يرتفع عن قلبه الاخطار ويتحرر عن رق المكنونات والشح خلق باطني هو الداء العضال والبخل فعل ظاهر ينشأ عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصي فتفعلها وتارة باعطاء الاعضاء في الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه خرج من الشح * ولما كان الواقي هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله تعالى (فاولئك) اي العالو الرتبة (هم المفلحون) اي الفائزون الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه ثم رغب في الانفاق بقوله تعالى (ان تقرضوا الله) اي الملك الاعلى ذا الغنى المطلق الحائز لجميع صفات الكمال (قرضا حسنا) والقرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيب النفس ومع الاخلاص والمبادرة (يضاعفه لكم) اي لاجلكم خاصة اقل ما يكون بالواحد عشرا الى ما لا يتناهى على حسب النيات قال القشيري يتوجه الخطاب بهذا على الاغنياء في بذل اموالهم وعلى الفقراء في اخلاء ايامهم واوقاتهم من مرادآتهم وايثار مراد الحق على مراد انفسهم فالغني يقال له آثر حكمي على مرادك في مالك وغيره والفقير يقال له آثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك * ولما كان الانسان لما له من النقصان وان اجتهد لا يبلغ جميع ما أمر به لان الدين وان كان يسيرا فهو متين ان يشاده احد الا غلبه قال تعالى (ويغفر لكم) اي يوقع الغفران وهو محو ما فرط عينه واثره (والله) اي الذي لا يقاس عظمته بشيء (شكور) اي بليغ الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر وهو ناظر الى المضاعفة

السلام من انصاري الى الله وانس من ارادا (قلت) التشبيه محمول على المعنى

(حليم) فلا يعجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا ليتذكر العبد
الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل ولا يغتر بحلمه فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع
الى الغفران (عالم الغيب) وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره
الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره (والشهادة) وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه
الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث انه موجب للمؤمن ترك ظاهر الاثم وباطنه
وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد الله تعالى كأنه يراه (العزيز) اى الذى يغلب كل شئ
ولا يغلبه شئ (الحكيم) اى بالغ الحكمة التى يعجز عن ادراكها الخلائق وقال ابن الانبارى
الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله تعالى الم تلك آيات
الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاة حديث موضوع

تقديره كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله

سورة الطلاق مدنية

وهى احدى عشرة آية وقيل اثنتا عشرة آية وقيل ثلاث عشرة آية ومائتان
وتسع واربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذى له جميع صفات الكمال (الرحمن) الذى عم برحمته والنوال (الرحيم) الذى
خص بتمام النعمة ذوى الهمم العوال وقرأ (يا أيها النبى) نافع بالهمزة وسهل الهمزة
من اذا وابدلها أيضا واوا وخصه صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته
وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا
لترأسه وانه لسان قومه والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده فى
حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل انه على اضمار قول أى يا أيها النبى قل لامتك (اذا طلقتم
النساء) أى اردتم طلاق هذا النوع واحدة منهن فاكثر وقيل انه خطاب له ولامته والتقدير
يا أيها النبى وأمته فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا حذفته رجلها أى ويدها
وكقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقيل انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع
تعظيما له كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

قال الرازى وجه تعلق اول هذه السورة بآخر التى قبلها هو أنه تعالى أشار فى آخر التى قبلها
الى كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة وفى أول هذه السورة اشارة الى كمال علمه بمصالح
النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكأنه بين ذلك الكلى بهذه الجزئيات وروى ابن ماجه
عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها
وعن انس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأتت أهلها فانزل الله تعالى يا أيها
النبى اذا طلقتم النساء وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من ازواجك فى الجنة
ذكره الماوردى والقشيرى وزاد القشيرى ونزل فى خروجها الى أهلها قوله تعالى
لا تخرجوهن من بيوتهن وقال الكلبى سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه

وسلم على حفصة لما أسر اليها حديثا فاظهرته لعائشة فطلقها تطليقة فنزلت وقال السدي
نزلت في عبد الله بن عمر طلق امرأته حائضا تطليقة واحدة فامره النبي صلى الله عليه وسلم
بان يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان شاء أمسكها وان شاء طلقها قبل
أن يجامع فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وهو قوله تعالى (فطلقوهن
لعدتهن) أي في الوقت الذي يشرعن فيه في العدة وقد قيل ان رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله
ابن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت
الآية فيهم وروى الدارقطني عن ابن عباس أنه قال الطلاق على أربعة وجوه وجهان
حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فأن يطلقها طاهرا عن غير جماع وأن يطلقها حاملا
مستبينا حملها وأما الحرام فان يطلقها حائضا أو ان يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل
الرحم على ولد أم لا • (تنبيه) • الطلاق ينقسم الى سني وبدعي ولا ولا فطلاق موطوءة
ولو في دبر تعتد بأقراء سني ان ابتدأتها الاقراء عقب الطلاق ولم يطأها في طهر طلقها فيه
أو علق طلاقها بمضيه ولا وطئها في نحو حيض قبله ولا في نحو حيض طلق مع آخره أو
علق بآخره وذلك لاستعقابه الشروع في العدة وعدم الندم فيمن ذكرت والا فبدعي وان
سألته طلاقا بلا عوض وطلاق غير الموطوأة المذكورة بان لم توطأ أو كانت صغيرة أو آيسة
او حاملا منه وخلع زوجته في زمن حيض بعوض لا سني ولا بدعي والبدعي حرام للنهي عنه
وقسم جماعة الطلاق الى واجب كطلاق المولي أي واجب مخير ان لم يكن عذر ومعين ان
كان عذر شرعي كالاحرام ومندوب كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق ومكروه
كمستقيمة الحال وحرام كطلاق البدعة واشار الامام الى المباح بطلاق من لا يهواها ولا تسمح
نفسه بمؤنتها من غير تمتع بها وروى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي عليه الصلاة
والسلام قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيأ على وجه الارض احب اليه
من العتاق ولا خلق الله تعالى شيأ ابغض اليه من الطلاق وعن معاذ بن جبل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيأ ابغض اليه من الطلاق واختلفوا في
الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت طائفة بجوازه وهو مروي عن طاوس وبه قال حماد
الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الرأي وقال مالك والاوزاعي لا يجوز الاستثناء في الطلاق
والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثناء في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول
اقول • ولما كان نظر الشارع الى العدة شديدا صرح بصيغة الامر فقال تعالى (واحصوا)
اي اضبطوا واضبطوا كانه في اتقانه محسوس (العدة) ليعرف زمان الرجعة والنفقة
والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة (واتقوا) اى
في ذلك (الله) اى الملك الاعظم الذي له الخلق والامر (ربكم) اى لاحسانه في تربيتكم
في حملكم على الحنيفية السمحة ورفع جميع الآصار عنكم (لا تخرجوهن) اى ايها
الرجال في حال العدة (من بيوتهن) أي المساكن التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهن التي

• (سورة الجمعة) •
(قوله الذي بعث في الاميين رسولا منهم) • ان قلت

يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها (ولا يخرجن) أي من بيوتهن حتى تنقضي عدتهن ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لان في العدة حقا لله تعالى وقد وجبت في ذلك المسكن وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الاول والمعنى الا أن تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة المبينة أن تبذو على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقال ابن مسعود اراد بالفاحشة المبينة ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز فتحول عن بيته ويجوز ان يكون مستثنى من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة هذا كله عند عدم العذر اما العذر كشراء غيرمن لها نفقة على المفارق نحو طعام كقطن وكتان ثم ار او غزلها او نحوه كحديثها وتانيسها عند جارتها ليلا وترجع وتبيت ببيتها فانه جائز للحاجة الى ذلك وكخوف على نفس او مال من نحو هدم وغرق وفسقة مجاورين لها او شدة تأذيها بالجيران او شدة تأذيهم بها للحاجة الى ذلك بخلاف الاذى اليسير اذ لا يخلو منه احد ومن الجيران الاحماء وهم اقارب الزوج نعم ان اشتد اذاها بهم او عكسه وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها او خرج بالجيران ما لو طلقت ببيت ابويها وتأذت بهم او هم بها فلا نقل لان الوحشة لا تطول بينهما ولو انتقلت الى دار مسكن باذن زوجها فوجبت العدة ولو قبل وصولها اليه اعتدت فيه لانها مأمورة بالمقام فيه فان انتقلت لذلك بلا اذن فتعتد في الاول وان وجبت العدة بعد وصولها الثاني لعصيانها بذلك نعم ان أذن لها بعد انتقالها أن تقيم في الثاني فكما لو انتقلت بالاذن ولو أذن لها في الانتقال فوجبت العدة قبل خروجها اعتدت في الاول ولو سافرت باذن زوجها فوجبت في الطريق فعودها أولى من مضيها فان مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها ان سافرت لها أو بعد انقضاء مدة الاذن ان قدر لها مدة أو مدة اقامة المسافر ان لم تقدر لها مدة في سفر غير حاجتها او لو خرجت فطلقها او قال ما أذنت في الخروج أو قال وقد قالت أذنت في نقلتي أذنت لا لنقلة صدق بيمينه ولو كان المسكن ملكا له ويليق بها تعين لان تعتد فيه كما يصح بيعه في عدة أشهر كالمكترى أو كان مستعارا أو مكرى وانقضت مدة الكراء انتقلت منه ان امتنع المالك وان كان ملكا لها تخيرت بين الاستمرار فيه باعارة أو اجارة والانتقال منه كما لو كان المسكن خسيسا او نفيسا وان كان نفيسا وسكنى المعتدة عن فرقة واجب على الزوج حيث تجب نفقتها عليه لو لم تفارق سواء كانت الفرقة بطلاق أو فسخ أو وفاة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ بانواعه بجامع فرقة النكاح في الحياة ولخبر فريعة بنت مالك في الوفاة ان زوجها قتل فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أن ترجع الى أهلها وقالت ان زوجي لم يتركني في منزل يملكه فاذن لها في الرجوع قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا صححه الترمذي وغيره وقرأ ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أي الاحكام العالية جدا المانعها من الجلالة وباتسابها

ما وجه التقييد في بعث الرسول بكونه أميا منهم قلت) مشاكلة حاله

الى الملك الاعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة وغيرها (حدود الله) أى الملك الاعظم (ومن يتعد) أى يقع منه فى وقت من الاوقات انه تعمد أن يعدو (حدود الله) أى الملك الذى لا كفء له أو بعضها كأن طلق بدعيا (فقد ظلم نفسه) أى عرضها للعقاب وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام (لا تدرى) أى النفس أو أنت يا أيها النبى أو المطلق (لعل الله) أى الذى بيده القلوب ومقاليد جميع الامور (يحدث) أى يوجد شيأ حادثا لم يكن ايجاد أثابته الاقتدار والخلق على التسبب فى زواله (بعد ذلك) أى الحادث من الاساءة والبغض (أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها وقال أكثر المفسرين أراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق الواحدة والنهى عن الثلاث وهذا أحسن الطلاق وأحله فى السنة وأبعده عن الندم ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقون غير ذلك حتى تنقضى العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو مفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة فى طهر واحد فاما مفرقا فى الاطهار فلا لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروى أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعى لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح ومالك يراعى فى طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده قال الزمخشرى (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفى حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذا عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضى الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة فى الطلاق فاوقعه فى حيض أو ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فان قيل) قوله تعالى اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (أجيب) بانه لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض ولما حد سبحانه ما يفعل فى العدة أتبعه ما يفعل عند انقضائها بقوله تعالى (فاذا بلغن) أى المطلقات (أجلهن) أى شارفن انقضاء العدة مشارفة عظيمة (فامسكوهن)

فيكون اقرب لاحوالهم الى موافقتهم له او اتفاقه
الظن عنه فى ان ما دعاهم

أي بالمراجعة وهذا يدل على أن الاولى من الطلاق مادون البائن لاسيما الثلاث (بمعروف) أي حسن عشرة لا لقصد المضارة بطلاق آخر لاجل ايجاب عدة أخرى أو غير ذلك (أو فارقوهن) بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها (بمعروف) أي بايفاء الحق مع حسن الكلام وكل أمر حسنه الشرع فلا يقصد أذاها بتفريقها عن ولدها مثلا أو عنه ان كانت عاشقة له لقصد الاذى فقط من غير مصلحة وكذا ما أشبه ذلك من أنواع الضرر بالفعل والقول فقد تضمنت الآية بافصاحها الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب المنكرات *(تنبيه)* قال بعض العلماء في قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان الزوج له حق في بدن الزوجة ولها حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء كان مالا او منفعة من ثمن او مثمن او اجرة او بدل متلف او ضمان مغصوب او نحو ذلك فعليه ان يؤدي ذلك الحق الواجب باحسان وعلى صاحب الحق ان يتبع باحسان كما قال تعالى في آية القصاص فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وكذا الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والاجارة على عينه ونحو ذلك فالطالب يطلب بمعروف والمؤدي يؤدي باحسان * ولما كان الاشهاد اقطع للنزاع قال تعالى حاملا على الكيس واليقظة والبعد عن افعال المغفلين العجزة (واشهدوا) اى على المراجعة او المفارقة وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا (ذوي عدل منكم) قطعا للنزاع وهذا الاشهاد مندوب اليه عند الجمهور كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم واوجب الاشهاد في الرجعة الامام احمد في احدى الروايتين عنه والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي في القول الآخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم تفتقر الى الاشهاد كسائر الحقوق واذا جامع او قبل او باشر يريد بذلك الرجعة فليس بمراجع وقال أبو حنيفة وأصحابه اذا قبل او باشر او لمس بشهوة فهو رجعة وكذا النظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطؤه مراجعة على كل حال نواها او لم ينوها وهو مذهب احمد واليه ذهب الليث وبعض المالكية قال القرطبي وكان مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود الى وطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليست له الرجعة في هذا الاستبراء *(تنبيه)* قوله تعالى منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الاناث لان ذوي للمذكر وقوله تعالى (وأقيموا) اى ايها المأمورون حيث كنتم شهودا (الشهادة) التي تحملتموها بادائها على أكمل أحوالها (لله) اى مخلصين لوجه الملك الاعلى لا لاجل المشهود له والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله تعالى وفيه حث على اداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للعدل في الاداء عوائق ايضا (ذلكم) اى الذي ذكرت لكم ايها الامة من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام واولاها بذلك هذا الاشهاد واقامة الشهادة (يوعظ) اى يلين ويرقق (به من كان) اى كونا راسخا من جميع الناس (يؤمن بالله) اى الذي له الكمال كله (واليوم الآخر) فانه المحط الاعظم للترقيق واما من لم يكن متصفا

الـيه تعلمه من كتب قراءها
وحكم تلاها (قوله فاسعوا
الى ذكر الله) المراد بالسعي

بذلك فكأنه لقساوة قلبه ما وعظ به لانه لم ينتفع به وقوله تعالى (ومن يتق الله) اى يخف الملك
الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية بما يرضيه وهو اجتلاب ما أمر به واجتناب ما نهى
عنه من الطلاق وغيره ظاهرا او باطنا لان التقوى اذا انفردت فى القرآن عن مقارنة
الامر والنهى وان اقترنت بغيره انحو احسان او رضوان خصت المناهى (يجعل) اى بسبب
التقوى (له مخرجا) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على اتقائه عما نهى عنه صريحا
او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله
تعالى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عمن طلق ثلاثا او ألفا هل له من مخرج فتلاها
وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والشعبى والضحاك هذا فى الطلاق خاصة اى من طلق
كما أمره الله تعالى يكن له مخرج فى الرجعة فى العدة وان يكون كاحد الخطاب بعد العدة
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أيضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب فى الدنيا
والآخرة وقيل المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه قاله على بن صالح وقال الكلبى ومن يتق
الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله
عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجا من كل شئ ضاق على
الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق الله فى أداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة
(ويرزقه) أى الثواب (من حيث لا يحتسب) أى يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله
ومن يتق الله فى اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث
لا يحتسب وقال ابو سعيد الخدرى ومن تبرأ من حوله وقوته بالرجوع الى الله تعالى يجعل له
مخرجا مما كلفه الله بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الآية على العموم وهذا هو الذى
يقوى عندى وقال ابو ذر قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم
وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال أكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك اذ شجعى
أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكى اليه الفاقة
وقال ان العدو أسر ابنى وجزعت الام فما تأمرنى فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر
وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامرأته ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى
المدينة وهى أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وجعل النبى صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له
وروى أنه جاء وقد أصاب ابلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبى انه أصاب خمسين بعيرا
وفى رواية فافلت ابنه من الاسر وركب ناقة القوم فمر بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل أصاب
غنما ومتاعا فقال أبوه للنبى صلى الله عليه وسلم أيحل لى أن آكل مما أتى به ابنى قال نعم ونزل
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى الحسن عن عمران بن حصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث
لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اى اذا اتقى وآثر الحلال والصبر

هذا القصد لا العدد كقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وقول الدا

على أهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (ومن يتوكل) أي يسند أموره كلها معتمدا فيها (على الله) اي الملك الذي بيده كل شيء ولا كفء له (فهو) اي الله فى غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله (حسبه) اي كافيه ما أهمه وحذف المتعلق للتعميم وحرف الاستعلاء للاشارة الى أنه كأن حمل أموره كلها عليه سبحانه لانه القوي العزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الى غير ذلك من المعاني الكبار فلا يبدو له فى عالم الشهادة شئ يشينه وقيل من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه فى الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب فى الدنيا وقد يقتل وفى الحديث لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا يؤخذ من هذا أن التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم قال تغدو وتروح وهي من المقامات العظيمة قال البقاعي نقلا عن الملوي والا كان اتكالا وليس بمقام بل خسة همة وعدم مروأة لانه ابطال حكمة الله التي أحكمها فى الدنيا من ترتب المسببات على الاسباب اه ولما كان ذلك أمرا يكاد يحيط به الوهم علله بقوله تعالى مهولا له بالتأكيد والاظهار فى موضع الاضمار (ان الله) اي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص (بالغ أمره) أي جميع ما يريده فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل أم لا قال مسروق يعني قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا أن من يتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا وقرأ حفص بالغ بغير تنوين وأمره بالجر مضاف اليه على التخفيف والباقون بالتنوين وأمره بنصب الراء وضم الهاء قال ابن عادل وهو الاصل خلافا لابي حيان (قد جعل الله) أي الملك الذي لا كفء له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حيثية (لكل شئ) كرخاء وشدة (قدرا) أي تقديرا لا يتعداه فى مقداره وزمانه وجميع عوارضه وأحواله وان اجتهد جميع الخلائق فى أن يتعداه فمن توكل استفاد الاجر وخفف عنه الالم وقذف فى قلبه السكينة ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التي يعتقد أنها هي المنجية فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد فى المقادير شئ ولا ينقص منها شئ ويحكى أن رجلا أتى عمر فقال أولني مما أولاك الله فقال اتقرأ القرآن قال لا قال انا لا نولي من لا يقرأ القرآن فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود الى عمر فيوليه فلما تعلم القرآن تخلف عن عمر فرآه ذات يوم فقال ياهذا أهجرتنا فقال يا أمير المؤمنين لست ممن يهجر ولكني تعلمت القرآن فاغناني الله عن عمر وعن باب عمر قال فاي آية اغنتك قال قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم كيف يستعملها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله ولا يعلمه حق علمه غيره *(تنبيه)* الآية تفهم ان من لم يتق الله يقتر عليه وهو موافق لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيأ من الاشياء وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا

(قوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) تقديره واليك نسي وفيه نقد

توكلنا عليه فرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزل ان الله بالغ أمره فيكم وعليكم وقال الربيع بن
خثيم ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه
ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله
فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا
دعان * ولما بين تعالى امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات
الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال أبو عثمان عمر بن سليمان نزلت عدة
النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال أبي بن كعب يا رسول الله ان ناسا
يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار وذوات الحمل فنزل (واللائي
يئسن) أي من المطلقات (من المحيض) أي الحيض الآية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم
تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت وقيل ان معاذ بن جبل سأل عن عدة
الكبيرة التي يئست فنزلت وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو
أو دم علة * واختلف في سن اليأس فالذي عليه الاكثر أنه اثنان وستون سنة وقيل خمس
وخمسون وقيل ستون وقيل سبعون * ولما كان هذا الحكم خاصا بأزواج المسلمين لحرمة
فرشهم وحفظ أنسابهم قال تعالى (من نسائكم) أي أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من
أهل الكتاب (ان ارتبتم) أي شككتم في عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) كل شهر يقوم مقام
حيضة لان أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء في شهر (واللائي لم يحضن) أي لصغرهن
ولانهن لا حيض لهن أصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا هذا كله في غير المتوفى
عنهن أزواجهن اما هن فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقرأ
واللائي في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمز وياء بعده وقرأ قالون وقنبل بالهمز ولا ياء
بعده وللبزي وأبي عمرو أيضا ابدال الهمزة ياء ساكنة مع المد لا غير * ولما فرغ من ذكر الحوائل
أتبعه ذكر الحوامل بقوله تعالى (وأولات الاحمال) أي من جميع الزوجات المسلمات
والكافرات المطلقات والمتوفى عنهن (أجلهن) أي لمنتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل
حيض أم لا (أن يضعن حملهن) وهذا على عمومه مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر
وعشرا الا ان المحافظة على عمومه أولى من المحافظة على عموم ذلك في قوله تعالى ازواجا لان عموم
هذه بالذات لان الموصول من صيغ العموم وعموم ازواجا بالعرض لانه بدل لا يصلح لجميع
الازواج في حال واحد والحكم معلل هنا بوصف الحملية بخلاف ذلك ولان هذه الآية متأخرة
النزول عن آية البقرة فتقديمها على تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع لما في
الخاص من الحكم فهو نسخ والاول هو الراجح للوفاق ولان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها
بعد وفاة زوجها بليال فاذن لها النبي صلى الله عليه وسلم ان تتزوج * (تنبيه) * اذا وضعت
المرأة ما في بطنها من علقة او مضغة حلت عند مالك وقال الشافعي وأحمد وابو حنيفة لا تحل
الا بوضع ما يتبين فيه شيء من خلق الانسان فان كانت حاملا بتوأمين لم تنقض عدتها حتى تضع

واذا رأوا تجارة انفضوا
اليها او لهوا انفضوا اليه
فحذف الثاني لدلالة الاول

الثاني منهما ولابد أن يكون الحمل منسوبا الى ذي العدة أما اذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة
بالحيض ولما كانت امور النساء في المعاشرة والمفارقة في غاية المشقة كرر بالحث على التقوى
اشارة الى ذلك وترغيبا في لزوم ما حده سبحانه فقال عاطفا على ما تقديره فمن لم يحفظ هذه
الحدود عسر الله تعالى عليه اموره (ومن يتق الله) اي يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا
مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعته امتثالا بالاوامر واجتنابا للنواهي (يجعل له)
اي يوجد ايجادا مستمرا باستمرار التقوى لان الله لا يمل حتى تملوا (من أمره) اي كله في النكاح
وغيره (يسرا) اي سهولة وفرجا وخيرا في الدارين بالدفع والنفع وذلك أعظم من مطلق
المخرج المتقدم في الآية الاولى وقال مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من
أمره يسرا في توفيقه لطاعته (ذلك) اي الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية
المراتب (أمر الله) اي الملك الاعلى الذي له الكمال كله (أنزله اليكم) وبينه لكم (ومن يتق
الله) اي الذي لا أمر لاحد معه في احكامه فيراعي حقوقها (يكفر) اي يغطي تغطية عظيمة
(عنه سيئاته) ليتخلى عن المبعدات فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له أجرا) بأن يبدل
سيئاته حسنات ويوفيه أجرها في الدارين مضاعفة فيتحلى بالقربات وهذا أعظم من مطلق
اليسر المتقدم (أسكنوهن) قال الرازي أسكنوهن وما بعده بيان لما شرط من التقوى في
قوله تعالى ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن
وقوله تعالى (من حيث سكنتم) فيه وجهان أحدهما ان من للتبعيض قال الزمخشري مبعضها
محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا
من أبصارهم أي بعض ابصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه
قال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم والثاني أنها لابتداء
الغاية قاله الحوفي وأبو البقاء قال أبو البقاء والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذي
تسكنون أنفسكم ودل عليه قوله تعالى (من وجدكم) أي من وسعكم أي مما تطيقونه وفي
اعرابه وجهان أحدهما أنه عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم واليه ذهب الزمخشري
وتبعه البيضاوي قال ابن عادل أظهرهما أنه بدل من قوله من حيث بتكرار العامل واليه
ذهب أبو البقاء كأنه قيل اسكنوهن من وسعكم (ولا تضاروهن) اي حال السكنى في المسكن
ولا في غيره (لتضيقوا عليهن) حتى تلجؤهن الى الخروج (وان كن) اي المطلقات (اولات
حمل) اي من الازواج من طلاق بائن او رجعي (فانفقوا عليهن) وان مضت الاشهر (حتى
يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من
المعتدات البوائن والاحاديث تؤيده قال القرطبي اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على ثلاثة
أقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابي حنيفة وأصحابه ان لها
السكنى والنفقة ومذهب أحمد واسحق وأبي ثور لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت
قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني
وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك السكنى والنفقة قال ان زوجها طلقها
ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة لمن له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني

عليه وقرأ ابن مسعود
انفقوا اليهما وعليه
فلا حذف

الاسود بن يزيد ليسألني عن ذلك فان أصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني الاسود بن يزيد فقال ياشعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة فقلت لا أرجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم وأجيب عن ذلك بما روت عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وقال قتادة وابن أبي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وقوله تعالى أسكنوهن راجع لما قبله وهي المطلقة الرجعية (فان أرضعن لكم) أي بعد انقضاء علقة النكاح (فآتوهن أجورهن) أي على ذلك الارضاع وللرجل أن يستأجر امرأته للرضاع كما يستأجر اجنبية ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم تبن ويجوز عند الشافعي مطلقا وقوله تعالى (وأتمروا) خطاب للازواج والزوجات أي ليأمر بعضكم بعضا في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم أمر بعض وقال الكسائي ائتمروا وتشاوروا وتلا قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك وأنشد قول امرئ القيس * ويعدو على المرء ما يأتمر * وزادهم رغبة في ذلك بقوله تعالى (بينكم) أي ان هذا الخير لا يعدوكم وأكد ذلك بقوله تعالى (بمعروف) ونكره سبحانه تخفيفا على الامة بالرضا بالمستطاع وهو يكون مع الاخلاق بالاتصاف ومع النفس بالخلاف (وان تعاسرتم) أي طلب كل منكم ما يعسر على الآخر كأن طلبت المرأة الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجانا (فسترضع له) أي الاب (أخرى) أي مرضعة غير الام ويغني الله تعالى عنها وليس له أن يكرهها على ذلك نعم اذا لم يقبل ثدي غيرها أو لم يوجد غيرها أجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك واختلفوا فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة مادامت الزوجية الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه حينئذ في ماله وقال أبو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب عليها بكل حال ولو طلبت الام اجرة المثل وهناك أجنبية ترضع بدون أجرة المثل أو متبرعة تخير الاب بينهما ولا يضيق على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما أو قطيعة رحم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح (لينفق ذو سعة) أي مال واسع ولم يكلفه تعالى جميع وسعه بل قال تعالى (من سعته) أي لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا عليه (ومن قدر) أي ضيق (عليه رزقه) فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف لكن نفقة الزوجة مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد لحاكم ولا لمفت فيها وتقديرها هو بحسب حال الزوج وحده من يسار واعسار ولا اعتبار بحالها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد لظاهر قوله تعالى

(سورة المنافقين)
(قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) اى

لينفق ذو سعة من سعته فجعل الاعتبار بالزوج فى اليسر والعسر ولان الاعتبار بحالها يؤدى الى الخصومة لان الزوج يدعى أنها تطلب فوق كفايتها وهى تزعم أنها تطلب قدر كفايتها فقدرت قطعا للخصومة وقوله تعالى (فلينفق) أى وجوبا على المرضع وغيرها من كل ما أوجبه الله تعالى عليه (مما آتاه الله) أى الملك الذى لا ينفد ما عنده ولو من رأس المال ومتاع البيت (لا يكلف الله) اى الذى له الملك كله (نفسا) أى نفس كانت (الا ما آتاها) أى أعطاها من المال (سيجعل الله) أى الملك الذى له الكمال كله فلا خلف لوعده (بعد عسر) أى بعد كل عسر (يسرا) وقد صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين بعد نزول الآية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى صاروا أغنى الناس وصدق الآية دائم غير انه فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين لان ايمانهم أتم قال القشيرى وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين فى الاحوال الذين انحطوا عن درجة الرضا وارتقوا عن حد اليأس والقنوط ويعيشون فى افناء الرجال ويتعللون بحسن المواعيد اه * ولما ذكر الاحكام والمواعظ والترغيب لمن أطاع حذر من خالف بقوله تعالى (وكأين) هى كاف الجر دخلت على أى بمعنى كم (من قرية) أى وكثير من القرى وقرأ ابن كثير بالالف بعد الكاف وبعد الالف همزة مكسورة وقفا ووصلا وقرأ الباقون فى الوصل بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعد الهاء ياء تحتية مكسورة مشددة وعبر عن أهل القرية بها مبالغة فقال (عتت) أى استكبرت وجاوزت الحد فى عصيانها وطغيانها فأعرضت عنادا (عن أمر ربها) أى الذى أحسن اليها ولا يحسن اليها غيره (ورسله) فلم تقبل منهم ما جاؤا به عن الله تعالى فان طاعتهم من طاعته (فحاسبناها) أى فى الآخرة وان لم تجئ لتحقق وقوعها (حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا فظيعا وهو عذاب النار وقيل العذاب فى الدنيا فيكون على حقيقته أى جازيناها بالعذاب فى الدنيا وعذبناها عذابا نكرا فى الآخرة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أى فعذبناها عذابا نكرا فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وسائر المصائب وحاسبناها حسابا شديدا فى الآخرة وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون بسكونها (فذاقت) أى فتسبب عن ذلك أنها ذاقت (وبال) أى عقوبة (أمرها) أى كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أى فى الدنيا بالاسر وضرب الجزية وغير ذلك وفى الآخرة بعذاب النار فان من زرع الشوك كما قال القشيرى لا يجنى الورد ومن أضاع حق الله تعالى لا يطاع فى حظ نفسه ومن احترف بمخالفة أمر الله تعالى فليصبر على عقوبته ثم استأنف الجواب عمن يقول هل لها غير هذا فى غير هذه الدار بقوله تعالى (أعد الله) أى الملك الاعظم (لهم) بعد الموت وبعد البعث (عذابا شديدا) وفى ذلك تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها (فاتقوا الله) أى الذى له الامر كله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (يا أولى الالباب) أى يا أصحاب العقول الصافية النافذة من الظواهر الى البواطن وقوله تعالى (الذين آمنوا) منصوب باضمار أعنى بيانا للمنادى فى قوله تعالى يا أولى الالباب أو يكون عطف بيان للمنادى او نعتا له أى خلصوا من دائرة الشرك ولو وجدوا الايمان حقيقة (قد أنزل الله) أى الذى له صفات الكمال (اليكم ذكرا) هو القرآن وفى نصب

شهادتهم التى لا يعتقدونها فالله كذب الشهادة لا المشهود به (قوله ذلك)

(رسولا)

(رسولا) أوجه أحدها قال الزجاج والفارسي انه منصوب بالمصدر المنون قبله لانه ينحل لحرف مصدري وفعل كانه قيل أن ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر المنون عامل كقوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما الثاني جعل نفس الذكر مبالغة فابدل منه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد أظهر لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو الثالث أنه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره أنزل ذا ذكر رسولا الرابع أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكرا ذكر رسول الخامس أنه منصوب بفعل مقدر أي وأرسل رسولا (يتلوا عليكم آيات الله) هي دلائل الملك الاعظم الظاهرة جدا حال كونها (مبينات) أي لا لبس فيها بوجه واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه وسلم او جبريل الاكثر على الاول واقتصر عليه الجلال المحلي واقتصر الزمخشري على الثاني وهو قول الكلبي وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء بعد الموحدة والباقون بالفتح (ليخرج الذين آمنوا) اي اقروا بالشهادتين (وعملوا) تصديقا لما قالوه بألسنتهم وتحقيقا لانه من قلوبهم (الصالحات) اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه مؤمن (من الظلمات) اي الضلالة (الى النور) اي الهدى (ومن يؤمن بالله) اي يجدد في كل وقت على الدوام الايمان بالملك الاعلى بان لا يزال في ترق في معارج معارفه (ويعمل) على التجديد المستمر (صالحا) لله وفي الله فله دوام النعماء وهو معنى ادخاله الجنة كما قال تعالى (يدخله) أي عاجلا مجازا بما يفتح الله له من لذات المعارف ويفتح له من الانس وآجلا حقيقة (جنات) اي بساتين هي في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ريها بقوله تعالى (تجري من تحتها) اي من تحت غرفها (الانهار) فهي في غاية الري بحيث ان ساكنها يجري في اي موضع اراد نهرا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون والباقون بالياء التحتية (خالدين فيها) وأكد معنى الخلود بقوله تعالى (ابدا) لينفي هم الدوام بلا انقضاء وقوله تعالى (قد أحسن الله) أي الملك الاعلى ذو الجلال والاكرام (له) أي خاصة (رزقا) أي عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها ثم بين كمال قدرته بقوله تعالى (الله) أي الذي له جميع صفات الكمال التي القدرة الشاملة احداها (الذي خلق) اي أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع (سبع سموات) أي وأنتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون أنه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم الكامل (ومن الارض مثلهن) أي سبعا أما كون السموات سبعا بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه لحديث الاسراء وغيره وأما الارضون فقال الجمهور انها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك انها سبع أرضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري

بأنهم) اي المنافقين آمنوا ثم كفروا اي آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم

وغيره روى أبو مروان عن أبيه أن كعبا حلف له بالله الذى فلق البحر لموسى أن صهيبا حدثه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين انا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين قال البقاعى رأيت فى التعاد دقيقة حديثا صريحا لكن لا أدرى حاله ذكره ابن برجان فى اسمه تعالى الملك من شرحه الاسماء الحسنى قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله أعلم قال هواء أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ارض اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم حتى عد سبع ارضين ثم رايته فى الترمذى عن ابى رزين العقيلى ولفظه هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رايت فى الفردوس عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بين السماء الى السماء خمسمائة عام وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام وما بين السماء السابعة و بين الكرسى و العرش مثل ذلك وما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام و الارضون وعرضهن وثخانتهن مثل ذلك اه قال الماوردى وعلى أنها سبع ارضين تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا ولا تلزم من فى غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم و يستمدون الضياء منها قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة الثانى انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وحكى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام بهذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان تلزمهم دعوة الاسلام لامكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا تلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبى صلى الله عليه وسلم بها مامورا وقال بعض العلماء السماء فى اللغة عبارة عما علاك فالاولى بالنسبة الى السماء الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذا البقية بالنسبة الى ما تحته سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الارض الواحدة سبع سموات وسبع ارضين (يتنزل) اى بالتدريج (الامر) قال مقاتل وغيره اى الوحى وعلى هذا يكون قوله تعالى (بينهن) اشارة الى ما بين هذه الارض العليا التى هى اولاها وبين السماء السابعة التى هى اعلاها والاكثرون على ان الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التى هى اقصاها وبين السماء السابعة التى هى اعلاها فيجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن وعن قتادة فى كل ارض

فتم للترتيب الاخبارى لا الايجادى (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) كل

من

من ارضه وبعها من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارض من خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة اوجن وقال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماءين أرض وامر وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيآتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها وقوله تعالى (لتعلموا) متعلق بمحذوف أي اعلمكم بذلك الخلق والانزال لتعلموا (ان الله) اي الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها (على كل شئ) اي من غير هذا العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة (قدير) بالغ القدرة فيأتي بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر على ايجاد ما هو دونها او مثلها او فوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل وحقير ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قال البقاعي واياك ان تصغي الى من قال انه ليس في الامكان ابدع مما كان فانه مذهب فلسفي خبيث والآية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الى الغزالي فاني لا اشك انه مدسوس عليه وان مذهبه فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتابي دلائل البرهان على ان في الامكان ابدع مما كان قال ومع كونه مذهب الفلاسفة أخذه أكفر المارقين ابن عربي وأودعه في فصوصه وغير ذلك من كتبه واسنده في بعضها للغزالي والغزالي بري منه بشهادة ما وجد من عقائده في الاحياء وغيره انتهى والبقاعي ممن يقول بكفر ابن عربي وابن المقرى يقول بكفره وكفر طائفته وقد تقدم الكلام على كلامهم (وان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (قد أحاط) لتمام قدرته (بكل شئ) مطلقا (علما) فله الخبرة التامة بما امر به من الاحكام في العالم بما لحه ومفاسده فلا يخرج شئ عن علمه وقدرته فعاملوه معاملة من يعلم أنه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الآخرة *(تنبيه)* علما منصوب على المصدر المؤكد لان أحاط بمعنى علم وقيل بمعنى وانه أحاط احاطة علما وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة التحريم مدنية

وهي ثنتا عشرة آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذي له الكمال كله على الدوام (الرحمن) الذي عم عباده بعظيم الانعام (الرحيم) الذي أتم على خواصه نعمة الاسلام واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله) أي الذي لا أمر لاحد معه (لك) فقالت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا قالت فتواطيت أنا وحفصة أن اينا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني أجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك

فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك الى
قوله تعالى ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحب الحلواء والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاحتبس
عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل
فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة
وقلت لها اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لك
لا فقولى ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه
سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك له وقولى له
انت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذى لا اله غيره لقد كدت أن أبادئه
بالذى قلت وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له يا رسول الله
أكلت مغافير قال لا قلت فما هذه الريح قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله
العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على
حفصة قالت يا رسول الله الا أسقيك منه قال لا حاجة لى به قالت تقول سودة سبحان الله لقد
حرمناه منه قالت فقلت لها اسكتى ففى هذه الرواية أن التى شرب عندها النبى صلى الله عليه
وسلم حفصة وفى الاولى زينب وروى ابن ابى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه شرب
عند سودة وقيل انما هى أم سلمة رواه اسباط عن السدى وقاله عطاء بن أبى مسلم *(تنبيه)*
شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب
الحلواء والعسل الحلواء بالمد والقصر قاله فى المصباح وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان
كان داخلا فى جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومرتبته وهو من باب الخاص بعد العام وقولها
فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع فى الرواية وأصله فتواطأت بالهمز أى اتفقت أنا وحفصة
وقولها انى أجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله
ريح كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط
نبات له ورق يفرش على الارض له شوك وثمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من
شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبى صلى الله عليه وسلم
يكره أن توجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط بالجيم والراء وبالسين المهملتين
ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قال القاضى عياض والصواب أن شرب العسل
كان عند زينب بنت جحش ذكره النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره أيضا القرطبى وقال أكثر
المفسرين فى سبب نزول ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم
حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها
فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت انما أذنت
لى من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى أما رأيت لى حرمة

واقعة عليهم وقوله هم العدو استئناف وقيل هو المفعول الثانى ليحسب

وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد
أحلها الله لي فهي حرام على التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وان الله قد أراحنا منها وأخبرت
عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغضبت عائشة فلم يزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها وعن أنس بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أمة يطؤها فلم تزل عائشة وحفصة حتى حرمها على
نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي (فان قيل)
قوله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يوهم أن هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم (أجيب) بانه ليس بطريق العتاب بل
بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي (فان قيل) تحريم ما احل الله غير ممكن
فكيف قال لم تحرم ما أحل الله لك (أجيب) بان المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الانتفاع
بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعدما أحله الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من
الانتفاع بها مع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما أحل الله فقد
كفر فكيف يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم (تبتغي) اى تريد ارادة عظيمة من مكارم
أخلاقك وحسن صحبتك (مرضات ازواجك) اى الاحوال والامور والمواضع التي يرضين بها
وهن اولى بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك
للزوجات آكد (والله) اى الملك الاعلى (غفور رحيم) اى محاء ستور لما يشق على خلص
عباده مكرم لهم فقد غفر لك هذا التحريم ثم علل وبين ذلك بقوله تعالى (قد فرض الله) اى
قدر ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك له ولا امر لاحد معه وعبر بالفرض حثا على قبول
الرخصة اشارة الى ان ذلك لا يقدح في الورع ولا يخل بحرمة اسم الله تعالى لان أهل الهمم
العوالي لا يجوزون النقلة من عزيمة الى رخصة بل من رخصة الى عزيمة او عزيمة الى مثلها
• ولما كان التخفيف على أمته تعظيما له صلى الله عليه وسلم قال تعالى (لكم) أيتها الامة
التي انت رأسها (تحلة) أي تحليل (ايمانكم) بالكفارة المذكورة في سورة المائدة وقيل قد
شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى بمعنى استثن في
يمينك اذا أطلقتها بان تقول ان شاء الله متصلا بحلفك وتنويه قبل الفراغ منه واختلف أهل
العلم في لفظ التحريم فقال قوم هو ليس بيمين فان قال لزوجته انت حرام أو حرمتك فان نوى
به طلاقا فهو طلاق وان نوى به ظهارا فهو ظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة
يمين وان قال الطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه واليه
ذهب الشافعي وروى الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اتاه
رجل فقال اني جعلت امرأتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام وتلا هذه الآية
وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب الكفارة ما لم يقربها كما
لو حلف لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكله يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة وبه قال الاوزاعي وأبو

(قوله وعليه فعليهم حال) ولكن المنافقين لا يفقهون، ختمه هنا بلا يفقهون

حنيفة وعند أبى حنيفة ان نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والافعلى مانوى نقله الزمخشرى وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعى وعن على ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة قال مقاتل فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة رقبة قال زيد بن أسلم وعاد الى مارية وقال الحسن لم يكفر عليه السلام لانه مغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين فى هذه السورة انما أمر بها الامة قال ابن عادل والاول أصح وان المراد بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ثم الامة تقتدى به فى ذلك (والله) اى والحال أن المختص باوصاف الكمال (مولاكم) أى يفعل معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم ومتولى أموركم (وهو) أى وحده (العليم) أى البالغ العلم بصالحكم وغيرها الى مالانهاية له (الحكيم) أى الذى يضع كل مايصدر عنه لكم فى اتقن محاله بحيث لايقدر غيره أن يغيره ولاشئ أمنه والعامل فى قوله تعالى (واذ) اذكر فهو مفعول به لاظرف والمعنى اذكر اذ (أسر النبى) أى الذى شانه أن يرفعه الله تعالى دائما فانه ماينطق عن الهوى (الى بعض ازواجه) وأبهمها ولم يعينها تشريفا له صلى الله عليه وسلم وابهاوهى حفصة صيانة لهن لان حرمتهن من حرمته صلى الله عليه وسلم (حديثا) ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شانها لعم به ولم يخص به ولأسره وذلك هو تحريمه فتاته على نفسه وقوله لحفصة لاتخبرى بذلك أحدا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أسر أمر الخلافة بعده فحدثت حفصة وقال الكلبى أسر اليها ان أباك واباعائشة يكونان خليفتين على امتى من بعدى وقال ميمون بن مهران اسر أن أبابكر خليفتى من بعدى (فلما نبأت) اى أخبرت (به) عائشة ظنا منها انه لاحرج عليها فى ذلك (وأظهره الله) أى أطلعه الملك الذى له الاحاطة بكل شئ (عليه) أى الحديث على لسان جبريل عليه السلام بأنه قد أفشى مناصحة له فى اعلامه بمايقع فى غيبته ليحذره ان كان شرا او يثبت عليه ان كان خيرا وقيل أظهر الله الحديث على النبى صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف) أى النبى صلى الله عليه وسلم التى اسر اليها (بعضه) أى بعض مافعلت (وأعرض عن بعض) أى اعلام بعض تكرما منه ان يستقصى فى العبارات وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام والذى أعلمها به هو حديث الامامة وأعرض عن ذكر الخلافة خوفا من أن ينتشر فى الناس فربما أثار حسد بعض المنافقين واورث الحسود للصديق كيدا وقال بعض المفسرين انه اسر الى حفصة شيأ فحدثت به غيرها فطلقها مجازاة على بعضه ولم يؤاخذها بالباقى وهو من قبيل قوله تعالى وماتفعلوا من خير يعلمه الله اى يجازيكم عليه وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق نبيا ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباها (فلما نبأها به) اى بما فعلت على وجه لم يغادر من ذلك الذى عرفها به شيأ منه ولامن عوارضه لتزداد بصيرة روى أنها قالت لعائشة نبرا قانا اعلم انها لا تظهره قاله الملوى وهو معنى قوله تعالى (قالت) اى ظنا منها ان عائشة افشت عليها (من انبأك هذا) اى من اخبرك انى افشيت السر (قال نبأنى)

و يفيده بلا يعلمون لان الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض

قوله تروى الخ كذا فى الاصول وهو غير مستقيم ولعله قالت قلته لعائشة فليحرر اهـ

وحذف المتعلق اختصار اللفظ وتكثير المعنى بالتعميم اشارة انه اخبره بجميع ما دار بينها وبين عائشة على أتم ما كان (العليم) اى المحيط العلم (الخبير) اى المطلع على الضمائر والظواهر فهو اولى ان يحذر فلا يتكلم سرا او جهرا الا بما يرضيه وقوله تعالى (ان تتوبا الى الله) اى الملك الاعظم شرط وفى جوابه وجهان احدهما قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) والمعنى ان تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت مالت وزاغت عن الحق قال القرطبى وليس قوله فقد صغت قلوبكما جواب الشرط لان هذا الصغو كان سابقا فجزاء الشرط محذوف للعلم به اى ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما الثانى أن الجواب محذوف تقديره فذلك واجب عليكما أو فتاب الله عليكما قاله ابو البقاء ودل على المحذوف فقد صغت لان اصغاء القلب الى ذلك ذنب قال بعضهم وكأنه زعم أن ميل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا * (تنبيه) * قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث اوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمجى تثنيتين لو قيل قلباكما ومن شأن العرب اذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل والاحسن فى هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التثنية كقوله

فتخالسا نفسيهما بنوافذ * كنوافذ العبط التى لا ترقع

وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا فى ضرورة كقوله

حمامة بطن الواديين ترنمى * سقاك من الغر الغوادى مطيرها

وتبعه ابو حيان وغلط ابن مالك فى كونه جعله احسن من التثنية قال ابن عادل وليس بغلط لكراهة توالى تثنيتين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوبا فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بهذا الخطاب اما المؤمنتان بنتا الشيخين الكريمين عائشة وحفصة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما كرها ما أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من احباب جاريته واحباب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل والنساء وقال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قد مالت قلوبكما الى التوبة * روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال مكثت سنة وانا أريد ان اسال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن آية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداوة ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فلما رجع قلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت أن عندى من علم فسلنى عنه فان كنت أعلم أخبرتك وفى رواية قال واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهرى كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنت أنا وجار لى من الانصار وكان منزلى فى بنى أمية وهم من عوالى المدينة وكنا نتناوب النزول على النبى صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحى أو غيره واذا نزل فعل مثل ذلك وكنا معشر قريش نغلب

وفى معرفة اغمض بحتاج الى فطنة وفهم فناسب نفى الفقه عنهم والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله

النساء فلما قدمنا المدينة على الانصار اذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فصحت على امرأتي فراجعتني فانكرت أن تراجعني قالت لم تنكر أن أراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت لها اى حفصة اتغاضب احداكن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة رضي الله عنها قال عمر وكنا قد تحدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل الانصاري يوما نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ضربا شديدا ففزعت فخرجت اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم قلت ما هو أجاء غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في المشربة فاتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع الى بصره وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رأيتني دخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك هي اوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا وقال أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب ان أولئك قوم عجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عائشة تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة يا رسول الله انك كنت اقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانما أصبحت من تسع وعشرين ليلة اعدها عدا فقال الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير هن فقلن مثلها وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله ان يخير أزواجه قالت فبدأ بي

والمؤمنين وفي معرفتها غموض زائد يحتاج الى علم فناسب نفي العلم عنهم فالمعنى لا يعاونن الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى ذاكر لك أمرا فلا عليك ان لا تستعجلى حتى تستأمرى أبويك وقد علم أن ابوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبى قل لازواجك الى تمام الآيتين فقلت أوفى هذا استأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفى رواية ان عائشة قالت له لا تخبر نساءك انى اخترتك فقال انها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلنى مبلغا وفى رواية قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن الله يصدق قولى الذى أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن أن يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه الآية وفى رواية انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فأذن له وانه قام على باب المسجد ونادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه *(شرح بعض ألفاظ هذا الحديث)* قوله فعدلت معه أى فلت معه بالاداوة أى الركوة والعوالى جمع عالية وهى اماكن باعلى ارض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة وأوسم منك أى أكثر حسنا وقوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الانسان مرة ويفعله آخر بعده والمشربة بضم الراء وفتحها الغرفة وقوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير وقوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الأهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد وقوله من شدة موجدته الموجدة الغضب وقرأ (وان تظاهرا) الكوفيون بتخفيف الظاء والباقون بتشديدها اى تعاونا (عليه) اى النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه (فان الله) اى الملك الاعظم الذى لا كفء له وقوله تعالى (هو) يجوز أن يكون فصلا وقوله (مولاه) الخبر وان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين) معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز ان يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله واختلف فى صالح المؤمنين فقال عكرمة هو أبو بكر وعمر وقال المسيب بن شريك هو أبو بكر وقال سعيد بن جبير هو عمر وعن اسماء بنت عميس هو على بن أبى طالب وقال الطبرى هو خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال قتادة هم الانبياء وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدى هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والاولى ان يشمل هذه الاقوال كلها (والملائكة) أى كلهم (بعد ذلك) اى الامر العظيم الذى تقدم ذكره (ظهير) أى ظهراء أعوان له فى نصره عليكما *(تنبيه)* أخبر عن الجمع باسم الجنس اشارة الى انهم على كلمة واحدة ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور خصوصا وعموما ثلاث مرات على القول بان صالح المؤمنين هم الملائكة ان قلنا بالعموم وذلك اظهار لشدة محبته وموالاته للنبى صلى الله عليه وسلم وهذه الآية عكس آية البقرة وهى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فانه ذكر الخاص بعد العام تشريفا له وهنا ذكر العام بعد الخاص قال ابن عادل ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفى جبريل لغات

معزوا وإمائه ومذل اعدائه

(سورة التغابن)

(قوله يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض)

تقدم ذكرها في البقرة ولما كان أشد ما على المرأة أن تطلق ثم إذا طلقت أن يستبدل بها ثم
يكون البدل خيراً منها قال تعالى محذراً لهن (عسى ربه) أي المحسن إليه بجميع أنواع
الإحسان التي عرفتموها وما لم تعرفوه منها أكثر جدير وحقيق ووسط بين عسى وخبرها
اهتماماً وتخويفاً قوله تعالى (إن طلقكن) أي بنفسه من غير اعتراض عليه جميعكن أو
بعضكن قيل كل عسى في القرآن واجب إلا هذه الآية وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه
بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فإن طلقكن شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه
محذوف أو متقدم أي إن طلقكن فعسى ربه وقوله تعالى (أن يبدله) أي بمجرد طلاقه وقرأ نافع
وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال (أزواجاً خيراً
منكن) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وجود الشرط (فإن
قيل) كيف تكون المبدلات خيراً منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خيراً منهن لأنهن
أمهات المؤمنين (أجيب) بأنه إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعصيانهن وإيذائهن
إياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الآتية مع الطاعة له صلى الله عليه وسلم خيراً وأن هذا
على سبيل الفرض وهو عام في الدنيا والآخرة فلا يقتضي وجود من هو خير منهن مطلقاً وإن
قيل بوجوده في خديجة لما جرب من محاماتها على نفسها في حقه صلى الله عليه وسلم وبلوغها في
حبه والأدب معه ظاهراً وباطناً الغاية القصوى ومريم أحسنت حين كانت من القانتين فذلك
في الآخرة وتعليق تطليق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حفصة فقد روي أنه طلقها ولم يزدها ذلك
إلا فضلاً لأن الله تعالى أمره أن يراجعها لأنها صوامة قوامة * ثم بين تعالى الخيرية بقوله
تعالى (مسلمات) إلى آخره وهو إما نعت أو حال أو منصوب على الاختصاص قال سعيد بن جبير
مسلمات بمعنى مخلصات وقيل مسلمات لأمر الله عز وجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاضعات لله تعالى بالطاعات (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات بما
أمرن به ونهين عنه وقيل مسلمات مقرات بالإسلام مؤمنات مخلصات (قانتات) أي مطيعات
والقنوت الطاعة وقيل داعيات (تائبات) أي راجعات من الهفوات والزلات سريعاً إن وقع
منهن شيء من ذلك وقيل راجعات إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب أنفسهن
(عابدات) أي كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القرآن فهو التوحيد
(سائحات) قال ابن عباس صائمات وقال الحسن مهاجرات وقال ابن زيد وليس في أمة محمد صلى
الله عليه وسلم سياحة إلا الهجرة والسياحة الجولان في الأرض وقال الفراء وغيره سمي الصائم
سائحاً لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى
أن يجيء وقت إفطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء إذا ذهب (ثيبات) جمع ثيب
وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه أو زالت بكارتها بوطء من غير نكاح (وأبكاراً) أي
عذارى جمع بكر وهي ضد الثيب وسميت بذلك لأنها على أول حالها التي خلقت بها وقدم الثيبات
لأنهن أخبر بالعشرة التي هي أساسها ووسط الواو بين الثيبات والأبكار لتنافي الوصفين دون
سائر الصفات (فإن قيل) كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهن من جملة ما يقل رغبة الرجال
فيهن (أجيب) بأنه يمكن أن يكون بعض الثيبات خيراً من كثير من الأبكار لاختصاصهن بالمال

وفي قوله بعد
كررناها هنا
ويعلم ما تسرون وما تعلنون
تأكيداً وتعميماً
للاختلاف فناسب ذكر

والجمال

والجمال * ولما بالغ سبحانه في عتاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهن عن التشبه اكراما له صلى الله عليه وسلم أتبع ذلك أمر الامة بالتأسي به في هذه الاخلاق الكاملة فقال تعالى منبها لهن بالموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للاقرب فالاقرب (يا أيها الذين آمنوا) أي اقروا بذلك (قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بالتأسي به صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات وفي أدبه مع الخلق والخالق (وأهليكم) من النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم (نارا) بالنصح والتاديب ليكونوا متخلقين باخلاق أهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الطبراني عن سعيد بن العاص مانحل والد ولدا أفضل من أدب حسن وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قام من الليل فصلى فايقظ أهله فان لم تقم رش على وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي وأيقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الماء وقال بعض العلماء لما قال قوا أنفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم وقوله عليه الصلاة والسلام ان أحل ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يفرد بالذكر افرادسائر القرابات فيعلمه الحلال والحرام وقال عليه الصلاة والسلام حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ * ثم بين تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل (وقودها) أي الذي توقد به (الناس) أي الكفار (والحجارة) كاصنامهم منها وعن ابن عباس أنها حجارة الكبريت وهي أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها والمعنى أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي ان شاء الله تعالى في سورة المدثر (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب (شداد) أي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار لم يخلق الله فيهم الرحمة وقيل في أخذهم أهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان أي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل غلاظ أجسامهم ضخمة شداد أي أقوياء قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي كل واحد منهم كما بين المشرق والمغرب (لا يعصون الله) أي الملك الاعلى في وقت من الاوقات وقوله تعالى (ما أمرهم) بدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله وقوله تعالى (ويفعلون ما يؤمرون) تأكيد هذا ما جرى عليه الجلال المحلي وقال الزمخشري (فان قلت) أليست الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى أنهم يقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل وصدر بهذا البيضاوي (فان قيل) انه تعالى خاطب المشركين في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

ما بينهما الان نسبح ما في السموات مخالف لتسبيح ما في الارض كثرة وقلة ووقوعا من حيوان وجماد

أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته للمؤمنين بذلك (أجيب) بأن الفساق
وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا
قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعدت لهم هذه الدار الموصوفة ويجوز أن
يأمرهم بالتوقى عن الارتداد والندم على الدخول فى الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا
بألسنتهم وهم المنافقون قال الزمخشرى ويعضد ذلك قوله تعالى على الاثر (يا أيها الذين كفروا)
أى بالاخلال بالادب مع النبى صلى الله عليه وسلم فاداهم ذلك الى الاخلال بالادب مع الله تعالى
وبالادب مع سائر خلقه (لا تعتذروا) أى تبالغوا فى اظهار العذر وهو ايساغ الحيلة فى وجه
يزيل ما ظهر من التقصير (اليوم) فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار
وصار الامر الى ما صار وهذا النهى لتحقق اليأس (انما تجزون) أى فى هذا اليوم (ما كنتم)
أى بما هو لكم كالجبلة والطبع (تعملون) فى الدنيا ونظيره اليوم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
قال البقاعى ولا بعد على الله فى أن يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انه عمله ثم يجعل
تلك الصورة عذابه الذى يجد فيه من الالم ما علم الله تعالى انه بقدر استحقاقه * ولما بين
تعالى أن المعذرة لا تنفع فى ذلك اليوم أمر بالتوبة فى الدنيا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
توبوا) أى ارجعوا رجوعا تاما (الى الله) أى الملك الذى لا نظير له (توبة) وقوله (نصوحا)
صفة مبالغة أسند النصح اليها مجازا وهى من نصح الثوب اذا خاطه فكأن التائب يرقع
بالمعصية وقيل من قولهم ناصح أى خالص وقرأ شعبة بضم النون والباقون بفتحها * (تنبيه) *
أمرهم بالتوبة وهى فرض على الاعيان فى كل الاحوال وفى كل الازمان واختلفوا فى معناها
فقال عمر ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن فى الضرع
وقال الحسن هى أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه وقال الكلبى ان
يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وعن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف
وأحرق بالنار وعن سماك ان تنصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله تعالى امام عينيك
وتتبعه نظرك وعن السدى لا تصح الا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين لان من صحت توبته
أحب أن يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة ينصحون فيها أنفسهم وقال القرطبى
يجمعها اربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة
سئ الاخوان وقال الفقهاء التوبة التى لا تعلق لحق آدمى فيها لها ثلاثة شروط أحدها أن
يقلع عن المعصية وثانيها أن يندم على ما فعله وثالثها أن يعزم على أن لا يعود اليها فاذا
اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت
تتعلق بآدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فان
كانت المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت حد قذف ونحوه مكنه من نفسه أو طلب
العفو منه وان كانت غيبة استحله منها قال العلماء التوبة واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة
على الفور ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها صحت توبته عما تاب
منه وبقى عليه الذى لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم
يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة وعن أبى هريرة قال سمعت رسول

واسرارنا مع الفئة املا بيتنا
فناسب ذكر ما فيهما
ولم يكررها فى قوله يعلم
ما فى السموات والارض

الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة وعن أبى موسى الاشعرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر وعن على انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما أذبتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات كما ذقتها حلاوة المعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى (عسى ربكم) أى المحسن اليكم (أن يكفر) أى يغطى تغطية عظيمة (عنكم سيآتكم) أى ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع من الله لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه واذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر ولكن الفضل واسع * ولما ذكر نفع التوبة فى دفع المضار ذكر نفعها فى جلب المسار بقوله تعالى (و يدخلكم) أى يوم الفصل (جنات) أى بساتين كثيرة الاشجار تستر داخلها (تجرى من تحتها) أى تحت غرفها وأشجارها (الانهار) فهى لا تزال ريا وقوله تعالى (يوم لا يخزى الله) أى الملك الاعظم (النبى) أى الذى نبأه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التى هى فى غاية العظمة منصوب بيدخلكم او باضمار اذكر ومعنى يخزى هنا يعذب أى لا يعذبه وقوله تعالى (والذين آمنوا معه) يجوز فيه وجهان أحدهما أن يكون منسوقا على النبى أى ولا يخزى الذين آمنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) مستأنفا أو حالا الثانى أن يكون مبتدأ وخبره نورهم يسعى الى آخره وقوله تعالى (يقولون) خبر ثان أو حال *(تنبيه)* التقييد بالايمان لا ينفى ان لهم نورا عن شمائلهم بل لهم نور لكن لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين واما من أهل اليمين فهم يمشون فى هاتين الجهتين و يؤتون صحائف أعمالهم منهما وأما أصحاب الشمال فيعطونها من وراء ظهورهم ومن شمائلهم وهم عمالهم من النور ان قالوا اسمع لهم وان شفعوا اشفعوا (ربنا) أى ايها المتفضل علينا بهذا النور وبكل خير كنا فيه أو نكون فيه (أتمم لنا نورنا) اى الذى مننت به علينا حتى يكون فى غاية التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متمه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطئ اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط و بعضهم كالريح وبعضهم حبوا او زحفا فاولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (واغفر لنا) أى وامح عنا كل نقص كان يميل بنا الى أحوال المنافقين عينه وأثره وهذا النور من صور اعمالهم فى الدنيا لان الآخرة تظهر فيها حقائق الاشياء وتتبع الصور معانيها وهو شرع الله الذى شرعه وهو الصراط الذى يضرب بين ظهرانى جهنم لان القضايا فى الدنيا

لعدم اختلاف علمه تعالى اذ علمه بما تحت الارض كعلمه بما فوقها او علمه بما يكون كعلمه بما كان فناسب

متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة يكتنفها رذيلتان افراط وتفريط فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا على ما أمر به سواء من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما ومن امالته الشهوات طفئ نوره في بعض الاوقات واختطفته كلاليب هي صور الشهوات فقيل به في النار بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور اقراره بكلمة التوحيد فاذا مشى طفئ لان اقراره لا حقيقة له (انك) أي وحدك (على كل شئ) يمكن دخول المشيئة فيه (قدير) أي بالغ القدرة * ولما ذكر ما تقدم من لينه صلى الله عليه وسلم لاضعف الناس النساء وحسن أدبه وكرم عشرته لانه مجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة لهم أمره سبحانه بالغلظة والشدة على أعدائه بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) أي بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف وما دونه من المواعظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرف أن ذلك اللين لاهل الله تعالى انما هو من تمام عقلك وغزير علمك وفضلك (والمنافقين) أي جاهدهم بما يليق بهم من الحجة والسيف ان احتيج اليه ان أبدوا نوع مظاهرة وعرفهم أحوالهم في الآخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن وجاهدهم باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والابعاد والهجر فالغلظة عليهم من اللين لله تعالى كما ان اللين لاهل الله من خشية الله تعالى وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها (ومأواهم) أي في الآخرة (جهنم وبئس المصير) أي هي * ولما كان للكفار قرابات بالمسلمين ربما توهم انها تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار توهم انها تضرهم ضرب لكل مثلا وبدأ بالاول فقال تعالى (ضرب الله) اى الملك الذى أحاط بكل شئ قدرة وعلما (مثلا) يعلم به من فيه قابلية العلم ويتعظ به من له أهلية الاتعاظ (للذين كفروا) أى غطوا الحق على أنفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى (امرأت نوح) عليه السلام الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالغرق (وامرأت لوط) عليه السلام الذى اهلك الله تعالى من كذبه بالحصب والخسف يجوز ان يكون بدلا من قوله مثلا على تقدير حذف المضاف اى ضرب الله مثلا مثل امرأة نوح وامرأة لوط ويجوز ان يكونا مفعولين وضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على انه لا يغني احد عن قريب ولا نسيب في الآخرة اذا فرق بينهما الدين قال مقاتل وكان اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة وقال الضحاك عن عائشة ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط والهة * (تنبيه) * رسمت امرأة في الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة فوقف عليهن بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء وقوله تعالى (كانتا) اى مع كونهما كافرتين (تحت عبدين) جملة مستأنفة كأنها مفسرة لضرب المثل ولم يأت بضميرهما فيقال تحتهما أى تحت نوح ولوط لما قصد من تشريفهما بهذه الاضافة الشريفة قال القائل

لا تدعني الا بيا عبدها * فانه اشرف أسمائي

ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله تعالى (من عبادنا) ووصفهما باجل الصفات وهو قوله تعالى (صالحين) واختلف في معنى قوله تبارك وتعالى (فخانتاهما) فقال عكرمة والضحاك بالكفر وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت الجبابرة من قومه وكانت امرأة لوط تخبر باضيافه وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط

حذف ها فيه (قوله فكفروا وتولوا واستغنى الله) مرتب على قوله ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات

وانما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة اذا أوحي اليه شيء أفشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امرأة لوط اذا نزل به ضيف دخنت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال (فلم) أي فتسبب عن ذلك ان العبدين الصالحين لم (يغنيا عنهما) أي المرأتين بحق النكاح (من الله) أي من عذاب الملك الذي له الامر كله فلا أمر لغيره (شيأ) اى من اغناء لاجل خيانتهما (وقيل) اى للمرأتين ممن أذن له في القول النافذ الذي لا مرد له (ادخلا النار) أي قيل لهما ذلك عند موتهما أو يوم القيامة (مع الداخلين) اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما شيأ من عذاب الله تعالى وفي هذا المثل تعريض بأمي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أعلى وجه وأشده وفيه تنبيه على أن العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزؤا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين تعالى أن الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا أقرباء كما لا ينفع نوح امرأته ولا لوط امرأته مع قربهما لهما لكفرهما * ثم شرع تعالى في ضرب المثل الثاني فقال تعالى (وضرب الله) أي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال (مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) واسمها آسية وهي بنت مزاحم آمنت وعملت عملا صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجية التي هي من أعظم الوصل ولا نفعه ايمانها كل امرئ بما كسب رهين وأثابها ربها تعالى أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في دار كرامته بصبرها على عبادة الله تعالى وهي في حبالة عدوه وأسقط وصفه بالعبودية دليلا على تحقيره وعدم رحمته لانه من اعدى أعدائه وقوله تعالى (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف أي مثلهم مثلها حين قالت (رب) اى أيها المحسن الي بالهداية وأنا في حبالة هذا الكافر الجبار (ابن لي عندك بيتا) وبينت مرادها بالعندية فقالت (في الجنة) أي دار المقربين وقد أجابها سبحانه بان جعلها زوجة أكمل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فكانت معه في منزله الذي هو أعلى المنازل (ونجني من فرعون) أي فلا أكون عنده (وعمله) فلا تسلطه علي بما يضرني عندك في الآخرة فلا أعمل بشيء من عمله وهو شركه وقال ابن عباس جماعه (ونجني) اعادت العمل تأكيدا (من القوم الظالمين) اى الناس الاقوياء العريقين الذين يضعون أعمالهم في غير موضعها فاستجاب الله تعالى دعاءها وأحسن اليها لا لاجل محبتها للمحبوب وهو كليم الله موسى عليه السلام كما يقال صديق صديقي داخل في صداقتي وذلك أن موسى عليه السلام لما غلب السحرة آمنت به فلما تبين لفرعون ايمانها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وفي القصة ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرته من درة بيضاء فانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقال الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى امرأة فرعون الى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب وقوله تعالى (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل (التي أحصنت فرجها) اى عفت عن السوء وجميع مقدماته كانت كالحصن العظيم المانع من العدو فاستقرت على حالها الى الممات فزوجها الله تعالى في الجنة جزاء لها بخير

(فان قلت) ظاهره ان استغناءه بعد اتيان الرسل بالبينات مع انه مستغن دائما (قلت) معناه ظهر

خاتمه محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين أراد بالفرج هنا الجيب لقوله تعالى (فنفخنا) أى بما لنا من العظمة بواسطة ملكنا جبريل عليه السلام (فيه) اى فى جيب درعها قال البقاعى أوفى فرجها الحقيقى وعلى هذا فلا حاجة للتأويل (من روحنا) اى من روح خلقناه بلا توسط اصل وهو روح عيسى عليه السلام (وصدقت بكلمات ربها) اى المحسن اليها واختلف فى تلك الكلمات فقال مقاتل يعنى بالكلمات عيسى وانه نبى وعيسى كلمة الله وقال البغوى يعنى الشرائع التى شرعها الله تعالى للعباد بكلماته المنزلة وقيل هى قول جبريل عليه السلام لها انما أنا رسول ربك الآية وعلى كل قول استحقت ان تسمى لذلك صديقة وقرأ (وكتبه) أبو عمرو وحفص بضم الكاف والتاء جمعا والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وبعدها ألف افرادا والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون فى معنى كل كتاب أنزله الله تعالى على ولدها أو غيره وقوله تعالى (وكانت من القانتين) يجوز فى من وجهان أحدهما انها لابتداء الغاية والثانى انها للتبعيض وقد ذكرهما الزمخشرى فقال من للتبعيض ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون أخى موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما وعليها وعلى سائر الانبياء وآلهم أجمعين قال الزمخشرى فان قلت لم قيل من القانتين على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه وقيل أراد من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى أهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت الطاعة وقال عطاء من المصلين بين المغرب والعشاء وعن معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها اذا قدمت على ضراتك فاقرئيهن منى السلام مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كمل من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وروى الشيخان عن أبى موسى الاشعرى كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا حديث موضوع

استغناء عن ايمانهم حيث لم يجتمع اليه مع قدرته على ذلك (قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) الى

سورة الملك مكية

وتسمى الواقية والمنجية وتدعى فى التوراة المانعة لانها تقى وتنجى من عذاب القبر وعن ابن شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وهى ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة حرف

(بسم الله) الذى خضعت لكمال عظمته الملوك (الرحمن) الذى عم بنعمة الايجاد كل من فى الوجود (الرحيم) الذى خص أولياءه بالنعيم في دار الخلود (تبارك) اى تكبر وتقدس وتعالى وتعاظم وثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وقيل جل فهو الملك الدائم الذى لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه (الذى بيده) اى بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره (الملك) أى له الامر والنهى

وملك السموات في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل لتأكيد كونه تعالى ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد وذكر اليد انما هو تصوير للاحاطة ولتمام القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة أو شبهها (وهو على كل شئ) أي من الممكنات (قدير) أي تام القدرة *(تنبيه)* احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يؤثر الا قدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطبائع كقول الفلاسفة وابطلوا القول بالتولدات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال نفسه لقوله تعالى وهو على كل شئ قدير ودلت هذه الآية على الوحدانية لانا لو قدرنا الها ثانيا فاما أن يقدر على ايجاد شئ أولا فان لم يقدر على ايجاد شئ لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني شيأ فيلزم كون ذلك الشئ مقدورا للاله الاول لقوله وهو على كل شئ قدير فيلزم وقوع مخلوق من خالقين وانه محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم أن يستغني كل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال وقرأ وهو على كل شئ قدير وهو العزيز الغفور وهو اللطيف وما أشبه ذلك أبو عمرو وقالون والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها وخرج بقولنا من الممكنات أنه تعالى ليس قادرا على نفسه وأجاب بعضهم بان هذا عام مخصوص ودل على تمام قدرته قوله تعالى (الذي خلق) أي قدر وأوجد (الموت والحيوة) قيل خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقيل قدمه لانه أقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطف والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة لان من نصب الموت بين عينيه كان أقوى الدواعي الى العمل وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان والموت في هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا يجد ريحها الا حيي ولا تطأ على شئ الا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها فالقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق انسانا فنفخ فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله تعالى (ليبلوكم) أي يعاملكم وهو أعلم بكم من أنفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من العمل بالاختبار (أيكم أحسن عملا) أي من جهة العمل أي عمله أحسن من عمل غيره وروي عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا احسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا اخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقال

قوله أبدلا كر مثله في الطلاق
ولكن زاد هنا بكفر عنه
سيآته لان ما هنا تقدمه
ابشر بما دونها الآيات

الحسن أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها وقال السدي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن استعدادا
وأشد خوفا وحذرا وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره
وبالحياة ليبين شكره وقيل خلق الله تعالى الموت للبعث والجزاء وخلق الله الحياة للابتلاء
(فإن قيل) الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم أنه هل يطيع أو يعصي وذلك في حق الله
تعالى العالم بجميع الأشياء محال (أجيب) بأن الابتلاء من الله تعالى هو أن يعامل عبده
معاملة تشبه المختبر كما مرت الإشارة إليه (وهو) أي والحال أنه وحده (العزيز) أي الذي
يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الغفور) أي الذي مع ذلك يفعل في محو الذنوب عينا وأثرا فعل
المبالغ في ذلك ويتلقى من أقبل إليه أحسن تلق كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن أتاني
يمشي أتيته هرولة وقوله تعالى (الذي خلق) أي أبدع على هذا التقدير من غير مثال سبق (سبع
سموات) يجوز أن يكون تابعا للعزيز الغفور نعتا أو بيانا أو بدلا وأن يكون منقطعا عنه خبر
مبتدأ محذوف أو مفعول فعل مقدر وقوله تعالى (طباقا) صفة لسبع وفيه ثلاثة أوجه
أحدها أنه جمع طبق نحو جبل وجبال والثاني أنه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث أنه
مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا ثم إما أن يجعل نفس المصدر مبالغة وإما على حذف
مضاف أي ذات طباق وإما أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر أي طوبقت طباقا من قولهم
طابق النعل أي جعله طبقة فوق طبقة أخرى وروى عن ابن عباس طباقا أي بعضها فوق
بعض قال البقاعي بحيث يكون كل جزء منها مطابقا للجزء من الأخرى ولا يكون جزء منها خارجا
عن ذلك قال وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كرة والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة
قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالدنيا وهكذا إلى أن يكون العرش محيطا
بالكل والكرسي الذي هو أقربها بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء
في التي فوقها بهذه النسبة وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل
ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة فسبحان اللطيف الخبير ولا شك أن من
تفكر في هذه العظمة مع ما لطف بنا فيها مما فيها لنا من المنافع آثره سبحانه بالحب وأفرده عن كل
ضد فانقطع بالحب إليه ولم يعول إلا عليه في كل دفع ونفع وسارع في مرضاته ومحابه في كل
خفض ورفع *(تنبيه)* دلت هذه الآية على القدرة من وجوه أحدها من حيث بقاؤها
في جو الهواء معلقة بلا عماد ولا سلسلة ثانيها أن كلا منها اختص بحركة خاصة مقدرة بقدر
معين من السرعة والبطء إلى جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على
إسنادها إلى قادر تام القدرة وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن) أي للسموات ولغيرها خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم ارجع
البصر ينقلب إليك البصر (من تفاوت) أي من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي
مستقيمة مستوية دالة على خالقها وإن اختلف صوره وقيل المراد بذلك السموات خاصة أي
ما ترى في خلق السموات من عيب وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضا فيقع الخلل
لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدي أي من اختلاف وعيب يقول
الناظر لو كان كذا لكان أحسن وقيل المراد من التفاوت الفطور لقوله تعالى بعد ذلك فارجع

واخبر فيها عن الكفار
بيانات تحتاج الى تكثير
فناسب ذكر بكفرهم عنه
سياقه بخلاف ما في

البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل أن يكون المعنى ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فى الدلالة على حكم الصانع وأنه لم يخلقها عبثا *(تنبيه)* دلت هذه الآية على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا لابد وأن يكون عالما فدلت الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله تعالى ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة وقرأ ماترى وهل ترى أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وأدغم لام هل فى التاء أبو عمرو وهشام وحمزة والكسائى وقرأ من تفوت حمزة والكسائى بغير ألف بعد الفاء وتشديد الواو والباقون بألف بعد الفاء وتخفيف الواو وقوله تعالى (فارجع البصر) مسبب عن قوله تعالى ماترى وقوله تعالى (هل ترى من فطور) جملة يجوز أن تكون معلقة لفعل محذوف يدل عليه فارجع البصر أى فارجع البصر فانظر هل ترى وأن يكون فارجع البصر مضمنا معنى انظر لانه بمعناه فيكون هو المعلق والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق قال القائل

شققت القلب ثم ذررت فيه * هواك فليط فالتام الفطور

(ثم ارجع البصر) وقوله تعالى (كرتين) نصب على المصدر كرتين وهو مثنى لايراد به حقيقته بل التكثير بدليل قوله تعالى (ينقلب اليك البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) اى كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وهذان الوصفان لايأتيان بنظرتين ولاثلاث وانما المعنى كرات وهذا كقولهم لبيك وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك لايريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد انما يريدون التكثير أى اجابة لك بعد اجابة والا لتناقض الغرض والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده أصلها وهو العطف لقرينة كقوله * لوعد قبر وقبر كنت أكرمهم * أى قبور كثيرة ليتم المدح وقال ابن عطية كرتين معناه مرتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها فى مسيرها وانتهائها وهذا بظاهره يفهم التثنية فقط وروى البغوى عن كعب أنه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أوقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وبين السماء السابعة والحجب السبعة صحارى من نور ثم ذكر تعالى دلالة أخرى بعد تلك الدلالة تدل على تمام قدرته بقوله تعالى (ولقد زينا) بمالنا من العظمة (السماء الدنيا) أى القربى لانها أقرب السموات الى الارض وهى التى تشاهدونها (بمصابيح) جمع مصباح وهو السراج أى نجوم متقدة عظيمة جدا تفوت الحصر ظاهرة سائرة مضيئة ظاهرة زاهرة وهى الكواكب التى تنور الارض بالليل انارة السرج التى تنورون بها سقوف دوركم وسمى الكواكب مصابيح لاضاءتها وزينة لان الناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكأنه قال ولقد

الطلاق لم يتقدمه شئ من ذلك (قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) * ان قلت كيف قال ذلك مع أن

زينا سقف الدار التي اجتمع فيها بمصابيح والتزين بها لا يمنع أن تكون مركوزة فيما فوقها
من السموات وهي تتراءى بحسب الشفوف وبما لأجرام السموات من الصفاء وإنما المصابيح
من شدة الإضاءة (وجعلناها) أي المصابيح بما لنا من العظمة مع كونها زينة وأعلاماً للهداية
(رجوماً للشياطين) أي الذين يحق لهم الطرد من الجن لما لهم من الاحتراق حراسة للسماء
التي هي محل تنزل أمرنا بالقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا باستراق السمع
فيها على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم أمرهم بخلط الحق الذي قد ختمنا به الأديان بالباطل
والرجوم جمع رجم وهو مصدر في الأصل أطلق على المرجوم به كضرب الأمير ويجوز أن
يكون باقياً على مصدريته ويقدر مضاف أي ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار أنواعه
والشهاب المرجوم به منفصل من نار الكواكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار
يؤخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك مسوغ لتسميتها بالنجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله
أو ضعضع أمره وخبله وقال أبو علي جواباً لمن قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى
كيفية الرجم أن يؤخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها الشيطان والكوكب
في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الإنس كما قال القائل
* وما هو عنها بالحديث المرجم * فيكون المعنى جعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب لشياطين الإنس
وهم المنجمون يتكلمون بها رجماً بالغيب في أشياء من عظيم الابتلاء وعن قتادة خلقت النجوم
لثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ
وتكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم (وأعتدنا) أي هيأنا في الآخرة مع هذا الذي في الدنيا بما لنا
من العظمة (لهم) أي للشياطين (عذاب السعير) أي التي في غاية الاتقاد في الآخرة قال
المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وهذه الآية تدل على أن النار مخلوقة
الآن لأن قوله تعالى وأعتدنا لهم خبر عن الماضي ولما أخبر تعالى عن تهيئة العذاب لهم
بالخصوص أخبر عن تهيئته لكل عامل بأعمالهم على وجه اندرجوا هم فيه فقال عز من قائل
(وللذين كفروا) أي أوقعوا التغطية لما من حقه أن يظهر ويشهر من الإذعان للإله (بربهم)
أي الذي تفرد بإيجادهم والإحسان إليهم فأنكروا إيجاده لهم بعد الموت كفراً بما شاهدوا من
اختراعه لهم من العدم (عذاب جهنم) أي الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة
والغضب (وبئس المصير) أي هي (إذا ألقوا) أي طرح الكفار (فيها) أي في نار جهنم من
أي طارح أمرناه بطرحهم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) أي جهنم نفسها
(شهيقاً) أي صوتاً هائلاً أشد نكارة من أول صوت الحمار لشدة توقدها وغليانها قال ابن عباس
الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير وأولها على حذف مضاف
كما قال عطاء الشهيق للكفار أي سمعوا من أنفسهم شهيقاً كقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق
قال القرطبي الشهيق في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود (وهي تفور) أي
تغلي بهم ومنه قول حسان

تركتم قدركم لا شيء فيها * وقدر القوم حامية تفور

الهداية سابقة على الإيمان
(قلت) ليس المراد يهد قلبه
للإيمان بل المراد يهده
لليقين عند نزول المصائب

قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المراجل وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بكسرها (تكاد تميز) أي تقرب من أن ينفصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان ينشق من غيظه وفلان غضب فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء كناية عن شدة الغضب وقرأ البزي بتشديد التاء من تميز في الوصل والسوسي على أصله بادغام الدال في التاء (من الغيظ) أي عليهم وقال سعيد بن جبير تكاد تميز من الغيظ يعني ينقطع وينفصل بعضها من بعض وقال ابن عباس تتمزق من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى وذلك كالغضب سيدها وتأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعا وتحطم أهل المحشر فلا يردها عنهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة مالو أمر أن يقلع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها إلى الجو فعل من غير كلفة وهذا كما أطفأها في الدنيا بنفخه روى أبو داود عن ابن عمر أنه قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته إلى أن قال ثم نفخ في آخر سجوده فقال أف أف ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون * ولما ذكر تعالى حالها أتبعه حالهم فقال تعالى (كلما ألقي فيها) أي في جهنم بدفع الزبانية لهم (فوج) أي جماعة في غاية الإسراع والأفواج الجماعات في تفرقة ومنه قوله تعالى فتأتون أفواجا والمراد هنا بالفوج جماعة من الكفار (سألهم) أي ذلك الفوج (خزنتها) أي النار وهم مالك وأعوانه سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم) أي في الدنيا (نذير) أي رسول يخوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب (قالوا بلى) قرأ حمزة والكسائي بالإمالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والوقف عليها كالوصل (قد جاءنا نذير) أي محذر بليغ التحذير *(تنبيه)* في ذلك دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها إذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم أظهروه تحسرا وزيادة في تحسرهم على تفريطهم في قبول قول النذير وليعطفوا عليه قولهم (فكذبنا) أي فتسبب عن مجيئه أنا أوقعنا التكذيب بكل ما قاله النذير (وقلنا) أي زيادة في التكذيب (ما نزل الله) أي الذي له الكمال كله عليكم ولا على غيركم (من شيء) لا وحيا ولا غيره وما كفانا هذا الفجور حتى قلنا مؤكدين (إن) أي ما (أنتم) أي أيها النذر المذكورون في نذير المراد به الجنس (إلا في ضلال) أي بعد عن الطريق (كبير) فبالغنا في التكذيب والسفه بالاستجهال والاستخفاف وقيل قوله تعالى إن أنتم إلا في ضلال كبير من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب (وقالوا) أي الكفار زيادة في توبيخ أنفسهم (لو كنا) أي بما لنا من الغريزة (نسمع) أي كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) أي بما أدته إلينا حاسة السمع فنفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا) أي كونا دائما (في أصحاب السعير) أي في عداد من أعدت له النار التي هي في غاية الإيقاد *(تنبيه)* في الآية أعظم فضيلة للعقل روى عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله

فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه أو يجتهد للرضا والتسليم عند وجود

تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع أو نعقل الآية (فاعترفوا) أى بالغوا
فى الاعتراف حيث لا ينفعهم الاعتراف (بذنبهم) أى فى دار الجزاء كما بالغوا فى التكذيب فى دار
العمل والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به تكذيب الرسل (فسحقا) اى فبعدا لهم
من رحمة الله تعالى وهو دعاء عليهم مستجاب (لاصحاب السعير) اى الذين قضت عليهم اعمالهم
بملازمتها وقال سعيد بن جبير وأبو صالح هو واد فى جهنم يقال له السحق وقرأ الكسائى
بضم الحاء والباقون بسكونها ولما ذكر أصحاب السعير أتبعهم ذكر اضدادهم بقوله تعالى
(ان الذين يخشون) اى يخافون (ربهم) اى المحسن اليهم خوفا أرق قلوبهم وأرق اعينهم
بحيث لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة ازدادوا خشية يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة (بالغيب) اى حال كونهم غائبين عن عذابه سبحانه أو وعيده غائبا عنهم أو وهم
غائبون عن اعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم تتلظى بنيران الخوف وتتكلم
بسيوف الهيبة فيتركون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس ولا يكون لهم هذا الا برياضة
عظيمة فعلى العاقل ان يطوع نفسه لترجع مطمئنة بان ترضى بالله ربا والتدخل فى رق العبودية
وبالاسلام دينا فالبصير غير يقاتل فيها فلا ينازع الملك فى ردائه الكبرياء وازاره العظمة وتاجه
الجلال وحلته الجمال ولا ينازعه فيما يدبره من الشرائع ويظهره من المعارف ويحكم به على
عبيده من قضائه وقدره (لهم مغفرة) أى عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم (وأجر) اى من فضل
الله تعالى (كبير) يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه فى الدنيا من شدائد الايلام
ويصغر فى جنبه لذائذ الدنيا العظام (وأسروا) اى أيها الخلائق (قولكم) أى خيرا كان أو
شرا (أو اجهروا به) فانه يعلمه ويجازيكم به ولفظه لفظ الامر والمراد به الخبر يعنى ان أخفيتم
كلامكم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره أو جهرتم به فسواء (انه) اى ربكم (عليم) اى
بالغ العلم (بذات الصدور) اى بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلتها وما يحدث عنها من الخير
والشر وقال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبى صلى الله عليه وسلم
فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لا يسمع رب محمد فاسروا
قولكم أو اجهروا به يعنى واسروا قولكم فى محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره انه خطاب
عام لجميع الخلق فى جميع الاعمال والمراد ان قولكم وعملكم على أى سبيل وجد فالحال
واحد فى علمه تعالى فاحذروا من المعاصى سرا كما تحذرون عنها جهرا فان ذلك
لا يتفاوت بالنسبة الى علم الله تعالى ولما قال تعالى انه عليم بذات الصدور ذكر الدليل على انه
عالم فقال تعالى (ألا يعلم من خلق) اى من خلق لابد وان يكون عالما بما خلقه لان الخلق هو
الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشئ لابد وأن يكون عالما بحقيقة ذلك
المخلوق كيفية وكمية والمعنى ألا يعلم السر من خلق السر يقول أنا خلقت السر فى القلب أفلا
أكون عالما بما فى قلوب العباد قال أهل المعانى ان شئت جعلته من أسماء الخالق تعالى
ويكون المعنى ألا يعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته من أسماء المخلوق والمعنى ألا يعلم الله من
خلقه ولابد أن يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالليل
فى شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع فى نفس الرجل أترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق

المصائب او للاسترجاع عند نزولها بان يقول انا لله وانا اليه راجعون

فنودى من جانب الغيضة بصوت عظيم ألا يعلم من خلق (وهو) أى والحال انه هو (اللطيف) الذى يعلم ما بثه فى القلوب (الخبير) أى البالغ العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شئ من الأشياء وقال أبو اسحق الاسفراينى من اسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الحكيم ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بان يعلم الغائب والحاضر ومعناه أن لا يغيب عنه شئ ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى شيأ ومنها المحصى ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات فى كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذى يخلق وقد قال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * ولما كان هذا أمرا غامضا دل عليه بامر مشاهد أبدعه بلطفه وأتقنه بخبره فقال مستأنفا (هو) اى وحده (الذى جعل لكم الارض) على سعتها وعظمها وحزونة كثير منها (ذلولا) أى مسخرة لا تمتنع لتتوصلوا الى منافعكم فيها قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشى وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك وقيل ثبتها بالجبال لئلا تزول بأهلها ولو كانت متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد جدا فى الشتاء * (تنبيه) * فى ذكر هذه الآية بعد الآية المتقدمة تهديد للكفرة كقول السيد لعبده الذى أساء اليه سرا يا فلان أنا أعرف سرك وعلانيتك فاجلس فى هذه الدار التى وهبتها لك وكل هذا الخبز الذى هيأته لك ولا تأمن مكرى وتأديبى فكأنه تعالى يقول يا أيها الكفار أنا عالم بسركم وجهركم وضمائركم فخافونى فان الارض التى هى قراركم أنا ذللتها لكم ولو شئت خسفت بكم وقوله تعالى (فامشوا) أى الهوينى مكتسبين وغير مكتسبين ان شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثوبا أو حبوا (فى مناكبها) مثل لفرط التذلل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شئ من البعير وأنبأه عن ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك شيأ وهذا أمر اباحة وفيه اظهار الامتنان وقيل خبر بلفظ الامر أى لكى تمشوا فى أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها وقال ابن عباس وبشير بن كعب وقتادة فى مناكبها فى جبالها وتذليلها أدل على تذليل غيرها وليكن مشيكم فيها وتصرفاتكم بذل واخبات وسكون استصغار الانفسكم وشكر المن مسخر لكم ذلك وروى ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتينى ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فقال لها صرت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال مجاهد فى أطرافها وعنه أيضا فى طرقها وفجاجها وهو قول السدى والحسن وقال الكلبى فى جوانبها ومنكبا الرجل جانباه * (فائدة) * حكى قتادة عن أبى الخلد ان الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف ثم ذكرهم تعالى بانه سهلها لاخراج البركات بقوله تعالى (وكلوا) ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله تعالى (من رزقه) الذى أودعه لكم فيها قال الحسن مما احل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا فى الارض (واليه) أى وحده (النشور) وهو اخراج جميع الحيوانات التى أكلتها الارض وفسدتها يخرجها بجانه فى الوقت الذى يريده على ما كان كل منها عليه عند الموت

* (سورة الطلاق) *

(قوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء) * ان قلت كيف أفرد نبيه بالخطاب مع أنه

كما اخرج تلك الارزاق لافرق بين هذا وذاك غير انكم لاتتأملون فيافوز من شكر وياهلاك من كفر فعود وا انفسكم بالخيرات لعلها تنقاد كما قيل * هي النفس ما عودتها تتعود * ولما كان لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار قال تعالى مهددا للمكذبين (أأمنتم) قرأ قنبل في الوصل بابدال الهمزة بعد راء النشور واوا وسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى (من في السماء) فيه وجوه أحدها من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها ينزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثاني أن ذلك على حذف مضاف اى أأمنتم خالق من في السماء والثالث ان في بمعنى على أي على السماء كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل أي على جذوع النخل وانما احتاج القائل بهذين الوجهين الى ذلك لانه اعتقد ان من واقعة على البارى تعالى شانه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي انه ليس بمتحيز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك فان من هنا المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنقمة والرابع انهم خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء وان الرحمة والعذاب نازلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من في السماء أى من تزعمون أنه في السماء قال الرازى هذه الآية لايمكن اجراؤها على ظاهرها باجماع المسلمين لان ذلك يقتضى احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه تعالى قال قل لمن ما في السموات والارض قل لله فلو كان فيهما لكان مالكا لنفسه فالمعنى اما من في السماء عذابه واما ان ذلك بحسب ما كانت العرب تعتقده واما من في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فان الشئ الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله سبحانه وتعظيم قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام وقوله تعالى (ان يخسف بكم الارض) بدل من من في السماء بدل اشتمال وقال القرطبى يحتمل ان يكون المعنى أأمنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون وقرأ من في السماء ان نافع وابن كثير وأبو عمرو بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد الكسرة ياء في الوصل والباقون بتحقيقهما (فاذا هى) أى الارض التى انتم عليها (تمور) اى تضطرب وهى تهوى بكم وتجرى هابطة في الهواء وتتكفأ الى حيث شاء سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك وقال الرازى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها يذهبون والارض فوقهم تمور فتقلبهم الى اسفل السافلين وقال القرطبى قال المحققون أأمنتم من فوق السماء كقوله تعالى فسيحوا في الارض اى فوقها الا بالمماسة والتحيز بل بالقهر والتدبير والاخبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لايدفعها الا ملحد اوجاهل اومعاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدى بالدعاء الى السماء لان السماء مهبط الوحى ومنزل القطر

(قلت) جمعه مع غيره عقبه
افرده به أولا لانه امام امته
وسادهم اومعناه
يا أيها النبي قل لامتك

ويحل

ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملائكة واليها ترفع أعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبلة للصلاة ولانه تعالى خلق الامكنة وهو غير متحيز وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن على ما عليه كان وقوله تعالى (ام امنتم) اى ايها المكذبون (من في السماء ان يرسل) بدل من من في السماء بدل اشتمال (عليكم) اى من السماء (حاصبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة (فستعلمون) اى عن قريب بوعد لا يخلف عند معاينة العذاب (كيف نذير) اى انذاري البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا يستطاع ولا تتعلق الاطماع بكشف له ولا دفاع قال البقاعي وحذف الياء منه ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا عن الطوق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحيز براى على قراءة اكثر القراء فقد قرأ ورش بالياء في الوصل فيهما دون الوقف والباقون بغير ياء وقفا ووصلا (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) اى انكاري عليهم لما أصبتهم به من العذاب ٭ ولما ذكر تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى (اولم يروا) اجمع القراء على القراءة بالغيب لان السياق للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل واشار الى بعد الغاية بحرف النهاية فقال تعالى (الى الطير) وهو جمع طائر (فوقهم) اى في الهواء وقوله تعالى (صافات) اى باسطات أجنحتهن يجوز ان يكون حالا من الطير وان يكون حالا من فوقهم اذا جعلناه حالا فتكون متداخلة وفوقهم ظرف لصافات على الاول اولم يروا وقوله تعالى (ويقبضن) عطف الفعل على الاسم لانه بمعناه اى وقابضات فالفعل هنا مؤول بالاسم عكس قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا فان الاسم هناك مؤول بالفعل وقال ابو حيان وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فأثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى فاللاتي اغرن فأثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذا عكسه الا عند السهيلي فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات (قلت) لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح اهـ وقال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمهما فأصابا جنبيه قابض لانه يقبضهما وقيل ويقبضن أجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن عن الطيران (ما يمسكهن) أي عن الوقوع في حال البسط والقبض (الا الرحمن) أي الملك الذي رحمته عامة لكل شيء بان هيأهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصائص مفترقة هيأهن للجري في الهواء (انه) اى الرحمن سبحانه (بكل شيء بصير) أي بالغ البصر والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فيهما أراد كان والمعنى أولم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم

اذا طلقتم أي اردتم طلاق نسائكم فطلقوهن الى آخره (قوله ومن يتق الله) ذكره ثلاث مرات وختم

ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى (أمّن) مبتدأ وقوله تعالى (هذا) خبره وقوله تعالى
(الذي) بدل من هذا وقوله تعالى (هو جند) أي أعوان (لكم) صلة الذي وقوله تعالى
(ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أي غيره يدفع عنكم عذابه أي لا ناصر لكم وقال
ابن عباس رضي الله عنهما جند لكم أي حزب ومنعة لكم ولفظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى
هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام انكاري اي لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من
دون الرحمن أي من سوى الرحمن وقرأ أبو عمرو بسكون الراء وللدوري اختلاس الضمة أيضا
والباقون بالرفع (ان الكافرون) أي ما الكافرون (الا في غرور) أي من الشيطان يغرهم بان
لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون النبي
صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين أحدهما قوتهم بمالهم وعددهم والثاني اعتقادهم
أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى عليهم
الاول بقوله تعالى أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم الآية ورد عليهم الثاني بقوله تعالى
(أمّن هذا الذي يرزقكم) أي على سبيل التجدد والاستمرار (ان أمسك رزقه) بامساك الاسباب
التي ينشأ عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا وكثيرا وسهل التناول فوضع الاكل في فمه فأمسك
الله تعالى عنه قوة الازدراد عجز أهل السموات والارض عن أن يسوغوه تلك اللقمة وجواب
الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم غيره (بل لجوا) أي تمادوا
سفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازي في اللوامع واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصوارف
عنه (في عتو) أي مظروفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش الفساد (ونفور) أي
تباعد عن الحق واستولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع انه لا قوة لاحد منهم في جلب سار ولا
دفع ضار والداعي الى ذلك الشهوة والغضب (أفمن يمشي مكبا) أي واقعا (على وجهه أهدى
أمّن يمشي سويا) أي معتدلا (على صراط) أي طريق (مستقيم) وخبر من الثانية محذوف دل
عليه خبر الاولى أي أهدى والمثل في المؤمن والكافر أي أيهما أهدى وقيل المراد بالمكب
الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل المكب هو الذي يحشر على وجهه الى
النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة وقال ابن عباس والكلبي رضي الله عنهم
عنى بالذي يمشي مكبا على وجهه أبا جهل وبالذي يمشي سويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
أبو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قاله عكرمة وقيل عام في الكافر والمؤمن أي ان الكافر
لا يدري أعلى حق هو أم على باطل أي اهذا الكافر أهدى أم المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر
الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرأ قنبل بالسين وقرأ خلف بالاشمام أي
بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة (قل) أي يا أشرف الخلق وأشفقهم عليهم مذكرا
لهم بما رفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من المصلحات ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال
من احوالهم الا عليه (هو) أي الذي شرفكم بهذا الذكر وبين لكم هذا البيان (الذي
أنشأكم) أي أوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوركم في اطوار الخلقة في الرحم
ويسر لكم بعد الخروج اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن أكثف منه (وجعل لكم السمع)
أي لتسمعوا ما تعقله قلوبكم فيهديكم ووحده لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه

الاول بقوله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب
والثاني بقوله يجعل له من
أمره يسرا والثالث بقوله

فى القلوب بغاية المفاوتة مع أنه اعظم الطرق الموصلة للمعانى اليها (والابصار) لتنظروا صنائعه فتعتبروا وتزدجروا عما يرديكم (والافئدة) أى القلوب التى جعلها سبحانه فى غاية التوقد بالادراك لما لايدركه بقية الحيوان لتتفكروا فتقبلوا على ما يعليكم وجمعها لكثرة التفاوت فى نور الابصار وادراك الافئدة (قليلا ما تشكرون) أى باستعمالها فيما خلقت لاجله وما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم وهم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان وأعلاهم فى العرفان (قل هو) أى وحده (الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم ونشركم وكثركم وأنشأكم بعدما كنتم كالذر اطفالا ضعفاء (فى الارض) التى تقدم انه ذللها لكم ورزقكم منها النبات وغيره (واليه) أى وحده بعد موتكم (تحشرون) شيئا فشيئا الى البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث للحساب فيجازى كلا بعمله (ويقولون) أى يجددون هذا القول تجديدا استمر استهزاء وتكذيبا (متى هذا) وزادوا فى الاستهزاء بقولهم (الوعد) أى يوم القيامة والعذاب الذى توعد وتنابه (ان كنتم صادقين) أى فى أنه لابد لنا منه وانكم مقربون عند الله فلو كان لهم ثبات الصبر لما كانوا طاشوا هذا الطيش بابراز هذا القول القبيح ثم انه تعالى أجاب عن هذا السؤال بقوله عز وجل (قل) أى يا أكرم الخلق لهؤلاء البعداء (انما العلم) أى علم وقت قيام الساعة ونزول العذاب (عند الله) أى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذى يكون عنده وبيده جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره (وانما أنا نذير) اى كامل فى امر النذارة التى يلزم منها البشارة لمن أطاع النذير لا وظيفة لى عند الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول الى سؤاله عما لا يؤذن لى فى السؤال عنه (مبين) اى بين الانذار باقامة الادلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهد لمن له قبول العلم (فلما رأوه) أى العذاب بعد الحشر (زلفة) أى ذا قرب عظيم منهم (سيئت) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى اسودت (وجوه) وأظهر فى موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال تعالى (الذين كفروا) أى اظهروا السوء وغاية الكراهة فى وجوه من أوقع هذا الوصف * (تنبيه) * الاصل ساء أى احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم بنى للمفعول وساء هنا ليست المرادفة لبئس وأشم كسرة السين نافع وابن عامر والكسائى والباقون باخلاص الكسرة (وقيل) أى قال لهم الخزنة تقريعا وتوبيخا (هذا الذى كنتم) اى جبلة وطبعا (به) أى بسببه ومن اجله (تدعون) أى تتمنون وتسألون وتزعمون أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتى عبر عنها بطريق المضى لتحقق وقوعها وقرأ هشام والكسائى بضم القاف والباقون بكسرها (قل) أى يا أكرم الخلق لهؤلاء الذين طال تضجرهم منك وهم يتمنون هلاكك كما قال تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (أرأيتم) أى أخبرونى خبرا انتم فى الوثوق به على ما هو كالرؤية (ان أهلكنى الله) اى اماتنى بعذاب أو غيره الذى له من الجلال والاكرام ما يعصم به وليه ويقصم عدوه وقرأ قالون أرأيتم فى الموضعين نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولورش أيضا ابدالها الفا واسقطها الكسائى والباقون بالتحقيق واذا وقف حمزة سهل الهمزة وقرأ ان اهلكنى الله حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها ومن سكن الياء رقق اللام من الاسم الجليل ومن فتحها فخم (ومن معى) أى من المؤمنين (أو رحمنا) اى بالنصر واظهار الاسلام كما نرجو فانجانا بذلك من كل سوء وقانا

يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا اشارة الى تعداد النعم المرتبة على التقوى من ان الله يجعل لمن اتقاه

كل محذور وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء والباقون بالسكون (فمن يجير الكافرين) أي العريقين في الكفر بأن يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره (من عذاب أليم) أي لا مجير لهم منه (قل) أي يا خير الخلق (هو) أي الله وحده (الرحمن) أي الشامل الرحمة (آمنا به) أي أنا ومن معي (وعليه) أي وحده (توكلنا) أي لانه لا شيء في يد غيره والا لرحم من يريد عذابه أو عذب من يريد رحمته فكل ما جرى على أيدي خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذي أجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره (فستعلمون) أي عند معاينة العذاب عما قليل بوعد لا خلف فيه (من هو في ضلال مبين) أي بين أنحن أم أنتم وقرأ الكسائي بعد السين بياء الغيبة نظرا الى قوله الكافرين والباقون بتاء الخطاب اما على الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة في قراءة الكسائي وهو تهديد لهم (قل) أي يا أعظم خلقنا وأعلمهم بنا (أرأيتم) أي أخبروني أخبار الايمان فيه (ان أصبح ماؤكم) أي الذي تعدونه في أيديكم بما لهم عليه الاضافة (غورا) أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الدلاء وكان ماؤهم من بئرين بئر زمزم وبئر ميمونة (فمن يأتيكم) على ضعفكم حينئذ وانخلاع قلوبكم واضطراب أفكاركم (بماء معين) أي دائم لا ينقطع وظاهر للأعين سهل المأخذ وقال ابن عباس رضي الله عنهما بماء معين أي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء أي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا أن المعنى فمن يأتيكم بماء عذب أي لا يأتيكم به الا الله فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب ان يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتي به الفئوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل لانه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الملك في قلب كل مؤمن واما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر فحديث موضوع

قوله والباقون بتاء الخطاب الخ عبارة الجلال بالتاء أي نظرا للخطاب في قوله قل أرأيتم اهـ

في دنياه مخرجا من كرب الدنيا والآخرة ويرزقه من حيث لا يخطر بباله ويجعل له في دنياه وآخرته

سورة ن وتسمى القلم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم من أولها الى قوله تعالى سنسمه على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى يعلمون مدني ومن بعد ذلك الى قوله تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي وهي اثنتان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

(بسم الله) اى الذى له الاحاطة الكاملة فهو بكل شئ عليم (الرحمن) الذى عمت نعمة ايجاده لاهل معاده البرى منهم والسقيم (الرحيم) الذى اتم تلك النعمة على من وفقه لطاعته فالزمه صراطه المستقيم وقوله تعالى (ن) كقوله تعالى ص والقرآن وجواب القسم الجملة المنفية بعدها واختلفوا فى تفسير ذلك فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبى وروى ابو ظبيان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن عباس ن الآية واختلفوا فى اسمه فقال الكلبى ومقاتل يهموت وقال الواقدى ليوثا وقال كعب لوثا وقال على تلهوت وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله عز وجل من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله تعالى ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها خمسمائة عام ووضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم ووضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدرى ما على ظهرك يا لوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهم لوثا أن يفعل فبعث الله تعالى دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت والذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت اليه كما كانت وقال بعضهم نون آخر حروف الرحمن وهى رواية عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وهو مروى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال القرطبى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم * ألقت النون بالدمع السجام

ويكون على هذا أقسم بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل تارة بالنطق وتارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معاوية بن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذى تكتب به الملائكة وقال عطاء وأبو العالية هو افتتاح اسمه تعالى نصير ونور وناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله تعالى بنصرة المؤمنين وقال الزمخشرى هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدرى أهو وضع لغوى

من امر دينه او يكفر عنه
فى آخرته سيآته ويعظم
له اجرا (ان قلت) كيف
قال ما ختم به فى الاول مع
انا نرى كثيرا من الاتقياء

ام شرعي ولا يغلوا اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين الاعراب
والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام فان
قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه
قيل ودواة (والقلم) وان كان علما ان تصرفه وتجره او لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتانيث
وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما لليهموت الذي يزعمون
والتفسير باللوح من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك اه * (تنبيه) * في القلم المقسم به
قولان أحدهما أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والارض قال
تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ولانه ينتفع به كما ينتفع بالنطق قال تعالى
خلق الانسان علمه البيان فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغائب والحاضر
والثاني انه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله تعالى القلم ثم
قال له اكتب قال ما أكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر
فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة قال
وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وروى مجاهد أول ما خلق الله تعالى القلم فقال
اكتب المقدر فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وانما يجري في الناس على امر قد فرغ منه
قال ابن عادل قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز
أن يكون حيا عاقلا فيؤمر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة
محال بل المراد منه انه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن
فيكون فانه ليس هناك أمر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة
ولا مدافعة اه وقوله فان الجمع الى قوله محال ممنوع فان الله تعالى خلق فيه ذلك كما قال تعالى
للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال الزمخشري أقسم بالقلم تعظيما له
لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط
بها الوصف وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وانه شيء كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل
عليه انه روي في الاخبار أول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر آخر أول ما خلق الله تعالى
العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا أعجب الي منك وعزتي وجلالي لأكملنك فيمن أحببت
ولا نقصنك فيمن أبغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس عقلا
اطوعهم لله وأعلمهم بطاعته وفي خبر آخر أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة
فذابت وسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الارض قالوا
وهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي أصل المخلوقات شيء
واحد والا حصل التناقض وقال البغوي القلم هو الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله
كما بين السماء والارض ويقال أول ما خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر
بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وقرأ قالون وابن كثير وأبو عمرو
وحفص وحمزة وورش بخلاف عنه باظهار النون عند الواو هنا والباقون بالادغام (وما
يسطرون) اي الملائكة من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملائكة الحفظة من أعمال بني
آدم وقيل ما يكتبون أي الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه وما

يسطرون

(قوله) مضيقا عليهم رزقهم
معناه ماض شر وذلك لا ينافي
تضييق الرزق أو معناه انه
يجعل لكل متق مخرجا
من كل ما يضيق على من

يسطرون وما يعملون وما موصولة او مصدرية قال الزمخشرى ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كأنه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطورهم ويراد بهم كل من يسطر او الحفظة وقال البقاعى وما يسطرون أى قلم القدرة وجمعه وأجراه مجرى أولى العلم للتعظيم لانه فعل أفعالهم أو الاقلام على ارادة الجنس ويجوز أن يكون الاسناد الى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره واما الملائكة ان كان المراد ما كتب فى الكتاب المبين واللوح المحفوظ وغيره مما يكتبونه واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى (ما أنت) أى يا أعلى المتأهلين لخطابنا (بنعمة) أى بسبب انعام (ربك) أى المربى لك بتفضيل تلك الهمم العالية والسجايا الكاملة بأن خصك بالقرآن الذى هو الجامع لكل علم وحكمة (بمجنون) جواب القسم وهو نفى قال الزجاج أنت هو اسم ما وبمجنون الخبر وقوله تعالى بنعمة ربك كلام وقع فى الوسط أى انتفى ذلك الجنون بنعمة ربك كما يقال أنت بحمد ربك عاقل بل الذى وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون وقال البغوى ما أنت بنعمة ربك بنبوة ربك بمجنون أى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله تعالى عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أى والحمد لك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حراء فطلبته فلم تجده فاذا به ووجهه متغير الا غبار فقالت له مالك فذكر جبريل عليه السلام وأنه قال له اقرأ باسم ربك فهو أول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت به خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل فى النصرانية فسألته فقال أرسلى الى محمد فأرسلته فقال هل أمرك جبريل عليه السلام أن تدعو أحدا قال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لأنصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة فى ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون وأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون وهو خمس آيات من أول هذه السورة وقال ابن عباس أول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وهذه الآية هى الثانية نقله الرازى وذكر القرطبى ان المشركين كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أى برحمة ربك والنعمة ههنا الرحمة وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوة وقال القرطبى يحتمل ان النعمة ههنا قسم تقديره ما أنت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقال الرازى انه تعالى وصفه بصفات ثلاث الاولى نفى الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى ظاهرة فى حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم المحسوسة ظاهرة ووجودها ينافى حصول الجنون فالله تعالى نبه على ان هذه الدقيقة جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم فى قولهم مجنون الصفة الثانية قوله تعالى (وان لك) أى على ما تحملت من أثقال النبوة وعلى

لا يبقى مع ان فى تضييقه على المتقى لطفا به ورحمة لئلا يعوقه عن الاشتغال بمولاه فى الدنيا ويتوفر حظه ويخف حسابه فى الآخرة (قوله واللائق بشأن

صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم (لاجرا) أى ثوابا (غير ممنون) أى مقطوع ولا منقوص فى دنيا ولا آخرة يقال مان الشئ اذا ضعف و يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال لبيد غبسا كواسب لا يمن طعامها أى لا يقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون أى غير محسوب عليك قال الزمخشري لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال انتهى وهذا قول المعتزلة فان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك رضى الله تعالى عنه اجرا بغير عمل واختلفوا فى هذا الاجر على أى شئ حصل فقيل معناه ما مر وقيل معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح أجرا عظيما دائما وقيل ان لك فى اظهار النبوة والمعجزات وفى دعاء الخلق الى الله تعالى وفى بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية الصفة الثالثة قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) استعظم خلقه لفرط احتمال الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم قال ابن عباس ومجاهد على دين عظيم من الاديان ليس دين أحب الى الله تعالى ولا أرضى عنده منه وروى مسلم عن عائشة ان خلقه كان القرآن وقال على هو أدب القرآن وقيل رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من الله وينتهى عنه بما نهى الله تعالى عنه وقيل انك على طبع كريم وقيل هو الخلق الذى أمر الله تعالى به فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال الماوردى حقيقة الخلق فى اللغة ما يأخذ به الانسان فى نفسه من الادب سمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزى قال القرطبي ما ذكره مسلم فى صحيحه عن عائشة أصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقرأت قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات قال الرازى وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق به وكانت شديدة التعرى عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة وقالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبى صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وعن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عنبرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحسنكم

من البعض من نسائكم ان قلت الى آخره) * كيف قيد جعل عدة الآيسة والتى لم تحض ثلاثة أشهر بارتيابها مع انه ليس بقيد (قلت) المراد

أخلاقا وعن أنس ان امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا أم فلان اجلسي في اي سكك المدينة شئت أجلس اليك قال ففعلت فقعد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضت حاجتها وعن انس بن مالك قال كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن أنس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح رجلا لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وعن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيأ قط الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ولا ضرب خادما ولا امرأة وعنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم وعن أنس قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير النغير كان يلعب به والنغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه أحمر المنقار وعن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة توضأ ويخرج الى الصلاة والمهنة الخدمة وعن عبد الله بن الحرث قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ام الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أثقل شئ يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله يبغض الفاحش البذي وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أتدرون أكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والفم أتدرون أكثر ما يدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن يدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار (فستبصر) أي فستعلم عن قرب بوعد لا خلف فيه علما انت في تحققه كالمبصر بالحس الباصر (ويبصرون) أي يعلم الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك وقوله تعالى (بأييكم المفتون) فيه أربعة أوجه أحدها ان الباء مزيدة في المبتدا والتقدير أيكم المفتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبك زيد والى هذا ذهب قتادة قال ابن عادل الا أنه ضعيف من حيث ان الباء لا تزاد في المبتدا الا في حسبك فقط الثاني ان الباء بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة أي فيها والمعنى في أي فرقة وطائفة منكم المفتون أي المجنون أفي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفر واليه ذهب مجاهد والفراء الثالث انه على حذف مضاف اي بأيكم فتن المفتون فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون الباء سببية الرابع ان المفتون مصدر جاء على مفعول كالمقتول والميسور والتقدير بأيكم الفتنة وقيل

بالارتياب الشك بمعنى الجهل بمقدار عدتهما واذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغيرها أولى (قوله وان كن أولات حمل) الآية فائدة ذكر الغاية فيه رفع توهم

المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا أحميته قال تعالى يوم هم على النار
يفتنون أي يعذبون وقيل الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون انه به شيطان وعنوا
بالمجنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا بأيهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط
العقل * (فائدة) * بأييكم رسمت هنا بياءين (ان ربك) أي الذي رباك أحسن تربية وفضلك على
سائر الخلائق (هو) أي وحده (أعلم) أي من كل أحد (بمن ضل) أي حاد (عن سبيله) أي دينه
وسلك غير سبيل القصد وأخطأ موضع الرشد (وهو) أي وحده (أعلم بالمهتدين) أي الثابتين على
الهدى وهم أولوا الاحلام والنهى أي لذو علم يعني عالم * (تنبيه) * قوله تعالى وهو أعلم وهو
مكظوم وهو مذموم قرأه قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله
تعالى (ولا تطع المكذبين) أي العريقين في التكذيب وهم مشركو مكة فانهم كانوا يدعونه
الى دين آبائه فنهاه ان يطيعهم يفتح التصميم على معاداتهم (ودوا) أي تمنوا وأحبوا محبة واسعة
متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك (لو) مصدرية (تدهن فيدهنون) قال الضحاك لو
تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك وقال الحسن لو تصانعهم في دينك
فيصانعونك في دينهم وقال زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤن وقال ابن قتيبة
أرادوا أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال ابن العربي ذكر المفسرون في ذلك نحو
عشرة أقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى وامثلها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر
فيكفرون وقال القرطبي كلها ان شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى * (تنبيه) * في
رفع فيدهنون وجهان أحدهما انه عطف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والثاني انه خبر
مبتدا مضمر أي فهم يدهنون وقال الزمخشري فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان
وهو جواب التمني قلت قد عدل به الى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدا محذوف أي فهم
يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك * واختلفوا في سبب نزول قوله
تعالى (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل فقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض
على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف له ان يعطيه ان رجع عن دينه وقال ابن عباس هو أبو
جهل بن هشام وقال عطاء هو الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما
وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث (مهين) أي ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهي
قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب
لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقال الكلبي المهين العاجز (هماز)
أي كثير العيب للناس في غيبتهم وقال الحسن هو الذي يغمز بأخيه في المجالس وقال ابن زيد
الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في
وجوههم واللماز الذي يذكرهم في غيبتهم وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواء ونحوه
عن ابن عباس وقتادة (مشاء) أي كثير المشي (بنميم) أي قتات يأتي النميمة بين الناس ليفسد
بينهم فينقل ما قاله الانسان في آخر واذاعة سر لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد البين
مبالغ في ذلك (مناع) أي كثير المنع شديده (للخير) أي كل خير من المال والايمان وغيرهما من

ان النفقة تتقيد بمدة
مقدار عدة الاقراء أو انه
اذا طالت مدة الحمل لا تجب
النفقة زمن الاطالة (قوله
سيجعل الله بعد عسر يسرا)
لا ينافي قوله ان مع العسر

نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال ابن عباس مناع للخير أى الاسلام يمنع ولده وعشيرته من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لئن دخل أحد منكم فى دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أى ثابت التجاوز للحدود فى كل ذلك (أثيم) أى مبالغ فى ارتكاب ما يوجب الاثم فيترك الطيبات ويأخذ الخبائث يرغب فى المعاصى ويتطلبها ويدع الطاعات ويزهد فيها (عتل) العتل الغليظ الجافى وقال الحسن هو الفاحش الخلق السيئ الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة فى الباطل وقال الكلبى هو الشديد فى كفره وكل شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال أبو عبيدة بن عمير العتل الاكول الشروب القوى الشديد الذى لا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة (بعد ذلك) أى مع ذلك يريد مع ما وصفناه به (زنيم) وهو الدعى الملصق بالقوم وليس منهم وقال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وقال مرة الهمدانى انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وقيل الزنيم الذى له زنمة كزنمة الشاة وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقال مجاهد زنيم كانت له ستة أصابع فى يده فى كل ابهام له اصبع زائدة وقال ابن قتيبة لا نعلم ان الله تعالى وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا والآخرة وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفى رواية كل جواظ زنيم متكبر الجواظ الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال فى مشيته وقيل القصير البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا الملحق فى النسب بالقوم وكان الوليد دعيا فى قريش ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قال الشاعر فيه

زنيم ليس يعرف من ابوه ❊ بغى الام ذو حسب لئيم

قيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد كما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة فى صور القردة والخنازير ولعل المراد به الدخول مع السابقين والا فمن مات مسلما دخل الجنة وقالت ميمونة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قال القرطبى ومعظم المفسرين على ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منى حيسا ثلاثة ايام وينادى الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يحين احد بكراع الا من اراد الحيس فليأت الوليد بن المغيرة وكان ينفق فى الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطى المسكين درهما واحدا وقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ولما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا وظلا متقلصا زائلا لا يفتخر به ولا يلتفت اليه الا من كان بهذه الاوصاف

بسر الان مع بعض نعمه والانملاز اجتماع الضدين وهو محال (قوله وكان من قرية عتت عن أمر ربها) الآية ان قلت كيف قال فيه

فاذا كان ذلك اكبر همه ومبلغ علمه اغتر له الترفع على الحقوق والتكبر على العباد قال الله تعالى (أن) اى لاجل ان (كان) اى هذا الموصوف (ذا مال) اى مذكور بالكثرة (وبنين) انعمنا عليه بهما فصار يطاع لاجلهما فكان بحيث يجب عليه شكرنا بسببهما (اذا تتلى) اى تذكر على سبيل المتابعة (عليه) ولو كان ذلك على سبيل الخصوص له (آياتنا) اى العلامات الدالة دلالة هى فى غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى ماله من صفات العظمة (قال) اى مفاجأة من غير تامل ولا توقف عوضا عن شكرنا (اساطير) جمع سطور جمع سطر (الاولين) اى اشياء سطروها ودونوها وفرغوا منها فحمله دنى طبعه على تكثره بالمال فورطه فى التكذيب باعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر ولم يستح من كونه يعرف كذبه كل من سمعه فاعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى ما هو عند العاقل اوهى من بيت العنكبوت والاستناد اليه وحده كاف فى الاتصاف بالرسوخ فى الدناءة وقرأ ابن عامر وشعبة وحمزة بهمزتين مفتوحتين وابن عامر يسهل الثانية وشعبة وحمزة بتحقيقهما وهشام على اصله يدخل بينهما الفا والباقون بهمزة واحدة مفتوحة قال القرطبى فمن قرأ بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدئ ان كان على معنى الأن كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الأن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير ألأن كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرأ أن كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لأن كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل فى اذا تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التى بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء اذ حكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما مؤخرا فى حال واحد ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانبارى ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لأن كان ذا مال كان فان متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز ان تتعلق بقوله تعالى مشاء بنميم والتقدير يمشى بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو على ان تتعلق بعتل ومعنى اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم (سنسمه) اى نجعل له سمة اى علامة يعرف بها (على الخرطوم) اى الانف يعير بها ما عاش قال ابن عباس سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذى نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة والاستخفاف وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها وقال الكسائى سنكويه على وجهه وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم أى على انفه ونسود وجهه فى الآخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهى علامة ظاهرة ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة وافادت هذه الآية علامة ثالثة وهى الوسم

فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا بلفظ الماضى مع ان الحساب والعذاب المرتبين على العتو انما هما فى الآخرة (فذاقت) اى بذلك

على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال القرطبي نبين أمره تبيانا واضحا فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخراطيم وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولاشك ان المبالغة العظيمة في ذمه بقيت على وجه الدهر ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغ منه فالحق به عار الايفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله تعالى به في الدنيا في نفسه وأهله وماله من سوء وذل وصغار وقال النضر بن شميل المعنى سنحده على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم قال الرازي كالزمخشري وهذا تعسف اه وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير في الخياشيم *(تنبيه)* الانف أكرم موضع في الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذلال فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها ولما ذكر تعالى في اول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلاء في الاعمال وختم هذا بعيب من يغتر بالمال والبنين وهو يعلم ان الموت وراءه أعاد ذكر الابتلاء وأكده بقوله تعالى (انا) أي بما لنا من القهر والعظمة (بلوناهم) أي عاملنا أهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن فغرهم ذلك وظنوا انهم أحباب ومن قترنا عليهم من أوليائنا أعداء واستهانوا بهم ونسبوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السفه والجنون وكان ابتلاؤنا لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف (كما بلونا) أي اختبرنا (أصحاب الجنة) بان عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر وحاصله انه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلم الخالق في عالم الغيب أو انه كناية عن الجزاء وعرف الجنة لانها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعاء بفرسخين يقال له الضروان يطؤه أهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل او القته الريح أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات شح بنوه بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن ذوو عيال فحلفوا على ان يجذوها قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء الا بعد فراغهم وذلك معنى قوله تعالى (اذ) أي حين (اقسموا) ودل على تأكيد القسم بالتأكيد فقال (ليصرمنها) عبر به عن الجذاذ لدلالته على القطع البائن المستأصل المانع للفقراء من الصريم الذي يعرض على فم الجدي لئلا يرضع أو من الصرماء المفازة التي لا ماء بها والناقة القليلة اللبن (مصبحين) داخلين في أول وقت الصباح لئلا تشعر بهم المساكين فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (ولا) أي والحال انهم لا (يستثنون) في يمينهم أي ولا يقولون ان شاء الله (فان قيل) لم سمي استثناء وانما هو شرط

على لفظ الماضي تحقيقا له وتقريرا لان المنتظر من وعد الله ووعيده آت لامحالة ونظيره قوله تعالى ونادى أصحاب النار

(سورة التحريم)

(أجيب) بانه سمى استثناء لانه اخراج لشئ يكون حكمه غير المذكور أولا وكان الاصل فيه الا ان يشاء الله فالحق به ان شاء الله لرجوعه اليه فى اتحاد الحكم (فطاف) أى فتسبب عن فعلهم هذا ان طاف (عليها) اى جنتهم (طائف) اى عذاب مهلك محيط وهو نار احرقتها ليلا لم تدع منها شيأ والطائف غلب فى الشر وقال الفراء هو الامر الذى يأتى ليلا ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يختص بليل ولا نهار وقوله تعالى (من ربك) يجوز ان يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذوف صفة لطائف (وهم) أى والحال ان أصحاب الجنة المقسمين (نائمون) وقت ارسال الطائف (فاصبحت) أى فتسبب عن هذا الطائف الذى ارسله القادر الذى لا يغفل ولا ينام على مال من لا يزال أسير العجز والنوم فعلا أو قوة (كالصريم) أى كالاشجار التى صرم عنها ثمرها أو كالليل المظلم الاسود لانه يقال الصريم لسواده والصريم أيضا النهار وقيل الصبح لانه انصرم من الليل قاله الاخفش وهو من الاضداد وقيل كالرماد الاسود وليس بها ثمرة بلغة خزيمة قاله ابن عباس لان ذلك الطائف أتلفها لم يدع فيها شيأ لانهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق لضد ما كان لابيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة فى جميع أحواله قال القرطبى والآية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا محمول على العزم المصمم أما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤاخذ به (فتنادوا مصبحين) أى فى حال أول دخولهم فى الاصباح وقوله تعالى (أن اغدوا) أى بكروا جدا متمايلين ومستولين وقادرين ويجوز أن تكون ان المفسرة لانه تقدمها ما هو بمعنى القول (على حرثكم) اى محل فائدتكم الذى أصلحتموه وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم يعنى بالحرث الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم أرادوا قلع الثمار من الاشجار قال الزمخشرى (فان قلت) هلا قال اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو قال الزمخشرى ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال أى فاقبلوا على حرثكم (ان كنتم صارمين) أى مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله أى فاغدوا ويجوز أن تكون أن المصدرية أى تنادوا بهذا الكلام * (تنبيه) * مقتضى كلام الزمخشرى ان غدا متعد فى الاصل بالى فاحتاج الى تأويل فقدره بعلى قال ابن عادل وفيه نظر لورود تعديه بعلى فى غير موضع كقوله

وقد أغدوا على ثبة * نشاوى واجدين لما نشاء

واذا كانوا قد عدوا امراد فيه بعلى فليعدوه وقرأ أن اغدوا أبو عمرو وعاصم وحمزة فى الوصل بكسر النون والباقون بضمها واتفقوا على الابتداء بالهمزة بالضم (فانطلقوا) أى فتسبب عن هذا الحث عقبه كأنهم كانوا مستهيئين (وهم) اى والحال انهم (يتخافتون) اى يقولون فى حال انطلاقهم قولا هو فى غاية السر كأنهم ذاهبون الى سرقة من دار هى فى غاية الحراسة من

(قوله وصالح المؤمنين) (ان قلت) ان كان المراد به الفرد فاى فرد هو مع انه لا يناسب جمع الملائكة بعده او الجمع فهلا كتب فى المصحف بالواو (قلت)

قوله وقد اغدوا على الخ كذا بالنسخ بايدينا والبيت ناقص تفعلة فليحرر اه مصححه

الخفوت

الخفوت وهو الهمود وخفى وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ثم فسر ما يتخافتون به بقوله تعالى (أن لا يدخلنها) وأن لاهي الناصبة كما ترى وأكدوه لانه لا يصدق ان أحدا يصل الى هذه الوقاحة وان جدا اذ لا يخلو من سائل (اليوم) أي في جميع النهار بما دل عليه نزع الخافض لتكرروا عليه مرارا وتفتشوه فلا تدعوا به ثمرة واحدة ولا موضعا يطمع فيه أحد في قصدكم (عليكم) وأنتم بها (مسكين) وهي نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي أنفسهم أن لا يدعوه يدخل عليهم أي لا يمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا فقال لهم أوسطهم سنا وخيرهم نفسا وأعدلهم طبعا بما يدل عليه ما يأتي لا تقولوا هكذا واصنعوا من الاحسان ما كان يصنع أبوكم قال البقاعي وكأنه طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيئا (وغدوا) أي ساروا اليها غدوة (على حرد) أي منع للمساكين قال أبو عبيدة على حرد أي منع من حاردت الابل حرادا أي قل لبنها والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها وقال الشعبي وسفيان على حنق وغضب من المساكين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على قدرة (قادرين) عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها أحد أي بدليل عدم استثنائهم فان الجزم على الفعل في المستقبل فضلا عن أن يكون مع الحلف فعل من لا كفء له وقال الحسن وقتادة على جد وجهد وقال القرطبي وعكرمة على أمر مجتمع ودل على قربها من منزلتهم بالفاء فقال تعالى (فلما رأوها) أي بعد مسير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها أثر (قالوا انا لضالون) عن طريق جنتنا الانها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف بعيدة عن حال ما كانت عليه عند توعدهم وتغير نباتهم فادهشهم منظرها وحيرهم خبرها وأكدوا الان ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم وكثرة ملابستهم لها وقوة معرفتهم بها * ولما انجلى ما أدهشهم في الحال قالوا مضربين عن الضلال (بل نحن محرومون) أي ثابت حرماننا ما كان فيه من الخير الذي لم نغب عنه الا سواد الليل فحرمنا الله تعالى اياه بما عزمنا عليه من حرمان المساكين ان الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقرأ الكسائي بادغام اللام في النون والباقون بالاظهار (قال أوسطهم) أي رأيا وعقلا وسنا وفضلا منكرا عليهم (ألم أقل لكم) أي ما فعلتموه لا ينبغي وان الله تعالى بالمرصاد لمن غير ما في نفسه وحاد (لولا) أي هلا ولم لا (تسبحون) أي تستثنون فكان استثناؤهم تسبيحا قال مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان يأمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه وقال أبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله أي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله أن يكون شيء الا بمشيئته وقال الرازي التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى لنسب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله يزيل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا وقيل المعنى هلا تستغفرون وتمحصون فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم قيل ان القوم لما عزموا على منع الزكاة فاغتروا بالمال والقوة قال لهم أوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب فلما رأوا العذاب ذكرهم أوسطهم كلامه الاول وقال ألم أقل لكم

هو فرد اريد به الجمع كقوله تعالى والملك على ارجائها وقوله ثم يخرجكم طفلا أو هو جمع لكنه كتب في المصحف بغير واو على اللفظ كما جاءت ألفاظ كثيرة في المصحف على اللفظ دون اصطلاح الخط (قوله والملائكة

لولا تسبحون فحينئذ اشتغلوا بالتوبة بأن (قالوا) أي من غير تلعثم بما عاد عليهم من بركة أبيهم
(سبحان ربنا) أي تنزه المحسن الينا التنزيه الاعظم أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم وأكدوا
قباحة فعلهم هذه بالانفسهم وخضوعا لربهم وتحقيقا لتوبتهم بقولهم (انا كنا) أي بما في
جبلاتنا من الفساد (ظالمين) أي مجاوزين الحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع المساكين
وعلى جذها في الصباح من غير استثناء (فأقبل بعضهم) أي في الحال مبادرة في الخضوع (على
بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي ويقول
ذاك لهذا أنت الذي خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره أنت رغبتني في جمع المال ثم نادوا
على أنفسهم بالويل بأن (قالوا) منادين لما شغلهم قربه منهم وملازمته لهم عن كل شيء (يا ويلنا)
أي هذا وقت حضورك أيها الويل إيانا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الآن غيرك والويل
الهلاك والاشراف عليه (انا كنا) أي جبلة وطبعا (طاغين) أي عاصين بمنع حق الفقراء وترك
الاستثناء وقال ابن كيسان طاغين نعم الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل ثم رجعوا
الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا) أي الذي أحسن الينا بتربية هذه الجنة واهلاك ثمرها الآن
تأديبا لنا (أن يبدلنا) من جنتنا شيئا (خيرا منها) يقيم لنا أمر معايشنا فتنقلب أحوالنا هذه
التي نحن فيها من الهموم والبذاذة بسرور ولذاذة وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة
وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال (انا الى ربنا) أي المحسن الينا والمربي
لنا بالايجاد ثم الابقاء خاصة لا الى غيره (راغبون) أي ثابتة رغبتنا ورجاؤنا الخير والاكرام وقد
قيل ان الله تعالى قبل رجوعهم وأخلف عليهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان كان القطف
الواحد منها يحمله وحده من كبره البغل رواه البغوي عن ابن مسعود وقال أبو خالد اليماني
دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وقال الحسن قول أهل الجنة
انا الى ربنا راغبون لا أدري ايمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم
الشدة فتوقف في كونهم مؤمنين وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل
النار قال لقد كلفتني تعبا والاكثرون يقولون انهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري * ولما كان
المقام للترهيب من ركن الى ماله واحتقر الضعفاء من عباد الله تعالى ولم يجلهم بجلاله طوى
ذكر ما أنعم به عليهم وذكر ما يخوفهم فقال تعالى مرهبا (كذلك) أي مثل هذا الذي بلونا به
أصحاب الجنة من اهلاك ما كان عند أنفسهم في غاية القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان
لفعلهم والاستصواب وهددنا به أهل مكة فلم يبادروا الى المتاب (العذاب) أي الذي نحذرهم
منه ونخوفهم به في الدنيا فاذا تم الاجل الذي قدرناه لهم أخذناهم به غير مستعجلين ولا مفرطين
لانه لا يعجل الا ناقص يخاف الفوت (ولعذاب الآخرة) أي الذي يكون فيها للعصاة (أكبر)
أي من كل ما يتوهمون (لو كانوا) أي الكفار (يعلمون) أي لو كان لهم علم بشيء من
غرائزهم في وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه * ولما ذكر ما لاهل الجحود الذين لا يحترزون
الممكنات ذكر تعالى أضدادهم فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم (ان للمتقين) أي العريقين
في صفة التقوى (عند ربهم) أي المحسن اليهم في موضع ندم أولئك وجنة آمالهم (جنات)
جمع جنة وهي لغة البستان الجامع وفي عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى

بعد ذلك ظهير) وضع فيه
المفرد موضع الجمع أي ظهراء
أو ان فعيلا يستوي فيه
الواحد وغيره كتعمد (قوله
عسى ربه ان طلقكن أن
يبدله ازواجا خيرا منكن)

عنه جميع الشرور (النعيم) أي جنات ليس فيها الا النعيم الخالص لايشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (أفنجعل المسلمين) أي الذين هم عريقون في الانقياد لاوامرنا والصلة لما أمرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم معنا في نفس ولا غيرها لحسن جبلاتهم (كالمجرمين) أي الراسخين في قطع ما أمرنا به أن يوصل وأنتم لاتقرون بمثل هذا ففي ذلك انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون أيضا ان صح أنا نبعث كما زعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا وقوله تعالى (ما لكم) اى اى شئ يحصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة عن الصواب (كيف تحكمون) اى اى عقل دعاكم الى هذا الحكم الذي يتضمن التسوية من السيد بين المحسن من عبيده والمسئ مع التفاوت فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر عن اختلال فكر واعوجاج رأى (أم) اى بل أ (لكم كتاب) اى سماوى معروف انه من عند الله خاص بكم (فيه) أى لافى غيره من أساطير الاولين (تدرسون) أى تقرؤن قراءة أيقنتكم (ان لكم) أى خاصة على وجه التأكيد الذي لارخصة في تركه (لما تخيرون) أى ماتختارونه وتشتهونه وكسرت وكان حقها الفتح لولا اللام لان مابعدها هو المدروس ويجوز أن تكون الجملة حكاية للمدروس وأن تكون استئنافية (أم لكم أيمان) أى عهود ومواثيق (علينا) قد حلفتمونا اياها (بالغة) أى واثقة نعت لايمان وقوله تعالى (الى يوم القيامة) متعلق بما تعلق به لكم من الاستقرار أى ثابتة لكم الى يوم القيامة أى مبالغة أى تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهى اليه وقوله تعالى (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أى أقسمنا لكم * ولما عجب منهم وتهكم بهم ذيل ذلك بتهكم أعلى منه يكشف عوارهم غاية الكشف فقال تعالى (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) أى الامر العظيم الذي يحكمون به لانفسهم من أنهم يعطون فى الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) أى كفيل وضامن أو سيد أو رئيس أو متكلم بحق أو باطل التزم في ادعائه صحة ذلك (أم لهم شركاء) موافقون لهم في هذا القول يكفلونه لهم فان كانوا كذلك (فليأتوا بشركائهم) أى الكافلين لهم به (ان كانوا صادقين) أى عريقين فى هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى (يوم) منصوب بقوله تعالى فليأتوا أى فليأتوا بشركائهم يوم (يكشف) أى يحصل الكشف فيه بنى للمفعول لان المخيف وقوع الكشف الذى هو كناية عن تفاقم الامر وخروجه عن حد الطوق لا كونه من معين مع أنه من المعلوم انه لافاعل هنالك غيره سبحانه وتعالى (عن ساق) اى يشتد فيه الامر غاية الاشتداد لان من اشتد عليه الامر وجد فى فصله شمر عن ساقه لاجله وشمرت حرمه عن سوقهن غير محتشمات فهو كناية عن هذا ولذلك نكره تهويلا له وتعظيما نقل هذا التأويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وعن انكشاف جميع الخلائق وظهور الجلائل فيه والدقائق من الاهوال وغيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه فتركت السامع لها في مثل ضوء النهار ويجوز أن يكون منصوبا باضمار اذكر فيكون على هذا مفعولا به وعلى الاول لايوقف على صادقين *(تنبيه)* علم مما

الآية (ان قلت) كيف أثبت الخيرية لهن بالصفات المذكورة بقوله مسلمات الى آخره مع اتصاف أزواجه صلى الله عليه وسلم بها أيضا (قلت)

تقرر ان كشف الساق كناية عن الشدة قال الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادي الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها * حمراء تبرى اللحم عن عراقها

وقال الطائي

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال أبو عبيدة اذا اشتد الامر أو الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقال القرطبي وأما ماروى ان الله تعالى يكشف عن ساقه فانه تعالى متعال عن الاعضاء والابعاض وأن ينكشف ويتغطى ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وروى أبو بردة عن ابي موسى قال حدثني ابو موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال أو تعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى اقوام ظهورهم كصياصي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق (ويدعون) اى من داعي الملك الديان (الى السجود) توبيخا على تركه الآن وتنديما وتعنيفا لا تعبدا وتكليفا فيريدونه ليفدوا أنفسهم عما يرون من المخاوف (فلا) اى فتسبب عن ذلك انهم لا (يستطيعون) لانهم غير سالمين لا أعضاء لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لانفسهم فيقول الله تعالى اى للساجدين عبادي ارفعوا رؤسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال أبو بردة فحدثت هذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال لي والله الذي لا اله الا هو لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلف له ثلاثة أيمان فقال ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو أحب الي من هذا الحديث وأما غير الساجدين فعن ابن مسعود تعقم أصلابهم اى ترد عظامها بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة وقوله تعالى (خاشعة) حال من مرفوع يدعون وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل به ونسب الخشوع للابصار لان ما في القلب يعرف في العين وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) أي عظيمة لانهم استعملوا الاعضاء التي أعطاهموها الله سبحانه ليتقربوا بها اليه في دار العمل في غير طاعته (وقد) أي والحال انهم قد (كانوا يدعون الى السجود) أي في الدنيا من كل داع يدعو اليها وقال ابراهيم التيمي أي يدعون بالاذان والاقامة فيأبون وقوله تعالى (وهم سالمون) أي معافون

المراد خيرا متمكن في حفظ قلبه ومتابعة رضاه مع اتصافهن بهذه الصفات المشتركة بينكن وبينهن (فان قلت) لم ذكر الواو في ابكارا وحذفها في بقية

اعضاء

أصحابه حال من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات * ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فذرني) أي اتركني على أي حالة اتفقت (ومن يكذب) أي يوقع التكذيب لمن يتلو ما جددت انزاله من كلامي القديم على اي حالة كان ايقاعه وأفرد الضمير نصا على تهديد كل واحد من المكذبين (بهذا الحديث) أي القرآن اي خل بيني وبينهم لا تشغل قلبك به فاني أكفيك أمره لانه لا مانع منه فلا تهتم به أصلا (سنستدرجهم) أي سنأخذهم بعظمتنا على التدريج لا على غرة الى عذاب لا شك فيه (من حيث) أي من جهات (لا يعلمون) أي لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الاوقات فعذبوا يوم بدر وقال أبو روق كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مفتون بالثناء عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابن عباس سنمكر بهم وروي أن رجلا من بني اسرائيل قال يارب كم أعصيك وأنت لا تعاقبني فأوحى الله الى نبي زمانهم أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة وأصله النقل من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه معناه أدناه منه على التدريج فتدرج ومعنى الآية انا لما أنعمنا عليهم اعتقدوا ان ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة والواقع سبب اهلاكهم (وأملي لهم) أي أمهلهم وأطيل المدة كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والملاوة المدة من الدهر وأملى الله له أي أطال له والملوان الليل والنهار وقيل لا أعاجلهم بالموت والمعنى واحد والملا مقصورا الارض الواسعة سميت به لامتدادها (ان كيدي) أي سترى لاسباب الهلاك عمن أريد اهلاكه وابدائي ذلك له في ملابس الاحسان (متين) أي قوي شديد فلا يفوتني أحد وسمى احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه في التسبب للهلاك (أم تسألهم) اي أنت بأعف الخلق وأعلاهم همما (أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم) اي فتسبب عن ذلك وتعقب أنهم (من مغرم) اي غرامة كلفتهم بها (مثقلون) أي ثقل حمل الغرامات عليهم في بذل المال فثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل يستولون بالايمان على خزائن الارض ويصلون الى جنات النعيم (أم عندهم) أي خاصة (الغيب) أي علمه من اللوح المحفوظ أو غيره (فهم) اي بسبب ذلك (يكتبون) أي ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا على أن هذا الذكر ليس من عند الله او انهم لا درك عليهم في التكذيب به فقد علم من هذا أنهم لا شبهة لهم في ذلك عادية ولا شبهة وانما كيدهم مجرد خبث طباع وظلمة نفوس وأماني فارغة وأطماع (فاصبر) أي اوقع الصبر وأوجده على كل ما يقولونه فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيرهم من مر القضاء (لحكم ربك) اي القضاء الذي قضاه وقدره المحسن اليك الذي أكرمك بما أكرمك به من الرسالة وألزمك بما ألزمك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب ومدلهم على

الصفات (قانتات) لان ابكارا مباين للثيبات فذكر بالواو لامتناع اجتماعهما في ذات واحدة بخلاف بقية الصفات لا تباين فيها فذكرت بلا واو (ان قانتات)

ذلك في الأجل وأسبغ عليهم النعم وأخر ما وعدك به من النصر وقال ابن عجز فاصبر لنصر ربك وقيل ان ذلك منسوخ بآية السيف وقال قتادة ان الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر ولا يعجل (ولا تكن) أي ولا يكن حالك يا أشرف الخلق في الضجر والعجلة (كصاحب) أي كحال صاحب (الحوت) وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى (اذ) منصوب بمضاف محذوف اى ولا يكن حالك كحاله اوقصتك كقصته حين (نادى) اى ربه في الظلمات من بطن الحوت وظلمة ما يحيط به من الجثة وظلمة اللجج لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهى انما ينصب على أحوالها وصفاتها وقوله تعالى (وهو مكظوم) جملة حالية من الضمير من نادى والمكظوم الممتلئ حزنا اوغيظا ومنه كظم السقاء اذا امتلأ قال ذو الرمة

وأنت من حب مى مضمر حزنا * عانى الفؤاد قريح القلب مكظوم

وقال القرطبي ومعنى هو مكظوم اى مملوء غما وقيل كربا فالاول قول ابن عباس ومجاهد والثانى قول عطاء وأبى مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه اى حبس غضبه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ولما تشوف السامع الى ما كان من أمره بعد هذا الامر العجيب قال تعالى (لولا أن تداركه) اى ادركه ادراكا عظيما (نعمة) اى عظيمة جدا *(تنبيه)* حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه (من ربه) اى الذى أحسن اليه بارساله وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه والرحمة وقال الضحاك النعمة هنا النبوة وقال ابن جبير عبادته التى سلفت وقال ابن زيد نداؤه بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقال ابن بحر اخراجه من بطن الحوت وقوله تعالى (لنبذ) أي لولا هذه الحالة السنية التى أنعم الله تعالى عليه بها لطرح طرحا هينا جدا (بالعراء) أى الارض القفراء الواسعة التى لا بناء فيها ولا جبال ولا نبات البعيدة عن الانس جواب لولا وقيل جوابها مقدر اى لولا هذه النعمة لبقى في بطن الحوت (وهو) اى والحال انه (مذموم) اى ملوم على الذنب وقيل مبعد من كل خير وقال الرازى وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة أوجه الاول ان كلمة لولا دالة على أن هذه المذمومية لم تحصل الثانى لعل المراد من المذمومية ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله تعالى (فاجتباه) أى اختاره لرسالته (ربه) والفاء للتعقيب قيل ان هذه الآية نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد ان يدعو على ثقيف ثم بين عن اجتبائه قوله تعالى (فجعله من الصالحين) أى الذين رسخوا في رتبة الصلاح فصلحوا فى انفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم فنبذ حينئذ بالعراء وهو محمود قال ابن عباس رد الله تعالى اليه الوحى وشفعه فى نفسه وفى قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بان أرسله الى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره فمن صبر أعظم من صبره كان أعظم أجرا من أجره وأنت كذلك فأنت أشرف العالمين *(تنبيه)* استدل أهل السنة على ان فعل العبد خلق الله

تعالى

أى مدح فى كونهن ثيبات (قات) الثيب تمدح من جهة انها أكثر تجربة وعقلا واسرع حبلا غالبا والبكر تمدح من جهة انها اطهر واطيب واكثر مداعبة

تعالى بقوله سبحانه فجعله من الصالحين لان الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه وقال الجبائى يحتمل أن يكون معنى جعله انه أخبر بذلك ويحتمل أن يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل فى اللغة فى هذه المعانى والجواب ان ذلك مجاز والاصل فى الكلام الحقيقة (وان) هى المخففة اى وانه (يكاد الذين كفروا) اى ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلائل واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف * ولما كانت ان مخففة أتى باللام التى هى علمها فقال (ليزلقونك بابصارهم) اى ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد ان يصرعك من قامتك الى الارض كما يزلق الانسان فينطرح لما يتراءى فى عيونهم أو يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى اى لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعل قال القائل

يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقيل ارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ فيقول لم ار كاليوم مثله الا عانه حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذى المكتل والدرهم فاتينا من لحم هذه الناقة فما تبرح الناقة حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبى كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيأ يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبى صلى الله عليه وسلم انشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال انك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية وذكر الماوردى ان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا بعين فى نفسه او ماله يجوع ثلاثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر منه ولا أحسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بنى جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم قال نعم فلو كان شئ يسبق القضاء لسبقته العين وقال الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية وقرأ نافع بفتح الياء والباقون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وأزلقه يزلقه ازلاقا وقال ابن قتيبة ليس يريد أنهم يصيبونك باعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما أراد أنهم ينظرون اليك (لما سمعوا الذكر) اى القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعنى من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك (ويقولون) اى قولا لا يزالون يجددونه حسدا او بغضا على انهم لم يزدهم تمادى الزمان الا حذقا (انه لمجنون) اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (وما هو) اى القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين

(قوله ومالا عينة غالبا) (قوله ويقولون ما يؤمرون) فائدة ذكره بعد لا يعصون الله ما امرهم التأكيد لاتحادهما صدقا او التأسيس لاختلافهما

قال الجلال المحلي الانس والجن وظاهره اخراج الملائكة وهو ماجرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر الآية انه ارسل لجميع الخلائق وهو كما قال بعض المتأخر بن الظاهر ويدل له قول البيضاوي لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لايدركه ولايتعاطاه الامن كان اكمل الناس عقلا واثبتهم رأيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم حديث موضوع

سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون آية وألف واربعة وستون حرفا

(بسم الله) اى الذى له الكمال كله (الرحمن) الذى عم العالمين جوده (الرحيم) الذى خص اهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى (الحاقة) مبتدأ وقوله تعالى (ما الحاقة) مبتدأ وخبر والجملة خبر الاول والاصل الحاقة ماهي اى اى شئ هي تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لاريب فيها او التي فيها حواق الامور من البعث والحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اى لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وقيل سميت القيامة بذلك لانها احقت لاقوام الجنة ولاقوام النار وقوله تعالى (وما ادراك) اى اى شئ اعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم لشأنها فما الاولى مبتدأ ومابعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادري يعني انك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية احد ولا وهمه والنبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن لاعلم له بكنهها وصفتها فقيل له ذلك تفخيما لشأنها كأنك لست تعلمها اذلم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شئ في القرآن وما ادراك فقد دراه وعلمه وكل شئ قال ومايدريك فانه مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شئ قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شئ قال فيه ومايدريك فانه لم يخبر به وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكر الساعة وفخمها اتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم فقال تعالى (كذبت ثمود) قدمهم لان بلادهم اقرب الى قريش وواعظ القرب أكبر واهلاكهم بالصيحة وهي اشبه بصيحة النفخ في الصور المبعثرة لما في القبور (وعاد بالقارعة) اى القيامة سميت بذلك لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة او لانها تقرع الناس بأهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اى اهواله وشدائده وقوارع القرآن الآيات التي يقرؤها الانسان اذا فزع من الانس او الجن نحو آية الكرسي كأنه يقرع الشيطان بها وقال المبرد القارعة مأخوذة من القرعة من رفع قوم وحط آخرين وقوارع القيامة انفطار السماء بانشقاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها وقيل عنى بالقارعة العذاب الذى

نزل

منه وما او المراد بالامر الاول الامر بالعبادات والطاعات وبالثاني الامر بتعذيب أهل النار (قوله توبة نصوحا) لم يقل نصوحة لان فعولا يستوى فيه

نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال ابن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا وأما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي بسطة في الخلق (فأما ثمود فأهلكوا) أي بأيسر أمر من أوامرنا (بالطاغية) أي الواقعة التي جاوزت الحد في الشدة فرجفت منها القلوب واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله تعالى عليهم صيحة فاهمدتهم وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهو مصدر كالكاذبة والعاقبة أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله تعالى بريح صرصر لكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت ثمود بطغواها أهلكوا بها ولاجلها قال والباء سببية على الاقوال كلها الا على قول قتادة فانها فيه للاستعانة كعملت بالقدوم (وأما عاد فأهلكوا) أي بأشق ما يكون عليهم وبأيسر ما يكون علينا (بريح صرصر) أي شديد الصوت لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها وقال مجاهد هي الشديدة السموم (عاتية) أي مجاوزة للحد في شدة عصفها والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أرسل الله تعالى سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية (سخرها) أرسلها (عليهم) وقال مقاتل رضي الله عنه سلطها عليهم (سبع ليال) أي لا تفتر فيها الريح لحظة (وثمانية أيام) كذلك قال وهب هي الايام التي تسميها العرب العجوز ذات برد وريح شديدة قيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب (حسوما) قال مجاهد وقتادة رضي الله عنهما متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكي وهو أن يتابع على موضع الداء المكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شيء يقطع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبي حسوما دائما وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها ه (تنبيه) ه في اعراب حسوما أوجه أحدها أن ينتصب نعتا لما قبله ثانيها أن ينتصب على الحال أي ذات حسوم ثالثها أن ينتصب على المصدر بفعل من لفظها أي تحسمهم حسوما واختلفوا في أولها فقال السدي غداة يوم الاحد وقال الربيع ابن أنس رضي الله عنه غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه رضي الله عنهم غداة يوم الاربعاء وهو اليوم النحس المستمر قيل كان آخر أربعاء في السنة وآخرها يوم الاربعاء وقال البقاعي وهي من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال لغروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام أن الابتداء كان بها قطعا والا لم تكن الليالي سبعا فتأمل ذلك اه وهو ظاهر ه ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه قوله تعالى مصورا لحالهم الماضية (فترى القوم)

المذكر والمؤنث كقولهم امرأة صبور وشكور (قوله كانتا تحت عبدين من عبادنا) فائدة قوله من عبادنا بعد عبدين مدحهما والثناء عليهما باضافتهما

أى الذين هم غاية فى القدرة على ما يحاولونه (فيها) أى تلك المدة من الايام والليالى لم يتأخر أحد منهم عنهم (صرعى) اى مجندلين على الارض موتى جمع صريع وهى حال نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى والضمير فيها للايام والليالى كما مر أو للبيوت أو للريح قال ابن عادل والاول أظهر اقربه (كأنهم أعجاز) اى أصول (نخل) قد شاخت وهرمت فهى فى غاية العجز (خاوية) أى متآكلة الاجواف ساقطة من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا خلا من قطانه قالوا كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من أدبارهم والوصف بذلك لعظم اجسامهم وتقطيع الريح لهم وقطعها رؤسهم وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم (فهل ترى) اى أيها المخاطب الخبير بالناس فى جميع الاقطار (لهم) أى خصوصا وأغرق فى النفى وعبر بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال تعالى (من باقية) فيكون المراد بالباقية البقاء كالطاغية بمعنى الطغيان أى من باق والاحسن أن تكون صفة لفرقة أو لطائفة أو نفس أو بقية أو نحو ذلك وقيل فاعلة بمعنى المصدر كالعافية والباقية ٣ قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم أحدا باقيا قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء فى عذاب الله تعالى من الريح فلما أمسوا فى اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم فى البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ونجى الله تعالى صالحا عليه السلام ومن آمن به من بنى ثمود ولم تضرهم الصاعقة وهودا عليه السلام ومن آمن به من عاد ولم يهلك منهم أحد فدل ذلك دلالة واضحة على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له كمال الاحاطة بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالمجرم ولا المسىء كالمحسن وجواب هل لم يبق منهم أحد (وجاء فرعون) أى الذى ملك طائفة من الارض وتجبر وادعى الالهية ناسيا نعمتنا وقدرتنا وقوله تعالى (ومن قبله) قرأه أبو عمرو والكسائى بكسر القاف وفتح الباء الموحدة أى ومن عنده من اتباعه وقرأه الباقون بفتح القاف وسكون الباء الموحدة على أنه ظرف أى ومن تقدمه من الامم الكافرة (والمؤتفكات) أى أهلها وهى قرى قوم لوط أى المنقلبات باهلها حتى صار عاليها سافلها لما حصل لاهلها من الانقلاب (بالخاطئة) اى بالفعلات ذات الخطا الذى يتخطى منها الى نفس الفعل القبيح من اللواط والصفع والضراط مع الشرك وغير ذلك من أنواع الفسق * ولما كانت الرسل كالفرد الواحد لاتفاقهم وتعاضدهم فى الدعاء الى الله تعالى والحمل على طاعته قال مسببا عن مجيئهم بذلك موحدا فى اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة الجنس (فعصوا) أى خالفوا (رسول ربهم) أى خالفت كل أمة من أرسله المحسن اليها بابداعها من العدم وايداعها القوى وترزيقها او بعث رسولها لارشادها اغترارا باحسانه ولم يجوزوا أن المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما أنه النافع فللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز فصل أحد الاسمين عن الآخر وسبب عن العصيان قوله تعالى (فأخذهم) أى ربهم أخذ قهر وغضب (أخذة) لم تبق من أمة منهم أحدا ممن كذب لرسول فلم يكن كمن ينصر على عدو من المؤمنين لابد أن يفوته كثير منهم وان اجتهد فى الطلب وما ذاك الا لتمام علمه سبحانه بالجزئيات والكليات وشمول قدرته وتلك الاخذة مع كونها بهذه العظمة من أنها أخذتهم كنفس واحدة جعلها سبحانه (رابية) أى عالية عليهم زائدة فى الشدة على غيرها

٣ قوله والباقية كذا فى النسخ لعله والعاقبة اهـ

اليه اضافة التشريف والتخصيص كما فى قوله تعالى وعباد الرحمن وفى قوله فادخلى فى عبادى وفى ذلك مبالغة فى المعنى المقصود وهو ان الانسان عادة

وعلى

وعلى عذاب الامم يقال ربا الشيء يربو اذا ازاد ومنه الربا اذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى والمعنى أنها كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار وقيل لان عقوبة آل فرعون متعلقة بعذاب الآخرة لقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا فتلك العقوبة كانت كأنها تنمو وتربو * ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح عليه السلام وهي قوله تعالى (انا) اى على عظمتنا (لما طغى الماء) أي زاد على الحد حتى علا على أعلى جبل في الارض بقدر ما يغرق من كان عليه حين أغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطيقوا ضبطه ولا فوره بوجه من الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه تعالى فلم يقدروا على حبسه قال المفسرون زاد على كل شيء خمسمائة ذراع وقال ابن عباس رضي الله عنهما طغى الماء زمن نوح عليه السلام على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من الله عليهم بان جعلهم ذرية من نجى من الغرق بقوله تعالى (حملناكم) أي في ظهور آبائكم (في الجارية) أي السفينة التي جعلناها بحكمتنا عريقة في الجريان حتى كأنه لاجارية غيرها على وجه الماء الذي جعلنا من شانه الاغراق والمحمول في الجارية انما هو نوح عليه السلام وأولاده وكل من على وجه الارض من نسل أولئك والجارية من أسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وغلب استعمال الجارية في السفينة كقولهم في بعض الالغاز

رأيت جارية في بطن جارية * في بطنها رجل في بطنه جمل

ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها بوحي من الله تعالى وبحفظه له قال اجعلها كهيئة صدر الطائر ليكون ما يجرى في الماء مقاربا لما يجرى في الهواء واغرقنا سوى من كان في تلك السفينة من جميع اهل الارض من آدمي وغيره (لنجعلها) أي هذه الفعلة العظيمة وهي انجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بهذا العذاب أحد واهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم أحد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه (لكم) أيها الناس (تذكرة) أي عبرة ودلالة على قدرته تعالى وعظمته ورحمته وقهره فيقودكم ذلك الى التنبه وتقبلوا بقلوبكم عليه وقوله تعالى (وتعيها) عطف منصوب على لنجعلها اي ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدم حفظا ثابتا مستقرا كأنه محوى في وعاء (اذن) اى عظيمة النفع (واعية) أي من شانها ان تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد الله تعالى كما كان نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لادامة النسل والبركة فيه حتى امتلأت منه الارض والوعي الحفظ في النفس والايعاء الحفظ في الوعاء قال الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعية على التوحيد والتنكير قلت للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله تعالى فهو السواد الاعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين اه وقرأ نافع بسكون الذال والباقون بضمها * ولما ذكر تعالى القيامة وهول

لا ينفعه الاصلاح نفسه لا صلاح غيره وان كان ذلك الغير في أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى (قوله وكانت من القانتين) * ان قلت القياس من القانتات

أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها اشرع سبحانه وتعالى فى تفاصيل أحوالها و بدأ بذكر مقدماتها
بقوله تعالى (فاذا نفخ) و بنى الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وأن ما يتأثر عنه
لا يتوقف على نافخ معين بل من أقامه لذلك من جنده تأثر عنه ما يريده (فى الصور) اى القرن
الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام قال البقاعى كأنه عبر عنه به دون القرن مثلا لانه يتأثر
عنه تارة اعدام الصورة وتارة ايجادها وردها الى اشكالها وسعته كما بين السماء والارض (نفخة
واحدة) للفصل بين الخلائق قال الزمخشرى فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انها
لا تثنى فى وقتها ثم قال فان قلت فاى النفختين هى قلت الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا
الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد روى عنه انها الثانية اه قال البقاعى وظاهر
السياق أنها الثانية التى بها البعث وخراب ما ذكر بعد قيامهم انسب لانه أهيب وكونها
الثانية احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما اه واقتصر البيضاوى على أنها الاولى
والجلال المحلى على أنها الثانية وهو الانسب كما قاله البقاعى ثم ان الزمخشرى سأل سؤالا على
انها النفخة الاولى بقوله فان قلت أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة
الثانية قلت جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور
والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئتك عام كذا وانما كان مجيئك
فى وقت واحد من أوقاته اه ولما ذكر التأثير فى الاحياء اتبعه التأثير فى الجمادات و بدأ منها
بالسفليات الملابسة للانسان فتكون عبرته بها أكثر فقال تعالى (وحملت الارض والجبال) اى
التى بها ثباتها حملتهما الريح أو الملائكة أو القدرة من أماكنهما (فدكتا) اى صدمت الجملتان
الارض وأوتادها وبسطت ودق بعضها ببعض (دكة واحدة) اى فصارتا كثيبا مهيلا لا يتميز
أمر فلم يتميز شئ منهما عن الآخر بل صارتا فى غاية الاستواء ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش
فى ظهره وقال الفراء لم يقل فدككن لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة
الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ولم يقل كن وهذا الدك كالزلزلة
لقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقوله تعالى (فيومئذ) منصوب بوقعت وقوله تعالى
(وقعت الواقعة) لابد فيه من تأويل وهو ان تكون الواقعة صارت علما بالغلبة على القيامة
أو الواقعة العظيمة والا فقيام القائم لا يجوز اذ لا فائدة فيه والتنوين فى يومئذ للعوض من الجملة
تقديره يوم اذ نفخ فى الصور ونوع تعالى اسماء القيامة بالحاقة والواقعة والقارعة تهويلا لها
*ولما ذكر تأثير العالم السفلى ذكر العلوى بقوله تعالى (وانشقت السماء) اى ذلك الجنس لشدة
هول ذلك اليوم اى انصدعت وتفطرت وقيل انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى و يوم
تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (فهى يومئذ واهية) اى ضعيفة متساقطة خفيفة
لا تماسك كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف
جدا ويقال كلام واه اى ضعيف وقيل واهية أى متخرقة ماخوذ من قولهم وهى السقاء
اذا تخرق ومن أمثالهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالفلاة ماؤه

أى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرأ أبو عمرو وقالون والكسائى بسكون الهاء

والباقون

فلم عدل عنه الى القانتين (قلت) رعاية للفواصل أو معناه من القوم القانتين

(سورة الملك)

(قوله الذى خلق الموت والحيوة) قدم الموت لانه

والباقون بكسرها (والملك) أى هذا النوع (على أرجائها) أى نواحى السماء وأطرافها وحواشى مالم ينشق منها قال الضحاك يكونون بها حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه المعنى والملك على حافات الدنيا أى ينزلون الى الارض ويحرسون أطرافها وقيل اذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست منشقة فى أنفسها والارجاء فى اللغة النواحى والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل عصا وعصوان قال القائل

فلا ترمى بى الرجوان انى * أقل القوم من يغنى مكانى

قال ابن عادل ورجاهنا يكتب بالالف عكس رحى لانه من ذوات الواو (فان قيل) الملائكة يموتون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض فكيف يقال انهم انهم يقفون على ارجاء السماء (أجيب) من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على أرجاء السماء ثم يموتون والثانى المراد الذين استثنوا فى قوله تعالى الا من شاء الله وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم هالهم أمرها فيندون كما تند الابل فلا يأتون قطرا من أقطار الارض الا رأوا الملائكة فيرجعون من حيث جاؤا وقيل على ارجائها ينتظرون ما يؤمرون به فى أهل النار من السوق اليها وفى أهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع الى قول ابن جبير رضى الله عنه ويدل عليه قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قال الزمخشرى فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة قلت الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة اهـ قال أبو حيان ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام فصاراه أن يكون مرادا به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثناء منه ثم قال ولان قوله على أرجائها يدل على الجمع لان الواحد لا يمكن أن يكون على ارجائها فى وقت واحد بل فى أوقات والمراد والله أعلم ان الملائكة على أرجائها الا انه ملك واحد ينتقل على أرجائها فى أوقات * ولما كان الملك يظهر فى يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال تعالى (ويحمل عرش ربك) أى المحسن اليك بكل ما تريد لا سيما فى ذلك اليوم بما يقع من رفعتك على سائر الخلق والضمير فى قوله تعالى (فوقهم يومئذ) أى فى يوم وقعت الواقعة يجوز أن يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم وأن يعود على الحاملين فى قوله تعالى (ثمانية) وقيل يعود على جميع العالم أى ان الملائكة تحمل عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف فى هذه الثمانية فقال ابن عباس رضى الله عنهما ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك وعن الحسن رضى الله عنه الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف أم ثمانية صفوف وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى باربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال وفى رواية ثمانية أوعال من أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وفى حديث آخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس (فان قيل) اذا لم يكن فيهم صورة الوعل فكيف سموا أوعالا (أجيب) بان وجه الثور اذا كانت له قرون اشبه الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه

هو المخلوق أولا لقوله تعالى وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم (قوله ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى من خلل وعيب والا فالتفاوت

مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود باسناد صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما حملة العرش ما بين أخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال الذين يحملون العرش ما بين سوق أحدهم الى مؤخر عينه خمسمائة عام وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وروى أن أرجلهن في الارض السابعة واضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت اليه وليس البيت للسكنى فكذلك العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق للعرش ولحملة العرش ولا تحيط به جهة وهو العلي العظيم وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ولما بلغ تعالى النهاية في تحذير العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسيء زاده عظما بقوله تعالى (يومئذ) أي اذ كان جميع ما تقدم (تعرضون) على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في أمرهم ليختار منهم المصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب عبر بالعرض عن الحساب الذي هو جزؤه والمحسن لا يكون له غير ذلك والمسيء يناقش (لا تخفى منكم) أي في ذلك اليوم على أحد بوجه من الوجوه وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية لان التأنيث مجازي والباقون بالتاء وهو ظاهر (خافية) أي من السرائر التي كان من حقها أن تخفى في دار الدنيا فانه عالم بكل شيء من اعمالكم ونظيره قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء قال الرازي والعرض للمبالغة في التهديد يعني تعرضون على من لا تخفى عليه خافية قال القرطبي هذا هو العرض على الله تعالى ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما به بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة وتقرير الاعمال عليهم للمجازاة قال صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله قال تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه) أي الذي أثبتت فيه أعماله (فيقول) لما رأى من سعادته تبجحا بحاله واظهارا النعمة ربه لان الانسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه الله تعالى من خير تكميلا للذته قيل انه تكتب سيئاته في باطن صحيفته وحسناته في ظاهرها فيقرأ الباطن ويقرأ الناس الظاهر فاذا انتهى قيل له قد غفرها الله تعالى اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله (هاؤم اقرؤا) أي خذوا اقرؤا (كتابيه) يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل فأين أبو بكر قال هيهات زفته الملائكة الى الجنة وقال ابن زيد معنى هاؤم تعالوا فيتعدى بالى وقال مقاتل هلم وقال غيره خذوا ومنه الحديث

في

(قوله ما بين الصلوات بالصغر والكبر وغيرهما كثير (قوله فارجع البصر) قال بعده ثم ارجع البصر كرتين قبل أي مع الكرة الاولى فتصير ثلاث مرات

فى الربا الاهاء وهاء اى يقول كل واحد لصاحبه خذ واهذا هو المشهور ولذلك فسرت به الآية الكريمة وقيل هى كلمة وضعت لاجابة الداعى عند الفرح والنشاط وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم ناداه أعرابى بصوت عال فاجابه النبى صلى الله عليه وسلم هاؤم بصولة صوته وقيل معناها اقصدوا وزعم هؤلاء انها مركبة من ها التنبيه وأموا أمر من الام وهو القصد فصيره التخفيف والاستعمال الى هاؤم وقيل الميم ضمير جماعة الذكور وزعم العتبى أن الهمزة بدل من الكاف قال ابن عادل فان عنى أنها تحل محلها فصحيح وان عنى البدل الصناعى فليس بصحيح

• (تنبيه) • كتابيه منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه أقرب العاملين والاصل كتابى فادخل الهاء لتبين صحة الياء والهاء فى كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه للسكت وكان حقها أن تحذف وصلا وتثبت وقفا وانما أجرى الوصل مجرى الوقف أو وصل بنية الوقف فى كتابيه وحسابيه اتفاقا فاثبت الهاء وكذا فى ماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة عند القراء كلهم الا حمزة فانه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاثة وصلا وأثبتها وقفا لانها فى الوقف يحتاج اليها لتحصين حركة الموقوف عليه وفى الوصل مستغنى عنها (فان قيل) فلم يفعل ذلك فى كتابيه وحسابيه (أجيب) بانه جمع بين اللغتين (انى ظننت) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى أيقنت وعلمت وقيل ظننت بان يؤاخذنى الله بسيآتى فقد تفضل على بعفوه ولم يؤاخذنى بها وقال الضحاك كل ظن من المؤمن فى القرآن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد رضى الله عنه ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن رضى الله عنه فى هذه الآية ان المؤمن أحسن الظن بربه فاحسن العمل وان المنافق أساء بربه الظن فاساء العمل (أنى ملاق) أى ثابت لى ثباتا لا ينفك أنى ألقى (حسابيه) أى فى الآخرة ولم ينكر البعث يعنى انه مانجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن ان الله تعالى يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله تعالى رجاءه وأمن خوفه فعلم الآن انه لا يناقش الحساب وانما حسابه بالعرض وهو الحساب اليسير فضلا من الله تعالى ونعمة (فهو فى عيشة) أى حالة من العيش وقوله تعالى (راضية) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه على النسب أى ذات رضا نحو لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر أى ثابت لها الرضا ودائم لها لانها فى غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن أكبر السعادات باكثر من العيشة الراضية بمعنى ان أهلها راضون بها والمعتبر فى كمال اللذة الرضا الثانى انه على اظهار جعل العيشة راضية لمحلها وحصولها فى مستحقها وانه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها الثالث قال أبو عبيدة والفراء ان هذا مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو ماء دافق بمعنى مدفوق كما جاء مفعول بمعنى فاعل كما فى قوله تعالى حجابا مستورا أى ساترا وقال صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا يموتون أبدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا أبدا ويشبون فلا يهرمون ابدا (فى جنة) أى بساتين جامعة لجميع ما يرادمنها (عالية) أى مرتفعة فى المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار وقوله تعالى (قطوفها) جمع كثرة لقطف بالكسر وهو فعل بمعنى مفعول كالذبح وهو ما يجنيه الجانى من الثمار وأما القطف بالفتح فالمصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف (دانية) أى قريبة المأخذ سهلة التناول جدا للراكب والقائم والقاعد والمضطجع كل ذلك على حد سواء دائما من غير انقطاع

والمشهور ان المراد بهذه التنبيه التكثير بدليل قوله ينقلب اليك البصر خاسئا أى ذليلا وهو حسير أى كليل وهذان الوصفان لا يتأتيان بنظرتين ولا

لا كلفة على أحد فى تناوله شيأ من ذلك وقوله تعالى (كلوا واشربوا) على اضمار القول أى يقال لهم ذلك وجمع الضمير للمعنى لان قوله تعالى فاما من أوتى كتابه يتضمن معنى الجمع وهذا أمر امتنان لا أمر تكليف (هنيئا) أى أكلا طيبا لذيذا شهيا مع البعد عن كل أذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا قرف ولا وهن ولا صداع ولا ثقل والباء فى قوله تعالى (بما أسلفتم) سببية وما مصدرية أو اسمية أى بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) أى الماضية فى الدنيا التى انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها وعن مجاهد رضى الله عنه أيام الصيام اى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية * ولما كانت العادة جارية بان اهل العرض ينقسمون الى مقبول ومردود وذكر سبحانه المقبول بادأ به تشويقا الى حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن حاله اتبعه المردود تنفيرا عن اعماله بما ذكر من قبائح احواله فقال تعالى (واما من اوتى كتابه) اى صحيفة حسابه (بشماله فيقول) اى لما يرى من سوء عاقبته التى كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها المار أى من قبائحه التى قدمها (يا ليتنى) تمنيا للمحال (لم اوت) اى من اى مؤت ما (كتابيه) اى هذا الذى ذكرنى خبائث اعمالى وعزفنى بجزاءها (ولم) اى ويا ليتنى لم (ادرما) حقيقة (حسابيه) من ذكر العمل وذكر جزائه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت فى الدنيا ثم يتمنى الموت ويقول (يا ليتها) أى الموتة الاولى وان لم تكن مذكورة لانها لظهورها كانت كالمذكورة (كانت القاضية) اى القاطعة لحياتى بان لا ابعث بعدها ولم القى ما وصلت اليه قال قتادة رضى الله عنه يتمنى الموت ولم يكن فى الدنيا عنده شئ اكره من الموت وشر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر

وشر من الموت الذى ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت اعظم

والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على وقوله (ما اغنى عنى ماليه) يجوز ان يكون نفيا تاسفا على فوات ما كان يرجو من نفعه والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز ان يكون استفهام توبيخ لنفسه حيث سولت له ما اثر له كل سوء وكل محال اى اى شئ اغنى ما كان لى من اليسار الذى منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله تعالى (هلك عنى سلطانيه) اى ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسرة الملقب بالعضد انه لما قال عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى ومعناه بطلت حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وذكر الضحاك ان الآية الاولى فى اخى الاسود عبد الله بن عبد الاسد المخزومى * ولما كان كانه قيل هذا ما قال فما يقال له اجيب بانه يقال للزبانية على رؤس الاشهاد (خذوه) اى ايها الزبانية الذين كان يستهزئ بهم عند سماع ذكرهم (فغلوه) اى اجمعوا ايديه الى عنقه ورجليه الى ورائه وقفاه الى ناصيته (ثم الجحيم) اى النار

بثلاث فاءات مكررات كثيرة كنظيره فى قوله تم ايمانكم وسعديك وحنانيك ودواليك وهذاذيك (قوله أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض)

قوله فناخسرة كذا بالنسخ والكشاف وكتب بهامشه ضبط بالقلم بفتح الفاء وتشديد النون وضم الخاء وسكون السين وفتح الراء وبعدها هاء وفى نسخة بواو بدلها والتلاعب بالالفاظ الاعجمية معروف قال المتنبى فما يسمى كفناخسر مسمى * ولا يكنى كفنا خسر كانى اه كتبه المصحح

أى النار العظمى التى يجحم على من يريد دفاعها و يجحم عنها من رآها لانها فى غاية الحر والتوقد والتغيظ والتشدد (صلوه) أى بالغوا فى تصليته اياها وكرروها بغمسه فى النار كالشاة المصلية مرة بعد أخرى لانه كان يتعاظم على الناس فناسب أن يصلى أعظم النيران وعبر أيضا باداة التراخى لعلو رتبة مدخولها فقال مؤذنا بعدم الخلاص وتقديم المفعول يفيد الاختصاص عند بعضهم ولذلك قال الزمخشرى ثم لاتصلوه الا الجحيم قال أبو حيان وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة اه لكن كلام النحاة لا يأبى ما قاله (ثم فى سلسلة) أى عظيمة جدا وقوله تعالى (ذرعها سبعون ذراعا) يحتمل أن يكون هذا العدد حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل من فيه وتخرج من دبره وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بينك و بين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن رضى الله عنه الله أعلم أى ذراع هو و يحتمل أن يكون مبالغة كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد والذى يدل على هذا ما رواه الترمذى وقال اسناده حسن عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها وعن كعب رضى الله عنه أنه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجارنا الله تعالى ومحبينا منها وجميع المسلمين فأشار سبحانه الى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى (فاسلكوه) أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك أى الحبل الذى يدخل فى ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه بان تلف قال الزمخشرى والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها و بين السلك فى السلسلة لا على تراخى المدة اه ولما ذكر سبحانه على الاجمال عقابه أتبعه أسبابه فقال تعالى (انه كان) أى جبلة وطبعا وان أظهر شيأ يلبس به على الضعفاء و يدلس على الاغبياء (لا يؤمن) أى الآن ولا فى مستقبل الزمان (بالله) أى الملك الاعلى الذى يعلم السر وأخفى (العظيم) أى الكامل العظم وهذا تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد أجيب بذلك وفى قوله تعالى (ولا يحض) أى يحث (على) بذل (طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحى حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الثانى بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام

ليس بتكرار مع قوله أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا لان الاول فى تخويفهم بخسف الارض بهم والثانى فى تخويفهم بالحصب من السماء

المسكين * ولما وصفه سبحانه بأقبح العقائد وأشنع الرذائل تسبب عنه قوله تعالى (فليس له اليوم ههنا) أى فى مجمع القيامة كله (حميم) أى صديق خالص يحميه من العذاب لانهم كلهم له أعداء كما أنه كان لا يرق على الضعفاء الماهم فيه من الاقلال من حطام الاموال (ولا طعام الا من غسلين) أى غسالة أهل النار وصديدهم وقيحهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) أى أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون لا من الخطأ المضاد للصواب وهذا الطعام يغسل ما فى بطونهم من الاعيان والمعانى التى بها قوام صاحبها وهى بمنزلة ما كانوا يشحون من أموالهم التى أبطنوها وادخروها فى خزائنهم واستأثروا بها على الضعفاء (فلا أقسم) أى لا يقع منى اقسام (بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها أى بكل الموجودات واجبها وجائزها معقولها ومحسوسها الانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة لان الامر أوضح من أن يحتاج الى اقسام وان كنت أقسم فى غير هذا الموضع بما شئت ولو قيل بهذا فى الواقعة لكان حسنا وقيل لا زائدة وجرى على ذلك الجلال المحلى (انه) أى القرآن (لقول) أى تلاوة (رسول) أى أنا أرسلته به وعنى أخذه وليس فيه شئ من تلقاء نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا أنا شاهد بها بما له من الاعجاز الذى يشهد أنه كلامى (كريم) أى على الله تعالى فهو فى غاية الكرم الذى هو البعد من مساوى الاخلاق باظهار معاليها الشرف النفس وشرف الآباء وهو محمد صلى الله عليه وسلم وكرم الشئ اجتماع الكمالات فيه اللائقة به وقيل هو جبريل عليه السلام قاله الحسن والكلبى رضى الله عنهما لقوله تعالى رسول كريم ذى قوة واستدل للاول بقوله تعالى (وما هو بقول شاعر) أى يأتى بكلام مقفى موزون بقصد الوزن قال مقاتل رضى الله عنه سبب نزول هذه الآية أن الوليد بن المغيرة قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد الله تعالى عليهم بذلك (فان قيل) كيف يكون كلام الله تعالى ولجبريل عليه السلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم (أجيب) بأن الاضافة يكفى فيها أدنى ملابسة فالله سبحانه وتعالى أظهره فى اللوح المحفوظ وجبريل عليه السلام بلغه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بلغه للامة (قليلا ما تؤمنون) منصوب نعتا لمصدر أو زمان محذوف أى ايمانا قليلا أو زمانا قليلا والناصب يؤمنون وما مزيدة للتأكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه يؤمنون وما يحتمل أن تكون نافية فينتفى ايمانهم البتة ويحتمل أن تكون مصدرية ويتصف بالقلة فهو الايمان اللغوى لا الشرعى لانهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا تغنى عنهم شيأ وهو اخلاصهم بالوحدانية عند الاضطرار وافرادهم الخالق بالخلق والربوبية (ولا بقول كاهن) وهو المنجم الذى يخبر عن الاشياء وأغلبها ليس له صحة وقوله تعالى (قليلا ما تذكرون) يأتى فيه ما تقدم فى قليلا ما تؤمنون وقال البغوى أراد بالقليل نفى اسلامهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد ما تأتينا أصلا وقرأ قليلا ما يؤمنون قليلا ما يذكرون ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية فيهما والباقون بالفوقية وخفف الذال حمزة والكسائى وحفص وشددها الباقون وقوله تعالى (تنزيل) خبر لمبتدإ مضمر أى هو تنزيل على وجه التنجيم قال البقاعى وأشار الى الرسالة الى جميع الخلق من أهل السموات والارض

وقدم الاول لان الارض التى جعلها الله مقرا لهم وعبدوا فيها غيره أقرب اليهم من السماء البعيدة عنهم (ان قلت) كيف من فى السماء مع انه تعالى

بقوله تعالى (من رب العالمين) أى موجدهم ومدبرهم بالاحسان اليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذى رباهم به ورتب سبحانه نظمه على وجه سهل على كل منهم يكفى فى هدايته اه وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم أرسل للملائكة وهو الذى ينبغى وان لم يكونوا مكلفين تشريفا لهم زيادة فى شرفه بارساله صلى الله عليه وسلم اليهم (ولو تقول) أى كلف نفسه أن يقول مرة من الدهر كذبا (علينا) أى على مالنا من العظمة (بعض الاقاويل) أى التى لم نقلها أو قلناها ولم نأذن له فيها قال الزمخشرى التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسمى الاقوال المتقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله أو لم نأذن له فى قوله (لاخذنا) أى لنلنا (منه) أى عقابا (باليمين) أى بالقوة والقدرة * (تنبيه) * الباء على أصلها غير مزيدة والمعنى لاخذناه بقوتنا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون منه فى حكم الزائدة واليمين هنا مجاز عن القوة والغلبة فان قوة كل شئ فى ميامنه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم ومنه قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وقال أبو جعفر الطبرى هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس فى الاخذ بيد من يعاقب ويجوز أن تكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليمين الجارحة كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف فى جيده مواجهة وهو أشد عليه وقال الحسن رضى الله عنه لقطعنا يده اليمنى وقال الزمخشرى المعنى ولو ادعى علينا شيأ لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده فتضرب رقبته وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذه بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه اه وقال نفطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدى ومقاتل رضى الله عنهما المعنى انتقمنا منه بالحق واليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تأتوننا عن اليمين أى من قبل الحق (ثم لقطعنا) أى بما لنا من العظمة قطعا يتلاشى عنده كل قطع (منه الوتين) أى نياط القلب وهو يتصل به من الرأس اذا انقطع مات صاحبه قال أبو زيد وجمعه الوتن وثلاثة أوتنة والموتون الذى قطع وتينه وقال الكلبى هو عرق بين العلباء والحلقوم وهما علباوان بينهما العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر وقال مجاهد رضى الله عنه هو حبل القلب الذى فى الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وقال محمد بن كعب رضى الله عنه انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة رضى الله عنه ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرف ولا ان شبع عرف وقيل الوتين من مجمع الوركين الى مجمع الصدر بين الترقوتين ثم تنقسم منه سائر العروق الى سائر الجسد ولا يمكن فى العادة الحياة بعد قطعه وقال ابن قتيبة لم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد أنه لو كذب لامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى والابهر عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا أوان يقتلنى السم وحينئذ صرت كمن انقطع أبهره (فما منكم) أى أيها الناس وأغرق فى النفى

ليس فيها ولا فى غيرها بل هو تعالى منزه عن كل مكان (قالت) المعنى من ملكوته فى السماء التى هى مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه واللوح

فقال (من أحد عنه) أي القتل (حاجزين) أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك و يدفعه عنه أو الرسول صلى الله عليه وسلم اى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه و بينه *(تنبيه)* من احد اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد وعنه حاجزين خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للقتل أو النبي كما مر (وانه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) أي لانهم المنتفعون به لاقبالهم عليه اقبال مستفيد (وانا) أي بما لنا من العظمة (لنعلم) أي علما عظيما محيطا (أن منكم) اى أيها الناس (مكذبين) بالقرآن ومصدقين فانزلنا الكتب وأرسلنا الرسل لنظهر منكم الى عالم الشهادة ما كنا نعلم في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون بذلك الثواب والعقاب فلذلك وجب في الحكمة أن نعيد الخلق الى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازي كلا بما يليق به اظهارا للعدل (وانه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين) اى اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وانه) أي القرآن أو الجزاء يوم الجزاء (لحق اليقين) ى الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما هو كقولك عين اليقين ومحض اليقين (فسبح) اى أوقع التنزيه الكامل عن كل شائبة نقص (باسم) اى بسبب علمك بصفات (ربك) اى الموجد والمربي لك والمحسن اليك بانواع الاحسان (العظيم) اى الذي ملأت الاقطار كلها عظمته وزادت على ذلك بما شاءه سبحانه مما لا تسعه العقول وقال ابن عباس رضي الله عنهما اى فصل لربك العظيم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية ومائتان وست عشرة كلمة وألف وأحد وستون حرفا

(بسم الله) اى الذي تقطع الاعناق والآمال دون علياته (الرحمن) الذي لا مطمع لاحد في حصر اوصافه (الرحيم) الذي اصطفى من عباده من وفقه فكان من أوليائه (سأل سائل) اى دعا داع (بعذاب واقع) فضمن سأل معنى دعا فلذلك عدى تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى فاسأل به خبيرا اى عنه اى سأل سائل عن عذاب واقع والاول اولى لان التجوز في الفعل اولى منه في الحرف لقوته واختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر بن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزل سؤله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن أبي معيط ولم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو الحرث بن النعمان وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وأن نصلي خمسا ونزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شيء منك أم من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا

المحفوظ وفيها تنزل أقضيته وكتبه

(سورة ن)

(قوله ن والقلم) يأتي فيهما ما مر في سورة ص لكن جواب القسم هنا مذكور

بعذاب أليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقال الربيع هو أبو جهل وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب الكافرين ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك فاصبر صبرا جميلا أي لا تستعجل فانه قريب وقرأ نافع وابن عامر بغير همز بعد السين والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين * (تنبيه) * ما تقدم من الوجهين في كون سأل ضمن أو أن الباء بمعنى عن هو على القراءة بالهمز وأما على عدمه ففيه وجهان أحدهما أنه لغة في السؤال يقال سال يسال كخاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهي من لغة قريش والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقوله تعالى (للكافرين) فيه أوجه أحدها أنه يتعلق بسأل مضمنا معنى دعا كما مر أي دعا لهم بعذاب واقع الثاني انه يتعلق بواقع واللام للعلة أي نازل لاجلهم الثالث أن يتعلق بمحذوف صفة ثانية لعذاب أي كائن للكافرين الرابع أن يكون جوابا للسائل فيكون خبر مبتدا مضمر أي هو للكافرين الخامس أن تكون اللام بمعنى على أي واقع على الكافرين (ليس له) أي بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل (دافع) يرده وقوله تعالى (من الله) أي الملك الاعلى الذي لا كفؤ له يجوز أن يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته لتعلق ارادته به وأن يتعلق بواقع وبه بدأ الزمخشري أي واقع من عنده (ذي المعارج) أي المصاعد وهي الدرجات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يترقى فيها المؤمنون في سلوكهم أو في دار ثوابهم أو مراتب الملائكة او السموات قال ابن عباس رضي الله عنهما أي ذي السموات سماها معارج لانها معارج الملائكة لان الملائكة يعرجون فيها فوصف نفسه بذلك أو ذي العلو والدرجات الفواضل والنعم لانها تصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة والعلا وقيل المعارج الغرف أي انه ذو الغرف أي جعل لاوليائه الجنة غرفا وقرأ (تعرج الملائكة) الكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية وأدغم جيم المعارج في تاء تعرج هنا السوسي واستضعف بعضهم ذلك من حيث ان مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء وأجيب عن ذلك بان الادغام يكون لمجرد الصفات وان لم يتقاربا في المخرج والجيم تشارك التاء في الاستفال والانفتاح والشدة والجملة من تعرج مستأنفة وقوله تعالى (والروح) من عطف الخاص على العام ان أريد بالروح جبريل عليه السلام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك أو ملك آخر من جنسهم عظيم الخلقة وقال أبو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذؤيب انه روح الميت حين يقبض (اليه) أي مهبط أمره من السماء وقيل هو كقول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي أي الى الموضع الذي أمرني به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج أو بواقع قوله تعالى (في يوم) أي من ايامكم وبين عظمه بقوله تعالى (كان) أي كونا هو في غاية الثبات (مقداره) أي لو كان الصاعد فيه ادميا (خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا وذلك أن تصعد من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة روى عن مجاهد رضي الله عنه أن مقدار هذا خمسين ألف سنة وقال محمد بن

وفي وهو الجملة المنفية جوابه خلاف يعرف مما مر ثم (قوله ويدعون الى السجود) اي توبيخا وتعنيفا لهم على تركه في الدنيا لا تكليفا وتعبدا

اسحق لو سار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة وقتادة رضى الله عنهما هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنى الدنيا ليس يعنى به أن مقدار طوله هكذا دون غيره لان يوم القيامة ليس له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقيل معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله تعالى لم يفرغ منه فى خمسين ألف سنة قال عطاء رضى الله عنه ويفرغ الله تعالى فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقيل فيه خمسون موطنا على الكافر كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر وروى عن الكلبى انه قال يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك الملائكة والانس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه فى ساعة من النهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتأخير كانه قال ليس له دافع من الله ذى المعارج فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح اليه (فان قيل) كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فى سورة السجدة فى يوم كان مقداره ألف سنة (أجيب) بانه يحتمل أن من أسفل العالم الى أعلى العرش خمسين ألف سنة ومن أعلى سماء الدنيا الى الارض الف سنة لان عرض كل سماء خمسمائة سنة وما بين أسفل الى قرار الارض خمسمائة فقوله فى يوم من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا ومقدار خمسين ألف سنة لو صعدوا الى أعلى العرش وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) متعلق كما قال الرازى بسأل سائل لان استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر والمعنى جاء العذاب اقرب وقوعه فاصبر على أذى قومك والصبر الجميل هو الذى لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله تعالى وقيل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى من هو وقال ابن زيد والكلبى رضى الله عنهم هذه الآية منسوخة بالامر بالقتال (انهم) أى الكفار (يرونه) أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه (بعيدا) أى زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن أو يفعلون أفعال من يستبعده (ونراه) أى لما لنا من العظمة التى قضت بوجوده وهو علينا هين (قريبا) سواء أريد بذلك قرب الزمان أو قرب المكان فهو هين على قدرتنا وهو آت لا محالة وكل آت قريب والقريب والبعيد عندنا على حد سواء وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يوم تكون السماء) متعلق بمحذوف أى يقع فيه من الاهوال (كالمهل) أى كدردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كالفضة البيضاء فى تلونها (وتكون الجبال) أى التى هى أشد الارض وأثقل ما فيها (كالعهن) أى كالصوف فى الخفة والطيران بالريح وقيل أول ما تتفرق الجبال تصير رملا ثم عهنا منفوشا ثم هباء منثورا منبثا (ولا يسئل) أى من شدة الاهوال (حميم حميما) اى قريب فى غاية القرب والصداقة قريبا مثله عن شئ من الاشياء لفرط الشواغل ولانه قد كشفت

اذ لا تكليف فى الآخرة (قوله وقد كانوا يدعون الى السجود) اى الصلاة وهم سالمون اى صحيحون (ان قلت) الصحة ليست شرطا فى وجوب الصلاة (قلت)

لهم انه لا تغني نفس عن نفس شيأ وانه قد تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب وعلم انه لا عز
الا بالتقوى (يبصرونهم) أي يبصرهم بهم مبصر فلا يخفى أحد على أحد وان بعد مكانه (يود
المجرم) أي يتمنى الكافر أو هذا النوع سواء كان كافرا ام مسلما عاصيا علم أنه يعذب بعصيانه
(لو) بمعنى أن (يفتدى) أي يفدى نفسه (من عذاب يومئذ) أي يوم اذ كانت هذه المخاوف
وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم والباقون بكسرها (ببنيه) أي باقرب الناس اليه وأعلقهم
بقلبه لشدة مايرى * ولما ذكر ألصق الناس بالفؤاد وأعزهم يلزمه نصره والذب عنه أتبعه
ما يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالى (وصاحبته) أي زوجه التي يلزمه الذب عنها الاسيما عند
العرب من أقبح العار ولكونه دائما معها * ولما ذكر الصاحبة لما لها من تمام الوصلة أتبعها
الشقيق الذي هو عليه شفيق بقوله تعالى (وأخيه) أي الذي له به النصرة على من يريد قال
الشاعر   أخاك أخاك ان من لا أخاله * كساع الى الهيجا بغير سلاح
* ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكرهم بقوله تعالى (وفصيلته)
أي عشيرته الذين هم أقرب من فصل عنه وقال ثعلب الفصيلة الآباء الادنون وقال أبو عبيدة
رضي الله عنه الفخذ وقال مجاهد وابن زيد رضي الله عنهم عشيرته الاقربون (التي تؤويه) أي
تضمه اليها عند الشدائد وتحميه لانه أقرب الناس اليها وأعزهم عليها * ولما خصص عمم بقوله
تعالى (ومن في الارض) أي من الثقلين وغيرهم سواء أكان فيهم صديق لاصبر عنه ولا بد في كل
حال منه أم لا ثم أكد ذلك بقوله تعالى (جميعا) وقوله تعالى (ثم ينجيه) أي ذلك الافتداء عطف
على يفتدي وقوله تعالى (كلا) رد وردع وزجر لما يوده وقال القرطبي وانها تكون بمعنى حقا
وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت
بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اذ ليس من عذاب الله افتداء * ولما كان الاضمار قبل الذكر
لتعظيم ذلك المضمر أشار الى أنه مستحضر في الذهن لا يغيب قال تعالى (انها) أي النار وان لم
يجر لها ذكر لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل مبهم يفسره قوله تعالى (لظى)
أي ذات اللهب الخالص المتناهي في الحر اسم لجهنم تتلظى اى تتوقد فتأكل بسببه بعضها
بعضا ان لم تجد ما تأكله وتأكل كل ما وجدته كائنا ما كان وقوله تعالى (نزاعة للشوى) جمع شواة
وهي جلدة الرأس أي شديدة النزع لجلود الرؤس وقال في القاموس الشوى اليدان والرجلان
والاطراف وقحف الرأس وما كان غير مقتل اهـ وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص والحال
المؤكدة والمستقلة على ان لظى متلظية والباقون بالرفع على أنها خبر ان (تدعوا من أدبر
وتولى) عن الايمان تقول الي يا مشرك الي يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب
* ولما كانت الدنيا والآخرة ضرتين فكان الاقبال على احدهما دالا على الاعراض عن
الاخرى قال تعالى دالا على ادباره بقلبه (وجمع) أي كل ما كان منسوبا الى الدنيا (فأوعى) أي
جعل ما جمعه في وعاء وكنزه حرصا وطول أمل ولم يعط حق الله تعالى منه فكان همه الاعطاء
لا اعطاء ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا واعراضا عن الآخرة وقرأ لظى وللشوى وتولى
فأوعى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون
بالفتح (ان الانسان) أي الجنس عبر به لما له من الانس بنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه
ولدينه (خلق هلوعا) أي جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع وهو أفحش الجزع مع شدة الحرص

المراد الخروج الى الصلاة في جماعة مشروط بالصحة

* (سورة الحاقة) *
(قوله بريح صرصر) انما لم يقل صرصرة كما قال عاتية مع ان الريح مؤنثة

وقلة الصبر والشح على المال والسرعة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه الحريص على ما لا يحل له وروى عنه أن تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه) اى ادنى مس (الشر) اى هذا الجنس وهو ما تطاير شرره من الضرر (جزوعا) اى عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين ويتفتت (واذا مسه) كذلك (الخير) أى هذا الجنس وهو ما يلائمه فيجمعه من السعة فى المال وغيره من انواع الرزق (منوعا) اى مبالغا فى الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر وصبر (فان قيل) حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه (اجيب) بانه انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والواجب عليه أن يكون شاكرا راضيا فى كل حال وقوله تعالى (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات الآتية من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل مضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار العاجل على الآجل وتلك ناشئة عن الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها (الذين هم) اى بكلية ضمائرهم وظواهرهم (على صلاتهم) اى التى هى معظم دينهم وهى النافعة لهم لا لغيرهم بما افادته الاضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع الا أن معظم المقصود الفرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات فى قوله تعالى (دائمون) اى لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن ومنه نهى عن البول فى الماء الدائم اى الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها (فان قيل) كيف قال تعالى على صلاتهم دائمون وقال تعالى فى موضع آخر على صلواتهم يحافظون (اجيب) بان دوامهم عليها أن لا يتركوها فى وقت ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى تأتى على اكمل الوجوه من المحافظة على شرائطها والاتيان بها فى الجماعة وفى المساجد الشريفة وفى تفريغ القلب عن الوسواس والرياء والسمعة وان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول اوقات الصلاة * ولما ذكر تعالى زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها فقال تعالى مبينا للرسوخ فى الوصف بالعطف بالواو (والذين فى اموالهم) التى من الله سبحانه بها عليهم (حق معلوم) اى من الزكوات وجميع النفقات الواجبة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق (للسائل) اى الذى يسأل (والمحروم) اى الذى لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بناره فى ليله ونهاره ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته وسره الا الى افاضة مدامعه بذلة وانكسار وهذا من الله تعالى حث على تفقد ارباب الضرورات ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى وقد كان للسلف الصالح فى هذا قصب السبق حكى عن زين العابدين انه لما مات وجد فى ظهره آثار سواد كانها السيور فعجبوا منها فقال بعد موته نسوة ارامل كان شخص يأتى الينا ليلا بقرب الماء على ظهره واجربة الدقيق ففقدناه واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك السيور من ذلك وحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ان شخصا رآه ماشيا فى زمن خلافته فى الليل فتبعه فجاء الى بيت

لان الصرصر وصف مختص بالريح فاشبه باب حائض وطامث وحامل بخلاف عاتية فان غير الريح من الاسماء المؤنثة يوصف به (قوله فترى القوم فيها صرعى)

نسوة أرامل فقال أعندك من ماء والا املأ لكن فاعطيته جرة فاخذها وذهب فملأها على كتفه وأتى بها اليهن والحكايات عنهم فى هذا كثيرة (والذين يصدقون) اى يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه كل وقت (بيوم الدين) اى الجزاء الذى مامثله يوم وهو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه على النقير والقطمير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالاعمال الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال وأما المصدقون بمجرد الاقوال فلهم الوبال وان أنفقوا أمثال الجبال (والذين هم) اى بجميع ضمائرهم وظواهرهم (من عذاب ربهم) اى المحسن اليهم لامن عذاب غيره فان المحسن أولى بان يخشى ولو من قطع احسانه (مشفقون) اى خائفون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من أن يعذبهم فى الآخرة أو فى الدنيا أو فيهما فهم لذلك لا يفعلون الامايرضيه سبحانه (ان عذاب ربهم) اى الذى هم مغمورون باحسانه وهم عارفون بانه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان (غير مأمون) اى لا ينبغى لاحد أن يأمنه بل يجوز أن يحل به وان بالغ فى الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له أن يفعل ماشاء ومن جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته غاية الابعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم) اى ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم (لفروجهم) اى سواء كانوا ذكورا أم اناثا (حافظون) اى حفظا ثابتا دائما عن كل مانهى الله تعالى عنه (الا على أزواجهم) اى من الحرائر بعقد النكاح وقدمهن لشرفهن وشرف الولد بهن ثم أتبعه قوله تعالى (أو ماملكت أيمانهم) اى من السرارى اللاتى هى محل الحرث والنسل واللاتى هن أقل عقلا من الرجال ولهذا عبر بما التى هى فى الاغلب لغير العقلاء وفى ذلك اشارة الى اتساع النطاق فى احتمالهن (فانهم) اى بسبب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة الحجاب من أجل ذلك (غير ملومين) اى فى الاستمتاع بهن من لائم ما كائنا من كان عليه البناء للمفعول فهم يصحبونهن للتعفف وصون النفس وابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله تعالى واكتفى فى مدحهم بنفى اللوم لاقباله على تحصيل ماله من المرام (فمن ابتغى) اى طلب وعبر بصيغة الافتعال لان ذلك لا يقع الاعن قبال عظيم من النفس واجتهاد فى الطلب وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (وراء ذلك) اى شيأ من هذا خارجا عن هذا الامر الذى أحله الله تعالى له والذى هو أعلى المراتب فى أمر النكاح وقضاء اللذة وأحسنها وأجملها (فأولئك) اى الذين هم فى الحضيض من الدناءة وغاية البعد عن مواطن الرحمة (هم) اى بضمائرهم وظواهرهم (العادون) اى المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه (والذين هم لأماناتهم) اى من كل ما ائتمنهم الله تعالى عليه من حقه وحق غيره وقرأ ابن كثير بغير ألف بعد النون على التوحيد والباقون بالالف على الجمع (وعهدهم) اى ما كان من الامانات بربط وتوثيق (راعون) اى حافظون لها معترفون بها على وجه نافع غير ضار (والذين هم) اى بغاية مايكون من توجه القلوب (بشهاداتهم) التى شهدوا بها أو يستشهدون بها بطلب أو غيره وتقديم المعمول اشارة الى أنهم فى فرط قيامهم ومراعاتهم لها كأنهم لاشاغل لهم سواها (قائمون) اى يتحملونها او يؤدونها على غاية التمام والحسن أداء من هو متهيئ لها واقف فى انتظارها وقرأ حفص بألف بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الانواع والباقون بغير ألف

فيها اى فى تلك الليالى والايام متعلق ببصرى لا بترى والرؤية علمية لا بصرية لانه صلى الله عليه وسلم ما أبصرهم ببصرى فيها ولا يراهم فصار المعنى

على التوحيد اذ المراد الجنس قال الواحدى والافراد أولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وان أضيف الى الجمع كصوت الحمير قال أكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بشهاداتهم أن الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله (والذين هم على صلاتهم) اى من الفرض والنفل (يحافظون) اى يبالغون فى حفظها ويجددونه حتى كانهم يبادرونها الحفظ ويسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم ويسابقون غيرهم فى حفظها وتقدم ان المداومة غير المحافظة فدوامهم عليها محافظتهم على أوقاتها وشروطها وأركانها ومستحباتها فى ظواهرها وبواطنها من الخشوع والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التى اذا فعلوها كانت ناهية لفاعلها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فتحمل على جميع هذه الاوامر وتبعد عن اضدادها فالدوام يرجع الى نفس الصلاة والمحافظة الى أحوالها ذكره القرطبى * ولما ذكر تعالى خلالهم أتبعه ما أعطاهم فقال عز من قائل مستأنفا أو منتجا من غير فاء اشارة الى أن رحمته هى التى أوصلتهم الى ذلك من غير سبب منهم فى الحقيقة (أولئك) اى الذين فى غاية العلو لما لهم من الاوصاف العالية (فى جنات) اى فى الدنيا والآخرة أما فى الآخرة فواضح وأما فى الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه باتعاب أنفسهم فى هذه الاوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بمباشرتها الذاذات من أنس القرب وحلاوة المناجاة لا يساويها شئ أصلا والجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفى عنه جميع المكروهات والشرور وضدها النار وزادهم على ذلك بقوله تعالى (مكرمون) معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الاكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره لانه سبحانه قضى بان يعلى مقدارهم فيكرمهم بانواع الكرامات فيتلقاهم بالبشرى حين الموت وفى قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم الى دخولهم الى قصورهم هذا حال المؤمنين وأما حال الكافرين فقال الله تعالى فى حقهم (فما للذين كفروا) وقف أبو عمرو على الالف بعد الميم والكسائى يقف على الالف وعلى اللام ووقف الباقون على اللام وأما الابتداء فالجميع يبتدؤن أول الكلمة أى أى شئ من السعادات للذين ستروا ما فى عقولهم عن الاقرار بمضمون هذا الكلام الذى هو أوضح من الشمس حال كونهم (قبلك) اى نحوك ايها الرسول الكريم وفيما أقبل عليك (مهطعين) اى مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك فى غاية العجب من مقالك هيئة من يسعى الى أمر لا حياة له بدونه (عن) اى متجاوزين اليك مكانا عن جهة (اليمين) اى منك حيث يتيمنون به (وعن الشمال) اى منك وان كانوا يتشاءمون به وقوله تعالى (عزين) حال من الذين كفروا وقيل من الضمير فى مهطعين فيكون حالا متداخلة اى جماعات جماعات وحلقا حلقا متفرقين فرقا شتى أفواجا لا يتهلون لما أتوا جمع عزة وأصلها عزوة لان كل فرقة تعتزى الى غير ما تعتزى اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

وجمع عزة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزؤن خمسة أرهط روى ان المشركين كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه ويقولون ان

فيما لهم مصرعين فيها بأعلا منا حتى كانك تشاهدهم (قوله فاذا نفخ فى الصور الى قوله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) ان قلت كيف قال ذلك مع ان المراد

دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فنحن ندخلها قبلهم فرد الله تعالى عليهم بقوله عز من قائل (أيطمع) اى هؤلاء البعداء البغضاء وعبر بالطمع اشارة الى أنهم بلغوا الغاية فى السفه لكونهم طلبوا أعز الاشياء من غير سبب تعاطوه ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال تعالى (كل امرئ منهم) اى على انفراده (أن يدخل) اى وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوى المسىء والمحسن (جنة نعيم) اى لاشئ فيها غير النعيم وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن طمعهم ودخولهم الجنة اى لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن فارغ لاسبب له يعادل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انا خلقناهم) اى بالقدرة التى لا يقدر أحد أن يقاومها (مما يعلمون) اى انهم يعلمون أنهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزؤن بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون اى من القذر وهو منصبهم الذى لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر ويدعون التقدم ويقولون ندخل الجنة قبلهم قال قتادة فى هذه الآية انما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله وروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبى صفرة يتبختر فى مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التى يبغضها الله تعالى فقال له أتعرفنى قال نعم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته * (فائدة) * قال ابن عربى فى الفتوحات خلق الله الناس على أربعة أقسام قسم لامن ذكر ولا من أنثى وهو آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من أنثى فقط وهو عيسى عليه السلام وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا) زيدت فيه لا (أقسم برب) اى سيد ومبدع ومدبر (المشارق) اى التى تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة كل يوم فى موضع منها على المنهاج الذى دبره والطريق والقانون الذى أتقنه وسخره ستة أشهر صاعدة وستة أشهر هابطة (والمغارب) كذلك وهى التى ينشأ عنها الليل والنهار والفصول الاربعة فيكان بها اصلاح العالم بمعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فيوجد كل من الملوين بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه تعالى قادر على الايجاد والاعدام لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما كما قال تعالى (انا) اى على مالنا من العظمة (لقادرون على أن نبدل) اى تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم (خيرا منهم) اى بالخلق أو بتحويل الوصف فيكونون أشد بطشا فى الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وجاها وخدما فيكونون عندك على قلب واحد فى سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعى فى كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان بالسعة فى الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكين فى الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا فى مرضاته الانفس والاموال (وما نحن بمسبوقين) اى

بهذه النفخة النفخة الاولى وهى نفخة الصعق والعرض انما يكون بعد النفخة الثانية وبين النفختين زمن طويل (قات) المراد باليوم الوقت الواسع

لا يفوتنا شئ ولا يعجزنا أمر نريده بوجه من الوجوه (فذرهم) اى اتركهم ولو على أسوا أحوالهم (يخوضوا) اى فى باطلهم من مقالهم وفعالهم (ويلعبوا) اى يفعلوا فى دنياهم فعل اللاعب الذى لافائدة لفعله الاضياع الزمان واشتغل أنت بما أمرت به (حتى يلاقوا) اى يلقوا (يومهم الذى يوعدون) وهو يوم كشف الغطاء الذى أول مجيئه عند الغرغرة وتناهيه النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره ومحل استقراره وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قاله البقاعى وابن عادل وقوله تعالى (يوم يخرجون) يجوز أن يكون بدلا من يومهم أو منصوبا باضمار أعنى (من الاجداث) اى القبور التى صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع الحوافر والخف فهم بحيث لا يدفعون شيأ يفعل بهم بل هم كلحم فى فم ماضغ فان الجدث القبر والجدثة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم وقوله تعالى (سراعا) اى نحو صوت الداعى ذاهبين الى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف فى ظريف وقرأ قوله تعالى (كأنهم الى نصب) ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون بفتح النون واسكان الصاد على انه مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عينى وضرب الامير والنصب كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) اى يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الى نصب أى الى غاية وهى التى ينتصب اليها بصرك وقال الكلبى هو شئ منصوب علم أو راية وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله تعالى لا يلوى أولهم على آخرهم وقوله تعالى (خاشعة) حال اما من فاعل يوفضون وهو أقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد الحال لذى حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى (ترهقهم) اى تغشاهم فتعمهم وتحمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الاسراع عليهم (ذلة) اى ضد ما كانوا عليه فى الدنيا لان من تعزز فى الدنيا على الحق ذل فى الآخرة ومن ذل للحق فى الدنيا عز فى الآخرة (ذلك) اى الامر الذى هو فى غاية ما يكون من علو الرتبة فى العظمة (اليوم الذى كانوا يوعدون) اى يوعدون فى الدنيا ان لهم فيه العذاب وأخرج الخبر بلفظ الماضى لان ما وعد الله تعالى به فهو حق كائن لا محالة وهذا هو العذاب الذى سأل عنه أول السورة فقد رجع آخرها على أولها وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حديث موضوع

سورة نوح عليه السلام مكية

وهى سبع وعشرون ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

(بسم الله) ذى الجلال والاكرام (الرحمن) الذى عم بما أفاضه من ظاهر الانعام (الرحيم) الذى حفظ أولياءه من الابتداء الى الختام ولما ختمت سأل بالانذار للكفار وكانوا عباد أوثان بعذاب الدنيا والآخرة أتبعها أعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح

عليه

الذى يقع فيه النفختان وما بعدهما (قوله انى ظننت أنى ملاق حسابيه (ان ذات) كيف عبر بانه يظن ذلك مع انه يعلمه (قلت) الظن يطلق بمعنى العلم كما فى قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون (قوله

عليه السلام فقال تعالى (انا) اى بما لنا من العظمة البالغة (أرسلنا نوحا الى قومه) أى الذين
كانوا فى غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم بصدد أن يجيبوه و يكرموه لما بينهم من
القرب بالنسب واللسان وكانوا جميع أهل الارض من الآدميين روى قتادة عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول نبى أرسل نوح عليه السلام
وأرسل الى جميع أهل الارض ولذلك لما كفروا أغرق الله تعالى أهل الارض جميعا وهو نوح
ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن أنوش بن قينان بن شيث بن
آدم عليه السلام قال وهب وكل مؤمنون أرسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما وهو ابن أربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلثمائة
وخمسين سنة و يجوز فى قوله تعالى (أن أنذر) اى حذر تحذيرا عظيما (قومك) اى الاستمرار
على الكفر أن تكون أن مفسرة فلا يكون لها موضع من الاعراب لان فى الارسال معنى
الامر فلا حاجة الى اضمار و يجوز أن تكون المصدرية اى أرسلناه بالانذار وقال الزمخشرى
والمعنى أرسلناه بان قلنا له أنذر قومك اى أرسلناه بالامر بالانذار اه وهذا الذى قدره جواب
عن سؤال وهو ان قولهم ان أن المصدرية يجوز أن توصل بالامر مشكل لانه ينسبك منها
ومما بعدها مصدر وحينئذ فتفوت الدلالة على الامر ألا ترى أنك اذا قدرت كتبت اليه بان
قم كتبت اليه القيام تفوت الدلالة على الامر حال التصريح بالمصدر فينبغى أن يقدر كما قاله
الزمخشرى أى كتبت اليه بان قلت له قم اى كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبى أى بأن
أنذر قومك (من قبل أن يأتيهم) اى على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة (عذاب أليم) اى
عذاب الآخرة أو الطوفان (قال) اى نوح عليه السلام (يا قوم) فاستعطفهم بتذكيرهم انه
أحدهم يهمه ما يهمهم (انى لكم نذير) اى مبالغ فى انذاركم (مبين) اى أمرى بين فى نفسه
بحيث انه صار فى شدة وضوحه كانه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد والفطن
والغبى و يجوز فى قوله تعالى (أن اعبدوا الله) اى الملك الاعظم الذى له جميع الكمال أن
تكون أن تفسيرية لنذير وأن تكون مصدرية والكلام فيها كما تقدم فى أختها وقرأ أبو
عمرو وعاصم وحمزة فى الوصل بكسر النون والباقون بالضم والمعنى وحدوا الله (واتقوه) اى
اجعلوا بينكم و بين غضبه وقاية تقيكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا
حركة ولا تسكنوا سكنة الا فى طاعته وهذا هو العمل الواقى من كل سوء (وأطيعون) اى
لاعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم
وأدلكم على اجتلاب آداب تهديكم واجتناب شبه ترديكم ففى طاعتى فلاحكم برضا الملك
عنكم وقوله (يغفر لكم) جواب الامر وفى من فى قوله (من ذنوبكم) أوجه أحدها أنها
تبعيضية الثانى أنها لابتداء الغاية الثالث أنها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفى
ورد بان مذهبهم ليس ذلك لانهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره والاخفش
لا يشترط شيأ فالقول بزيادتها هنا ماش على قوله لا على قولهم قاله القرطبى وقيل لا يصح كونها
زائدة لان من لا تزاد فى الموجب وانما هى هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق
بحقوق المخلوقين (و يؤخركم) اى بلا عذاب تأخيرا ينفعكم (الى أجل مسمى) اى قد سماه

فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين) (ان قلت) ما التوفيق بينه و بين قوله فى محل آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وفى آخر ان شجرة الزقوم

الله تعالى وعلمه قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة أو يأخذكم جميعا فالامور كلها قد قدرت وفرغ من ضبطها الاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص ليعلم أن الارسال انما هو مظهر لما قدره فى الازل ولا يظن أنه قالب للاعيان بتغيير ما سبق به القضاء من الطاعة والعصيان وقرأ ويؤخركم ولا يؤخر ورش بابدال الهمزة واوا وقفا ووصلا وحمزة فى الوقف دون الوصل والباقون بالهمز (ان أجل الله) اى الذى له الكمال كله فلا راد لامره (اذا جاء لا يؤخر) اى اذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذى أثبته وقد يضاف الى القول كقوله تعالى اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون) اى لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك ولكنهم لانهماكهم فى حب الدنيا كانهم شاكون فى الموت * ولما كان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وكان قد طال نصحه لهم ولم يزدادوا الا طغيانا وكفرا (قال) مناديا لمن أرسله لانه يحقق أن لا قريب منه غيره (رب) اى يا سيدى وخالقى (انى دعوت) اى أوقعت الدعاء الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (قومى) اى الذين هم جديرون باجابتى لمعرفتهم بى وقربهم منى وفيهم قوة المحاولة لما يريدون (ليلا ونهارا) اى دائما متصلا لا أفتر عن ذلك وقيل معناه سرا وجهرا (فلم يزدهم دعائى) اى شيأ من أحوالهم التى كانوا عليها (الا فرارا) اى بعدا واعراضا عن الايمان كانهم حمر مستنفرة استثناء مفرغ وهو مفعول ثان وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بسكون الياء والباقون بفتحها وهم على مراتبهم فى المد (وانى كلما) اى على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات (دعوتهم) اى الى الاقبال اليك بالايمان بك والاخلاص لك (لتغفر لهم) اى ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه فى حقك فافرطوا الاجلال فى التجاوز فى المحو بالغا فلا يبقى لشئ من ذلك عين ولا أثر حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم (جعلوا أصابعهم) كراهة منهم واحتقارا للداعى (فى آذانهم) حقيقة لئلا يسمعوا الدعاء اشارة الى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك فان أبيت الا الدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعنا ودل على الافراط فى كراهة الدعاء بما ترجم عنه قوله (واستغشوا ثيابهم) اى أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم لئلا يبصروه كراهة للنظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله تعالى وهكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائما (وأصروا) اى أكبوا على الكفر وعلى المعاصى من أصر الحمار على العانة وهى القطيع من حمر الوحش اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها (واستكبروا) اى أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه وأكد ذلك بقوله (استكبارا) تنبيها على أن فعلهم منابذ للحكمة وقد أفادت هذه الآيات بالصريح فى غير موضع انهم عصوا نوحا عليه السلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار (ثم انى دعوتهم جهارا) اى معلنا بالدعاء قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) اى كررت لهم الدعاء معلنا وقرأ نافع وابن كثير بفتح الياء والباقون بسكونها (وأسررت لهم اسرارا) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرا بينى وبينه أدعوه الى عبادتك وتوحيدك (فقلت) اى فى دعائى لهم (استغفروا ربكم) اى اطلبوا من المحسن اليكم المبدع لكم المدبر لاموركم أن يمحو ذنوبكم أعيانها وآثارها بان تؤمنوا بالله وتتقوه (انه

كان)

طعام الاثيم وفى آخر أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار (قات) لا منافاة اذ يجوز أن يكون طعامهم جميع ذلك أو ان العذاب أنواع والمعذبين طبقات

كان) اى أزلا وأبدا ودائما سرمدا (غفارا) اى متصفا بصفة الستر على من رجع اليه (يرسل السماء) اى المظلة لان المطر منها او يجوز أن يراد السحاب والمطر (عليكم مدرارا ويمدد كم باموال وبنين) اى ويكثر أموالكم وأولادكم وذلك أن قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله تعالى عنهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك اى استدعوه المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدرارا روى الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار فلما نزل قيل يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية وقال القشيري من وقعت له حاجة الى الله تعالى فلن يصل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بضد ذلك كلما ازداد نوح عليه السلام فى الضمان ووجوه الخير والاحسان ازدادوا فى الكفر والنسيان (ويجعل لكم) اى فى الدارين (جنات) اى بساتين عظيمة وأعاد العامل للتأكيد فقال (ويجعل لكم أنهارا) اى يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (مالكم لا ترجون لله) اى الملك الذى له الامر كله (وقارا) اى مالكم لا تأملون له توقيرا أى تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة الوقار فان بالمعرفة تزكو الاعمال وتصلح الاقوال انما سبق أبو بكر رضى الله عنه بشئ وقر فى صدره وانما يصح تعظيمه سبحانه بان لا ترى لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظم أمره ونهيه بعدم المعارضة (وقد) اى والحال أنه قد أحسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ورجاء لدوام احسانه وخوفا من قطعه لانه (خلقكم) أى أوجدكم من العدم مقدرين (أطوارا) اى تارات عناصر أولا ثم مركبات تغذى الحيوانات ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما وأعصابا ودماء ثم خلقا آخر تاما ناطقا ذكرانا وانانا الى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن قدر على هذا ابتداء كان على الاعادة أعظم قدرة (ألم تروا) اى أيها القوم (كيف خلق الله) اى الذى له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة (سبع سموات) من فى غاية العلو والسعة والاحكام والزينة (طباقا) أى متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة فى التى تليها محيطة بها مالها من فروج ولا يكون تمام المطابقة كذلك الا بالاحاطة من كل جانب (وجعل القمر) اى الذى ترونه (فيهن نورا) اى لامعا منتشرا كاشفا للمرئيات أحد وجهيه يضئ

فمنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع ومنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة النار لكل باب منهم جزء مقسوم (قوله وما هو بقول شاعر) الآيتين ان قلت

لاهل الارض والثاني لاهل السموات قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما تقول أتيت بني
فلان وانما أتيت بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة وبدأ به لقربه وسرعة
حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيبوبته في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك أعجب في
القدرة ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال تعالى (وجعل) اي فيها (الشمس) اي في
السماء الرابعة (سراجا) اي نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الارض وهي في السماء الرابعة
كما مر وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وابن عمر أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وأقفيتهما الى الارض
وجعلهما سبحانه آية على رؤية عباده المؤمنين له في الجنة (والله) اي الملك الاعظم الذي له الامر
كله (أنبتكم) اي بخلق أبيكم آدم عليه السلام (من الارض) اي كما ينبت الزرع وعبر بذلك
تذكيرا لنا بما كان من خلق أبينا آدم عليه السلام لانه أدل على الحدوث والتكون من الارض
(نباتا) اي أنشأكم منها انشاء فاستعير الانبات له لانه أدل على الحدوث والتكون وأصله
أنبتكم فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم) على التدريج (فيها) اي
الارض بالموت والاقبار وان طالت الآجال (ويخرجكم) اي منها بالاعادة وأكد بالمصدر الجاري
على الفعل اشارة الى شدة العناية به وتحتم وقوعه لانكارهم له فقال تعالى (اخراجا) اي غريبا
ليس هو كما تعلمون بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية تلابس أرواحكم بها
أجسامكم ملابسة لا انفكاك بعدها لاحدهما عن الآخر (والله) اي المتصف بجميع الجلال
والاكرام (جعل لكم) اي نعمة عليكم اهتماما بامركم (الارض بساطا) اي سهل عليكم
التصرف فيها والتقلب عليها سهولة التصرف في البساط ثم علل ذلك بقوله تعالى (لتسلكوا)
اي متخذين (منها) اي الارض مجددين لذلك (سبلا) اي طرقا واضحة مسلوكة بكثرة (فجاجا) اي
ذوات اتساع لتصلوا الى البلاد الشاسعة برا وبحرا فيعم الانتفاع بجميع البقاع فالذي قدر
على ابداعكم وأقدركم على التصرف في أصلكم مع ضعفكم قادر على اخراجكم من أجداثكم
التي لم تزل طوع أمره ومحل عظمته وقهره ولما أكثروا مع نوح عليه السلام الجدال ونسبوه
الى الضلال وقابلوه بأشنع الاقوال والافعال (قال نوح) اي بعد رفقه بهم ولينه لهم (رب)
اي أيها المحسن الي المدبر لي المتولي لجميع أمري (انهم) اي قومي الذين دعوتهم اليك
مع صبري عليهم ألف سنة الا خمسين عاما (عصوني) اي فيما أمرتهم به ودعوتهم اليه فأبوا
ان يجيبوا دعوتي وشردوا عني أشد شراد وخالفوني أقبح مخالفة (واتبعوا) اي بغاية جهدهم
نظرا الى الظنون العاجل (من) اي رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين بأولادهم وفسرهم
بقوله تعالى (لم يزده) اي شيئا من الاشياء (ماله) اي بكثرته (وولده) كذلك (الا خسارا) اي
بالبعد من الله تعالى في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواوين واللام
والباقون بضم الواو الثانية واسكان اللام (ومكروا) اي هؤلاء الرؤساء في تنفير الناس عني
(مكرا) وزادوه تأكيدا بصيغة هي النهاية في المبالغة بقوله (كبارا) فانه أبلغ من كبار المخفف
الابلغ من كبير واختلفوا في معنى مكرهم فقال ابن عباس قالوا قولا عظيما وقال الضحاك

لم ختم الاولى بقلة الايمان والثانية بقلة التذكر (قلت) لان من نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى انه شاعر وأن ما أتى به شعر فهو كافر وان من نسبه

افتروا على الله تعالى وكذبوا رسله وقيل منع الرؤساء أتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام فلم يدعوا أحدا منهم بذلك المكر يتبعه وحرشوهم على قتله (وقالوا) أى لهم (لا تذرن) اى لا تتركن (آلهتكم) اى عبادتها على حالة من الحالات لا قبيحة ولا حسنة وأضافوها اليهم تحبيبا فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة فى الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين اليمين والعامل تاكيدا (ولا تذرن ودا) قرأ نافع بضم الواو والباقون بفتحها وأنشدوا بالوجهين قول الشاعر

حياك ود من هداك لفتية * وخوص بأعلى ذى فضالة هجد

وقال القرطبى قال الليث ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودا بالضم صنم لقريش وبه سمى عمرو بن ود وفى الصحاح والود بالفتح الوتد فى لغة أهل نجد كأنهم سكنوا التاء وأدغموها فى الدال اه ثم أعادوا النفى تأكيدا فقالوا (ولا سواعا) وأكدوا هذا التأكيد وأبلغوا فيه فقالوا (ولا يغوث) ولما بلغ التأكيد منتهاه وعلم ان القصد النهى عن كل فرد فرد لا عن المجموع تركوا التأكيد فى قولهم (ويعوق ونسرا) للعلم بارادته واختلف المفسرون فى هذه الاسماء فقال ابن عباس وغيره هى أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقال عروة بن الزبير اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود أكبرهم وأبرهم به قال محمد ابن كعب كان لآدم عليه السلام خمسة بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره فى المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصور صورهم وتناقصت الاشياء كما تناقصت اليوم الى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيأ قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها فى مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية وقال محمد بن كعب أيضا ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح عليهما السلام وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جاء آخرون فقالوا ليت شعرى ما هذه الصور التى كان يعبدها آباؤنا فجاءهم الشيطان فقال كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها فابتدئ عبادة الاوثان من ذلك الوقت وبهذا المعنى فسر ما جاء فى الصحيحين من حديث عائشة ان أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولئك كانوا اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وروى عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وأنا أصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان أيام الطوفان دفنها

الى الكهانة فانه انسبه الى الغالة تذكره فى الفاظ القرآن اذ كلام الكهنة ٣ نثر لا شعر فناسب ختمه بقلة التذكر وختم الاول بقلة الايمان

٣ (قوله بالها مش اذ كلام الكهنة) الخ كذا بالاصل وفى الكرمانى وخص ذكر الكهانة بقوله ما تذكرون لان من ذهب الى أن القرآن كهانة وان محمدا كاهن فهو ذاهل عن كلام الكهان فانه اسجاع لا معانى تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون فى كلامهم ذكر الله تعالى اه مصححه

الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب أصنام أخر فاللات كانت لقديد وأساف ونائلة وهبل كانت لأهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة وقال الماوردي أما ود فهو أول صنم معبود سمي ودا لودهم له وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء وأما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم وقال الرازي وسواع لهمدان وأما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان وقال أبو عثمان الهندي رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يبرك بنفسه فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل وأما يعوق فكان لهمدان وقيل لمراد وأما نسر فكان لذي الكلاع من حمير في قول قتادة ومقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير قال البقاعي ولا يعارض هذا انهم صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم فكان ود للكامل في الرجولية وكان سواع امرأة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر اهـ ولما ذكر مكرهم وما أظهروا من قولهم عطف عليه ما توقع السامع من أمرهم فقال تعالى (وقد أضلوا) أي الرؤساء أو الاصنام وجمعهم جمع العقلاء معاملة لهم معاملة العقلاء كقوله رب انهن أضللن (كثيرا) من عبادك الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من أهل زمانهم ومن اتى بعدهم فانهم أول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقول نوح عليه السلام (ولا تزد الظالمين) أي الراسخين في الوصف الموجب للنار (الا ضلالا) أي طبعا على قلوبهم حتى يعموا عن الحق عطف على قد أضلوا ودعاء عليهم بعدما أعلمه الله تعالى أنهم لا يؤمنون بقوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وكذلك دعا موسى وهرون عليهما السلام في الشد على قلوب فرعون وملئه لئلا يؤمنوا في حال ينفعهم فيه وما في قوله تعالى (مما خطاياهم) أي من اجل خطياتهم مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو بفتح الطاء وبعدها ألف وبعد الالف ياء وبعد الياء ألف وضم الهاء على وزن قضاياهم والباقون بكسر الطاء وبعدها ياء تحتية ساكنة وبعد الياء همزة مفتوحة بعدها ألف وبعد الالف تاء فوقية مكسورة وكسر الهاء على وزن قضياتهم (اغرقوا) أي بالطوفان طاف عليهم جميع الارض السهل والجبل فلم يبق منهم احد وكذا الكلام فيما تسبب عنه وتعقبه في قوله (فادخلوا) أي في الآخرة التي اولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا (نارا) أي عظيمة جدا أخفها ما يكون من مباديها في البرزخ قال الملوي عذبوا في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالحرق وقال الضحاك في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى (فلم يجدوا لهم) أي عند ما أناخ الله بهم سطوته واحل بهم نقمته (من دون الله) أي الملك الاعظم الذي تضمحل المراتب تحت رتبة عظمته وتذل العزة وجلايل سطوته (انصارا) تنصرهم على من ارادهم بذلك او تمنعهم عما أراده سبحانه من اغراقهم من غير أن يتخلف منهم احد على كثرتهم وقوتهم لكونهم أعداءه والنجاة

(سورة المعارج) قوله ان الانسان خلق هلوعا فسر هلوعا بقوله اذا مسه الشر الآية (ان قلت) الانسان في حال خلقه لم يكن موصوفا بذلك (قلت)

نبيه عليه السلام ومن آمن معه على ضعفهم وقلتهم لم يفقد منهم أحدا لكونهم أولياءه كما أنه لم
يسلم ممن اراد اغراقهم أحد على كثرتهم وقوتهم قال البقاعي فمن قال عن عوج ما تقوله القصاص
فهو ضلال أشد ضلال قال وقائل ذلك هو ابن عربي صاحب الفصوص الذي لم يرد بتصنيفه
الا هدم الشريعة وزاد في الحط عليه وعلى ابن الفارض وعلى الحلاج وعلى من شابههم وأمر
هؤلاء الى الله تعالى فانه العالم بحقائق الامور وما تخفي الصدور (وقال نوح) وأسقط الاداة كما هو
عادة اهل الحضرة فقال (رب لا تذر) أي لا تترك (على الارض) أي كلها (من الكافرين) أي
الراسخين في الكفر (ديارا) أي أحدا يدور في الارض وهو من ألفاظ العموم التي تستعمل في
النفي فيعال من الدور أو الدار لا فعال والا لكان دوارا قال قتادة دعا عليهم بعد ان أوحى الله
تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله تعالى دعوته وأغرق أمته وهذا
كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل
سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح عليه السلام فقال احذر هذا
فانه يضلك فقال يا أبت أنزلني فانزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم (فان قيل) ما فعل
صبيانهم حين أغرقوا (أجيب) بانهم أغرقوا معهم لا على وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع
من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات
اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يهلكون مهلكا واحدا
ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله تعالى براءتهم فاهلكهم
بغير عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين أخرج الله تعالى كل مؤمن من
اصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم ارحام امهاتهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين
سنة وقيل بسبعين سنة فاخبر الله تعالى نوحا عليه السلام انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا
كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله تعالى دعاءه
فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل
أغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال وقال ابن عربي دعا نوح عليه السلام على
الكافرين أجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين وكفى بهذا اصلا في
الدعاء على الكافرين في الجملة وأما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لان ماله عندنا مجهول
وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم عتبة وشيبة
واصحابه لعلمه بمآلهم وما كشف الله له من الغطاء عن حالهم ولما كان الرسل عليهم السلام
لا يقولون ولا يفعلون الا ما كان فيه مصلحة الدين علل دعاءه بقوله (انك) أي يا رب (ان تذرهم)
اي تتركهم على اي حالة كانت في ابقائهم سالمين على وجه الارض ولو كانت حالة دنيئة (يضلوا
عبادك) أي الذين آمنوا بك وبي والذين يولدون على الفطرة السليمة (ولا يلدوا) أي ان قدرت
بقاءهم (الا فاجرا) اي مارقا عن كل ما ينبغي الاعتصام به (كفارا) أي بليغ الستر لما يجب
اظهاره من آيات الله (فان قيل) بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة
(أجيب) بانه لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم وأحوالهم وكان الرجل
ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير

هلوعا حال مقدرة اي
مقدرا في خلقه الهلع
كما في قوله تعالى محلقين
رؤسكم اي لتدخلن
المسجد الحرام مقدرين
حلق رؤسكم (قوله والذين

على ذلك وقد أخبر الله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه * ولما دعا على أعداء الله تعالى دعا لاوليائه وبدأ بنفسه فقال مسقط الاداة على عادة أهل الخصوص (رب) اى أيها المحسن الى باتباع من اتبعنى وتجنب من تجنبنى (اغفر لى) اى فانه لا يسعنى وان كنت معصوما الا حسانك وعفوك ومغفرتك (ولوالدى) وكانا مؤمنين يريد أبويه اسم أبيه ملك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش وعن ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام أب فيما بينه وبين آدم عليه السلام وقيل هما آدم وحواء وأعاد الجار اظهارا للاهتمام فقال (ولمن دخل بيتى) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمنا) أى مصدقا بالله تعالى فمؤمنا حال وعن ابن عباس اى دخل فى دينى (فان قيل) على هذا يصير قوله مؤمنا تكرارا (اجيب) بان من دخل فى دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى ولمن دخل دخولا مع تصديق القلب (وللمؤمنين والمؤمنات) خص نفسه أولا بالدعاء ثم من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول أولى وأظهر ثم ختم الكلام مرة أخرى بالدعاء على الكافرين فقال (ولا تزد الظالمين) اى العريقين فى الظلم فى حال من الاحوال (الا تبارا) اى هلاكا مدمرا او المراد بالظالمين الكافرون فهى عامة فى كل كافر ومشرك وقيل أراد مشركى قومه وتبارا مفعول ثان والاستثناء مفرغ وقيل الهلاك الخسران وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام حديث موضوع

هم على صلاتهم دائمون ختمه هنا بقوله دائمون وبعد بقوله يحافظون لان المراد بدوامهم عليها ان لا يتركوها فى وقت من أوقاتهم او بمحافظتهم عليها

سورة الجن وسمى سورة قل اوحى مكيه

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله) المحيط بالكمال (الرحمن) الذى عم برحمته الناس بالارسال (الرحيم) الذى خص من بين أهل الدعوة من شاء بمحاسن الاعمال * ولما كان نوح عليه السلام أول رسول أرسله الله تعالى الى المخالفين من أهل الارض وكان نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو آخر رسول بعثه الله الى أهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) اى يا أشرف الرسل للناس (أوحى الى) وقال ابن عباس قل يا محمد لامتك أوحى الى على لسان جبريل عليه السلام (أنه استمع نفر من الجن) والنفر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة قال البغوى وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا سبعة وفى هذه العبارة دليل على أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا قرأ عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته ففى صحيح مسلم عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك الا من شئ حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا

يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو وأصحابه بنخلة قاصدين سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء وهل هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف أو غيره قال أبو حيان المشهور أنه هو وقيل غيره والجن الذين أتوه جن نصيبين والذين أتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها قال عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكرهما ولا في الاحقاف انه رآهم وعن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت أنا أذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابن أبي ذئب خط على خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزط قال ابن الاثير في النهاية الزط قوم من السودان والهنود وكان وجوههم المكاكي يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فأومأ الى بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا أراهم وفي رواية أخرى قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا نبي قالوا فمن يشهد لك على ذلك فقال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدي قالت أشهد أنك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت أن تأتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن اي يستنجي أحدكم بعظم ولا بعر وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا أن معي اداوة نبيذ فقال هل هو الا تمر وماء فتوضأ منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس ورواية ابن مسعود من وجوه أحدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع أولا فأوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم أمر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى عن ابن مسعود اي فالواقعة متعددة ثانيها انها واقعة واحدة الا أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا عرف ماذا قالوا ولا اى شئ فعلوا فالله تعالى أوحى اليه انه كان كذا وكذا وفعلوا كذا وكذا ثالثها أنها كانت واحدة وأنه صلى الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم رجعوا الى قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فأوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه لقومهم قال ابن عربي ابن مسعود أعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر كالمعاينة وقال القرطبي ان الجن أتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاه ابن مسعود انما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ابن عباس ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه ابن مسعود وقال القشيري لما رجم ابليس بالشهب فرق ابليس جنوده لعلم ذلك فأتى سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا ثم أتوا قومهم فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يعني

ان يأتوا بها على أكمل أحوالها من الاتيان بها بجميع واجباتها وسننها ومنها الاجتهاد في تفريغ القلب عن الوسوسة والرياء والسمعة

ولم يرجعوا الى ابليس لما علموا من كذبه وسفاهته وجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومه فاسلموا فذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا الآيات (فقالوا) أي فتسبب عن استماعهم ان قالوا (انا سمعنا) أي حين تعمدنا الاصغاء وألقينا اليه أفهامنا (قرآنا) أي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه وقرأ ابن كثير بالنقل وقفا ووصلا وحمزة في الوقف دون الوصل والباقون بغير نقل وقفا ووصلا ثم وصفوا القرآن بالمصدر مبالغة في أمره فقالوا (عجبا) اى بديعا خارجا عن عادة أمثاله من جميع الكتب الالهية فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب (يهدي) أي يبين غاية البيان (الى الرشد) أي الحق والصواب (فآمنا) أي كل من استمع منا لم يتخلف منا أحد ولا توقف بعد الاستماع (به) أي القرآن أي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله (ولن نشرك بربنا أحدا) أي لا نرجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشراك وهذا يدل على أن أولئك الجن كانوا مشركين قال الرازي واعلم أن قوله تعالى قل أمر لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه ما أوحي اليه في واقعة الجن وفيه فوائد أحدها أن يعرفوا بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها أن تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ثالثها أن يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها أن يعلم ان الجن يستمعون كلامنا ويفهمونه خامسها ان يظهر المؤمن منهم بدعوى غيره من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس *(تنبيهات)* أحدها اختلاف العلماء في أصل الجن فروى عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس وروى أن ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين * ثانيها اختلفوا في دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية ابليس فلهم فيهم قولان أحدهما وهو قول الحسن يدخلونها والثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها * ثالثها قال القرطبي قد أنكر جماعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم اجتراء على الله تعالى والقرآن والسنة يردان عليهم وليس في المخلوقات بسيط بل مركب مزدوج انما الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد وليس يمتنع أن يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ثم عطفوا على قولهم انا سمعنا (وانه) اى الشأن العظيم قال الجن (تعالى) اى انتهى في العلو الى حد لا يستطاع (جد) اى عظمة وسلطان وكمال غنى (ربنا) يقال جد الرجل اذا عظم ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم قدره وقال السدي جد ربنا اى امر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل الحظ جد ورجل مجدود اى محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال أبو عبيد والخليل اى ذا الغنى منك الغنى انما تنفعه

(سورة نوح)

(قوله ويؤخركم الى اجل مسمى) خطاب لقوم نوح (ان قلت) ان كان المراد تأخيرهم عن الاجل المقدر

الطاعة وقال ابن عباس قدرة ربنا وقال الضحاك فعله وقال القرطبي آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقال الاخفش علا ملك ربنا والاول يجمع هذه المعاني وقرأ وانه تعالى جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانا منا المسلمون وهي اثنا عشر موضعا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة في الجميع والباقون بالكسر * ولما وصفوه بهذا تعالى الاعظم المستلزم للغنى المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص بينوه بنفي ما ينافيه من قولهم ابطالا للباطل (ما اتخذ صاحبة) أي زوجة لان الصاحبة لابد وأن تكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة وصفة مميزة (ولا ولدا) لان الولد لابد وأن يكون جزأ منفصلا عن والده ومن له أجزاء فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون الا المحتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي أو عقلي قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير أنه لفظ موهم فتجنبه أولى أي لانه قيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الاب ويكون ذلك من قول الجن قال ابن جعفر الصادق ليس لله تعالى جد وانما قاله الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال القرطبي معنى الآية وانه تعالى جد ربنا أن يتخذ صاحبة للاستئناس بهما أو الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء (وانه) أي وقالوا ان الشان هذا على قراءة الكسر وآمنا بانه على قراءة الفتح (كان يقول) أي قولا هو في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة (سفيهنا) هو للجنس فيتناول ابليس رأس الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف الله تعالى لان ثمرة العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه فهو الذي يقول (على الله) الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه (شططا) أي كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والاشطاط الغلو في الكفر وقال أبو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب وأصله البعد فعبر به عن الجور لبعده عن العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق (وانا) اى معشر المسلمين من الجن (ظننا) اى حسبنا السلامة فطرتنا (أن) اى أنه وزادوا في التأكيد فقالوا (لن تقول) وبدؤا بافضل الجنسين فقالوا (الانس) وأتبعوهم قرناءهم فقالوا (والجن على الله) اى الملك الاعلى الذي بيده النفع والضر (كذبا) اى قولا هو لعراقته في مخالفة الواقع نفس الكذب وانما كنا نظنهم صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق قيل انقطع الاخبار عن الجن ههنا (وانه) اى الشان (كان رجال) اى ذوو قوة وبأس (من الانس) اى النوع الظاهر في عالم الحس (يعوذون) اى يلتجؤن ويعتصمون خوفا على أنفسهم وما معهم اذا نزلوا واديا (برجال من الجن) اى القبيل المستتر عن الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا اذا نزلوا واديا أو غيره من القفر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر الله ولا دين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صريح فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في أمن وفي جوار منهم حتى يصبح فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى الطريق وردوا عليه ضالته قال مقاتل كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله تعالى وتركوهم وقال كردم بن أبي السائب الانصاري خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة

أو لأنهم واصل الى قوله تعالى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها أو تأخيرهم الى مجيء أجلهم المقدر فهم كغيرهم سواء آمنوا أم لا (قلت)

وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف النهار جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى وقال يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فكان ذلك فتنة للانس باعتقادهم فى الجن غير ما هم عليه فتبعوهم فى الضلال وفتنة للجن بأن يغتروا بأنفسهم ويقولون سدنا الانس والجن فيضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فزادوهم) اى الانس والجن باستعاذتهم (رهقا) اى ضيقا وشدة وغشيانا لجاءهم فيه من أحوال الضلال التى يلزم منها الضيق والشدة وقال مجاهد الرهق الاثم وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم ذلة وقال الاعشى

لا شئ ينفعنى من دون رؤيتها * هل يشتفى عاشق ما لم يصب رهقا

يعنى اثما وقال مجاهد أيضا زادوهم أى ان الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقيل لا ينطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الانس من شر الجن فكان الرجل مثلا يقول أعوذ بحذيفة بن بدر من جن هذا الوادى قال القشيرى وفى هذا تحكم اذلا يبعد اطلاق لفظ الرجل على الجن * (تنبيه) * قوله تعالى من الانس صفة لرجال وكذا قوله من الجن (وانهم) أى الانس (ظنوا) والظن قد يصيب وقد يخطئ وهو أكثر (كما ظننتم) أى أيها الجن ويجوز العكس (أن) مخففة أى انه (لن يبعث الله) اى الذى له الاحاطة الكاملة علما وقدرة (أحدا) اى بعد موته لما يسر به ابليس عليهم حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن أو أحدا من الرسل يزيل به عماية الجهل وقد ظهر بالقرآن ان هذا الظن كاذب وانه لابد من البعث فى الامرين قال الجن (وانا لمسنا السماء) اى رمن استراق السمع منها قال الكلبى السماء الدنيا اى التمسنا أخبارها على ما كان من عادتنا من استماع ما نغوى به الانس واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها (فوجدناها) فى وجد وجهان أظهرهما انها متعدية لواحد لان معناها أصبنا وصادفنا وعلى هذا فالجملة من قولهم (ملئت) فى موضع نصب على الحال على اضمار قد والثانى انها متعدية لاثنين فتكون الجملة فى موضع المفعول الثانى ويكون (حرسا) منصوبا على التمييز نحو امتلأ الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس نحو خدم لخادم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجمع تكسيرا على احراس والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة و(شديدا) صفة لحرس على اللفظ ولو جاء على المعنى لقيل شدادا بالجمع لان المعنى ملئت ملائكة شدادا كقولك السلف الصالح يعنى الصالحين قال القرطبى ويجوز أن يكون حرسا مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة (وشهبا) جمع شهاب ككتاب وكتب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم المانع لهم عن استراق السمع (وانا كنا) اى فيما مضى (نقعد منها) أى السماء (مقاعد) أى كثيرة قد علمناها لا حرس فيها صالحة (للسمع) أى أن نسمع منها بعض ما تتكلم به

الملائكة

معناه يؤخركم عن العذاب الى منتهى آجالكم على تقدير الايمان فلا يعذبكم فى الدنيا ان وقع منكم ذنب كما عذب غيركم من الامم الكافرة فيها

الملائكة مما أمر وا بتدبيره وقد جاء في الخبر أن صفة قعودهم هو أن يكون الواحد منهم فوق
الآخر حتى يصلوا الى السماء فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدون معها
الكذب (فمن يستمع الآن) أي في هذا الوقت وفيما يستقبل لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط
(يجد له) أي لاجله (شهابا) أي شعلة من نار ساطعة تحرقه (رصدا) أي أرصد به ليرمى به
* (تنبيه) * اختلفوا هل كانت الشياطين تقذف قبل البعث أو ذلك أمر حدث بمبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فقال قوم لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة
والسلام خمسمائة عام وانما كان من أجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث منعوا من
السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبئ فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين ورموا بالشهب قال الزمخشري والصحيح انه
كان قبل البعث وقد جاء شعره في أهل الجاهلية [٣] قال بشر بن أبي حازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاحوال فلما بعث صلى الله عليه وسلم كثر
الرجم وازداد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت
للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد
قال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وروى الزهري عن علي بن
الحسين عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي
بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد
عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى
اذا قضى أمرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه
السماء ثم سأل أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم وتخبر أهل كل سماء حتى
ينتهي الخبر الى أهل هذه السماء وهذا يدل على أن هذه الشهب كانت موجودة قال ابن عادل
وهذا قول الاكثرين (فان قيل) كيف تتعرض الجن لاحتراق أنفسها بسبب سماع خبر بعد
أن صار ذلك معلوما لهم (أجيب) بان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة قال القرطبي
والرصد قيل من الملائكة أي ورصدا من الملائكة والرصد الحافظ للشيء والجمع أرصاد وقيل
الرصد هو الشهاب أي شهاب قد أرصد له ليرجم به فهو فعل بمعنى مفعول * واختلف فيمن
قال (وانا لا ندري) أي بوجه من الوجوه (أشر أريد) أي بعدم استراق السمع (بمن في الارض
أم أراد بهم ربهم) أي المحسن اليهم المدبر لهم (رشدا) أي خيرا فقال ابن زيد معنى الآية أن
ابليس قال لا ندري هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الارض عقابا أو يرسل اليهم رسولا
وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أي لا ندري
أشر أريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه
كما هلك من كذب من الامم أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان
وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا
من السماء حراسة للوحي وقيل قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين أي لما آمنوا

او يؤخروتكم ان كان
قضى الله بتعميرهم الف
سنة ان آمنوا وبخمسمائة
سنة ان لم يؤمنوا (قوله فقلت

[٣] وقد جاء شعره الخ الذي
في الكشاف الذي بايدينا
وقد جاء ذكره في شعر أهل
الجاهلية اه مصححه

أشفقوا أن لا يؤمن كثير من أهل الارض فقالوا انا لاندرى أيكفر أهل الارض بما آمنا به أم يؤمنون قال الجن (وانا منا الصالحون) أى العريقون فى صفة الصلاح قال الجلال المحلى بعد استماع القرآن (ومنا دون ذلك) أى قوم غير صالحين (كنا) أى كوناهو كالجبلة (طرائق قددا) أى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن والسدى الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وخوارج وشيعة وسنية وقال ابن كيسان شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كاهواء الناس وقال سعيد بن جبير ألوانا شتى وقال أبو عبيدة اصنافا وقيل منا الصالحون ومنا المؤمنون لم يتناهوا فى الصلاح قال القرطبى والاول أحسن لانه كان فى الجن من آمن بموسى وعيسى وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة (تنبيه) القدد جمع قدة والمراد بها الطريقة وأصلها السيرة يقال قدة فلان حسنة اى سيرته وهو من قد السير أى قطعه فاستعير للسيرة المعتدلة قال الشاعر القابض الباسط الهادى بطلعته * فى فتنة الناس اذ أهواؤهم قدد وقال لبيد يرثى اخاه

لم تبلغ العين كل نهمتها * يوم تمشى الجياد بالقدد

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ و يقال ماله قد ولا قحف فالقد اناء من جلد والقحف اناء من خشب (وانا ظننا أن لن نعجز الله) اى وانا علمنا وتيقنا لتفكر والاستدلال فى آيات الله انا فى قبضة الملك وسلطانه ان نفوته بهرب ولا غيره لماله من الاحاطة بكل شئ علما وقدرة لانه واحد لامثل له * (تنبيه) * أطلقوا الظن على العلم اشارة الى ان العاقل ينبغى له أى يتجنب ما يظنه ضارا ولو بانى أنواع الضرر فكيف اذا تيقن وقولهم (فى الارض) حال وكذلك هربا فى قولهم (ولن نعجزه) اى بوجه من الوجوه (هربا) فانه مصدر فى موضع الحال تقديره لا نفوته كائنين فى الارض او هاربين منها الى السماء فليس انا مهرب الافى قبضته فاين أم الى أين المهرب (وانا لما سمعنا) اى من النبى صلى الله عليه وسلم (الهدى) اى القرآن الذى له من العراقة التامة فى صفة البيان والدعاء الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى (آمنا به) و بالله وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الانس والجن قال الحسن بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء وذلك لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم من أهل القرى وفى الصحيح و بعثت الى الاحمر والاسود أى الانس والجن وفى ارساله الى الملائكة خلاف قدمنا الكلام عليه (فمن يؤمن بربه) اى المحسن الينا منا ومن غيرنا (فلا) اى فهو خاصة لا (يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته ولا ان يزاد فى سيآ ته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان المحارم (وانا منا) اى الجن (المسلمون) اى المخلصون فى صفة الاسلام (ومنا القاسطون) اى الجائرون اى وانا بعد سماع القرآن مختلفون فمنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عدل عن الحق والمقسط العادل الى الحق قسط اذا جار واقسط اذا عدل

استغفروا ربكم) أى من الشرك بالتوحيد (قوله ولا تزد الظالمين الا ضلالا) (ان قلت) كيف دعا نوح

قوله اطلقوا كذا بالاصل الطبع وفى بعض النسخ اطلاق اه مصححه

فقسط الثلاثي بمعنى جار وأقسط الرباعي بمعنى عدل وعن سعيد بن جبير أن الحجاج قال له حين
اراد قتله ماتقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط
والعدل فقال الحجاج يا جهلة انما سماني ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (فمن أسلم) أي أوقع الاسلام كله بان أسلم ظاهره
وباطنه من الجن وغيرهم (فأولئك) أي العالو الرتبة (تحروا) أي توخوا وقصدوا واجتهدوا
(رشدا) أي صوابا عظيما وسدادا كان لما عندهم من النقائص شاردا عنهم فما الجوا أنفسهم
حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلا (وأما القاسطون) أي العريقون في صفة الجور وعن الصواب
من الانس والجن فأولئك اهملوا أنفسهم فلم يتحروا لها فضلوا فأبعدوا عن الطريق القويم
فوقعوا في المهالك التي لا منجي منها (فكانوا لجهنم) أي النار البعيدة القعر التي تلقاهم
بالتجهم والكراهة والعبوسة (حطبا) أي توقد بهم النار فهي في اتقاد ما داموا أحياء
ما دامت تتقد لا يموتون فيستريحون ولا يحيون فيتنعشون *(تنبيه)* قوله تعالى فكانوا
أي في علم الله عز وجل (فان قيل) لم ذكروا عقاب القاسطين ولم يذكروا ثواب المسلمين (أجيب)
بانهم في مقام الترهيب فذكروا ما يحذر وطووا ما يجب للعلم به لان الله لا يضيع أجر من أحسن
عملا بل لابد ان يزيد عليه تسعة اضعافه وعنده المزيد أو انهم ذكروه بقولهم تحروا رشدا أي
تحروا رشدا عظيما لا يعلم كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا في الثواب (فان قيل) ان الجن
مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار (أجيب) بانهم وان خلقوا منها لكنهم يغيرون
عن تلك الكيفية فيصيرون لحما ودما هكذا قيل وهذا آخر كلام الجن وأن في قوله تعالى (وأن)
هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وأنهم وهو معطوف على انه استمع أي وأوحي
الي أن الشان العظيم (لو استقاموا على الطريقة) أي طريقة الاسلام (لأسقيناهم) أي
لجعلنا لهم بما لنا من العظمة (ماء غدقا) أي لو آمن هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا ولبسطنا
لهم في الرزق وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله في المطر كما قال تعالى ولو أن أهل
القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم الآية وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل
وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا الآية وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين الآية (لنفتنهم) أي نعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة (فيه) اى
في ذلك الماء الذي تكون عنده انواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا
بعد ما حبس عنهم المطر سنين اهـ قال الجلال المحلي سبع سنين وقال عمر رضي الله تعالى عنه
أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة وقال الحسن وغيره كانوا سامعين
مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان
رضي الله تعالى عنه قال البقاعي ويجوز ان يكون مستعارا للعلم وانواع المعارف الناشئة عن
العبادات التي هي للنفوس كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم
والرذائل في الدنيا والنعم في الآخرة من فتنت الذهب اذا اخلصته من غشه (ومن يعرض)
اى اعراضا مستمرا الى الموت (عن ذكر ربه) اى مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربي له الذي

على قوم بذلك مع انه
أرسل اليهم ليهديهم
ويرشدهم (قلت) انما دعا
عليهم بذلك بعد ان أعلمه

لا احسان عنده من غيره وقيل المراد بالذكر القرآن وقيل الوحي وقيل الموعظة (نسلكه) أي
ندخله (عذابا) يكون مظروفا فيه كالخيط في ثقب الخرزة في غاية الضيق (صعدا) أي شاقا
شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء وفاقا وقال ابن عباس هو
جبل في جهنم قال الخدري كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت وعن ابن عباس أن المعنى مشقة من
العذاب لان الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعدني الامر اذا شق عليك ومنه قول عمر
ما تصعدني شيء ما تصعدني في خطبة النكاح يريد ما شق علي وما غلبني والمشي في الصعود يشق
وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى أعلاها حدر الى جهنم
وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا في النار من صخرة ملساء يجذب من أمامه
بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغ في أربعين سنة فاذا بلغ أعلاها
أحدر الى أسفلها ثم يكلف أيضا الصعود فذلك دأبه أبدا وهو قوله تعالى سأرهقه صعودا وقرأ
عاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة لاعادة الضمير على الله تعالى والباقون بالنون
على الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ثم قال باركنا حوله لنريه من
آياتنا واتفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى (وأن) أي وأوحي الي أن (المساجد لله) أي
مختصة بالملك الاعظم والمساجد قيل جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود وقال الحسن
أراد بها كل البقاع لان الارض جعلت كلها مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم يقول أينما كنتم
فصلوا وأينما صليتم فهو مسجد وقيل انه جمع مسجد بالفتح مرادا به الاعضاء الواردة في الحديث
الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان وهو قول سعيد بن المسيب وابن حبيب والمعنى
أن هذه الاعضاء انعم الله تعالى بها عليك فلا تسجد لغيره فتجحد نعمة الله تعالى بها عليك قال
عطاء مساجدك أعضاؤك التي أمرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها قال صلى الله عليه
وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم وذكر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم اذا سجد العبد
سجد معه سبعة آراب قال ابن الاثير الآراب الاعضاء وهذا القول اختاره ابن الانباري وقيل
بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف الانواع وقال القرطبي
المراد بها البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة قال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا أن نأتي
المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وأن المساجد لله أي بنيت لذكر الله تعالى
وطاعته وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة مساجد لان كل أحد
يسجد اليها قال القرطبي والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة أظهر الاقوال ان شاء الله
تعالى وهو مروي عن ابن عباس واضافة المساجد الى الله تعالى اضافة تشريف وتكريم
وخص منها المسجد العتيق بالذكر فقال تعالى وطهر بيتي وهي وان كانت لله ملكا وتشريفا
قد تنسب الى غيره تعريفا قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما
سواه الا المسجد الحرام وفي رواية ان صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا قال القرطبي
وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الى
مسجد بني زريق ويقال مسجد فلان لانه حبسه ولا خلاف بين الامة في تحبيس المساجد
والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك (فلا تدعوا) أي فلا تعبدوا أيها

الله تعالى انهم لا يؤمنون
(قوله قال نوح رب) قاله هنا
بلا واو وقاله بعد بواو لان
الاول استئناف والثاني

المخلوقون (مع الله) الذى له جميع العظمة (أحدا) وهذا توبيخ للمشركين فى دعواهم
مع الله تعالى غيره فى المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم
وبيعهم أشركوا بالله فامر الله تعالى نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة اذا دخلوا المساجد
كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما أو غيره مما يعبد وقيل المعنى أفردوا المساجد لذكر الله تعالى
ولا تجعلوا لغير الله تعالى فيها نصيبا وفى الصحيح من نشد ضالة فى المسجد فقولوا لا ردها الله
عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقال الحسن من السنة اذا دخل رجل المسجد أن يقول لا اله
الا الله لان قوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا فى ضمنه أمر بذكر الله تعالى ودعائه وروى
الضحاك عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى
وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق
وأنت خير مزور فاسألك برحمتك أن تفك رقبتى من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله
اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى ابدا ولا تجعل معيشتى
كدا واجعل لى فى الارض جدا اى غنى وقرأ (وانه) نافع وشعبة بكسر الهمزة على
الاستئناف والباقون بالفتح اى وأوحى الى أنه (لما قام عبد الله) اى عبد الملك الاعلى الذى
له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود من فائض فضله وعبد الله هو محمد صلى
الله عليه وسلم حين كان يصلى ببطن نخلة ويقرأ القرآن (فان قيل) هلا قيل رسول الله او النبى
(اجيب) بان تقديره واوحى فلما كان واقعا فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جىء
به على ما يقتضيه التواضع والتذلل اولان المعنى ان عبادة عبد الله ليست بامر مستبعد عن
العقل ولا مستنكر حتى تكونوا عليه لبدا ومعنى (يدعوه) اى يعبده وقال ابن جريج يدعوه
اى قام اليهم داعيا الى الله تعالى فهو فى موضع الحال اى موحدا له (كادوا) اى قرب الجن
المستمعون لقراءته (يكونون عليه) اى على عبد الله (لبدا) اى متراكبين بعضهم على بعض
من شدة ازدحامهم حرصا على سماع القرآن وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك وقال
ابن عباس رغبة فى سماع القرآن وروى عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى هذه الليلة وكانوا سبعين الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس
أيضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما رأوا من طاعة اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به فى الركوع والسجود وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعنى
لما قام عبد الله محمد بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليبطلوه فابى الله تعالى الا ان
ينصره ويتم نوره واختار الطبرى ان يكون كادت العرب يجتمعون على النبى صلى الله عليه
وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذى جاء به وقرأ هشام بضم اللام والباقون بكسرها فالاولى
جمع لبدة بضم اللام نحو غرفة وغرف وقيل بل هو اسم مفرد صفة من الصفات وعليه قوله تعالى
مالا لبدا واما الثانية فجمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب واللبد واللبدة الشئ الملبد اى
المتراكب بعضه على بعض ومنه لبدة الاسد كقول زهير

لدى أسد شاكى السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم

ومنه اللبد لتلبد بعضه فوق بعض * ولما قال كفار قريش للنبى صلى الله عليه وسلم انك

(قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) معطوف عليه عن كلام نوح (ان قلت) كيف وصفهم بالفجور والكفر

جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك (قال) صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم (انما أدعوا ربي) أي الذي أوجدني ورباني ولا نعمة عندي الا منه وحده لا أدعو غيره حتى تجيروا مني (ولا أشرك به) أي الآن ولا في مستقبل الزمان بوجه من الوجوه (أحدا) من ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وغيرها من الصامت والناطق وقرأ عاصم وحمزة قل بصيغة الامر التفاتا أي قل يا محمد والباقون قال بصيغة الماضي والخبر اخبارا عن عبد الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال الجحدري وهو في المصحف كذلك وقد تقدم لذلك نظائر في قل سبحان ربي في آخر الاسراء وكذا في أول الانبياء وآخرها وآخر المؤمنين (قل) أي يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين خالفوك (اني لا أملك لكم) أي الآن ولا بعده بنفسي من غير اقدار الله تعالى لي (ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم خيرا وقيل لا أملك لكم ضرا أي كفرا ولا رشدا أي هدى لانه لا يؤثر شيء من الاشياء الا الله تعالى وانما علي البلاغ وقيل الضر الموت والرشد الحياة (قل) أي لهؤلاء (اني) وزاد في التأكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس فقال (ان يجيرني) أي فيدفع عني ما يدفع المجير عن جاره (من الله) اي الذي له الامر كله ولا أمر لاحد معه (أحد) أي كائن من كان ان أرادني سبحانه بسوء (ولن أجد) أي أصلا (من دونه) أي الله تعالى (ملتحدا) أي معدلا وموضع ميل وركون ومدخلا وملتجأ وحيلة وان اجتهدت كل الجهد والملتحد الملجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا وقوله (الا بلاغا) فيه أوجه أحدها انه استثناء منقطع أي لكن ان بلغت عن الله رحمني لان البلاغ عن الله لا يكون داخلا تحت قوله وان أجد من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله تعالى وباعانته وتوفيقه الثاني انه متصل وتأويله أن الاجارة مستعارة من البلاغ اذ هو سببها وسبب رحمته تعالى والمعنى ان أجد شيئا أميل اليه وأعتصم به الا أن أبلغ وأطيع فيجيرني واذا كان متصلا جاز نصبه من وجهين أرجحهما أن يكون بدلا من ملتحدا لان الكلام غير موجب وهو اختيار الزجاج الثاني انه منصوب على الاستثناء الثالث انه مستثنى من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة وقوله (من الله) اي الذي احاط بكل شيء قدرة وعلما فيه وجهان احدهما ان من بمعنى عن لان بلغ يتعدى بها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الا بلغوا عني والثاني انه متعلق بمحذوف على انه صفة لبلاغا قال الزمخشري من ليست بصلة للتبليغ وانما هي بمنزلة من في قوله تعالى براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله وقوله (ورسالاته) فيه وجهان احدهما انه منصوب نسقا على بلاغا كأنه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات ولم يقل الزمخشري غيره والثاني انه مجرور نسقا على الجلالة اي الا بلاغا عن الله تعالى وعن رسالاته كذا قدره ابو حيان وجعله هو الظاهر ويجوز فيه جعل من بمعنى عن والتجوز في الحروف مذهب كوفي ومع ذلك فغير منقاس عندهم (ومن يعص الله) أي الذي له العظمة كلها (ورسوله) الذي ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع الملل في التوحيد وغيره على سبيل الجبر (فان له) اي خاصة (نار جهنم) اي التي تلقاه بالعبوسة والغيظ وقوله تعالى (خالدين) حال مقدرة من الهاء في له والمعنى مقدرا خلودهم والعامل الاستقرار الذي تعلق به هذا الجار وحمل على معنى من فعل ذلك فوحد أولا

[حا]ل ولادتهم وكيف علم انهم لا يلدون الا فاجرا كفارا (قلت) ومنهم بما يؤلون اليه من الفجور والكفر

للفظ وجمع للمعنى وأكد بقوله تعالى (فيها أبدا) ردا على من يدعى الانقطاع قال البقاعى وأما من يدعى أن ما الاحرق وان عذابها عذوبة فليس احد أجن منه الا من تابعه على ضلاله وغيه ومحاله وليس لهم دواء الا السيف فى الدنيا والعذاب فى الآخرة بما سموه عذوبة وهم صائرون اليه وموقوفون عليه وحتى فى قوله تعالى (حتى اذا رأوا) ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أى لا يزالون على كفرهم الى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب فى الآخرة أو فى الدنيا كوقعة بدر (فسيعلمون) أى فى ذلك اليوم بوعد لا خلف فيه (من أضعف ناصرا) أى من جهة الناصر أنا وان كنت فى هذا الوقت وحيدا مستضعفا أو هم (وأقل عددا) وان كانوا الآن بحيث لا يحصيهم عددا الا الله تعالى فيا الله ما أعظم كلام الرسل حيث يستضعفون أنفسهم ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذى بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا فى تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قال النضر بن الحرث متى يكون هذا الذى توعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى لهؤلاء فى جوابهم باتيانهم العذاب وسألوا استهزاء عن وقت وقوعه (ان) اى ما (أدرى) بوجه من الوجوه (أقريب ما توعدون) أى فيكون الآن أو قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب وقوله (ام يجعل) اى ام بعيد يجعل (له) اى لهذا الوعد (ربى) اى المحسن الى ان قدمه أو اخره (أمدا) أى اجلا مضروبا فلا يتوقع دون ذلك الامد فهو فى كل حال متوقع فكونوا على غاية الحذر لانه لابد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام فى تعيين وقته وايس الى (فان قيل) أليس انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدرى أقريب أم بعيد (أجيب) بان المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقى من الدنيا أقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم فاما معرفة مقدار القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم * (تنبيه) * أقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدأ مؤخر ويجوز أن يكون قريب مبتدأ لاعتماده على الاستفهام وما توعدون فاعل به أى أقريب الذى توعدون نحو أقائم أبواك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وقوله تعالى (عالم الغيب) بدل من ربى أو بيان أو خبر مبتدا مضمر أى هو عالم الغيب كله وهو ما لم يبرز الى عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب عنه قوله تعالى (فلا يظهر) أى بوجه من الوجوه فى وقت من الاوقات (على غيبه) الذى غيبه عن غيره فهو مختص به (أحدا) لعزة علم الغيب ولانه خاصة الملك (الا من ارتضى) وقوله تعالى (من رسول) تبيين لمن ارتضى أى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على ما يشاء من الغيب وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا وتارة يظهره على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير واسطة كموسى عليه السلام فى أوقات المناجاة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فى العالم الاعلى فى حضرة قاب قوسين أو أدنى وقال القرطبى المعنى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض المغيبات كما ورد فى التنزيل فى قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم وقال الزمخشرى فى هذه الآية ابطال الكرامات لان الذين

وعلم ذلك باعلام الله اياه (قوله ولا تزد الظالمين الا تبارا) موافقته ختمه بقوله تبارا لقوله قبل لا تذر على الارض

تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيها ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله في السخط اه وانكار الكرامات مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فيثبتونها فانه يجوز أن يلهم الله تعالى بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ماروى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وان يكن في أمتي أحد فانه عمر أخرجه البخاري قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر ابن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاولياء فان قيل لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي من غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره (أجيب) بان معجزة النبي أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدي ولا يجوز للولي أن يدعي خرقا للعادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة واما الكهانة وما ضاهاها فقال القرطبي ان العلماء قالوا لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لايعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاعلمهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ومن يضرب بالحصا وينظر في الكواكب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على مايشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري مايقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف انسان مختلفي الاحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة فان قال قائل انما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة اذا في عمل المواليد ولادلالة فيها على شقي وسعيد ولم يبق الا معاندة القرآن الكريم ولقد أحسن القائل

حكم المنجم أن طالع مولدي * يقضي علي بميتة الغرق
قل للمنجم صبحة الطوفان هل * ولد الجميع بكوكب الغرق

وقيل لعلي رضي الله عنه لما اراد لقاء الخوارج تلقاهم والقمر في العقرب فقال فاين قمرهم وكان ذلك في آخر السنة فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها ومافيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم وقال له مسافر بن عوف ياأمير المؤمنين لاتسر في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي ولم قال له انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب أصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظهرت وظفرت واصبت ماطلبت فقال علي ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ثم قال فمن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون اتخذ من دون الله ندا أو ضدا اللهم لاطير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم

من الكافرين ديارا

(سورة الجن)

(قوله وانه لما قام عبد الله) اى النبي صلى الله عليه

قال للمنجم أنكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم أو تعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي نهاه عنها فأتى القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها أو ظفرنا وظهرنا لقال انما كان ذلك بتنجيمي وما لمحمد منجم وما لنا بعده وقد فتح الله تعالى علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي عمن سواه (فانه) أي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك أنه اذا أراد اظهاره عليه (يسلك) أي يدخل ادخال السلك في الجوهرة في غاية الاحكام لحفظه وتقويمه ومنعه وتقويمه من غير أدنى تعويج الى غير المراد (من بين يديه) أي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول (ومن خلفه) أي الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعي ويمكن أن يكون ذكر الجهتين دلالة على الكل وخصهما لان العدو متى أعريت واحدة منهما أتى منها ومتى حفظتا لم يأت من غيرهما الا انه يصير بين الاولين والآخرين (رصدا) اي حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه الى الكهنة قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ ما يوحى اليه وقال مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولا أتاه ابليس في صورة ملك يخبره فبعث الله تعالى من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) أي الله علم ظهور كقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين (أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (قد أبلغوا) أي الرسل (رسالات ربهم) وحد أولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله تعالى فان له نار جهنم خالدين فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل قد بلغ رسالات ربه وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى) اي الله سبحانه وتعالى (كل شيء) أي من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر وغير ذلك (عددا) ولو على أقل مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وقال ابن جبير رضي الله عنه ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط بما لديهم فيبلغوا رسالاته *(تنبيه)* هذه الآية تدل على أنه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددا يجوز أن يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل أحصى عدد كل شيء كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا أي عيون الارض وأن يكون منصوبا على الحال أي وضبط كل شيء معدودا محصورا وأن يكون مصدرا في معنى الاحصاء وقول البيضاوي تبعا

وسلم وانما عدل عنه الى عبد الله تواضعا لانه واقع موقع كلامه عن نفسه

(سورة المزمل)

للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا أو كذب به عتق رقبة حديث موضوع

سورة المزمل مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس رضي الله عنهما الا آيتين منها واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي ان ربك يعلم أنك تقوم الى آخر السورة فانه نزل بالمدينة وهي تسع عشرة أو عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي من توكل عليه كفاه في جميع الاحوال (الرحمن) الذي عم بنعمة الايجاد المهتدي والضال (الرحيم) الذي خص حزبه بالسداد في الافعال والاقوال وقوله تعالى (يا أيها المزمل) أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي يقال تزمل يتزمل تزملا فاذا أريد الادغام اجتلبت همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال الاول قال عكرمة يا أيها المزمل بالنبوة والملتزم للرسالة وعنه يا أيها الذي ازمل هذا الامر أي حمله ثم فتر والثاني قال ابن عباس رضي الله عنهما يا أيها المزمل بالقرآن والثالث قال قتادة رضي الله عنه يا أيها المتزمل بثيابه قال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة بمرط طوله أربعة عشر ذراعا قالت عائشة رضي الله عنها كان نصفه علي وأنا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي ولحمة الثوب بفتح اللام وضمها والفتح أفصح ولحمة النسب كذلك والضم أفصح ولحمة البازي بالضم لا غير لانها كاللقمة قال القرطبي وهذا القول من عائشة رضي الله عنها يدل على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة والقول بأنها مكية لا يصح وقال الضحاك تزمل لمنامه وقيل بلغه من المشركين قول سوء فيه فاشتد عليه فتزمل وتدثر فنزلت يا أيها المزمل ويا أيها المدثر وقيل كان هذا في ابتداء ما أوحي اليه فانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حراء رجع الى خديجة رضي الله عنها زوجته يرجف فؤاده فقال زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي أي أن يكون هذا مبادي شعر أو كهانة وكل ذلك من الشيطان أو أن يكون الذي ظهر له بالوحي ليس الملك وكان صلى الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت له وكانت وزيرة صدق رضي الله تعالى عنها كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وهو هذا من الكمال الذي يثبت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في الليل متزملا في قطيفة فنبه ونودي بما يهجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته فقيل له يا أيها المزمل (قم الليل) أي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما أنزل عليك من كلامنا فانا نريد اظهارك واعلاء قدرك في البر والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه الصلاة فلذا لم يقيده وهي جامعة لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دال على ما عداها ولما كان للبدن حظ في الراحة قال تعالى مستثنيا من الليل (الا قليلا) أي من كل ليلة فان الاشتغال بالنوم فعل من

(قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) وصف القرآن بالثقل لثقله بنزول الوحي على نبيه حتى كان يعرق في

لايهمه أمر ولا يعنيه شأن الاترى الى قول ذى الرمة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه * سهدا اذا مانام ليل الهوجل * ومن أمثالهم

أوردها سعد وسعد مشتمل * ماهكذا تورد ياسعد الابل

فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بأن يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لاجرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيما فى وجوههم وتراقى أمرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقال الكلبى انما تزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه ليتهيأ للصلاة وهو اختيار الفراء فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة رضى الله عنه أن المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما اى حمله والزمل الحمل قال البغوى قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فى أول الوحى قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبى والرسول وقال السهيلى ليس المزمل من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه فى أسمائه صلى الله عليه وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حاله التى كان عليها حين الخطاب وكذلك المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى حين غاضب فاطمة رضى الله تعالى عنهما فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم أبا تراب اشعارا له بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يانومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا بترك العتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم فيه تأنيس له وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله أن ينتبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة والليل مدته من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبى واختلف هل كان قيامه فرضا أو نفلا والدلائل تقوى أن قيامه كان فرضا لان المندوب لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا بوقت دون وقت * واختلف هل كان فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من كان قبله من الانبياء او عليه وعلى أمته على ثلاثة أقوال الاول قول سعيد بن جبير رضى الله عنه لتوجه الخطاب اليه الثانى قول ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قيام الليل فريضة على النبى صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله الثالث قول عائشة وابن عباس رضى الله عنهم أيضا أنه كان فرضا عليه وعلى أمته لما روى مسلم أن هشام بن عامر قال لعائشة رضى الله عنها أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست تقرأ يا أيها المزمل فقلت بلى فقالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل

اليوم الشاق أو اثقل العمل بما فيه او اثقله فى الميزان او اثقله على المنافقين (قوله السماء منفطر به)

فى أول هذه السورة فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا وأمسك الله عز وجل
خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء حتى أنزل الله عز وجل فى آخر هذه السورة التخفيف فصار
قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقيل عسر عليهم تمييز القدر الواجب فقاموا الليل كله وشق
عليهم فنسخ بقوله تعالى آخرها فاقرؤا ما تيسر من القرآن وكان بين الوجوب ونسخه سنة
وقيل نسخ التقدير بمكة وبقى التهجد حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع ويعلى عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال لما نزلت يا أيها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان
حتى نزل آخرها وكان بين نزول أولها وآخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير رضى الله
عنه مكث النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين
ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل فخفف الله تعالى عنهم وقيل كان قيام الليل واجبا
ثم نسخ بالصلوات الخمس والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم بعث يوم الاثنين فى رمضان وهو ابن
أربعين سنة وقيل ثلاث وأربعين وآمنت به خديجة رضى الله عنها ثم بعدها قيل على رضى
الله عنه وهو ابن تسع سنين وقيل ابن عشر وقيل ابو بكر وقيل زيد بن حارثة ثم أمر بتبليغ
قومه بعد ثلاث من مبعثه فاول ما فرض عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار والدعاء الى
التوحيد من قيام الليل ما ذكر فى أول السورة ثم نسخ بما فى آخرها ثم نسخ بايجاب الصلوات
الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس بمكة بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ليلة سبع
وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووى فى روضته وقال فى فتاويه بعد النبوة بخمس
اوست وجعل الليلة من ربيع الاول وخالفهما فى شرح مسلم وجزم بانها من ربيع الآخر
وقلد فيها القاضى عياضا والذى عليه الاكثر ما فى الروضة واستمر يصلى الى بيت المقدس مدة
اقامته بمكة وبعد الهجرة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر ثم أمر باستقبال الكعبة ثم فرض
الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريبا وفرضت الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفى السنة الثانية
قيل فى نصف شعبان وقيل فى رجب حولت القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدأ صلى
الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد الاضحى ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة الوداع واعتمر أربعا وتوفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة *(فائدة)* الانبياء
عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون قبل النبوة من الكفر وفى المعاصى خلاف وبعدها
من الكبائر وكذا من الصغائر ولو سهوا عند المحققين وقوله تعالى (نصفه) بدل من قليلا
وقلته بالنظر الى الكل (او انقص منه) اى من النصف (قليلا) أى الى الثلث (او زد عليه) اى
على النصف الى الثلثين واو للتخيير فكان صلى الله عليه وسلم مخيرا بين هذه المقادير الثلاثة وكان
صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه
واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم وقد تقدم أن ذلك نسخ بايجاب الصلوات الخمس
فصار قيام الليل تطوعا فينبغى للمتعبد المواظبة عليه خصوصا فى الوقت الذى يبارك الله
تعالى بالتجلى فيه فانه صح أنه ينزل سبحانه عن ان تشبه ذاته شيأ او نزوله نزول غيره بل هو كناية
عن فتح باب السماء الذى هو كناية عن وقت استجابة الدعاء حتى يبقى ثلث الليل وفى رواية حتى

ى بذلك اليوم لشدته وانما
يؤنث صفة السماء مع
نها مؤنثة لانها بمعنى
السقف تقول هذه اسماء

يبقى شطر الليل الآخر الى سماء الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر ولما أمر بالقيام وقدر وقته وعينه أمر بهيئة التلاوة التي هي روح الصلاة على وجه عام فقال تعالى (ورتل القرآن) أي اقرأه على ترسل وتؤدة وتبيين حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السامع من عدها ويجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر ولكن قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة وقوله تعالى (ترتيلا) تأكيد في الامر به وأنه لا بد منه للقارئ وعن ابن عباس رضي الله عنهما اقرأ على هينتك ثلاث آيات أو أربعا أو خمسا وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع ان يعد حروفها لعدها وسئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وجاء رجل الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل كل سورتين في ركعة وروى الحسن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ آية ويبكي فقال ألم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقال له اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها وندب اصغاء اليه وبكاء عند القراءة وتحسين صوت بها وتعوذ بها جهرا واعادته لفصل طويل وجلوس لها واستقبال وتدبر وتخشع وكرهت بفم نجس وجازت بحمام وهي نظرا في المصحف أفضل منها عن ظهر قلب ثم ان زاد خشوعه وحضور قلبه في القراءة عن ظهر قلب فهي أفضل في حقه وهي أفضل من ذكر لم يخص بمحل ويحرم توسد مصحف وندب كتبه وايضاحه ونقطه وشكله ويحرم كتبه بنجس ومسه بنجس غير معفو عنه وتحرم القراءة بالشواذ وهي ما نقل آحادا وبعكس الآي وكره العكس في السور الا في تعليم وندب ختم القرآن أول نهار وأول ليل وختمه في الصلاة أفضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم الا أن يصادف يوما نهى الشرع عن صيامه وندب الدعاء بعده وحضوره والشروع بعده في ختمة أخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شيء منه ويحرم تفسيره بلا علم (انا) أي بما لنا من العظمة (سنلقي) أي بوعد لا خلف فيه (عليك قولا) اي قرآنا واختلف في معنى قوله تعالى (ثقيلا) فقال قتادة رضي الله عنه ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد رضي الله عنه حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب رضي الله عنه ثقيلا على المنافقين لانه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم

البيت اي سقفه قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا أولا ما ثم تذكر وتؤنث أو جاء منفطر على

والبيان اضلالهم وسب آلهتهم قال السدى رضي الله عنه ثقيلا بمعنى كريم مأخوذ من قولهم
فلان ثقل على أي كرم على وقال الفراء ثقيلا أي رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيلا أي لا يحمله
الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل
في الدنيا ثقل في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيلا أي ثابت كثبوت الثقيل في محله ومعناه انه
ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه أبدا وقيل ثقيلا بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده
ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء بحثوا في احكامه وكذا أهل
اللغة والنحو وأرباب المعاني ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها المتقدمون
فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق
عن حمله والاولى ان تحمل هذه المعاني كلها فيه وقيل المراد هو الوحي كما جاء في الخبر ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها أي صدرها على الارض
فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه وعن الحرث بن هشام أنه سأل النبي صلى الله عليه
وسلم كيف يأتيك الوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس
وهذا أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي
ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد وقوله فيفصم
عني أي ينفصل عني ويفارقني وقد وعيت أي حفظت ما قال وقال القشيري القول الثقيل
هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وقال
الزمخشري هذه الآية اعتراض ثم قال واراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من
جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة
والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه اه يعني فالاعتراض من حيث المعنى
لا من حيث الصناعة وذلك أن قوله تعالى (ان ناشئة الليل) أي القيام بعد النوم (هي اشد
وطأ) أي موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن هي أشد مطابق لقوله قم الليل فكأنه شابه
الاعتراض من حيث دخوله بين هذين المناسبين والمعنى سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا
ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك الا بحمل مشقة شديدة على
النفس ومجاهدة الشيطان فهو أمر ثقيل على العبد * ولما كان التهجد يجمع القول
والفعل وبين ما في الفعل لانه أشق فكان بتقديم الترغيب بالمدحة أحق اتبعه القول فقال
(وأقوم قيلا) أي وأعظم سدادا من جهة القيل في فهمه ووقعه في القلوب لحضور القلب لان
الاصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه وقال قتادة ومجاهد رضي الله
عنهما أصوب للقراءة وأثبت للقول لانه زمان التفهم لرياقة الليل بهدو الاصوات وتجلي الرب
سبحانه بحصول البركات وأخلص من الرياء فبين الله تعالى بهذه الآية فضل صلاة الليل على
صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للاجر وأجلب للثواب
كان علي بن الحسين رضي الله عنه يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هو ناشئة الليل وقال عطاء
وعكرمة رضي الله عنهم هو بدء الليل وقال في الصحاح ناشئة الليل أول ساعاته وقال ابن عباس

النسب أي ذات انفطار كامرأة مرضع وحائض اي ذات ارضاع وذات حيض (قوله فمن شاء اتخذ الى ربه

ومجاهد

ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه ينشأ بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن عربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة وقالت عائشة وابن عباس أيضا ومجاهد رضي الله عنهم انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام قبل النوم فما قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من آخر الليل وأما قوله تعالى أشد وطأ أي أثقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلاة الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر الواو وفتح الطاء وبعدها ألف ممدودة وهمزة منونة وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء وبعدها همزة منونة فهي مصدر واطأت وطأ ومواطأة اي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان يواطئ اسمه اسمي اي يوافقه فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وغيره قال تعالى ليواطؤا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وقيل أشد مهادا للتصرف في الفكر والتدبر وقيل أشد ثباتا من النهار فان الليل يخلو فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل والوطء الثبات تقول وطأت الارض بقدمي وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطا وأتم اخلاصا وأكثر بركة وأبلغ في الثواب (ان لك) أي أيها المتهجد أو يا أكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (في النهار) الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا (سبحا طويلا) أي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك وأشغالك والسبح مصدر سبح استعير للتصرف في الحوائج من السباحة في الماء وهي البعد فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا لحاجات النهار وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبحا طويلا يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) اي المحسن اليك والموجد والمدبر لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة ودعاء واقبال على علم شرعي وادب مرعي ودم على ذلك في ليلك ونهارك واحرص عليه فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك عون لك على مصالح الدارين أما الآخرة فواضح وأما الدنيا فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أعز الخلق عليه فاطمة ابنته رضي الله تعالى عنها لما سألته خادما يقيها التعب الى التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم (وتبتل) اي اجتهد في قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص في جميع أعمالها بالتدريج قليلا قليلا منتهيا (اليه) ولا تزل على ذلك حتى يصير ذلك لك خلقا فتكون نفسك كأنها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى (تبتيلا) مصدر تبتل جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل قال الزمخشري فان قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل اهـ والتبتيل الانقطاع ومنه امرأة بتول أي منقطعة عن النكاح وفي الحديث انه نهى عن التبتل وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة اي مؤن النكاح فليتزوج والمراد به في الآية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى كما مرت الاشارة اليه دون ترك النكاح والتبتل في الاصل

سبيلا) فان قلت ان جعل اتخذ الى ربه سبيلا جوابا فاين الشرط اذ نشاء لا يصلح شرطا به ونذكر مفعوله

الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة وقال ابن العربي هذا فيما مضى واما اليوم فقد مرجت عهود الناس وخفت أماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزبة أفضل من التأهل ولكن معنى الآية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى وكذلك قال مجاهد رضى الله عنه معناه أخلص له العبادة ولم يرد التبتيل فصار التبتل مأمورا به فى القرآن منهيا عنه فى السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهى فلا يتناقضان وانما بعث ليبين ما أنزل اليهم فالتبتل المأمور به الانقطاع الى الله تعالى اخلاص العبادة كما قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى فى ترك النكاح والترهب فى الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن * ولما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم بين سبحانه الذى انعم بسكن الليل الذى أمرنا بالتهجد فيه ومنتشر النهار الذى أمرنا بالسبح فيه فقال تعالى (رب المشرق) أى موجد محل الانوار التى بها ينمحى هذا الليل الذى أنت قائم فيه ويضىء بها الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقى الدين بن دقيق العيد

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

(والمغرب) أى الذى يكون عنده الليل الذى هو موضع السكون ومحل الخلوات ولذيذ المناجاة فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره (لا اله) أى لا معبود بحق (الا هو) أى ربك الذى دلت تربيته لك على مجامع العظمة وأبهى صفات الكمال والمنزه عن كل شائبة نقص وقرأ رب ابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائى بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول لا أحد فى الدار الا زيد والباقون برفعها على انه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا اله الا هو (فاتخذه) أى خذه بجميع جهدك وذلك بافرادك اياه بكونه (وكيلا) أى على كل من خالفك بان تفوض جميع أمورك اليه فانه يكفيكها كلها فانه المتفرد بالقدرة عليها ولا شىء فى يد غيره فلا تهتم بشىء أصلا قال البقاعى وليس ذلك ان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال فى طلب كل ما ندب الانسان الى طلبه ليكون متوكلا فى السبب لا من دون سبب فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الاسباب ولو لم يكن فى افراده بالوكالة الا انه يفارق الوكلاء بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس دونك وانت تتوقع أن يكلمك كثيرا فى مصالحك وربك أعظم العظماء وهو يأمرك بان تكلمه كثيرا فى مصالحك وتطيل الكلام و وكيلك من الناس اذا حصل مالك سألك الاجرة وهو سبحانه يوفر مالك و يعطيك الاجر و وكيلك من الناس ينفق عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك و ينفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه الآية عاش حرا كريما ومات خالصا شريفا ولقى الله تعالى عبدا صافيا مختارا تقيا ومن شرط الموحد أن يتوجه الى

الواحد

أو جعل المجموع شرطا فاين الجواب (قلت) معناه فمن شاء اتصاله اتخذ الى ربه سبيلا أو فمن شاء ان

الواحد ويقبل عليه ويبذل له نفسه ويفوض اليه أمره ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويتذلل لربوبيته ويتواضع لعظمته (واصبر على ما يقولون) أي الخالفون المفهومون من الوكالة من الاذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعواهم وفوض أمرهم الى فاني اذا كنت وكيلاك أقوم باصلاح أمرك أحسن من قيامك بأمور نفسك (واهجرهم) أي أعرض عنهم (هجرا جميلا) أي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافأتهم فان ذلك ترك للدعاء الى الله تعالى وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله عليه وسلم منع في أول الاسلام من قتال الكفار وأمر هو وأصحابه بالصبر على اذاهم بقوله تعالى لتبلون في أموالكم الآية ثم أمر به اذا ابتدؤا بقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم أبيح له ابتداؤه في غير الاشهر الحرم ثم أمر به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم (وذرني) أي اتركني (والمكذبين) أي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشيئك الآن تخل بيني وبينهم بأن تكل أمرهم الى وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى تطلب اليه ان تذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه اذا لم يكل اليه أمره فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بانه يتمكن من الوفاء باقصى ماتدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير أخبرت انهم اثناعشر رجلا وقال البغوي نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقوله تعالى (أولي النعمة) نعت للمكذبين أي أصحاب التنعم والترفه *(فائدة)* النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) أي اتركهم برفق وتأن وتدريج ولا تهتم بشأنهم وقوله تعالى (قليلا) نعت لمصدر أي تمهيلا قليلا أو لظرف زمان محذوف أي زمانا قليلا فقتلوا بعد يسير ببدر وقوله تعالى (ان لدينا أنكالا) جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذي لا ينفك أبدا وقال الكلبي أغلالا من حديد (وجحيما) أي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد مما كانوا يتقيدون به من تبريد الشراب والتنعم برقيق اللباس وتكلف أنواع الراحة (وطعاما ذا غصة) أي يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو الشوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وعذابا أليما) أي مؤلما ومعنى الآية ان لدينا في الآخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة النكال والجحيم والطعام الذي يغص به والعذاب الاليم والمراد به سائر أنواع العذاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق وقوله تعالى (يوم ترجف) منصوب بالاستقرار المتعلق به لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة فتزلزل (الارض) أي كلها (والجبال) أي التي هي أشدها (وكانت) أي وتكون (الجبال) التي هي مراسي الارض وأوتادها وعبر عن شدة الاختلاط والتلاشي بالتوحيد فقال

يتخذ الى ربه سبيلا اتخذ الى ربه سبيلا كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أي فمن شاء الايمان

تعالى (كثيبا) أى رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى أصله ومنه الكثبة من اللبن (مهيلا) قال ابن عباس رملا سائلا يتناثر وقال الكلبي هو الذى اذا أخذت منه شيأ تبعك ما بعده قال القرطبي وأصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب أهيله اهالة وهيلا اذا صببته يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومعين ومعيون قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيدا ✽ واخال انك سيد معيون

وقال عليه الصلاة والسلام حين شكوا اليه الجدوبة اتكيلون أم تهيلون قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه وأصل مهيل مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى الهاء فالتقى ساكنان فسيبويه واتباعه حذفوا الواو وكانت أولى بالحذف لانها زائدة وان كانت القاعدة أن ما يحذف لالتقاء الساكنين الاول ثم كسروا الهاء لتصح الياء ووزنه حينئذ مفعل والكسائى ومن تبعه حذفوا الياء لان القاعدة حذف الاول كما مر ولما خوف تعالى المكذبين أولى النعمة بأهوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (ارسلنا اليكم) يا أهل مكة خصوصا فالكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة (رسولا) أى عظيما جدا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم وأجلهم وأفضلهم قدرا (شاهدا عليكم) أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة عند طلبها منه يوم ننزع من كل أمة شهيدا وهو يوم القيامة (كما ارسلنا) أى بما لنا من العظمة (الى فرعون) أى ملك مصر (رسولا) وهو موسى عليه الصلاة والسلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل قال مقاتل وانما ذكر موسى وفرعون دون سائر الرسل لان أهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى بموسى عليه السلام لانه رباه ونشأ فيما بينهم كما قال تعالى حكاية عن فرعون ألم نربك فينا وليدا وذكر الرازى السؤال والجواب قال ابن عادل وهو ليس بالقوى لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشأ فيما بين قوم نمروذ وكان آزر وزير نمروذ على ما ذكره المفسرون وكذا القول فى هود ونوح وصالح ولوط لقوله تعالى فى قصة كل واحد منهم لفظة أخاهم لانه من القبيلة التى بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام التربية فان أبا طالب تربى عنده النبى صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام تربى عند فرعون ولم يكن ذلك لغيرهما (فعصى فرعون الرسول) انما عرفه لتقدم ذكره وهذه أل العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم أتوا به ثانيا أتوا به معرفا بال أو أتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو رأيت رجلا فاكرمت الرجل أو فاكرمته ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم أنه غير الاول وقال المهدوى ودخلت الالف واللام فى الرسول لتقدم ذكره ولذا اختير فى أول الكتب سلام عليكم وفى آخرها السلام عليكم ثم تسبب عن عصيانه قوله تعالى (فاخذناه) أى فرعون بما لنا من العظمة وبين انه أخذ قهر وغضب بقوله تعالى (أخذا وبيلا) أى ثقيلا شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل أى شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل أى شديد قاله الاخفش وقال الزجاج اى ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة وفى ذلك تخويف لاهل مكة ثم خوفهم بيوم

فليؤمن ومن شاء الكفر
فليكفر (قوله فاقرؤا
ما تيسر من القرآن) اى فى
الصلاة بان تصلوا ما تيسر

القيامة

القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم) اى توجدون الوقاية التى تقى انفسكم اذا كفرتم فى الدنيا والمعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا رايتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة اذا كفرتم فى الدنيا وقوله تعالى (يوما) مفعول تتقون اى عذابه اى باى حصن تتحصنون من عذاب الله يوم (يجعل الولدان) وقوله تعالى (شيبا) جمع أشيب والاصل فى الشين الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال وهو مجاز ويجوز أن يراد فى الآية الحقيقة والمعنى يصيرون شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك وفى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض او كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وهى بفتح الراء وسكون القاف الاثر الذى فى بطن عضد الحمار وأنى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبر القوم ثم قال ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال شطر اهل الجنة فكبروا وفى هذا اشارة الى الاعتناء بهم لان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفى هذا ايضا حملهم على تجديد شكر الله تعالى وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم بقوله تعالى (السماء منفطر) أى ذات انفطار اى انشقاق (به) اى بسبب ذلك اليوم لشدته فالباء سببية وجوز الزمخشرى ان تكون للاستعانة فانه قال والباء فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به وقال القرطبى معنى به اى فيه اى فى ذلك اليوم وقيل به اى بالامر اى السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بالله اى بامره *(تنبيه)* انما لم تؤنث الصفة لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلاء لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها انها على النسبة اى ذات انفطار نحو امرأة مرضع وحائض أى ذات ارضاع وذات حيض ومنها انها تذكر وتؤنث أنشد الفراء

فلو رفع السماء اليه قوما * لحقنا بالسماء وبالسحاب

ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء فيقال سماءة واسم الجنس يذكر ويؤنث ولهذا قال ابو على الفارسى هو كقوله تعالى منتشر والنخل منقعر يعنى جاءا على احد الجائزين لان تانيثها ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر والمهاة بالاثمد الحيرى مكحول والضمير فى قوله تعالى (كان وعده مفعولا) يجوز ان يكون لله وان لم يجر لذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا لفاعله ويجوز ان يكون لليوم فيكون مضافا لمفعوله

من الصلاة بما تيسر من القرآن وهذا يرجع الى قول بعضهم ان المراد بالقرآن صلوا وان عبر

والفاعل وهو الله تعالى مقدر قال المفسرون كان وعده بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا
كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) أي
الآيات الناطقة بالوعيد الشديد أو السورة (تذكرة) أي تذكير عظيم هو أهل لأن يتعظ به
ويعتبر به المعتبر ولاسيما إذا كر فيه الأهل الكفر من العذاب * ولما كان سبحانه قد جعل
للانسان عقلا يدرك به الحسن والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من
جهة اختيار الأصلح والأحسن الا قهر المشيئة التي لا اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب عن
ذلك قوله تعالى (فمن شاء اتخذ) أي بغاية جهده (الى ربه) أي المحسن اليه خاصة لا الى غيره
(سبيلا) أي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له لأنه أظهر له الحجج والدلائل قيل
نسخت بآية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره قال الثعلبي والأشبه أنه غير منسوخ (ان
ربك) أي المدبر لأمرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك (يعلم انك تقوم) أي في الصلاة كما
أمرت به أول السورة (أدنى) أي زمانا أقل والأدنى مشترك بين الأقرب والأدون الأنزل رتبة
لأن كلا منهما يلزم عنه قلة المسافة (من ثلثي الليل) وقرأ (ونصفه وثلثه) ابن كثير وعاصم وحمزة
والكسائي بنصب الفاء بعد الصاد ونصب المثلثة بعد اللام ورفع الهاء فيهما عطف على أدنى
والباقون بكسر الفاء والمثلثة وكسر الهاء فيهما ٣ عطف على ضمير تقوم وقيامه كذلك مطابق
لما وقع التقدير فيه أول السورة من قيام النصف بتمامه أو الناقص منه وهو الثلث أو الزائد
عليه وهو الثلثان أو الأقل من الأقل من النصف وهو الربع وقوله تعالى (وطائفة من الذين
معك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي
به ومنهم من كان لا يدري كم يصلي من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا
حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم بقوله تعالى (والله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما
(يقدر) أي تقديرا عظيما هو في غاية التحرير (الليل والنهار) أي هو العالم بمقادير الليل والنهار
فيعلم القدر الذي تقومون من الليل والذي تنامون منه (علم ان) مخففة من الثقيلة واسمها
محذوف أي انه (لن تحصوه) أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق
عليكم (فتاب عليكم) أي رجع بكم الى التخفيف بالترخص لكم في ترك القيام المقدر أول السورة
وقوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر) أي سهل (من القرآن) فيه قولان أحدهما ان المراد بهذه القراءة
القراءة في الصلاة وذلك ان القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا
ما تيسر عليكم قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن
عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم ركع ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد
والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر
منه قال القشيري والمشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الأمة وبقيت الفريضة في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه بل نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلا
واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن معناه اقرؤا ان تيسر
عليكم ذلك وصلوا ان شئتم والقول الثاني ان المراد بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته
وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان سواء كان في صلاة أم غيرها قال كعب من قرأ في ليلة

٣ قوله عطف على ضمير تقوم سهو أو سبق قلم وفي الجلال المحلي بالجر عطف على ثلثي اه مصححه

فالقراءة عن الصلاة التي هي بعض واجباتها وهو من اطلاق الجزء على الكل وقوله بعد فاقرؤا ما تيسر

مائة آية كتب من القانتين وقال سعيد خمسين آية قال القرطبي قول كعب أصح لقوله صلى
الله عليه وسلم من قام بعشر آيات من القرآن لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب
من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين خرجه أبو داود والطيالسي وروى أنس
ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم او في ليلة
لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن
يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر فقوله من المقنطرين أي أعطى
قنطارا من الاجر وجاء في الحديث أنه ألف ومائتا أوقية والاوقية خير مما بين السماء والارض
وقال ابو عبيدة القناطير واحدها قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من
لفظه وقال ثعلب المعول عليه عند العرب أنه أربعة آلاف دينار فاذا قالوا قناطير مقنطرة
فهي اثنا عشر ألف دينار وقيل ان القنطار ملء جلد ثور ذهبا وقيل ثمانون ألفا وقيل هو جملة
كثيرة مجهولة من المال نقله ابن الاثير قال القرطبي والقول الثاني أصح حملا للخطاب على
ظاهر اللفظ والقول الاول مجاز لانه من تسمية الشئ ببعض ما هو من أعماله واذا كان ذلك على
قيام لا في قدر القراءة فلا دليل فيه على أن الفاتحة لا تتعين في الصلاة بل هي متعينة في كل
ركعة لخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ولخبر لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها
بفاتحة الكتاب رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما ولفعله صلى الله عليه وسلم كما في مسلم مع
خبر البخاري صلوا كما رأيتموني أصلي ويحمل قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه مع خبر ثم اقرأ
بما تيسر معك من القرآن على الفاتحة أو على العاجز عنها جمعا بين الادلة ولما كان هذا نسخا لما
كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه سبحانه بعدم احصائه فسر ذلك العلم المجمل بعلم
مفصل بيانا للحكمة أخرى للنسخ فقال تعالى (علم أن) هي مخففة من الثقيلة أي أنه (سيكون)
اى بتقدير لا بد منه (منكم مرضى) جمع مريض وهذه السورة من أول ما أنزل على النبي صلى
الله عليه وسلم ففي ذلك اشارة بأن أهل الاسلام يكثرون جدا (وآخرون) غير المرضى
(يضربون) اى يوقعون الضرب (في الارض) اى يسافرون لان الماشي يجد ويضرب برجله
في الارض (يبتغون) اى يطلبون طلبا شديدا (من فضل الله) اى بعض ما أوجده الملك
الاعظم لعباده بالتجارة وغيرها (وآخرون) اى منكم أيها المسلمون (يقاتلون) اى يطلبون
ويوقعون قتل أعداء الله تعالى ولذلك بينه بقوله تعالى (في سبيل الله) اى الملك الاعظم وكل
من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الآية بين درجة
المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا
على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ما من
جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء
ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
وآخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن
المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون الآية
وقال ابن عمر ما خلق الله تعالى موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب الي من الموت بين

(قوله غير يسير) فائدة
منه تأكيد حثنا على قيام الليل بما تيسر

(سورة المدثر)

شيء حتى رجل ايبتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأعاد قوله تعالى (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من القرآن للتأكيد (وأقيموا الصلوة) أي المكتوبة وهي خمس بجميع الامور التي تقوم بها من أركانها وشروطها وأبعاضها وهيآتها (وآتوا الزكوة) أي زكاة اموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص (وأقرضوا الله) أي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغنى المطلق من أبدانكم وأموالكم في أوقات صحتكم ويساركم (قرضا حسنا) من نوافل الخيرات كلها برغبة تامة وعلى هيئة جميلة في ابتدائه وانتهائه وقال زيد بن أسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله (وما تقدموا لانفسكم) أي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الاعمال (من خير) أي خير كان من عبادات البدن والمال (تجدوه) أي محفوظا لكم (عند الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما (هو) أي لا غيره (خيرا) أي لكم وجاز ضمير الفصل بين غير معرفتين لان أفعل منه كالمعرفة ولذلك يمتنع دخول أداة التعريف عليها والمعنى هو خير من الذي تدخرونه الى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خيرا لكم من متاع الدنيا وروى البغوي بسنده عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يا رسول الله ما منا من أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (وأعظم أجرا) قال أبو هريرة يعني الجنة ويحتمل أن يكون أعظم أجر الاعطائه بالحسنة أجرا ولما كان الانسان اذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما اذا كان المادح له ربه ربما أدركه الاعجاب بين له أنه لا يقدر بوجه على ان يقدر الله تعالى حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو فقال عز من قائل (واستغفروا الله) أي اطلبوا وأوجدوا ستر الملك الاعظم الذي لا تحيطون بمعرفته فكيف بأداء حق خدمته لتقصيركم عينا وأثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه (ان الله) أي الملك الاعظم (غفور) أي بالغ الستر لاعيان الذنوب وآثارها حتى لا يكون عنها عقاب ولا عتاب (رحيم) أي بالغ الاكرام بعد الستر افضالا واحسانا وتشريفا وامتنانا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة حديث موضوع

ذكره بعد قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين رفع توهم ان يراد بعسير عسير يرجى تيسيره كما يرجى

سورة المدثر مكية

(وهي خمس او ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف)

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذي عم برحمته الابرار والفجار (الرحيم) الذي خص أصفياءه بما يوصلهم الى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لارباب البصارة بعد ما ابتدئت بالاجتهاد في الخدمة المهيئ للقيام بأعباء الدعوة اقتضت هذه بعد حكمة الرسالة

وهى النذارة فقال تعالى (يا أيها المدثر) روى عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذى خلق قال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذى قلت فقال لى جابر لا أحدثك الا مثل ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيأ ونظرت عن شمالى فلم أر شيأ ونظرت عن خلفى فلم أر شيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا قال فنزل يا أيها المدثر الآية وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفى رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى وذكر نحوه وفيه فاذا هو قاعد على عرش فى الهواء يعنى جبريل عليه السلام فأخذتنى رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهرى عن أبى سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال لى فى حديثه فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل الله عز وجل يا أيها المدثر الى قوله فاهجر وفى رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلى وذكره ثم حمى الوحى وتتابع (فان قيل) ان هذا الحديث دال على أن سورة المدثر أول ما نزل ويعارضه حديث عائشة المخرج فى الصحيحين فى بدء الوحى وسيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث (أجيب) بأن الذى عليه العلماء ان أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذى خلق كما صرح به فى حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن فضعيف وانما كان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن أبى سلمة عن جابر ويدل عليه ما فى الحديث وهو يحدث عن فترة الوحى الى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه قوله أيضا فاذا الملك الذى جاءنى بحراء وحاصله ان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك وان أول ما نزل بعد فترة الوحى سورة المدثر وبهذا يحصل الجمع بين الحديثين قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذى يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحى أى احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النزول وقوله فجئثت منه روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروى بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله حمى الوحى وتتابع أى كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها وقوله وصبوا على ماء باردا فيه انه ينبغى لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه واصل المدثر المتدثر وهو الذى يتدثر فى ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمى مدثرا لوجوه أحدها قوله صلى الله عليه وسلم دثرونى وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها المدثر (قم فأنذر) أى حذر الناس من العذاب ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذى نصبك الله عز وجل له

تيسير العسير من امور الدنيا وقيل فائدته التوكيد (قوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم

وثالثها ان الوليد بن المغيرة وابا جهل وابا لهب والنضر بن الحرث اجتمعوا وقالوا ان وفود العرب يجتمعون فى ايام الحج وهم يسألون عن امر محمد وقد اختلفتم فى الاخبار عنه فمن قائل هو مجنون وقائل ساحر وقائل كاهن وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع فى رجل واحد فيستدلون باختلاف الاجوبة على انها اجوبة باطلة فسموا محمدا باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقيل انه ليس المراد التدثر بالثياب وعلى هذا ففيه وجوه ايضا احدها قال عكرمة المعنى يا ايها المدثر بالنبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم قال ابن العربى وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد اى على القول بانها اول سورة نزلت واما على انها انزلت بعد فترة الوحى فليس ببعيد وثانيها ان المدثر بالثوب يكون كالمختفى فيه وهو صلى الله عليه وسلم كان فى جبل حراء كالمختفى من الناس فكأنه قال يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك وعلى كلا القولين فى ندائه بذلك ملاطفة فى الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد (وربك) اى خاصة (فكبر) اى عظمه عما يقول عبدة الاوثان وصفه بانه اكبر من ان تكون له صاحبة او ولد وفى الحديث انهم قالوا بم تفتتح الصلاة فنزل وربك فكبر اى صفه بانه اكبر قال ابن العربى وهذا القول وان كان يقتضى بعمومه تكبير الصلاة فانه يراد فيه تكبير التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه وروى ان ابا سفيان قال يوم احد اعل هبل وهو اسم صنم كان لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع فى تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقول الله اكبر وحمل عليه لفظ النبى صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق فى موارده منها قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضى بعرفه ما يقتضى بعمومه ومن موارده اوقات الاهلال بالله تعالى تخليصا له من الشرك واعلاما باسمه بالنسك وافراد الما شرع من امره بالنسك والمنقول عن النبى صلى الله عليه وسلم فى التكبير فى الصلاة هو لفظ الله اكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام النبى صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت خديجة رضى الله تعالى عنها وفرحت وعلمت انه وحى من الله تعالى ذكره القشيرى قال مقاتل هو ان يقال الله اكبر وقيل المراد منه التكبير فى الصلاة (واستشكل) ذلك على القول بانها اول سورة نزلت فان الصلاة لم تكن فرضت (واجيب) بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان له صلوات تطوع فامر ان يكبر فيها * (تنبيه) * دخلت الفاء فى قوله تعالى فكبر وفيما بعده لافادة معنى الشرط كانه قيل وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به (وثيابك فطهر) اى من النجاسات لان طهارة الثياب شرط فى صحة الصلاة لا تصح الا بها وهى

قيل كيف قدر) ذكر قدر ثلاث مرات وقيل كيف قدر مرتين لان المعنى ان الوليد فكر فى شان النبى

الاولى والاحب فى غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا قال الرازى اذا حملنا التطهير على حقيقته ففى الآية ثلاثة احتمالات الاول قال الشافعى المقصود من الآية الاعلام بأن الصلاة لا تجوز الا فى ثياب طاهرة من الانجاس وثانيها روى انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلى شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدثر فى ثيابه صلى الله عليه وسلم فقيل يا أيها المدثر قم فانذر ولا تمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر على ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وثالثها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان المشركون لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يصون ثيابه عنها وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم ازار المؤمن الى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك ففى النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية فى لباس الازار الكعب وتوعد على ما تحته بالنار فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بأيديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء وفى رواية من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ان أحد شقى ازارى يسترخى الا انى أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكنى به عنه ألا ترى الى قولهم أعجبنى زيد ثوبه كما تقول أعجبنى زيد عقله وخلقه ويقولون المجد فى ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الا الاجتناب الخبيث وايثار الطهر فى كل شئ وقال عكرمة سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدر قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى

وانى بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ويقولون ان غدر انه لدنس الثياب وقال أبى بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على اثم البسها وأنت بر طاهر وقال الحسن والقرطبى وخلقك فحسن وقال سعيد بن جبير وقلبك وبيتك فطهر وقال مجاهد وابن زيد وعملك فاصلح وروى منصور عن أبى رزين قال يقول وعملك أصلح قال واذا كان الرجل خبيث العمل قالوا ان فلانا نجس الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء فى ثوبيه اللذين مات عليهما يعنى عمله الصالح والطالح ذكره الماوردى وقيل المراد بالثياب الاهل أى طهرهم من الخطايا بالموعظة والتاديب والعرب تسمى الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وقيل المراد به الدين أى ودينك فطهر جاء فى الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب

صلى الله عليه وسلم وما أقبح وقدر ماذا يمكنه ان يقول فيه ما قال الله فقتل كيف قدر أى على أى حال كان تقديره فالتقدير الاول مغاير

وعليه ازار يجره قالوا يارسول الله فما أولت ذلك قال الدين وقوله تعالى (والرجز) فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالاوثان (فاهجر) أي دم على هجره وقيل الزاي فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجيهما ويدل لهذا التأويل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وروى عن ابن عباس ان معناه اترك المآثم وقرأ حفص بضم الراء والباقون بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد وقال أبو العالية الرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب قال البغوي ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) مرفوع منصوب المحل على الحال أي لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا واجعله خالصا لله تعالى ولا تطلب عوضا أصلا ومعنى تستكثر أي طالبا للكثرة كارها أن ينقص المال بسبب العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه وقيل لا تعط شيأ طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الآية لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثاني أنه نهي تنزيه لا تحريم له ولامته وقيل انه تعالى لما أمره باربعة أشياء انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز [2] ثم قال ولا تمنن تستكثر أي لا تمنن على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما تفعله (ولربك فاصبر) أي على الاوامر والنواهي متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه وقال الحسن بحسناتك تستكثرها وقال ابن عباس ولا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها وقيل لا تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين والوحي مستكثرا بذلك الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله تبارك وتعالى فلا منة لك به عليهم ولهذا قال تعالى ولربك فاصبر وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر أي لتاخذ منهم أجرا على ذلك تستكثر به مالك وقال مجاهد والربيع لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فانه مما أنعم الله تعالى به عليك وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله تعالى عليك اذ جعل لك الله تعالى سبيلا الى عبادته وقال زيد بن اسلم اذا أعطيت عطية فاعطها لربك لا تقل دعوت فلم يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لترائي به الناس * ولما ذكر تعالى ما يتعلق بارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقياء بقوله تعالى (فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور) أي في الصور وهو القرن النفخة الثانية فاعول من النقر أي التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال تعالى اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وقرأ على الكافرين واصحاب النار ابو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح * ولما كان العسر قد يطلق على

الثاني والثالث لاختلاف المقدر وقوله ثم قتل كيف قدر كرره للمبالغة فهو تاكيد ولزم منه ان قدر الثالث تاكيد للثاني وان قيل

[2] قوله ثم قال الظاهر اسقاط ثم اه مصححه

شي

الشئ وفيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيرا بين أنه ليس كذلك بقوله تعالى (غير يسير) فجمع فيه بين اثبات الشئ ونفي ضده تحقيقة الامر ودفعا للمجاز عنه وتقييده بالكافرين يشعر بيسره على المؤمنين فانهم لا يناقشون الحساب ويحشرون بيض الوجوه ثم قال المواز بن قال الرازي ويحتمل أنه عسير على المؤمنين والكافرين الا أنه على الكافرين أشد

(تنبيه) قال الحليمي سمى الصور باسمين فان كان هو الذي ينفخ فيه النفختان فان نفخة الاصعاق بخلاف نفخة الاحياء وجاء في الاخبار أن في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانما تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (ذرني) أي اتركني على أي حالة اتفقت (ومن خلقت) معطوف على المفعول أو مفعول معه وقوله تعالى (وحيدا) فيه أوجه أحدها انه حال من الياء في ذرني اى ذرني وحدي معه فانا أكفيك في الانتقام منه الثاني أنه حال من التاء في خلقت أي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد فانا أهلكه الثالث أنه حال من عائد المحذوف أي خلقته وحيدا فوحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف أي خلقته في بطن أمه وحيدا لا مال له ولا ولد ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته قاله مجاهد الرابع أن ينتصب على الذم لانه يقال ان وحيدا كان لقبا للوليد بن المغيرة المخزومي ومعنى وحيدا ذليلا قيل انه كان يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس لي ذلك ما يقتضي صدق مقالته لان هذا اللقب له شهرة به وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقبا تعين نصبه على الذم قال ابن عباس كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير قال الرازي ورد هذا القول بعضهم بانه تعالى لا يصدقه في دعواه انه وحيد لا نظير له ذكره الواحدي وهو ضعيف من وجوه ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علما فيزول السؤال لان اسم العلم لا يفيد في المسمى صفة بل هو قائم مقام الاشارة الثاني أن يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك أنت العزيز الكريم الثالث أنه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد ليس فيه أنه وحيد في العلو والشرف الرابع قال أبو سعيد الوحيد الذي لا أب له كما تقدم في الزنيم (وجعلت له) أي باسباب أوجدتها أنا وحدي لا بحول منه ولا قوة بدليل أن غيره أقوى منه بدنا وقلبا وأوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك (مالا ممدودا) أي مالا واسعا كثيرا قال ابن عباس هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والبقر والغنم والخيول والجنان والعبيد والجواري واختلفوا في مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن جبير ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري مرة أربعة آلاف دينار ومرة ألف ألف دينار وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وقال الرازي الممدود هو الذي يكون له مدد يأتي منه الجزء بعد الجزء دائما ولذلك فسره عمر بغلة شهر بشهر وقال النعمان الممدود بالزيادة كالزروع والضروع وانواع التجارات وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (وبنين) اى وجعلت له بنين (شهودا) اى حضورا معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة ومع ذلك

الثاني تأكيد للاول وثم للدلالة على ان مدخولها ابلغ مما قبلها وقيل المراد بالقتل الاول لعن الوليد وتعذيبه فهو مغاير للثاني

فهم أعيان المجالس والمحافل كانه لا شاهد به غيرهم قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقال السدى والضحاك كانوا اثنى عشر رجلا وعن الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة بالطائف وقال مقاتل كانوا سبعة ولعله اقتصر على من ولد بمكة وعلى كل قول اسلم منهم ثلاثة خالد الذى من الله تعالى على المسلمين باسلامه فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم وهشام وعمارة (ومهدت) اى بسطت (له) العيش والعمر والولد والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبى وقال ابن عباس اى وسعت له ما بين اليمن الى الشام وعن مجاهد انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة وقوله تعالى (تمهيدا) تأكيد (ثم) اى بعد الامر العظيم الذى ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطمع) اى بغير سبب يدلى به مما جعلناه سبب المزيد من الشكر (ان أزيد) اى فيما آتيته فى دنياه او فى آخرته وهو يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم وقال الحسن ثم يطمع أن ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له (كلا) اى وعزتنا وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلا وأما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع ولينزجر وليرتجع فانه حمق محض وزخرف بحت وغرور صرف قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيرا * (تنبيه) * كلا قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويبتدأ بقوله تعالى (انه) اى هذا الموصوف (كان) اى بخلق كانه جبلة له وطبع لا يقدر على الانفكاك عنه (لآياتنا) على مالها من العظمة خاصة لكونها هادية الى الوحدانية لا الى غيرها من الشبه القائدة الى الشرك (عنيدا) قال قتادة اى جاحدا وقال مقاتل معرضا وقال مجاهد انه المجانب للحق وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنيد بمعنى المعاند والعناد كما قال الملوى من كبر فى النفس ويبس فى الطبع وشراسة فى الاخلاق او خبل فى العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لعنه الله تعالى لانه خلق من نار وهى من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية * (تنبيه) فى الآية اشارة الى ان الوليد كان معاندا فى امور كثيرة منها انه كان يعاند فى دلائل التوحيد وصحة النبوة وصحة البعث ومنها ان كفره كان عنادا لانه كان يعرف هذه الاشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر العناد أفحش انواع الكفر ومنها ان قوله تعالى كان يدل على ان هذه حرفته من قديم الزمان (سأرهقه) اى اكلفه (صعودا) اى مشقة من العذاب لا راحة له فيها وروى الترمذى عن ابى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى وفى رواية انه كلما وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال الكلبى انه صخرة ملساء فى النار يكلف ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها فى اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك دأبه أبدا (انه) اى هذا العنيد (فكر) اى ردد فكره وادارة تابعا للهوى لاجل الوقوع على شئ يطعن به فى القرآن او النبى صلى الله عليه وسلم (وقدر) اى اوقع تقدير الامور التى يطعن بها لو قاسها فى نفسه لعله أنها أقرب الى القبول وذلك ان الله تعالى لما أنزل

(قوله لا تبقى ولا تذر) قيل معناهما واحد اى لا تبقى ولا تذر شيئا من لحم ولا عصب الا اهلكته ثم يعود

على

على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى المصير فقام
النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي
صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه بني
مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف
الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابو جهل انا
اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي اراك حزينا يا ابن اخي
قال وما يمنعني أن لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون
انك زينت كلام محمد وأنك داخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة تنال من فضل طعامهم
فغضب الوليد وقال الم تعلم اني من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام
فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون
فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن فقالوا اللهم
لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل
جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل
النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ففكر في نفسه وقدر ما امر قال الله تعالى
(فقتل) اي هلك وطرد ولعن في دنياه هذه (كيف قدر) اي على اي كيفية اوقع تقديره هذا
(ثم قتل) اي هلك واعن هذا العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ
والقيامة (كيف قدر) فثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى ونحوه قوله
* ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي * ومعنى قول القائل قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره
للاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واما ثم المتوسطة
بين الافعال التي بعدها فهي للدلالة على انه تانى في التامل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ
وتباعد وقوله تعالى (ثم نظر) عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما والنظر اما في وجوه
قومه واما فيما يقدح به في القران (ثم عبس) اي قبض وجهه وكلحه ونظر مع تقبض جلد ما
بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر في شئ وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل
لكونه لم يجد فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين
وذلك انه لما قال لقريش ان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس
في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه (وبسر) اي زاد في القبض
والكلح يقال وجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير اللون قاله قتادة (ثم) اي بعد هذا
التروي العظيم (ادبر) اي عما دعاه اليه ففكر من الايمان بسلامة المنظور فيه وعلوه عن
المطاعن فحاد عن وجوه الافكار الى اقبحها (واستكبر) اي اوجد الكبر عن الاعتراف بالحق
ايجاد من هو في غاية الرغبة فيه (فقال) اي عقب ما جره اليه طبعه الخبيث من ايقاع الفكر
على هذا الوجه لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا (ان) اي ما (هذا) اي الذي اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم (الا سحر) اي امور تخييلية لا حقائق لها وهي لدقتها بحيث تخفى اسبابها المار أيتموه

كما كان وقيل متغايران اي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما او لا تبقيهم احياء ولا تذرهم أمواتا (قوله

يفرق بين الرجل واهله وماله وولده وموالى ما هو الا سحر (يؤثر) اى من شأنه ان ينقله السامع عن غيره فهو ينقله من مسيلمة واهل بابل كما قال (ان) اى ما (هذا) اى القرآن (الا قول البشر) اى ليس فيه شئ عن الله تعالى فلا يفترا احد به ولا يعرج عليه فارتج النادى فرحا ثم تفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه قيل وهذ شبيه بما قال بعضهم

لو قيل كم خمس وخمس لاغتدى * يوما وليلة يعد ويحسب
ويقول معضلة عجيب امرها * ولئن فهمت لها لامرى اعجب
خمس وخمس ستة او سبعة * قولان قالهما الخليل وثعلب

فكان قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم

احفظ لسانك ايها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقوله تعالى (سأصليه) اى ادخله (سقر) اى جهنم بوعد لابد منه عن قريب بدل من سأرهقه صعودا وقوله تعالى (وما أدراك ما سقر) تعظيم لشأنها وقوله تعالى (لا تبقى ولا تذر) بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى شيأ يلقى فيها الا اهلكته فاذا اهلكته لم تذره هالكا حتى يعاد اولا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وسميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولا تنصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة فان دركات النار سبعة جهنم واللظى والحطمة والسعير والجحيم وسقر والهاوية (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمى لاحنى الهواجر

(للبشر) اى محرقة لظاهر الجلد فتدعه اشد سوادا من الليل قال تعالى تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون والبشر اعالى البشرة وهو جمع بشرة وجمع البشر ابشار وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه اى غيره وقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر اى لاهلها وانشد

سقتنى على لوح من الماء شربة * سقاها من الله الرهام الغواديا

يعنى باللوح شدة العطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهى المطرة الضعيفة وارهمت السحابة اتت بالرهام (عليها تسعة عشر) اى من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر وقيل التسعة عشر نقباء وقال اكثر المفسرين تسعة عشر ملكا باعيانهم وقيل تسعة عشر الف ملك قال ابن جريج نعت النبى صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر قال ابن الاثير الصياصى قرون البقر قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى الشجعان افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة

عليها تسعة عشر) ان قلت لاى معنى خص عدد خزنة جهنم بتسعة عشر (قلت) لانها موافقة

جهنم فقال أبو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري
وسبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين وروى أنه قال أنا أمشي بين ايديكم على الصراط فادفع
عشرة بمنكبي الايمن وسبعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله عز وجل
(وما جعلنا) أي بما لنا من العظمة وان خفي وجه العظمة فيه على من عمي قلبه (أصحاب النار)
أي خزنتها (الاملائكة) أي لم نجعلهم رجالا فتغالبونهم وانما جعلناهم ملائكة لانهم خلاف
جنسي الفريقين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرحمة والرأفة ولانهم
أشد بأسا وأقوى بطشا فقوتهم أعظم من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول الى البشر من
جنسهم ليكون لهم رأفة ورحمة بهم (فان قيل) ثبت في الاخبار أن الملائكة مخلوقون من النور
فكيف تطيق المكث في النار (أجيب) بان الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد
في أنه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموت فكذا لا استبعاد في ابقاء
الملائكة هناك من غير ألم (وما جعلنا) أي بما لنا من العظمة (عدتهم) أي مذكورة ومحصورة
(الافتنة) أي بلية (للذين كفروا) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلالة وفتنة مفعول ثان على
حذف مضاف أي الاسبب فتنة وللذين صفة فتنة وليست فتنة مفعولا له وقول البيضاوي
وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر تبعا للزمخشري قال أبو حيان
انه قصر يف لكتاب الله اذ زعم أن معنى الافتنة للذين كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب
اليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وقال الرازي انما صار هذا العدد سببا لفتنة الكفار من وجهين
الأول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونون عشرين وما المقتضي لتخصيص هذا العدد
والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر العالم من
الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام الساعة (وأجيب) عن الاول بان هذا السؤال لازم
على كل عدد يفرض وعن الثاني بانه لا يبعد أن الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي
بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على أحد جناحيه ورفعها الى السماء
حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وايضا فاحوال القيامة لا تقاس
باحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال وذكر أرباب المعاني في تقرير هذا العدد وجهين احدهما
ما قاله أرباب الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتيها النظرية والعملية هو القوى
الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة
والغضب فهذه اثنا عشر وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة
والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منشآت لا جرم كان عدد
الزبانية هكذا ثانيهما ان أبواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار
يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك
الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل
فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر وقوله تعالى
(ليستيقن الذين) متعلق بجعلنا لا بفتنة وقيل بفعل مضمر أي فعلنا ذلك ليستيقن الذين
(أوتوا الكتاب) أي أعطوا التوراة والانجيل فانه مكتوب فيهما أنه تسعة عشر فذلك موافقة

لعدد أسباب فساد النفس الانسانية وهي القوى الانسانية والطبيعية اذ القوى الانسانية اثنا عشرة الخمسة الظاهرة

لما عندهم (ويزداد الذين آمنوا) اى من أهل الكتاب (ايمانا) اى تصديقا لموافقة النبى صلى الله عليه وسلم لما فى كتبهم (ولا يرتاب) اى يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) فى عددهم (فان قيل) قد أثبت الاستيقان لاهل الكتاب وزيادة الايمان للمؤمنين فما فائدة ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون (أجيب) بان الانسان اذا اجتهد فى أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين فى بعض الاحوال لا ينافى طريان الارتياب بعد ذلك ففائدة هذه الجملة نفى ذلك الشك وانه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) اى شك ونفاق وان قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين فهو علم من اعلام النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الامور علة لاصلاح ناس وفساد آخرين لانه لا يسئل عما يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشئ بالقصد الاول ثم يترتب عليها شئ آخر يكون قصده بالقصد الثانى تقول خرجت من البلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض (والكافرون) اى ويقول الراسخون فى الكفر الجازمون بالتكذيب الساترون لما دلت عليه الادلة من الحق (ماذا) اى اى شئ (أراد الله) اى الملك الذى له جميع العظمة (بهذا) اى العدد القليل فى جنب عظمته (مثلا) قال الجلال المحلى سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا وقال الليث المثل الحديث ومنه مثل الجنة التى وعد المتقون أى حديثها والخبر عنها وقال الرازى انما سموه مثلا لانه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم أنه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشئ آخر وتنبيها على مقصود آخر لا جرم سموه مثلا على سبيل الاستعارة لانهم لما استغربوه ظنوا انه ضرب مثلا لغيره ومثلا تمييزا وحال وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته * ولما كان التقدير اراد بهذا اضلال من ضل وهو لا يبالى وهداية من اهتدى وهو لا يبالى كان كأنه قيل هل يفعل مثل ذلك فى غير هذا فقال تعالى (كذلك) اى مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية (يضل الله) اى الذى له مجامع العظمة ومعاقد العز (من يشاء) باى كلام شاء كاضلال الله تعالى ابا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم (ويهدى) بقدرته التامة (من يشاء) بنفس ذلك الكلام او بغيره كهداية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنة لانه تعالى قال فى اول الآية وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الخ ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء (وما يعلم جنود ربك) اى المحسن اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك (الا هو) اى الله سبحانه وتعالى قال مقاتل رضى الله عنه وهذا جواب لابى جهل حيث قال أما لمحمد اعوان الا تسعة عشر وقال مجاهد رضى الله عنه وما يعلم جنود ربك يعنى من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار ولا يعلم عدتهم الا الله تعالى والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولو أراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه نوبة أخرى

الحسية الباطنة والشهوة والغضب والقوى الطبيعية سبعة الجاذبة والماسكة والهاضمة

وروى أن الارض فى السماء كحلقة ملقاة فى فلاة وكل سماء فى التى فوقها كذلك وورد فى الخبر أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع وفى رواية موضع قدم الا وفيه ملك قائم يصلى وفى رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها الا هو ثم رجع الى ذكر سقر فقال تعالى (وما هى) اى النار التى هى من أعظم جنوده (الا ذكرى للبشر) اى ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وأنه سبحانه لا يحتاج الى أعوان وأنصار وللبشر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا) ردع لمن أنكرها أو انكار لان يتذكروا بها قاله البيضاوى وقال البغوى هذا قسم يقول حقا وقال الجلال المحلى استفتاح بمعنى الا (والقمر) اى الذى هو آية الليل الهادية من ضل ظلامه (والليل اذ أدبر) اى مضى فانقلب راجعا من حيث جاء فانكشف ظلامه وقرأ نافع وحمزة وحفص بسكون الذال المعجمة والدال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة الساكنين والباقون بفتح الذال المعجمة وبعدها ألف وفتح المهملة بعد الالف فالقراءة الاولى اذ أدبر والثانية اذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وأدبر اذا ولى مدبرا ذاهبا قال أبو عمرو ودبر لغة قريش وقال قطرب دبر اى أقبل تقول العرب دبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار وقوله تعالى (والصبح اذا أسفر) اى أضاء وتبين وقوله تعالى (انها لاحدى الكبر) جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك القواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة اى لاحدى البلايا والدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء وقوله تعالى (نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهى انذارا كما تقول هى احدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل باول السورة اى قم نذيرا (للبشر) قال الزمخشرى وهو من بدع التفاسير وقوله تعالى (لمن شاء) اى بارادته (منكم) بدل من البشر (أن يتقدم) اى الى الخير أو الى الجنة بالايمان (أو يتأخر) اى الى الشر أو النار بالكفر (كل نفس) اى ذكرا أو أنثى على العموم (بما كسبت) اى خاصة لا بما كسب غيرها (رهينة) اى مرهونة مأخوذة وليست بتأنيث رهين فى قوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذى تراب وجندل

كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) وهم المؤمنون فانهم فكوا رقابهم بايمانهم وبما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة وروى عن على أنهم أطفال المسلمين وقال مقاتل رضى الله عنه هم أهل الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال لهم الله هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وعنه أيضا هم الذين أعطوا كتبهم بايمانهم وقال الحسن رضى الله عنه هم المسلمون الخالصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها

والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمجموع تسعة عشر

بخير أو شر الا من اعتمد على الفضل فكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ * ولما أخرجهم من حكم الارتهان الذى أطلق على الاهلاك لانه سببه استأنف بيان حالهم فقال تعالى (فى جنات) أى بساتين فى غاية العظم لانهم أطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا (يتساءلون) أى فيما بينهم يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم (عن المجرمين) اى عن أحوالهم ويقولون لهم بعد اخراج الموحدين من النار (ما) محتملة للاستفهام والتعجب والتوبيخ (سلككم) اى أدخلكم أيها المجرمون ادخالا هو فى غاية الضيق حتى كانكم السلك فى الثقب وقرأ السوسى بادغام الكاف فى الكاف والباقون بالاظهار (فى سقر) فاجابوا بان (قالوا لم نك من المصلين) اى صلاة يعتدبها فكان هذا تنبيها على أن رسوخ القدم فى الصلاة مانع من مثل حالهم وعلى أنهم معاقبون على فروع الشريعة وان كانت لا تصلح منهم فلو فعلوها قبل الايمان لم يعتدبها وعلى أن الصلاة أعظم الاعمال وأن الحسنات بها تقدم على غيرها (ولم نك نطعم المسكين) اى نعطيه ما يجب علينا اعطاؤه له (وكنا نخوض) اى نوجد الكلام الذى هو فى غير موقعه ولا علم لنا به ايجاد المشى من الخائض فى ماء غمر (مع الخائضين) بحيث صار لنا هذا وصفا راسخا فنقول فى القرآن انه سحر وانه شعر وانه كهانة وغير هذا من الاباطيل لا نتورع عن شئ من ذلك ولا نقف مع عقل ولا نرجع الى صحيح نقل فليأخذ الذين يبادرون الى الكلام فى كل ما يسألون عنه من أنواع العلم من غير تثبت حذرهم من هنا (وكنا نكذب) اى بحيث صار ذلك وصفا ثابتا (بيوم الدين) اى يوم البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) اى الموت أو مقدماته الذى قطعنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى يأتيك اليقين (فان قيل) لم أخر التكذيب وهو أخس الخصال الاربع (أجيب) بانهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم الدين والغرض تعظيم الذنب كقوله تعالى كان من الذين آمنوا * ولما أقروا على أنفسهم بما أوجب العذاب الدائم فكانوا ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه سبب عنه قوله تعالى (فما تنفعهم) اى فى حال اتصافهم بهذه الصفات (شفاعة الشافعين) اى لا شفاعة لهم فلا انتفاع بها وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذه الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين بمفهومها لان تخصيص هؤلاء بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يشفع نبيكم عليه الصلاة والسلام رابع أربعة جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم يقال لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فهؤلاء الذين فى جهنم (فما لهم عن التذكرة معرضين) اى فما لاهل مكة قد أعرضوا وولوا عن القرآن قال مقاتل رضى الله عنه معرضين عن القرآن من وجهين أحدهما الجحود والانكار والثانى ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة بالقرآن وغيره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية ومثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلق به اى أى شئ حصل لهم فى اعراضهم

(سورة القيامة)

(قوله فاذا قرأناه) اى بقراءة جبريل عليك (قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)* (ان قلت)

عن

عن الاتعاظ (كأنهم) في اعراضهم عن التذكرة من شدة النفور (حمر) أي من حمر الوحش وهي أشد الاشياء نفارا ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الابل بسرعة السير بالحمر في عدوها اذا وردت ماء فاحست بحاير بها (مستنفرة) أي موجدة للنفار بغاية الرغبة حتى كأنها تطلبه من أنفسها لانه شأنها وطبعها وقرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على انه اسم مفعول أي نفرها القناص والباقون بكسرها بمعنى نافرة (فرت من قسورة) قال مجاهد رضي الله عنه هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها لا واحد لها من لفظه وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه هو القناص وعن زيد بن أسلم فريق من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة وعن أبي المتوكل هي لغط القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حبال الصيادين وقال أبو هريرة رضي الله عنه هي الاسد وهو قول عطاء والكلبي وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة رضي الله عنه ظلمة الليل ويقال لسواد الليل قسورة وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا شهادة عليهم بالبله وقلة العقل * ولما كان الجواب قطعا لاشيء لهم في اعراضهم هذا أضرب عنه بقوله تعالى (بل يريد) أي على دعواهم في زعمهم (كل امرئ منهم) أي المعرضين من ادعائه الكمال في المروءة (أن يؤتى) أي من السماء (صحفا) أي قراطيس مكتوبة (منشرة) أي مفتوحة وذلك ان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره ولن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار وقال الكلبي رضي الله عنه ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فاتتنا بمثل ذلك وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما لنا لا نرى ذلك قال البغوي والصحف جمع الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى (كلا) أي لا يؤتون الصحف وقيل حقا قال البغوي وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل والاول أجود لانه رد لقولهم * ثم بين تعالى سبب اعراضهم بقوله تعالى (بل لا يخافون) أي في زمن من الازمان (الآخرة) فهذا هو السبب في اعراضهم بقوله تعالى (كلا) استفتاح قاله الجلال المحلي وقال البيضاوي ردع عن اعراضهم وقال البغوي وتبعه ابن عادل حقا (انه) أي القرآن (تذكرة) أي عظيمة توجب ايجابا عظيما اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس لاحد أن يقول أنا مغرور ولم أجد مذكرا ولا معرفا فان عنده أعظم مذكر وأشرف معرف (فمن شاء) أي أن يذكره (ذكره) أي اتعظ به وجعله نصب عينيه وعلم معناه وتخلق به فمن فعل ذلك حصل عليه لفظه وبعض معانيه فانه كالبحر الفرات فمن شاء اغترف (وما يذكرون) أي في وقت من الاوقات (الا أن يشاء الله) أي الملك الاعظم الذي لا أمر لاحد معه ذكرهم أو مشيئتهم كقوله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع بتاء الخطاب

الذي يوصف بالنظرة بمعنى الابصار النظر بالعين لا بالوجه (قلت) أطلق الوجه ٣ فيه وأراد جزأه في

٣ قوله في الهامش الذي يوصف الخ الاصل الظاهر الذي يوصف بالنظر بمعنى الابصار العين وتأمل اه مصححه

وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بياء الغيبة حملا على ما تقدم من قوله تعالى كل امرئ (هو) اى الله سبحانه وتعالى وحده (أهل التقوى) اى أن يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرهم اليه لماله من الجلال والعظمة والقهر وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وأبو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين (وأهل المغفرة) اى وحقيق أن يطلب غفرانه للذنوب لاسيما اذا اتقاه المذنب لان له الجلال واللطف وهو القادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شئ ولا يضره روى الترمذى وأحمد والحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فانا أهل أن أغفر له ووقف الكسائى على أهل المغفرة بالامالة على أصله وورش بترقيق الراء وقفا ووصلا على أصله وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المدثر أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به حديث موضوع

اللفظ وجه وبالنظر الى ناضرة وناظرة جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز (قوله أولى لك) اى أولاك

سورة القيامة مكية

وهى تسع وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الذى له الجلال والكمال (الرحمن) الذى عم بنعمة الايجاد أهل الهدى والضلال (الرحيم) الذى سدد أهل العناية فى الافعال والاقوال * واختلف فى لا فى قوله تعالى (لا أقسم) على أوجه أحدها انها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ أقسم (بيوم القيامة) قال القرطبى ان القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار فجاء الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لا أفعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة لحق كأنك أكذبت قوما أنكروه الثانى انها مزيدة ومثلها فى لئلا يعلم أهل الكتاب واعترضوا هذا بانها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وأجيب بان القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض يدل على ذلك انه قد يجيء ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة أخرى كقوله تعالى يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط ورد هذا بان القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا أن تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز الثالث قال الزمخشرى ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى القوم انى أفر

وفائدتها توكيد القسم ثم قال الزمخشرى بعد ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه أن يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى انه يستأهل فوق ذلك قال بعضهم قول الزمخشرى والوجه أن يقال الى آخره تقرير لقوله ادخال لا النافية فيه على فعل القسم مستفيض الى آخره

وحاصل

وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وأن النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذي شرحه وليس فيه نفع لفظا ولا معنى وقرأ ابن كثير بخلاف عن البزي بغير ألف بعد اللام والهمزة مضمومة والباقون بالالف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقين بالمد ولا خلاف في قوله تعالى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) في المد والكلام في لا المتقدمة وجرى الجلال المحلي على أنها زائدة في الموضعين واختلف في النفس اللوامة فقيل هي نفس المؤمن الذي لا تراه يلوم الا نفسه تقول ما أردت بكذا ولا تراه يعاتب الا نفسه وقال الحسن رضي الله عنه هي والله نفس المؤمن ما ترى المؤمن الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي ما أردت بحديثي والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد رضي الله عنه هي التي تلوم على ما فات فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها وقيل المراد آدم عليه السلام لم يزل لائما نفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة وقيل هي الملومة فتكون صفة ذم وهو قول من نفى أن تكون قسما وعلى الاول صفة مدح فيكون اقسم بها سائغا وقال مقاتل رضي الله عنه هي نفس الكافر يلوم نفسه تحسرا في الآخرة على ما فرط في جنب الله تعالى وجواب القسم محذوف اي لتبعثن دل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان) اي هذا النوع الذي جبل على الانس بنفسه والنظر في عطفه وأسند الفعل الى النوع كله لان أكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل الا من عصم الله تعالى وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها (أن) اي أنا لا (نجمع) اي على ما لنا من العظمة (عظامه) اي التي هي قالب بدنه فنعيدها كما كانت بعد تفرقها وتفتتها للبعث والحساب وقيل نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الاخنس بن شريق الثقفي وذلك ان عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف أمرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أباعد الارض ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدو الله أبي جهل أنكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لان العظام قالب الخلق * (تنبيه) * أن هنا موصولة وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم كما ترى وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يبتدئ بقوله تعالى (قادرين) وقيل المعنى بل نجمعها قادرين مع جمعها (على أن نسوي بنانه) اي أصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار التي في يده خصها بالذكر لانها أطرافه وآخر ما يتم به خلقه اي نجمع بعضها الى بعض على ما كانت عليه قبل الموت لانا قدرنا على تفصيل عظامه وتفتيتها فنقدر على جمعها وتوصيلها وقدرنا على جمع صغار العظام فنحن على جمع كبارها أقدر وقال ابن عباس وأكثر المفسرين على أن نسوي بنانه أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا ولكنا فرقنا أصابعه حتى يفعل بها ما شاء وقيل نقدر أن نصير الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا

ادا
الله ما تكره وكرره مرة
بقوله فأولى ثم أولى لك
فأولى مبالغة في التهديد
والوعيد وهو تهديد بعد

تعاون وقوله تعالى (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن
يكون جوابا الجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام (ليفجر أمامه) أى
ليدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان لا يبرح عنه ولا يتوب هذا قول مجاهد رضى الله عنه
وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل
حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله وقال الضحاك رضى الله عنه هو الاجل يقول
أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس رضى الله عنهما يكذب
بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن
الحق (يسئل) اى سؤال استهزاء أو استبعاد (أيان) اى أى وقت يكون (يوم القيامة) * ولما
كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه أهول فقال تعالى
(فاذا برق البصر) اى شخص ووقف لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء
وأما على قراءة كسرها فالمعنى تحير ودهش مما يرى وقيل هما لغتان فى التحير والدهشة (وخسف
القمر) اى أظلم وذهب ضوءه وقد اشتهر أن الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان
فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت وخسف القمر وكسف وقيل الكسوف أوله والخسوف
آخره ولم تلحق علامة التأنيث فى قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) لان التأنيث مجازى وقيل
لتغليب التذكير ورد لانه لا يقال قام هند وزيد عند الجمهور من العرب وقال الكسائى حمل
على جمع النيرين وقال الفراء لم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما
فى ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود
رضى الله عنهم قرن بينهما فى طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما
ثوران عقيران فى النار وقال عطاء بن يسار رضى الله عنه يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان فى
البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان فى نار جهنم لانهما قد عبدا من دون الله تعالى
ولا تكون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكفار
وحسرتهم وقوله تعالى (يقول الانسان) اى اشد روعه جريا مع طبعه جواب اذا من قوله
تعالى فاذا برق البصر (يومئذ) اى اذ كانت هذه الاشياء وقوله تعالى (أين المفر) منصوب
المحل بالقول والمفر مصدر بمعنى الفرار قال الماوردى ويحتمل وجهين أحدهما أين المفر من
الله تعالى استحياء منه والثانى أين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان
وجهين أحدهما أن يكون من الكافر خاصة فى عرصة القيامة دون المؤمن لثقة المؤمن
ببشرى ربه تعالى والثانى أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول
ما شاهدوا منها وقيل أبو جهل خاصة وقوله تعالى (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) اى
لا ملجأ ولا حصن استعير من الجبل قال السدى كانوا فى الدنيا اذا فزعوا تحصنوا فى الجبال
فقال الله تعالى لهم لا وزر يعصمكم منى يومئذ واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك) اى
المحسن اليك بانواع الاحسان لا الى شئ غيره (يومئذ) اى اذ كانت هذه الامور (المستقر) اى
استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه سبحانه ومشيئته
ظاهرا وباطنا لا حكم لغيره بوجه من الوجوه فى ظاهر ولا باطن كما هو فى الدنيا وقال ابن مسعود

ثم تأييد ووعيد بعد وعيد

* (سورة الانسان) *

(قوله من نطفة امشاج)
وصف النطفة مع انها

المصير

المصير والمرجع قال الله تعالى الى ربك الرجعى واليه المصير وقال السدى المنتهى نظيره وأن الى
ربك المنتهى (ينبأ) أى يخبر تخبيرا عظيما (الانسان يومئذ) اى اذ كان هذا الزلزال الاكبر
(بما قدم) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم بما قدم قبل موته من عمل صالح
وسيئ (وأخر) بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وقال ابن عطية عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر
من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم فى أول عمره وما أخر
فى آخر عمره وقال زيد بن أسلم بما قدم من أموال نفسه وما أخر خلفه للورثة والاولى أن
يقال ينبأ بجميع ذلك اذ لا منافاة بين هذه الاقوال (بل الانسان) اى كل واحد من هذا
النوع (على نفسه) اى خاصة (بصيرة) اى حجة بينة على أعماله والهاء للمبالغة يعنى
أنه فى غاية المعرفة بأحوال نفسه فيشهد عليه بعمله سمعه وبصره وجوارحه قال الله تعالى
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قال البغوى ويحتمل أن يكون معناه بل للانسان على نفسه
يعنى جوارحه فحذف حرف الجر كقوله تعالى وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم اى لاولادكم
ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث اى بل الانسان على نفسه عين بصيرة (ولو ألقى) اى ذكر بغاية
السرعة ذلك الانسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتملق وقوله تعالى
(معاذيره) جمع معذرة على غير قياس قاله الجلال المحلى أى لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه وقال
الزمخشرى المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر اه قال
أبو حيان وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية جموع التكسير اه وقيل
معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو أرخى ستوره والمعاذير الستور بلغة اليمن قاله الضحاك
وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولو ألقى معاذيره أى ولو تجرد عن ثيابه
* ولما كان صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن
يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه أمره الله تعالى بأن ينصت له ملقيا اليه بقلبه
وسمعه حتى يقضى الله تعالى وحيه ثم يعقبه بالدراسة الى أن يرسخ فيه بقوله تعالى (لا تحرك به)
اى بالقرآن (لسانك) ما دام جبريل عليه السلام يقرؤه (لتعجل به) اى لتأخذه على عجلة مخافة
أن يتفلت منك فان هذه العجلة وان كانت من الكمالات بالنسبة اليك والى اخوانك من الانبياء
عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى نقل صلى الله عليه وسلم من
مقام كامل الى أكمل منه ثم علل النهى عن العجلة بقوله تعالى (ان علينا) اى بما لنا من العظمة
لا على أحد سوانا (جمعه) أى فى صدرك حتى تثبته وتحفظه (وقرآنه) اى قراءتك اياه وهى فى
جريانه على لسانك (فاذا قرأناه) عليك بقراءة جبريل عليه السلام (فاتبع) اى بغاية جهدك
بالقائك سمعك واحضار قلبك (قرآنه) اى قراءته مجموعة على حسب ما أداه رسولنا وجمعناه لك فى
صدرك وكرر تلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة ويصير لك خلقا فيكون قائدك الى كل خير
وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل بالوحى كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد
عليه وكان يعرف منه فأنزل الله تعالى الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك

مفرد بامشاج وهو جمع
لانها فى معنى الجمع كقوله
تعالى رفرف خضر أو
بجعل أجزائها نطفا وقيل

الآية فكان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى قال سعيد بن جبير قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فانا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فانزل الله عز وجل الآية (ثم ان علينا) اى بما لنا من العظمة (بيانه) اى بيان ألفاظه ومعانيه لك سواء أسمعته من جبريل عليه السلام على مثل صلصلة الجرس أم بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف ولغيرك على لسانك وعلى ألسنة العلماء من أمتك والآية مشيرة الى ترك مطلق العجلة لانه اذا نهى عنها فى أعظم الاشياء وأهمها كان غيره بطريق الاولى والمناسبة بين هذه الآية وماقبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله تعالى وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها وقوله تعالى (كلا) استفتاح بمعنى ألا وقال الزمخشرى ردع للنبى صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وقال جماعة من المفسرين حقا والاول جرى عليه الجلال المحلى وهو أظهر (بل يحبون) متجددة على تجدد الزمان (العاجلة) بدليل أنهم يقبلون غاية الاقبال عليها وحبها أوجب لهم ارتكاب مايعلمون قبحه فان الآخرة والاولى ضرتان من تقرب من أحدهما لابد من تباعده عن الاخرى فان حبك للشئ يعمى ويصم (ويذرون) اى يتركون على اى وجه كان ولو أنه غير متحسن (الآخرة) لانهم يبغضونها لارتكابهم مايضرهم فيها وجمع الضمير وان كان سبق الخطاب مع الانسان للمعنى وقرأ يحبون ويذرون ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياء الغيبة فيهما حملا على لفظ الانسان المذكور أولا لان المراد به الجنس لان الانسان بمعنى الناس والباقون بتاء الخطاب فيهما اما خطابا لكفار قريش اى تحبون يا كفار قريش العاجلة اى الدار الدنيا والجاه فيها وتتركون الآخرة والعمل لها واما التفاتا عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب ولما ذكر تعالى الآخرة التى أعرضوا عنها ذكر مايكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم وقلة عقولهم وترهيبا لمن أدبر عنها وترغيبا لمن أقبل عليها تلطفا بهم ورحمة لهم فقال تعالى (وجوه) اى من المحشورين وهم جميع الخلائق (يومئذ) اى اذ تقوم الساعة (ناضرة) من النضرة بالضاد وهى النعمة والرفاهية اى هى بهية مشرقة عليها أثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها (الى ربها) اى المحسن اليها خاصة باعتبار أنه عد النظر الى غيره كلانظر (ناظرة) اى دائما هم محدقون أبصارهم لاغفلة لهم عن ذلك فاذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدى الى وذلك النظر جهرة من غير اكتنام ولا تضام ولا ازدحام كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام فى الاحاديث الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتكون الرؤية كما مثلت فى الاحاديث كما يرى القمر ليلة البدر أى كل من يريد رؤيته من بيته يراه مجليا له هذا وجه الشبه لانه فى جهة ولا فى حالة لها شبيه تعالى الله الكريم عن التشبيه فمن تلك الاحاديث ماروى عن جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك

أمشاج مفرد لا جمع كبرمة أعشار وثوب أخلاق (قوله نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)* (ان قلت)

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفى كتاب النسائى عن وهب قال يكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر ولا أقر لأعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى تنظر الى وجهه فيخرون له سجدا فيقول تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة وقدم الجار الدال على الاختصاص اشارة الى أن هذا النظر مباين للنظر الى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة اليه وعبر بالوجوه عن أصحابها لانها أدل ما يكون على السرور وليكون ذكرها أصرح فى أن المراد بالنظر حقيقته وروى مسلم فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة كان ابن عمر يقول أكرم أهل الجنة على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الآية وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار ويقولون النظر المقرون بالى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة الرؤية وهى تقليب الحدقة نحو المرئى التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة وكالاصغاء بالنسبة الى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فأثبت النظر حال عدم الرؤية فتكون الرؤية غاية النظر وان النظر يحصل والرؤية غير حاصلة قالوا ويمكن أن يكون معنى قوله تعالى ناظرة منتظرة كقولك انا أنظر اليك فى حاجتى وأجيب عن استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه الابصار بان لا تدركه بالاحاطة والجهة فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم بما ذكروه بجوابين أحدهما أن نقول النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام أرنى أنظر اليك فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئى لاقتضت الآية اثبات الجهة والمكان ولانه أخر النظر عن الاراءة فلا يكون تقليب الحدقة الجواب الثانى سلمنا ما ذكرتموه من أن النظر تقليب الحدقة تعذر حمله على الحقيقة فيجب حمله على الرؤية اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو أولى من حمله على الانتظار لعدم الملازمة لان تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار وأما قولهم بحمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بان الذى هو بمعنى الانتظار فى القرآن غير مقرون بالى كقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم هل ينظرون الا أن والذى ندعيه ان النظر المقرون بالى ليس الا بمعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية ظاهر فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك ولما ذكر تعالى أهل النعمة أتبعه أضدادهم من أهل النقمة فقال سبحانه وتعالى (ووجوه يومئذ) اى فى ذلك اليوم بعينه (باسرة) اى شديدة العبوس والكلوح والتكره الماهى فيه من الغم كانها قد غرقت فيه وقال السدى باسرة متغيرة (تظن) اى تتوقع أربابها بما ترى من المخايل (أن يفعل بها) اى بهم فانه اذا أصيب الوجه الذى هو أشرف ما فى الجملة كان ما عداه أولى (فاقرة) وهى الداهية العظيمة قال أبو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر فقار الظهر يقال فقرته الفاقرة اى كسرت فقار ظهره ومنه سمى الفقير لانكسار فقاره من القل وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدى الهلاك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دخول النار وقال الكلبى هى أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل وقوله تعالى (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى وزاد الزمخشرى كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا الى ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلبون

كيف عطفت على بقية ما بعده بالفاء مع أن الابتلاء متأخر عنه (قلت) فيقابله حال مقدرة اى مريدين

الى الآجلة التي تبقوا فيها مخلدين (اذا بلغت) النفس (التراقى) وأضمر النفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوي ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء والتراقى جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل انسان ترقوتان قال البقاعي ولعله جمع المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه من الكرب لاجتماعها من أقاصى البدن الى هنالك اه وهذا كناية عن الاشفاء على الموت ذكرهم صعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها (وقيل) اى قال حاضرو صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) اى أيكم يرقيه مما به ليحصل له الشفاء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو من كلام ملائكة الموت اى أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب فالاول اسم فاعل من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح فى الماضى والكسر فى المضارع والثانى الذى بمعنى الصعود بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع (وظن) اى أيقن المحتضر لما لاح له من أنوار الآخرة وقيل القائل من راق من أهله (انه) اى الشأن العظيم الذى هو فيه (الفراق) اى لما كان فيه من محبوب العاجلة الذى هو الفراق الاعظم الذى لا فراق مثله ففى الخبران العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك تفارقنى وأفارقك الى يوم القيامة وسمى اليقين هنا بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها أو ان المراد الظن الغالب اذ لا يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة وقيل سماه بالظن تهكما قال الرازي وهذه الآية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لانه تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعى وجود الموصوف (والتفت الساق بالساق) اى اجتمعت احداهما بالاخرى اذ الالتفاف الاجتماع قال تعالى جئنا بكم لفيفا ومعنى الكلام اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والحسن وغيرهما وقال الشعبي التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب قال قتادة أما رأيته اذا أشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا الانسان اذا التفتا فى الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقال السدى لا يخرج من كرب الا جاءه أشد منه وأول الاقوال كما قال النحاس أحسنها والعرب لا تذكر الساق الا فى الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق قال أهل المعانى لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق قال الجعدى

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ولما صور وقت تأسفه على الدنيا واعراضه عنها ذكر غاية ذلك فقال تعالى مفردا النبى صلى الله عليه وسلم بالخطاب اشارة الى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره (الى ربك) اى المحسن اليك

ابتلاء حين تأهله فجعلناه سميعا بصيرا فالمعطوف عليه هو ارادة الابتلاء لا الابتلاء (قوله ويطاف

بجميع ما أنت فيه (يومئذ) اى اذ وقع هذا الامر (المساق) اى السوق الى حكمه تعالى فقد
انقطعت عنه أحكام الدنيا فاما أن تسوقه الملائكة الى سعادة واما الى شقاوة والضمير فى قوله
تعالى (فلا صدق) راجع للانسان المذكور فى أيحسب الانسان اى فلا صدق النبى صلى الله
عليه وسلم فيما أخبره به بما كان يعمل من الاعمال الخبيثة ولا فى ماله بالانفاق فى وجوه الخير
التى ندب اليها او اجيبة كانت أو مندوبة وحذف المعمول لانه أبلغ فى التعميم (ولا صلى) اى
ما أمر به من فرض وغيره فلا تمسك بحبل الخالق ولا وصل حبل الخلائق وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما لم يصدق بالرسالة ولا صلى اى دعا ربه عز وجل وصلى على رسوله صلى الله
عليه وسلم وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله تعالى ولا صلى لله جل ذكره (ولكن) اى فعل ضد
ما أمر به بان (كذب) اى بما أتاه به النبى صلى الله عليه وسلم من قرآن وغيره (وتولى) اى
أعرض عنه وهذا الاستدراك واضح اذ لا يلزم من نفى التصديق والصلاة التكذيب والتولى
وقال القرطبى معناه كذب بالقرآن وتولى عن الايمان وقيل نزلت فى أبى جهل (ثم ذهب) اى
هذا الانسان أو أبو جهل (الى أهله) غير متفكر فى عاقبة ما فعل من التكذيب حالة كونه
(يتمطى) اى يتبختر افتخارا بتكذيبه واعراضه وعدم مبالاته بذلك وأصله يتمطط اى يتردد لان
المتبختر يمد خطاه وانما أبدلت الطاء الثانية ياء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو
الظهر لانه يلويه تبخترا فى مشيته وقوله تعالى (أولى لك) فيه التفات من الغيبة والكلمة اسم
فعل واللام للتبيين اى وليك ما تكره (فأولى) اى فهو أولى بك من غيرك وقوله تعالى (ثم أولى
لك فأولى) تأكيد وقيل هذه الكلمة تقولها العرب لمن قارب المكروه وأصلها من الولى وهو
القرب قال الله تعالى قاتلوا الذين يلونكم وقال قتادة ذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى ثم أولى لك
فأولى فقال أبو جهل أتوعدنى يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وانى
والله لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة قال
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لكل أمة فرعون وان فرعون هذه الامة أبو جهل
(أيحسب) اى يجوز لقلة عقله (الانسان) اى الذى هو عبد مربوب ضعيف عاجز محتاج بما
يرى من نفسه وأبناء جنسه (أن يترك) اى يكون تركه بالكلية (سدى) اى هملا لاغيا لا يكلف
ولا يجازى ولا يعرض على الملك الاعظم الذى خلقه فيسأله عن شكره فيما أسدى اليه فان
ذلك مناف للحكمة فانما تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن المساوى والجزاء على كل منهما
وأكثر الظالمين والمظلومين يموتون من غير جزاء فاقتضت الحكمة أنه لابد من البعث للجزاء
(ألم يك) اى الانسان (نطفة) اى شيأ يسيرا (من منى) اى ماء من صلب الرجل وترائب المرأة
(تمنى) اى تصب فى الرحم بسبب الله تعالى للانسان المعالجة فى اخراجها بما ركب فيه من
الشهوة وجعل له من الزوج التى يسر لها القضاء وطره حتى ان وقت صبه الى الرحم تصب منه
بغير اختياره حتى كأنه لا فعل له فيها أصلا (فان قيل) ما فائدة تمنى بعد قوله تعالى من منى
(أجيب) بان فيه اشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى على مجرى
النجاسة فلا يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة الله تعالى الا أنه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز

عليهم) ذكره بالبناء للمفعول وقال بعد ويطوف عليهم ولدان بالبناء للفاعل لان المقصود

كما في قوله تعالى في عيسى عليه السلام وأمه مريم كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء
الحاجة (ثم كان) أي كونا محكما (علقة) أي دما أحمر غليظا شديد الحمرة والغلظ (فخلق) أي
قدر سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره وأعراضه (فسوى) أي عدل
من ذلك خلقا آخر غاية التعديل بخصاصته فلا (فجعل) أي بسبب النطفة (منه) أي من المني
الذي صار علقة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم (الزوجين) أي النوعين (الذكر والأنثى)
يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة قال القرطبي وقد احتج بهذه الآية من رأى
إسقاط الخنثى وأجيب بأن هذه الآية وقرينتها خرجت مخرج الغالب أو أنه في نفس الأمر
ذكر أو أنثى (أليس ذلك) أي الخالق المسوي الإله الأعظم الذي قدر على تمييز ما يصلح من ذلك
للذكر وما يصلح منه للأنثى (بقادر على أن يحيي الموتى) أي أن يعيد هذه الأجسام كهيئتها للبعث
بعد البلى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى رواه أبو داود
والحاكم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قرأ سبح اسم ربك الأعلى إماما كان أو غيره
فليقل سبحان ربي الأعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى
إماما كان أو غيره وروى البغوي بسنده من طريق أبي داود عن أعرابي عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله
بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى
إلى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده
يؤمنون فليقل آمنا بالله وروي أن رجلا كان يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ أليس ذلك بقادر
على أن يحيي الموتى قال سبحانك اللهم بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا حديث موضوع

* في الأول ما يطوف به الطائفون بقرينة قوله بآنية من فضة والمقصود في الثاني الطائفون فذكر

سورة الإنسان

وتسمى هل أتى والأمشاج والدهر مكية أو مدنية وهي إحدى وثلاثون
آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

واختلف فيها هل هي مكية أو مدنية فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبي
مكية وجرى عليه البيضاوي والزمخشري وقال الجمهور مدنية وقال الجلال المحلي مكية
أو مدنية ولم يجزم بشيء وقال الحسن وعكرمة هي مدنية إلا آية وهي قوله تعالى فاصبر لحكم
ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا وقيل فيها مكي من قوله تعالى إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
إلى آخر السورة وما تقدمه مدني

(بسم الله) الذي له الأسماء الحسنى (الرحمن) الذي عم بنعمه الذكر والأنثى (الرحيم) الذي
خص منهم من شاء بالمقام الأسنى * ولما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه بلا
الاستفهام وهو قوله تعالى (هل أتى) قال الزمخشري بمعنى قد في الاستفهام خاصة والأصل

أهل بدليل قول الشاعر

سائل فوارس يربوع بشدتنا * أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى (على الإنسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيئا مذكورا) أي كان شيئا منسيا غير مذكور نطفة في الأصلاب اهـ فقوله على التقرير يعني المفهوم من الاستفهام وقوله والتقريب يعني المفهوم من قد التي وقع موقعها هل ومعنى قوله في الاستفهام خاصة أن هل لا تكون بمعنى قد إلا ومعها استفهام لفظا كالبيت المتقدم أو تقديرا كالآية الكريمة ولو قلت هل جاء زيد بمعنى قد جاء من غير استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وجرى عليه الجلال المحلي واعترض على الزمخشري بأنه لم يذكر غير كونها بمعنى قد وبقي قيد آخر وهو أن يقول في الجمل الفعلية لأنها متى دخلت على جملة اسمية استحال كونها بمعنى قد لأن قد مختصة بالأفعال وأجيب عنه بأن هذا لا يحتاج إليه لأنه تقرر أن قد لا تباشر الأسماء واختلف في المراد من الإنسان فقال قتادة وعكرمة والشعبي هو آدم عليه السلام مرت عليه أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية الضحاك أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمإ مسنون أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله كل الأشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الأيام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والأرض وآخرها خلق آدم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيئا مذكورا روي أن أبا بكر رضي الله عنه لما قرأ هذه الآية قال ليتها تمت فلا نبتلى أي ليت هذه المدة التي أتت على آدم عليه السلام لم يكن شيئا مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا تبتلى أولاده وسمع عمر رجلا يقرأ لم يكن شيئا مذكورا فقال عمر ليتها تمت يقول ليته بقي على ما كان هذا وهما ضجيعاه صلى الله عليه وسلم ولكن بقدر القرب يكون الخوف (فإن قيل) إن الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان إنسانا والآية تقتضي أنه مضى على الإنسان حال كونه إنسانا حين من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئا مذكورا (أجيب) بأن الطين والصلصال إذا كان مصورا بصورة الإنسان ويكون محكوما عليه بأنه سينفخ فيه الروح ويصير إنسانا صح تسميته بأنه إنسان روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لم يكن شيئا مذكورا إلا في السماء ولا في الأرض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قال ابن سلام لم يكن شيئا لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا وقال الزمخشري وتبعه جماعة من المفسرين إن المراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان) أي بعد خلق آدم عليه السلام (من نطفة) أي مادة هي شيء يسير جدا من الرجل والمرأة وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

في كل منهما ما يناسبه (قوله كانت قوارير) معناه تكونت لأنها كانت قبل قوارير كـ كن من قوله

مالى أراك تكرهين الجنه * هل أنت الا نطفة فى شنه

وعلى هذا فالمراد بالحين المدة التى هو فيها فى بطن أمه لم يكن شيأ مذكورا اذ كان علقة ومضغة لانه فى هذه الحالة جماد لا خطر له وقوله تعالى (أمشاج) اى أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا لمفرد لانه فى معنى الجمع كقوله رفرف خضر أو جعل كل جزء من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزمخشرى نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبرد أكياش وهى ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح امشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان فى الافراد لوصف المفرد بهما اه فقد منع أن يكون امشاجا جمع مشج بالكسر قال أبو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على أن أفعالا لا يكون مفردا وأجاب بعضهم بان الزمخشرى انما قال يوصف به المفرد ولم يجعل افعالا مفردا فكأنه جعل كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفهما بالجمع والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف فى الرقة والثخن والقوام والخواص يجمع من الاخلاط وهى العناصر الاربعة ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فايهما علا كان الشبه له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا ذكره البزار وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم خلقا آخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه هى عروق النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء والغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث فلابد له من محدث قادر على تصويره وقد صوره على صور مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير وعريض ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه جعل بين العظام مفاصل ثم أوصلها بأوتار وعروق ولحم ودور الرأس وشق فى جانبيه السمع وفى مقدمه البصر والانف والفم وشق فى البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤسها بالاصابع وركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة فسبحان من خلق تلك الاشياء من نطفة ضعيفة أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى * وقوله تعالى (نبتليه) يجوز فيه وجهان أحدهما أنه حال من فاعل خلقنا اى خلقناه حال كوننا مبتلين له والثانى أنه حال من الانسان وصح ذلك لان فى الجملة ضميرين كل منهما يعود على ذى الحال ثم هذا الحال يجوز أن تكون مقارنة ان كان المعنى نبتليه نصرفه فى بطن أمه نطفة ثم علقة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأن تكون مقدرة ان كان المعنى نبتليه نختبره بالتكليف لانه وقت خلقه غير مكلف وفيما نختبره به وجهان أحدهما قال الكلبى نختبره بالخير والشر والثانى قال الحسن نختبر شكره فى السراء وصبره فى الضراء وقيل نبتليه نكلفه بالعمل بعد الخلق قاله مقاتل رضى الله عنه وقيل نكلفه ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصى (فجعلناه) اى

تعالى كن فيكون وكذا
كان مزاجها كافورا
(قوله حسبتهم لؤلؤا
منثورا) * ان قلت

عالما

بما لنا من العظمة بسبب ذلك (سميعا بصيرا) اى عظيم السمع والبصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلائل ببصره وسماع الآيات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته فيصح تكليفه وابتلاؤه فقدم العلة الغائية لانها متقدمة فى الاستحضار على التابع لها المصحح لورودها وقدم السمع لانه أنفع فى المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية وخصهما بالذكر لانهما أنفع الحواس ولان البصر يفهم البصيرة وهى تتضمن الجميع وقال بعضهم فى الكلام تقديم وتأخير والاصل انا جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اى جعلناه ذلك للابتلاء وقيل المراد بالسميع المطيع كقولك سمعا وطاعة وبالبصير العالم يقال فلان بصير فى هذا الامر (انا) اى بما لنا من العظمة (هديناه السبيل) اى بيناه له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعثة الرسل وقال مجاهد رضى الله عنه بيناله السبيل الى السعادة والشقاوة وقال السدى رضى الله عنه السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التى يهتدى اليها بطبعه وكمال عقله قال الرازى والآية تدل على أن العقل متأخر عن الحواس قال وهو كذلك وقوله تعالى (اما شاكرا) اى لانعام ربه عليه (واما كفورا) اى بليغ الكفر بالاعراض والتكذيب نصب على الحال وفيه وجهان أحدهما انه حال من مفعول هديناه اى هديناه مبيناله كلتا حالتيه والثانى انه حال من السبيل على المجاز قال الزمخشرى ويجوز أن يكونا حالين من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله تعالى وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث وعن جابر رضى الله عنه كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا ولما قسمهم الى قسمين ذكر جزاء كل فريق فقال تعالى (انا) اى على ما لنا من العظمة (أعتدنا) اى هيأنا وأحضرنا بشدة وغلظ (للكافرين) اى العريقين فى الكفر خاصة وقدم الاسهل فى العذاب فالاسهل فقال تعالى (سلاسل) جمع سلسلة أى يقادون ويوثقون بها (وأغلالا) أى فى أعناقهم تشد فيها السلاسل فتجمع أيديهم الى أعناقهم (وسعيرا) اى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائى سلاسلا وصلا بالتنوين والباقون بغير تنوين وأما الوقف على الثانية فوقف عليها بغير ألف قنبل وحمزة ووقف البزى وابن ذكوان وحفص بغير ألف و بالالف ووقف الباقون بالالف ولا وقف على الاولى والرسم بالالف اما من نون سلاسل فوجه باوجه منها انه قصد بذلك التناسب لان ما قبله وما بعده منون منصوب ومنها ان الكسائى وغيره من أهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا أفعل منك وقال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا ينصرف لان الاصل فى الاسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وروى عن بعضهم انه يقول رايت عمرا بالالف يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأيضا هذا الجمع قد جمع وان كان قليلا قالوا صواحب وصواحبات وفى الحديث انكن صواحبات يوسف ومنها أنه مرسوم فى الامام اى مصحف الحجاز والكوفة بالالف رواه أبو عبيدة ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة أيضا وقال الزمخشرى فيه وجهان أحدهما أن

ما الحكمة فى تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم (قلت) لانه تعالى أراد تشبيههم فى حسنهم وانتشارهم

يكون هذا التنوين بدلا من حرف الاطلاق ويجرى الوصل مجرى الوقف والثانى أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف اه قال بعض المفسرين وفى هذه العبارة فظاظة وغلظة لاسيما على مشايخ الاسلام وأئمة العلماء الاعلام وأما من لم ينونه فوجهه ظاهر لانه على صيغة منتهى الجموع وقولهم قد جمع نحو صواحبات لا يقدح لان المحذور جمع التكسير وهذا جمع تصحيح وأما من لم يقف بالالف فواضح ولما أوجز فى جزاء الكافر أتبعه بجزاء الشاكر وأطنب تاكيدا للترتيب فقال تعالى (ان الابرار) جمع بر كأرباب جمع رب أو بار كأشهاد جمع شاهد وفى الصحاح وجمع البار البررة وهم الصادقون فى ايمانهم المطيعون لربهم الذين سمت همتهم عن المستحقرات فظهرت فى قلوبهم ينابيع الحكمة وروى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الآباء والابناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال الحسن رضى الله عنه البر الذى لا يؤذى الذر وقال قتادة رضى الله عنه الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وفى الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا (يشربون من كأس) هو اناء شرب الخمر وهى فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض (كان مزاجها) اى ما تمزج به (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر فعل الكون يدل على أن له فى المزج شأنا عظيما يكون فيه كانه من نفس الجبلة لا كما يعهد والكافور نبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطى الاشياء برائحته والكافور أيضا كمام الشجر الذى هو ثمرتها والكافر ايضا البحر والكافر الليل والكافر الساتر لنعم الله تعالى والكافر الزارع لتوريته الحب فى الارض قال الشاعر

وكافرمات على كفره * وجنة الفردوس للكافر

والكفارة تغطية الاثم فى اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور ماء جوف الشجر مكفور فيه فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الاشجار (فان قيل) مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب فى ذكره (أجيب) باوجه أحدها قال ابن عباس رضى الله عنهما الكافور اسم عين فى الجنة يقال لها عين الكافور اى يمازجها ماء هذه العين التى تسمى كافورا فى بياض الكافور ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته ثانيها أن رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا فى جسم فخلق الله تعالى تلك الرائحة فى جرم ذلك الشراب فسمى ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيه رائحة الكافور وريحها الاطعمها ثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور فى الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع المآكل والمشروبات ما معها فى الدنيا من المضار وقال سعيد عن قتادة رضى الله عنهم يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه فكانها امتزجت بالكافور وقوله تعالى (عينا) فى نصبه أوجه احدها انه بدل من كافورا لان ماءها فى بياض الكافور فى رائحته وبرده واقتصر على هذا الجلال المحلى الثانى انه بدل من محل من كأس قاله مكى ولم يقدر حذف مضاف وقدر الزمخشرى على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمرا خمر عين

فى الذمة كاللؤلؤ الذى لم يثقب وهو أشد صفاء وأحسن منظرا مما ثقب لانه اذا ثقب نقص صفاؤه

الثالث

الثالث انه نصب على الاختصاص قاله الزمخشري الرابع انه باضمار أعني قاله القرطبي وقيل غير ذلك (يشرب بها) قال الجلال المحلي منها وقال البقاعي أي بمزاجها وقال الزمخشري بها الخمر قال كما تقول شربت الماء بالعسل والاول اوضح (عباد الله) أي أولياؤه (فان قيل) الكفار عباد الله وهم لا يشربون منها بالاتفاق (اجيب) بان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان ولكن يشكل بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقدير الآية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر مع أنه سبحانه لا يرضى الكفر للكافر ولا لغيره وقد يجاب بان هذا أكثري لا كلي أو يقال حيث اضيف العباد أو العبد الى اسم الله الظاهر سواء كان بلفظ الجلالة أم لا فالمراد به المؤمن وان أضيف الى ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمؤمن كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى نبئ عبادي اني أنا الغفور الرحيم (يفجرونها) اي يجرونها حيث شاؤا من منازلهم وان علت (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم * ولما ذكر جزاءهم ذكر وصفهم الذي يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى (يوفون بالنذر) وهذا يجوز ان يكون مستأنفا ويجوز ان يكون خبر الكان مضمرة قال الفراء التقدير كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك قال ابو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز وأتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بان وهو قليل أو في الشعر والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجبه الله تعالى عليه أوفى وقال الكلبي يوفون بالنذر أي يتمون العهود لقوله تعالى وأوفوا بعهد الله أوفوا بالعقود أمروا بالوفاء بها لانهم عقدوها على انفسهم باعتقادهم الايمان قال القرطبي والنذر حقيقة ما أوجبه المكلف على نفسه من شئ يفعله وان شئت قلت في حده هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات مالو لم يوجبه لم يلزمه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه * ولما دل وفاؤهم على سلامة طباعهم قال تعالى عاطفا دلالة على جمعهم للامرين المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لا لأجل شئ بل لكرم الطبع (ويخافون) أي مع فعلهم للواجبات (يوما) قال ابن عبد السلام شر يوم أو أهوال يوم (كان) أي كونا هو في جبلته (شره) اي مافيه من الشدائد (مستطيرا) اى فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وقال قتادة رضي الله عنه كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ونسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء وفي ذلك اشعار بحسن عقيدتهم واحسانهم واجتنابهم عن المعاصي فان الخوف أدل دليل على عمارة الباطن قالوا مافارق الخوف قلبا الا خرب ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل (فان قيل) لم قال تعالى كان شره ولم يقل سيكون (اجيب) بانه كقوله تعالى أتى امر الله فما قيل في ذاك يقال هنا (ويطعمون الطعام) اى على حسب مايتيسر لهم من عال ودون وقوله تعالى (على حبه) حال اما من الطعام اى كائنين على حبهم اياه فهو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليفهم انهم للفضل أشد بذلا ولهذا

ومانبه ومالم ينقدح لا يكون
الامتثورا (قوله وسقاهم
ربهم شرابا طهورا)
* ان قلت أي شرف

قال صلى الله عليه وسلم في حق الصحابة رضي الله تعالى عنهم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه لقلة الموجود اذ ذاك وكثرته بعد واما من الفاعل والضمير في حبه
لله أي على حب الله وعلى التقديرين فهو مصدر مضاف للمفعول وقال الفضيل بن عياض
على حب اطعام الطعام (مسكينا) اى محتاجا احتياجا يسيرا فصاحب الاحتياج الكثير أولى
(ويتيما) اى صغيرا لا أب له (وأسيرا) أى في أيدى الكفار وخص هؤلاء بالذكر لان المسكين
عاجز عن الاكتساب بنفسه عما يكفيه واليتيم مات من يكتسب له وبقى عاجزا عن الكسب
لصغره والاسير لا يتمكن لنفسه نصرا ولا حيلة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم
الاسير المحبوس فيدخل في ذلك المملوك والمسجون والكافر الذي في أيدى المسلمين وقد نقل
في غزوة بدر ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز اذ ذاك
عزيزا حتى كان ذلك الاسير يعجب من مكارمهم حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك لان
النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة
لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان أى أسرى وقوله تعالى
(انما نطعمكم) على اضمار القول أى يقولون بلسان المقال أو الحال انما نطعمكم أيها
المحتاجون (لوجه الله) أى لذات الملك الذي استجمع الجلال والاكرام لكونه أمرنا بذلك وعبر
بالوجه لان الوجه يستحى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته (لا نريد منكم) لاجل ذلك (جزاء) أى
لنا من اعراض الدنيا (ولا شكورا) اى لشئ من قول ولا فعل روى أن عائشة رضي الله تعالى
عنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ثم علل اقوالهم هذا على وجه التأكيد بقولهم
(انا نخاف من ربنا) أى الخالق لنا المحسن الينا (يوما) أى اهوال يوم هو في غاية العظمة
وبينوا عظمته بقولهم (عبوسا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ووصف اليوم بالعبوس مجاز
على طريقين ان يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولك نهارك صائم روى أن الكافر يعبس
يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس
أو بالشجاع الباسل (قمطريرا) قال ابن عباس رضي الله عنهما طويلا وقال مجاهد وقتادة رضي
الله عنهما القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبس وقال الكلبي العبوس الذي
لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام وأطوله
في البلاء يقال يوم قمطرير وقماطير اذا كان شديدا كريها * ولما كان فعلهم هذا خالصا لله
تعالى سبب عنه جزاءهم فقال تعالى (فوقاهم الله) أى الملك الاعظم بسبب خوفهم (شر ذلك
اليوم) اى العظيم ولابد لهم من نعيم ظاهر وباطن ومسكن يقيمون فيه وملبس وقد [illegible] الى
الاول بقوله تعالى (ولقاهم) اى اعطاهم (نضرة) اى حسنا دائما في وجوههم واشار الى
الثاني بقوله تعالى (وسرورا) اى في قلوبهم دائما في مقابلة خوفهم في الدنيا واشار الى الثالث
بقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) اى بسبب ما أوجدوا من الصبر على العبادة من لزوم الطاعة
واجتناب المعصية ومنع انفسهم الشهوات وبذل المحبوبات (جنة) أى ادخلوا بستانا جامعا
يأكلون منه ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطعمون وان كان غيرهم يشاركهم في ذلك دونهم في

لذلك الدوام انه سقاهم ذلك في الدنيا قال تعالى وأسقيناكم ماء فراتا أي عذبا (قلت) المراد سقاهم

الجزاء واشار الى الرابع بقوله تعالى (وحريرا) اى ألبسوه اى هو فى غاية العظمة ومارواه البيضاوى تبعا للزمخشرى عن ابن عباس أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهما شئ فاستقرض على من شمعون اليهودى الخيبرى ثلاثة آصع من شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا وضعوا الطعام بين ايديهم فوقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير فى الثالثة ففعلوا مثل ذلك زاد فى الكشاف فلما أصبحوا أخذ على رضى الله تعالى عنه بيد الحسن والحسين فاقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد أى السورة هنأك الله فى أهل بيتك فاقرأه السورة حديث موضوع ثم بين حالهم فيها بقوله تعالى (متكئين فيها) اى الجنة واختلفوا فى اعراب متكئين فقال الجلال المحلى حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حالا من المفعول فى جزاهم وأن يكون صفة واعترض عليه فى كونه صفة بانه لا يجوز عند البصريين لانه كان يلزم الضمير فيقال متكئين هم فيها لجريان الصفة على غير من هى له وقيل انه من فاعل صبروا واعترض بأن الصبر كان فى الدنيا والاتكاء فى الآخرة وأجيب بانه يصح أن يكون حالا مقدرة لان مآلهم بسبب صبرهم الى هذه الحالة * ثم أشار الى زيادة راحتهم بقوله تعالى (على الارائك) أى السرر فى الحجال ولا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقيل الارائك الفرش على السرر وقوله تعالى (لا يرون فيها) اى الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم فى الاولى ومن جوز أن تكون الاولى صفة جوزه فى الثانية وقيل انها حال من الضمير المرفوع المستكن فى متكئين فتكون حالا متداخلة (شمسا) اى حرا (ولا) يرون فيها (زمهريرا) اى بردا شديدا فالآية من الاحتباك دل بنفى الشمس أولا على نفى القمر ودل بنفى الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس فافاد هذا ان الجنة غنية عن النيرين لانها نيرة بذاتها واهلها غير محتاجين الى معرفة زمان اذ لا تكليف فيها بوجه وانها ظليلة معتدلة دائما بخلاف الدنيا فان فيها الحاجة الى ذلك والحر والبرد فيها من فيح جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها قالت يا رب أكل بعضى بعضا فجعل لها نفسين نفسا فى الشتاء ونفسا فى الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر من سمومها وقيل الزمهرير القمر بلغة طيئ وأنشدوا

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

ويروى ما ظهر (ودانية) اى قريبة مع الارتفاع (عليهم ظلالها) أى شجرها من غير أن يحصل منها ما يزيل الاعتدال واختلف فى نصب دانية فقال البغوى عطف على متكئين وقال الجلال

فى تلك الدار بغير واسطة وأيضا فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمتزلين (قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا)

قوله فالآية من الاحتباك الخ كذا بالنسخ ولعل ابتأمل اه مصحح

المعنى عطف على محل لا يرون وذكره البغوى بعد الاول بصيغة بل قال البيضاوى أو عطف على جنة أى وجنة أخرى دانية لانهم وعدوا جنتين لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (فان قيل) ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف يحصل الظل (أجيب) بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة منها وان كان لا شمس ولا قمر كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ ولا شعث ثم (وذللت قطوفها) جمع قطف بالكسر وهو العنقود وهو اسم للثمار المقطوفة أى الجنية (تذليلا) اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل من يريد اخذها على اى حالة كانت من اتكاء وغيره فان كانوا قعودا أو مضطجعين تدلت اليهم وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراء ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤا فمن أكل قائما لم يؤذه ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن أكل مضطجعا لم يؤذه وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لامر الله تعالى * ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم بقوله تعالى (ويطاف) أى من أى طائف كان لكثرة الخدم (عليهم بآنية) جمع اناء كسقاء وأسقية وجمع الآنية أوان وهى ظروف للمياه ومعنى يطاف أى يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا أرادوا الشرب ثم بين تلك الآنية بقوله تعالى (من فضة) قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الدنيا شئ مما فى الجنة الا الاسماء اى الذى فى الجنة أشرف وأعلى ولم ينف الآنية الذهبية بل المعنى يسقون فى الاوانى الفضة وقد يسقون فى الاوانى الذهب كما قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد فنبه بذكر أحدهما على الآخر * ولما جمع الآنية خص فقال تعالى (وأكواب) جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول الى ادارة (كانت) أى تلك الاكواب كونا هو من جبلتها (قوارير) أى كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقة والشفوف والاشراق جمع قارورة وهى ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج * ولما كان رأس آية وكان التعبير بالقوارير ربما أفهم انها من الزجاج وكان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال تعالى معيدا اللفظ أول الآية الثانية تأكيدا للاتصاف بالصالح من اوصاف الزجاج وبيانا لنوعها (قوارير من فضة) أى قد جمعت صفتى الجوهرين المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقال الكلبى ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون منها (٣) وقرأ نافع وشعبة والكسائى وصلا بالتنوين فيهما ووافقهم ابن كثير فى الاول دون الثانى والباقون بغير تنوين وأما الوقف فمن نون وقف بالالف ومن لم ينون وقف بغير ألف الا هشاما فانه وقف على الثانى بالالف وفى الوصل لم ينون فالقرآت حينئذ على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف الثانية مقابله وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها وأما من نونهما فلما مر فى تنوين سلاسلا لانهما صيغة منتهى الجموع ذالك على مفاعل وذا على مفاعيل والوقف بالالف التى هى بدل

التنوين

أفاد بالتعبير باو النهى عن طاعتهما معا بالاولى ولو عطف بالواو لافهم جواز طاعة أحدهما وليس

(٣) قوله وقرأ نافع الخ عبارة الجمل واعلم أن القراء فيهما على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف لنافع والكسائى وأبى بكر الثانية مقابلة هذه وهى عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف لحمزة وحده الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف لهشام وحده الرابعة تنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها لابن كثير وحده الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثانى بدونها لابى عمرو وابن ذكوان وحفص اه المراد منه وبها يتضح ما فى عبارة المفسر

التنوين فاماعدم تنوينهما وعدم الوقف بالالف فظاهر وأما من نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الآي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول والوجه في وقفه على الاول بالالف وعلى الثاني بغير ألف ظاهر وأما من لم ينونهما ووقف على الاول بالف وعلى الثاني بدونها فلان الاول رأس آية فناسب بينه وبين رؤس الآي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس برأس آية وأما من لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فانه ناسب بين الاول وبين رؤس الآي وناسب بين الثاني وبين الاول وقال الزمخشري وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول يعني انهم يأتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق الذي للترنم كقوله * ياصاح ماهاج العيون الذرفن * وقوله تعالى (قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة وفي الواو في قدروها وجهان أحدهما أنه للمطاف عليهم ومعنى تقديرهم اياها انهم قدروها في انفسهم أن تكون على تقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا والثاني انه للطائفين بها دل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنه ولا يعجز وعن مجاهد رضي الله عنه لاتغيض ولا تفيض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قدروها على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بثقل أو بافراط صغر وجوز أبو البقاء أن تكون الجملة مستأنفة (ويسقون) أي من أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة (فيها) أي في الجنة أو تلك الاكواب (كأسا) أي خمرا في اناء (كان مزاجها) اي ماتمزج به على غاية الاحكام (زنجبيلا) أي غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشراب الممزوج به لهضمه وتطييبه الطعم والزنجبيل نبت معروف وسمى الكأس بذلك لوجود طعم الزنجبيل فيها قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيـ * ـل باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكان طعم الزنجبيل به * اذذقته وسلافة الخمر

وقوله تعالى (عينا فيها) أي الجنة بدل من زنجبيلا وكون الزنجبيل عينا فيه خرق للعوائد لان الزنجبيل عندنا شجر يحتاج في تناوله الى علاج فبين انه هناك عين لا يحتاج في صيرورته زنجبيلا الى ان تحمله الارض بتغيره فيها حتى يصير شجرا يتحول عن طعم الماء الى طعم الزنجبيل (تسمى) أي تلك العين لسهولة اساغتها ولذة طعمها ونحو وصفها (سلسبيلا) والمعنى ان ماء تلك العين كالزنجبيل الذي تلتذ به العرب سهل المساغ في الحلق فليس هو كزنجبيل الدنيا يلذع في الحلق فتصعب اساغته والسلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة زيدت فيه الباء زيادة في المبالغة في هذا المعنى وقال مقاتل وابن حبان رضي الله عنهما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان قال البغوي وشراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع وقال مقاتل رضي الله عنه يشربها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * ولما ذكر تعالى المطوف به لانه الغاية المقصودة وصف الطائف لما في طوافه من العظمة المشهودة بقوله تعالى (ويطوف عليهم) أي بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب (ولدان) اي غلمان هم في سن

مرادا (قوله وشددنا أسرهم) أي خلقهم (ان قلت) كيف قال ذلك هنا وقال في النساء وخلق الانسان

من هو دون البلوغ لان الفقهاء قالوا الناس غلمان وصبيان وأطفال وذرارى الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبان وفتيان الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الاربعين ثم بعدها شيوخ واستنبط بعضهم ذلك من القرآن فى حق بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فى حق يحيى وآتيناه الحكم صبيا وفى حق عيسى يكلم الناس فى المهد وكهلا وعن ابراهيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وعن يعقوب ان له أبا شيخا كبيرا قالوا وأقل اهل الجنة من يخدمه ألف غلام ويعطى فى الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها ثم وصف تعالى تلك الغلمان بقوله تعالى (مخلدون) أى قد حكم من لا يرد حكمه بان يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك الحد مع انهم مزينون بالحلى وهو الحلق والاساور والقرط والملابس الحسنة (اذا رأيتهم) أى يا أعلى الخلق وأنت أثبت الناس نظرا أو أيها الرائى الشامل لكل راء فى اى حالة رأيتهم فيها (حسبتهم) أى من بياضهم وصفاء الوانهم وانتشارهم فى الخدمة (لؤلؤا منثورا) أى من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه فى غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم أطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان وارى والله أعلم انهم من علم الله تعالى ايمانه من اولاد الكفار وتكون خدما لاهل الجنة كما كانوا لنا فى الدنيا سبيا وخدما وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سناولما كسرور الهم ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى ابنه ابراهيم عليه السلام ان له لظئرا تتم رضاعه فى الجنة فانه يدل على انتقال شأنه فيما هنالك وكتنقله فى الاحوال فى الدنيا ولا دليل على خصوصيته بذلك وقرأ السوسى وشعبة بابدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا واذا وقف حمزة أبدل الاولى والثانية ولما ذكر المخدوم والخدم ذكر المكان بقوله تعالى (واذا رأيت) أى وجدت منك الرؤية (ثم) اى هنالك فى أى مكان كان فى الجنة وأى شئ كان فيها وقوله تعالى (رأيت) جواب اذا أى رأيت (نعيما) أى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف (وملكا كبيرا) أى لم يخطر على باله مما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة قال سفيان الثورى بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وقال الحكيم الترمذى هو ملك التكوين اذا أرادوا شيأ قالوا له كن فيكون وفى الخبر ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة أى وما فيهم دنئ الذى فى ملكه مسيرة ألف عام ويرى أقصاه كما يرى أدناه وان اعظمهم منزلة من ينظر الى وجه ربه سبحانه وتعالى كل يوم اى قدر يوم من ايام الدنيا مرتين * ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم بقوله تعالى (عاليهم) اى فوقهم (ثياب سندس) هو مارق من الحرير (خضر واستبرق) وهو ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وقرأ نافع وحمزة عاليهم بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء لان الياء لما سكنت كسرت الهاء ولما تحركت ضمت الهاء فاما قراءة نافع وحمزة ففيها أوجه أظهرها أن يكون خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخر وأما قراءة الباقين ففيها أيضا أوجه اظهرها أن يكون خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخر كأنه قال فوقهم ثياب قال ابو البقاء لان عاليهم بمعنى فوقهم والضمير المتصل به للمطوف عليهم أو للخادم والمخدوم جميعا وان كانت تتفاوت

ضعيفا (قلت) قال ابن عباس وغيره المراد به ضعيف عن الصبر عن النساء فلذلك أباح الله له نكاح الامة

بتفاوت الرتب وقرأ نافع وحفص خضر واستبرق برفعهما وقرأ حمزة والكسائي بخفضهما وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر وجر استبرق وقرأ ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراآت في ذلك اربع مراتب الاولى رفعهما الثانية خفضهما الثالثة رفع الاول وخفض الثاني الرابعة عكس ذلك فاما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على الثياب ولكن على حذف مضاف أي وثياب استبرق وأما القراءة الثانية فيكون جر خضر على النعت لسندس ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال مكي هو اسم جمع وقيل هو جمع سندسة كتمر وتمرة ووصف اسم الجنس بالجمع صحيح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال وأعجاز نخل منقعر ومن الشجر الاخضر واذا كانوا قد وصفوا المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم اهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض وفي التنزيل أو الطفل الذين فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الاولى وجر استبرق نسقا على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق وأما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتا لثياب وجر استبرق نسقا على سندس أي ثياب خضر من سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق أيضا أخضر وأما القراءة الرابعة فجر خضر على أنه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف أي وثياب استبرق * ثم اخبر تعالى عن تحليتهم بقوله سبحانه (وحلوا) اى المخدوم والخادم (أساور من فضة) وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب وهي بالغة من الاعضاء ما يبلغه التحجيل في الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذلك كان أبو هريرة يرفع الى المنكبين والى الساقين * (تنبيه) * قال هنا أساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ فقيل حلي الرجال الفضة وحلي النساء الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي احدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محاسن الجنة قال سعيد بن المسيب وقيل يعطى كل أحد ما رغب فيه وتميل نفسه اليه وقيل اسورة الفضة انما تكون للولدان واسورة الذهب للنساء وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا يكون بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربهم) أى الموجد لهم المحسن اليهم المدبر لمصالحهم (شرابا طهورا) أى ليس هو كشراب الدنيا سواء أكان من الخمر أم من الماء أم من غيرهما فهو بالغ الطهارة وقال علي رضي الله عنه اذا توجه أهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث شعورهم أبدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وأبو قلابة هو اذا شربوه بعد أكلهم طهرهم وصار ما أكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من اذى وعلى هذا فيكون فعول للمبالغة وقال الرازي قوله تعالى طهورا في تفسيره احتمالات أحدها أن لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في

وقال الزجاج معناه يغلبه هواه وشهوته واذلك وصف بالضعف ومعنى قوله وشددنا أسرهم وبطنا أوصالهم

البعد عن الامور المستقذرة لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها وثالثها أنه لا يؤول الى النجاسة لانه يترشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا الا انه يطهر بواطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية (فان قيل) هل هذا نوع آخر غير ما ذكر قبل ذلك من أنهم يشربون من الكافور والزنجبيل والسلسبيل ام لا (أجيب) بانه نوع آخر لوجوه ٢ أولها رفع ثانيها انه تعالى أضاف هذا الشراب الى نفسه بقوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وذلك يدل على فضل هذا دون غيره ثالثها ماروى انه تقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على أن ذلك الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم ان له مع هذا الهضم تأثيرا عجيبا وهو انه يجعل سائر الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك ويطهر شاربه عن الميل الى اللذات الخسيسة والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جلاله متلذذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة وقوله تعالى (ان) على اضمار القول أى ويقال لهم ان (هذا كان لكم جزاء) أى على أعمالكم التي كنتم تجهدون فيها أنفسكم عن هواها الى مايرضى ربكم والاشارة الى ماتقدم من عطاء الله تعالى لهم (وكان) أى على وجه الثبات (سعيكم مشكورا) أى لانضيع شيأ منه ونجازى بأكثر منه اضعافا مضاعفة * ولما بين تعالى بهذا القرآن العظيم الوعد والوعيد ذكر سبحانه أنه من عنده وليس هو بسحر ولا كهانة ولا شعر بقوله تعالى (انا نحن) أى على مالنا من العظمة التي لانهاية لها لاغيرنا (نزلنا عليك) وأنت أعظم الخلق انزالا استعلى حتى صار المنزل خلقا لك (القرآن) أى الجامع لكل هدى (تنزيلا) قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة قال الرازى والمقصود من هذه الآية تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله تعالى الملك الحق أقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى وفى ذلك فائدتان الاولى ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له انى ما نزلت القرآن عليك متفرقا الا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين وقد اقتضت تلك الحكمة تأخير الاذن فى القتال (فاصبر لحكم ربك) أى المحسن اليك قال ابن عباس اصبر على أذى المشركين ثم نسخ بآية القتال وقيل اصبر لما يحكم عليك به من الطاعات أو انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كائن لامحالة (ولا تطع منهم) أى الكفرة الذين هم ضد الشاكرين (آثما) أى داعيا الى اثم سواء كان مجردا عن مطلق الكفر أو مصاحبا له (أو كفورا) أى مبالغا فى الكفر وداعيا اليه وان كان كبيرا وعظيما فى الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير وقال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن

على

٢ قوله أولها رفع هكذا فى النسخ ولعله أولها مارفع يعنى ماتقدم فى قوله وقال على الخ اهـ

بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب أو المراد بالاسر عجب الذنب لانه لا يتفتت فى القبر

على عنقه وقال مقاتل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على أن يترك ذكر النبوة عرض عليه عتبة ابنته وكانت من أجمل النساء وعرض عليه الوليد ان يعطيه من الاموال حتى يرضى و يترك ماهو عليه فقرأ عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اول حم السجدة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع على (فان قيل) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما أو كفورا (أجيب) بان معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم قال (فان قيل) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن اطاعتهما جميعا (أجيب) بانه لو قال ولا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما واذا قيل ولا تطع احدهما علم أن الناهي عن طاعة احدهما أنهى عن طاعتهما جميعا كما اذا نهى ان يقول لابويه أف علم أنه نهى عن ضربهما بطريق الاولى (فان قيل) انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع أحدا منهم فما فائدة هذا النهي (أجيب) بان المقصود بيان ان الناس محتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى النساء وان الواحد لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان احق الناس به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دائما أبدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت ان كل مسلم لابد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه أن يصونه عن الشهوات (واذكر) أي في الصلاة (اسم ربك) أي المحسن اليك بكل جميل (بكرة) أي الفجر (وأصيلا) أي الظهر والعصر (ومن الليل) أي بعضه والباقي للراحة بالنوم (فاسجد له) أي المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه أو اذكره بلسانك بكرة عند قيامك من منامك الذي هو الموتة الصغرى وتذكر أنه يحيي الموتى ويحشرهم جميعا وأصيلا أي عند انقراض نهارك وتذكر انقراض دنياك وطي هذا العالم لاجل يوم الفصل وفي ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره والذي عليه أكثر المفسرين الاول قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة لان الصلاة أفضل الاعمال البدنية لانها أعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان فوظفت فيها اركان انسانية وحركات وسكنات على هيآت مخصوصة من عادتها أن لا تفعل الا بين يدي الملوك * ولما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والامر والنهي عدل سبحانه الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال تعالى (ان هؤلاء) أي الذين يغفلون عن الله من الكفار والمتمردين (يحبون) أي محبة تجدد عندهم زيادتها في كل وقت (العاجلة) لقصور نظرهم وجمودهم على المحسوسات التي الاقبال عليها منشأ البلادة والقصور ومعدن الامراض للقلوب التي في الصدور ومن تعاطى أسباب الامراض مرض وسمي كفورا ومن تعاطى ضد ذلك شفي وسمي شاكرا (ويذرون) أي و يتركون (وراءهم) أي قدامهم على وجه الاحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان عما وراءه أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به وقوله تعالى (يوما) مفعول يذرون لا ظرف وقوله تعالى (ثقيلا) وصف له استعير الثقل لشدته

(سورة والمرسلات)

(قوله ويل يومئذ للمكذبين) كرر هنا عشر مرات والتكرار في مقام

وهولهم من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض (نحن خلقناهم) أى بما لنا من العظمة لاغيرنا (وشددنا) أى قوينا (أسرهم) أى توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق عظامهم بالاعصاب بعد أن كانوا نطفا أمشاجا فى غاية الضعف واصل الاسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا وثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق (واذا شئنا) أى بما لنا من العظمة أن نبدل ما نشاء من صفاتهم أو ذواتهم (بدلنا أمثالهم) أى جئنا بامثالهم بدلا منهم امابان نهلكهم ونأتى ببدلهم ممن يطيع واما بتغيير صفاتهم كما شوهد فى بعض الاوقات من المسخ وغيره وقوله تعالى (تبديلا) تأكيد قال الجلال المحلى ووقعت اذا موقع ان نحو ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا لما يقع وفى ذلك رد لقول الزمخشرى وحقه أن يجىء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (ان هذه) أى السورة أو الآيات القريبة (تذكرة) أى عظة للخلق فان فى تصفحها تنبيهات للغافلين وفى تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى اليه سمعه (فمن شاء) أى بان اجتهد فى وصوله الى ربه (اتخذ) أى أخذ بجهده فى مجاهدة نفسه ومغالبة هواه (الى ربه) أى المحسن اليه الذى ينبغى له أن يحبه بجميع جوارحه وقلبه ويجتهد فى القرب منه (سبيلا) أى طريقا واضحا سهلا واسعا بأعمال الطاعة التى أمر بها لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطراق الطريق غير مشيئتنا (وما تشاؤن) أى فى وقت من الاوقات شيأ من الاشياء وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب واذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر وله أيضا ابدالها واوا مع المد والقصر (الا) وقت (أن يشاء الله) أى الملك الاعلى الذى له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صرح بهذا ما قال الاشعرى وسائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بمشيئة الله تعالى وانتفى مذهب القدرية الذين يقولون انا نخلق أفعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا أصلا ومثل الملوى ذلك بمن يريد قطع بطيخة فحدد سكينة وهيأها وأوجد فيها أسباب القطع وأزال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة فهى لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها ما لا يصلح للقطع كخشبة مثلا لم تقطع ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله تعالى وهيأه بما أعطاه من القدرة للفعل فمن قال أنا أخلق فعلى مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد أصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامل يده أو قصبة ملساء من غير سكين والذى يقول انه باشر بقدرته المهيأة للفعل بخلقه الله تعالى اياها فى ذلك الفعل كمن قال ان السكين قطعت بالتحامل عليها بهذا أجرى الله سبحانه وتعالى عادته فى الناس ولو شاء غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذى لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته بشئونهم بقوله تعالى (ان الله) أى المحيط علما وقدرة (كان) أى أزلا وابدا (عليما) أى بما يستأهل كل أحد (حكيما) أى بالغ الحكمة فهو يمنع منعا محكما من ان يشاء غيره ما لم يأذن فيه فمن علم فى جبلته خيرا أعانه عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه وهو معنى قوله تعالى (يدخل من يشاء) أى ممن علمه من أهل السعادة (فى رحمته) أى جنته

الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما اذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا (قوله هذا

قوله الملوى هكذا بالاصل وليحرر

وهم المؤمنون وقوله تعالى (والظالمين) أى الكافرين منصوب بفعل يفسره قوله تعالى (أعد لهم) مثل أوعد وكافأ ليطابق الجمل المعطوف عليها (عذابا أليما) أى مؤلما فهم فيه خالدون أبد الآبدين وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا حديث موضوع

سورة والمرسلات عرفا

مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا آية منها وهى قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فمدنية

وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى أوينا الى غار بمنى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم اه والغار المذكور مشهور فى منى وقد زرته ولله الحمد وعن كريب مولى ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفا فسمعتنى أم الفضل امرأة العباس فبكت وقالت والله يا بنى لقد أذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى صلاة المغرب وهى خمسون آية واحدى وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) المنعم على الخلق أجمعين (الرحيم) الذى خص بكرامته عباده المؤمنين (والمرسلات عرفا) أى الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضها بعضا ونصبها على الحال هذا ما عليه الجمهور من أنها الرياح قال تعالى وأرسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هى الملائكة أرسلت بالعرف من امر الله تعالى ونهيه والخير والوحى وهو قول أبى هريرة ومقاتل والكلبى وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم الانبياء عليهم السلام أرسلوا بلا اله الا الله وقال أبو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت اليه ومن أرسلت اليه (فالعاصفات) أى الرياح الشديدة (عصفا) اى عظيما بما لها من التتابع الصالحة وقيل الملائكة شبهت لسرعة جريها فى امر الله تعالى بالرياح وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصف بالشئ اذا اباده واهلكه وناقة عصوف اى تعصف براكبها فتمضى كأنها ريح فى السرعة وعصفت الحرب بالقوم أى ذهبت بهم وقيل يحتمل انها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف (والناشرات نشرا) اى الرياح اللينة تنشر المطر وقال الحسن هى الرياح التى يرسلها الله تعالى بين يدى رحمته وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى تحييه وروى عن السدى انها الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك انها الصحف تنشر على الله تعالى باعمال العباد ٭ (تنبيه) ٭ انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه استئناف قسم آخر (فالفارقات فرقا) اى الرياح تفرق السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس هى الملائكة تفرق الاقوات والارزاق والآجال وقيل هم الرسل فرقوا بين ما أمر الله تعالى به وما نهى عنه أى بينوا ذلك وقيل آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فالملقيات ذكرا) اى الملائكة تنزل بالوحى الى الانبياء والرسل

يوم لا ينطقون) وان قلت نفى النطق عنهم يدل على انتفاء الاعتذار منهم اذ الاعتذار لا يكون

عليهم الصلاة والسلام وقيل هو جبريل عليه السلام وحده سمى باسم الجمع تعظيما (فان قيل) ما المناسبة على هذا بين الرياح والملائكة فى القسم (اجيب) بان الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل المراد به الرسل يلقون الى اممهم ما انزل عليهم وذكرا مفعول به ناصبه الملقيات (عذرا او نذرا) مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز ان يكون جمع عذير بمعنى المعذور وجمع نذير بمعنى الانذار وبمعنى العاذر والمنذر ونصبهما اما على البدل من ذكرا على الوجهين الاولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين او منذرين وقرأ او نذرا نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال والباقون بسكونها وقوله تعالى (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لامحالة وقال الكلبى المراد ان كل ماتوعدون به من الخير والشر لواقع ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى (فاذا النجوم) اى على كثرتها (طمست) أى محى نورها اوذهب نورها ومحقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتثرت وانكدرت قال الزمخشرى ويجوز ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (واذا السماء) اى على عظمها (فرجت) اى فتحت وشققت فكانت ابوابا والفرج الشق ونظيره اذا السماء انشقت (واذا الجبال) اى على صلابتها (نسفت) اى ذهب بها كلها بسرعة من نسفت الشيء اذا اختطفته اونسفت كالحب اذا انسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا (واذا الرسل) اى الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوا (اقتت) قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التأقيت تبيين الوقت الذى فيه يحضرون للشهادة على اممهم اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة والوقت الاجل الذى يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالمعنى جعل لها وقت اجل للفصل والقضاء بينهم وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرأ أبو عمرو بواو مضمومة والباقون بهمزة مضمومة وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت واكدت وقوله تعالى (لأى يوم) اى عظيم متعلق بقوله تعالى (أجلت) وهذه الجملة معمولة لقول مضمر اى يقال لاى يوم اجلت وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا وأن يكون حالا من مرفوع اقتت اى مقولا فيها لاى يوم اجلت اى اخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم وتعجيب له وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التاجيل وقيل اللام بمعنى الى ذكره مكى قال ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ثم اتبع هذا التعظيم تعظيما آخر بقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الفصل) اى ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله فى شدته ومهابته وقرأ ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح ثم اتبعه تهويلا ثالثا بقوله تعالى (ويل يومئذ) اى اذ يكون يوم الفصل (للمكذبين) اى بذلك قال القرطبى ويل عذاب وخزى لمن كذب بالله تعالى وبرسله وكتبه وبيوم الفصل وهو وعيد وكرره فى هذه السورة عند كل آية كانه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشيء عذابا سوى عذاب تكذيبه بشيء آخر ورب شيء كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه لغيره لانه اقبح فى تكذيبه واعظم فى الرد على الله تعالى وانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى جزاء وفاقا وقيل

الا بالنطق فما فائدة قوله عقبه ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) معناه لا ينطقون ابتداء بعذر

كرره لانه تكرار التخويف والوعيد وروى عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه
ألوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروى انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على جهنم فلم
ار فيها واديا اعظم من الويل وروى أيضا أنه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم وانما
يسيل الشيء فيما سفل من الارض وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع ما استنقع فيه مياه
الادناس والاقذار والغسالات والجيف وماء الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع صديد أهل
الكفر والشرك ليعلم العاقل انه لا شيء اقذر منه قذارة ولا أنتن منه نتنا * (تنبيه) * ويل مبتدأ
وسوغ الابتداء به الدعاء ويومئذ ظرف للويل وللمكذبين خبره وقال الزمخشري فان قلت
كيف وقع النكرة مبتدأ قلت هو في اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله لكنه عدل به الى
الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم واعترض بأن
الذي ذكره ليس من المسوغات التي ذكرها النحويون وانما المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول
الى الرفع ما ذكره (ألم نهلك) اي بما لنا من العظمة (الاولين) من لدن آدم عليه السلام الى زمن
محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود بتكذيبهم اي اهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين)
أي ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم كما اهلكنا الاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل
تكذيبهم (كذلك) اي مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) اي بكل من اجرم فيما
يستقبل اما بالسيف واما بالهلاك (ويل يومئذ) اي اذ وجد ذلك الفعل (للمكذبين) اي
بآيات الله وانبيائه قال البيضاوي فليس تكرارا وكذا ان أطلق التكذيب اوعلق
في الموضعين بواحد لان الويل الاول بعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير
للتوكيد حسن شائع في كلام العرب (ألم نخلقكم) اي ايها المكذبون بما لنا من العظمة التي
لا تغيرها عظمة (من ماء مهين) اي ضعيف حقير وهو المني وهذا نوع آخر من تخويف الكفار
وهو من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكلما كان نعمه عليه اكثر كان
جنايته في حقه اقبح وأفحش الثاني انه تعالى ذكرهم انه قادر على الابتداء والقادر على الابتداء
قادر على الاعادة فلما انكروا هذه الدلالة الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ
للمكذبين وهذه الآية نظير قوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقرأ كل القراء
بادغام القاف في الكاف وابقاء الصفة واهم أيضا ادغام الصفة مع الحذف ٣ (فجعلناه) اي
بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال للماء في الرحم (في قرار) أي مكان (مكين) اي حريز وهو
الرحم (الى قدر معلوم) أي وهو وقت الولادة كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى قوله
ويعلم ما في الارحام (فقدرنا) أي ذلك دون غيرنا (فنعم القادرون) نحن وقرأ نافع والكسائي
بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة أن يكون المعنى فقدرناه والباقون بالتخفيف وقال علي
كرم الله وجهه ولا يبعد أن يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحدا لان العرب تقول قدر
وقدر عليه الموت (ويل يومئذ) أي اذ كان ذلك (للمكذبين) أي بقدرتنا على ذلك أو على
الاعادة وقوله تعالى (ألم نجعل) أي نصير بما شئنا بما لنا من العظمة (الارض كفاتا) مصدر
كفت بمعنى ضم وعاء ضامة (أحياء) اي على ظهرها في الدور وغيرها (وأمواتا) أي في بطنها
في القبور وغيرها وقيل الاحياء والاموات ترجع الى الارض أي الارض منقسمة الى حي وهو

مقبول ولا يبعد أن يؤذن لهم في الاعتذار ولو اذن لها فيه اذ الخائف عادة قد لا ينطق لسانه بعذر وجهه

٣ قوله واهم أيضا ادغام الصفة الخ لعل الظاهر واوهم أيضا الادغام مع حذف الصفة فليحرر اه مصححه

الذي ينبت والى ميت وهو الذى لا ينبت وقيل كفاتا جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم وقال الخليل تقايب الشئ ظهرا لبطن أو بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم أى انقلبوا فمعنى الكفات انهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون اليها ويدفنون فيها (وجعلنا) أى بما لنا من القدرة التامة (فيها) أى الارض (رواسى) أى جبالا ولولاها لمادت باهلها ومن العجائب مراسيها من فوقها خلافا لمراسى السفن (شامخات) أى مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ومنه شمخ بانفه اذا تكبر جعل كناية عن ذلك كثنى العطف وصعر الخد كما قال لقمان لابنه ولا تصعر خدك للناس (وأسقيناكم) أى بما لنا من العظمة (ماء) أى من الانهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك (فراتا) أى عذبا تشربون منه ودوابكم وتسقون منه زروعكم وهذه الامور أعجب من البعث روى فى الارض من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة (ويل يومئذ) أى اذ تقوم الساعة (للمكذبين) اى بامثال هذه النعم وقوله تعالى (انطلقوا) على ارادة القول أى يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب يعنى النار فقد شاهدتموها عيانا (انطلقوا الى ظل) أى ظل دخان جهنم لقوله تعالى وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) أى تتشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش وقيل ان الشعب الثلاث هى الضريع والزقوم والغسلين لانها أوصاف النار وقوله تعالى (لا ظليل) أى كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل (ولا يغنى) أى ولا يرد عنهم شيأ (من اللهب) أى لهب النار فليس كالظل الذى يقى حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين واللهب ما يعلو على النار اذا اضطربت من أحمر وأصفر وأخضر (انها) اى النار (ترمى) أى من شدة الاشتعال (بشرر) وهو ما تطاير من النار (كالقصر) أى كل شررة كالقصر من البناء فى عظمه وارتفاعه قال ابن مسعود يعنى الحصون وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ترمى بشرر كالقصر قيل هى الخشب العظام المقطعة قال وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هى أصول النخل والشجر العظام واحدتها قصرة مثل جمرة وجمر وقوله تعالى (كأنه) أى الشرر (جمالات) قرأه حمزة والكسائى وحفص بغير ألف بعد اللام على التوحيد والباقون بالالف على الجمع جمع جمالة وهى التى قرئ بها أولا وهى جمع جمل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى (صفر) جمع أصفر أى فى هيئتها ولونها وفى الحديث شرار النار أصفر كالقير والعرب تسمى سود الابل صفر الشوب سوادها بصفرة فقيل صفر فى الآية بمعنى سود لما ذكر وفى شعر عمران ابن حطان الخارجى

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

قال الترمذى وهذا القول ضعيف ومحال فى اللغة أن يكون من يشوبه شئ قليل فينسب كله الى ذلك الشائب فالعجب ممن قد قال هذا وقد قال الله تعالى جمالات صفر فلا نعلم من هذا شيأ فى اللغة وقيل شبه الشرر بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لتتابعه بعضها بعضا (ويل يومئذ) أى

نطق فيه لكن اذا اذن له فيه نطق فتناسبه ذلك فى هذا المعنى أى لا ينطقون بعذر ابتداء ولا بعد الاذن (فان

اذ يكون ذلك (للمكذبين) أى بهذه الامور العظام (هذا) أى يوم القيامة (يوم لا ينطقون)
أى بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار بين انه ليس لهم
عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح وهذا فى بعض المواقف فان يوم القيامة يوم طويل
ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن
الكريم ففى بعضها يختصمون ويتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون وروى
عكرمة أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سأله ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون
ولا تسمع الا همسا وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال ان الله تعالى يقول وان يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون فان لكل مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقال الحسن
فيه اضمار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع
ومن نطق بما لا ينفع فكأنه ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام لا يفيد ما قلت شيأ وقيل ان هذا
وقت جوابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون (ولا يؤذن لهم) أى فى العذر وقوله تعالى (فيعتذرون)
عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل فى حيز النفى أى لا اذن فلا اعتذار (ويل
يومئذ) أى اذ كان هذا الموقف (للمكذبين) أى الذين لا تقبل منهم معذرة (هذا يوم الفصل)
وهذا نوع آخر من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم أى يقال لهم هذا اليوم الذى يفصل فيه
بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل (جمعناكم) أيها المكذبون من هذه الامة بما لنا من العظمة
(والاولين) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما جمع الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى (فان
كان لكم كيد) أى حيلة فى دفع العذاب عنكم (فكيدون) أى فاحتالوا لانفسكم وقاوون
ولن تجدوا ذلك تقريع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه وتسجيل عليهم بالعجز وقيل ان
ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدونى جميعا ثم
لا تنظرون (ويل يومئذ) أى اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة فى عذابهم (للمكذبين) اى
الراسخين فى التكذيب فى ذلك ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى (ان المتقين) أى الذين اتقوا
الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال) أى تكاثف أشجار اذ لا شمس يظل من حرها
(وعيون) أى من ماء وعسل ولبن وخمر كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم
يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام
وحفص بضم العين والباقون بكسرها (وفواكه مما يشتهون) فى هذا اعلام بان المأكل
والمشرب فى الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس فى الاغلب وقوله تعالى
(كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون
فى ظلال مقولا لهم ذلك وقوله تعالى (هنيئا) حال أى متهنئين (بما) أى بسبب ما (كنتم تعملون)
من طاعات الله تعالى (انا) أى بما لنا من العظمة (كذلك) أى كما جزينا المتقين هذا الجزاء
العظيم (نجزى المحسنين) أى نثيب الذين أحسنوا فى تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وأعمالهم فى الدنيا (ويل يومئذ) أى اذ يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (للمكذبين) أى بعض

قاله) ماذكرنا فيه مادل
عليه قوله يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم من
وقوع الاعتذار منهم

لهم العذاب الخالد ضد النعيم المؤبد وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار في الدنيا (قليلا) أي من الزمان وغايته الى الموت وهو زمان قليل لانه زائل مع قصر مدته في زمن الآخرة وفي هذا تهديد لهم ويجوز أن يكون ذلك خطابا لهم في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة بما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وهذا ماجرى عليه الزمخشري أولا وذكر الاول ثانيا واقتصر الجلال المحلي على ماذكرته أولا وهو أولى قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها ثم علل ذلك مؤكدا بقوله تعالى لانهم ينكرون وصفهم بذلك (انكم مجرمون) ففيه دلالة على ان كل مجرم يتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا (ويل يومئذ) أي اذ تعذبون باجرامكم (للمكذبين) حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجرمين من أي قائل كان (اركعوا) أي صلوا الصلاة التي فيها الركوع كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وأطلقوه عليها تسمية لها باسم جزئها أو خص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلاة المسلمين (لا يركعون) أي لا يصلون قال الرازي وهذا ظاهر لان الركوع من أركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم أنهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون ويجوز أن يكون اركعوا بمعنى اخشعوا وتواضعوا لله بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وأن يكون بمعنى اركعوا في الصلاة اذروى أنها نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لانجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس جبى تجبية وضع يديه على ركبتيه أو على الارض أوانكب على وجهه والتجبية أن تقوم قيام الراكع واستدل بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأنهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى أن الامر للوجوب لان الله تعالى ذمهم بمجرد ترك المأمور به وهو يدل على أن الامر للوجوب (فان قيل) انما ذمهم لكفرهم (أجيب) بأنه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الا أنه تعالى انما ذمهم في هذه الآية لتركهم المأمور به وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (ويل يومئذ) أي اذ يكون الفصل (للمكذبين) اي بما أمروا به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل القطعية مع تجليها ووضوحها (فبأي حديث بعده) أي القرآن (يؤمنون) اي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن حادث لان الله تعالى وصفه بانه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثا وجب أن لا يكون

(قلت) لا ينافيه لان يوم القيامة يوم طويل فيه يعتذرون في وقت ولا يعتذرون في آخر والجواب

قديما واجيب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والمرسلات كتب الله تعالى له انه ليس من المشركين حديث موضوع

سورة عم يتساءلون

وتسمى سورة النبأ مكية وهى أربعون أو احدى واربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلة وسبعمائة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى له الملك كله (الرحمن) الذى عم الوجود بفضله (الرحيم) الذى عمت أولياؤه جنته وقوله تعالى (عم) أصله عن ما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم واستعمال الاصل قليل ومنه قول حسان

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كأنه قال عن أى شئ (يتساءلون) ونحوه ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شئ خفى عليك فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أى شئ هو من الاشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية ولذا الماوقف البزى ألحق الميم هاء السكت بخلاف عنه والضمير في يتساءلون لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتساءلون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال تعالى (عن النبأ العظيم) قال مجاهد والاكثرون هو القرآن دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث (فان قيل) اذا كان الضمير يرجع للكافر فكيف يكون قوله تعالى (الذى هم) اى بضمائرهم مع ادعائهم أنهم أقوى الضمائر (فيه مختلفون) مع ان الكفار كانوا متفقين على انكار البعث (اجيب) بانا لا نسلم اتفاقهم على ذلك بل كان فيهم من يثبت المعاد الروحانى وهم جمهور النصارى واما المعاد الجسمانى فمنهم من يقطع القول بانكاره ومنهم من يشك وأما اذا كان المتساءل عنه القرآن فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتساءل عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (كلا) ردع للمتساءلين هزؤا (سيعلمون) ما يحل بهم على انكارهم له وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تأكيد وجئ فيه بثم للايذان بان الوعيد الثانى اشد من الاول وقال الضحاك الاولى للكفار والثانية للمؤمنين أى سيعلم الكافرون عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم ثم أومأ تعالى الى القدرة على البعث بقوله تعالى (ألم نجعل) اى بما لنا من العظمة (الارض مهادا) اى فراشا كالمهد للصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير (والجبال) أى التى تعرفون شدتها وعظمها (أوتادا) اى تثبت بها الارض كما تثبت الخيام بالاوتاد والاستفهام للتقرير فيستدل بذلك على قدرته على جميع الممكنات واذا

بان المراد بتلك الآية الظالمون من المسلمين وبما هنا الكافرون ضعيف التعقيب تلك الآية بقوله

ثبت ذلك ثبت القول بصحة البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وارضها
وعلى ايجاد عالم الآخرة *(تنبيه)* مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز أن
يكون بمعنى الخلق فتكون حالا مقدرة (وخلقناكم) أي بما دل على ذلك من مظاهر العظمة
(أزواجا) أي أصنافا ذكورا واناثا وقيل ألوانا (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (نومكم سباتا)
أي راحة لابدانكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا
نومكم قطعا لاعمالكم وقيل المسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة
والنوم أحد التوفيتين وقوله تعالى (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (الليل) أي بعد ذهاب
الضياء حتى كأنه لم يكن (لباسا) فيه استعارة أي يستركم عن العيون بظلامه كما اذا أردتم هربا من
عدو او بياتا له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال الشاعر

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا فقال تعالى (وجعلنا) أي بما لنا من القدرة التامة
(النهار) أي الذي آيته الشمس (معاشا) أي حياة تبعثون فيه من نومكم أو وقت معاش
تتقلبون فيه في حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فمعاشا على هذا اسم زمان (وبنينا)
اي بما لنا من الملك التام (فوقكم سبعا) اي سبع سموات وقوله تعالى (شدادا) جمع شديدة أي
قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء
سقفا محفوظا (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة بما لا يقدر عليه غيرنا (سراجا) أي منيرا
متلألئا (وهاجا) أي وقادا وهي الشمس (وانزلنا) أي بما لنا من كمال الاوصاف (من
المعصرات) أي السحاب اذا اعصرت أي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز
الزرع أي حان أن يجز واعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض وعن الحسن وقتادة هي
السموات وتاويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن وقيل من
الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال
لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه (ماء ثجاجا) اي منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي
الحديث أفضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته (لنخرج) اي بعظمتنا
التي ربطنا بها المسببات بالاسباب (به) اي بذلك الماء (حبا) اي نجما اذا حب مما يتقوت به
كالحنطة والشعير والارز (ونباتا) اي ما يعتلف به كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا
انعامكم والحب ذو العصف والريحان (وجنات) اي بساتين تجمع انواع الاشجار والنبات
المقتات وغيره (الفافا) اي ملتفة بالشجر جمع لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع
يقال جنة لفاء وجمعها لف بضم اللام وجمع الجمع الفاف وقيل لا واحد له كالاوزاع والاخياف
وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد انشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (ان يوم
الفصل) اي بين الخلائق (كان) اي في علم الله تعالى وفي حكمه كونا لابد منه (ميقاتا) اي وقتا

واهم اللعنة ولهم سوء الدار

(سورة النبا)

(قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) كررتا كيدا أو

للثواب والعقاب او وقتا توقت به الدنيا وتنتهى عنده مع مافيهما من الخلائق وقوله تعالى (يوم ينفخ فى الصور) اى القرن بدل من يوم الفصل او بيان له والنافخ اسرافيل عليه السلام او من اذن الله تعالى له فى ذلك (فتأتون) اى بعد القيام من القبور الى الموقف (افواجا) اى جماعات مختلفة وعن معاذ انه سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه باكيا وقال تحشر عشرة اصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هؤلاء بقوله فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكبون على وجوههم فاكلة الربا واما العمى فالذين يجورون فى الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم فعلهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى فى اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء اه وقد تكلم فى صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هؤلاء ونسأله التوفيق لنا ولاحبابنا فانه كريم جواد لا يرد من سأله (وفتحت السماء) اى شققت لنزول الملائكة (فكانت ابوابا) فان قيل هذه الآية تقتضى ان السماء بجملتها تصير ابوابا اجيب بوجوه اولها ان تلك الابواب لما كثرت صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفجر ثانيها انه على حذف مضاف اى فكانت ذات ابواب ثالثها ان الضمير فى قوله تعالى فكانت ابوابا عائد الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف التاء بعد الفاء والباقون بتشديدها (وسيرت الجبال) اى ذهب بها عن اماكنها (فكانت سرابا) اى لاشئ كما ان السراب كذلك يظنه الرائى ماء وليس بماء قال الرازى ان الله تعالى ذكر احوال الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول اول أحوالها الاندكاك وهو قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والحالة الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة ان تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها فترسل عليها الرياح فتنسفها عن وجه الارض فتطيرها فى الهواء وهو قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا الحالة الخامسة ان تصير سرابا اى لاشئ كما يرى السراب من بعد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بادغام تاء التانيث فى السين والباقون بالاظهار (ان جهنم) اى النار التى تلقى اصحابها بجهومة لهم بغاية ما يكرهون (كانت

الاول توعد للكفار بما يرونه عند النزع والثانى توعد لهم بما يصيرون اليه من عذاب الآخرة او الاول

(مرصادا) اى ترصد الكفار او موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مرورهم عليها وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا فيقال انظروا ان كان له تطوع أكملوا به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وأما الكافر فهو مستمر فيها كما قال تعالى (للطاغين) اى الكافرين (مآبا) اى مرجعا يرجعون اليه وقرأ حمزة (لابثين فيها) بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بالف وهما لغتان والاولى أبلغ قاله البيضاوى وقوله تعالى (احقابا) جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روى ذلك عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقبا وقال الحسن ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله انه قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسختها فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد دخل وعلى تقدير عدم النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا (لا يذوقون) اى غير ذائقين (فيها) اى النار (بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جهدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا قال عطاء والحسن أى راحة وروحا اى ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما أى ماء حارا غاية الحرارة وغساقا وهو ما يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البرد النوم ومثله قال الكسائى وأبو عبيد تقول العرب منع البرد البرد أى اذهب البرد النوم قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقرأ حمزة والكسائى وجعفر بتشديد السين والباقون بتخفيفها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) أى موافقا لعملهم قال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار وقوله تعالى (انهم كانوا لا يرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزاء أى لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا أنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أى بما جاءت

قوله باهوال القيامة والثانى توعدهم بعدها من النار وحرها والاول ردع عن الاختلاف والثانى

قوله بتخفيفها كذا بالنسخ ومقتضاه ان حفصا يقرأ بالتخفيف والمعروف خلافه وبالجملة فليحرر اه مصححه

به الانبياء عليهم السلام وقيل القرآن وقرأ (كذابا) غير الكسائي بالتشديد أي تكذيبا قال الفراء وهي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال وقال الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرأ الكسائي بالتخفيف مصدر كذب بدليل قول الشاعر

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

قال الزمخشري وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه أقصى جهده (وكل شئ) أي من الاعمال وغيرها (احصيناه) اي ضبطناه وقوله تعالى (كتابا) فيه وجهان أحدهما انه مصدر في موضع احصاء واحصاء والكتب يتشاركان في معنى الضبط ثانيهما أن يكون حالا بمعنى مكتوبا في اللوح المحفوظ كقوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين وقيل أراد ما تكتبه الملائكة الموكلون بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم) اي شيأ من الاشياء في وقت من الاوقات (الا عذابا) تسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات منها التأكيد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب قال أبو بردة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية في القرآن فقال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا أي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكلما خبت زدناهم سعيرا ولما ذكر تعالى مآل الكافرين أتبعه بذكر مآل المؤمنين فقال تعالى (ان للمتقين مفازا) أي مكان فوز في الجنة وقوله تعالى (حدائق) أي بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال أو البعض أو بيان له وقوله تعالى (وأعنابا) اي كروما عطف على مفازا (وكواعب) اي جواري تكعبت ثديهن جمع كاعب (اترابا) اي على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللدات (وكأسا دهاقا) اي خمرا مالئة محالها وفي القتال وانهار من خمر والدهاق المترعة وادهق الحوض ملأه حتى قال قطني وقال ابن عباس مترعة مملوأة وقال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها) اي الجنة في وقت ما عند شرب الخمور وغيره من الاحوال (لغوا) أي لغطا يستحق أن يلغى بان يكون ليس له معنى وقوله تعالى (ولا كذابا) قرأه بالتخفيف الكسائي وبالتشديد الباقون أي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) أي المحسن اليك بما أعطاك جزاهم بذلك جزاء وقوله تعالى (عطاء) بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الزمخشري منصوبا بجزاء نصب المفعول به ورده أبو حيان بأنه جعل جزاء مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين قال والمصدر المؤكد لا يعمل لانه لا ينحل لحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا (حسابا) أي كافيا وافيا يقال أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي وقال ابن قتيبة اي عطاء كثيرا

عن الكفر وتم للاشعار بأن الوعيد الثاني أشد (قوله ألم نجعل الارض مهادا) وجه اتصاله بما قبله انهم

وقيل جزاء بقدر اعمالهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن) برفع رب والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني
أما رفعهما ففيه أوجه أحدها أن يكون رب خبر مبتدأ مضمر أي هو رب والرحمن كذلك
أو مبتدأ خبره لا يملكون ثانيها أن يجعل رب مبتدأ والرحمن خبره ولا يملكون خبرا ثانيا
أو مستأنفا ثالثها ان يكون رب مبتدأ والرحمن نعته ولا يملكون خبر رب رابعها أن يكون
رب مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدا
بمعناه وهو رأي الاخفش ويجوز أن يكون لا يملكون حالا وتكون لازمة واما جرهما فعلى
البيان والنعت أو يجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني واما جر الاول فعلى
التبعية للاول ورفع الثاني فعلى الابتداء والخبر الجملة الفعلية وهي (لا يملكون) أي الخلق
(منه) أي من الله تعالى (خطابا) والضمير في لا يملكون لاهل السموات والارض أي ليس في
أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف
الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوا بشيء من نقص العذاب
أو زيادة في الثواب الا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه وقوله تعالى (يوم) متعلق بلا يملكون
أو لا يتكلمون (يقوم الروح والملائكة) وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين والروح أعظم
خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده
صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم وقال الشعبي هو جبريل
عليه السلام وقيل ملك موكل على الارواح وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الروح ملك
أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم اثني عشر
ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك يجيء يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد وقتادة
رضي الله عنهما الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا
هؤلاء جند وهؤلاء جند وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خلق على صورة
بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا معه واحد منهم وقال الحسن رضي الله عنه هو بنو آدم
ورواه قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال هذا مما كان يكتمه ابن عباس وقيل هو جند
من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام وقيل أرواح بني
آدم وقال زيد بن أسلم هو القرآن وقرأ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا واذا كان هؤلاء
(لا يتكلمون) وهم من أفضل الخلق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه تعالى لا يملكون
التكلم فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض ويجوز رجوع الضمير للخلق أجمعين
(الا من أذن له) أي في الكلام اذنا خاصا (الرحمن) أي الملك الذي لا تكون النعمة الا منه
(وقال) قولا (صوابا) في الدنيا أي حقا من المؤمنين والملائكة وهما شريطتان أن يكون
المتكلم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا
يشفعون الا لمن ارتضى وقيل القول الصواب لا اله الا الله (ذلك) أي المشار اليه لبعد مكانته
وعظم رتبته وعلو منزلته (اليوم الحق) اي الكائن لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ

لما اختلفوا في النبأ العظيم وهو البعث ثم انهم ذكروه نبههم الله تعالى بما خلقه وأوجده على كمال قدرته

الى ربه) أى المحسن اليه (مآبا) أى مرجعا وسبيلا لطاعته ليسلم من العذاب فى ذلك اليوم فان الله تعالى جعل لهم قوة واختيارا ولكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شئ الا بمشيئة الله تعالى (انا) اى على ما لنا من العظمة (انذرناكم) أى يا كفار مكة (عذابا قريبا) أى عذاب يوم القيامة الآتى وكل آت قريب وقوله تعالى (يوم) ظرف لعذابا بصفته (ينظر المرء) اى كل امرئ سواء كان مؤمنا أو كافرا انظار الامر به فيه (ما) أى الذى (قدمت يداه) اى كسبه فى الدنيا من خير وشر وقال الحسن رضى الله عنه أراد بالمرء المؤمن أى يجد لنفسه عملا واما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا ولانه تعالى قال (ويقول الكافر) فعلم انه أراد بالمرء المؤمن وقيل هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشرك قوله تعالى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أى ينظر أى شئ قدمت يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع الى الصلة محذوف وقال مقاتل رضى الله عنه نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فى أبى سلمة بن عبد الاسد المخزومى ويقول الكافر (ياليتنى كنت ترابا) فى اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبى سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا ابليس وذلك انه عاب آدم عليه السلام بانه خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه كان بمكان آدم فيقول ياليتنى كنت ترابا قال ورأيته فى بعض التفاسير قال البغوى قال أبو هريرة رضى الله عنه فيقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان ثم يقال للبهائم والطير كونوا ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا أى فلا اعذب وقيل معنى ياليتنى كنت ترابا أى لم ابعث وقال أبو الزناد اذا قضى بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمنى الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم ياليتنى كنت ترابا وقال ليث بن أبى سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز ومجاهد وغيرهما مؤمنو الجن حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها والذى عليه الاكثر انهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبنى آدم وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وما قاله البيضاوى تبعا للزمخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عم سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة حديث موضوع

سورة النازعات مكية

وهى خمس او ست وأربعون آية ومائة وسبعون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذى أنعم على سائر الموجودات (الرحيم) الذى خص اولياءه بالجنات (والنازعات) أى الملائكة تنزع ارواح الكفار (غرقا) اى تنزع ارواحهم من اجسادهم بشدة كما يغرق النازع فى القوس ليبلغ بها غاية المد بعد ما نزعها

وغاية قهره وان جميع الاشياء طوع ارادته ووفق مشيئته (قوله جزاء وفاقا) قال ذلك هنا وقال بعد جزاء

حتى اذا كادت تخرج ردها الى جسده فهذا عمله بالكفار وقال على وابن مسعود رضى الله
عنهما يريد نفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت
الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اى يرجعها الى
اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله فى الكفار وقال السدى رضى الله عنه والنازعات هى النفوس
حين تغرق فى الصدور وقال مجاهد رضى الله عنه هى الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقتادة
رضى الله عنهما هى النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة رضى الله
عنهما هى النفوس وقيل الغزاة * (تنبيه) * غرقا يجوز أن يكون مصدرا على حذف الزوائد
بمعنى اغراقا وانتصابه بما قبله لملاقاته فى المعنى وأن يكون على الحال أى ذوات اغراق يقال
أغرق فى الشئ يغرق فيه اذا أوغل وبلغ أقصى غايته (والناشطات نشطا) أى الملائكة تنشط
أرواح المؤمنين أى تسلها برفق فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وفى
الحديث كأنما انشط من عقال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى أنفس المؤمنين تنشط
للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لان الجنة تعرض عليهم قبل الموت وقال على بن ابى
طالب رضى الله عنه هى الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والاظفار حتى تخرجها
من أفواههم بالكرب والغم والنشط الجذب والنزع يقال نشط الدلو نشطا انتزعها وقال
السدى رضى الله عنه هى النفس تنشط من بين القدمين أى تجذب وقال قتادة رضى الله عنه
هى النجوم تنشط من أفق الى افق اى تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج فى سرعة
ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد وقال الجوهرى يعنى النجوم تنشط من برج الى برج
كالثور الناشط من بلد الى بلد (والسابحات سبحا) أى الملائكة تسبح من السماء بامره أى
ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح اذا أسرع فى جريه وقال على رضى
الله عنه هى الملائكة تسبح بارواح المؤمنين قال الكلبى كالذى تسبح فى الماء فاحيانا ينغمس
وأحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح وعن مجاهد رضى الله عنه
السابحات الموت يسبح فى نفوس بنى آدم وقال قتادة والحسن رضى الله عنهما هى النجوم تسبح
فى افلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل فى فلك يسبحون وقال عطاء هى السفن فى الماء
وقال ابن عباس رضى الله عنهما أرواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله تعالى ورحمته حتى
تخرج وقيل هى خيل الغزاة قال عنترة

والخيل تعلم حين تسبح فى حياض الموت سبحا

(فالسابقات سبقا) أى الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة وقال مجاهد رضى الله عنه
هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال ابن مسعود رضى الله عنه هى أنفس
المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقا الى لقاء الله تعالى وكرامته وقد عاينت
السرور وقال قتادة رضى الله عنه هى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير وقال عطاء هى
الخيل التى تسبق فى الجهاد وقيل هى ما يسبق من الارواح قبل الاجساد الى جنة أو نار قال
الجرجانى ذكر السابقات بالفاء لانها مسببة عن الذى قبلها أى واللاتى يسبحن فيسبقن قال

الواحدى

من ربك عطاء حسابا لان
الاول للكفار فناسب ذكر
وفاقا أى جزاء موافقا
لاعمالهم كما قال تعالى

الواحدى وهذا غير مطرد فى قوله تعالى (فالمدبرات أمرا) اى الملائكة تدبر أمر الدنيا أى تنزل
بتدبيره قال الرازى ويمكن الجواب بانها لما أمرت سبحت فسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيره
فتكون هذه أفعالا يتصل بعضها ببعض وقال ابن عباس رضى الله عنهما المدبرات هى
الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله تعالى العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا
أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فاما جبريل فوكل
بالرياح والجنود واما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فوكل بقبض الارواح
وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس فى الملائكة أقرب منه وبينه وبين العرش
خمسمائة عام وقيل هى الكواكب السبع حكى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وفى تدبيرها
بالامور وجهان احدهما تدبير طلوعها وافولها والثانى فى تدبير ما قضى الله تعالى فيها من
تقلب الاحوال اقسم سبحانه وتعالى بهذه الامور على قيام الساعة والبعث وانما حذف
لدلالة ما بعده عليه ولله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وأما العباد فلا يصح لهم ان يقسموا
بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى (يوم ترجف) أى تضطرب اضطرابا كثيرا مزعجا
(الراجفة) اى الصيحة منصوب بالجواب أى لتبعثن يا كفار مكة يوم ترجف الراجفة وهى
النفخة الاولى بها يرجف كل شئ أى يتزلزل يتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلائق
فوصفت بما يحدث منها (تتبعها الرادفة) أى الصيحة التابعة لها وهى النفخة الثانية ردفت
الاولى وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة واليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح
ظرفيته للبعث الواقع عقيب الثانية وقال قتادة رضى الله عنه هما صيحتان فالاولى تميت كل
شئ والاخرى تحيى كل شئ باذن الله سبحانه وتعالى وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث
روى عن أبى بن كعب رضى الله عنه أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع
الليل قام وقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه
(قلوب يومئذ) أى اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للاولى (واجفة) أى خائفة قلقة مضطربة
من الوجيف وهو صفة القلوب وقال مجاهد رضى الله عنه وجلة وقال السدى زائلة عن
أماكنها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر (ابصارها) أى أبصار اصحابها فهو من الاستخدام
(خاشعة) أى ذليلة من الخوف ولذا أضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين من الذل
(يقولون) أى ارباب القلوب والابصار فى الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون) أى
بعد الموت (فى الحافرة) أى فى الحياة التى كانت قبل الموت وهى حالتنا الاولى فنصير أحياء بعد
الموت كما كانت تقول العرب رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم
لابتداء الشئ وأول الشئ وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت
حافرة بمعنى المحفورة كقوله تعالى عيشة راضية أى مرضية وقيل سميت حافرة لانها مستقر
الحوافر أى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقال ابن زيد الحافرة
النار (أئذا كنا) أى كونا صار جملة لنا (عظاما نخرة) أى بالية متفتتة نحيا بعد ذلك وقرأ
أئنا اذا نافع وابن عامر والكسائى بالاستفهام فى الاول والخبر فى الثانى والباقون

وجزاء سيئة سيئة مثلها
والثانى للمؤمنين فناسب
ذكرهما بأى كانوا وافيا
لاعمالهم من قولك حسبى
أى كفانى

بالاستفهام فيهما وسهل نافع وابن كثير وأبو عمرو والباقون بالتحقيق وأدخل بين الهمزتين قالون وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه ألفا والباقون بغير ادخال وقرأ نخرة حمزة وشعبة والكسائي بالالف بعد النون والباقون بغير ألف وهما لغتان مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر ومعناهما البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والنخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) أي المنكرون للبعث (تلك) أي رجعتنا العجيبة الى الحياة (اذا) اي ان صحت (كرة) أي رجعة (خاسرة) أي ذات خسران أو خاسرة أصحابها والمعنى ان صحت فنحن اذا خاسرون بتكذيبنا وهو استهزاء منهم وعن الحسن رضي الله عنه ان خاسرة بمعنى كاذبة أي ليست كائنة قال الله تعالى (فانما هي) أي الرادفة التي يتبعها البعث (زجرة) اي صيحة بانتهار تتضمن الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من التخلف (واحدة) عبر بالزجرة لانه أشد من النهي لانها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلا فكان كأنه بلسان قال عن تلك الصيحة أيها الاجساد البالية انتهي عن الرقاد وقومي الى الميعاد بما حكمنا به من المعاد فقد انتهى زمن الحصاد وآن أوان الاجتناء لما قدم من الزاد فيا خسارة من ليس له زاد (فاذاهم) أي فتسبب عن تلك النفخة وهي الثانية أن كل الخلائق (بالساهرة) أي صاروا على وجه الارض بعدما كانوا في جوفها والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم قال سفيان رضي الله عنه هي أرض الشام وقال قتادة رضي الله عنه هي جهنم (فان قيل) بم يتعلق فانما هي زجرة واحدة (أجيب) بانه متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته تعالى وقال الزمخشري الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة أي جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا * لأقطارها قد جبتها متلثما

أو لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب هي وجه الارض وقيل أرض القيامة وحقيقتها التي يكثر الوطء بها كانها سهرت من ذلك والاسهران عرقان في الانف والساهور غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط جعلها حينئذ وقيل الساهرة اسم للارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن أبي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسان يمده الله تعالى كيف شاء ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (هل أتاك) يا أشرف الخلق (حديث موسى) أي أليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما أصاب من هو أعظم منهم فانه كان أقوى اهل الارض بما كان له من كثرة الجنود فلما أصر على التكذيب ولم يرجع ولا أفاده التاديب أغرقناه وآله ولم نبق منهم أحدا وقد كانوا لا يحصون عددا بحيث قيل ان طليعته كانت على عدد بني اسرائيل ستمائة ألف فكيف بقومك الضعاف

(سورة النازعات)

(قوله والنازعات) الواو فيه للقسم وجوابه محذوف أي لتبعثن والمراد بالنازعات وما عطف عليه

وقوله

وقوله تعالى (اذ) أى حين (ناداه) منصوب بحديث لا بأتاك (ربه) أى المحسن اليه بالرسالة وغيرها (بالواد المقدس) أى المطهر غاية الطهر بتشريف الله تعالى له بانزال النبوة المفيضة للبركات وقوله تعالى (طوى) اسم الوادى وهو الذى طوى فيه الشر عن بنى اسرائيل ومن أراد الله تعالى من خلقه ونشر فيه بركات النبوة على جميع اهل الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه فان العلماء قالوا ان عذاب الاستئصال ارتفع حين انزلت التوراة وهو واد بالطور بين ايلة ومصر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بغير تنوين فى الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى (اذهب الى فرعون) أى ملك مصر الذى كان يستعبد بنى اسرائيل على ارادة القول (انه طغى) أى تجاوز الحد فى الكفر وعلا وتكبر وقال الرازى لم يبين أنه طغى فى أى شئ فقيل تكبر على الله تعالى وكفر به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وروى عن الحسن رضى الله عنه قال كان فرعون علجا من همذان وقال مجاهد رضى الله عنه كان من أهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أصبهان يقال له ذو الظفر طوله أربعة أشبار وقوله تعالى (فقل) أى له (هل لك) أى هل لك سبيل (الى أن تزكى) اى تتطهر من الكفر والطغيان قال ابن عباس رضى الله عنهما بأن تشهد ان لا اله الا الله وقال أبو البقاء لما كان المعنى أدعوك جاء بالى وقال غيره يقال هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاى والاصل تتزكى والباقون بتخفيفها (وأهديك الى ربك) أى وأنبهك على معرفة المحسن اليك (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه للتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من علوه كما أمر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا الآية وقال الرازى سائر الآيات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشياء كثيرة نودى أنا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى أنه من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وأيضا فليس الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان فى الطور الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية مجرى كل القوم والفاء فى قوله تعالى (فأراه) عاطفة على محذوف يعنى فذهب فأراه (الآية الكبرى) كقوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واختلفوا فى الآية الكبرى اى العلامة العظمى وهى المعجزة فقال عطاء وابن عباس رضى الله عنهم هى العصا وقال مقاتل والكلبى رضى الله عنهما هى اليد البيضاء تبرق كالشمس والاول أولى لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها وهذا حاصل فى العصا لانها لما انقلبت حية لابد وان يتغير اللون الاول فاذن كل ما فى اليد فهو حاصل فى العصا وأمور أخر وهى الحياة فى الجرم الجمادى وتزايد أجزائه وحصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب تلك الاجزاء التى عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا بهما حية

الا انه ذكر بلفظ التأنيث مع انه مذكر لما روى انا لما لانه تعالى أقسم بطوائفها والطائفة مؤنثة (قوله أبصارها

وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا أن الآية الكبرى هي العصا
وقال مجاهد رضي الله عنه هي مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع آياته التسع
(فكذب) أي فتسبب عن رؤيته ذلك أن كذب موسى عليه السلام (وعصى) الله تعالى بعد
ظهور الآية وتحقيق الامر وقيل كذب بالقول وعصى بالتمرد والتجبر (ثم أدبر) أي تولى
وأعرض عن الايمان بعد المهل والاناة اعراضا عظيما بالتمادي على أعظم ما كان فيه من
الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهد طويلة حال كونه (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض
أو انه لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى أي يسرع في مشيته قال الحسن رضي الله عنه كان
رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى عليه السلام يسعى ويجتهد في مكايدته أو أريد ثم أقبل
يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف
بالاقبال (فحشر) أي فتسبب عن ادباره انه جمع السحرة للمعارضة وجنوده للقتال (فنادى)
حينئذ باعلى صوته قال حمزة الكرماني قال له موسى عليه السلام ان ربي أرسلني اليك لئن
آمنت بربك تكون أربعمائة سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتى
أستشير هامان فاستشاره فقال أتصير عبدا بعدما كنت ربا فعند ذلك جمع بعث الشرط وجمع
السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره (فقال أنا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي
وقيل أراد ان الاصنام أرباب وأنا ربها وربكم وقيل أمر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل
قام فيهم خطيبا فقال ذلك (فأخذه الله) أي أهلكه بالغرق الملك الاعظم الذي لا كفء له (نكال)
أي عقوبة (الآخرة) أي هذه الكلمة وهي قوله أنا ربكم الاعلى (والاولى) وهي قوله ما علمت
لكم من إله غيري قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان بين الكلمتين أربعون سنة والمعنى
أمهله في الاولى ثم أخذه في الآخرة فعذبه بكلمتيه وقال الحسن رضي الله عنه نكال الآخرة
والاولى هو ان أغرقه في الدنيا وعذبه في الآخرة وعن قتادة رضي الله عنه الآخرة هي قوله أنا
ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عليه السلام * ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله تعالى
(ان في ذلك) أي الامر العظيم الذي عمله فرعون والذي فعل به حين كذب وعصى (لعبرة) اي
لعظة (لمن يخشى) أي لمن يخاف الله تعالى لان الخشية أساس الخير كما مرت الاشارة اليه * ثم
خاطب تعالى منكري البعث بقوله تعالى (أأنتم) أي أيها الاحياء مع كونكم خلقا ضعيفا
(أشد خلقا) أي أخلقكم بعد الموت أشد في تقديركم (أم السماء) أي فمن قدر على خلق السماء
على عظمها من السعة والكبر والعلو والمنافع قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى لخلق
السموات والارض أكبر من خلق الناس والمقصود من الآية الاستدلال على منكري البعث
ونظيره قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ومعنى
الكلام التقريع والتوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما وأدخل بينهما ألفا قالون وابو عمرو وهشام والباقون
بغير ادخال وقوله تعالى (بناها) بيان لكيفية خلقه اياها فالوقف على السماء والابتداء بها
بعدها وقوله تعالى (رفع سمكها) جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع أي جعل
مقدارها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) أي فعدلها مستوية

خاشعة) أي ذليلة لما ترى (فإن قلت) كيف أضاف الابصار الى القلوب مع انها لا تنصاف اليها

ماساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتقها عاما علم انها تتم به واصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان (وأغطش) أي أظلم (ليلها) أي جعله مظلما بتغييب شمسها فاذا خفي ضياؤها بامتداد ظل الارض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه فصار لا يهتدى معه الى ما كان في حال الضياء وأضاف الليل الى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل وقوله تعالى (وأخرج ضحاها) فيه حذف أي ضحى شمسها أو أضاف الليل والضحى اليها للملابسة التي بينهما وبينها لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى أكمل اجزاء النهار بالنور والضوء (والارض بعد ذلك) أي بعد المذكور كله (دحاها) أي بسطها ومهدها للسكنى وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو فلا معارضة بينها وبين آية فصلت لانه خلق الارض أولا غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء فسواها سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك أي مع ذلك ومنه قولهم انت أحمق وأنت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أي من قبل وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خلق الله تعالى الكعبة ووضعها على الماء على أربعة اركان قبل أن يخلق الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت (اخرج منها) أي الارض (ماءها) اي بتفجير عيونها واضافته اليها دليل على انه مودوع فيها (ومرعاها) أي النبات الذي يرعى مما يأكله الناس والانعام من العشب والشجر والثمر والحب حتى النار والملح لان النار من العيدان قال تعالى أفرأيتم النار التي تورون لآية والملح من الماء واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله تعالى عن اخوة يوسف عليه السلام نرتع ونلعب والمرعى في الاصل موضع الرعي *(تنبيه)* اخرج حال باضمار قد أي مخرجا واضمار قد هو قول الجمهور وخالف الكوفيون والاخفش (والجبال ارساها) أي أثبتها على وجه الارض لتسكن ونظيره قوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى (متاعا) مفعول له مقدر أي فعل ذلك منفعة أو مصدر لعامل مقدر أي متعكم تمتيعا (لكم) وقوله تعالى (ولانعامكم) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أي الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم جرى الوادي فطم على القرى قال ابن عباس وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث وقال الضحاك هي القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شيء فتغمره وقال القاسم بن الوليد الهمداني هي الساعة التي تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار وقوله تعالى (يوم يتذكر) أي تذكر أعظمها (الانسان) أي الخلق الانس بنفسه الغافل عما خلق له بدل من اذا (ما سعى) في الدنيا من خير أو شر يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه وما في ماسعى موصولة أو مصدرية (وبرزت الجحيم) أي أظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوفا (لمن يرى) أي لكل راء كقولهم قد تبين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر

(قلت) فيه حذف مضاف أي ابصار أربابها (قوله فأراه الآية الكبرى) أي العصا واليد (ان قلت) كيف قال الآية الكبرى

وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على أحد لكن الساجى لا ينصرف بصره اليه افلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها وجواب اذا قوله (فأما من طغى) أى تجاوز الحد فى العدوان حتى كفر بربه (وآثر) أى قدم واختار (الحيوة الدنيا) أى انهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم) أى النار الشديدة التوقد العظيمة (هى) أى خاصة (المأوى) أى مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليست الالف واللام بدلا عن الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة * (تنبيه) * هى يجوز أن تكون فصلا أو مبتدأ (وأما من خاف مقام ربه) أى قيامه بين يديه لعلمه بالمبدا وبالمعاد وقال مجاهد خوفه فى الدنيا من الله تعالى عند مواقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان (ونهى النفس) أى الامارة بالسوء (عن الهوى) وهو اتباع الشهوات وزجرها عنها وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير (فان الجنة) أى البستان لكل ما يشتهى (هى) أى خاصة (المأوى) أى ليس له سواها مأوى وحاصل الجواب أن العاصى فى النار والطائع فى الجنة قال الرازى هذان الوصفان مضادان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ضد قوله تعالى فأما من طغى ونهى النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وآثر الحياة الدنيا فكما دخل فى ذينك الوصفين جميع القبائح دخل فى هذين الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله بن مسعود أنتم فى زمان يقود الحق الهوى وسيأتى زمان يقود الهوى الحق فتعوذوا بالله من ذلك الزمان * (تنبيه) * اختلف فى سبب نزول هاتين الآيتين فقيل نزلتا فى مصعب بن عمير وأخيه وروى الضحاك عن ابن عباس قال أما من طغى فهو أخو مصعب بن عمير أسر يوم بدر وأخذته الانصار فقالوا من أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدوه فى الوثاق وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا حدثوا مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لى بأخ شدوا أسيركم فان أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه حتى تبعث أمه فداءه وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص فى جوفه والمشاقص جمع مشقص وهو السهم العريض فلما رآه صلى الله عليه وسلم متشحطا فى دمه قال صلى الله عليه وسلم عند الله أحتسبك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب وعن ابن عباس أيضا نزلت فى رجلين أبى جهل بن هشام ومصعب بن عمير وقال السدى نزلت الآية الثانية فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقال الكلبى هما عامتان * ولما سمع المشركون أخبار القيامة ووصفها بالاوصاف الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاخة والقارعة وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء متى تكون الساعة نزل (يسئلونك) يا أشرف الخلق (عن الساعة) أى البعث الآخر لكثرة ما تتوعدهم به من أمرها (أيان مرساها) أى فى أى وقت ارساؤها أى اقامتها أرادوا متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها أو أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهى اليه فاجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (فيم) أى فى أى شئ (أنت من ذكراها) أى من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به * (تنبيه) * فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر

(قلت) مع انه أراه الآيات كلها وكل آياته كبرى الاخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته اياه وهو العصا واليد

ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والمعنى أنت في أي شيء من ذكراها أي ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في أي شغل واهتمام أنت من ذكراها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك) أي المحسن اليك بانواع النعم (منتهاها) أي منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه كقوله تعالى انما علمها عند ربي وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال القرطبي ويجوز أن يكون انكارا على المشركين في مسئلتهم أي فيم أنت من ذلك حتى يسألونك بيانه ولست ممن يعلمه روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الوقف على قوله تعالى فيم وهو خبر مبتدا مضمر أي فيم هذا السؤال ثم يبتدأ بقوله تعالى أنت من ذكراها أي أرسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت) اي يا أشرف الرسل (منذر) اي انما بعثت لانذار (من يخشاها) اي التخويف من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به أي انما ينفع انذارك من يخافها وان كنت منذرا لكل مكلف (كأنهم) قال البغوي يعني كفار قريش (يوم يرونها) أي يعلمون قيام الساعة علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم بما مر من زمانهم وما أتى فيه (لم يلبثوا) اي في الدنيا أو في القبور (الاعشية) أي من الزوال الى غروب الشمس (أو ضحاها) أو ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد ذلك أضيف اليها الضحى لانهما من النهار والاضافة تحصل بادنى ملابسة وهي هنا كونهما من نهار واحد فالمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم يجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع (فان قيل) هلا قال الاعشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (أجيب) بان ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كانهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم اضافه الى عشيته فهو كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة *(تنبيه)* قرأ حديث موسى طوى طغى تزكى فتخشى وعصى يسعى فنادى الاعلى والاولى يخشى ماسعى طغى الدنيا المأوى عن الهوى المأوى حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ فأراه الآية الكبرى الطامة الكبرى لمن يرى من ذكراها أبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح في الجميع وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة حديث موضوع

وأطلق عليه ما الآية الكبرى لاتحاد معناهما أو أراد بالكبرى العصا وحدها لأنها كانت

سورة عبس مكية وتسمى سورة السفرة

وهي اثنان وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وثلثمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الواحد القهار (الرحمن) الذى عم بانعامه الابرار والفجار (الرحيم) الذى خص أولياءه برحمته فى دار القرار (عبس) أى كلح وجهه النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) اى أعرض بوجهه لأجل (أن جاءه الاعمى) وهو ابن أم مكتوم وأم مكتوم ام ابيه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وذلك انه جاء وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم أولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء (وما يدريك) اى وأى شئ يجعلك داريا بحاله (لعله) اى الاعمى (يزكى) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الزاى اى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك وفى ذلك ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (أو يذكر) فيه ادغام التاء فى الذال اى يتعظ وتسبب عن تزكيته وتذكره قوله تعالى (فتنفعه الذكرى) اى العظة المسموعة منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون برفعها فمن رفع فهو نسق على قوله تعالى أو يذكر ومن نصب فعلى جواب الترجى كقوله تعالى فى غافر فأطلع الى اله موسى وقال ابن عطية فى جواب التمنى لان قوله تعالى او يذكر فى حكم قوله تعالى لعله يزكى واعترض عليه أبو حيان بان هذا ليس تمنيا وانما هو ترج وأجيب عنه بانه انما يريد التمنى المفهوم وقت الذكرى وقرأ الذكرى أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى أنك طمعت فى أن يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن (أما من استغنى) اى بالمال وقال ابن عباس رضى الله عنهما استغنى عن الله وعن الايمان بما له من المال (فأنت له) أى دون الاعمى (تصدى) اى تتعرض له بالاقبال عليه والمصادة المعارضة وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية فى الاصل فيها والباقون بالتخفيف (وما) اى فعلت ذلك والحال انه ما (عليك) أى وليس عليك بأس (ألا يزكى) اى فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك) حال كونه (يسعى) اى يسرع فى طلب الخير وهو ابن أم مكتوم (وهو) اى والحال انه (يخشى) اى الله أو الكفار فى أذاهم على الاتيان اليك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة وقرأ قالون وأبو عمرو والسدى بسكون الهاء والباقون بضمها (فأنت عنه تلهى) فيه حذف التاء الآخرة فى الاصل اى تتشاغل وقرأ وتولى الاعمى يزكى من استغنى تصدى يزكى يسعى يخشى

تلهى

قوله مقدمة على الاخرى (قوله وأغطش ليلها) اضاف الليل الى السماء مع انه انما هو فى الارض لانه

قرأها حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (فان قيل) مافعله ابن أم مكتوم كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تأديبه لانه وان كان اعمى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لأولئك الكفار وكان بسماعه يعرف شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وأيضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد أسلم وتعلم ما يحتاج من أمر الدين وأما أولئك الكفار فلم يكونوا أسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام غيرهم فكان كلام ابن أم مكتوم كالسبب فى قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك يحرم وأيضا فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء الذى هو كالصارف للكفار عن الايمان أولى ان يكون ذنبا وأيضا فمع هذا الاعتناء كيف لقب بالاعمى وأيضا للنبى صلى الله عليه وسلم أن يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل (أجيب) بأن مافعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وأنه يرجو اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وأيضا الله سبحانه وتعالى انما عاتبه على ذلك حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء أوليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغنى الكافر وقال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه لانه أشار الى الذى كان يقوده أن يكفه فدفعه ابن أم مكتوم وأبى الا أن يتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان فى هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل فى حقه ذلك وأما ذكره بلفظ الاعمى فليس لتحقير بل كان بسبب عماه يستحق أن يزيده تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله تعالى فى هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رضى الله عنه أن الفقراء كانوا فى مجلسه امراء وأما كونه صلى الله عليه وسلم كان مأذونا له فى تأديب أصحابه فلأن تقديمهم ربما يوهم ترجيح تقديم الاغنياء على الفقراء فلهذا السبب عوتب قال الحسن رضى الله عنه لما تلا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كأنما اسف فيه الرماد ينتظر مايحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سرى عنه اى لا تفعل مثل ذلك وقد بينا لك ان ذلك محمول على ترك الاولى ثم قال الله تعالى (انها) اى هذه السورة وقال مقاتل رضى الله عنه آيات القرآن وقيل القرآن وأنثه لتأنيث خبره وهو قوله تعالى (تذكرة) اى عظة للخلق يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) اى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ ثم ان الله تعالى أخبر عن جلالة ذلك عنده فقال سبحانه (فى صحف) اى منتسخة من اللوح المحفوظ وقيل هى كتب الانبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى (مكرمة) اى عند الله تعالى (مرفوعة) اى فى السماء السابعة أو مرفوعة المقدار (مطهرة) أى منزهة عن أيدى الشياطين لا يمسها الا أيدى ملائكة كرام مطهرين كما قال تعالى (بأيدى سفرة) اى كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أى كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه اسفار وقيل هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير

اول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى) اى الداهية العظمى التى تطم

وهو الرسول وسفير القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم اذا أصلحت بينهم ثم أثنى تعالى عليهم بقوله سبحانه (كرام) أي على الله تعالى وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في كرام قال مكرمون أن يكونوا مع ابن آدم اذا خلا بزوجته أو برز لغائط وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم وقوله تعالى (بررة) جمع بار كساحر وسحرة وفاجر وفجرة والبار هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في يمينه أي صدق وفلان يبر خالقه أي يطيعه فمعنى بررة مطيعين صادقين لله تعالى في اعمالهم * ولما ذكر تعالى ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فقال سبحانه (قتل الانسان) أي لعن الكافر وقوله تعالى (ما أكفره) استفهام توبيخ أي ما أشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك مما حمله على الكفر وقوله تعالى (من أي شئ خلقه) استفهام تقرير ثم بينه بقوله تعالى (من نطفة) أي ماء يسير جدا لامن غيره (خلقه) أي أوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط (فقدره) أي علقة ثم مضغة الى آخر خلقه فكأنه قيل وأي سبب في هذا الترفع مع ان أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حامل عذرة فان خلقة الانسان تصلح أن يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على أحوال البعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن أبي لهب والظاهر العموم (فان قيل) الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر على الكل كيف يليق به ذلك والتعجب أيضا انما يليق بالجاهل بسبب الشئ فالعالم به كيف يليق به ذلك (أجيب) بان ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحقاقهم لاعظم العقاب حيث أتوا باعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شئ قاتله الله ما أحسنه وأخزاه الله ما أظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان بجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستفهام استفهام تحقير له فذكر أول مراتبه وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولاشك ان النطفة شئ حقير مهين ومن كان أصله ذلك كيف يتكبر وقوله تعالى فقدره اي أطوارا وقيل سواه كقوله تعالى ثم سواك رجلا أو قدر كل عضو في الكيفية والكمية بالقدر اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا ثم ذكر المرتبة الوسطى بقوله تعالى (ثم) بعد انتهاء المدة (السبيل) اي طريق خروجه من بطن أمه (يسره) اي سهل له أمره في خروجه بان فتح له الرحم وألهمه الخروج منه ولاشك أن خروجه من أضيق المسالك من أعجب العجائب يقال انه كان رأسه في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام المراد ومنه قوله تعالى وهديناه النجدين أي التمييز بين الخير والشر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سبيل الشقاء والسعادة وقال ابن زيد سبيل الاسلام قال أبو بكر بن طاهر يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له ثم ذكر المرتبة الاخيرة بقوله تعالى (ثم أماته) وأشار الى ايجاب المبادرة بالتجهيز بالفاء المعقبة في قوله تعالى (فاقبره) أي جعله في قبر يستره اكراما له ولم يجعله ممن يلقى على وجه الارض تأكله الطير وغيرها (ثم اذا شاء أنشره) أي أحياه بعد موته للبعث ومفعول شاء محذوف اي شاء انشاره وأنشره جواب اذا وقرأ قالون وأبو عمرو والبزي باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقنبل ولهما أيضا ابدالها ألفا والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى (كلا) ردع

انفخة على غيرها وهي الثانية وخص ما هنا بالطامة موافقة لما قبله من داهية فرعون وهي

للانسان

للانسان عما هو عليه وقيل معناها حقا قال الاول الزمخشري وتبعه البيضاوي وقال الثاني الجلال المحلي (لما يقض) أي يفعل (ما أمره) به ربه من الايمان وترك التكبر وقيل لم يوف بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما أمر به من التأمل في دلائل الله تعالى والتدبر في عجائب خلقه ولما كانت عادة الله تعالى جارية في القرآن انه كلما ذكر دلائل الانسان ذكر عقبها دلائل الآفاق بدأ من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى (فلينظر الانسان) اي يوقع النظر التام بكل شيء يقدر على النظر به من بصره وبصيرته (الى طعامه) اي الذي هو قوام حياته كيف هيأله اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد قال الحسن ومجاهد فلينظر الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى عن الضحاك انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وروى عن ابن عمر ان الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه فياتيه الملك فيقول انظر الى ما تحليت به الام صار وقرأ (انا صببنا) أي بما لنا من العظمة (الماء) عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة على أنه بدل اشتمال بمعنى ان صب الماء سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه بهذا التقدير أو انه على تقدير لام العلة أي فلينظر لانا ثم حذف الخافض وقال البغوي أنا بالفتح على تكرير الخافض مجازه فلينظر الى أنا وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف تعديدا لنعمه تعالى عليه وقوله تعالى (صبا) تأكيد والمراد بالماء المطر ولما كان الانسان محتاجا الى جميع ما في الوجود ولو نقص منه شيء اختل امره وبدأ اولا بالسماوي لانه اشرف وبالماء الذي هو حياة كل شيء تنبيها له على ابتداء خلقه ثنى بالارض التي هي كالانثى بالنسبة الى السماء فقال تعالى (ثم) اي بعد مهلة من انزال الماء (شققنا) أي بما لنا من العظمة (الارض) اي بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق اضعف الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى (شقا) تأكيد ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال تعالى (فانبتنا) اي بما لنا من القدرة التامة (فيها) اي بسبب الشق (حبا) اي قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وقدم ذلك لانه كالاصل في التغذية (وعنبا) وذكره بعد الحب لانه غذاء من وجه وفاكهة من وجه (وقضبا) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرطب لانه يقتضب من النخل اي يقطع ورجحه بعضهم لذكره بعد العنب لانهما يقترنان كثيرا وقيل القت الرطب وقيل كل ما يقضب من البقول لبني آدم وقيل هو الرطبة والمقضاب أرضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد أخرى وقال الحسن القضب العلف للدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت يكون فيه حرافة وغضاضة فيه اصلاح المزاج وقوله تعالى (ونخلا) جمع نخلة وكل من هذه الاشجار مخالف للآخر في الشكل والحمل وغير ذلك مع المرافقة في الارض والسقي وقوله تعالى (وحدائق غلبا) جمع أغلب وغلباء كحمر في أحمر وحمراء أي بساتين كثيرة الاشجار والاصل في الوصف بالغلب الرقاب يقال رجل أغلب وامرأة غلباء غليظا الرقبة فاستعير قال عمرو بن معديكرب

يمشي بها غلب الرجال كأنهم ＊ بزل كسين من الكحيل جلالا

قوله أنا ربكم الاعلى ولذلك وصفت الطامة بالكبرى موافقة لقوله قبل فأراه الآية الكبرى بخلاف

وقال مجاهد ومقاتل الغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما
الطوال وقيل غلاظ الاشجار (وفاكهة) وهي ماتأكله الناس من ثمار الاشجار كالتين
والخوخ قال النووي في منهاجه ويدخل في فاكهة رطب وعنب ورمان وأترج ورطب
ويابس اي كالتمر والزبيب قال قلت والموز ونبق وبطيخ ولب فستق وبندق وغيرها في الاصح
(وأبا) وهو ماتأكله الدواب لانه يؤب اي يؤم وينتجع اليه وقال عكرمة الفاكهة ماتأكله
الناس والأب ماتأكله الدواب وقيل التبن وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن
الأب فقال اي سماء تظلني واي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى مالاعلم لي به وعن عمر
رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا عرفناه فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال
هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لاتدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم
من هذا الكتاب ومالا فدعوه (فان قيل) هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن
مشكلاته (أجيب) بانه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكثر همتهم عاكفة على العمل
وكان التشاغل بشيء من العلم الذي لايعمل به تكلفا عندهم فاراد أن الآية مسوقة عندهم
في الامتنان على الانسان بطعامه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الأب بعض
ماأنبته الله تعالى للانسان متاعا له أو لأنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله تعالى
على ما بين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات
الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك من مشكلات القرآن ٢ (متاعا)
اي العشب ٣ اي منفعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها (لكم) اي الفاكهة (ولانعامكم)
وتقدم أيضا في السورة التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار عليها * ولما ذكر
تعالى هذه الاشياء وكان المقصود منها ثلاثة أولها الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها الدلائل
الدالة على القدرة والمعاد وثالثها ان هذا الاله الذي أحسن الى عبيده بهذه الانواع العظيمة
من الاحسان لايليق بالعاقل أن يتمرد على طاعته وأن يتكبر على عبيده أتبع ذلك بما يكون
كالمؤكد لهذه الاغراض وهو شرح أحوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه
ذلك الخوف الى التأمل في الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه أيضا الى ترك
التكبر على الناس والى اظهار التواضع فقال تعالى (فاذا جاءت) اي كانت ووجدت لان كل
ماهو كائن كأنه لاقيك وجاء اليك (الصاخة) اي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية التي تصخ
الاذن اي تصمها لشدة وقعها مأخوذة من صخه بالحجر اي صكه به وقال الزمخشري صخ لحديثه
مثل أصاخ فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها وقال ابن العربي الصاخة
التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله

أصمي سرهم أيام فرقتهم * وهل سمعتم بسر يورث الصمما

وجواب اذا محذوف دل عليه قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة اي اشتغل كل واحد بنفسه
وقوله تعالى (يوم يفر المرء) بدل من اذا (من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) أي زوجته (وبنيه)
لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه أنهم لايغنون عنه شيأ كقوله تعالى يوم لايغني مولى عن
مولى شيأ فيفر المرء من هؤلاء الذين كان يفر اليهم في دار الدنيا ويستجير بهم لكثرة مايشغله

وبدأ

ثم في عبس لم يتقدم شيء من ذلك خصت بالصاخة وان شاركت الطامة في انها النفخة الثانية لانها الصوت

٢ (قوله الى أن يتبين لك الخ) عبارة الزمخشري الى أن يتبين لك في غير هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن اه

٣ (قوله أي العشب) لعل الظاهر أن يؤخر بعد قوله ولانعامكم فليتأمل

وبدأ بالاخ لانه أدناهم رتبة فى الحب والذب ثم بالام لانها كانت مشاركة له فى الالف ويلزم من حمايتها أكثر مما يلزم للاخ وهو لها آلف وعليها أحن وعليها أرق وأعطف ثم بالاب لانه أعظم منه فى الالف لانه أقرب منها فى النوع وللولد عليه من المعاطفة ماله من مزيد النفع أكثر من قبله ثم بالصاحبة لان الزوجة التى هى اهل لان تصحب ألصق بالفؤاد وأعرق فى الوداد وكان الانسان أذب عنها عند الشدائد ثم بالولد لان له من المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاورة فى الامر ما ليس لغيره ولذلك يضيع عليه رزقه وعمره فقدم أدناهم مرتبة فى الحب والذب فادناهم على سبيل الترقى واخر الاوجب فى ذلك فالاوجب بخلاف ما فى سورة سأل فكأنه قيل يفر المرء من اخيه بل من أمه بل من أبيه بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل اول من يفر من أخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم عليه السلام ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح * ولما ذكر الفرار اتبعه سببه فقال تعالى (لكل امرئ) وان كان أعظم الناس مروءة (منهم يومئذ) اى اذ تكون هذه الدواهى العظام والشدائد والآلام (شأن) اى امر عظيم وقوله تعالى (يغنيه) حال اى يشغله عن شأن غيره وعن سودة رضى الله تعالى عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا اى بالقلفة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان فقلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال قتيبة يغنيه اى يصرفه عن قرابته ومنه يقال أغن عنى وجهك اى اصرفه وقال أهل المعانى يغنيه اى ذلك الهم الذى حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شبيها بالغنى فى أنه ملك شيأ كثيرا ولما ذكر تعالى حال القيامة فى الهول بين ان المكلفين على قسمين سعداء وأشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى (وجوه يومئذ) اى اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره (مسفرة) اى مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله تعالى (ضاحكة) اى مسرورة فرحة قال الكلبى يعنى بالفراغ من الحساب (مستبشرة) اى بما آتاها الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقى بقوله تعالى (ووجوه يومئذ) اى اذ وجد ما ذكر (عليها غبرة) اى غبار (ترهقها) اى تعلوها (قترة) اى سواد كالدخان ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما يرى فى وجوه الزنوج اذا اغبرت (اولئك) اى البعداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا (هم) اى خاصة (الكفرة الفجرة) جمع الكافر والفاجر وهو الكاذب والمفترى على الله تعالى فجمع تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان من حق البيضاوى ان لا يتعسر بقال بل يعن كالزمخشرى او نحوها ويأتى مثله فى نظائره

الشديد والصوت يكون
زمن الطم فناسب جعل
الطم للسابقة والصخ
للاحقة وجواب اذا قوله

سورة التكوير مكية

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي عم جوده سائر البريات (الرحيم) الذي خص حزبه بنعيم الجنات واختلف في معنى قوله تعالى (اذا الشمس) اي التي هي أعظم آيات السماء الظاهرة وأوضحها للحس (كورت) فقال ابن عباس أظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كرت العمامة على رأسي أكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض فمعناه أن الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة * (تنبيه) * ارتفاع الشمس على الفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط (واذا النجوم) اي كلها كبارها وصغارها (انكدرت) اي انقضت وتساقطت على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال العجاج في مدحه لعمرو بن معديكرب

اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر * تقضي البازي اذا البازي كسر

* أبصر خربان فضاء فانكدر *

أي فانقض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى والباع يستعمل في الكرم يقال فلان كريم الباع والمعنى ان الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمرو اي أسرع كانقضاض البازي وروى عن ابن عباس أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدي الملائكة عليهم السلام فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها (واذا الجبال) التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي أصلب ما في الارض (سيرت) اي ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وصارت الارض قاعا صفصفا (واذا العشار) اي النوق الحوامل جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها روي أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية (عطلت) اي تركت سيبة مهملة بلا راع أو عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم أو السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل والاول على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة عشراء والمعنى أن يوم القيامة بحالة لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه (واذا الوحوش) أي دواب الارض التي لا تأنس باحد التي تظن أنها لا عبرة بها ولا التفات اليها فما ظنك بغيرها (حشرت) اي جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض ثم تصير ترابا قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص

فاما من طغى الخ وقيل محذوف تقديره فان الجحيم مأواه

وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منه الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس
ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم
السنة وقرأ (واذا البحار سجرت) اى على كثرتها ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم والباقون
بتشديدها قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد فجر بعضها فى بعض العذب
والملح فصارت البحار كلها بحرا واحدا وقال القشيرى يرفع الله تعالى الحاجز الذى ذكره فاذا
رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى أبو العالية
عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت
واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش
وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اى اختلطت واذا البحار
سجرت قال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتأجج قال فبينماهم
كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة
العليا فبينماهم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة
فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ما ذكر من بعد (واذا النفوس) اى من كل ذى نفس من
الناس وغيرهم (زوجت) اى قرنت باجسادها وروى ان عمر سئل عن هذه الآية فقال يقرن
بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة و يقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى
النار وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال
عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين (واذا الموؤدة)
اى الجارية المدفونة حية كان الرجل فى الجاهلية اذ ولدله بنت فاراد أن يستحييها ألبسها
جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت
سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء
فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى
تستوى بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت
على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة واذا ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك
لخوف لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم
خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو أحق بهن وكان
صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد وفيه افتخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم يوأد

(سئلت بأى) أى بسبب اى (ذنب) يا أيها الجاهلون (قتلت) اى استحقت به عندكم القتل وهى
لم تباشر سوأ لكونها لم تصل الى حد التكليف (فان قيل) ما معنى سؤالها عن ذنبها الذى قتلت
به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (أجيب) بان سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو
التبكيت فى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون
الله قال سبحانك ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق وروى أن قيس بن عاصم جاء الى النبى صلى

(سورة عبس)
(قوله كلا انها) اى الآيات أو السورة (قوله فمن شاء ذكره) اى القرآن أو ما ذكر من الآيات

سورة التكوير مكية

وهى تسع وعشرون آية ومائة واربع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذى عم بجوده سائر البريات (الرحيم) الذى خص حزبه بنعيم الجنات واختلف فى معنى قوله تعالى (اذا الشمس) اى التى هى أعظم آيات السماء الظاهرة وأوضحها للحس (كورت) فقال ابن عباس أظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كما تلف العمامة يقال كرت العمامة على رأسى أكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض فمعناه أن الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة * (تنبيه) * ارتفاع الشمس على الفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط (واذا النجوم) اى كلها كبارها وصغارها (انكدرت) اى انقضت وتساقطت على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب قال العجاج فى مدحه لعمرو بن معديكرب

اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر * تقضى البازى اذا البازى كسر

* أبصر خربان فضاء فانكدر *

أى فانقض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى والباع يستعمل فى الكرم يقال فلان كريم الباع والمعنى ان الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمرو اى أسرع كانقضاض البازى وروى عن ابن عباس أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بأيدى الملائكة عليهم السلام فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من أيدى الملائكة لانه مات من كان يمسكها (واذا الجبال) التى هى فى العالم السفلى كالنجوم فى العالم العلوى وهى أصلب ما فى الارض (سيرت) اى ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وصارت الارض قاعا صفصفا (واذا العشار) اى النوق الحوامل جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ما يكون عند أهلها روى أنه صلى الله عليه وسلم مر فى أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا لم لا تنظر اليها فقال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية (عطلت) اى تركت مسيبة مهملة بلا راع أو عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم أو السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب بالحامل والاول على وجه المثل لان فى القيامة لا تكون ناقة عشراء والمعنى أن يوم القيامة بحالة لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه (واذا الوحوش) أى دواب الارض التى لا تأنس باحد التى تظن أنها لا عبرة بها ولا التفات اليها فما ظنك بغيرها (حشرت) اى جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض ثم تصير ترابا قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص

فاما من طغى الخ وجـل
محذوف تقديره فان الجحيم
مأواه

وقيل

وقيل اذا افضى بينهما اردت ترابا فلا يبقى منه الا مافيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرأ (واذا البحار سجرت) اى على كثرتها ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم والباقون بتشديدها قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد فجر بعضها فى بعض العذب والملح فصارت البحار كلها بحرا واحدا وقال القشيرى يرفع الله تعالى الحاجز الذى ذكره فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى أبو العالية عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت اى اختلطت واذا البحار سجرت قال الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تتأجج قال فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ماذكر من بعد (واذا النفوس) اى من كل ذى نفس من الناس وغيرهم (زوجت) اى قرنت باجسادها وروى ان عمر سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين (واذا الموؤدة) اى الجارية المدفونة حية كان الرجل فى الجاهلية اذ ولدت له بنت فاراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة واذا ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو أحق بهن وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد وفيه افتخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم يوأد

(سئلت باى) أى بسبب اى (ذنب) يا أيها الجاهلون (قتلت) اى استحقت به عندكم القتل وهى لم تباشر سوأ لكونها لم تصل الى حد التكليف (فان قيل) مامعنى سؤالها عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (أجيب) بان سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق وروى أن قيس بن عاصم جاء الى النبى صلى

(سورة عبس)

(قوله كلا انها) اى الآيات أو السورة (قوله فمن شاء ذكره) اى القرآن أو ماذكر من الآيات

الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى وأدت ثمان بنات كن لى فى الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم
أعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يارسول الله انى صاحب ابل فقال له صلى الله عليه وسلم
أهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التى تقتل
ولدها تأتى يوم القيامة متعلقا ولدها بيدها ملطخا بدمائه فيقول يارب هذه أمى وهذه قتلتنى
(واذا الصحف نشرت) اى فتحت بعد أن كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التى كتبت
الملائكة فيها أعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر فى القيامة فيقف كل انسان على
صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وروى عن
عمر أنه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وروى أنه صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت
وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بتخفيف الشين والباقون بتشديدها على تكرير النشر للمبالغة فى تقريع العاصى وتبشير
المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان (واذا السماء) أى هذا الجنس كله أفرده لانه يعلم
بالقدرة على بعضه القدرة على الباقى (كشطت) أى نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة
والغطاء عن الشئ قال القرطبى يقال كشطت البعير كشطا نزعت جلده ولا يقال سلخت لان
العرب لا تقول فى البعير الا كشطته أو جلدته والمعنى أزيلت عما فوقها وقال القرطبى طويت
(واذا الجحيم) أى النار الشديدة التأجج (سعرت) أى أججت فاضطرمت للكفار وزيد فى احمائها
يقال سعرت النار وأسعرتها روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى
احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء
مظلمة واحتج بهذه الآية من قال النار مخلوقة الآن لانه يدل على أن سعيرها معلق بيوم
القيامة وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها (واذا الجنة) أى
البستان ذو الاشجار الملتفة والرياض المعجبة (أزلفت) أى قربت لاهلها ليدخلوها وقال
الحسن انهم يقربون منها الا أنها تزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزلفى فى
كلام العرب القربة وقوله تعالى (علمت نفس) جواب اذا أول السورة وما عطف عليها أى
علمت كل نفس من النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة فالتنكير فيه مثله فى تمرة
خير من جرادة ودلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه (ما) اى كل شئ
(أحضرت) من خير وشر روى عن ابن عباس وعمر أنهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما أحضرت
قالا لهذا أجريت القصة قال الرازى ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد اذن
ما أحضرته فى صحائفها وما أحضرته عند المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال وعن
ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال واقطع ظهراه (فلا
أقسم) لا مزيدة أى أقسم (بالخنس الجوار الكنس) هى النجوم الخمسة زحل والمشترى
والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون أى ترجع فى مجراها وراءها بينا ترى النجم
فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله وتكنس بكسر النون تدخل فى كناسها أى تغيب
فى المواضع التى تغيب فيها لخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل

(قوله وفاكهة وأبا) الاب ما ترعاه البهائم وقيل التبن وقيل يابس الفاكهة

هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها (والليل) أي الذي هو محل ظهور النجوم وزوال خنوسها وذهاب كنوسها (إذا عسعس) قال البغوي قال الحسن أقبل بظلامه وقال آخرون أدبر تقول العرب عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا القليل (والصبح إذا تنفس) أي امتد حتى يصير نهارا بينا يقال للنهار إذا زاد تنفس ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وفي كيفية المجاز قولان الأول أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح الثاني أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي حبس بحيث لا يتحرك فإذا تنفس وجد راحة فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وقوله تعالى (إنه) أي القرآن (لقول رسول كريم) هو المقسم عليه والمعنى أنه لقول رسول عن الله تعالى كريم على الله تعالى أي انتفت عنه وجوه المذام كلها وثبتت له وجوه المحامد كلها وهو جبريل عليه السلام وأضاف الكلام إليه لأنه قاله عن الله عز وجل (ذي قوة) أي شديد القوى روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها وأبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل بالهند وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ويهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف (عند ذي العرش) أي المالك الأعلى المحيط عرشه بجميع الأكوان الذي لا عندية في الحقيقة إلا له وهو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى (مكين) أي ذي مكانة متعلق به عندية أي ذي منزلة ومكانة ليست عندية جهة بل عندية إكرام وتشريف كقوله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم وقيل قوي في أداء طاعة الله تعالى وترك الإخلال بها (مطاع ثم) أي في السموات قال الحسن فرض الله تعالى على أهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام الملائكة أنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان افتح له ففتح فدخلها ورأى ما فيها (أمين) أي بليغ الأمانة على الوحي الذي يجيء به وقيل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى حينئذ ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع أي يطيعه من أطاع الله تعالى (وما صاحبكم) أي الذي طالت صحبته لكم وأنتم تعلمون أنه في غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عندكم إلا الأمين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على أنه إلى آخر المقسم عليه وأغرق في النفي فقال تعالى (بمجنون) أي كما زعمتم بهتكم في قوله بل جاء بالحق وصدق المرسلين فما القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل بل قول أعقل العقلاء وأكمل الكمل *(تنبيه)* استدل بذلك بعضهم على فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما قال البيضاوي ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر وقولهم افترى على الله كذبا وقولهم أم به جنة لا تعديد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) أي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح (بالأفق المبين) أي البين

(قوله فإذا جاءت الصاخة) جواب إذا محذوف يدل عليه قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

(سورة التكوير)

(قوله وإذا البحار سجرت) أي أوقدت فصارت نارا

وهو الافق الاعلى الذى عند سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس أصلا ولا يكون للشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة وقال مجاهد وقتادة بالافق الاعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام انى أحب أن أراك على صورتك التى تكون فيها فى السماء قال ان تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء أن أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فبمنى قال لا تسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى أن يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبل عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الارض فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فتحول جبريل عن صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه فى التخوم السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يعنى العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك فى سورة النجم (وما) أى وسعه ورآه والحال انه ما (هو) أى محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أى ما غاب من الوحى وخبر السماء ورؤية جبريل وغير ذلك مما أخبر به وقرأ (بظنين) ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالظاء المشالة من الظنة وهى التهمة أى فليس بمتهم والباقون بالضاد موافقة للمرسوم من الضن وهو البخل أى فليس ببخيل بالوحى فيزوى بعضه أو يبدل تعليمه فلا يعلمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أبى بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما قال الزمخشرى واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبى لسانه وهى أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهى أحد الاحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت فى هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلى أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما اهـ كلامه بحروفه (وما هو) أى القرآن الذى من جملة معجزاته الاخبار بالمغيبات وأغرق فى النفى بالتأكيد بالباء فقال تعالى (بقول شيطان) أى مسترق للسمع فيوحيه اليه كما يوحيه الى بعض الكهنة (رجيم) أى مرجوم مطرود بعيد من الرحمة وذلك ان قريشا كانوا يقولون ان هذا القرآن يجىء به شيطان فيلقيه على لسانه يريدون بالشيطان الابيض الذى كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة جبريل يريد أن يفتنه فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى (فاين) منصوب بقوله تعالى (تذهبون) لانه ظرف مبهم وقال أبو البقاء أى الى أين فحذف الجار أى فاى طريق تسلكون فى انكاركم القرآن واعراضكم عنه وفى هذا استضلال لهم فيما يسلكون من أمر

قال ذلك هنا وقال فى الانفطار واذا البحار فجرت اى سالت مياهها على الارض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح موافقة فى الاول

النبى

النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان) أى ما (هو) أى القرآن الذى أتاكم به الرسول (الا ذكر) أى عظة وشرف (للعالمين) من انس وجن وملك وقوله تعالى (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار (ان يستقيم) باتباع الحق قال أبو جهل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو رأس القدرية فنزل (وما تشاؤن) الاستقامة على الحق (الا أن يشاء الله) أى الا وقت أن يشاء الملك الاعظم الذى بيده كل شئ مشيئتكم الاستقامة عليه (رب العالمين) أى مالك الخلق وفى هذا اعلام بأن أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ونقل البغوى فى أول السورة باسناده الى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر فى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واما قول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته فحديث موضوع

سورة الانفطار مكية

وهى تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا (الرحمن) الذى دبر الكائنات تدبيرا (الرحيم) الذى أرسل رسوله للخلق نذيرا (اذا السماء) أى على شدة احكامها واتساقها وارتفاعها (انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (واذا الكواكب) أى النجوم الصغار والكبار كلها الغراء الزاهرة المتوقدة توقد النار المرصعة ترصيع المسامير (انتثرت) أى تساقطت متفرقة لان عند انتقاض تركيب السماء تنتثر النجوم على الارض (واذا البحار) المتفرقة فى الارض وهى ضابطة لها أتم ضبط لنفع العباد على كثرتها (فجرت) أى فتح بعضها فى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذى بينهما فصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن فى قوله تعالى واذا البحار سجرت وقال هنا فجرت بغت (واذا القبور) أى مع ذلك كله (بعثرت) أى قلبت يقال بعثره وبحثره بالعين والحاء قال الزمخشرى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما أى فهما بمعنى والمعنى قلب أعلاها أسفلها وقلب باطنها ظاهرها وخرج ما فيها من الموتى احياء وقيل التبعثر اخراج ما فى بطنها من الذهب والفضة ثم تخرج الموتى بعد ذلك وجواب اذا أول السورة وما عطف عليه قوله تعالى (علمت نفس) اى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما قدمت) من عمل (وأخرت) اى جميع ما عملت من خير او شر او غيرهما (فان قيل) اى وقت من القيامة يحصل هذا العلم قال الرازى اما العلم الاجمالى فيحصل فى اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر واما العلم التفصيلى فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وقوله تعالى (يا أيها الانسان) أى البشر الآنس بنفسه الناسى لما يعنيه خطاب لمنكرى البعث وروى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى أبى الشريق ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فى أول أمره وقيل تتناول جميع العصاة لان الاعتبار

اقوله بعد ... سجرت ابقع الواحد ... تصيير البحار ونسيم ... البحار وفى الثانى لقوله واذا الكواكب انتثرت اى تساقطت على الارض وصيرورة البحار

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (ما غرك بربك) أى ما خدعك وسول لك الباطل حتى تركت
ما أوجب عليك الاحسان اليك وأتيت بالمحرمات (الكريم) أى الذى له الكمال كله المقتضى لأن
لا يهمل الظالم ولا يسوى بين المحسن والمسيء هذا اذا حملنا الانسان على جميع العصاة فان حملناه
على الكافر وهو ظاهر الآية فالمعنى ما الذى دعاك الى الكفر وانكار الحشر والنشر (فان قيل)
كونه كريما يقتضى أن يغتر الانسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوى عنده
طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاغترار كما يروى عن على بن أبى طالب رضى الله
تعالى عنه أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تجيبنى فقال لثقتى
بحلمك وأمنى عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا أيضا من كرم ساء أدب غلمانه واذا ثبت
ان كرمه يقتضى الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار (أجيب) بان حق الانسان
أن لا يغتر بكرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة
بسطا فى مدة التوبة وتأخير الجزاء الى أن يجمع الناس للجزاء فالحاصل ان تأخير العقوبة لاجل
الكرم وذلك لا يقتضى الاغترار بهذا التفضيل فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره
والله شيطانه الخبيث أى زين له المعاصى وقال له فعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك
بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك الله
يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول له قال أقول غرتنى ستورك المرخاة وهذا
على سبيل الاعتراف بالخطا فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به
قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده
الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وقال مقاتل غره عفو الله حيث لم يعاقبه أول مرة
وقال السدى غره رفق الله تعالى به وقال قتادة سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان وقال
ابن مسعود ما منكم من أحد الا سيخلو الله تعالى به يوم القيامة فيقول ما غرك بى يا ابن آدم ماذا
عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين (الذى خلقك) أى أوجدك من العدم مهيأ
بتقدير الاعضاء (فسواك) عقب تلك الاطوار بتصوير الاعضاء والمنافع بالفعل (فعدلك)
أى جعل كل شئ من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التى خلقه الله تعالى لها (تنبيه) * قوله
تعالى الذى يحتمل الاتباع على البدل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب * واعلم أنه
سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم
فقوله سبحانه الذى خلقك أى بعد أن لم تكن لا شك أنه كرم لانه وجود والوجود خير من العدم
والحياة خير من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقوله تعالى
فسواك أى جعلك مستوى الخلقة سالم الاعضاء غاية فى الكرم كما قال تعالى أكفرت بالذى خلقك
من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا أى معتدل الخلق والاعضاء وقال ذو النون المصرى أى
سخر لك المكونات أجمع وما جعلك مسخرا لشئ منها ثم أنطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل
وروحك بالمعرفة ومدك بالايمان وشرفك بالامر والنهى وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلا
وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بتخفيف الدال والباقون بالتشديد بمعنى جعلك متناسب

الاطراف

نارا مسعرة وماهم مغيبين
بعد احدهما فى وقت
والآخر فى آخر الطول
يوم القيامة (قوله واذا
الموؤدة سئلت باى ذنب
قتلت)* ان قلت كيف

الاطراف فلم يجعل احدى يديك أو رجليك أطول ولا احدى عينيك أوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال عطاء عن ابن عباس جعلك قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية وقال أبو على الفارسى عدلك خلقك فى أحسن تقويم مستويا على جميع الحيوان والنبات وواصلا فى الكمال الى ما لم يصل اليه شئ من اجسام هذا العالم واما قراءة التخفيف فتحتمل هذا اى عدل بعض اعضائك ببعض و يحتمل ان يكون من العدول اى صرفك الى ما شاء من الهيآت والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد (فى اى صورة) اى من الصور التى تعرفها والتى لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان وغيره وما فى قوله تعالى (ما شاء) مزيدة وفى اى متعلق بركب فى قوله تعالى (ركبك) اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قيل) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها (اجيب) بانها بيان لعدلك و يجوز ان تتعلق بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف و يجوز ان يتعلق بعدلك و يكون فى اى معنى التعجب اى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعنى تركيبا حسنا وقوله تعالى (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية وقوله تعالى (بل تكذبون) اى يا كفار مكة (بالدين) اضراب الى ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء على الاعمال والاسلام (وان) اى والحال ان (عليكم) اى ممن اقمناهم من جندنا من الملائكة (لحافظين) اى على اعمالكم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير (كراما) اى على الله تعالى (كاتبين) اى لهذه الاعمال فى الصحف كما تكتب الشهود بينكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير * (تنبيه) * هذا الخطاب وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة اجمعت على عموم هذا الخطاب فى حق المكلفين وقوله تعالى لحافظين جمع يحتمل ان يكونوا حافظين لجميع بنى آدم من غير ان يختص واحد من الملائكة بواحد من بنى آدم و يحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر و يحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جماعة من الملائكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار او كما قيل انهم خمسة واختلفوا فى الكفار هل عليهم حفظة فقيل لا لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل عليهم حفظة وهو ظاهر قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله تعالى وأما من اوتى كتابه بشماله وقوله تعالى واما من اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر ان لهم كتابا وان عليهم حفظة (فان قيل) فأى شئ يكتب الذى عن يمينه ولا حسنة له (اجيب) بان الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه و يكون صاحبه شاهدا على ذلك وان لم يكتب وفى هذه الآية دلالة على ان الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين (يعلمون) اى على التجدد والاستمرار (ما تفعلون) فدل على انهم يكونون عالمين بها حتى انهم يكتبونها فاذا كتبوها يكونون عالمين عند اداء الشهادة وفى تعظيم الكتبة تعظيم لامر الجزاء فانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه انذار وتهويل للعصاة ولطف

قال ذلك مع ان سؤال ما ذكر انما يحسن من القائل لا من المقول (قلت) انما سلك التبكيت قائلها وتوبيخه بما يجيب به فانه اقامة بغير ذنب

بالمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين * ولما وصف تعالى الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين وقسمهم قسمين وبدأ بقسم اهل السعادة فقال تعالى (ان الابرار) اى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم باداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (لفى نعيم) اى محيط بهم ابد الآبدين وهو نعيم الجنة الذى لانهاية له * ثم ذكر قسم اهل الشقاوة بقوله تعالى (وان الفجار) الذين من شأنهم الخروج عما ينبغى الاستقرار فيه من رضا الله تعالى الى سخطه وهم الكفار (لفى جحيم) اى نار محرقة تتوقد غاية التوقد فهم فيها ابد الآبدين (يصلونها) اى يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) اى يوم الجزاء وهو يوم القيامة (وماهم عنها) اى الجحيم (بغائبين) اى بمخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين ومايغيبون عنها قبل ذلك فى قبورهم وقيل اخبر الله تعالى فى هذه السورة ان لابن آدم ثلاث حالات حالة الحياة التى يحفظ فيها عمله وحالة الآخرة التى يجازى فيها وحالة البرزخ وهو قوله تعالى وماهم عنها بغائبين وروى ان سليمان بن عبد الملك قال لابى حازم المدنى ليت شعرى مالنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى فانك تعلم مالك عند الله تعالى قال فاين اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم الآية قال سليمان فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين * ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك اليوم فقال تعالى (وما ادراك) اى وما اعلمك وان اجتهدت فى تطلب الدراية به (ما يوم الدين) اى اى شئ هو فى طوله وهوله وفظاعته وزلزاله ثم كرره تعجيبا لشأنه فقال تعالى (ثم ما ادراك) اى كذلك (ما يوم الدين) اى ان يوم الدين الذى بحيث لاتدرك دراية دارك كنهه فى الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل تعالى القول فى وصفه فقال سبحانه (يوم لاتملك) اى بوجه من الوجوه فى وقت ما (نفس) اى اى نفس كانت (لنفس شيأ) اى قل او جل وقرأ ابن كثير وابو عمرو برفع يوم على انه خبر مبتدا مضمر اى هو يوم وجوز الزمخشرى ان يكون بدلا مما قبله يعنى يوم الدين والباقون بالفتح باضمار اعنى او اذكر (والامر) اى كله (يومئذ) اى اذ كان البعث للجزاء (لله) اى ملك الملوك لا امر لغيره فيه فلا يملك الله تعالى فى ذلك اليوم احدا شيأ كما ملكهم فى الدنيا وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة حديث موضوع

سورة المطففين مدنية

فى قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهى اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان آيات وهى قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخرها فهو مكى وقال الكلبى وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف وقال ابن مسعود والضحاك مكية وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبعمائة وثمانون حرفا

(بسم الله) الذى من توكل عليه كفاه (الرحمن) الذى عم جوده الابرار والعصاة (الرحيم) الذى خص اهل طاعته بهداه (ويل) مبتدأ وسوغ الابتداء به كونه دعاء وهو اما كلمة عذاب او هلاك ثابت عظيم فى كل حال من احوال الدنيا والآخرة او واد فى جهنم وقوله تعالى

(قوله نفس) اى كل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ونظيره قوله تعالى ءأنت قلت للناس الآية عليه السلام

(للمطففين) خبره والتطفيف البخس فى الكيل او الوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير قال
الزجاج وانما قيل للذى ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان
الا الشئ اليسير الطفيف وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا
من ابخس الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها
عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله ما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى
عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم
الموت ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم
المطر وقال السدى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يعرف بأبى جهينة
ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فنزلت وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون
وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت وعن على انه مر برجل يزن الزعفران
وقد ارجح فقال له اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امره بالتسوية اولا ليعتادها
ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من
كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين
فى الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق
الله واوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم الى
أنصاف آذانهم وعن عكرمة أشهد ان كل كيال ووزان فى النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان
فقال اشهد انه فى النار وعن أبى لا تلتمس الحوائج ممن رزقه فى رؤس المكاييل وألسن الموازين
ثم بين تعالى المطففين من هم بقوله تعالى (الذين اذا اكتالوا) أى عاملوا الكيل (على الناس)
أى كائنين من كانوا لا يخافون شيأ ولا يراعون أحدا بل صارت الخيانة والوقاحة لهم ديدنا
(يستوفون) أى اذا كالوا منهم وابدل على مكان من للدلالة على ان اكتيالهم من الناس
اكتيال يضرهم ويتحامل فيه عليهم ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على
الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة واما انفسهم فيستوفون لها وقال
الفراء من وعلى يتعاقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال
أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك (واذا كالوهم) أى كالوا
للناس أى حقهم اى ما لهم من الحق (أو وزنوهم) أى وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما
قال القائل

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

وقال آخر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك ويقال وزنتك حقك وكلتك
طعامك أى وزنت لك وكلت لك ونصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك والاكمؤ جمع كمأة
والعساقل ضرب منها واصله عساقيل لان واحدها عسقول كعصفور فحذفت الياء للضرورة
وبنات اوبر ضرب من الكمأة ردىء (يخسرون) جواب اذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسر
الرجل وأخسرته انا ومفعوله محذوف أى يخسرون الناس متاعهم وقيل يخسرون أى ينقصون
بلغة فارس أى ينقصون الكيل أو الوزن وقوله تعالى (ألا يظن اولئك) أى الاخساء البعداء

الآية (ان قلت) لم ختم
الآية هنا بقوله ما احضرت
اى من خير وشر وفى
الانفطار بقوله ما قدمت
واخرت اى ما قدمته
من الاعمال وما اخرته

الأوائل (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم) أى لاجله أو فيه وزاد التهويل بقوله تعالى عظيم انكارا وتعجيبا
من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا أنهم مبعوثون
ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وقيل الظن بمعنى اليقين وقوله تعالى (يوم) يجوز
نصبه بمبعوثون أو باضمار أعنى أو بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون (يقوم الناس) أى من
قبورهم (لرب العالمين) أى الخلائق لاجل أمره وجزائه وحسابه وعن ابن عمر أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى انصاف أذنيه وعن
المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من
العباد حتى تكون قيد ميل أو اثنين قال سليم لا أدرى أى الميلين يعنى مسافة الارض أو الميل
الذى تكتحل به العين قال فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه
الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى ركبتيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما
فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول الجمه الجاما وعن قتادة أوف
يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد
الوجوه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله فى
المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك
وانت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفى هذا الانكار والتعجب وكلمة الظن ووصف
اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم
الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وفيما كان فى مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل
على السوية والعدل فى كل اخذ واعطاء بل فى كل قول وعمل وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة
فلما بلغ قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض
المفسرين ان لفظ التطفيف يتناول التطفيف فى الوزن والكيل وفى اظهار العيب واخفائه
وفى طلب الانصاف والانتصاف ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف
والمعاشرة والصحبة فى هذه المادة والذى يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة
ومن طلب حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى (كلا) ردع أى ليس
الامر على ما هم عليه فليرتدعوا وههنا تم الكلام وقال الحسن كلا ابتداء متصل بما بعده على
معنى حقا وجرى الجلال المحلى وأكثر المفسرين على الاول (ان كتاب الفجار) أى كتب أعمال
الكفار فاظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واختلف فى معنى قوله سبحانه
وتعالى (لفى سجين) فقيل هو كتاب جامع وهو ديوان الشر دون الله تعالى فيه أعمال الشياطين
وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وقيل هو مكان تحت الارض السابعة وهو محل
ابليس وجنوده وقال عبد الله بن عمر سجين فى الارض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار
وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون فى السماء
السابعة تحت العرش وقال الكلبى هو صخرة تحت الارض السابعة خضراء خضرة السموات
منها يجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هى آخر سلطان ابليس وعن كعب الاحبار ان روح

الفاجر

منها فلم تعلمه (قلت)
ورعاية للمناسبة اذ شروط
الجواب هنا طالت بكثرتها
فحسن اختصاره ليوقف
عليه وشروطه ثم قصرت
بقلتها فحسن بسطه لتيسر
الوقف عليه حينئذ

الفاجر يعني الكافر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس وذلك استهانة بها او يشهدها الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة لفى سجين أى فى خسار وضلال (وما أدراك) أى جعلك داريا وان اجتهدت فى ذلك (ما سجين) وقال الزجاج أى ليس لك ذلك ما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لسجين بل هو بيان للكتاب المذكور فى قوله تعالى ان كتاب الفجار اى هو كتاب مرقوم أى مسطور بين الكتابة مكتوب فيه أعمالهم مثبت عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازون به او معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه وقيل الرقم الختم بلغة حمير واقتصر على هذا الجلال المحلى وقال قتادة رقم عليه بشر كانه علم بعلامة يعرف بها أنه كافر والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق فى جهنم ولانه مطروح تحت الارض كما مر (فان قيل) سجين هل هو اسم أو صفة (أجيب) بانه اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف (ويل) أى أعظم الهلاك (يومئذ) أى اذ تقوم الناس لما تقدم (للمكذبين) أى بذلك أو بالحق وقوله تعالى (الذين يكذبون بيوم) أى بسبب الاخبار بيوم (الدين) أى الجزاء الذى هو سر الوجود بدل أو بيان للمكذبين ثم أخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين بثلاث صفات ذكر أولها بقوله تعالى (وما) أى والحال انه ما (يكذب به) أى بذلك اليوم (الا كل معتد) أى متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة ثم ذكر الصفة الثانية بقوله تعالى (أثيم) اى منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشتغل عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) أى الحكايات سطرت قديما جمع أسطور بالضم وذلك لفرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل وهذا عام فى كل موصوف بذلك وقال الكلبى هو الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحرث وقوله تعالى (كلا) ردع وزجر أى ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا كما مر (بل ران) أى غلب وأحاط وغطى تغطية الغيم السماء (على قلوبهم) أى كل من قال هذا القول (ما كانوا يكسبون) أى كما يركب الصدأ من اصرارهم على الكبائر وتسويف التوبة حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تميل اليه روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه المبين وقال أبو معاذ الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الران والاقفال أشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال تعالى أم على قلوب أقفالها وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويغشى فيموت القلب قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة وعن الحسن الذنب بعد الذنب يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا والغين الغيم

﴿سورة الانفطار﴾

(قوله ما غرك بربك الكريم) ان قلت ما فائدة تخصيص ذكر صفة الكريم من سائر صفاته تعالى (قلت) فائدته للاطف بعبده وتلقينه

و يقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمرة ذهبت به وقرأ حمزة وشعبة والكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح وسكت حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والباقون بغير سكت وقوله تعالى (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كما مر (انهم عن ربهم) أى المحسن اليهم (يومئذ لمحجوبون) أى فلا يرونه بخلاف المؤمنين فانهم يرونه كما ثبت ذلك فى الاحاديث الصحيحة وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم فى الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وفى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان أولياء الله يرون الله تعالى ومن نفى الرؤية كالزمخشري جعله تمثيلا للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء والمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الاذناب المهانون عندهم وعن ابن عباس وقتادة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم انهم) أى بعد ما شاء الله تعالى من امهالهم (لصالوا الجحيم) أى لداخلوا النار المحرقة (ثم يقال) أى تقول لهم الخزنة (هذا) اى العذاب (الذى كنتم به تكذبون) أى فى دار الدنيا وقوله تعالى (كلا) ردع عن التكذيب وقيل معناها حقا كما مر وقال البيضاوى تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بأن التطفيف فجور والايفاء بر أو ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) أى كتب اعمال المؤمنين الصادقين فى ايمانهم (لفى عليين) وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته صلحاء الثقلين منقول من جمع فعيل من العلو كسجين من السجن سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله تعالى من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على ما فى قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين وقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين وعن البراء مرفوعا عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض أهل المعانى علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت بالياء والنون قال الفراء هو اسم موضع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين (وما أدراك) أى جعلك داريا وان بالغت فى الفحص (ما عليون) أى ما كتاب عليين هو (كتاب) أى عظيم (مرقوم) أى فيه ان فلانا آمن من النار رقما باله من رقم ما أبهاه وأجله (يشهده المقربون) يحضرونه فيشهدون على ما فيه يوم القيامة أو يحفظونه ولما عظم كتابهم عظم منزلتهم بقوله تعالى (ان الابرار لفى نعيم) أى فى الجنة ثم بين ذلك النعيم بأمور ثلاثة أولها قوله تعالى (على الارائك) أى الاسرة فى الحجال ولا يسمى اريكة الا اذا كان كذلك والحجال بكسر الحاء جمع حجلة وهى بيت تزين بالثياب والستور والاسرة قاله الجوهرى (ينظرون) أى الى ماشاؤا مد أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب

بحسبه وعذره ليقول غرنى
كرمك الكريم (قوله وما
أدراك ما يوم الدين ثم
ما أدراك ما يوم الدين)
كرره تعظيما للدين وقيل
الاول للمؤمنين والثانى

الجمال أبصارهم عن الادراك وقال الرازي ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى (تعرف) أي أيها
الناظر اليهم (في وجوههم) عند رؤيتهم (نضرة النعيم) أي بهجته وحسنه ورونقه كما ترى في
وجوه الاغنياء وأهل الترفه والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل ناظر وقال الحسن
النضرة في الوجه والسرور في القلب وهذا هو الامر الثاني وأما الثالث فهو قوله تعالى
(يسقون من رحيق) أي خمر صافية طيبة وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال الرازي انه الخمر
الموصوف بقوله تعالى لا فيها غول (مختوم) أي ختم ومنع من أن تمسه يد الى أن يفك ختمه
الابرار وقال القفال يحتمل أن يكون ختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به العادة من
ختم ما يكرم ويصان وهناك خمر أخرى تجري أنهارا لقوله تعالى وأنهار من خمر لذة للشاربين
الا أن هذا المختوم أشرف من الجاري (ختامه مسك) أي آخر شربه يفوح منه مسك فالمختوم
الذي له ختام أي آخر شربه وختم كل شيء الفراغ منه وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم
بالمسك وقال ابن زيد ختامه عند الله مسك وقيل طينه مسك وقيل تختم أوانيه من الاكواب
والاباريق بمسك مكان الطينة (وفي ذلك) أي الامر العظيم البعيد التناول وهو العيش
والنعيم أو الشراب الذي هذا وصفه (فليتنافس) أي فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد
والاختيار (المتنافسون) أي الذين من شأنهم المنافسة وهو أن يطلب كل منهم ان يكون ذلك
المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس جدا والنفيس هو الذي تحرص عليه نفوس
الناس وتتغالى فيه والمنافسة في مثل هذا بكثرة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة وقال
مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال مقاتل بن سليمان
فليتسارع المتسارعون وقال عطاء فليستبق المستبقون وقال الزمخشري فليرتقب
المرتقبون والمعنى في الجميع واحد وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس
ويريده كل أحد لنفسه وينفس فيه على غيره أي يضن (ومزاجه) أي ما يمزج به ذلك الرحيق
(من تسنيم) وهو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أتتهم من
فوق على ما روي انها تجري في الهواء مسنمة فتصب في أواني أهل الجنة على مقدار الحاجة
فاذا امتلأت أمسكت وقوله تعالى (عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال
(يشرب بها) أي يشربها على طريقة المزج منها (المقربون) وضمن يشرب معنى يلتذ فهم
يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (ان الذين أجرموا) أي قطعوا ما أمر الله به أن يوصل
وهم رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا) وهم فقراء الصحابة عمار وصهيب وخباب وبلال
وغيرهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) اي استهزاء بهم (واذا مروا) اي المؤمنون (بهم) أي
بالذين اجرموا (يتغامزون) اي يشير المجرمون الى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم وقيل
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم قيل جاء علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين
فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع
وضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي الى النبي صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا) أي رجع
الذين أجرموا برغبتهم في الرجوع واقبالهم عليه من غير تكره (الى أهلهم) أي منازلهم التي
هي عامرة بجماعتهم وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسر الهاء

(قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) * ان قلت
كيف قال ذلك مع ان
النفوس المقبولة الشفاعة
تملك ان شفعت فيه شيئا وهو
الشفاعة (قلت) الذي لا تملك الكفار

والباقون بكسر الهاء وضم الميم (انقلبوا) حالة كونهم (فاكهين) أي متلذذين بما كان من مكثهم ورفعتهم التي أوصلتهم الى الاستصغار بغيرهم قال ابن برجان روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر وفي أخرى يكون المؤمن فيهم أذل من الامة وفي أخرى العالم فيهم انتن من جيفة حمار فالله المستعان وقرأ حفص بغير الف بين الفاء والكاف والباقون بالالف قيل هما بمعنى وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين أصحاب فاكهة ومزاح (واذا رأوهم) أي رأى المجرمون المؤمنين (قالوا) أي المجرمون (ان هؤلاء) أي المؤمنين (لضالون) أي لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم يرون أنهم على شئ وهم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب شئ لايدرى هل له وجود أم لا قال الله تعالى (وما) أي والحال أنهم ما (ارسلوا) أي الكفار (عليهم) أي على المؤمنين (حافظين) اي موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم وقيل هو من جملة قول الكفار وانهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك وقوله تعالى (فاليوم) منصوب بيضحكون ولا يضر تقديمه على المبتدا لانه لو قدم العامل هنا لجاز ذلا لبس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ومعنى فاليوم أي في الآخرة الذين آمنوا ولو كانوا أدنى درجات الايمان (من الكفار يضحكون) وفي سبب هذا الضحك وجوه منها أن الكفار كانوا يضحكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ماهم فيه من الضر والبؤس وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه ومنها أنهم علموا أنهم كانوا في الدنيا على غير شئ وانهم باعوا الباقي بالفاني ومنها انهم يرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ومنها قال أبو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم أبوابها فاذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها غلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فذلك سبب الضحك ومنها انهم اذا دخلوا الجنة وجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كما قال تعالى (على الارائك) أي الاسرة العالية (ينظرون) اليهم كيف يعذبون في النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا *(تنبيه)* ينظرون حال من يضحكون أي يضحكون ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان وقال كعب بين الجنة والنار كوى اذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدو له كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال تعالى فاطلع فرآه في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أي هل جوزوا (ما كانوا يفعلون) أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام ههنا التقرير وثوبه واثابه بمعنى واحد اذا جازاه قال اوس

سأجزيك او يجزيك عني مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى

وقرأ الكسائي وهشام بادغام اللام في الثاء والباقون بالاظهار وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق

المختوم

ثبوت الملك بالسلطنة والشفاعة ايست بطريق السلطنة فلا تدخل في النفي ويؤيده قوله تعالى والامر يومئذ لله

المختوم يوم القيامة حديث موضوع

سورة الانشقاق مكية

وهي ثلاث او خمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي شقق الارض بالنبات (الرحمن) الذي عم جوده أهل الارض والسموات (الرحيم) الذي خص اهل طاعته بالجنات وقوله تعالى (اذا السماء) أي على ما لها من الاحكام والعظمة (انشقت) كقوله تعالى اذا الشمس كورت في اضمار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالان أحدهما أن تكون شرطية والثاني أن تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها اوجه أحدها أنه محذوف ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار وهو قوله تعالى علمت نفس الثاني جوابها ما دل عليه فملاقيه الثالث أنه يا أيها الانسان على حذف الفاء وعلى كونها غير شرطية فهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو مزيدة تقديره وقت انشقاق السماء وقت مد الارض أي يقع الامران في وقت قاله الاخفش وقيل انه منصوب مفعولا به باضمار اذكر انشقاقها بالغمام وهو من علامات القيامة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي تنشق من المجرة قال ابن الاثير المجرة هي البياض المعترض في السماء والسرايا من جانبها (وأذنت) أي سمعت وأطاعت في الانشقاق (لربها) أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ورد عليه الامر من جهة المطاع فانقادت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) أي حق لها أن تسمع وتطيع بأن تنقاد ولا تمتنع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض) أي على ما لها من الصلابة (مدت) أي زيد في سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى. (وألقت) أي أخرجت (ما فيها) من الكنوز والموتى كقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها (وتخلت) أي خلت منه حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة ووصفت الارض بذلك توسعا والا فالتحقيق أن الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء من الارض وقوله تعالى (وأذنت لربها وحقت) تقدم تفسيره وهذا ليس بتكرار لان الاول في السماء وهذا في الارض وتقدم جواب اذا ومن جملة ما قيل فيه وما عطف عليه انه محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة واختلف في الانسان في قوله تعالى (يا أيها الانسان) أي الآنس بنفسه الناسي لامر ربه (انك كادح) فقيل المراد جنس الانسان كقولك يا أيها الرجل فكأنه خطاب خص به أحد من الناس قال القفال وهو أبلغ من العموم لانه قائم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك كادح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضير من الكفار فابشر فانك تلقى الله تعالى بهذا العمل وقال ابن عباس هو أبي بن خلف وكدحه هو جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر والكدح جهد

(سورة المطففين)

(قوله اذا كالوا) فان قلت هلا قال اكتالوا واتزنوا كما قال في مقابله واذا كالوهم او وزنوهم (قلت) لان المطففين كانت عادتهم ان لا يأخذوا ما يكال وما يوزن الا بالمكيال لان استيفاء

النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى كادح (الى ربك)
أي جاهد الى لقائه وهو الموت أي هذا الكدح يستمر الى هذا الزمن وقال القفال تقديره انك
كادح في دنياك (كدحا) تصير الى ربك وقوله تعالى (فملاقيه) يجوز أن يكون عطفا على كادح
والسبب فيه ظاهر وان يكون خبر مبتدا مضمر أي فانت ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير في
ملاقيه اما للرب أي ملاق حكمه لا مفر لك منه واما للكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض
لا يبقى فلاقاته ممتنعة فالمراد جزاء كدحك من خير او شر وقال الرازي المراد ملاقاة الكتاب
الذي فيه بيان تلك الاعمال ويؤكده هذا قوله تعالى بعده (فاما من أوتي كتابه) أي كتاب عمله
الذي كتبته الملائكة (بيمينه) أي من امامه وهو المؤمن المطيع (فسوف يحاسب) أي يقع
حسابه بوعد لا خلف فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء والقهر (حسابا يسيرا)
هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك وفي رواية من
حوسب عذب قالت عائشة أليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك
العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وانما حوسب حسابا سهلا لانه كان يحاسب نفسه
فلا تقع له المخالفة الا ذهولا فلاجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها
(وينقلب) أي يرجع بنفسه من غير مزعج برغبة وقبول (الى أهله) أي الذين أهلهم في الجنة
من الحور العين والآدميات والذريات اذا كانوا مؤمنين (مسرورا) أي قد أوتي جنة وحريرا
فانه كان في الدنيا في أهله مشفقا من العرض على الله يحاسب نفسه حسابا عسيرا مع ما هو فيه
من نكد الاهل وضيق العيش (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) وهو الكافر تغل يمناه الى
عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (فسوف يدعو) أي بوعد لا خلف في وقوعه
(ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا (ويصلى سعيرا)
أي يدخل النار الشديدة وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام
والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش
بالفتح وبين اللفظين واذا فخم ورش غلظ اللام واذا أمال رقق والباقون بالفتح (انه كان) أي بما
هو له كالجبلة (في أهله) أي عشيرته في الدنيا (مسرورا) قال القفال أي منعما مستريحا من
التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من الصلاة والجهاد مقدما على المعاصي
آمنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى ولا يرجوه فابدله الله تعالى بذلك
السرور غما باقيا لا ينقطع وقيل ان قوله تعالى انه كان في أهله مسرورا كقوله تعالى
واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين أي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم عليه من الكفر
بالله تعالى والتكذيب بالبعث يضحكون ممن آمن بالله تعالى وصدق بالحساب كما قال صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (انه ظن) أي لضعف نظره (أن) مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لن يحور) أي لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال
لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

الزيادة بالمكيال امكن لهم وأهون عليهم منه بالميزان واذا اعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيهما (قوله وما أدراك ما سجين) كتاب مرقوم وما أدراك

وعن

وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لابنة لها حورى أى ارجعى وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (ان ربه) أى الذى ابتدأ انشاءه ورباه (كان) اى أزلا وابدا (به بصيرا) اى من يوم خلقه الى يوم بعثه أو باعماله لا يخفى عليه شئ منها وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه فى ام الكتاب من الشقاوة * واختلفوا فى الشفق فى قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقى من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وقال قوم هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة * (تنبيه) * سمى بذلك لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة فى القلب عليه واللام فى لا أقسم مزيدة تأكيدا (والليل) أى الذى يغلبه ويذهبه (وما وسق) أى ما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا * ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها (والقمر) اى الذى هو آيته (اذا اتسق) اى اذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق * (تنبيه) * قد اختلف العلماء فى القسم بهذه الاشياء هل هو قسم بها أو بخالقها فذهب المتكلمون الى أن القسم واقع بربها وان كان محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بان يقسم بغير الله تعالى او بصفة من صفاته وقد مر ان ذلك يكره فى حق الانسان فان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم (لتركبن) اى ايها الناس اصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالى الامثال والواو لالتقاء الساكنين وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء الموحدة على خطاب الانسان والباقون بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الانسان اذ المراد به الجنس اى لتركبن أيها الانسان (طبقا) مجاوزا (عن طبق) اى حالا بعد حال قال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن ابن عباس الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا وقال أبو عبيدة لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله تعالى (فما لهم) اى الكفار (لا يؤمنون) استفهام انكار أى أى مانع لهم من الايمان او اى حجة لهم فى تركه بعد وجود براهينه (و) ما لهم (اذا قرئ) اى من اى قارئ قراءة مشروعة (عليهم القرآن) اى الجامع لكل ما ينفعهم فى دنياهم واخراهم الفارق بين كل ملتبس (لا يسجدون) اى لا يخضعون بان يؤمنوا به لاعجازه ا ولا يصلون قاله مقاتل او لا يسجدون لتلاوته لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب فسجد ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق رؤسهم فنزلت وعن أبى هريرة انه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت وعن نافع قال صليت مع أبى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابى القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى ألقاه وليس فى ذلك دلالة على وجوبها فهى مندوبة وعن الحسن هى واجبة واحتج ابو حنيفة على وجوب السجود بأنه تعالى ذم من سمعه ولم يسجد وعن ابن

ما علمون كتاب مرقوم) * ان قلت كيف فسر سجينا وعليين بكتاب مرقوم مع ان سجينا اسم للارض السابعة وعليين اسم لاعلى الجنة اولا على الامكنة

قوله فان الله تعالى يقسم الخ هذا التعليل لمقابل القول الذى ذكره قبله تأمل اهـ

عباس ليس في المفصل سجدة وماروى عن أبي هريرة يخالفه وعن أنس صليت خلف ابي بكر
وعمر وعثمان فسجدوا (بل الذين كفروا يكذبون) اى بالقرآن والبعث (والله اعلم بما يوعون)
اى بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون
في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب وقوله
تعالى (فبشرهم بعذاب اليم) اى مؤلم استهزاء بهم اوان البشارة بمعنى الاخبار اى اخبرهم
وقوله تعالى (الا) استثناء منقطع اى لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تحقيقا لايمانهم
(لهم اجر غير ممنون) اى غير مقطوع ولا منقوص ولا يمنون به عليهم وقول البيضاوى تبعا
للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ اذا السماء انشقت اعاذه الله تعالى أن
يعطيه كتابه وراء ظهره حديث موضوع

سورة البروج مكية

وهي اثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا

(بسم الله) الذى أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذى عم جوده سائر المخلوقات (الرحيم)
الذى خص اهل السعادة بالجنات وقوله تعالى (والسماء) اى العالية غاية العلو المحكمة غاية
الاحكام (ذات البروج) قسم اقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على ذلك مرارا وفي البروج
أقوال فقال مجاهد هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وقال الحسن
هي النجوم وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء وقوله تعالى (واليوم الموعود) قسم آخر وهو يوم
القيامة قال ابن عباس وعد أهل السماء واهل الارض ان يجتمعوا فيه واختلفوا في قوله
سبحانه وتعالى (وشاهد ومشهود) فقال ابو هريرة وابن عباس الشاهد يوم الجمعة والمشهود
يوم عرفة وروى مرفوعا اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم
الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على عامله بما عمل فيه
قال القرطبي وكذا سائر الايام والليالي لما روى أبو نعيم الحافظ عن معاوية ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على العبد الا ينادى فيه يا ابن آدم انا خلق جديد
وأنا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل فيّ خيرا أشهد لك به غدا فاني اذا مضيت لم ترني ابدا ويقول
الليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن عمر أن الشاهد يوم الاضحى وقال ابن
المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى عن علي الشاهد يوم عرفة والمشهود
يوم النحر وقال مقاتل أعضاء الانسان هي الشاهد لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم
الآية وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا الآية وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا وقيل آدم وقيل الحفظة الشاهد والمشهود اولاد آدم وقيل غير ذلك وكل ذلك

أو السماء السابعة أو السدرة المنتهى (ذات) كتاب مرقوم وصف معنوى لكتاب الفجار ولكتاب الابرار لا تفسير لسجين وعليين والتقدير وهو كتاب مرقوم

صحيح

صحيح * واختلف في جواب القسم فقال الجلال المحلى جواب القسم محذوف صدره أى لقد (قتل) أى لعن (أصحاب الاخدود) وقال الزمخشرى محذوف ويدل عليه قوله قتل أصحاب الاخدود وكأنه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم واستظهر هذا البيضاوى والاخدود هو الشق المستطيل فى الارض كالنهر وجمعه اخاديد واختلف فيهم فعن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من عند الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى تمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى انت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال هذا لك أجمع ان أنت شفيتنى فقال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله فان آمنت به دعوت الله تعالى فشفاك فآمن بالله فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربى قال ولك رب غيرى قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل قال انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ففعل به كالراهب ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من اصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فاصعدوا به فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت السفينة بهم فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ووضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم

(سورة الانشقاق)

(قوله اذا السماء انشقت) جوابه اذا جملة شرطية محذوف تقديره علمت نفس ما احضرت او علمت نفس ما قدمت وأخرت او بعثتم اولاقى كل انسان كدحه او مذكور وهو ياأيها

في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب
الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس
فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها
أو قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي
يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت قال البغوي هذا حديث صحيح وقيل إن الصبي قال
لها قعي ولا تقاعسي وقيل ما هي إلا غميضة فصبرت وذكر محمد بن إسحق عن وهب بن منبه أن
رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع في نجران فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي
بجنود من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخد الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفا في
الأخاديد وقيل سبعين ألفا ثم غلب أرياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه
فغرق قال الكلبي وذو نواس قتل عبد الله بن التامر رضي الله عنه وقال محمد بن إسحق عن
عبد الله بن أبي بكر أن خربة احتفرت في زمن عمر فوجد عبد الله بن التامر واضعا يده على
ضربة في رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دما وإذا تركت ارتدت مكانها وفي يده خاتم من
حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه * وعن ابن عباس
قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل أن يولد
النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه
سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم
وكان في طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب إلى
أن قال الغلام للملك إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول قال فكيف أقتلك قال تجمع
أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم على اسم إلهي ففعل الملك فقتله فقال الناس
لا إله إلا إله عبد الله بن تامر لا دين إلا دينه فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه
السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فمن رجع عن الإسلام تركه ومن قال
ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الأخدود وأحرقه وكان في مملكته امرأة فأسلمت فيمن
أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك
في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي فأبت فأخذوا الصبي منها
ليلقوه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي يا أماه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على
الحق ولا بأس عليك فألقي الصبي في النار وألقيت أمه على أثره * وعن علي أنهم حين اختلفوا
في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم
فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج
أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله تعالى أحل لكم نكاح الأخوات ثم تخطبهم
بعد ذلك أن الله تعالى حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فأمرت
بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب
الأخدود وعن مقاتل كانت الأخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى
بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو أنطانيموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر وأما

لانسان بتقدير ألقاه أو بتقدير
يقال أو هو فلا تقعيه أي
فإنك ملاقيه أو هو فلما من
وفي كتابه إلى آخره والعامل
فيها بكل تقدير جوابها وإن
جعلت غير شرطية فهي
منصوبة باذكر مقدرا أو
مرفوعة مبتدأ خبرها إذا

التي بارض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل أجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستاجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه فرآه فسأله فلم يخبره فلم تزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخد لهم في الارض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى ان يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه اني ارى امامك نارا لا تطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعا انفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون انسانا فذلك قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود وقوله تعالى (النار) بدل اشتمال من الاخدود وقوله تعالى (ذات الوقود) وصف لها بانها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس واللام في الوقود للجنس وقوله تعالى (اذهم عليها قعود) ظرف لقتل اى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا المكان الذي يدنو منه فكانوا يقعدون حولها على الكراسي وقال القرطبي عليها (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم (شهود) أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما أمر به أو شهود بمعنى حضور راء روى ان الله تعالى أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى القاعدين فاحرقتهم قال الرازي يمكن أن يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين والمشهور أن المقتولين هم المؤمنون وروى ان المقتولين هم الجبابرة روى انهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدي وتاولوا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم أي في الآخرة ولهم عذاب الحريق أي في الدنيا فان فسر أصحاب الاخدود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وان فسر بالمقتولين كان المعنى ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبر الادعاء والمقصود من هذه الآية تثبيت قلوب المؤمنين واخبارهم بما كان يلقاه من قبلهم من الشدائد وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ليتاسوا بهذا الغلام في صبره على الاذى والصلب وبذل نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى (وما نقموا) أي وما انكروا وكرهوا (منهم) من الخلال وكان ذنبا ونقصا (الا ان يؤمنوا) أي يجددوا الايمان مستمرين عليه (بالله) أي الذي له الكمال كله (العزيز) في ملكه الذي يغلب من أراد ولا يغلبه شيء (الحميد) أي المحيط بجميع صفات الكمال فهو

الثانية بزيادة الواو اى وقت انشقاق السماء وقت امتداد الارض (قوله وأذنت لربها وحقت) ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثاني بالارض ومعنى اذنت سمعت واطاعت وحق لها

قوله وقال القرطبي عليها كذا في جميع النسخ وفيه سقط فراجعه

يثيب من أطاعه أعظم ثواب و ينتقم من عصاه بأشد العذاب وهذا استثناء على طريقة قول القائل

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول (أى كسر فى حدهن) من قراع الكتائب

أى من ضرابها والكتائب بالتاء المثناة جمع كتيبة وهى الجيش وقال ابن الرقيات

ماتقموا من بنى أمية الا أنهم يحلون ان غضبوا

ونظيره قوله تعالى هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله * ولما ذكر تعالى الاوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به و يعبد وهو كونه تعالى عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب الحمد على نعمه و يرجى ثوابه قرر ذلك بقوله تعالى (الذى له) اى خاصة (ملك السموات والارض) أى على جهة العموم مطلقا فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل منهمك فى الغى وان الناقمين أهل لانتقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله) الملك الاعظم الذى له الاحاطة الكاملة (على كل شئ شهيد) فلا يغيب عنه شئ وهذا الان الله علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه * ولما ذكر قصة أصحاب الاخدود أتبعها ما يتفرع من أحكام الثواب والعقاب فقال تعالى (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى أحرقوهم بالنار يقال فتنت الشئ اذا أحرقته والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار اذا أدخله الكور لينظر جودته ونظيره يوم هم على النار يفتنون قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال وهذا أولى لان اللفظ عام والحكم عام والتخصيص ترك للظاهر من غير دليل * ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه بأداة التراخى فقال تعالى (ثم لم يتوبوا) أى عن كفرهم وعما فعلوا (فلهم عذاب جهنم) أى بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أى عذاب احراقهم المؤمنين فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم ومفهوم الآية أنهم لو تابوا لخرجوا من هذا الوعيد وذلك يدل على ان الله تعالى يقبل التوبة من القاتل المتعمد خلاف ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما * ولما ذكر سبحانه وعيد المجرمين ذكر ما أعد للمؤمنين بقوله تعالى (ان الذين امنوا) اى اقروا بالايمان من المقذوفين فى النار وغيرهم من كل طائفة فى كل زمان (وعملوا الصالحات) تحقيقا لايمانهم (لهم جنات) أى بساتين تفضلا منه تعالى (تجرى من تحتها) أى تحت غرفها وأسرتها وجميع أماكنها (الانهار) يتلذذون ببردها فى نظير ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا و يزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والاحزان (ذلك) أى الامر العالى الدرجة العظيم البركة (الفوز) أى الظفر بجميع المطالب (الكبير) وهو رضا الله تعالى لا دخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لان ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول الجنان وتلك اشارة الى الجنة الواحدة واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا (ان بطش ربك) أى أخذ المحسن اليك المربى لك المدبر لامرك الجبابرة والظلمة (لشديد) كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم والبطش هو الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف * ولما كان هذا البطش لا يتأتى الا لكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه

بذلك

(قوله بل ان تسمع وتطيع (قوله بل الذين كفروا يكذبون) قاله هنا بلفظ يكذبون وفى البروج بلفظ فى تكذيب رعاية للفواصل فيهما

* (سورة البروج) *

(قوله وشاهد ومشهود) الشاهد يوم الجمعة

بذلك بقوله تعالى مؤكدا لما له من الانكار (انه هو) اى وحده (يبدئ) اى يوجد ابتداء
اى خلق اراد الى اى هيئة اراد (ويعيد) اى ذلك المخلوق عند البعث وروى عكرمة قال
عجب الكفار من احياء الله تعالى الاموات اى فنزلت وقال ابن عباس رضى الله عنهما يبدئ
لهم عذاب الحريق فى الدنيا ثم يعيده عليهم فى الآخرة وهذا اختيار الطبرى وقيل يبدئ
البطش ويعيده فيبطش بهم فى الدنيا والآخرة او دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة
بطشه او أوعد الكفرة بان يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا
بالاعادة (وهو) اى وحده (الغفور) اى الستور لعباده المؤمنين وقرأ قالون وابو عمرو
والكسائى بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى (الودود) مبالغة فى الود قال ابن
عباس رضى الله عنهما هو المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذى لا ولد له وانشد

وأركب فى الروع عريانة * ذلول الجماع لقاحا ودودا

اى لا ولد لها تحن اليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كالركوب والحلوب بمعنى المركوب
والمحلوب وقيل يغفر ويود أن يغفر (ذو العرش) اى خالقه ومالكه اى ذو الملك والسلطان
كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على سرير ويقال ثل عرشه اى ذهب سلطانه
او السرير الدال على اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير والسيادة والسياسة الذى به
قوام الامور وقرأ (المجيد) حمزة والكسائى بجر الدال على انه نعت العرش او لربك فى قوله
تعالى ان بطش ربك قال مكى وقيل لا يجوز ان يكون نعتا للعرش لانه من صفات الله تعالى اه
وهذا ممنوع لان مجد العرش علوه وعظمه كما قاله الزمخشرى وقد وصف العرش بالكريم فى
آخر المؤمنين وقرأ الباقون برفع الدال على انه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو واستدل
بعضهم على تعدد الخبر بهذه الآية ومن منع قال لانها فى معنى خبر واحد اى جامع بين هذه
الاوصاف الشريفة او كل منها خبر لمبتدأ مضمر والمجد هو النهاية فى الكرم والفضل والله
سبحانه موصوف بذلك وتقدم وصف عرشه بذلك (فعال) اى على سبيل التكرار والمبالغة
(لما يريد) قال القفال اى يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه احد ولا يغلبه غالب فيدخل
اولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على
ما يشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل ما يريده وعن ابى السفر
دخل ناس من الصحابة على ابى بكر الصديق رضى الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب
قال قد رآنى قالوا فما ذا قال لك قال قال انى فعال لما اريد وقال الزمخشرى فعال خبر مبتدا
محذوف وانما قال فعال لان ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة وقال الطبرى رفع فعال وهو نكرة
محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور الودود *(تنبيه)* دلت هذه الآية أن جميع افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم ودلت على ان الله تعالى لا يجب عليه شئ لانها دالة على أنه
يفعل ما يريد (هل) اى قد (أتاك) اى يا اشرف الرسل (حديث) اى خبر (الجنود) اى
الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم وقوله تعالى (فرعون وثمود) يجوز أن يكون بدلا من
الجنود واستشكل كونه بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل منه فى الجمعية وأجيب بانه على حذف
مضاف اى جنود فرعون وان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكرهم لانهم اتباعه

والمشهود يوم عرفة وتنكيرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الايام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس وهذا جواب ايضا عما يقال لم خصهما بالذكر

ويجوز ان يكون منصوبا باضمار أعنى لانه لما لم يطابق ما قبله وجب قطعه والمعنى انك قد عرفت ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا بكفرهم فقومك ان لم يؤمنوا بك فعل بهم كما فعل بهؤلاء فاصبر كما صبر الانبياء قبلك على أممهم (بل الذين كفروا) اى من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك (فى تكذيب) لك لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود فى بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم وكان من المتأخرين فى الهلاك فدل بهما على أمثالهما وقوله تعالى (والله) اى والحال ان الملك الذى له الكمال كله (من ورائهم محيط) وفيه وجوه أحدها أن المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم فى قبضته وحصره كالمحاط اذا أحيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله تعالى فهم كذا فى قبضتى وأنا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتونى اذا أردت الانتقام منهم ثانيها ان يكون المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم فهو عبارة عن مشارفة الهلاك ثالثها انه تعالى محيط بأعمالهم اى عالم بها فيجازيهم عليها (بل هو) اى هذا القرآن الذى كذبوا به وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (قرآن) اى جامع لكل منفعة جليلة بالغ الذروة العليا فى كل شرف (مجيد) اى شريف وحيد فى اللفظ والمعنى وليس كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح) هو فى الهواء فوق السماء السابعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك وقرأ (محفوظ) بالرفع نافع على انه نعت القرآن والباقون بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال البغوى وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظ من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات حديث موضوع

سورة الطارق مكية

وهى سبع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وسبعون حرفا

(بسم الله) مالك الخلق أجمعين (الرحمن) الذى عم جوده المؤمنين والكافرين (الرحيم) الذى خص رحمته بعباده المؤمنين وقوله تعالى (والسماء والطارق) قسم أقسم الله تعالى به وقد أكثر الله تعالى فى كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لان أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولا ثم عظم القسم به بقوله تعالى (وما أدراك) اى أعلمك يا أشرف خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت فى الفحص

دون بقية الايام والعالم يعرفها لام العهد لان التنكير ادل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والهكم اله واحد (قوله قتل أصحاب الاخدود) هو جواب القسم بحذف اللام او بحذفها مع قد ان جعل

عنه (ما الطارق) وهذا مبتدأ وخبر فى محل المفعول الثانى لأدرى وما بعد ما الاولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق وأصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وشعبة وابن ذكوان بخلاف عنه بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح ثم فسر الطارق بقوله تعالى (النجم الثاقب) اى المضىء لثقبه الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درى لانه يدرؤه اى يدفعه والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التى يرجم بها وقال محمد بن الحسين هو زحل وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو الجدى وقال على هو نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يرجع وفى الصحاح الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح قال الماوردى واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وسمى النجم طارقا لانه يطرق الجنى اى يقتله روى أن أبا طالب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأت الارض نورا ففزع أبو طالب وقال اى شىء هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وانه آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فنزلت السورة وقال مجاهد الثاقب المتوهج وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس) اى من الانفس مطلقا لاسيما نفوس الناس (لما عليها) اى بخصوصها (حافظ) وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيفها تكون مزيدة وان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى انه واللام فارقة وعلى تشديدها فان نافية ولما بمعنى الا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله تعالى وكان الله على كل شىء رقيبا وكان الله على كل شىء مقيتا أو ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر وروى الزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب أحدكم عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ولما ذكر تعالى أن على كل نفس حافظا اتبعه بوصية الانسان بالنظر فى حاله فقال تعالى (فلينظر الانسان) اى الآنس بنفسه الناظر فى عطفه نظر اعتبار فى أمره ونشأته الاولى حتى يعلم ان من أنشأه قادر على اعادته فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته وقوله تعالى (مم خلق) استفهام اى من اى شىء وجوابه (خلق) اى الانسان على أيسر وجه وأسهله بعد خلق أبيه آدم عليه السلام من تراب وأمه حواء رضى الله تعالى عنها من ضلعه (من ماء دافق) اى مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيشة راضية اودافق على النسب اى ذى دفق او اندفاق وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا لان بعضه يدفق بعضا اى يدفعه فمنه دافق ومنه مدفوق والدفق الصب اى مصبوب فى الرحم ولم يقل تعالى من ماءين فانه من ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما لامتزاجهما فى الرحم فصارا كالماء الواحد واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب) اى للرجل وهو عظام الظهر (والترائب) اى للمرأة جمع تريبة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وعن عكرمة الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقى وقيل أضلاع الرجل التى أسفل الصدر وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من

خبرا فان جعل دعاء فجواب القسم ان الذين فتنوا او ان بطش ربك لشديد او محذوف اى لتبعثن

* (سورة الطارق) *

(قوله ان كل نفس لما عليها حافظ) هو جواب القسم وان مخففة من الثقيلة

بسرة الصدر وقال ابن عادل جاء فى الحديث ان الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المرأة يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبى أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع فى الانثيين وهذا لا يعارضه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع فى الانثيين قال المهدوى ومن جعل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان والضمير فى قوله تعالى (انه) للخالق المدلول عليه بخلق لانه معلوم أن لا خالق سواه سبحانه وتعالى وفى الضمير فى قوله تعالى (على رجعه) وجهان أحدهما انه ضمير الانسان اى بعثه بعد موته (لقادر) وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثانى انه ضمير الماء اى رجع المنى فى الاحليل او الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحاك أن المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردى يحتمل انه قادر على أن يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الآخرة لان الكفار يسألون فيها الرجعة وقوله تعالى (يوم) منصوب برجعه ومن يجعل الضمير فى رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل وحاله الاولى نصب الظرف بمضمر اى واذكر يوم (تبلى) تختبر وتكشف (السرائر) اى ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما فى والسماء والطارق وقال عطاء بن رباح ان السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها وقال ابن عمر يبدى الله تعالى كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى فمن اداها كان وجهه مشرقا ومن لم يؤدها كان وجهه اغبر (فما له) اى لهذا الانسان المنكر للبعث الذى أخرجت سرائره وأغرق فى النفى والتعميم فقال تعالى (من قوة) اى منعة فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) اى ينصره من عذاب الله تعالى فيدفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما آخر فقال تعالى (والسماء) اى التى تقدم الاقسام بها اوصفها بما يؤكد العلم بالبعث فقال تعالى (ذات الرجع) اى التى ترجع بالدوران الى الموضع الذى تتحرك عنه فترجع الاحوال التى كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول من الشتاء وما فيها من برد ومطر والصيف وما فيه من حر وصفاء وسكون وغير ذلك وقيل ذات الدفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها باعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم ترجعه الى الارض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب (والارض) اى مسكنكم الذى أنتم ملابسوه ومعاينوه كل وقت (ذات الصدع) اى تنصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم شققنا الارض شقا الآية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فتنصدع به فكأنه قال تعالى والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات الطرق التى تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه

يصدعها

(واسمها ضمير الشأن محذوف واللام فارقة وما مزيدة او ان نافية ولما بالتشديد بمعنى الا (قوله فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) كررتاكيدا وخولف بين اللفظين طلبا للخفة

يصدعها وقيل ذات الاموات لاصداعهم عنها للنشور قال الرازي واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات فقوله تعالى والسماء ذات الرجع كالاب وقوله تعالى والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء مكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك ثم أردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى (انه لقول فصل) وفي هذا الضمير قولان أحدهما ما قاله القفال وهو أن المعنى ان ما أخبرتكم به من قدرتي على احيائكم يوم تبلى السرائر قول فصل وحق والثاني انه عائد على القرآن اى القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان قال الرازي والاول اولى لان عود الضمير الى المذكور السالف اولى انتهى وأكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع للشر والنزاع معناه جد لقوله تعالى (وماهو) اى في باطنه ولا ظاهره (بالهزل) اى باللعب والباطل بل هو جد كله لاهوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل او يتفكه بمزاح وأن يلقي ذهنه الى أن جبار السموات والارض يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فادنى أمره ان يكون جادا غير هازل فقد نعى الله تعالى عن المشركين ذلك في قوله تعالى وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والفوائد فيه هذا على عود الضمير للقرآن وعلى جعله للاول فيكون الشخص خائفا وجلا من ذلك الذي تبلى فيه السرائر (انهم) اى الكفار أعداء الله تعالى (يكيدون كيدا) اى يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكرا واختلف في ذلك الكيد فقيل القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم أجعل الآلهة الها واحدا وما أشبه ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وأما قوله تعالى (وأكيد) اى أنا بالمقام اقتداري (كيدا) فاختلف فيه أيضا فقيل معناه اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما أوقع الله تعالى بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل كيد الله تعالى لهم بنصره واعلاء درجته تسمية لاحد المتقابلين باسم الآخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم * ولما كان هذا معلما بانهم عدم لا اعتبار بهم قال تعالى مسببا عنه تهديدا لهم (فمهل الكافرين) اى فهل يا أشرف الخلق هؤلاء البعداء ولا تستعجل بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم باهلاكهم فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غير وقته الاليق به نقص وقوله تعالى (أمهلهم) تأكيد حسنه مخالفة اللفظ اى أنظرهم (رويدا) اى قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو ارواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الامهال بالامر بالجهاد والقتال وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات حديث موضوع

(سورة الاعلى)

(قوله ان نفعت الذكرى) ذكره مع انه صلى الله عليه وسلم مأمور بالتذكير وان لم تنفع الذكرى لان معنى ان اذ كما في قوله وانتم

سورة الاعلى مكية

في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وهي تسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثمانون حرفا

(بسم الله) عالم الغيب فلا تخفى عليه خافية (الرحمن) الذي عم بجوده كل انس وجن وملك ودابة (الرحيم) الذي خص أولياءه بمرضاتهم احسانه * واختلف في قوله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك) فالاكثرون على ان المعنى نزه ربك المحسن اليك بعد ايجادك على صفة الكمال عما لا يليق به فاسم زائد كقول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * وقيل عظم ربك (الاعلى) والاسم زائد كما مر قصد به تعظيم المسمى وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك الاعلى عن ان تسمي به احدا سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه أن لا تذكره الا وأنت خاشع معظم لذكره وقال الرازي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي نزهه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه أما في ذاته فان تعتقد أنها ليست من الجواهر والاعراض وأما في صفاته فان تعتقد أنها ليست محدثة ولا ناقصة ولا متناهية وأما في أفعاله فان تعتقد أنه سبحانه مالك مطلق لا اعتراض لاحد عليه في أمر من الامور وأما في اسمائه فان لا تذكره سبحانه الا بالاسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء ورد الاذن فيها أم لم يرد وأما في أحكامه سبحانه فان تعلم أنه ما كلفنا لنفع يعود اليه بل لمحض المالكية قال البغوي ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا لان أحدا لا يقول سبحان اسم الله وسبحان اسم ربنا انما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك اه وكون الاسم عين المسمى أو غيره قد ذكرتها في مقدمتي على البسملة والحمدلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبح اي صل بامر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين على ان المراد قل سبحان ربي الاعلى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى وعن عقبة ابن عامر انه لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروى ان أول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل * ولما أمر تعالى بالتسبيح فكأن سائلا قال الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد المعرفة فما الدليل على وجود الرب تعالى فقال تعالى (الذي خلق) اي اوجد من العدم فله صفة الايجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شئ (فسوى) اي مخلوقه وقال الرازي يحتمل ان يريد الناس خاصة ويحتمل ان يريد الحيوان ويحتمل ان يريد كل شئ خلقه الله تعالى فمن حمله على الانسان ذكر للتسوية وجوها أحدها اعتدال قامته وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وأثنى على نفسه بسبب خلقه اياه بقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ثانيها كل حيوان مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط وأما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه أن يأتي بجميع الاعمال بواسطة الآلات ثالثها انه تعالى هيأه للتكليف والقيام باداء العبادات وقال بعضهم خلق في أصلاب الآباء

الاعلون ان كنتم مؤمنين او التقدير ان نفعت الذكرى اولم تنفع كما في قوله سرابيل تقيكم الحر (قوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى) * ان قلت كيف قال ذلك

وسوى في أرحام الامهات ومن حمله على جميع الحيوانات فمعناه انه اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من الآلات والاعضاء ومن حمله على جميع المخلوقات كان المراد من التسوية هو انه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما أراده على وفق ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرأ عن النقص والاضطراب وقرأ (والذى قدر) الكسائي بتخفيف الدال والباقون بالتشديد قال البغوى وهما بمعنى واحد اى اوقع تقديره فى أجناس الاشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وغير ذلك من أحوالها فجعل البطش لليد والمشى للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك (فهدى) قال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها وقال مقاتل والكلبي فى قوله تعالى فهدى عرف خلقه كيف يأتى الذكر الانثى كما قال تعالى فى سورة طه أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى الذكر للانثى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل قدر أقواتهم وأرزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا ناسا ولمراعيهم ان كانوا وحوشا وقال السدى قدر مدة الجنين فى الرحم ثم هداه الى الخروج من الرحم ومن ذلك هدايات الانسان الى مصالحه من أغذيته وأدويته وأمور دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض الى معايشها ومصالحها يقال ان الافعى اذا أتى عليها الف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدى اى دلهم بافعاله على توحيده وكونه عالما قادرا والاستدلال بالخلق والهداية معتمد الانبياء قال ابراهيم عليه السلام الذى خلقنى فهو يهدين وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى * ولما ذكر سبحانه ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى (والذى أخرج المرعى) اى انبت ما ترعاه الدواب وقال ابن عباس رضى الله عنهما المرعى الكلأ الاخضر (فجعله) اى بعد أطوار من زمن اخراجه بعد خضرته (غثاء) اى جافا هشيما (أحوى) اى أسود يابسا قال الزمخشرى ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى اى أخرجه أحوى اى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حويه وقال ابن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها وقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) بشارة من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باعطاء آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه فهو نفى أخبر الله تعالى أن نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله تعالى السبيلا اى فلا تغفله كراهة وتكريره فلا ينساه ومنعه مكى لانه لا ينهى عما ليس باختياره (وأجيب) بان هذا غير لازم اذ المعنى النهى عن تعاطى أسباب النسيان وهو شائع قال الرازى وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول انه كان رجلا أميا فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا تكرار خارق للعادة فيكون معجزا الثانى ان هذه السورة من اول ما نزل بمكة فهذا اخبار عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع فى المستقبل وقد وقع فكان هذا اخبارا عن الغيب فيكون معجزا

مع ان الحيوان لا يخلو من الاتصاف باحدهما (فات) معناه لا يموت موتا يستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف

وفي المشيئة في قوله تعالى (الا ما شاء الله) اي الملك الذي له الامر كله وجوه أحدها التبرك بهذه الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فكأنه تعالى يقول اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا أخبر بوقوع شيء في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وأمتك يا أشرف الخلق اولى بها ثانيها قال الفراء انه تعالى ما شاء أن ينسى محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو أراد أن يصيره ناسيا لذلك لقدر عليه كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم انا نقطع انه تعالى ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما أشرك البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله تعالى واحسانه لا من قوته ثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز صلى الله عليه وسلم في كل ما ينزل عليه من الوحي أن يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ في التثبت والتحفظ في جميع المواضع فكان المقصود من ذكر الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال رابعها أن ينساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام خوف النسيان فكأنه قيل له لا تعجل بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك بالجهر بها (انه) اي الذي مهما شاء كان (يعلم الجهر) اي القول والفعل (وما يخفى) اي منهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما في قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاءها وقيل الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يخفى ما نسخ من صدرك وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) عطف على سنقرئك فهو داخل في حيز التنفيس وما بينهما من الجملة اعتراض قال الضحاك واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي الحنيفية السهلة وقال ابن مسعود اليسرى الجنة أي نيسرك الى العمل المؤدي الى الجنة وقيل اليسرى الطريقة اليسرى وهي اعمال الخير والامر في قوله تعالى (فذكر) للنبي صلى الله عليه وسلم اي فذكر بالقرآن (ان نفعت الذكرى) اي الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكرهم ومنه قول القائل

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

ولانه صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جهدا في تذكيرهم وحرصا عليه فقيل ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل بعده شيء محذوف تقديره ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد قاله الفراء والنحاس وقيل ان بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى باقية بكل حال * ثم بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله سبحانه (سيذكر) أي بوعد لا خلف فيه (من يخشى) اي يخاف الله تعالى فهي كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم وقال ابن عباس نزلت في ابن أم مكتوم وقيل في عثمان بن عفان قال الماوردي وقد يتذكر من يرجوه الا أن تذكر الخاشع أبلغ فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وقال القشيري

عنهم من عذابها وقيل معناه تصعد نفسه الى الحلقوم ثم لا تفارقه فيموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فيحيا وثم للتراخي بين الرتب في الشدة

المعنى عم أنت بالتذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء (فان قيل) التذكير انما يكون بشئ قد علم وهؤلاء لم يزالوا كفارا معاندين (أجيب) بان ذلك لظهوره وقوة دليله كأنه معلوم لكنه يزول بسبب التقليد والفساد *(تنبيه)* السين في قوله تعالى سيذكر يحتمل أن تكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى ويحتمل أن يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكروان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر * ولما بين تعالى من ينتفع بالذكرى بين من لا ينتفع بها بقوله تعالى (ويتجنبها) أي الذكرى أي يتركها جانبا الا يلتفت اليها (الاشقى الذي يصلى النار) وهو الكافر (فان قيل) الاشقى يستدعي وجود شقي فكيف قال هذا القسم (أجيب) بان لفظ الاشقى من غير مشاركة كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقوله تعالى وهو أهون عليه وقال الرازي الفرق ثلاثة العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقاوة والاشقى هو المعاند وقال الزمخشري الاشقى هو الكافر لانه أشقى من الفاسق أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى (الكبرى) أي العظمى على وجوه أحدها قال الحسن هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان في الآخرة نيرانا ودركات متفاضلة فكما ان الكافر أشقى العصاة فكذلك يصلى اعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (فان قيل) قوله تعالى (ثم لا يموت فيها ولا يحيى) يقتضي ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وهذا جاء على مذهب العرب يقولون للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت ثانيهما ان نفس أحدهم في النار في حلقه لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيا *(تنبيه)* قوله تعالى ثم للتراخي بين الرتب في الشدة * ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض عن النظر في دلائل الله تعالى أتبعه بالوعد لضده فقال تعالى (قد أفلح) أي فاز بكل مراد (من تزكى) أي تطهر من الكفر بالايمان لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من تزكى أي شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أني رسول الله وقيل تطهر للصلاة أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) أي بقلبه ولسانه مكبرا (فصلى) أي الصلوات الخمس قال الزمخشري وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وقال قتادة تزكى عمل صالحا وعن عطاء نزلت في صدقة الفطر قال ابن سيرين قد أفلح من تزكى قال خرج فصلى بعد ما أدى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد قال بعضهم لا أدري ما وجه هذا التأويل فان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر وأجاب البغوي بانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وأنت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم أحلت لي ساعة من نهار وقيل المراد زكاة الاعمال لا زكاة الاموال أي يزكي أعماله من الرياء والتقصير وروي عن عطاء أنه قال ان

(سورة الغاشية)

(قوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة) قال ذلك هنا وقال بعده وجوه يومئذ ناعمة وليس بتكرار لان الاول في الكفار والثاني

هذه الآية نزلت فى عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافق له نخلة مائلة الى دار رجل من الانصار اذا هبت الريح تساقط منها بسر ورطب فى دار الانصارى فيأكل هو وعياله من ذلك فخاصمه المنافق فذكر الانصارى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فارسل خلف المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان أخاك الانصارى ذكر ان بسرك ورطبك يقع فى منزله فيأكل هو وعياله منه فهل لك ان أعطيك نخلة فى الجنة بدلها قال أبيع عاجلا بآجل لا أفعل فذكروا ان عثمان قد أعطاه حائطا من نخل بدل نخلته يقول فيه قد أفلح من تزكى وفى المنافق ويتجنبها الاشقى وقال الضحاك نزلت فى أبى بكر وقرأ (بل يؤثرون الحيوة الدنيا) أبو عمرو بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون الاشقون وعلى القراءة الثانية بل تؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الدنيا الدنية بالعز الحاضر مع انه نثر وفانية اشتغالا بما لاجل حضورها كالحيوانات التى هى مقيدة بالمحسوسات على الاستكثار من الثواب (والآخرة) أى والحال ان الدار التى هى غاية القصد المبرأة عن العيب المنزهة عن الخروج عن الحكمة (خير) أى من الدنيا (وأبقى) لانها تشتمل على السعادة الجسمانية والروحانية والدنيا ليست كذلك فالآخرة خير من الدنيا ولان الدنيا لذاتها المخلوطة بالآلام والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وعن عمر ما الدنيا فى الآخرة الا كنفجة أرنب وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية فقال أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل والاشارة فى قوله تعالى (ان هذا لفى الصحف الاولى) الى قوله قد أفلح من تزكى الى قوله خير وأبقى أى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف وقيل الى ما فى السورة كلها وهو رواية عكرمة عن ابن عباس وقال الضحاك ان هذا القرآن لفى الصحف الاولى ولم يرد ان هذه الالفاظ بعينها فى تلك الصحف وانما معناه ان معنى هذا الكلام فى تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهى المنزلة قبل القرآن بقوله تعالى (صحف ابراهيم) وقدمه لان صحفه أقرب الى الوعظ كما نطق به حديث ابى ذر (وموسى) وختم به لان الغالب على كتابه الاحكام والمواعظ فيه قليلة ومنها الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف أوامر التوراة التى اعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وروى عن ابى بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله تعالى من كتاب فقال مائة واربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وقرأ الاعلى فسوى فهدى المرعى احوى فلا تنسى وما يخفى من يخشى الاشقى ولا يحيى من تزكى فصلى الدنيا وأبقى الاولى وموسى حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش وأبو عمرو بين

بين

...المؤمنين والمراد بالوجوه
...بهما جميع الابدان لان
...ماذكر من الاوصاف
...يختص بالوجوه فهو كقوله
...تعالى وعنت الوجوه للحى
القيوم او المراد بها

بين الفتح عن ورش قليل أما الاعلى الذى والاشقى الذى اذا وقف عليهما فالامالة وان وصلا فلا امالة والباقون بالفتح وقرأ الذكرى الكبرى أبو عمرو والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام حديث موضوع

سورة الغاشية مكية بالاجماع

وهى ست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلثمائة واحدى وثمانون حرفا

(بسم الله) علام الغيوب (الرحمن) كاشف الكروب (الرحيم) الذى خص أولياءه بالعفو عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى (هل أتاك حديث الغاشية) فيه وجهان أحدهما ان هل بمعنى قد اى قد جاءك يا أشرف الخلق حديث الغاشية كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر قاله قطرب والثانى انه استفهام على حاله وتسميه اهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبى والغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها وهى القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى الخلق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها (وجوه) اى كثيرة جدا كائنة (يومئذ) اى يوم اذ غشيت (خاشعة) اى ذليلة من الخجل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد بالوجوه فى الموضعين اصحابها (عاملة ناصبة) اى ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبير عن قتادة تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله تعالى وانصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره الف سنة وقال ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وقال الحسن لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب له فاعملها وانصبها فى جهنم وقال ابن عباس هم الذين انصبوا انفسهم فى الدنيا على معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الاوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم الا ما كان خالصا له وعن على انهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث وقرأ (تصلى) ابو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على ما لم يسم فاعله والباقون بفتحها على تسمية الفاعل والضمير على كلتا القراءتين للوجوه والمعنى تدخل (نارا حامية) اى شديدة الحر قد احميت واوقدت مدة طويلة ومنه حمى النهار بالكسر اى اشتد حره وحكى الكسائى اشتد حمى الشمس وحموها بمعنى قال صلى الله عليه وسلم اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعون فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى الشاة فيدسوها وسطه فاما ما شوى فوق الجمر او على المقلى او فى التنور فلا يسمى مصليا * ولما بين تعالى مكانهم ذكر شرابهم فقال تعالى (تسقى من عين آنية) اى

الايمان ولقوله كاية قال هؤلاء وجوه القوم وياوجه العرب (قوله أفلا ينظرون الى الابل الخ) * ان قلت كيف ارتبط هذا بما قبله واى مناسبة بين الابل

شديدة الحرارة كقوله تعالى من حميم آن اى متناه فى الحرارة روى انه لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لاذابتها * ولما ذكر تعالى شرابهم أتبعه بذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قال مجاهد هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه قال الكلبى لا تقربه دابة اذا يبس وقال ابن زيد اما فى الدنيا فان الضريع الشوك اليابس الذى ليس له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء فى الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة فلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال بعض المفسرين فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا فى ذلك فان الابل انما ترعاه مادام رطبا ويسمى شبرقا فاذا يبس لا يأكله شئ قال ذؤيب يصف حمارا

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وصار ضريعا بان عنه النحائص

والنحوص من الاتن اتى لا لبن لها * ولما قالوا ذلك أنزل الله تعالى تكذيبا لهم (لا يسمن ولا يغنى) أى يكفى كفاية مبتدأة (من جوع) فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال فنفى السمن والشبع عنه وعلى تقدير أن يصدقوا فيكون المعنى ان طعامكم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (فان قيل) كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفى الحاقة ولا طعام الا من غسلين (أجيب) بان العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم * ولما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المؤمنين فقال تعالى (وجوه يومئذ) اى يوم اذ تغشى الناس ووصفها بصفات الاولى قوله تعالى (ناعمة) أى ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة قال مقاتل فى نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله تعالى (لسعيها) أى فى الدنيا بالاعمال الصالحة (راضية) أى فى الآخرة بثواب سعيها حين رأت ما أداهم اليه من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالى (فى جنة) ثم وصف الجنة بصفات الاولى قوله تعالى (عالية) أى علية المحل والقدر الصفة الثانية قوله تعالى (لا يسمع فيها لاغية) قرأ بالتاء الفوقية نافع مضمومة لاغية بالرفع وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء التحتية مضمومة لاغية بالرفع اقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز ان تكون التاء للخطاب اى لا تسمع انت وان تكون للتانيث اى لا تسمع الوجوه واللغو قال ابن عباس الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن هو الشتم وقال الفراء الحلف الكاذب والاولى كما قيل لا يسمع فى كلامهم كلمة ذات لغو وانما يتكلمون بالحكمة وحمد الله تعالى على مارزقهم من النعيم الدائم وهذا احسن الاقوال قاله القفال وقال الكلبى لا يسمع فى الجنة حالف بيمين لا برة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله

تعالى

قوله من حميم آن هكذا فى النسخ بايدينا والتلاوة وبين حميم آن اه مصححه

والمعطوفات عليها حتى جمع بينهما (قلت) اما الجواب عن الاول فلانه لما وصف الله الجنة بما وصف عجب الكفار من ذلك فذكرهم غرائب

تعالى (فيها) أى الجنة (عين جارية) قال الزمخشرى يريد عيونا فى غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس وقال القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض فى غير اخدود وتجرى لهم كما أرادوا الصفة الرابعة قوله تعالى (فيها سرر مرفوعة) أى عالية فى الهواء قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة فى السماء مالم يجئ أهلها فاذا أرادوا أن يجلسوا عليها تواضعت ثم ترتفع الى مواضعها الصفة الخامسة قوله تعالى (وأكواب موضوعة) جمع كوب وهى الكيزان التى لاعرا لها قال قتادة فهى دون الابريق وفى قوله تعالى موضوعة وجوه أحدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيأ فيقول هو ههنا موضوع بمعنى معد ثانيها موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة من الشراب ثالثها موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونها من ذهب أو فضة أو من جواهر وتلذذهم بالشرب فيها رابعها أن يكون المراد موضوعة عن حد الكبر أى هى أوساط بين الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى (ونمارق) وهى الوسائد واحدها نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان أشهرهما الاولى وهى وسادة صغيرة قالت

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

(مصفوفة) أى واحدة الى جنب واحدة أخرى قال الشاعر

كهولا وشبانا حسانا وجوههم * لهم سرر مصفوفة ونمارق

الصفة السابعة قوله تعالى (وزرابى) وهى جمع زربية بفتح الزاى وكسرها لغتان مشهورتان وهى بسط عراض فاخرة وقال ابن عباس هى الطنافس التى لها خمل أى وبر رقيق واختلف فى قوله تعالى (مبثوثة) فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال الفراء كثيرة وقال القتيبى مفرقة فى المجالس قال القرطبى وهذا أصح فهى كثيرة متفرقة ومنه قوله تعالى وبث فيها من كل دابة * ولما ذكر تعالى أمر الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوه وأنكروه فذكرهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى (أفلا ينظرون) أى المنكرون لقدرته سبحانه وتعالى على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها أى نظر اعتبار (الى الابل) ونبه على أنه عجيب خلقها مما ينبغى أن تتوفر الدواعى على الاستفهام والسؤال عنه باداة الاستفهام فقال تعالى (كيف خلقت) أى خلقا عجيبا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد النائية فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لاتعارض ضعيفا ولاتمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشا فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان ظماءها لترتفع الى عشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شئ نابت فى البرارى والمفاوز مما لاترعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير

صنعه وانه لما ذكر ارتفاع سررها قالوا كيف نصعدها فنزلت هذه الآية والمعنى افلا ينظرون الى الابل نظر اعتبار كيف خلقت للأثقال وحملها الى البلاد البعيدة وبروكها لتحمل

قال لقيت شريحا القاضي فقلت له اين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال انظر الى الابل كيف خلقت * (تنبيه) * الابل اسم جمع واحده بعير وناقة وجمل ولا واحد لها من لفظها وقال المبرد الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم أجد لذلك أصلا في كتب الائمة وقال الماوردي وفي الابل وجهان أظهرهما وأشهرهما انها الابل والثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل فلان الابل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات لان ضروب الحيوان أربعة حلوبة وركوبة وأكولة وحمولة والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها أعم وظهور القدرة فيها أتم وقيل للحسن الفيل أعظم في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره (والى السماء) التي هي من جملة مخلوقاتنا (كيف رفعت) أي رفعا بعيدا بلا امساك وبغير عمد على مافيها من السعة والكبر والثقل والاحكام ومافيها من الكواكب والغرائب والعجائب (والى الجبال) أي الشامخة وهي أوتاد الارض (كيف نصبت) نصبا ثابتا فهي راسية لا تميل ولا تزول كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بكم (والى الارض) أي التي هم عليها (كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها واستدل بعضهم بذلك على أن الارض ليست بكرة قال الرازي وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في نهاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح (فان قيل) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (أجيب) بان من فسرها بالسحاب فالمناسبة ظاهرة وذلك على طريق التشبيه والمجاز ومن فسرها بالابل فالمناسبة بينها وبين السماء والارض والجبال من وجهين أحدهما ان القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا ويسيرون عليها في أوديتهم وبواديهم مستوحشين ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد أقبل على التفكر في الاشياء لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك مايشغل به سمعه وبصره فلا بد من أن يجعل دأبه التفكر فاذا تفكر في تلك الحال فأول مايقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السماء وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر ثانيهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جلت قدرته الا أنها قسمان منها ما للشهوة فيه حظ كالوجه الحسن والبساتين النزهة والذهب والفضة فهذه مع دلالتها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر فيها ومنها ما لا حظ فيه للشهوة كهذه الاشياء فامر بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها وقال عطاء عن ابن عباس كأنه تعالى يقول هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غيري * ولما بين تعالى الدلائل على صحة التوحيد والمعاد قال مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم (فذكر) أي نعم الله تعالى ودلائل توحيده وعظهم بذلك وخوفهم يا أشرف الخلق (انما أنت مذكر) فلا عليك أن لا ينظروا ولم يذكروا وما عليك الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) أي بمسلط فتقهرهم وتكرههم على الايمان كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وهذا

وتنوء بها حاملة وسخرت لكل من قادها حتى الصبي الصغير وأعطيت الصبر على العطش عشرة أيام فأكثر وجعلت ترعى كل نبات في القفار دون غيرها من الدواب والله اعلم

قيل

قبل الامر بالجهاد وقرأ هشام بالسين وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد باشمام الصاد كالزاي والباقون بالصاد الخالصة وقوله تعالى (الا من تولى) استثناء منقطع اى لكن من تولى عن الايمان (وكفر) أى القرآن (فيعذبه الله) اى الذى له الكمال كله بسبب تكبره عن الحق ومخالفته لامرك (العذاب الاكبر) أى عذاب الآخرة لانهم عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل استثناء متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسليط فكانه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله تعالى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا) أى خاصة بالنامن العظمة (ايابهم) أى رجوعهم بعد البعث (ثم ان علينا) أى خاصة بما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب والجور وكل نقص لا على غيرنا (حسابهم) أى جزاءهم فلا نتركه أبدا وفى هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يشق عليه تكذيبهم (فان قيل) ما معنى تقديم الظرف (أجيب) بان معناه التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

سورة الفجر مكية

وقيل مدنية وهى تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

(بسم الله) الملك المعبود (الرحمن) الذى عم خلقه بالكرم والجود (الرحيم) الذى سدد أهل عنايته بفضله فهو الحليم الودود وقوله تعالى (والفجر) أى فجر كل يوم قسم كما أقسم بالصبح فى قوله تعالى والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تتفجر منه السنة وقال الضحاك فجر ذى الحجة وقيل ذلك على مضاف محذوف أى وصلاة الفجر وقيل ورب الفجر وتقدم ان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته واختلف فى قوله تعالى (وليال عشر) فقال مجاهد وقتادة هو عشر ذى الحجة وقال الضحاك هو العشر الاول من رمضان وعن ابن عباس انه العشر الاخير من رمضان وعن يمان بن رباب هو العشر الاول من المحرم التى عاشرها يوم عاشوراء ولصومه فضل عظيم (فان قيل) لم نكر الليالى من بين ما أقسم به (أجيب) بان ذلك للتعظيم (والشفع) أى الزوج (والوتر) أى الفرد وقيل الشفع الخلق كلهم قال الله تعالى وخلقناكم أزواجا والوتر هو الله تعالى قاله أبو سعيد الخدرى وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات

بذكر الفيل والزرافة والبدر كذا وغيرهما لا هو أعظم من الجمل لان العرب لم يروا شيئا من ذلك ولا عرفوه وأما الجواب عن الثانى فلان الابل كانت أنفس أموالهم

النار لانها سبع دركات وسئل ابو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد اوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله سبحانه وتعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وعن عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر واختاره النحاس وقال هو الذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وقال ابن الزبير الشفع الحادى عشر والثانى عشر من أيام منى والوتر الثالث عشر وقال الضحاك الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان وترا فشفع بزوجته حواء حكاه القشيرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقرأ حمزة والكسائى بكسر الواو والباقون بفتحها وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر لغة تميم وقوله تعالى (والليل اذا يسر) قسم خامس بعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم به على العموم ومعنى يسر سار وذهب كما قال الله تعالى والليل اذ ادبر وقال قتادة اذا جاء واقبل وقيل معنى يسر أى يسرى فيه كما يقال ليل قائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقرأ نافع وأبو عمرو باثبات الياء بعد الراء وصلا لا وقفا وأثبتها ابن كثير فى الحالين وحذفها الباقون فى الحالين لسقوطها فى خط المصحف الكريم واثباتها هو الاصل لانها لام فعل مضارع مرفوع ومن فرق بين حالتى الوقف والوصل فلان الوقف محل استراحة وسئل الاخفش عن العلة فى سقوط الياء فقال الليل لا يسرى ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بخسه حظه من الاعراب كقوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه عن باغية وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة بدليل قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (هل فى ذلك) أى القسم والمقسم به (قسم) أى حلف أو محلوف (لذى حجر) استفهام معناه التقرير كقولك ألم أنعم عليك اذا كنت قد أنعمت والمراد منه التأكيد لما أقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما أقسم الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما يسمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها وقوله تعالى (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم أى ألم تعلم يا أشرف رسلنا (كيف فعل ربك) أى المحسن اليك بانواع النعم (بعاد ارم) وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة كما يقال لبنى هاشم هاشم ولبنى تميم تميم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم فى قوله تعالى عاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها وقوله تعالى (ذات) أى صاحبة (العماد) يتطرق به ان كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين أهل عمد

واكثرها وانما جمع بينها وبين ما بعدها لانهما آيتا على وفق عادة العرب فى ان انتفاعهم بالابل اكثر ولا يحصل الا بان ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر من السماء

وطوال

وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل

وقوله تعالى (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة أخرى لارم فان كانت للقبيلة فلم يخلق مثل عاد فى البلاد عظم أجرام وقوة قال الزمخشرى كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم وروى عن مالك انه كانت تمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وان كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فان الله تعالى بين انه أهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذى اختصوا به من هذه الوجوه فلان تكونوا مثل ذلك أيها الكفار اذا أقمتم على كفركم مع ضعفكم أولى وقد ذكر الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة الاولى وأما الثانية فهى فى قوله تعالى (وثمود الذين جابوا) اى قطعوا (الصخر) جمع صخرة وهى الحجر واتخذوها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) اى وادى القرى قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقيل سبعة آلاف مدينة كلها من الحجارة *(تنبيه)* اثبت الياء ورش وابن كثير وصلا وأثبتها وقفا ابن كثير بخلاف عن قنبل واما القصة الثالثة فهى فى قوله تعالى (وفرعون) اى وفعل بفرعون (ذى الاوتاد) واختلف فى تسميته بذلك على وجهين أحدهما انه سمى بذلك على كثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا والثانى انه كان يتد أربعة أوتاد ويشد اليها يدى ورجلى من يعذبه وعن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لأنه كانت امرأة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير أبى فقالت الهى واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على أبيها وهى تبكى فقال ما يبكيك فقالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك واقرى بانى الهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتنى بهذا العذاب سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان

قوله نعطفها فى الذكر على الابل ثم لابد لهم من حصن يتحصنون به ولا شئ فى ذلك لهم كالجبال نعطفها على ما قبلها ثم لابد لهم عند طول المكث من التنقل

اليها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على
فيك وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت من في الارض على في ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها
فلما اضجعت على صدرها وأراد ذبحها جزعت المرأة فانطق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت
وهي من الاربعة الذين تكلموا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا
في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها
الله تعالى الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد
رؤي في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي ويليه صفوف
من الوحوش خلفه يصلون خلفه فلما رأيا ذلك انصرفا فقال حزقيل اللهم أنت تعلم اني كتمت
ايماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا
واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما أحدهما فاعتبر
وآمن وأما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك
قال نعم فلان فدعى به فقال حق ما يقول هذا قال لا ما رأيت مما قال شيأ فاعطاه فرعون فاجزل
وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني اسرائيل
يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر
على ما يأتي من فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها
فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها
فقال لعل بك الجنون الذي كان بها فقالت ما بي من جنون وان الهي والهها والهك واله
السموات والارض واحد لا شريك له فمزق ما عليها وضربها وأرسل الى أبويها فدعاهما فقال
لهما ألا تريان ان الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك اني أشهد أن
ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال أبوها يا آسية ألست من خير
نساء العماليق وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له
أن يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون
أخرجاها عني فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها
فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله
تعالى روحها وأدخلها الجنة وروي عن أبي هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد
وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء وقالت رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة ففرج الله تعالى عن بيتها في الجنة فرأته وقوله تعالى (الذين طغوا) اى
تجبروا (في البلاد) في محل نصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا
في البلاد أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير يرجع لعاد وثمود
وفرعون وقيل يرجع الى فرعون خاصة (فاكثروا) اى طغاتهم (فيها الفساد) اى بالقتل
والكفر والمعاصي قال القفال وبالجملة فالفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع
أقسام البر فالفساد يتناول جميع أقسام الاثم فمن عمل بغير أمر الله تعالى وحكم في عباده بالظلم
فهو مفسد (فصب) اى أنزل انزالا هو في غاية القوة (عليهم) اى في الدنيا (ربك) اى المحسن

من أرض الى سواها فاذا فتش
على ما قبلها فاذا فتش
البدوي في نفسه وجد هذه
الاشياء حاضرة عنده على
الترتيب المذكور بخلاف
الحضري

إليك بكل جميل (سوط) أي نوع (عذاب) وقال قتادة يعني ألوانا من العذاب صبه عليهم وقال أهل المعاني هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى إلى كل عذاب إذا كان فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب وعن الحسن أنه كان إذا أتى على هذه الآية قال إن الله تعالى عنده أسواط كثيرة فأخذهم بسوط منها وقال قتادة كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب وشبه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه (إن ربك) أي المحسن إليك بالرسالة (لبالمرصاد) أي يرصد أعمال العباد لا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه فقال إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة قال الزمخشري فلله دره أي أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه وقوله تعالى (فأما الإنسان) متصل بقوله تعالى إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله تعالى يريد من الإنسان الطاعة والسعي للعاقبة وهو لا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها (إذا ما ابتلاه) أي اختبره (ربه) أي الذي ابتدأه وأحسن إليه بما يعمه فظ وجوده ليظهر شكره أو كفره بالنعمة (فأكرمه) أي جعله عزيزا بين الناس وأعطاه ما يكرمونه به من الجاه والمال (ونعمه) أي جعله متلذذا متنعما بما أوسع الله تعالى عليه وقوله تعالى (فيقول) أي سرورا بذلك وافتخارا (ربي أكرمن) أي فضلني بما أعطاني خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء بالإنعام فيظن أن ذلك عن استحقاق فيرتفع به ويتكبر وكذا قوله تعالى (وأما إذا ما ابتلاه فقدر) أي ضيق (عليه رزقه) التقدير وأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه أي بالفقر ليبلوه أيصبر أم يجزع (فيقول) أي الإنسان بسبب الضيق (ربي أهانن) فيهتم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون أكبر همه وهذا في حق الكافر لقصور نظره وسوء فكره فيرى الكرامة والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته وقال الكلبي ومقاتل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في عتبة بن ربيعة وقيل أبي بن خلف (فإن قيل) كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء (أجيب) بأن كل واحد منهما اختبار العبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فإن قيل) هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (أجيب) بأن البسط إكرام من الله تعالى لعبده بإنعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقتير فليس بإهانة له لأن الإخلال بالتفضل لا يكون إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد إليك (فإن

﴿سورة الفجر﴾ (قوله والفجر) قسم وجوابه مع ما بعده محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة (قوله وليال عشر) أي ليالي عشر ذي

قيل) قد قال تعالى فاكرمه فصحح اكرامه واثبته ثم انكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه (أجيب) بوجهين أحدهما انما أنكر قوله ربي أكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله تعالى عليه واثبته وهو قصده الى أن الله تعالى أعطاه ما أعطاه اكراما له مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما أوتيته على علم عندي وانما أعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله تعالى الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها ثانيهما ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربي أهانن يعني انه اذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه يسمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان قال الزمخشري ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام في قوله تعالى فاكرمه وقرأ ما ابتلاه في الموضعين حمزة بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرأ ربي أكرمن ربي أهانن نافع باثبات الياء فيهما وصلا لا وقفا وقرأ البزي باثباتها فيهما وقفا ووصلا وعن أبي عمرو فيهما في الوصل الاثبات والحذف عنه في الوصل أعدل والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقرأ ابن عامر فقدر عليه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهما لغتان معناه ضيق وقيل قدر بمعنى قتر وقدر أعطاه ما يكفيه ثم رد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة بقوله تعالى (كلا) اي ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر انما هما الطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك (بل) لهم فعل أشر من هذا القول وهو انهم (لا يكرمون اليتيم) اي لا يحسنون اليه مع غناهم او لا يعطونه حقه من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت (ولا يحضون) اي يحثون حثا عظيما (على طعام) اي اطعام (المسكين) فيكون اسم مصدر بمعنى الاطعام ويجوز أن يكون على حذف مضاف اي على بذل أو على اعطاء وفي اضافته اليه اشارة الى انه شريك للغني في ماله بقدر الزكاة (ويأكلون) على سبيل التجدد والاستمرار (التراث) اي الميراث والتاء في التراث بدل من واو لانه من الوراثة (أكلا لما) اي ذا لم واللم الجمع الشديد يقال لممت الشيء لما اي جمعته جمعا قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ويأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك فيلمون في الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال مهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون ولما دل على حب الدنيا بامر خارجي دل عليه في الانسان فقال تعالى (ويحبون) اي على سبيل الاستمرار (المال) اي هذا النوع من اي شيء كان وأكد بالمصدر والوصف فقال تعالى (حبا جما) اي كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار له عليهم ثم أخبر تعالى عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من

الجنة (فان قلت) كيف نكرها دون بقية ما أقسم به (قلت) لاختصاصها من بين الليالي بفضيلة ليست لغيرها فلم يجمع بينها وبين البقية بلام الجنس

قوله مهلا الخ كذا باصله الطبع وفي بعض النسخ سهلا سهلا وفي الكشاف سهلا مهلا اه مصححه

قائل (اذا دكت الارض) أي حصل دكها ورجها وزلزالها وتسويتها فتكون كالاديم الممدود بشدة المط لا عوج فيها بوجه (دكا دكا) أي مرة بعد مرة وكسر كل شئ على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شئ وينعدم (وجاء ربك) قال الحسن أمره وقضاؤه (والملك) أي الملائكة وقوله تعالى (صفا صفا) حال أي مصطفين أي ذوي صفوف كثيرة فتنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجيء) أي بأسهل أمر (يومئذ) أي اذ وقع ما ذكر (بجهنم) أي النار التي تجهم من يصلاها كقوله تعالى وبرزت الجحيم ويروى انها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل ما بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه الآية فقال له علي كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لك ولي يا محمد ان الله تعالى قد حرم لحمك علي فلا يبقى أحد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول رب أمتي أمتي وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش وقوله تعالى (يومئذ) أي يوم يجاء بجهنم بدل من اذ وجوابها (يتذكر الانسان) أي يتذكر الكافر ما فرط أو يتعظ لانه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها (وأنى له الذكرى) أي ومن أين له منفعة الذكرى قال الزمخشري لا بد من حذف مضاف والا فبين يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف وتناقض *(تنبيه)* أنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف وقرأ وأنى حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ الدوري عن أبي عمرو بالامالة بين بين والباقون بالفتح وقرأ الذكرى أبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح (يقول) أي يقول مع تذكره (يا) للتنبيه (ليتني قدمت لحياتي) أي في حياتي فاللام بمعنى في أو قدمت الايمان والخير لحياة لا موت فيها أو وقت حياتي في الدنيا (فيومئذ) أي يوم يقول الانسان ذلك وقرأ (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الكسائي بفتح الذال والثاء على البناء للمفعول والباقون بكسرهما على البناء للفاعل فأما قراءة الكسائي فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل ايثاقه وأما على قراءة الباقين فالضمير فيهما لله تعالى أي لا يكل عذابه الى غيره أو الزبانية المتولين العذاب بأمر الله تعالى *ولما وصف الله تعالى حال من اطمأن الى الدنيا وصف حال من اطمأن الى معرفته وعبوديته وسلم أمره اليه فقال تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة) قال الحسن أي المؤمنة الموقنة وقال مجاهد الراضية بقضاء الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بثواب الله تعالى وقال ابن كيسان المخلصة وقال ابن زيد التي بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع ويقال لها عند الموت (ارجعي الى ربك) أي الى أمره وارادته وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الى صاحبك وجسدك وقال الحسن الى ثواب ربك (راضية) أي بما أوتيته (مرضية) أي عند الله تعالى بعملك أي جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من أحدهما الآخر وهما حالان

وانما لم تعرف بلام العهد لما مر في سورة البروج (قوله فيقول ربي أكرمن) ان قلت كيف ذم من يقول ربي أكرمن مع انه صادق فيه لقوله تعالى فأكرمه ونعمه ومع انه متحدث بالنعمة وهو

قال القفال هذا وان كان أمراً في الظاهر فهو خبر في المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله تعالى في القيامة بسبب هذا الامر (فادخلي في) أي في جملة (عبادي) أي الصالحين والوافدين على الذين هم أهل الاضافة الى أو في اجساد عبادي التي خرجت في الدنيا منها (وادخلي جنتي) أي معهم هي جنة عدن وهي أعلى الجنان ويجيء الامر بمعنى الخبر كثيرا في كلامهم كقوله اذا لم تستح فاصنع ماشئت وقال سعيد بن زيد قرأ رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال ابو بكر ما أحسن هذا يارسول الله فقال له ان الملك سيقولها لك يا أبا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالطائف فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها يا أيتها النفس الآية وروى الضحاك انها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحوله وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشري والظاهر العموم وقول البيضاوي تبعاله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة حديث موضوع

مأمور بالتحدث بها لقوله وأما بنعمة ربك فحدث (قلت) المراد ان بقول ذلك مفتخرا به على غيره ومستدلا به على منزلته في الآخرة ومعتقدا استحقاق ذلك على ربه كما في قوله تعالى

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الملك الذي لاراد لامره (الرحمن) الذي عم سائر خلقه بفضله (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بجنته واختلف في لا في قوله تعالى (لا أقسم) فقال الاخفش انها مزيدة أي أقسم كما تقدم في قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة وقد أقسم به سبحانه وتعالى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة * وكاد صميم القلب لا يتقطع

أي يتقطع ودخل حرف لا صلة وكقوله تعالى مامنعك أن لا تسجد وقد قال تعالى في ص مامنعك أن تسجد وأجاز الاخفش أيضا أن تكون بمعنى ألا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا أقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وأجمعوا على ان المراد بالبلد في قوله تعالى (بهذا البلد) اي الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعلها حرما آمنا وقال تعالى ومن دخله كان آمنا وجعل مسجده قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وأمر الناس بحج البيت فقال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقال تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وقال تعالى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته فهذه الفضائل وأكثر منها انما اجتمعت في مكة لاجرم أقسم الله تعالى بها (وأنت) أي يا أشرف الخلق (حل) اي حلال لك مالم يحل لغيرك من قتل من تريد ممن يدعي أنه لاقدرة لاحد عليه (بهذا البلد) بان يحل لك فتقاتل فيه وقد انجز الله له هذا الوعد يوم

الفتح واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشدها فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ونظير وانت حل في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الاكرام والحباء لانت مكرم محبو وهو في كلام الله تعالى واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح والجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله تعالى (ووالد وما ولد) فقال الزمخشري هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه وقال البغوي هما آدم وذريته وقيل كل والد وولده (فان قيل) هلا قيل ومن ولد (اجيب) بان فيه ما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن او ان ما بمعنى من والذي عليه اكثر المفسرين هما آدم وذريته لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وامر الملائكة بالسجود لآدم وعلمه الاسماء كلها ولقد قال الله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقيل هما آدم والصالحون من ذريته واما الطالحون فكانهم بهائم كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم اضل صم بكم عمي فهم لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان) اي الجنس (في كبد) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي شدة ونصب وعنهما ايضا في شدة من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وسائر احواله وعن عكرمة منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنان عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصابا وقال ابن كيسان منتصبا في بطن امه فاذا اراد الله تعالى ان يخرجه من بطن امه قلب رأسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال يمان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال بعض العلماء اول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن والجيران ثم الكبر والهرم وضعف الركب والقدم في مصائب يكثر تعدادها من صداع الراس ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن وألم الاذن ويكابد محنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعد سؤال الملك وضغطة القبر وظلمته ثم

انما أوتيته على علم عندي وكل ذلك منهي عنه واما اذا قاله على وجه الشكر والتحدث بنعمة الله فليس بمذموم بل ممدوح (قوله وجاء ربك) اي امره

(سورة البلد)

(قوله لا أقسم بهذا البلد

البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار اما فى الجنة واما فى النار فدل هذا على أن له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد فليمتثل أمر خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان هنا آدم عليه السلام وقوله تعالى فى كبد أى فى وسط السماء وقال مقاتل فى كبد أى فى قوة نزلت فى أبى الاشدين واسمه أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه فيقول من أزالنى عنه فله كذا وكذا فيجذبه عشرة فيتمزق الاديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه ويبقى موضع قدميه وكان من أعداء النبى صلى الله عليه وسلم وفيه نزل (أيحسب) أى أيظن الانسان قوى قريش وهو أبو الاشدين ٣ بقوته (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى انه (لن يقدر عليه) أى خاصة (أحد) أى من أهل الارض أو السماء فيغلبه حتى انه يعاند خالقه والله تعالى قادر عليه فى كل وقت وقيل نزلت فى المغيرة بن الوليد المخزومى (يقول) أى يفتخر بقوته وشدته (أهلكت) أى على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (مالا لبدا) أى كثيرا بعضه على بعض (أيحسب) أى هذا الانسان المفيد بقلة عقله (أن) اى انه (لم يره أحد) قال سعيد بن جبير أى أظن ان الله تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه وقال الكلبى انه كان كاذبا فى قوله انه أنفقه ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله تعالى لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته وقرأ ايحسب فى الموضعين ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها * ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر بقوله تعالى (ألم نجعل) اى بما لنا من القدرة التامة (له عينين) يبصر بهما المرئيات والا لتعطل عليه اكثر ما يريد يشققناهما وهو فى الرحم فى ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احداهما على الاخرى شيأ وقدرنا البياض والسواد والشهلة والزرقة وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه متظاهرة فيقرره بها كى يشكره قال البغوى وجاء فى الحديث ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق (وهديناه) اى آتيناه من العقل (النجدين) قال اكثر المفسرين بينا له طريق الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وصار بما جعلنا له من ذلك سميعا بصيرا عالما فصار موضعا للتكليف روى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى يا أيها الناس انما هما نجدان نجد خير ونجد شر فلم يجعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال المنذرى النجد هنا الطريق وقال ابن عباس رضى الله عنهما بينا له الثديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك واصله المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) اى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام المساكين والايتام بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله تعالى لا ان يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخر وعداوة النبى صلى الله عليه

وسلم

وأنت حل بهذا البلد) اى مكة (فان قلت) لم كرر لفظ البلد (قلت) لم يكرره اذ التقدير لا أقسم بهذا البلد المحرم الذى يجلب العرب على تعظيمه وتحريمه وأنت حل بهذا البلد اى أحللك فيه من

٣ قوله أبى الاشدين هكذا فى النسخ بصيغة التثنية وفى حاشية الجمل والاشد هكذا بالافراد فى كثير من نسخ هذا الشرح وكثير من عبارات المفسرين وفى بعض نسخ هذا الشرح وكثير من التفاسير الاشدين بصيغة التثنية فليحرر اه

وسلم فيكون على هذا الوجه كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول الله تعالى لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقال الحسن هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة صعودا وهبوطا واستواء وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس ومن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقال ابن زيد فهلا سلك طريق النجاة وقوله تعالى (وما أدراك) اى أعلمك أيها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا (ما العقبة) تعظيم لشأنها والجملة اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شئ قال فيه وما أدراك فانه أخبر به وما كان قال وما يدريك فانه لم يخبر به ثم بين سبب جوازها بقوله تعالى (فك) اى الانسان (رقبة) اى خلصها من الرق وذلك بأن يعتق رقبة في ملكه أو يعطي مكاتبا ما يصرفه في فك رقبته وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وقال الزمخشري وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة قال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفضل الاعمال وعن ابى حنيفة أن العتق أفضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة أفضل قال الزمخشري والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وقال عكرمة يعني فك رقبته من الذنوب وقال الماوردي ويحتمل أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التأويل وهو أشبه بالصواب (أو أطعم) اى دفع الاطعام لشئ له قابلية ذلك (في يوم ذي مسغبة) اى مجاعة والسغب الجوع (يتيما) اى انسانا صغيرا لا أب له (ذا مقربة) اى ذا قرابة لك بأن يكون بينك وبينه قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي (أو مسكينا) وهو من له مال او كسب يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه (ذا متربة) اى لصوق بالتراب لفقره يقال ترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى اى صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذا متربة الذي مأواه المزابل قال ابن عباس رضي الله عنهما هو المطروح على الطرق الذي لا بيت له وقال مجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال واحتج بهذه الآية على أن المسكين يملك شيأ لانه لو كان لا يملك شيأ لكان تقييده بقوله تعالى ذا متربة تكريرا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة برفع الكاف وجر رقبة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعدها ألف

حرمانه ما لم يحل لاحد قبلك ولا بعدك من قتل ابن خطل وقتال المشركين ساعة من النهار فالمراد بالبلد الاول الباقي على تحريمه وبالثاني الذي أحلت منه للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة اكراما له

ورفع الميم منونة والباقون فك بنصب الكاف رقبة بالنصب أطعم بفتح الهمزة والعين والميم بغير تنوين ولا ألف بين العين والميم (فان قيل) قوله تعالى فلا اقتحم العقبة الى آخره ذكر لا مرة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى (أجيب) بانه انما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله تعالى (ثم كان من الذين امنوا) قائما مقام التكرير فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابو حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فك فعلا ماضيا وعن مجاهد ان قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا يدل على أن لا بمعنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى فهو كقوله تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا *(تنبيه)* ثم كان معطوف على اقتحم وثم للترتيب الذكري والمعنى كان وقت الاقتحام من الذين آمنوا وقال الزمخشري جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا) اى وصبروا وأوصى بعضهم بعضا (بالصبر) اى على الطاعة وعن المعصية والمحن التي يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) اى بالرحمة على عباده بان يكونوا متراحمين متعاطفين اى بما يؤدي الى رحمة الله تعالى (أولئك) اى الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب الميمنة) اى الجانب الذي فيه اليمن والبركة والنجاة من كل هلكة قال محمد بن كعب اى الذين يؤتون كتبهم بايمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق آدم الايمن عليه السلام وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشري الميمنة اليمين أو اليمن (والذين كفروا) اى ستروا ما ظهر لهم من انوار بصائرهم من العلم (بآياتنا) اى على ما لها من العظمة بالاضافة الينا والظهور الذي لا يمكن خفاؤه من القرآن وغيره (هم أصحاب المشأمة) اى الخصلة المكسبة للشؤم والحرمان قال محمد بن كعب اى الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقال يحيى بن سلام لانهم مشائيم على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق آدم الايسر عليه السلام وقال ميمون لان منزلتهم عن اليسار وقال الزمخشري المشأمة الشمال أو الشؤم قال القرطبي و يجمع هذه الاقوال أصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة واصحاب المشأمة هم أصحاب النار (عليهم) اى خاصة (نار مؤصدة) اى مطبقة وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة والباقون بغير همزة اى بواو ساكنة وهما لغتان يقال آصدت الباب وأوصدته اذا أغلقته وأطبقته وقيل معنى المهموز المطبقة وغير المهموز المغلقة واذا وقف حمزة أبدل على أصله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الامان من غضبه يوم القيامة حديث موضوع

وتعظيما لشأنه (قوله ووالد وما ولد) الوالد آدم وما ولد ذريته وقال وما ولم يقل ومن لان في ما من الابهام ما ليس في من فقصد بها التفخيم والتعظيم كأنه تعالى قال وأي شيء عجيب غريب ولد ونظيره قوله تعالى والله

سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الذي له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذي عم السر وأخفى (الرحيم) الذي خص

خواصه

خواصه بالفردوس الاعلى وقوله تعالى (والشمس) اى الجامعة بين النفع والضر بالنور
والحر (وضحاها) قسم وقد تقدم الكلام على أن الله تعالى يقسم بماشاء من مخلوقاته وقيل
التقدير ورب الشمس الى تمام القسم * واختلف فى قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلبى
ضوءها وقال قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال اقوله تعالى فى طه ولا تضحى اى
لا يؤذيك الحر وقال المبرد انبساطها قال الرازى انما أقسم بالشمس لكثرة ما يتعلق بها
من المصالح فان أهل العالم كانوا كالاموات فى الليل فلما ظهر الصبح فى المشرق صار ذلك
الضوء كالروح الذى تنفخ فيه الحياة فصارت الاموات أحياء ولا تزال تلك الحياة فى القوة
والزيادة الى غاية كمالها وقت الضحوة وذلك يشبه استقرار أهل الجنة (والقمر) اى
المكتسب من نورها كما ان أنوار النفوس من أنوار العقول (اذا تلاها) اى تبعها وذلك اذا
سقطت رؤى الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا اذا تبعته وقال ابن زيد اذا غربت الشمس
فى النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفى آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال الفراء
تلاها أى أخذ منها يعنى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج تلاها أى حين استوى
ودار وكان مثلها فى الضياء والنور وذلك فى الليالى البيض (والنهار) اى الذى هو محل
الانتشار فيما جرت به الاقدار (اذا جلاها) اى الشمس بارتفاعه لان الشمس تنجلى فى ذلك
الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم
اصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء (والليل) أى الذى هو ضد النهار فهو
محل السكون والانقباض (اذا يغشاها) اى يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الآفاق وقيل
الكناية للارض اى يغشى الدنيا بالظلمة فتظلم الآفاق فالكناية ترجع الى غير مذكور وجىء
بيغشاها مضارعا دون ما قبله وما بعده مراعاة للفواصل اذ لو أتى به ماضيا لكان التركيب اذا
غشيها فتفوت المناسبة اللفظية بين الفواصل والمقاطع *(تنبيه)* اذا فى الثلاثة لمجرد
الظرفية والعامل فيها فعل القسم (والسماء وما) اى ومن (بناها) اى خلقها على هذا السقف
المحكم أقسم تعالى بنفسه وبأعظم مخلوقاته وقوله تعالى (والارض) اى التى هى فراشكم
(وما) اى ومن (طحاها) أى بسطها ووسطها على الماء كذلك وكذا قوله تعالى (ونفس) اى
اى نفس جمع فيها سبحانه العالم بأمره (وما) اى ومن (سواها) اى عدلها على هذا القانون
الاحكم فى أعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض والمعانى وغير ذلك (فان قيل) لم
نكرت النفس (أجيب) بوجهين أحدهما انه يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس
آدم عليه السلام كأنه قال تعالى وواحدة من النفوس ثانيهما انه يريد كل نفس وتنكيره
للتكثير على الطريقة المذكورة فى قوله تعالى علمت نفس وانما اوثرت ما على من فى هاذكر
لارادة الوصفية تعظيما وان لم يوصف بلفظها اذ المراد انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته
ولذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقدروها بانكحوا الطيب وهذا تنفرد به
ما دون من وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم أقسم الله تعالى بأنواع مخلوقاته المتضمنة
للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذى يقسم الله تعالى به يحصل به
روح فى القلب فتكون الدواعى لى تأمله أقرب (فألهمها) اى النفس (فجورها وتقواها)

اعلم بما وضعت

(سورة الشمس)

(قوله ونفس وما سواها) ذكرها دون بقية ما أقسم به لانه لا يستقبل الى لام الجنس المدخلة لنفس غير الانسان مع انها ليست مرادة لقوله فألهمها فجورها وتقواها

قال ابن عباس رضى الله عنهما بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعن ابى صالح
عرفها ما تأتى وما تتقى وقال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها
ذلك بتوفيقه اياها التقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام على
التوفيق والخذلان قال البغوى وهذا بين أن الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر
الفجور وعن أبى الاسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم
و يكدحون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق اوفيما يستقبلونه مما أتاهم به
نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم قلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا
يكون ظلما قال ففزعت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شئ الا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون فقال لى سددك الله انما سألتك لأختبر عقلك ان رجلا من جهينة اومزينة
أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس و يكدحون فيه
أشئ قضى الله عليهم من قدر سبق أوفيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وأكدت به الحجة فقال
فى شئ قد قضى عليهم قال فقلت ففيم العمل الآن قال من كان الله خلقه لاحدى المنزلتين
يهيئه الله تعالى لها وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
وعن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن
فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أوفيما يستقبل قال بل فيما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له * واختلف
فى جواب القسم فاكثر المفسرين على أنه (قد أفلح) اى ظفر بجميع المرادات والاصل لقد
وانما حذفت لطول الكلام وقيل انه ليس بجواب وانما جئ به تابعا لقوله تعالى فالهمها
فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ والجواب محذوف
تقديره ليدمدمن الله عليهم اى أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم
على ثمود لانهم قد كذبوا صالحا اولتبعثن وقيل هو على التقديم والتأخير من غير حذف والمعنى
قد أفلح (من زكاها) اى طهرها من الذنوب ونماها واصلحها وصفاها تصفية عظيمة مما يسره
الله تعالى له من العلوم النافعة والاعمال الصالحة (وقد خاب) اى خسر (من دساها) اى
أغواها اغواء عظيما وأفسدها واهلكها بخبائث الاعتقادات ومساوى الاعمال وقبائح
السيآت والشمس وضحاها وفاعل زكاها ودساها ضمير من وقيل ضمير البارى سبحانه وتعالى
اى قد أفلح من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها اى خسرت نفس دساها الله تعالى
بالمعصية وأنكر الزمخشرى على صاحب هذا القول لمنافرته مذهبه ولكن قال بعض
المفسرين الحق انه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما خابت
نفس أضلها الله تعالى وأغواها واصل الزكاة النمو والزيادة ومنه زكا الزرع اذا كثر ريعه
ومنه تزكية القاضى الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وأصل دساها دسسها من التدسيس وهو
اخفاء الشئ فابدل من السين الثانية ياء والمعنى أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية وعن
زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل
والبخل والجبن والهم وفى رواية والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها أنت خير من

ولا الى لام العهد اذ ليس
المراد نفسا واحدة
معهودة وبتقدير انه اريد
بها آدم فالتنكير ادل
على التفخيم والتعظيم
كما مر فى سورة الفجر
وغيرها (قوله قد افلح من
زكاها) جواب القسم

زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى اعوذبك من علم لاينفع ومن نفس لاتشبع ومن قلب لايخشع ومن دعوة لايستجاب لها (كذبت ثمود) وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام وانث فعلهم اضعف أثر تكذيبهم لان كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيتهم (بطغواها) أى اوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى أى طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة قال الزمخشرى مثلها فى كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية (اذ) أى تحقق تكذيبهم أوطغيانهم بالفعل حين (انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا عليه السلام انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا فعقر الناقة وعن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى اهله مثل أبى زمعة وقوله عارم أى شديد ممتنع قال الزمخشرى ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى افعل التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث •(تنبيه)• اذ منصوب بكذبت أو بطغواها (فقال لهم) أى بسبب الانبعاث أو التكذيب الذى دل على قصدهم لها بالاذى (رسول الله) اى صالح عليه السلام وعبر بالرسول لان وظيفته الابلاغ والتحذير الذى ذكره هنا ولذلك قال تعالى مشيرا بحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند مسهم لها بالاذى وزاد فى التعظيم باعادة الجلالة (ناقة الله) اى الملك الاعظم الذى له الامر كله وهى منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبى الصبى باضمار اتقوا أو احذروا ناقة الله (وسقياها) أى وشربها فى يومها وكان لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة فاخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم فشق عليهم واضافة الناقة الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله (فكذبوه) أى صالحا عليه السلام بطغيانهم فى وعيدهم بالعذاب (فعقروها) أى عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وان كان العاقر جماعة فواضح وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس وهذان خير الناس وهذه المرأة أشقى القوم ولهذا لم يقل أشقياها (فدمدم) أى فاطبق (عليهم ربهم) أى الذى أحسن اليهم فغمرهم احسانه فقطعه عنهم بسبب تكذيبهم فاهلكهم وأطبق عليهم العذاب يقال دمدمت عليه القبر أطبقته عليه (بذنبهم) أى بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم الناقة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما دمدم عليهم ربهم بذنبهم أى بجرمهم وقال القشيرى وقيل دمدمت على الميت التراب أى سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب (فسواها) أى فسوى عليهم الارض فجعلهم تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمة عليهم أى عمهم بها فلم يفلت منهم احدا وقرأ

بحذف اللام لطول الكلام وقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن اولتدمدمن باهل مكة

(ولا يخاف) نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو فالفاء تقتضي التعقيب والواو يجوز ان تكون للحال وان تكون للاستئناف الاخباري وضمير الفاعل في يخاف الاظهر عوده على الله تعالى لانه أقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسببة عن الدمدمة والتسوية والهاء في قوله تعالى (عقباها) ترجع الى الفعلة وذلك لانه تعالى يفعل ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله تعالى أجل من ان يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ في الانذار اليهم مبالغة من لا يخاف عاقبة عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام أي لا يخاف عقبى هذه العقوبة لانذاره اياهم ونجاه الله وأهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى أشقاها أي انبعث لعقرها والحال انه غير خائف عاقبة هذه الفعلة الشنعاء وقرأ الكسائي جميع رؤس آي هذه السورة بالامالة محضة وقرأها أبو عمرو بين بين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وأمال حمزة مثل الكسائي الا تلاها وضحاها فانه فتحهما والباقون بالفتح واتفقوا على فتح فعقروها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر حديث موضوع

سورة والليل مكية

وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذي عم رزقه العالمين (الرحيم) الذي خص بجنته المؤمنين وقوله تعالى (والليل) أي الذي هو آلة الظلام (اذا يغشى) قسم وقد مر الكلام على ذلك ولم يذكر تعالى مفعولا للعلم به فقيل يغشى بظلمته كل ما بين السماء والارض وقيل يغشى النهار وقيل الارض وقيل الخلائق قال قتادة أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا أسود مظلما والنور نهارا مضيئا مبصرا وقوله تعالى (والنهار) اي الذي هو سبب انكشاف الامور (اذا تجلى) اى تكشف وظهر قسم آخر قال الرازي أقسم بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه وتسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم أقسم تعالى بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي تتحرك فيه الناس لمعايشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار (وما) بمعنى من أي ومن (خلق الذكر والانثى) أي فيكون قد أقسم بنفسه أو مصدرية أي وخلق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله تعالى لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه والذكر والانثى آدم وحواء عليهما السلام أو كل ذكر وأنثى من سائر الحيوانات والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حانثا لانه في الحقيقة اما ذكر أو أنثى وان

*(قوله اذ انبعث اشقاها) هو قدار بن سالف وقيل هو مصدع بن دهر

(سورة الليل)

كان مشكلا عندنا وقيل كل ذكر وأنثى من الآدميين فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته وقوله تعالى (ان سعيكم) أى عملكم (لشتى) جواب القسم والمعنى ان اعمالكم لمختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية ويجوز ان يكون محذوفا كما قيل فى نظائره المتقدمة وشتى واحده شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه أى ان عملكم المتباعد بعضه من بعض اشتى لان بعضه ضلال وبعضه هدى أى فيكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى أى لمختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية فى أبى بكر وأبى سفيان بن حرب وروى أبو مالك الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أى مهلكها وقوله تعالى (فاما من أعطى) أى وقع منه اعطاء على ما حددناه وأمرنا به (واتقى) أى ووقعت منه التقوى وهى ايجاد الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصى خوفا من سطواتنا (وصدق بالحسنى) تفصيل مبين انشتيت المساعى واختلف فى الحسنى فقال ابن عباس أى بلا اله الا الله وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وقال زيد بن اسلم الصلاة والزكاة والصوم (فسنيسره) أى نهيئه بمالنا من العظمة بوعد لا خلف فيه (لليسرى) أى لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن أسلم لليسرى اى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منفوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فقال القوم يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة واما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (واما من بخل) أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فمنع ما أمر به وندب اليه (واستغنى) اى طلب الغنى عن الناس وعما وعدته به من الثواب أو وجده بما زعمت له نفسه الخائنة وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى (وكذب) أى أوقع التكذيب لمن يستحق التصديق (بالحسنى) اى فانكرها وكان عامدا مع المحسوسات كالبهائم (فسنيسره) اى نهيئه (للعسرى) اى للخلة المؤدية الى العسرة والشدة كدخول النار وعن ابن عباس قال نزلت فى امية بن خلف وعنه فسنيسره للعسرى اى سأحول بينه وبين الايمان بالله ورسوله وعنه ايضا واما من بخل اى بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى اى بالخلف الذى وعده الله تعالى فى قوله سبحانه وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسنى أى بالجنة وعنه بلا اله الا الله ويجوز فى ما فى قوله تعالى (وما يغنى عنه ماله) ان تكون نافية أى لا يغنى عنه ماله شيأ وان تكون استفهاما انكاريا أى اى شئ يغنى عنه ماله (اذا تردى) قال ابو صالح اى اذا سقط فى جهنم وقيل هو كناية عن الموت كما قال القائل

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداآن تطوى فيهما وحنوط

* ولما عرفهم سبحانه ان سعيهم شتى وبين ما للمحسنين من اليسرى وما للمسيئين من العسرى

(قوله الا الاشقى) المراد الشقى (قوله ان سعيكم لشتى) جواب القسم وقيل جوابه محذوف كما مر في

اخبرهم بان عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى (ان علينا) اى بما لنا من القدرة والعظمة (للهدى) اى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا فنبين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى وقال الفراء معناه ان علينا الهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو معنى قول ابن عباس يريد أرشد اوليائى للعمل بطاعتى وأحول بين أعدائى أن يعملوا بطاعتى وهو معنى الاضلال وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل (وان لنا للآخرة والاولى) أى انا مالك ما فى الدنيا والآخرة فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (فانذرتكم) أى حذرتكم وخوفتكم يا أيها المخالفون للطريق الذى بينته (نارا تلظى) بحذف احدى التاءين من الاصل اى تتلهب وتتوقد وتتوهج يقال تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى وقرأ البزى فى الوصل بتشديد التاء وهو عسر لالتقاء الساكنين على غير حدهما وهو نظير قوله تعالى اذ تلقونه والباقون بغير تشديد (لا يصلاها) أى لا يقاسى شدتها على طريق اللزوم والانغماس (الا الاشقى) أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله تعالى (الذى كذب) النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) أى عن الايمان او كذب الحق وأعرض عن الطاعة أو الاشقى بمعنى الشقى كقوله لست فيها باوحد أى بواحد والحصر مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلى المؤبد (وسيجنبها) أى النار الموصوفة بوعد لا خلف فيه (الاتقى) أى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها او يصلاها ومفهوم ذلك على التفسير الاول ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف الحصر السابق او الاتقى بمعنى التقى على وزان ما مر (الذى يؤتى ماله) أى يصرفه فى وجوه الخير اقوله تعالى (يتزكى) فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله فعلى الاول لا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلة لا محل لها وعلى الثانى محله نصب قال البغوى يعنى أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى قول الجميع قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهرى أريد فانزل الله تعالى وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال ابن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله تعالى فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى قال أبو بكر افعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو

تطايره السابقة

(سورة الضحى)

(قوله ما ودعك الآية) جواب القسم (قوله ووجدك

على دينك أعطيكه قال قد فعلت فاعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فاعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر وبلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عبيس فاصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة لبني عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المرسل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغني ان أمية بن خلف قال له أبو بكر في بلال أتبيعه قال نعم أبيعه بقسطاس عبد لابي بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله فابى فابغضه أبو بكر فلما قال له أمية أبيعه بغلامك قسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به وروى الضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول احد احد فقال أحد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر يا أبا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف أبو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله تعالى (وما لاحد عنده) اي أبي بكر (من نعمة تجزى) اي يد يكافئه عليها وقوله تعالى (الا ابتغاء) استثناء منقطع اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد بيد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء (وجه ربه) اي الحسن اليه (الاعلى) وطلب رضاه ويجوز أن يكون متصلا عن محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) اي بما يعطى من الثواب في الجنة وروى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وأعتق بلالا والآية تشمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويثاب وقرأ حمزة والكسائي يغشى تجلى والانثى اشقى من أعطى واتقى وصدق بالحسنى واستغنى بالحسنى تردى للهدى والاولى تلظى الاشقى وتولى الاتقى يتزكى تجزى الاعلى يرضى بالامالة محضة في جميع ذلك وأمال ورش جميع ذلك بين بين والفتح عنه قليل وله في من أعطى الفتح وبين اللفظين سواء وأمال أبو عمرو بين بين الامن أعطى لانه ليس برأس آية والباقون بالفتح وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي لليسرى للعسرى بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وأمال حمزة والكسائي بعد الاهما محضة ولورش الفتح وبين اللفظين واذا فتح غلظ اللام واذا أمال رققها وأما الاشقى والاتقى فلا يمالان الا في الوقف دون الوصل وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر حديث موضوع

سورة والضحى مكية

ضالا أي عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وضالا في صغرك في شعاب مكة فردك الى

وهى احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا ولما نزلت كبر النبى صلى الله عليه وسلم فسن التكبير آخرها وروى الامر به خاتمها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر اولا اله الا الله والله أكبر

(بسم الله) الملك ذى الجلال والاكرام (الرحمن) الذى عم بنعمته الخاص والعام (الرحيم) الذى خص أهل وده باتمام الانعام وقوله تعالى (والضحى) قسم وقدم الكلام على ذلك وخصه بالقسم لانها الساعة التى كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وألقى السحرة فيها سجدا وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقال البغوى أراد النهار كله بدليل انه قابله بالليل فى قوله تعالى (والليل) اى الذى به تمام الصلاح (اذا سجى) أى سكن وركد ظلامه يقال ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر سكنت أمواجه وطرف ساج فاتر وقال قتادة أقسم بالضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى وبليلة المعراج التى عرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم (فان قيل) ما الحكمة فى أنه تعالى قدم هنا الضحى وفى السورة التى قبلها الليل (أجيب) بان لكل منهما أثرا عظيما فى صلاح العالم وللليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة النور فقدم سبحانه هذا تارة وهذا الأخرى كالركوع والسجود فى قوله تعالى اركعوا واسجدوا وقوله تعالى واسجدى واركعى مع الراكعين أو أنه قدم الليل فى سورة أبى بكر لان أبا بكر سبقه كفر وقدم الضحى فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب أو أن سورة والليل سورة أبى بكر وسورة والضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم أنه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر رضى الله تعالى عنه (فان قيل) ما الحكمة فى كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته (أجيب) بان فى ذلك اشارة الى ان ساعة من نهار توازن جميع الليل كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن جميع الانبياء عليهم السلام وأيضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى أن سرور الدنيا أقل من شرورها وان هموم الدنيا أدوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات ويروى أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت غمامة سوداء ونادت ماذا أمطر فاجيبت أن امطرى الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة أخرى بذلك فأمطرت الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة ثالثة أن امطرى السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقدم ذكر الضحى وأخر الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى (ماودعك) اى تركك بأشرف الرسل تركا تحصل به فرقة كفرقة المودع ولو على أحسن الوجوه الذى هو مراد المودع (ربك) اى المحسن اليك جواب القسم (وماقلى) اى وما أبغضك بغضا ما وتركت الكاف لانه رأس آية كقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اى الله ✽ (تنبيه) ✽ اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية على ثلاثة اقوال أحدها ما روى البخارى عن جندب ابن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبى لهب فقالت يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت ثانيها ما روى أبو عمرو قال أبطأ جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وانزل عليه الآية ثالثها ما روى

جدك عبد المطلب او وجدك ناسيا فهداك الى الذكر لان الضلال جاء بمعنى النسيان كما فى

أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت
السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم
يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل عليه السلام لا يأتيني قالت خولة فكنست فأهويت
بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله
عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل
الله تعالى هذه السورة * ولما نزل جبريل عليه السلام سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن
التأخير فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة رابعها ما روي ان اليهود سألوا النبي
صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم
سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله
تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فأخبره بما سئل عنه وفي هذه القصة
نزلت ما ودعك ربك واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقال ابن جريج اثنا عشر يوما وقال
ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما قالوا وقال المشركون ان محمدا ودعه
ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى
اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام اني كنت اليك أشد شوقا ولكني عبد مأمور وأنزل
الله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك (وللآخرة) التي هي المقصود من الوجود بالذات لانها
باقية خالصة عن شوائب الكدر (خير لك) اي لما فيها من الكرامات لك (من الاولى) اي
الدنيا الفانية التي لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله سبحانه لك لانها ليست خيرا لكل أحد
قال البقاعي ان الناس على أربعة أقسام منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء
ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم
الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء وروى
البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أهل البيت اختار الله
لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك) اي بوعد لا خلف فيه وان تأخر وقته بما أفهمته الاداة
(ربك) اي المحسن اليك بسائر النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فترضى) اي به فقال
صلى الله عليه وسلم اذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن
النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب
الى محمد واسأله ما يبكيك وهو يعلم فأتى جبريل وسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
قال وهو أعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وعن أبي
هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة فهي نائلة من مات لا يشرك بالله شيئا وعن عوف بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني آت من عند ربي يخيرني بين أن يدخل نصف أمتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة من مات ولم يشرك بالله شيئا وعن شريح
قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول انكم معشر اهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن
قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا أهل البيت نقول ارجى
آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي هذا وعد لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من

قوله ان تقبيل احداهما
تذكر احداهما الاخرى
وانما جمع بينهما في قوله
لا يضل ربي ولا ينسى لان

الفتح والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس فى الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه فى بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين فى اقطار الارض من المدائن وهدم بايديهم من ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف فى قلوب اهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما اعطاه فى الآخرة من الثواب الذى لا يعلم كنهه الا الله تعالى قال ابن عباس له فى الجنة الف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك (فان قيل) ماهذه اللام الداخلة على سوف (أجيب) بانها لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك أنها لاتخلو من ان تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لاتدخل على المضارع الامع نون التوكيد فبقى أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لاتدخل الاعلى الجملة من المبتدا والخبر فلابد من تقدير مبتدا خبر وأن يكون أصله ولانت سوف يعطيك (فان قيل) مامعنى الجمع بين حرفى التأكيد والتاخير (اجيب) بان معناه ان العطاء كائن لامحالة وان تاخر لمافى التاخير من المصلحة على انه تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بالحال التى كان عليها فقال جل ذكره (ألم يجدك) وهو استفهام تقرير اى وجدك (يتيما) وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وقيل مات قبل ولادته وماتت امه وهو ابن ثمان سنين (فآوى) اى بان ضمك الى عمك ابى طالب فاحسن تربيتك وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها نظير فالمعنى الم يجدك يتيما واحدا فى شرفك لانظير لك فآواك الله تعالى باصحاب يحفظونك ويحوطونك وهذا خلاف الظاهر من الآية ولهذا قال الزمخشرى ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك (فان قيل) كيف ان الله تعالى عن بنعمه والمن بها لايليق ولهذا ذم فرعون فى قوله لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا (اجيب) بان ذلك يحسن اذا قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة فامتنان الله تعالى زيادة نعمة بخلاف امتنان الآدمى واختلفوا فى قوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) فاكثر المفسرين على أنه كان ضالا عماهو عليه الآن من الشريعة فهداه الله تعالى اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى لايضل ربى ولا ينسى اى لايغفل وقال تعالى فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال الضحاك المعنى لم تكن تدرى القرآن وشرائع الاسلام فهداك الى القرآن وشرائع الاسلام وقال السدى وجدك ضالا اى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك او فهداك الى ارشادهم وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شان الاستثناء حين سئلت عن اصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرك كقوله تعالى ان تضل احداهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك اليها كقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطالب لان الضال طالب وقيل وجدك ضائعا فى قومك فهداك اليهم ويكون الضلال بمعنى المحبة كما قال تعالى قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم اى فى محبتك قال الشاعر

هذا الضلال اشاب منى المفرقا * والعارضين ولم اكن متحققا
عجبا لعزة فى اختيار قطيعتى * بعد الضلال فحبلها قد اخلقا

الضلال ثم اديس بمعنى النسيان بل بمعنى الخطا او الغفلة (قوله ووجدك عائلا فاغنى) اى فقيرا

وروى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الحبشة ورده الى القافلة فمن الله تعالى عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من انت فعرفك نفسك وحالك وقال كعب ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح شأني فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت معشر الناس أين الصبي فقالوا لم نر شيأ فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصا فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء أن يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يارب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فاجتمعت قريش الى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى أن يرده وقال

يارب رد ولدي محمدا * اردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمعوا مناديا ينادي من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفي رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدرى ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال اني أنخت الناقة وأركبته خلفي فابت الناقة أن تقوم فلما اركبته أمامي قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهداك الى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت العرب شجرة منفردة من الارض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها الى الطريق فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا أى لا أحد على دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد فهديت بك الخلق الى وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أى وجد قومك ضلالا فهداهم بك وقيل غير ذلك قال الزمخشري ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد انه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ الله والانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (ووجدك عائلا) أى فقيرا (فأغنى) قال

فاغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها الا بكثرة المال وفي الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض وانما الغنى غنى النفس (قوله فاما اليتيم فلا تقهر) واذكر يتمك واما السائل فلا تنهر واذكر فقرك واما

مقاتل فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء وقال لم يكن غنى عن كثرة المال ولكن الله تعالى أرضاه بما أعطاه وذلك حقيقة الغنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبي طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبي بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم روى الزمخشري أنه صلى الله عليه وسلم قال جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال الرازي العائل ذو العيلة ثم أطلق على الفقير ويجوز أن يراد ووجدك ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم فأغناك بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم أكن سألته قلت يا رب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك قلت بلى يا رب وفي رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال تعالى (فأما اليتيم) أي هذا النوع (فلا تقهر) قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقال الفراء لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وهو يشير باصبعيه *(تنبيه)* اليتيم منصوب بتقهر وبه استدل ابن مالك على انه لا يلزم من تقديم المعمول تقديم العامل الا ترى ان اليتيم منصوب بالمجزوم وقد تقدم على الجازم ولو تقدم على لا لامتنع لان المجزوم لا يتقدم على جازمه كالمجرور لا يتقدم على جاره وفي الآية دلالة على اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما وكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة وقال من مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم (فان قيل) ما الحكمة في ان الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم اليتم (أجيب) بوجوه أحدها ان يعرف حرارة اليتم فيرفق باليتيم ثانيها يشاركه في الاسم فيكرم لاجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له في المجالس ثالثها ليستند من أول عمره على الله تعالى فيشبه ابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي رابعها ان اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا فيه عيبا لم يجدوا فيه مطعنا خامسها جعله يتيما ليعلم كل أحد ان فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من تعليم لان من له أب فانه يؤدبه ويعلمه سادسها اليتم والفقر نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من أكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فيكون معجزة (وأما السائل) اي الذي أحوجته العيلة أو غيرها الى السؤال (فلا تنهر) أي فلا تزجر يقال نهره وانتهره اذا زجره وأغلظ عليه القول ولكن رده ردا جميلا قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول هل تبعثون الى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين

نعمة ربك التي هي النبوة او الاسلام فحدث واذكر ضلالك

(سورة ألم نشرح)

(قوله ألم نشرح لك صدرك) (ان قلت) ما فائدة ذكر لك فيه وعنك فيما بعده مع أن الكلام تام بدونهما (قلت)

وروى الزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره وقيل أما انه ليس السائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (واما بنعمة ربك) اى المحسن اليك بالنبوة وغيرها (فحدث) بها فان التحدث بها شكرها وانما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدى به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن في الذكر الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله تعالى في أن هداه من الضلالة وقال مجاهد تلك النعمة هي القرآن والتحديث به أن يقرأ أو يقرئ غيره وعنه أيضا تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل تلك النعمة هي ان وفقك الله سبحانه وتعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بها ليقتدى بك غيرك وعن الحسن بن على قال اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا أن هذا لا يحسن الا اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدى به كما علم مما مر وروى ان شخصا كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له صلى الله عليه وسلم ألك مال قال نعم فقال له صلى الله عليه وسلم اذا آتاك الله مالا فليرأثره عليك وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى أخر حق نفسه عن حق اليتيم والسائل (أجيب) بكأنه يقول أنا غني وهما محتاجان وحق المحتاج أولى بالتقديم واختار قوله سبحانه وتعالى فحدث على قوله تعالى فاخبر ليكون ذلك حديثا عنه لا ينساه ويعيده مرة بعد أخرى وقرأ والضحى وسجى وقلى الاولى فترضى فآوى فهدى فاغنى حمزة والكسائي بامالة محضة لكن حمزة لم يمل سجى وامال ورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وروى أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ الضحى كبر بين كل سورتين الى ان يختم القرآن و يفصل بينهما بسكتة وكأن المعنى في ذلك ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فامرني به وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أمره به و بعض القراء لا يكبر لان ذلك ذريعة الى الزيادة في القرآن وقال القرطبي القرآن ثبت نقله بالتواتر سوره وآياته وحروفه بغير زيادة ولا نقصان فالتكبير ليس بقرآن وقول البيضاوي تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والضحى جعله الله ممن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم وسائل حديث موضوع

سورة الم نشرح مكية

فائدته الابهام ثم الايضاح وذلك من انواع البلاغة فلما قال تعالى الم نشرح لك فهم ان ثم مشروحا ثم قال صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذا الكلام في وضعنا عنك (قوله فان مع العسر يسرا) • ان قلت مع

وهى ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

(بسم الله) الظاهر الباطن الملك العلام (الرحمن) الذى عم المخلوقين بالانعام (الرحيم) الذى خص اولياءه بدار السلام وقوله تعالى (الم نشرح) استفهام تقرير اى شرحنا بما يليق بعظمتنا (لك) يا اشرف الخلق (صدرك) بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاتنا ودعوة الخلق او فسحناه بما اودعنا فيه من الحكم والعلوم وازلنا عنه الضيق والحرج الذى كان يكون معه العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صباه اوفى يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما (فان قيل) لم قال تعالى صدرك ولم يقل قلبك (اجيب) بان محل الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس فى صدور الناس فازال تلك الوسوسة وابدلها بدواعى الخير فلذلك خص الشرح بالصدر دون القلب وقال محمد بن على الترمذى القلب محل العقل والمعرفة والشيطان يجىء الى الصدر الذى هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا أغار فيه وبث جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد العدو فى الابتداء حصل الامن وانشرح الصدر (فان قيل) لم قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك (أجيب) بوجهين أحدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعة لاجلى وأنا أيضا جميع ما أفعله لاجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليك لاجلك لا لاجلنا واختلف فى قوله تعالى (ووضعنا) أى بما لنا من العظمة (عنك وزرك) فقال الحسن ومجاهد حططنا عنك الذى سلف منك فى الجاهلية وهو قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقال الحسين بن الفضل يعنى الخطا والسهو وقيل ذنوب أمتك وأضافها اليه لاشتغال قلبه بها (الذى أنقض) اى أثقل (ظهرك) قال أبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان فى الابتداء يثقل عليه الوحى حتى يكاد يرمى نفسه من شاهق الى أن جاءه جبريل عليه السلام وأزال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة فى الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحى وانت مطهر (ورفعنا) أى بما لنا من القدرة التامة (لك ذكرك) روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يقول الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت معى فى الاذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفى خطبة النكاح ومشارق الارض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شئ ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا وقيل أعلينا ذكرك فذكرناك فى الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة فى السماء وفى الارض عند المؤمنين ونرفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يعنى التاذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد

وضم

المصاحبة فامعنى
مصاحبة العسر واليسر
(قلت) لما عير المسلمين
المشركون بفقرهم وعدهم
الله يسرا قريبا من زمان
عسرهم وارادنا كيد
الوعد وتسلية قلوبهم
جعل اليسير كالمصاحب

وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل عام في كل ما ذكره أولى وكم من موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز وقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول * ولما كان المشركون يعيرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم ذكره ما أنعم الله به عليه من جلائل النعم ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة فقال تعالى (فان مع العسر) اى ضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم (يسرا) اى كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يهمك فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا (فان قيل) ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب العسر واليسر (أجيب) بان الله تعالى أراد أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية للقلوب وقوله تعالى (ان مع العسر يسرا) استئناف وعد الله تعالى بان العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك للصائم فرحة ثم فرحة أي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب ويجوز أن يراد باليسرين ما تيسر من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم أيام الخلفاء وقيل تكرير (فان قيل) ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (أجيب) بان هذا حمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول عنه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر في قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما تكرر المفرد في قولك زيد زيد وأن تكون الاولى عدة بان العسر مردف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال أو بان لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين فيها واليسر الذي وعدهم في الآخرة فانما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم غير زائل أي لا يجتمعان في الغلبة كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اى لا يجتمعان في النقصان (فان قيل) فما معنى هذا التنكير (أجيب) بانه للتفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأى يسر روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه والطبراني عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر لدخل اليسر حتى يخرجه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية * ولما عدد تعالى على

سرعة مجيئه
للعسر في
(فان قلت) لم ذكر ذلك
مرتين بقوله فان مع العسر
يسرا ان مع العسر يسرا
(قلت) لان معنى فان مع
العسر الذي انت فيه من
مقاساة الكفار يسرا في
العاجل ان مع العسر الذي

نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السابقة ووعده الآنفة حثه على الشكر والاجتهاد في العبادة
بقوله تعالى (فإذا فرغت) قال ابن عباس رضي الله عنهما فرغت من صلاتك المكتوبة
(فانصب) اى انصب في الدعاء وقال ابن مسعود رضي الله عنه فاذا فرغت من الفرائض فانصب
في قيام الليل وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقال الحسن وزيد بن
أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وصل وقال ابن حيان عن الكلبي اذا
فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اني أكره ان أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة (والى ربك) اى الحسن اليك
بفضائل النعم خصوصا بما ذكر في هاتين السورتين (فارغب) اى اجعل رغبتك اليه
خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقيل تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار
عصمنا الله تعالى واحبابنا منها بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني
حديث موضوع

سورة والتين والزيتون مكية

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة مدنية وهي ثمان آيات
وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي وسع الخلائق عدله (الرحيم) الذي خص اولياءه
بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله وقوله تعالى (والتين والزيتون) قسم وتقدم نظائر ذلك
أقسم بهما لانهما عجيبتان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى انه أهدى للنبي صلى الله عليه
وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه
لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن
جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول
هي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا الذي
تأكلون وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان من الارض
المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين
جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين
والزيتون وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال
الضحاك مسجدان بالشام وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس
وحسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على
الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) اى الجبل الذي ناجى عليه موسى
عليه السلام ربه عز وجل وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه فاضيف الجبل الى
المكان الذي هو فيه وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة

أنت فيه من مقاساتهم بيسر في الآجل فلا تكرار والعسر واحد والتعريف أولا للجنس وثانيا للعهد واليسر اثنان بدليل تنكيرهما والتنكير فيهما للتفخيم والتعظيم ولذلك روى

النبط ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف سيناء لانه جعل اسما للبقعة أو الارض ولو جعل اسما للمكان أو للمنزل أو اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما أقسم بهذا الجبل لانه بالشام وهي الارض المقدسة وقد بارك الله تعالى فيها قال الله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز أن يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه (وهذا البلد الامين) اى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهي مكة حرسها الله تعالى لانها الحرم الذي يامن الناس فيه في الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد ورقه اى شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد أو المامون فيه يامن فيه من دخله قال الزمخشري ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر منها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام ومنشؤه والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه اه وقوله تعالى (لقد خلقنا) اى قدرنا وأوجدنا بما لنا من العظمة والقدرة التامة (الانسان) جواب القسم والمراد بالانسان الجنس الذي جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما فيه أكثر مما فيه الشامل لآدم عليه السلام وذريته وقيل نزلت في منكري البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن أسيد وقوله تعالى (في أحسن تقويم) صفة لمحذوف اى في تقويم أحسن تقويم وقال أبو البقاء في أحسن تقويم في موضع الحال من الانسان وأراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذلك وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز أن يكون التقدير في أحسن قوام التقويم فحذف المضاف ويجوز أن تكون في زائدة اى قومناه أحسن تقويم اه وأحسن التقويم أعدله لانه تعالى خلق كل شئ منكبا على وجهه وخلق الانسان مستويا وله لسان ذلق ويد وأصابع يقبض بها قال ابن العربي ليس لله تعالى خلق أحسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الله تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته يعني على صفاته المتقدم ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن أين يكون للرحمن صورة شخصية فلم تبق الا المعاني روى أن عيسى بن يوسف الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا ان لم تكوني أحسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما أصبح غدا الى دار المنصور فأخبره الخبر فاحضر الفقهاء واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا واحدا من أصحاب أبي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم يا أمير المؤمنين فالانسان أحسن الاشياء ولا شئ أحسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك فارسل المنصور اليها أطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان أحسن خلق الله تعالى ولذلك قيل انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات اجتمع فيه (ثم رددناه) اى بعض افراده بما لنا من القدرة الكاملة (أسفل سافلين) اى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة

من عمر وابن عباس وابن مسعود بل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يغلب عسر يسرين وقيل كرر ذلك لانما كيد كما في قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناه في النفوس وتمكينه في القلوب

ولا يستدى سبيلا فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل بصره وسمعه
وكانا حديدين وتغير كل شىء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف
وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض فقوله تعالى (الا الذين آمنوا
وعملوا) اى تصديقا الدعوا هم الايمان (الصالحات) اى الطاعات استثناء متصل على الثانى
على ان المعنى رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم
أهل النار وأسفل من سفل من أهل الدركات فالاتصال على هذا واضح وعلى الاول منقطع
اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم) اى فتسبب عن ذلك أن كان لهم (أجر غير
ممنون) اى ثواب دائم غير منقطع على طاعاتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى لهم بالشيخوخة
والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم وفى الحديث اذا بلغ
المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل وروى عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر ثم قال تعالى
الزاما للحجة (فما يكذبك) اى أيها الانسان الكافر (بعد) اى بعد ما ذكر من خلق الانسان
من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى أن يستوى ويكمل ويتم
فى أحسن تقويم ثم يرده الى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث فيقول ان الذى فعل فى
ذلك قادر على أن يعيدنى ويحاسبنى فما سبب تكذيبك أيها الانسان (بالدين) اى الجزاء بعد
هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فما الذى
يكذبك فيما تخبر به من الجزاء او البعث بعد هذه العبر التى يوجب النظر فيها صحة ما قلت وقوله
تعالى (أليس الله) اى الملك الاعظم على ماله من صفات الكمال (بأحكم الحاكمين) اى بأقضى
القاضين وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وفى الحديث من قرأ التين الى آخرها
فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين ما دام فى دار
الدنيا واذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة حديث موضوع

سورة العلق مكية

وهى عشرون آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى له صفة الكمال المستحق للالهية (الرحمن) الذى عم جوده سائر البرية (الرحيم)
الذى خص أهل طاعته بالطافه السنية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أن أول سورة
نزلت من القرآن (اقرأ باسم ربك) وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله تعالى ما لم يعلم
وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة وفى مسلم الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق
الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد
قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفى
رواية حتى فجئه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذنى

فالبسر ان متعدد ان كالمسرين

(سورة التين)

(قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) قال ذلك هنا وقال فى سورة البلد لقد خلقنا الانسان فى كبد ولا منافاة بينهما لمراعاة

فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله تعالى ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني أكون فيها جذعا ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك ففي هذا الحديث دليل صحيح على ان سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل من القرآن وعلى من قال ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من مراسيل الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحتملها القوى البشرية فبدئ بأوائل علامة النبوة توطئة للوحي *(تنبيه)* محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك أو مستعينا به قل بسم الله ثم اقرأ وقال أبو عبيدة مجازه اقرأ اسم ربك يعني ان الباء زائدة والمعنى اذكر اسمه أمر أن يبتدي القراءة باسم الله تعالى تأديبا وقيل الباء بمعنى على أي اقرأ على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها قاله الاخفش (فان قيل) كيف قدم هذا الفعل على الجار وقدر مؤخرا في بسم الله الرحمن الرحيم أي على سبيل الاولوية كما في اياك نعبد واياك نستعين ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فيقدم ذكرا (أجيب) بأن هذا في ابتداء القراءة وتعليمها المأمور انها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم في نفسه وذكرت أجوبة غير هذا في مقدمتي على البسملة والحمدلة وقوله تعالى (الذي خلق) يجوز أن لا يقدر له مفعول ويراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وأن يقدر له مفعول ويراد خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس

الفواصل في السورتين ولأن معناه هنا عند كثير من المفسرين منتصب القامة معتدلها فيكون في المعنى أحسن تقويم وذلك لا ينافي كونه في كبد

بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله تعالى (خلق الانسان) أى هذا الجنس الذى من شأنه الانس بنفسه وما رأى من أخلاقه وحسنه وما ألفه من أبناء جنسه تخصيص بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره بقوله تعالى خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته وقوله تعالى (من علق) جمع علقة وهى الدم الجامد فاذا جرى فهو المسفوح * ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى أيضا وقوله تعالى (اقرأ) تكرير للمبالغة أو الاول مطلق والثانى للتبليغ أو فى الصلاة قال البيضاوى ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك قال ما أنا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) أى الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى فى اطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم (الذى علم) أى بعد الحلم عن معاجلتهم بالعقاب جود امتنه تعالى من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منفعة (بالقلم) أى الخط بالقلم (علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم فى صفة القلم

ورواقم رقش كمثل اراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى وروى عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله أكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان الله تعالى علم بالقلم ويروى ان سليمان عليه السلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهى القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام وفيمن علم بالقلم ثلاثة أقوال أحدها قال كعب اول من كتب بالقلم آدم عليه الصلاة والسلام ثانيها قال الضحاك ادريس عليه السلام ثالثها انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبى الاقلام ثلاثة فى الاصل القلم الاول الذى خلقه الله تعالى بيده وامره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذى يكتبون به المقادير والكوائن والثالث اقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان فى اسكانهن الغرف تطلعا الى الرجال وليس فى ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك انهن لا يملكن

(قوله ثم رددناه أسفل سافلين) ان فسر بالرد الى جهنم فهو قوله حقيقى والاستثناء بعده متصل وعليه فقوله فلهم أجر غير ممنون قائم مقام قوله فلا

انفسهن حين يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة فحذر من ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت
سببا للفتنة لانها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب والخط
اشارة اليد وفيها تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان فاحب صلى الله عليه
وسلم ان يقطع عن المرأة اسباب الفتنة تحصينا لها او قوله تعالى (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى
بطغيانه وان لم يذكره لدلالة الكلام عليه فانه تعالى قد عدد مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما
انعم عليه من ابلاغه من احسن المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته (ان
الانسان) اي هذا النوع الذي من شانه الانس بنفسه والنظر في عطفه (ليطغى) اي من شانه الا
من عصمه الله تعالى ان يزيد على الحد الذي لا ينبغي له مجاوزته (ان رآه) اي راى نفسه (استغنى)
اي وجد له الغنى بالمال وقيل ان يرتفع عن منزلته في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل
كان اذا زاد ماله زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما
نزلت هذه الآية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد أتزعم انه من استغنى طغى فاجعل
لنا جبال مكة ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فاتاه جبريل عليه السلام
فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما ارادوا فان لم يفعلوا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب
المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء لهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة
والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى ان رآه كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم
فرأى علمية واستغنى مفعول ثان وان رأى مفعول له (ان الى ربك) اي الحسن اليك بالرسالة
التي رفع بها ذكرك لا الى غيره (الرجعى) مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع ففي ذلك تخويف
للانسان بان يجازي العاصي بما يستحقه وقوله تعالى (ارايت) في مواضعها الثلاث للتعجب
(الذي ينهى) اي على سبيل التجدد والاستمرار وهو ابو جهل (عبدا) اي من العبيد وهو النبي
صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) اي خدم سيده الذي لا يقدر احد ان ينكر سيادته بايقاع الصلاة التي
هي اعظم العبادات نزلت في ابي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه
بين اظهركم فقالوا نعم فقال واللات والعزى لئن رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته ولاعفرن
وجهه في التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطا على رقبته فنكص
على عقبيه وهو يتقي بيده فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه خندقا من النار وهولا واجنحة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه
الآية وفي رواية لو فعل لاخذته الملائكة كذا زاد الترمذي عيانا وعن الحسن انه امية بن خلف كان
ينهى سلمان عن الصلاة وفائدة التنكير في قوله تعالى عبدا الدلالة على انه كامل العبودية كأنه
قيل ينهى اشد الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان هذا الوعيد يلزم كل من
ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل في ذلك المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي
الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهي عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يدخل ايضا منع السيد
عبده والرجل زوجته عن صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك مصلحة الا ان ياذن
فيه السيد والزوج (أرايت ان كان) أي المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (على الهدى)

نردهم اسفل سافلين
او بالرد الى اسفل العمر
فهو تسفل في الرتب
والاوصاف بالنسبة الى
رتب الشباب واوصافه
والاستثناء بعد منقطع

وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن ورش ابدالها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق وقوله تعالى (أو أمر بالتقوى) أي الاخلاص والتوحيد للتقسيم *(تنبيه)* قوله تعالى أرأيت تكرير للاول وكذا الذي في قوله تعالى (أرأيت ان كذب) وهو ابو جهل (وتولى) عن الايمان (ألم يعلم) أي يقع له علم يوما من الايام (بأن الله) الذي له صفات الكمال (يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك أي اعجب منه يا مخاطب في نهيه عن الصلاة من حيث ان المنهي على الهدى آمر بالتقوى وفي وجه التعجب وجوه أحدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام اما بابي جهل واما بعمر بن الخطاب وهو ينهى عبدا اذا صلى الثاني أنه يلقب بأبي الحكم فقيل أيلقب بهذا وهو ينهى عن الصلاة فيتعجب منه ومن حيث ان الناهي مكذب متول عن الايمان الثالث انه كان يأمر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى (كلا) ردع للناهي (لئن لم ينته) أي عما هو فيه واللام لام قسم (لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو بن معديكرب

قوم اذا نقع الصريخ رأيتهم * ما بين ملجم مهره او سافع

والنقع الصوت * ولما علم انها ناصية المذكور اكتفى باللام عن الاضافة والآية وان كانت في أبي جهل فهي عظة للناس وتهديد لمن يمنع غيره عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى (ناصية) بدل من الناصية قال الزمخشري وجاز بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصفت أي بـ(كاذبة خاطئة) واستقلت بفائدة واعترض عليه بان هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال نكرة من معرفة الا بشرط وصفها أو كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شيء والمعنى لنأخذن بناصية أبي جهل الكاذبة في قولها الخاطئة في فعلها والخاطئ معاقب مأخوذ والمخطئ غير مأخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالى الى ربها ناظرة وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى في أنه لم يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى رسوله في أنه ساحر وليس بنبي ووصفت بانها خاطئة لان صاحبها تمرد على الله تعالى كما قال تعالى لا يأكله الا الخاطئون فهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ وروى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتنهرني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فوالله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فانزل الله تعالى (فليدع) أي دعاء استغاثة (ناديه) أي أهل ناديه ليعينوه فهو على حذف مضاف لان النادي هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم قال تعالى وتأتون في ناديكم المنكر أي يتحدثون فيه أو على التجوز لانه مشتمل على الناس كقوله تعالى واسأل القرية ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى فليدع عشيرته فلينتصر بهم (سندع) أي بوعد لا خلف فيه (الزبانية) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد زبانية جهنم سموا بها لانهم يدفعون أهل النار اليها بشدة جمع زبني مأخوذ من الزبن وهو الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية وقال الزجاج هم الملائكة

الغلاظ

وعليه فقوله فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع بالهرم والضعف والمعنى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال شبابهم وقوتهم اذا عجزوا بالهرم

الغلاظ الشداد قال ابن عباس رضى الله عنهما لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله تعالى وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناصية قال أبو جهل أنا أدعو قومى حتى يمنعوا عنى ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما ذكر الزبانية رجع فزعا فقيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهددنى بالزبانية فلا أدرى الزبانية ومال الى الفارس فخشيت منه أن يأكلنى قال ابن عباس رضى الله عنهما والله لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله تعالى (كلا) ردع لأبى جهل اى ليس الامر على ما يظنه أبو جهل (لا تطعه) اى فيما دعاك اليه من ترك الصلاة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين وقوله تعالى (واسجد) يحتمل أن يكون بمعنى السجود فى الصلاة وأن يكون سجود التلاوة فى هذه السورة ويدل لهذا ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك الذى خلق سجدتين وهذا نص أن المراد سجود التلاوة ويدل للاول قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى كلا لا تطعه واسجد اى ودم على سجودك قال الزمخشرى يريد الصلاة لانه لا يرى سجود التلاوة فى المفصل والحديث عليه (واقترب) اى وتقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء اليه قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن اى حقيق أن يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر فى سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة رضى الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا وفى رواية أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وقرأ أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى حمزة والكسائى جميع ذلك بالامالة محضة وورش وابو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله حديث موضوع

سورة القدر مدنية

فى قول أكثر المفسرين وحكى الماوردى عكسه وذكر الواحدى انها أول سورة نزلت بالمدينة وهى خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذى لا يعبد الا اياه (الرحمن) الذى عم بجوده جميع خلقه أقصاه وأدناه (الرحيم) الذى قرب أهل طاعته وأبعد من عداهم وأشقاه وقوله تعالى (انا أنزلناه) اى بما لنا من العظمة اى القرآن فيه تعظيم له من ثلاثة أوجه أحدها انه أسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه وهو قوله تعالى (فى ليلة القدر وما أدراك) اى أعلمك يا أشرف الخلق (ما ليلة القدر) فان فى ذلك تعظيما للشأن بما روى أنه أنزله جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه

عن العمل كتب لهم ثواب ما كانوا يعملون الى وقت موتهم

(سورة العلق)

(قوله اقرأ باسم ربك) اى اوجد القراءة مبتدئا باسم

السلام على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين
سنة بحسب الوقائع والحاجة اليه وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه نزل
فى شهر رمضان وفى ليلة القدر وفى ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السفرة
الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عليه السلام عشرين سنة
ونجمه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربى وهذا باطل ليس بين
جبريل وبين الله تعالى واسطة ولا بين جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم واسطة وعن
الشعبى انا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر وقيل المعنى أنزل فى شأنها وفضلها فليست ظرفا وانما
هو كقول عمر رضى الله عنه خشيت أن ينزل فى قرآن وقول عائشة رضى الله عنها لانا أحقر
فى شأنى أن ينزل فىّ قرآن وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى
السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغيره ويسلمه الى مدبرات الامور من
الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام كقوله تعالى فيها
يفرق كل أمر حكيم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى يقضى الاقضية فى ليلة
نصف شعبان ويسلمها الى أربابها فى ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعا بين القولين فى قوله
تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فانه قيل انها الليلة النصف من شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ
لا خلاف وقيل سميت بذلك لتضيقها بالملائكة قال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة
كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وشرفها وقدرها من قولهم
لفلان قدر اى شرف ومنزلة قاله الازهرى وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعة قدرا عظيما
وثوابا جزيلا وقيل لانه أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذى قدر الى أمة ذات قدر ومعنى أن
الله تعالى يقدر الآجال والارزاق انه يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من سعتهم
وضيقهم بان يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد أنه يحدث فى تلك
الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن
الفضل أليس قد قدر الله تعالى المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما
معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر واختلفوا هل هى
باقية أو لا فقيل انها كانت مرة ثم انقطعت وقيل انها رفعت بعد النبى صلى الله عليه
وسلم والصحيح انها باقية الى يوم القيامة وروى عن عبد الله بن محسن مولى معاوية قال قلت
لابى بكر زعموا أن ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان
أستقبله قال نعم وعن سعيد بن المسيب انه سئل عن ليلة القدر أهى شئ كان فذهب أم هى
فى كل عام فقال بل هى لامة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقى منهم اثنان واستدل من قال برفعها
بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان
وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط من هذا القائل ففى آخر الحديث
فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها
واختلفوا فى وقتها فاكثر أهل العلم انها مختصة برمضان واحتجوا بقوله تعالى شهر رمضان
الذى أنزل فيه القرآن وقال تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر فوجب أن لا تكون ليلة القدر

وربك واقرأ الثانى تأكيد له (قوله الذى خلق) اى الخلائق وخص قوله خلق الانسان بالذكر مع دخوله فى الاول لشرفه ونزول القرآن اليه (قوله من علق) لم يقل من

الا في رمضان لئلا يلزم التناقض وروى عن أبي بن كعب أنه قال والله الذي لا اله الا هو انها
في رمضان حلف بذلك ثلاث مرات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وقيل هي دائرة في جميع السنة لا تختص برمضان
حتى لو علق طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلف
يروى ذلك عن ابي حنيفة وعن ابن مسعود أنه قال من يقم الحول يصبها وذكر عن أبي الحسن
الشاذلي انه قال من أراد أن يعرف ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان اى الى اوله فان كان
يوم الاحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين وان كان يوم الاثنين فليلة القدر احدى وعشرين
وان كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين وان كان يوم الاربعاء فليلة تسعة عشر وان كان
يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وان كان يوم الجمعة فليلة سبعة عشر وان كان يوم السبت
فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الاول هل هي في كل رمضان أو في العشر الاخيرة قولان
أحدهما انها في كل شهره واختلفوا في اى ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الاولى من
رمضان وقال الحسن البصري السابعة عشر وقال أنس التاسعة عشر وقال محمد بن سحق
الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابي بن كعب السابعة
والعشرون وقيل التاسعة والعشرون وقيل ليلة الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول
الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الاكثرون انها مختصة بالعشر الاخير منه واستدل
لذلك باشياء منها ما روى عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة
القدر فقال في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر ومنها ما روى عن أبي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وعن عائشة رضى
الله عنها قالت كان رسول صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها
وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ
أهله واختلفوا في انها اى ليلة من العشر هل في ليلة من ليالى العشر كله أو في أوتاره فقط
وهل تلزم ليلة بعينها أو تنتقل في جميعه أقوال والذي عليه الاكثر انها في جميعه ولكن
أرجاها أوتاره وأرجى الاوتار عند امامنا الشافعي رضى الله عنه ليلة الحادي والعشرين
أو الثالث والعشرين يدل للاول خبر الصحيحين وللثاني خبر مسلم وانها تلزم عنده ليلة بعينها
وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة انها منتقلة في ليالى العشر جمعا بين الاحاديث
قال النووي وهو قوي وقال في مجموعه انه الظاهر المختار وخصها بعض العلماء باوتار العشر
الاواخر وبعضهم باشفاعه وقال ابن عباس وأبي هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب أكثر
أهل العلم واستنبط ذلك بعضهم من أن ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة أحرف واذا
ضربت تسعة في ثلاثة تكن سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة
وقال انها ثلاثون كلمة وفاقا وقوله تعالى هي السابع والعشرون وهي كناية عن هذه الليلة
وبيان أنها الليلة السابع والعشرين وهو استنباط لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين
قولا وبضع وعشرون حديثا وأفردت بالتصنيف وفيما ذكرناه كفاية وذكروا للسبب في
اخفائها عن الناس وجوها احدها انه تعالى أخفاها ليعظموا جميع السنة على القول بانها

علقة لان الانسان في معنى
الجمع او رعاية للفاصلة وقوله
(الذي علم بالقلم) مبهم
فسره بقوله بعده علم
الانسان ما لم يعلم

* سورة القدر *

فيها أو جميع رمضان على القول به أو جميع العشر الاخير على القول به كما أخفى رضاه فى الطاعات ليرغبوا فى كلها وأخفى غضبه فى المعاصى ليحذروها كلها وأخفى وليه فى المسلمين ليعظموهم كلهم وأخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغوا فى الدعوات وأخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة ليجتهدوا فى العبادة فى جميع أوقاته فى غير الاوقات المنهى عنها طمعا فى ادراكها وأخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل أسمائه تعالى وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل وأخفى التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسامها وأخفى قيام الساعة ليكونوا على وجل من قيامها بغتة ثانيها ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر واجتهد فى الطاعة رجاء أن يدركها فيباهى الله تعالى به ملائكته ويقول تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء وهذا جده واجتهاده فى الليلة المظنونة فكيف لو جعلتها معلومة له فحينئذ يظهر انى أعلم مالا تعلمون ثالثها ليجتهدوا فى طلبها والتماسها فينالوا بذلك أجر المجتهدين فى العبادة بخلاف ما لو عينت فى ليلة بعينها لحصل الاقتصار عليها ففاتت العبادة فى غيرها * ثم ذكر الله تعالى فضلها من ثلاثة أوجه أحدها ماذكره بقوله سبحانه (ليلة القدر) أى التى خصصناها بانزاله فيها (خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر فالعمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها ليلة قدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الامم أعمارا واقلها أعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة اى فهى من خصائص هذه الامة وعن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذى يبلغ غيرهم فاعطاه الله تعالى ليلة القدر التى العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فاعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بان يسموا عابدين من أولئك العباد وهى أفضل ليالى السنة ويدخل فى ذلك ليلة الاسراء فهى افضل منها ان لم تكن ليلة الاسراء ليلة القدر كما قيل ان الاسراء كان فى رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها ورزقها وأجلها وبلائها ورخائها ومعاشها الى مثلها من السنة ولا يشكل ذلك بما قيل ان الآجال تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى لما ورد ان الله تعالى يأمر بنسخ ما يكون فى السنة من الآجال والامراض والارزاق ونحوها فى ليلة النصف من شعبان فاذا كان ليلة القدر فيسلمها الى أربابها وقيل يقدر فى ليلة النصف من شعبان الآجال والامراض وفى ليلة القدر الامور التى فيها الخير والبركة والسلامة * الوجه الثانى من فضائلها ماذكره الله تعالى فى قوله جل ذكره (تنزل) اى تتنزل متدرجا متواصلا على غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما اشار اليه حذف التاء (الملائكة) اى الى الارض وروى انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى (والروح) اى جبريل عليه السلام (فيها) اى فى الليلة ومعه اربعة الوية فينصب

(قوله ليلة القدر خير) عدل عن الضمير الى الظاهر فى لفظ القدر تعظيما لليلته (قوله من كل امر) متعلق بتنزل ومن بمعنى الباء كما فى قوله

لواء

لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن ولا مؤمنة الا دخله وسلم عليهم يقول يا مؤمن ويا مؤمنة السلام يقرئك السلام الا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى وهذا يدل على أن الملائكة كلهم لا ينزلون وظاهر الآية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روى انهم ينزلون فوجا فوجا كما ان أهل الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لا تسعهم دفعة واحدة كما ان الارض لا تسع الملائكة دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذى يقتضى المرة بعد المرة اى ينزل فوج ويصعد فوج والله أعلم بذلك وعن أبى هريرة رضى الله عنه ان الملائكة فى تلك الليلة أكثر من عدد الحصى وقال بعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفى كل رأس ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة لا تشبه لغة اخرى فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة ان تحرقهم انوار افواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل فى ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وعن على أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى ملكا رجلاه جاوزت من الارض السابعة السفلى ورأسه من السماء السابعة العليا ومن لدن رأسه الى قدميه وجوه وأجنحة فى كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن تسبيحا لا يسبحه العضو الآخر ولو أمره الله تعالى أن يلتقم السموات السبع والارضين السبع لقمة واحدة كما يلتقم أحدكم اللقمة لأطاق ذلك ثم لم تكن تلك فى فيه الا كالتمرة أحدكم فى فيه ولو سمع أهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة أذنه الى منكبيه خفقان الطير السريع سبعة آلاف سنة وهو رأس الملائكة وقيل الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر (باذن ربهم) أى بامر المحسن اليهم المربى لهم (من كل أمر) أى قضاه الله تعالى فيها لتلك السنة الى قابل وتقدم الجمع بينها وبين ليلة النصف من شعبان ومن سببية بمعنى الباء * الوجه الثالث من فضائلها ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (سلام) أى عظيم جدا وهو خبر مقدم والمبتدأ (هى) جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمرون بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه ويستمرون على ذلك من غروب الشمس (حتى) أى الى (مطلع الفجر) أى وقت مطلعه أى طلوعه وقرأ الكسائى بكسر اللام على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق والباقون بفتحها * ومن فضائلها أن من قامها غفرت له ذنوبه ففى الصحيحين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه قال النووى فى شرح مسلم ولا ينال فضلها الا من اطلعه الله تعالى عليها فلو قامها انسان ولم يشعر بها لم ينل فضلها قال الاذرعى وكلام المتولى ينازعه حيث قال يستحب التعبد فى كل ليالى العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين

يحفظونه من امر الله وقوله يلقى الروح من امره

(سورة البينة)

(قوله رسول من الله) اى من عنده كما ظهر فى قوله ولما جاءهم رسول من عند الله (قوله يتلوا صحفا) * ان

اه وهذا أولى نعم حال من اطلع أكمل اذا قام بوظائفها وعن أبي هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخيرة في جماعة من رمضان فقد أدرك ليلة القدر أي اخذ حظا منها ويسن لمن رآها ان يكتمها ويسن ان يكثر من الدعاء والتعبد في ليالي رمضان وأن يكون من دعائه اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني ومن علاماتها ان الشمس تطلع صبيحتها لاشعاع لها رواه مسلم عن أبي بن كعب وعن ابن مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة القدر فانها تطلع يومئذ بيضاء ليس لها شعاع (فان قيل) لافائدة في هذه العلامة فانها قد انقضت (اجيب) بانه يستحب أن يجتهد في ليلتها ويبقى يعرفها كما مر عن الشافعي أنها تلزم ليلة واحدة وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر حديث موضوع

سورة لم يكن

وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول الجمهور وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذي لايخرج شئ عن مراده (الرحمن) الذي عم بنعمه جميع عباده (الرحيم) الذي خص أولياءه باسعاده * ولما كان الكفار جنسين أهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه (لم يكن الذين كفروا) أي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال (من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى الذين كان أصل دينهم حقا فالحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع وموافقته في الاصول فكذبوا (والمشركين) أي بعبادة الاصنام والنار والشمس ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له أصل في الحق بان لم يكن لهم كتاب *(تنبيه)* من للبيان وقوله تعالى (منفكين) خبر يكن أي منفصلين وزائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لايبقى لهم به علقة ويثبتون على ذلك الانفكاك وأصل الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم اذا أزيل ما كان ملتصقا أومتصلا به أوعن الموعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول المبشر به فان أهل الكتاب كانوا يستفتحون به والمشركين كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم (فان قيل) لم قال تعالى كفروا بلفظ الماضي وذكر المشركين باسم الفاعل (أجيب) بان أهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل و بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وذلك يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى (حتى) أي الى ان (تأتيهم البينة) متعلق بيكن او بمنفكين والبينة الآية التي هي في البيان كالفجر المنير الذي لايزداد بالتمادي الاظهورا وضياء ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم وما معه من الآيات التي أعظمها الكتاب وهو القرآن وقوله تعالى (رسول) أي عظيم جدا بدل من البينة بنفسه أو بتقدير

(قلت) ظاهره انه يقرأ المكتوب من الكتاب مع انه منتف في حقه صلى الله عليه وسلم لكونه أميا (قلت) المراد يتلو ما في الصحف من ظهر قلبه (فان قلت) ما الفرق بين الصحف

مضاف أى سنة رسول او مبتدأ وزاد عظمته بقوله تعالى واصفاله (من الله) أى الذى له الجلال والاكرام وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه فى نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا ولان اللام فى البينة للتعريف أى هو الذى سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التى لا مزيد عليها والبينة كل البينة وكذا التنكير وقد جمعهما الله تعالى ههنا فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى حين أثنى على نفسه ذو العرش المجيد فعال لما يريد فنكر بعد التعريف وقال ابو مسلم المراد من البينة مطلق الرسول وما معه من الآيات التى أعظمها الكتاب سواء التوراة او الزبور أو الانجيل او القرآن وعبر بالمضارع تجدد البيان فى كل وقت بتجدد الرسالة والتلاوة وقال البغوى لفظه مستقبل ومعناه الماضى أى حتى أتتهم البينة وتبعه على ذلك الجلال المحلى وقوله تعالى (يتلوا صحفا) صفة الرسول أو خبره والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه السلام وهو التالى للصحف المنتسخة من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس ولابد من مضاف محذوف وهو الوحى والصحف جمع صحيفة وهى القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة المواصلة (مطهرة) أى فى غاية الطهارة والنزاهة من كل قذر مما جعلنا لها من البعد عن الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها وانها لا يمسها الا المطهرون (فيها) أى تلك الصحف (كتب) أى أحكام مكتوبة (قيمة) أى مستقيمة ناطقة بالحق والعدل الذى لا مرية فيه ليس فيه شرك ولا عوج بنوع من الانواع (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) أى عما كانوا عليه وخص اهل الكتاب بالتفرق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (الا من بعد ما جاءتهم البينة) أى اتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن موافقا الذى فى أيديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوته فلما بعث صلى الله عليه وسلم جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان مجىء البينة يقتضى اجتماعهم على الحق لا تفرقهم فيه وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح ۞ ولما كان حال من أضل على علم أشنع زاد فى فضيحتهم فقال تعالى (وما أمروا) أى هؤلاء الكفار فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله) اى يوحدوا الاله الذى له الامر كله ولا أمر لاحد غيره واللام بمعنى أن كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى (مخلصين له الدين) فيه دليل على وجوب النية فى العبادات لان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (حنفاء) أى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وأصل الحنف فى اللغة الميل وخصه العرف بالميل الى الخير وسموا الميل إلى الشر الحادا والحنيف المطلق الذى يكون متبرئا من اصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين

والكتب حتى جمع بينهما فى الآية (قال) الصحف قراطيس مطهرة من الشرك والباطل والكتب المكتوبات اى فى بعض القراطيس مكتوبة قيمة اى مستقيمة ناطقة

وعن فروعها من جميع الفضل الى الاعتقادات وعن توابعها من الخطا والنسيان الى العمل الصالح وهو مقام التقى وعن المكروهات الى المتحيبات وهو المقام الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله تعالى وهو مالا يعنى الى ما يعنى وهو المقام الثانى من الورع وعما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامى الاخلاص الناظر أحدهما الى الحق والثانى الى الخلق ٭ ولما ذكر أصل الدين اتبعه الفروع وبدأ بأعظمها الذى هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق فقال عز من قائل (ويقيموا) أى يعدلوا من غير اعوجاج بجميع الشرائط والاركان والحدود (الصلوة) لتصير بذلك أهلا لان تقوم بنفسها وهى من التعظيم لامر الله تعالى ولما ذكر تعالى صلة الخالق اتبعها صلة الخلائق بقوله تعالى (ويؤتوا الزكوة) أى يدفعوها المستحقيها شفقة على خلق الله تعالى اعانة على الدين أى ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه لطباعهم المعوجة وتدخل الزكاة عند أهل الله تعالى فى كل مارزقه الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون (وذلك) أى والحال ان هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور (دين القيمة) أى الملة المستقيمة وأضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا بها الى الملة وقيل الهاء للمبالغة فيه وقيل القيمة هى الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه وتأمر به كما قال تعالى وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال النضر بن شميل سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد قال البغوى ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى مآل الفريقين فقال سبحانه (ان الذين كفروا) اى وقع منهم الستر لمرأى عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا او استمروا على ذلك وان لم يكونوا عريقين فيه (من اهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (والمشركين) أى العريقين فى الشرك (فى نار جهنم) أى النار التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة (خالدين فيها) أى يوم القيامة او فى الحال لسعيهم لموجباتها واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لا يوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته (أولئك) أى هؤلاء البعداء البغضاء (هم) أى خاصة بما اضمارهم من الخبث (شر البرية) أى الخليقة الذين أهملوا اصلاح أنفسهم وفرطوا فى حوائجهم ومآربهم وهذا يحتمل ان يكون على التعميم وان يكون بالنسبة لعصر النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وأنى فضلتكم على العالمين أى عالمى زمانهم ولا يبعد أن يكون فى كفار الامم قبل من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح ٭ ولما ذكر تعالى الاعداء وبدأ بهم لان ذلك أردع لهم أتبعه الاولياء فقال تعالى مؤكدا ما للكفار من الانكار (ان الذين آمنوا) أى أقروا بالايمان (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات) أى هذا النوع (أولئك) أى هؤلاء العالو الدرجات (هم) اى خاصة (خير البرية) أى على التعميم أو برية عصرهم والتى فيه ما مر وقرأ نافع وابن ذكوان بالهمز فى الحرفين لانه من قولهم برأ الله الخلق والباقون بالياء المشددة بعد الراء كالذرية ترك همزه فى الاستعمال ثم ذكر ثوابهم بقوله تعالى (جزاؤهم) أى على طاعاتهم وعظمه بقوله تعالى (عند ربهم) اى المربى لهم والمحسن اليهم (جنات عدن) أى اقامة لا يحولون عنها (تجرى)

بالعدل والحق (قوله
وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب) اى وهم اليهود
والنصارى الا من بعد
ما جاءتهم البينة اى محمد
صلى الله عليه وسلم
او القرآن المعنى انهم كانوا

اى جريا دائما لا انقطاع له (من تحتها) اى تحت أشجارها وغرفها (الانهار خالدين فيها) اى يوم القيامة أو فى الحال لسعيهم فى موجباتها وأكد معنى الخلود تعظيما للجزاء ثم بقوله تعالى (أبدا رضى الله) اى بماله من نعوت الجلال والجمال (عنهم) اى بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق (ورضوا عنه) لانهم لم يبق لهم أمنية الا أعطاهموها مع علمهم انه تفضل فى جميع ذلك لا يجب عليه لاحد شئ ولا يقدره أحد حق قدره فلو آخذ الخلق بما يستحقونه لاهلكهم كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس ورضوا عنه بثواب الله عز وجل (ذلك) اى الامر العالى الذى جوزوا به (لمن خشى ربه) اى خاف المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الى التسويف والتكاسل فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وهى للعارفين فان الانسان اذا استشعر عذابا يأتيه لحقته حالة يقال لها الخوف وهى انخلاع القلب عن طمأنينته فان اشتد سمى وجلا لجولانه فى نفسه فان اشتد سمى رهبا لادائه الى الهرب وهى حالة المؤمنين الفارين الى الله تعالى ومن غلب عليه الحب لاستغراقه فى شهود الجماليات لحقته حالة تسمى مهابة ووراء هذا الخشية انما يخشى الله من عباده العلماء فمن خاف ربه هذا الخوف انفك عن جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه تعالى وما فارق الخوف قلبا الا خرب روى أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال أبى وسمانى لك قال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فبكى أبى قال البقاعى سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة قد خالفاه فى القراءة فرفعهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما قال فسقط فى نفسى من التكذيب أشد ما يكون فى الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم فى صدرى ففضت عرقا وكأنما أنظر الى الله فرقا اى خوفا ثم قص على خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت السورة التى وقع فيها الخلاف سورة النحل وفيها انه تعالى يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا وانه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا وان اليهود اختلفوا فى السبت وسورة لم يكن على قصرها حاوية اجمالا لكل ما فى النحل على طولها وزيادة وفيها التحذير من الشك بعد البيان وتقبيح حال من فعل ذلك وان حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب فى العناد فيكون شر البرية فقرأها صلى الله عليه وسلم عليه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ وأخصر ليكون أسرع له تصورا فيكون أرسخ فى النفس وأثبت فى القلب وأعشق للطبع فاختصه الله بالتثبيت وأراد له الثبات فكان من المريدين المرادين لما وصل الى قلبه بركة ضربة النبى صلى الله عليه وسلم لصدره وصار كلما قرأ هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا باذن قلبه الى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذى وصل اليه بسر تلك الضربة ولثبوته فى هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرؤكم أبى قال القرطبى وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم وقال بعضهم انما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على أبى ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه فى المنزلة وقيل أن أبيا كان أسرع أخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه ويعلم غيره

مجتمعين على الايمان به اذا جاء فلما جاء تفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم

وفيه فضيلة عظيمة لابى اذ أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا حديث موضوع

سورة الزلزلة مدنية

في قول ابن عباس وقتادة ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهى ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا

(بسم الله) المحيط بكل شئ قدرة وعلما (الرحمن) الذى عم الخلائق بنعمته الظاهرة قسما (الرحيم) الذى أتم النعمة على خواصه حقيقة عينا واسما ولما قال تعالى للمؤمنين جزاؤهم عند ربهم جنات عدن كأن المكلف قال متى يكون ذلك فقيل له (اذا زلزلت الارض) اى تحركت واضطربت لقيام الساعة قال العلماء كلهم يكونون فى الخوف وأنت فى ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (زلزالها) اى تحريكها الشديد المناسب لعظم جرم الارض وعظمة ذلك وذلك كما تقول اكرم التقى اكرامه وأهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفى فى المضطرب قال تعالى (وأخرجت الارض) اى كلها ولم يضمر تحقيقا للعموم (أثقالها) اى ما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أثقالها أمواتها تخرجهم فى النفخة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقيل أثقالها كنوزها ومنه الحديث تلقى الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ فمعطيها الله تعالى قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة أن تخرج النبات الصغير اللطيف الطرى الذى هو انعم من الحرير فتشق الارض الصلبة التى تكل عنها المعاول بل تشق النوى مع ما لها من الصلابة التى استعصت بها على الحديد فتنفلق نصفين وينبت منها سائر ما يريده سبحانه وتعالى فالذى قدر على ذلك قادر على تكوين الموتى فى بطن الارض واعادتهم على ما كانوا عليه كما يكون الجنين فى البطن ويشق جميع منافذه من السمع والبصر والفم وغير ذلك من غير أن يدخل هناك بيكار ولا منشار ثم يخرج من البطن هكذا اخراج الموتى من غير فرق كل ذلك عليه هين سبحانه ما أعظم شانه وأعز سلطانه (وقال الانسان) أى هذا النوع الصادق بالقليل والكثير لما له من النسيان لما كان عنده من أمر البعث بما له من الانس بنفسه والنظر فى عطفه على سبيل التعجب او الدهش والحيرة او الكافر كما يقول من بعثنا من مرقدنا فيقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ما لها) اى اى شئ ثبت للارض فى هذه الزلزلة الشديدة التى لم يعهد مثلها ولفظت ما فى بطنها (يومئذ) اى اذ كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه وقوله تعالى (تحدث أخبارها) جواب اذا وهو الناصب لها عند الجمهور ومعنى تحدث اى تخبر الارض بما عمل عليها من خير او شر

(سورة الزلزلة)

(قوله اذا زلزلت الارض زلزالها) ان قلت لم اضاف الزلزال الى الارض ولم يقل زلزالا كما قال اذا دكت الارض دكا دكا (قلت) ليدل على انها

يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى وقيل من قول الانسان اى يقول الانسان مالها تحدث أخبارها متعجبا روى الترمذى عن ابى هريرة أنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا كذا وكذا قال فهذه أخبارها *(تنبيه)* فى تحديثها اخبارها ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك ثانيها ان الله تعالى يحدث فيها الكلام ثالثها ان يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل فى الآية تقديم وتاخير تقديره يومئذ تحدث اخبارها فيقول الانسان مالها اى تخبر الارض بما عمل عليها (بان ربك) متعلق بتحدث ويجوز ان يتعلق بنفس اخبارها والباء سببية اى تحدث بسبب ان ربك المحسن اليك بانواع النعم (أوحى لها) اى أذن لها ان تتكلم بذلك المذكور بالقال أو بالحال على ما مر قال البقاعى وعدل عن قوله اليها الى قوله تعالى لها ايذانا بالاسراع فى الايحاء وقال البغوى أوحى لها وأوحى اليها واحد وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب بقوله تعالى (يصدر) أو باذكر مقدرا اى واذكر يوم اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس من القبور يصدر (الناس) اى يرجعون من قبورهم الى ربهم الذى كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرأ حمزة والكسائى باشمام الصاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد الخالصة (أشتاتا) اى متفرقين بحسب مراتبهم فى الذوات والاحوال من مؤمن وكافر وآمن وخائف ومطيع وعاص وعن ابن عباس متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة او متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا) اى يرى الله تعالى المحسن منهم والمسئ بواسطة من شاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل أحد من غير ترجمان ولا واسطة كما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم (أعمالهم) فيعلموا جزاءها او صادرين عن الموقف كل الى داره ليرى جزاءه ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا الجملة التى قبله (فمن يعمل) من محسن او مسئ مسلم او كافر (مثقال ذرة خيرا) اى من جهة الخير (يره) اى يرى ثوابه حاضرا لا يغيب عنه شئ منه لان المحاسب له الاحاطة علما وقدرة (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فالمؤمن يراه ليشتد سروره به والكافر يوقف على عمله انه احبط لبنائه على غير اساس الايمان او على انه جوزى فى الدنيا فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه وتبقى حسرته وعن ابن عباس من يعمل من الكفار خيرا يره فى الدنيا ولا يثاب عليه فى الآخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه فى الآخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره فى الدنيا ولا يعاقب عليه فى الآخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف فى الآخرة وفى بعض الاحاديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى ليبين انه لا يغفل عن عمل ابن آدم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض أهل اللغة ان الذر أن يضرب الرجل يده على الارض فما علق من التراب فهو الذر وعن ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحد مما لزق من التراب ذرة وفسرها بعضهم بالنملة

زلزلت الزلزال الذى يستحقه فى حكمته تعالى ومشيئته فى ذلك اليوم وهو الزلزال الذى ليس بعده زلزال (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الآيتين) ليس بتكرار لان الاول متصل بقوله

الصغيرة وبعضهم بالهباءة التى ترى طائرة فى الشعاع الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله ماروى أنس أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يأكل فامسك وقال يارسول الله وانا لنرى ماعملنا من خير وشر فقال صلى الله عليه وسلم ياأبابكر مارأيت فى الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال أبو ادريس ان مصداقه من كتاب الله عز وجل وماأصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال مقاتل نزلت فى رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم فى القليل من الخير يعطوه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذرهم من اليسير من الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله تعالى طالبا وقال ابن مسعود هذه الآية أحكم اية فى القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية وقال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا مافى التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسمى هذه الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال مانزل على فيها شئ غير هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى مالك فى الموطأ ان مسكينا استطعم عائشة رضى الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت أتعجب كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة وكذا تصدق عمر رضى الله عنه وانما فعلا ذلك لتعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة قال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه الآية فلما بلغ آخرها قال حسبى قد انتهت الموعظة *(تنبيه)* قوله تعالى يره جواب الشرط فى الموضعين وقرأ هشام بسكون هاء يره وصلا فى الحرفين والباقون بضمها وصلا وساكنة وقفا كسائر هاء الكناية وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله رواه الثعلبى بسند ضعيف لكن يشهد له مارواه ابن أبى شيبة مرفوعا اذا زلزلت تعدل ربع القرآن

سورة والعاديات مكية

فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية فى قول ابن عباس وأنس ابن مالك وقتادة وهى احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله) الذى له الامر كله فلا يسئل عما يفعل (الرحمن) الذى نعمته أتم نعمة وأشمل (الرحيم) الذى خص اولياءه بتوفيقه وأتم نعمته عليهم وأكمل وقوله سبحانه وتعالى

(والعاديات)

خيرا يره والثانى متصل بقوله شرا يره (فان قلت) كيف عمهما مع ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر (قلت) معناه

فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة من فريق الاشقياء شرا يره

(سورة العاديات)

(قوله والعاديات ضبحا)

(والعاديات ضبحا) قسم أقسم الله سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال أح أح قال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كانه قيل والضابحات ضبحا لان الضبح يكون مع العدو أو على الحال أى ضابحات والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشى بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى على رضى الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قال الزمخشرى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر وما اشبه ذلك قال ابن عباس وليس شئ من الحيوان يضبح غير الفرس والكلب والثعلب ونقل غيره ان الضبح يكون فى الابل والاسود من الحيات والبوم والصرد والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشأ عنه فقال تعالى عاطفا باداة التعقيب (فالموريات قدحا) قال عكرمة والضحاك هى الخيل تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة لاسيما عند سلوك الاوعار وقدحا منصوب بما انتصب به ضبحا قال الزمخشرى ففيه الثلاثة اوجه المتقدمة وعن ابن عباس أورت بحوافرها غبارا وهذا انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال ابن مسعود هى الابل تطا الحصى فتخرج منه النار وأصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا أخرجت منها الماء الفاسد وعن قتادة وابن عباس أيضا ان الموريات قدحا مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا أرادوا أن الرجل يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس أيضا هم الذين يغزون فيورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه أيضا انها نيران المجاهدين اذا كثرت ارهابا ليظنهم العدو كثيرا قال القرطبى وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يورى زناد الضلالة والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار نار أبى حباب وأبو حباب كان شيخا من مضر فى الجاهلية من أبخل الناس وكان لا يوقد نارا لخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويرة تتقد مرة وتخمد أخرى فان استيقظ لها أحد اطفأها كراهة أن ينتفع بها أحد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها ولما ذكر العدو وما يتأثر عنه ذكر نتيجته وغايته بقوله تعالى (فالمغيرات) أى بالغارة أهلها عليها وقوله تعالى (صبحا) ظرف أى التى تغير وقت الصبح يقال أغار يغير اغارة اذا باغت عدوه بنهب أو قتل أو أسر قال الشاعر

فليت لى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

وغار لغية (فأثرن) أى فهيجن (به) أى بفعل الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو (نقعا) أى غبارا الشدة حركتهن والنقع الغبار *(تنبيه)* عطف الفعل وهو فأثرن على الاسم لانه فى تأويل الفعل لوقوعه صلة لال وقال الزمخشرى معطوف على الفعل الذى وضع

اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن (فوسطن به) أى بذلك النقع او العدو أو الوقت (جمعا) من العدو أى صرن وسط العدو وهو الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد وقال القرطبي يعنى جمع منى وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة عليه كما فى قوله تعالى ومن كفر أى من لم يحج فان الله غنى عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان) أى هذا النوع بما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه (لربه) المحسن اليه بابداعه ثم بابقائه وتدبيره وتربيته (لكنود) قال ابن عباس لكفور جحود لنعم الله تعالى وقال الكلبى هو بلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كندة وحضرموت العاصى وقال الحسن هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التى لاتنبت شيأ وفى الحديث عن ابى امامة هو الذى يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه) أى الانسان (على ذلك) أى الكنود العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر لاحسانه (لشهيد) أى يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أثره عليه او ان الله تعالى على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه) أى الانسان من حيث هو (لحب) أى لاجل حب (الخير) أى المال الذى لا يعد غيره لجهله خيرا (لشديد) أى بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه أو بليغ القوة فى حبه لان منفعته فى الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بان أقل ما فيه أنه يشغله عن حسن الخدمة لربه تعالى ومع ذلك فهو لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة ربه وشكر نعمته ضعيف متقاعس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى (أفلا يعلم) أى هذا الانسان الذى انساه أنسه بنفسه (اذا بعثر) أى اثير بغاية السهولة وأخرج (ما فى القبور) اى من الموتى قال أبو عبيدة بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه قال محمد بن كعب ذلك حين يبعثون (فان قيل) لم قال ما فى القبور ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربهم بهم (أجيب) عن الاول بان ما فى الارض غير المكلفين أكثر فاخرج الكلام على الاغلب أو أنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير غير العقلاء والضمير الثانى ضمير العقلاء (وحصل) أى أخرج وجمع بغاية السهولة (ما فى الصدور) من خير وشر مما يظن مضمره انه لا يعلمه أحد أصلا وظهر مكتوبا فى صحائف الاعمال وهذا يدل على ان النيات يحاسب عليها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وتخصيص الصدر بذلك لانه محل القلب (ان ربهم) أى المحسن اليهم بخلقهم وخلقهم وتربيتهم (بهم يومئذ) أى اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيامة (لخبير) أى محيط بهم من جميع الجهات عالم غاية العلم بواطن أمورهم فكيف بظواهرها ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم وإلا فهو خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره فكيف ينبغى للعاقل ان يملى آماله بالمال فضلا عن ان يؤثره على الباقى وقول البيضاوى

أقسم بثلاثة أشياء وجعل جوابه ثلاثة أشياء وهى قوله ان الانسان الى قوله لشديد (قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير) * ان قلت كيف قال ذلك مع انه تعالى خبير بهم فى كل زمن (قلت)

تبعا

تنبيه للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا حديث موضوع

سورة القارعة مكية

وهي احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الملك الاعلى (الرحمن) الذي عمت نعمة ايجاده جميع الورى (الرحيم) الذي خص أولياءه بالتوفيق لما يحب ويرضى * ولما ختم العاديات بالبعث كرر صيحته بقوله تعالى (القارعة) أي الصيحة أو القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار والاشياء الثابتة بالانتشار وقوله تعالى (ما القارعة) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة وأكد تعظيمها اعلاما بانه مهما خطر في بالك من عظمها فهي أعظم منه فقال تعالى (وما أدراك) أي أعلمك (ما القارعة) أي انك لا تعرفها لانك لم تعهد مثلها وما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادرى واختلف في ناصب (يوم) على وجهين أحدهما أنه بمضمر دل عليه القارعة أي تقرعهم أي تقرعهم يوم وقيل تقديره تاتي القارعة يوم (يكون الناس) والثاني انه اذكر مقدرا فهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى (كالفراش المبثوث) يجوز أن يكون خبر الناقصة وأن يكون حالا من فاعل التامة أي يوخذون ويحشرون شبه الفراش شبههم في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار والفراش طائر معروف قال قتادة الفراش الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهوج يقال اطيش من فراشة وأنشدوا

فراشة الحلم فرعون العذاب وان * تطلب نداه فكلب دونه كلب

وفي امثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره وروى مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي وفي تشبيه الناس بالفراش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الارض وركوب بعضهم بعضا والكثرة والضعف والذلة والمجيء من غير ذهاب والقصد الى الداعي من كل جهة والتطاير الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلي

والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع آخر كأنهم جراد منتشر (فان قيل) كيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معا لانه شبههم بالجراد المنتشر والفراش المبثوث (اجيب) بان التشبيه بالفراش في ذهاب كل واحد الى غير جهة الآخر واما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع (وتكون الجبال) على ماهي عليه من الشدة والصلابة وانها أنواع وراسخة (كالعهن) اى الصوف المصبوغ ألوانا لانها الوانه قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر أي

معناه ان ربهم تعالى بهم يومئذ على اعمالهم مجازيهم ومن الجازاة فتجوز بالعلم عن الجازاة كما في قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي يجازيهم على ما فيها

وغير ذلك (المنفوش) أي المندوف المفرق الاجزاء فتراه لذلك متطايرة في الجو كالهباء المنثور وكما قال تعالى في موضع آخر هباء منبثا حتى تعود الارض كلها لا عوج فيها ولا امتا ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مفصلا لهم (فأما من ثقلت موازينه) أي برجحان الحسنات وفي الموازين قولان أحدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وهذا قول الفراء والثاني قال ابن عباس انه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال فتوزن فيه الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات أو الاعمال أنفسها فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فاذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فيخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضله ورحمته واما الكافر فقد قال الله تعالى في حقه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل عليه السلام يزن به أعمال بني آدم فعبر عنه بلفظ الجمع وقيل موازين لكل حادثة ميزان وقيل الموازين الحجج والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

قد كنت قبل لقائكم ذا مرة * عندي لكل مخاصم ميزانه

(فهو) اي بسبب رجحان حسناته (في عيشة) اي حياة يتقلب فيها قال البقاعي واعله الحقها بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم انها على حالة واحدة في الصفاء والالذة وليست ذات الوان كحياة الدنيا (راضية) اي ذات رضا او مرضية لان امه جنة عالية (واما من خفت) اي طاشت (موازينه) اي غلبت سيئاته ولم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه في الدنيا (فأمه) اي التي تؤويه وتضمه اليها كما يقال للارض ام لانها تقصد لذلك ويسكن اليها كما يسكن الى الام وكذا المسكن (هاوية) أي نار نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلا فهو في عيشة ساخطة فالآية من الاحتباك ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا على حذفها أولا والهاوية اسم من اسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها وقال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه وقيل اراد ام رأسه يعني انهم يهوون في النار على رؤسهم والى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح وروي عن أبي بكر انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباع الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات أن يخف (وما أدراك) أي وأي شيء أعلمك وان اشتد تكلفك (ماهيه) أي الهاوية والاصل ماهي فدخلت الهاء للسكت وقرأ حمزة في الوصل بغير هاء بعد الياء التحتية ووقف بها والباقون باثباتها وصلا ووقفا (فان قيل) قال هنا وما أدراك ماهيه وقال اول السورة وما أدراك ما القارعة ولم يقل وما أدراك ما الهاوية (اجيب) بان كونها قارعة أمر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق وقوله تعالى (نار حامية) خبر مبتدا مضمر أي هي أي الهاوية نار شديدة الحرارة روى مسلم ان النبي صلى الله

(سورة القارعة)

قوله فاما من ثقلت موازينه) الميزان جمع فيه وفيما بعده باعتبار تعدد مع انه واحد الموزونات أو الموزون لهم وقيل هي جمع موزون (ان قلت) كيف قال هنا

عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا وانها لكافية يارسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة حديث موضوع

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

(بسم الله) ذي الجلال والاكرام (الرحمن) الذي عم بالايجاد بعد الاعدام (الرحيم) الذي خص أولياءه بتمام الانعام * ولما ختم القارعة بالشقي افتتح هذه بفعل الشقاوة ومبتدا الحشر لينزجر السامع فقال تعالى (ألهاكم التكاثر) اي شغلكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه (حتى زرتم المقابر) اي الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لاهم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل

ان يخاص العام خليل عشرا * ذاق الضمادأو يزور القبرا

* (تنبيه) * حتى غاية لقوله تعالى الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة أو نار يقال لمن مات قد زار قبره (فان قيل) شان الزائر أن ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زار القبر وأيضا حتى زرتم اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل (أجيب) عن الاول بان سكان القبور لابد أن ينصرفوا عنها فان كل آت قريب وعن الثاني لتحققه عبر عنه بالماضي كقوله تعالى أتى أمر الله وقال أبو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيامة تعييرا للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف وقالت بنو سهم ان البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم ثم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقال قتادة في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا أو أنهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عنكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح الباء وضمها ويسمى سعيد المقبري لانه كان يسكن المقابر قال القرطبي لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة واعترضه ابن عادل بان الله تعالى قال في سورة أخرى ثم أماته فاقبره وهذا ممنوع فانه قال المقابر فلفظ هذه الآية غير لفظ تلك وزيارة القبور من أعظم الادوية للقلب

خفت موازينه فامه هاوية اي فسكنه النار مع ان اكثر المؤمنين سيآتهم راجحة على حسناتهم (قلت) قوله فامه هاوية لايدل على خلوده فيها ويسكن المؤمن فيها بقدر

القاسي لانه اتذكر الموت والآخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور وذلك لقلة صبرهن وكثرة جزعهن نعم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق به بقية الانبياء والاولياء والعلماء وينبغي لمن زار القبور أن يتادب بآدابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف عليها فقط فان هذه حالة يشاركه فيها البهائم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن والدعاء ويتجنب الجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضا وأتاه من قبل وجهه لانه في زيارته كمخاطبه حيا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب ويتامل حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم ومحى التراب على محاسنهم ووجوههم وافترقت في التراب أجزاؤهم وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم أولادهم وانه لابد صائر الى مصيرهم وان حاله كحالهم وماله كمآلهم وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت او لبست فابليت وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله وقرأ ألهاكم حمزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه وقوله تعالى (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم وقوله تعالى (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتاكيد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الاول وأشد كما يقال للمنصوح أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه كلا سوف تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما لاجل تغاير المتعلقين وثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من العذاب في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للحالتين وروى زر بن حبيش عن علي كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار الى أن قوله تعالى كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسل ربكم بنزع أرواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت أحوال القيامة من بعث وحشر وعرض وسؤال الى غير ذلك من أهوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار ثم كلا سوف تعلمون أيها المؤمنون فالاول وعيد والثاني وعد ولما كان هذا أمرا صادقا أشار تعالى الى انه يكفي هذه الامة المرحومة التاكيد مرة واحدة فقال سبحانه مرددا الامر بين تاكيد الردع تاليا بالاداة الصالحة له ولان يكون بمعنى حقا كما يقوله أئمة

ما تقتضيه ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة وقيل المراد بخفة الميزان خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار

(سورة التكاثر)

(قوله كلا) في المواضع

القراءة (كلا) اى ليتنبه ارتدعكم عن التكاثر فانه أساس كل بلاء فاتكم (لو تعلمون) اى
أيها الكافرون (علم اليقين) اى لو يقع لكم علم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين
ايديكم فلرأيتم بكم التكاثر ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون
فحذف الجواب أخوف ليذهب الوهم معه كل مذهب ولا يجوز أن يكون (لترون الجحيم)
جوابه لان هذا مثبت وجواب لو يكون منفيا ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسئلن وهو
مستقبل لابد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين
لالهاكم بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد ابهامه
تفخيما وقوله تعالى (ثم لترونها) تكرير للتاكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية
اذا وردوها والمراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس
اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين قال الرازى واليقين مركب الاخلاص فى هذا
الطريق وهو غاية درجات العامة وأول خطرة الخاصة قال صلى الله عليه وسلم خير ما ألقى فى
القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق وقال
قتادة اليقين هنا الموت وعنه ايضا البعث اى لو تعلمون علم الموت او البعث فعبر عن الموت
باليقين والعلم من أشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون اليوم فى الدنيا علم اليقين بما
امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك وقرأ
لترون ابن عامر والكسائى بضم التاء والباقون بالفتح (ثم لتسئلن) حذف منه نون الرفع
لتوالى النونات والواو لالتقاء الساكنين (يومئذ) اى يوم رؤيتها (عن النعيم) وهو ما يلتذ
به فى الدنيا من الصحة والفراغ والامن والمطعم والمشرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن
الطاعة للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده
وقوله تعالى كلوا من الطيبات وقال الحسن لا يسئل عن النعيم الا أهل النار لان أبا بكر رضى
الله عنه لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها معك فى بيت أبى الهيثم من
خبز شعير ولحم وبسر وماء عذب أيكون من النعيم الذى يسئل عنه فقال صلى الله عليه وسلم
انما ذلك للكفار ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الآية يدل
على ذلك لان الكفار ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى والاشتغال
بشكره فالله تعالى يسألهم عنها يوم القيامة حتى يظهر لهم أن الذى ظنوه لسعادتهم كان
من اعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل السؤال عام فى حق المؤمن والكافر لقوله صلى الله عليه
وسلم أول ما يسئل العبد يوم القيامة عن النعيم فيقال له ألم نصحح جسمك ألم نروك من الماء
البارد وقيل الزائد على ما لابد منه وقيل غير ذلك قال الرازى والاولى على جميع النعم لان
الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ الى البعض أولى من صرفه الى الباقى
فيسئل عن اهل شكرها أم كفرها واذا قيل ان هذا السؤال للكافر فقيل هو فى موقف
الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لاشتغالكم فى الدنيا
بالنعيم عن العمل الذى ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم
من أهل النجاة وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم

الثلاثة قيل للردع والزجر
عن التكاثر وقيل بمعنى
حقا وقيل الاولان للردع
والزجر والثالث بمعنى
حقا وهو اشهرها (قوله
سوف تعلمون) ذكره
مرتين للتاكيد او الاول

التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية حديث موضوع الا آخره فرواه الحاكم بلفظ ألا يستطيع أحدكم ان يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أوما يستطيع أحدكم أن يقرأ الهاكم التكاثر

سورة والعصر مكية

وروى عن ابن عباس وعبادة انها مدنية وهى ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

(بسم الله) الذى كل شئ هالك الا وجهه (الرحمن) الذى عم الوجود بانعامه فليس شئ يشبهه (الرحيم) الذى اعز أولياءه فكانوا الدهر غرة ولاهله جبهة وقوله تعالى (والعصر) قسم واختلف فى المراد به فقال ابن عباس والدهر أقسم به لان فيه عبرة للناظر بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومن الكلام فى امثاله وقال ابن كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن بعد زوال الشمس الى غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهى الصلاة الوسطى وهذا أشبه قال صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطى فكأنما وتر أهله وماله ولان التكليف فى ادائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعاشهم ونقل ابن عادل عن مالك أن من حلف أن لا يكلم الرجل عصرا لم يكلمه سنة قال ابن العربى انما حمل مالك يمين الحالف على السنة لانه أكثر ما قيل فيه ونقل عن الشافعى يبر بساعة الا أن تكون له نية وجواب القسم (ان الانسان) اى الجنس (لفى خسر) اى نقص بحسب مساعيهم فى أهوائهم وصرف أعمارهم فى اغراضهم لمالهم بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض عن الغائب والاغترار بالفانى * (تنبيه) * تنكير خسر يحتمل التهويل والتحقير فان حمل على الاول وهو الظاهر كان المعنى ان الانسان لفى خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى لان الذنب يعظم اما لعظم من فى حقه الذنب أو لانه وقع فى مقابلة النعم العظيمة فلذلك كان الذنب فى غاية العظم وان حمل على الثانى كان المعنى ان خسران الانسان دون خسران الشيطان ولما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لانهم ليس لهم من ذواتهم الا ذلك وكان فيهم من خلصه الله تعالى مما طبع عليه الانسان وحفظه عن الميل استثناهم بقوله عز من قائل (الا الذين آمنوا) اى أوجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة مجيء النبى صلى الله عليه وسلم به من توحيده سبحانه والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (وعملوا) اى تصديقا لما أقروا به من الايمان (الصالحات) اى هذا الجنس من ايقاع الاوامر واجتناب النواهى واشتروا الآخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية فلم يلحقهم شئ من الخسران وقال ابن عباس فى رواية أبى صالح المراد بالانسان الكافر وقال فى رواية الضحاك يريد به جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والاسود بن عبد المطلب وقيل لفى خسر غبن وقال الاخفش لفى هلكة

[هامش:] والثانى للقيامة او للقبر والثانى الاول للكفار والثانى للمؤمنين (قوله لو تعلمون) جواب لو محذوف تقديره لو تعلمون الامر يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر (قوله لترون

وقال الفراء الى عقوبة وقال ابن زيد الى شر وروى ابن عوف عن ابراهيم قال أراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وأهرم لفى ضعف ونقص وتراجع الا المؤمنين فانه يكتب لهم اجورهم التى كانوا يعملونها فى حال شبابهم ونظيره قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا ولما كان الانسان بعد كماله فى نفسه بالاعمال لا ينتفى عنه مطلق الخسر الا بتكميل غيره وحينئذ كان وارثا لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا للتكميل قال تعالى مخصصا لما دخل فى الاعمال الصالحة منبها على عظمه (وتواصوا) اى اوصى بعضهم بعضا بلسان الحال والمقال (بالحق) اى الامر الثابت وهو كل ما حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة (وتواصوا) أيضا (بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبتلى الله به عباده من الامراض وغيرها وروى عن ابى بن كعب انه قال قرأت على النبى صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قسم من الله أقسم ربكم بآخر النهار ان الانسان لفى خسر أبو جهل الا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر على وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه وقال قتادة بالحق أى بالقرآن وقال السدى الحق هنا الله عز وجل وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر حديث موضوع

الجحيم) اعاده بقوله ثم لترونها تأكيدا او الاول قبل دخولهم الجحيم والثانى بعده ولهذا قال عقبه عين اليقين أو الاول من رؤية العين والثانى من رؤية القلب (قوله لتسئلن

سورة الهمزة مكية

وهى تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الحكم العدل (الرحمن) الذى عم جوده أهل الفضل وأولى العدل (الرحيم) الذى خص اولياءه بزيادة الفضل وقوله تعالى (ويل) فيه قولان أحدهما انه كلمة عذاب والثانى انه واد فى جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون البرآء العيب وقال مقاتل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى الوجه وقال ابو العالية والحسن الهمزة الذى يغتاب ويطعن فى وجه الرجل واللمزة الذى يغتابه من خلفه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك فى الصدقات وقال سعيد بن جبير الهمزة الذى يأكل لحوم الناس ويغتابهم واللمزة الطعان عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثورى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقال ابن كيسان الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ويدخل فى ذلك من يحاكى الناس بأقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منهم واصل الهمز الكسر واللمز الطعن ثم خصا بالكسر من

اعراض الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت فى جبلتهم والذى دل على
الاعتياد صيغة فعلة بضم ففتح كما يقال ضحكة للذى يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له
وضرى به واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال الكلبى نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى
كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت فى أمية بن
خلف الجمحى وقال مقاتل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه
ويطعن عليه فى وجهه وقال مجاهد هى عامة فى حق من هذه صفته وقوله تعالى (الذى جمع مالا)
بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بتشديد الميم على المبالغة
والتكثير ولانه يوافق قوله تعالى (وعدده) والباقون بتخفيفها وهى محتملة للتكثير وعدمه
ومعنى عدده أحصاه وجعله عدة للحوادث وقال الضحاك أعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل
فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع
للخير وقوله تعالى جمع فاوعى (يحسب) أى يظن لجهله (ان ماله اخلده) أى أوصله الى
رتبة الخلد فى الدنيا فصيره خالدا فيها لايموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر
والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أوهو تعريض
بالعمل الصالح وانه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فاما المال فما أخلد أحدا فيه وروى انه
كان للاخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف دينار وعن الحسن انه عاد موسرا فقال
ماتقول فى ألوف لم افتد بها من لئيم ولا تفضلت بها على كريم قال لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة
السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه لمن لايحمدك وترد على من لايعذرك وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها وقوله تعالى (كلا) ردع له عن حسبانه
وقيل معناه حقا وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم محذوف أى ليطرحن بعد موته
(فى الحطمة) أى الطبقة من جهنم التى من شانها أن تحطم أى تكسر بشدة وعنف كل ما طرح
فيها فيكون أخسر الخاسرين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة (وما أدراك) أى وأى شئ أعلمك
ولو بمحاولة منك للعلم واجتهاد فى التعرف مع كونك اعلم الحكماء (ما الحطمة) اى الدركة النارية
التى سميت هذا الاسم بهذه الخاصة وانه ليس فى الوجود الذى شاهدتموه مايقاربها ليكون مثالا
لها ثم فسرها بقوله تعالى (نار الله) اى الملك الاعظم الذى له الملك كله (الموقدة) أى التى وجد
وتحتم ايقادها ومن الذى يطيق محاولة ما أوقده فهى لايزال لها هذا الاسم ثابتا روى أبو هريرة
أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى
ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة (التى تطلع) أى اطلاعا شديدا
(على الافئدة) جمع فؤاد وهو القلب الذى يكاد يحترق من شدة ذكائه فكان ينبغى ان يجعل
ذكاءه فى أسباب الخلاص واطلاعها عليه بان تعلو وسطه وتشتمل عليه اشتمالا بليغا سمى
بذلك لشدة توقده وخص لانه الطف مافى البدن واشد تالما بأدنى شئ من الاذى ولانه منشا
العقائد الفاسدة ومعدن حب المال الذى هو منشا حب الفساد والضلال وعنه تصدر الافعال
القبيحة وقيل معنى تطلع على الافئدة أى تعلم مايستحقه كل واحد منهم من العذاب يقال اطلع
على كذا أى علمه ثم اشار الى خلودهم فيها بقوله تعالى موكدا لانهم يكذبون بها (انها عليهم

مؤصدة

يومئذ عن النعيم) يعم المؤمن والكافر فالمؤمن يسئل عن شكر النعمة والكافر يسئل عنها سؤال توبيخ

(سورة العصر)

(قوله ان الانسان) المراد

بالانسان الجنس فالاستثناء بعده متصل وقيل المراد به ابو جهل فالاستثناء منقطع (قوله وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) كرره لاختلاف المفعولين

مؤصدة) قال الحسن مطبقة أي بغاية الضيق وقال مجاهد مغلقة بلغة قريش يقال أصدت الباب أي اغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس

ان في القصر لو دخلنا غزالا • مصفقا موصدا عليه الحجاب

ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى (في) أي في حال كونهم موثقين في (عمد) قرأ حمزة والكسائي وشعبة بضم العين والميم جمع عمود نحو رسول ورسل وقيل جمع عماد ككتاب وكتب والباقون بفتحهما فقيل هو اسم جمع لعمود وقيل بل هو جمع له قال الفراء كأديم وأدم وقال ابو عبيدة هو جمع عماد (ممددة) اي معترضة كأنها موضوعة على الارض فهي في غاية المكنة فلا يستطيع الموثوق بها على نوع حيلة في أمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث عليهم ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الاطباق وتسد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفيرا وشهيقا وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد الممددة اغلال في اعناقهم وقال ابو صالح قيود في ارجلهم وقال القشيري العمد أوتاد الاطباق وقيل المعنى في دهور ممدودة لا انقطاع لها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حديث موضوع

سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذي قدرته في كل شيء عاملة (الرحمن) الذي له النعمة الشاملة (الرحيم) الذي يخص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة وقوله تعالى (ألم تر) استفهام تعجب أي اعجب (كيف فعل ربك) أي المحسن اليك (باصحاب الفيل) فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال تعالى كيف دون ما لان المراد ذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم * وكانت قصة الفيل ما روى أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حاج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية عشر وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فسمعت العرب بذلك فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه

ابرهة واخذ ذا نفر فقال له أيها الملك استبقنى فان استبقائى خير لك من قتلى فاستبقاه فأوثقه
وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج له نفيل بن حبيب الخثعمى فى
خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك انى
دليل بارض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا
مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس
عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولى
لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة من المغمس
رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس
فجمع الاسود اليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة
الحميرى الى أهل مكة فقال سل عن شريفها ثم ابلغه ما أرسلك به اليه أخبره أنى لم آت لقتال انما
جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك أرسلنى
اليك لاخبرك انه لم يات لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد
المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا به يد انا سنخلى بينه وبين ماجاء اليه فان هذا بيت الله الحرام وبيت
خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا به
قوة قال فانطلق معى الى الملك قال بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء
فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل أسير لا يامن ان يقتل بكرة او عشيا ولكن سابعث الى انيس
سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك
ومنزلتك عنده فارسل الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عين مكة يطعم الناس
فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه
عنده فانفعه فانه صديق لى احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك
هذا سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن
عليك وانا احب ان تاذن له فيكلمك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان
عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على
السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل
له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى الى الملك أن يرد الى مائتى بعير
أصابها الى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك قال لم
قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه
وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل وللبيت رب سيمنعه قال ما كان
ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه وقيل عرض عليه عبد المطلب أموال تهامة
ليرجع فابى فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا فى
الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب
الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول

(سورة الهمزة)

(قوله همزة لمزة) اى كثير الهمز واللمز والهمز واللمز الطعن باليد أو كسرها وقيل هما بمعنى فالثانى تاكيد للاول وقيل الاول المغتاب

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه فاصبح ابرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فضربوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج عبد المطلب يشتد حتى صعد الجبل فارسل الله تعالى عليهم ما قصه فى قوله سبحانه (ألم يجعل) اى جعل بماله من الاحسان الى العرب لاسيما قريش (كيدهم) اى فى هدم الكعبة (فى تضليل) اى خسارة وهلاك (وارسل عليهم) اى خاصة من بين ما هنالك من كفار العرب (طيرا) اى طيورا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا (أبابيل) اى جماعات بكثرة متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواح شتى فوجا فوجا وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق وقيل أبابيل كالابل المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقال الكسائى كنت أسمع النحويين يقولون واحدها ابول كعجول وعجاجيل وقال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كاكف الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال قتادة طير سود (ترميهم) اى الطير (بحجارة) اى عظيمة فى الكثرة والفعل صغيرة فى المقدار والجسم مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بالحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فقروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل واما أبرهة فتساقطت أنامله كلها كلما سقطت أنملة تبعها مدة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه لان تلك الحجارة كانت (من سجيل) اى طين متحجر مصنوع للعذاب فى موضع هو فى غاية العلو ولما تسبب عن هذا الرمى هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذى خلق الاثر فيها الان مثله لا ينشأ عنه ما نشأ من الهلاك قال الله تعالى (فجعلهم) اى ربك المحسن اليك باحسانه الى قومك لاجلك بذلك (كعصف مأكول) اى كورق زرع أكلته فراشته فيبس

قوله وخرج عبد المطلب يشتد فى حاشية لعل الاولى نفيل وهو الظاهر اه

والثالث الصباب اى الغمام وقيل الاول الصباب فى الوجه والثانى الصباب فى القفا وقيل الاول يكون بالعين والثانى باللسان وقيل عكسه (قوله الذى

وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال مجاهد العصف ورق الحنطة
وقال قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا أكل وصار أجوف لان الحجر كان يأتى فى الرأس
فيخرق بما له من الحرارة وشدة الوقع كالماء به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه
أسود لما له من النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة
كهيئة الغلاف له وروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما فى جوفه فيبقى كقشر
الحنطة اذا اخرجت منه الحبة وعن عكرمة من أصابه جدره وهو أول جدرى ظهر وعن أبى
سعيد الخدرى انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم واختلف فى
تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث
وعشرين سنة والاكثرون على انه كان فى العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم وعن
عائشة قالت رأيت سائس الفيل وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال عبد الملك
ابن مروان لعتاب بن أسيد أنت أكبر أم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
أكبر منى وأنا أسن منه ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين
مقعدين يستطعمان الناس بل قيل لم يكن بمكة أحد الا رأى قائد الفيل وسائسه أعميين
يتكففان الناس لان عائشة مع صغر سنها رأتهما وقال ابن اسحق لما رد الله تعالى الحبشة
عن مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان
ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلماء كانت قصة الفيل مما نعده من معجزاته صلى الله عليه
وسلم وان كانت قبله لانها كانت توكيدا الامره وتمهيدا لشأنه وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ
حديث موضوع

سورة قريش مكية

في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي أربع آيات
وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى له جميع الكمال (الرحمن) ذى النعم والافضال (الرحيم) الذى خص اولياءه
بالقرب والاجلال وقوله تعالى (لايلاف قريش) فى متعلقه اوجه أحدها أنه ما فى السورة قبلها
من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول قال الزمخشرى وهذا بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن
يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل وعن
عمر أنه قرأهما فى الثانية من صلاة المغرب وقرأ فى الاولى والتين اه والى هذا ذهب الاخفش
وقال الرازى المشهور أنهما سورتان ولا يلزم من التعلق الاتحاد لان القرآن كسورة واحدة
ثانيها أنه مضمر تقديره فعلنا ذلك وهو ايقاعهم للايلاف وهو الفهم لبلادهم الذى ينشأ منه
طمأنينتهم وهيبة الناس لهم وقيل تقديره اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف
وتركهم عبادة رب هذا البيت ثالثها انه متعلق بقوله تعالى فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل
ايلافهم الرحلتين لانهما أظهر نعمة عليهم وهذا هو الذى صدر به الزمخشرى كلامه وفى هذا
اشارة الى تمام قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيأ يسر سببه لان التدبير كله له يخفض من يشاء وان

(جمع) بالجر بدل من كل او بالنصب باضمار أذم او بالرفع مبتدأ خبره يجب

(سورة الفيل)

(قوله ألم تر كيف فعل ربك) مفعول ترى محذوف

عز ويرفع من يشاء وان ذل وقريش هم ولد النضر بن كنانة ومن ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وأخرج الحاكم وصححه البيهقي عن أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا بسبع خلال أني منهم وأن النبوة فيهم وان الله نصرهم على الفيل وأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم وأن الحجابة والسقاية فيهم وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن وسموا قريشا من القرش وهو التكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله و يقترش اى يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم فانشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين فلا تترك فيه لذي الجناحين ريشا

هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل منهم والخموشا

وقيل هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مدانس الامور او من تقارشت الرماح في الحرب اذا دخل بعضها في بعض وقوله تعالى (ايلافهم) بدل من الايلاف الاول وقرأ ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة والباقون لايلاف بياء بعدها وأجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين ان القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطا واتفقوا على اثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منها خطا وهذا أدل دليل على ان القراء متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى (رحلة الشتاء) منصوب بايلافهم مفعول به كما نصب يتيما باطعام وهي التي يرحلونها في زمنه الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون منها متاجر الحبوب (والصيف) التي يرحلونها الى الشام في زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الثمار وهم آمنون من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم المعظم و بيت الله والناس يتخطفون من حولهم ولا يجترئ أحد عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان أولفه ايلافا اذا الفته فانا مؤالف والاصل رحلتي الشتاء والصيف ولكنه أفرد ليشمل كل رحلة كما هو شأن المصادر وأسماء الاجناس وفي ذلك اشارة الى انهم يتمكنون من الرحلة الى اى بلاد أرادوا لشمول الامن لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان أربعة أقسام شتاء وربيع وصيف وخريف وقيل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذي قاله مالك أصح لان الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وقال آخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة احداهما في الشتاء الى اليمن لانها أدفأ

لا كيف لانه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله فهو مفعول فعل بعده (قوله أبابيل) اى جماعات جماعات قيل لا واحد له وقيل واحده ابال او ابالة او ابول او ابيل

والاخرى فى الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفى ذلك يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكلاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى
والقائلين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يؤالف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بجاه هذه الاخوة اى بعهودهم التى أخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحى * ولما كان هذا التدبير لهم من الله تعالى كافيا لهمومهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالامن وكان شكر المنعم واجبا قال تعالى (فليعبدوا) اى قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة ان لم يشكروه على جميع نعمه التى لاتحصى لانهم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان وأبعدهم من الكفران (رب هذا البيت) اى الموجد له والمحسن الى أهله بحفظه من كل طاغ وباذلال الجبابرة له ليكمل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال اعزازه لهم فى الدنيا والآخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة تعظيما لشأنها * ثم وصف نفسه الاقدس بما هو ثمرة الرحلتين ومظهر لزيادة شرف البيت بقوله تعالى (الذى أطعمهم) اى قريشا بحمل الميرة الى مكة بالرحلتين اطعاما مبتدأ (من جوع) اى عظيم فيه غيرهم من العرب أو كانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم ليس بذى زرع فهم عرضة للفقر الذى ينشأ عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه أحد فى كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم غيره معه فى عبادته ولا من البر بابيهم ابراهيم عليه السلام الذى دعا لهم بالرزق بقوله عليه السلام وارزقهم من الثمرات ونهى أشد النهى عن عبادة الاصنام ولم يقل أشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع ولان من كان يشبع منهم طالب لا كثر مما هو عنده ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب (وآمنهم) اى تخصيصا لهم (من خوف) اى شديد جدا من أصحاب الفيل الذين أرادوا اخراب البيت الذى به انتظامهم ومما ينال من حولهم من التخطف بالقتل والنهب والغارات ومن الجذام بدعوة أبيهم ابراهيم عليه السلام ومن الطاعون والدجال بتأمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبى بعضهم بعضا فامنت قريش ذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر فى الشتاء والصيف فالقى الله تعالى فى قلوب الحبشة أن يحملوا اليهم طعاما فى السفن فحملوا فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم متحرزين

﴿سورة قريش﴾
(قوله لايلاف قريش) الاقرب انه متعلق بقوله تعالى ليعبدوا واما قوله ايلافهم الثانى فتأكيد للاول أو بدل منه واللام

فانهم قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان أهل مكة يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل ان قريشا لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع فى قوله تعالى وآمنهم من خوف اى من خوف الحبشة وقال على وآمنهم من خوف ان تكون الخلافة الا فيهم قال الزمخشرى ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف ان تكون الخلافة فى غيرهم اه لكن ان ثبت ذلك عن على كرم الله وجهه فليس كما قال وقيل كفاهم أخذ الايلاف من الملوك وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع

سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية

فى قول عطاء وجابر وأحد قولى ابن عباس رضى الله عنهما ومدنية فى قول له آخر وهو قول قتادة وغيره وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذى له كل كمال (الرحمن) الذى عم جميع عباده بالنوال (الرحيم) الذى خص اولياءه بنعمة الافضال وقوله تعالى (أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش أيضا ابدالها ألفا واسقطها الكسائى قال الزمخشرى وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذى سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام فى أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أو سمعت براع * رد فى الضرع ما قرى فى الحلاب

وحققها الباقون والمعنى أرأيت (الذى يكذب) أى يوقع التكذيب ان يخبره كائنا من كان (بالدين) أى بالجزاء والحساب أى هل عرفته أم لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء أى البغيض البعيد المبعد من كل خير (الذى يدع) اى يدفع دفعا عظيما بغاية القسوة (اليتيم) ولا يحث على اكرامه لان الله تعالى نزع الرحمة من قلبه ولا ينزعها الا من شقى لانه لا حامل على الاحسان اليه الا الخوف من الله تعالى فكان التكذيب بجزائه مسببا الغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه فانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة واختلف فيمن نزل ذلك فيه فقال مقاتل فى العاصى ابن وائل السهمى وقال السدى فى الوليد بن المغيرة وقال الضحاك فى عمرو بن عائذ المخزومى وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى رجل من المنافقين وقيل فى ابى جهل (ولا يحض) أى يحث نفسه ولا غيره (على طعام المسكين) أى بذله واطعامه اياه بل يمقته ولا يكرمه ولا يرحمه وقد تضمن هذا أن علامة التكذيب بالبعث ايذاء الضعيف والتهاون بالمعروف * ولما كان هذا حالهم مع الخلائق أتبعه حالهم مع الخالق بقوله تعالى (فويل) أى عذاب

متعلقة بقوله فليعبدوا اى ليعبدوا الله من أجل ايلافهم وقيل متعلقة بجعلهم من سورة الفيل لانهما كالسورة الواحدة بدليل اسقاط البسملة من بينهما فى مصحف ابى

أو واد فى جهنم (للمصلين الذين هم) أى بضمائرهم وخالص سرائرهم (عن صلاتهم) التى هى جديرة بان تضاف اليهم لوجوبها عليهم وايجابها الاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها (ساهون) اى عريقون فى الغفلة عنها وتضييعها وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات اليها وروى البغوى بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال هو اضاعة الوقت وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية مع الناس اذا حضروا لقوله تعالى (الذين هم) أى بجملة سرائرهم (يراؤن) أى بصلاتهم وغيرها الناس لانهم يفعلون الخير ليراهم الناس لا لرجاء الثواب ولا لخوف العقاب من الله تعالى ولذلك يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس وقال ابراهيم هو الذى يلتفت فى صلاته وقال قطرب هو الذى لا يقرأ ولا يذكر الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما لو قال فى صلاتهم ساهون لكانت فى المؤمنين وقال عطاء الحمد لله الذى قال تعالى عن صلاتهم ساهون ولم يقل فى صلاتهم فدل على ان الآية فى المنافقين وقال قتادة ساه عنها لا يبالى صلى أم لم يصل وقال مجاهد غافلون عنها متهاونون بها وقال الحسن هو الذى ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لم يندم وقيل هم الذين يسهون عنها قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدرى الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلاة أكثر من ترى من الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى ان هؤلاء أحق أن يكون سهوهم عن الصلاة التى هى عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذى هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التى هى شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على انهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل بالعلم من هو منهم على هذه الصفة فيا مصيبتاه (فان قيل) كيف جعل المصلين قائما مقام ضمير الذى يكذب وهو واحد (أجيب) بان معناه الجمع لان المراد به الجنس (فان قيل) أى فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم وقولك فى صلاتهم (أجيب) بان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشياطين من المسلمين ومعنى فى أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو فى كتبهم وعن أنس الحمد لله على أن لم يقل فى صلاتهم وقد مرت الاشارة الى بعض ذلك (فان قيل) ما معنى المراآة (أجيب) بانها مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة فى فرائض الله لانها أعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه أن يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء أن يقصد بالاظهار أن تراه الاعين فتثنى عليه بالصلاح

والمعنى انه أهلك أصحاب الفيل لايلاف قريش وقيل هى لام التعجب معناه اعجبوا لايلاف قريش وكان لهم فى كل سنة رحلتان للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة

وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الاسود * ثم بين أن من هو بهذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله تعالى (ويمنعون) اى على تجدد الاوقات (الماعون) أى حقوق الاموال والشيء اليسير من المنافع وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهى رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال مجاهد الماعون أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع وعن على انها الزكاة وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعنة ولا معنة أى شيء قليل فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا حديث موضوع

سورة الكوثر وتسمى سورة النحر مكية

في قول ابن عباس رضى الله عنهما والكلبي ومقاتل ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

(بسم الله) الذى لا حد لفائض فضله (الرحمن) الذى شمل الخلائق بجوده فلا راد لامره (الرحيم) الذى خص حزبه بالاعتصام بحبله وقوله تعالى (انا) اى بما لنا من العظمة (أعطيناك) أى خولناك مع التمكين العظيم يا أشرف الخلق (الكوثر) أى نهرا في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه امته لما روى عن أنس انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال انزل على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول ما تدرى ما احدث بعدك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بنهر يجرى بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافتاه خيام الدر فضربت بيدى فاذا الثرى مسك أذفر فقلت لجبريل ما هذا قال الكوثر أعطاكه الله تعالى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم حتى اذا

في الصيف الى الشام

(سورة الماعون)

(قوله فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) * ان قلت كيف توعد الله الساهى عن الصلاة مع انه غير مؤاخذ بالسهو

هويت لاناولهم اختلجوا دونى فاقول أى رب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما احدثوا بعدك
وعن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل
عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما
من ذهب والآخر من ورق وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم
القيامة رهط من أصحابى أو قال من امتى فيحلؤن عن الحوض فاقول أى رب أصحابى فيقول
انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ترد على أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله
قالوا يا نبى الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار
الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون فأقول يارب هؤلاء من أصحابى فيجيبنى فيقول
وهل تدرى ما أحدثوا بعدك وأحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولى الالباب
فنسأل الله تعالى أن يروينا منه نحن وأحبابنا ويدخلنا واياهم الجنة بغير حساب قال
القاضى عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وقال
ابن عادل وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر
النقل رواه خلائق من الصحابة اه وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب
والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وقيل الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله تعالى اياه وعن سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما الكوثر الخير الكثير قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير
ان ناسا يزعمون ان الكوثر نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى
أعطاه الله تعالى اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد
أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل لأعرابية رجع ابنها من السفر آب ابنك قالت آب
بكوثر وقال الشاعر

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان ابوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضلها على جميع الخلائق *(تنبيه)* لا منافاة بين هذه
الاقوال كلها فقد اعطيها النبى صلى الله عليه وسلم أعطى صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة
والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع واظهاره على الاديان كلها
والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل فى الكوثر
وهو الذى عليه جمهور العلماء انه نهر فى الجنة * ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتى عليه حصر مما
لا يناسب أدناها نعيم الدنيا بجملتها سبب عنه قوله تعالى آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر (فصل) اى
بقطع العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدى الله تعالى فى حضرة المراقبة شكرا لاحسان المنعم
خلافا للساهى عنها والمرائى فيها (لربك) أى المحسن اليك بأنواع النعم من اعطائه من شئت فلا
سبيل لاحد عليك (وانحر) أى انفق له الكوثر من المال على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم
الماعون والنحر أفضل نفقات العرب لان الجزور الواحد يغنى مائة مسكين واذا أطلق العرب
المال انصرف الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله
فامر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصلى وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء

لخبر رفع عن امتى الخطأ والنسيان (قلت) المراد هنا التغافل بالسهو والتكاسل عن أدائها وقلة الالتفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة من المسلمين لا ما يتفق فيها من

وقتادة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك واقتصر على هذا الجلال المحلي وقال سعيد
ابن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع اى مزدلفة وانحر البدن بمنى وعن ابن عباس
رضى الله عنهما وضع اليمين على الشمال فى الصلاة عند النحر وعن على أن معناه أن يرفع يديه
فى التكبير الى نحره وقال الكلبى استقبل القبلة بنحرك وعن عطاء أمره أن يستوى بين
السجدتين جالسا حتى يبدو نحره (ان شانئك) اى مبغضك والشانئ المبغض يقال شنأه
يشنؤه اى ابغضه (هو الابتر) اى المنقطع عن كل خير وأما أنت فقد أعطيت ما لا غاية لكثرته
من خير الدارين الذى لم يعطه أحد غيرك فمعطى ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت لك
العطيتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم او المنقطع
العقب لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أعقابك وأولادك وذكرك
مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى
بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر انما الابتر هو شانئك المنسى
فى الدنيا والآخرة وقال الرازى هذه السورة كالمقابلة للتى قبلها فانه ذكر فى الاولى البخل
وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون وذكر هنا فى مقابلة البخل انا أعطيناك الكوثر وفى
مقابلة الصلاة فصل اى دم على الصلاة وفى مقابلة الرياء لربك اى لرضاه خالصا وفى مقابلة منع
الماعون وانحر اى تصدق بلحم الاضاحى ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شانئك هو الابتر اى
ان المنافق الذى أتى بتلك الافعال القبيحة سيموت ولا يبقى له أثر وأما أنت فيبقى لك فى الدنيا
الذكر الجميل وفى الآخرة الثواب الجزيل واختلف المفسرون فى الشانئ فقيل هو العاص
ابن وائل وكانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقى البنات أبتر فقيل
ان العاص وقف مع النبى صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش مع من كنت
واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله ابن النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت
الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر
فلان فلما توفى عبد الله ابن النبى صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد
فنزلت وقال السدى ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول
الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من
بعده فنزلت وقيل لما أوحى الله تعالى الى النبى صلى الله عليه وسلم دعا قريشا الى الايمان قالوا
بتر منا محمد اى خالفنا وانقطع عنا فنزلت *(تنبيه)* قال أهل العلم قد احتوت هذه السورة
على قصرها على معان بليغة وأساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على انه تعالى
أعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ومنها ايراده بصيغة الماضي
تحقيقا لوقوعه كما فى قوله تعالى أتى أمر الله ومنها تأكيد الجملة بان ومنها بناء الفعل على
الاسم ليفيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف
الموصوف بالكوثر لان فى حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس فى اثباته ومنها تعريفه
بال الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على السببية فان الانعام سبب
للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحره لغير الله تعالى ومنها ان الامر

السهو بالوسوسة او حديث النفس مما لا صنع للعبد فيه

(سورة الكوثر)

(قوله الكوثر) هو نهر فى الجنة وهو حوضه صلى الله عليه وسلم يرد عليه أمته

بالصلاة اشارة الى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وأفضلها والامر بالنحر اشارة الى
الاعمال البدنية التي النحر أسناها ومنها حذف متعلق انحر اذ التقدير فصل لربك وانحر له
ومنها مراعاة السجع فانه من صناعة البديع العاري عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك
في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على أنه المربي له والمصلح بنعمه فلا يلتمس
كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم الى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها الامر
بترك الاهتمام بشانئه للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانئ ولم يسمه ليشمل كل
من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولو كان المراد شخصا معينا لعينه الله تعالى ومنها التنبيه
بذكر هذه الصفة القبيحة على أنه لم يتصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير أن تؤثر فيمن يشنؤه
شيأ البتة لان من يشنأ شخصا قد يؤثر فيه شنؤه شيأ ومنها تأكيد الجملة بان المؤذنة بتأكيد
الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن
بالاختصاص والتأكيد ان جعلناه فصلا وان جعلناه مبتدأ فكذلك يفيد التأكيد
اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الابتر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كأنه قيل
الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من اول
السورة الى آخرها وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد
في يوم النحر او يقربونه حديث موضوع

اوهو الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها

(سورة الكافرون)

(قوله ما أعبد) لم يقل من مع انه القياس رعاية لمقابلة ما بها في قوله

سورة الكافرون مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك
وتسمى أيضا سورة المعابدة والاخلاص لانها في اخلاص العبادة والدين كما أن قل
هو الله أحد في اخلاص التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما
ويقال لها وللسورة الاخلاص المقشقشتان اي المبرئتان من النفاق قال الشاعر

أعيذك بالمقشقشتين مما * أحاذره ومن نظر العيون

وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي لا يستطيع أحد أن يقدره حق قدره (الرحمن) الذي عم برحمته من أوجب
عليهم شكره (الرحيم) الذي وفق أهل وده فالتزموا نهيه وأمره وقوله تعالى (قل) اي يا أشرف
الخلق (يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزل في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس
السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
ابن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في أمرنا كله
تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا
حظا منه وان كان الذي بأيدينا خيرا كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال
معاذ الله ان نشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتي
الي من ربي فانزل الله تعالى هذه السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام

وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بأنه محروس منهم علم من أعلام النبوة (فإن قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في التحريم يا أيها الذين كفروا وههنا قال قل يا أيها الكافرون (أجيب) بأن في سورة التحريم إنما يقال لهم يوم القيامة وثم لا يكون رسولا إليهم فأزال الواسطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضي وأما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولا إليهم فقال تعالى قل يا أيها الكافرون أي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر مطابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرق اللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان والتعبير بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا أيها الكافرون لأنه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالرفق واللين في جميع الأمور كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم كان مأمورا بأن يدعوهم الى الله تعالى بالوجه الأحسن فلما خاطبهم بيا أيها الكافرون قالوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فأجاب بأني مأمور بهذا الكلام لا أني ذكرته من عند نفسي ولما كان القصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وانه لا يبالي بهم بوجه لأنه محفوظ منهم قال (لا أعبد) أي الآن (ما تعبدون) من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادات في سر ولا علن لأنه لا يصلح للعبادة بوجه (ولا أنتم عابدون) أي الآن (ما أعبد) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابد) أي في الاستقبال (ما عبدتم) من دون الله تعالى (ولا أنتم عابدون) أي في الاستقبال (ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون واطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار ووجه التكرار كما قال أكثر أهل المعاني هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار لإرادة التأكيد والافهام كما أن من مذاهبهم الاختصار لإرادة التخفيف والايجاز فالقائل بالتأكيد يقول قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ومثله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين في سورتيهما وكلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وفي الحديث فلا آذن ثم لا آذن إنما فاطمة بضعة مني وفائدة التأكيد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق الاخبار وهو إقامتهم على الكفر وأنهم لا يسلمون أبدا وعلى الأول قد تقيدت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف يقيد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفي عبادته لما يعبدون بزمان وهذا مما لا يصح اه وقد يرد هذا بأنه صلى الله عليه وسلم نفى في الجملة الأولى الحال وفي الثانية الاستقبال وقول البيضاوي فإن لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى

ما تعبدون وكرر قوله لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد مرتين لأن الأولى للحال والثانية للاستقبال وقيل إنما قاله سؤالهم مرتين حيث قالوا يا محمد تعبد آلهتنا كذا

الاستقبال كان ما لا تدخل الا على المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما أيس
منهم صلى الله عليه وسلم قال (لكم دينكم) اى الذى أنتم عليه من الشرك (ولى دين) اى الذى
أنا عليه من التوحيد وهو دين الاسلام وفى هذا معنى التهديد كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم اى ان رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وهذا كما قال الجلال المحلى قبل أن يؤمر
بالحرب وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شئ لانها خبر ومعنى لكم دينكم اى
جزاء دينكم ولى دين اى جزاء دينى وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم
ولى جزائى لان الدين الجزاء وحذفت ياء الاضافة من دينى للتبعية وقفا ووصلا وقرأ نافع
وهشام وحفص والبزى بخلاف عنه بفتح الياء والباقون باسكانها *(فائدة)* قال الرازى
جرت العادة بان الناس يتمثلون بهذه الآية عند المتاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما أنزل
القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه فيعمل بموجبه وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة
الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر حديث موضوع الا الجملة الاولى
منه فرواها الترمذى

سورة النصر مدنية

بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهى ثلاث آيات وست عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذى له الامر كله فهو العليم الحكيم (الرحمن) الذى أرسلك رحمة من الله العلى
العظيم (الرحيم) الذى خص أهل وده بفضله العميم وقوله تعالى (اذا) منصوب بسبح (جاء نصر
الله) اى الملك الاعظم الذى لا مثل له ولا امر لاحد معه باظهاره اياك على أعدائك ومعنى جاء
استقر وثبت فى المستقبل بمجيء وقته المضروب له فى الازل وزاد فى تعظيمه بالاضافة ثم بكونها
الى اسم الذات وقرأ حمزة وابن ذكوان بامالة الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح
والاعلام به قبل كونه من اعلام النبوة وروى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع
(والفتح) اى فتح مكة وهو الفتح الذى يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة فى البغوى وغيره
فلا نطيل بذكرها وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة
ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا
خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان الله تعالى قد أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم
بايعوه على الاسلام فى دين الله تعالى فى ملة الاسلام التى لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقيل المراد جنس نصر الله تعالى المؤمنين وفتح بلاد الشرك
عليهم (فان قيل) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (أجيب) بان النصر الاعانة
والاظهار على العدو ومنه نصر الله تعالى الارض أغاثها قال الشاعر

مرة ونعبد الهك كذا مرة ثم تعبد آلهتنا كذا مرة ونعبد الهك كذا مرة

(سورة النصر) وتسمى سورة التوديع (قوله اذا جاء نصر الله) جواب اذا فسبح او محذوف

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي * بلاد تميم وانصري آل عامر
وروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزي * بلاد تميم وانصري أرض عامر
والفتح فتح البلاد وقال الرازي الفرق بين النصر والفتح ان الفتح هو الاعانة على تحصيل المطلوب الذي كان متعلقا به والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف الفتح عليه (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما منصورا بالدلائل والمعجزات فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة (أجيب) بان المراد من هذا النصر هو النصر الموافق للطبع (فان قيل) النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم فما فائدة التقييد بنصر الله (اجيب) بان معناه نصر لا يليق الا بالله تعالى كما يقال هذه صنعة زيد اذا كان مشهورا باحكام الصنعة والمقصود منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا ههنا (فان قيل) الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة هم أصحابه من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى سمى نصرتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم نصر الله فما السبب في ذلك (أجيب) بان النصر وان كان على يد الصحابة لكن لابد له من داع وباعث وهو من الله تعالى (فان قيل) فعلى هذا الجواب يكون فعل العبد مقدما على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النصر لانه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم فجعل نصره مقدما على نصرهم لنا (اجيب) بانه لا امتناع في أن يكون فعل العبد سببا لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان أسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراكه العقول البشرية * ولما عبر عن المعنى بالمجيء عبر عن المرئي بالرؤية فقال تعالى (ورأيت) أي ببصرك (الناس) أي العرب الذين كانوا محتقرين عند جميع الامم فصاروا ابك هم الناس كما دلت عليه لام الكمال وصار سائر أهل الارض لهم اتباعا وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم (يدخلون) شيأ فشيأ متجددا دخولهم مستمرا (في دين الله) أي شرع من لم تزل كلمته هي العليا (أفواجا) أي جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرؤن القرآن وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال ابو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وفي هذا تاويلات أحدها انه الفرج لتتابع اسلامهم أفواجا الثاني ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال أمة بعد أمة وقال الضحاك والامة أربعون رجلا *(تنبيه)* دين الله تعالى هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال

تقديره حضر أجلك أي اذا جاء نصر الله بالظفر على من عاداك حضر أجلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول لما نزلت هذه السورة نعى الله تعالى الى نفسي وقال الحسن اعلم الله النبي صلى

تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واضافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى أنه يجب ان يعبد لكونه الها وللدين أسماء أخر منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها النور يريدون ليطفؤا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء ومنها العروة الوثقى قال تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبل المتين قال تعالى واعتصموا بحبل الله ومنها صبغة الله ومنها فطرة الله * (تنبيه) * جمهور الفقهاء وأكثر المتكلمين على أن ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الآية قالوا ان الله تعالى حكم بصحة ايمان أولئك الافواج وجعله من أعظم المنن على نبيه صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن ايمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم انا نعلم قطعا انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها ولا اثبات الصفات والتنزيهات بالدليل والعلم بان أولئك الاعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقائق ضروري فعلمنا ان ايمان المقلد صحيح (فان قيل) انهم كانوا عالمين بأصول دلائل هذه المسائل لان أصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل (أجيب) بان الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة مقلدا لا محالة * ولما كمل الدين أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشتغل بنفسه فقال عز من قائل (فسبح) أي نزه بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها تسبيحا ملتبسا (بحمد ربك) أي الذي أنجز لك الوعد باكمال الدين وقمع المعتدين المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله اكرام لك والا فهو عزيز حميد على كل حال تعجبا لتيسير الله تعالى لهذا الفتح الذي لم يخطر ببال أحد حامدا له عليه أو فصل له حامدا على نعمه قاله ابن عباس روى انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات (واستغفره) أي اطلب غفرانه لتقتدي بك امتك في المواظبة على الامان الثاني فان الامان الاول الذي هو وجودك بين أظهرهم قد دنا رجوعه الى معدنه في الرفيق الاعلى والمحل الاقدس وفي ذلك اشارة الى انه لا يقدر أحد أن يقدر الله تعالى حق قدره كما أشار الى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي أعظم العبادات وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول أستغفر الله وأتوب اليه قال فاني أمرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد اجتهادا في أمور الآخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا لا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها

اللهُ عليه وسلم انه قد اقترب أجله فأمره بالتسبيح والاستغفار ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر من قوله سبحانك اللهم اغفر لي انك أنت التواب وروى

خمسين يوما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها أحدا وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة أيام وقيل غير ذلك وقال الرازى اتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت على نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه أحدها انهم عرفوا ذلك لما خطب صلى الله عليه وسلم عقب السورة وذكر التخيير وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته لما نزلت هذه السورة ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فقال أبو بكر رضى الله عنه فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ثانيها انه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس فى الدين أفواجا دل ذلك على حصول الكمال والتمام وذلك يستعقبه الزوال كما قيل

اذا تم أمر بدا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

ثالثها انه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله بذلك يمنعه من الاشتغال بأمر الامة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضى انقضاء الاجل اذ لو بقى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز وعن ابن عباس ان عمر كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفى أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا أراه سألهم الا من أجلى فقال بعضهم أمر الله تعالى نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلوموني عليه بعد ما ترون وروى أنه صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انى نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنها أيضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى وقالت أم سلمة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يجىء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه قال فانى أمرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها وقيل استغفره هضما لنفسك واستصغارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى أستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفر لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله * ولما أمره الله تعالى بالتسبيح والاستغفار أرشده الى التوبة بقوله تعالى (انه) أى المحسن اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر (كان) أى ولم يزل (توابا) أى رجاعا بمن ذهب به الشيطان من أهل رحمته فهو الذى رجع بأنصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف والعداوات فأيدك الله تعالى بدخولهم فى الدين شيأ فشيأ الى أن دخلت مكة بعشرة آلاف وهو أيضا يرجع بك الى الحالة التى يزداد بها ظهورك رفعتك فى الرفيق الاعلى قال

ان النبى صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها سنتين

(سورة تبت)

(قوله تبت يدا أبى لهب) ليس بتكرار مع ما بعده لانه دعاء والثانى خبر أى فقد

الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتفوز بتلك السعادات العالية وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع قال قتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا بناء على انها نزلت قبل فتح مكة وهو قول الاكثر فان الفتح كان في سنة ثمان وأما من قال عاش دون ذلك كما مر فبناء على انها نزلت بمنى في حجة الوداع كما مر أيضا *(تنبيه)* في الآية سؤالات أحدها ان قوله تعالى كان توابا يدل على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل ثانيها هلا قال غفارا كما قال في سورة نوح عليه السلام ثالثها انه قال تعالى نصر الله وقال تعالى في دين الله وقال تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله (واجيب) عن الاول بوجوه أحدها أن هذا أبلغ كأنه يقول اني تبت على من هو أقبح فعلا منكم كاليهود فانهم بعدما ظهر المعجزات العظيمة كفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم وأتوا بالقبائح ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا للتوبة أولئك وهم دونكم افلا أقبل توبتكم وانتم خير أمة أخرجت للناس ثانيها اني شرعت في توبة العصاة والشروع ملزم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن ثالثها كنت توابا قبل أمركم بالاستغفار أفلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار رابعها كأنه اشار الى تخفيف جنايتهم أي لستم اول من جنى وتاب والمعصية اذا عمت خفت خامسها كأنه نظير ما يقال لقد احسن الله اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقي (واجيب) عن الثاني بوجهين احدهما لعله خص هذه الأمة بزيادة الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال تواب اذا كان آتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي سميا من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن وان كان المعنى مختلفا فتب حتى تصير سميا لي في آخر الامر وانت تواب وأنا تواب ثم التواب في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد ان يكون اتيانه بالتوبة كثيرا ثانيهما انه تعالى انما قال توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب كقوله عليه الصلاة والسلام المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ بربه (فان قيل) قد يقول اتوب وليس بتائب (أجيب) بان ذا يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع والندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه فصار تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على ان خواتيم الاعمال يجب ان تكون بالتوبة والاستغفار وكذا خواتيم الاعمار (واجيب) عن الثالث بانه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين احدهما الرب والثاني التواب ولما كانت التربية تحصل اولا والتوبة آخر الامر ذكر اسم الرب اولا واسم التوبة آخرا فنسأل الله تعالى من فضله وكرمه ان يمن علينا بتوبة نصوح لا تنكث بعدها ابدا انه كريم رحيم وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة حديث موضوع

سورة تبت مكية

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله) المتكبر الجبار المضل الهاد (الرحمن) الذي عم خلقه بنعمه بعد الاكرام بالايجاد (الرحيم)

تب اي خسر وقيل تبت يدا ابي لهب اي عمله وتب اي ابو لهب (فان قلت) كيف ذكره الله تعالى بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى مع ان ذلك اكرام واحترام (قلت) لانه لم يشتهر الا

(الرحيم) الذي خص بتوفيقه أهل الوداد وقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) دعاء عليه وسبب
نزول ذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين صعد صلى
الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا عنده
فجعل الرجل اذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتم لو
أخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فنزلت وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم
خرج الى البطحاء فصعد الجبل ونادى يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش وذكر نحوه وفي رواية
فصعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال صلى
الله عليه وسلم أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا
عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك أما جمعتنا الا لهذا
فنزلت وعن أبي زيد ان أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى ان آمنت بك
يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال مالي عليهم فضل فقال صلى الله عليه
وسلم وأي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين أن أكون وهؤلاء سواء فنزلت ومعنى تبت قال ابن
عباس خابت وقال قتادة خسرت وقال عطاء ضلت وقال ابن جبير هلكت والتباب الهلاك
ومنه قولهم اشابة أم تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى
أخذ حجرا ليرمي به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل رماه به فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان
المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الافعال الى اليد وذلك
على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله وجميعه أو عبر باليدين لان الغالب ان
الاعمال تزاول بهما وقال يمان بن رباب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء
انه لما قتل عثمان سمع الناس هاتفا يقول

لقد خلوك وانصرفوا * فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا نذورهم * فتبا للذي صنعوا

وقيل المراد باليدين دينه ودنياه أو أولاه وعقباه او المراد باحداهما جر المنفعة وبالاخرى دفع
المضرة اولان اليمنى سلاح واليسرى جنة وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله
عليه وسلم واسمه عبد العزى (فان قيل) لماذا كنى بذلك ولم يكن له ولد اسمه لهب وأيضا
فالتكنية من باب التعظيم (أجيب) عن الاول بان الكنية قد تكون اسما كما سمي أبو
سفيان وأبو طالب ونحو ذلك فان هؤلاء اسماؤهم كناهم اولتلهب وجنتيه وكان مشرق الوجه
أحمره (وأجيب) عن الثاني بوجوه احدها أنه لما كان اسما خرج عن افادة التعظيم ثانيها
ان اسمه كان عبد العزى كما مر فعدل عنه الى كنيته لقبح اسمه لان الله تعالى لم يضف العبودية
في كتابه الى صنم ثالثها انه لما كان من أهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله
كنيته فكان جديرا بان يذكر بها كقولهم ابو الخير وأبو الشر لصدورهما منه اولان الكنية
كانت أغلب من الاسم اولانها انقص منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام باسمائهم
دون كناهم وقال الزمخشري فان قلت لم كناه والتكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة أجوبة

بكنيته اولان ذكره باسمه
خلاف الواقع حقيقة لانه
عبد الله لا عبد العزى او
انه ذكره بكنيته او افقة
حاله لها فان مصيره الى
النار ذات اللهب وانما

اما الشهرته بكنيته واما القبح اسمه كما تقدم واما لانه لما كان من أهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته اه وهذا يقتضى ان الكنية أشرف من اللقب لا أنقص وهو عكس قول تقدم وقرأ ابن كثير باسكان الهاء والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى نحو النهر والنهر وقوله تعالى (وتب) خبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك فالاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثانى أخرج مخرج الخبر فحقق به ما أريد من الاسناد الى اليدين من الكناية عن الهلاك الذى لا بقاء بعده وقيل المراد بالاول ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وبالثانى نفسه * ولما دعا صلى الله عليه وسلم أقربيه الى الله تعالى وخوفهم النار قال أبو لهب ان كان ما يقول ابن أخى حقا فانى أفتدى نفسى بمالى وولدى فانزل الله تعالى (ما أغنى عنه) اى عن أبى لهب (ماله) اى الكثير الذى جرت العادة أنه منج من الهلاك فانه كان صاحب مواش كثيرة (وما كسب) اى من الولد والاصحاب والعز بعشيرته التى كان يؤذى بها النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان أبو لهب يعرف أن هذه الدعوة لا بد ان تدركه فسافر الى الشام فاوصى به الرفاق لينجو من هذه الدعوة فكانوا يصدقون به اذا ناموا يكون وسطهم والجمول محيطة به وهم محيطون بها او الركاب محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فتشمم الناس حتى وصل اليه فاقتلع رأسه وانما كان الولد من الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وان ولده من كسبه *(تنبيه)* ما فى ما أغنى يجوز فيها النفى والاستفهام فعلى الاستفهام تكون منصوبة المحل بما بعدها التقدير اى شئ أغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز فى ما فى قوله تعالى وما كسب أن تكون بمعنى الذى فالعائد محذوف وأن تكون مصدرية اى وكسبه وأغنى بمعنى يغنى ثم اوعده سبحانه بالنار فقال تعالى (سيصلى) اى عن قريب بوعد لا خلف فيه (نارا) يندس فيها او تنعطف عليه وتحيط به (ذات لهب) اى لا تسكن ولا تخمد أبدا الا ان ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته * ولما أخبر تعالى عنه بكمال التباب الذى هو نهاية الخسار زاده تحقيرا بذكر من يصونها بازرى صورة وأشنعها بقوله تعالى (وامرأته) وهو عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل وهى أخت أبى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى مثل زوجها فى التباب والصلى من غير ان يغنى عنها شئ من مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهى ضد كنيتها قال البقاعى ومن هنا يؤخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا بما دل عليه لقبه وقوله تعالى (حمالة الحطب) فيه وجهان أحدهما هو حقيقة قال قتادة وكانت تعير النبى صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد كانت تحمل العضاه والشوك تلقيه فى الليل فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكان النبى صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقال مرة الهمدانى كانت ام جميل تأتى فى كل يوم باباله من الحسك فتطرحها فى طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة عييت فقعدت على حجر تستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها الوجه الثانى ان ذلك مجاز عن

كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما

(سورة الاخلاص)

(قوله الله احد الله الصمد) كرر لفظ الله لتكون الجملة الثانية مستقلة بذاتها

المشي بالنميمة ورمي الفتن بين الناس ويقال للمشاء بين الناس بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويثير الشر قال الشاعر

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره قال تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم وقرأ عاصم بنصب التاء من حمالة على الشتم قال الزمخشري وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب شتم أم جميل اه والباقون برفعها على انها صفة امرأته فانها مرفوعة باتفاق اما بالعطف على الضمير في سيصلى كما مر ويكون قوله تعالى (في جيدها حبل) حالا من امرأته أو على الابتداء ففي جيدها حبل هو الخبر وحبل فاعل به ويجوز أن يكون في جيدها خبرا مقدما وحبل مبتدأ مؤخرا والجملة حالية أو خبر ثان والجيد العنق ويجمع على أجياد وقوله تعالى (من مسد) صفة لحبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقا وقال أبو عبيدة هو حبل يكون من صوف وقال الحسن هي حبال من شجر ينبت باليمن يسمى المسد وكانت تفتله وقال الضحاك وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فاهلكها وهو في الآخرة حبل من نار (فان قيل) ان كان ذلك حبلها فكيف يبقى في النار (أجيب) بان الله تعالى قادر على تجديده كلما احترق كما يبقى اللحم والعظم والجلد أبدا في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعها سبعون ذراعا تدخل فيها وتخرج من أسفلها ويلوى سائرها على عنقها وقال قتادة هو قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزا في عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اي اجاد فتله والجمع امساد وروى أنها لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة تريد أن ترميه به فلما وقفت عليه أخذ الله تعالى ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة

مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك قال صلى الله عليه وسلم ما رأتني لقد أخذ الله تعالى ببصرها عني وكانت قريش انما تسمي محمدا صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبوا لما صرف الله تعالى عني من أذى قريش يسبون مذمما وأنا محمد انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الاذى ويحلم عليهم فينبغي لغيره أن يكون له به اسوة قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * (تنبيه) * احتج أهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كلف أبا لهب بالايمان بتصديق الله

كالاولى غير محتاجة الى الاولى (فارقات) كيف ذكر أحد في الاثبات مع ان المشهور انه يستعمل بعد النفي كما ان الواحد لا يستعمل الا بعد الاثبات

تعالى في كل ما أخبر عنه ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن فانه من أهل النار فانه قد صار مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في أصول الفقه وقد تضمنت هذه الآيات الاخبار عن الغيب بثلاثة أوجه أحدها الاخبار عنه بالتباب والخسران وقد كان ذلك ثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثها الاخبار عنه بأنه من أهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامرأته ففي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وامرأته خنقها الله تعالى بحبلها كما مر وأبو لهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لا يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسله بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش تتقيها كما تتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة واسندوه الى جدار ثم رضموا عليه الحجارة وقيل ان الله تعالى يدخل امرأته جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الحطب ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من أصل شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها حبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة حديث موضوع

يقال في الدار واحد وما في الدار احد ومن ذلك قوله تعالى والهكم اله واحد وقوله لله الواحد القهار وقوله تعالى ولا تسل

سورة الاخلاص مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا

(بسم الله) الذي جمع الكمال ذي الجلال والجمال (الرحمن) الذي افاض على جميع خلقه عموم الافضال (الرحيم) الذي خص اهل وداده من نور الانعام بالاتمام الاكمال * واختلف في سبب نزول سورة (قل هو الله احد) فروى ابو العالية عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الى من تدعونا يا محمد فقال الى الله تعالى قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت واهلك الله تعالى اربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل صفته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث وممن يرثه فنزلت *(تنبيه)* هو ضمير الشأن وهو مبتدأ وخبره الله واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله تعالى على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية *(فائدة)* جاء في الواحد عن العرب لغات كثيرة يقال واحد واحد ووحد ووحد ووحاد واحاد وموحد وأوحد وهذا كله راجع الى معنى الواحد وان كان في ذلك معان لطيفة ولم يجيء

فى صفات الله تعالى الا الواحد والاحد وقوله تعالى (الله) أى الذى ثبتت الهيته وأحديته لاغيره مبتدأ خبره (الصمد) واخلى هذه الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها والصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج كلها والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالوهية لايشارك فيها وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق لايستغنون عنه وهو الغنى عنهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما الصمد هو الذى لاجوف له وقال الشعبى هو الذى لاياكل ولايشرب وقال الربيع هو الذى لاتعتريه الآفات وقال مقاتل بن حيان هو الذى لاعيب فيه وقال قتادة هو الباقى بعد فناء خلقه وقال سعيد بن جبير هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وقال السدى هو المقصود اليه فى الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا اصمده صمدا بسكون الميم اذا قصدته وعن أبى بن كعب هو الذى (لم يلد) لان من يلد سيموت ومن يرث يورث عنه فهم الصمد بما بعده وينبغى ان تجعل هذه التفاسير كلها تفسيرا واحدا فانه متصف بجميعها فكونه لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى من يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه لدوامه فى أبديته والاقتصار على الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو العزير او المسيح أوغيره * ولما بين أنه لافصل له ظهر أنه لاجنس له فدل عليه بقوله تعالى (ولم يولد) لانه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لاأول له بل هو الاول الذى لم يسبقه عدم لان الولادة لاتتكون ولاتتشخص الا بواسطة المادة وعلائقها وكل ما كان ماديا أو كان له علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره والله سبحانه وتعالى منزه عن جميع ذلك (ولم يكن) أى لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولابتقدير من التقادير (له) أى خاصة (كفوا) أى مثلا ومساويا (أحد) على الاطلاق أى لايساويه فى قوة الوجود لانه لو ساواه فى ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذى يكون كالام والفصل الذى يكون كالاب وقد ثبت انه لايصح بوجه من الوجوه أن يكون فى شئ من الولادة لان وجوب وجوده لذاته فانتفى ان يساويه شئ وكان الاصل أن يؤخر الظرف لانه صلة لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى كفوا أو خبرا أو يكون كفوا حالا من أحد وعطف هاتين الجملتين على الجملة التى قبلهما لان الثلاث شرح الصمدية النافية لاقسام الامثال فهى كالجملة الواحدة روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى يقول ٣ لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد وقرأ حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها وقرأ حفص كفوا بالواو وقفا ووصلا واذا وقف حمزة وقف بالواو * وروى فى فضائل هذه السورة أحاديث كثيرة منها ماروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها

على احد منهم وقوله لانفوف بين احد (قلت) قال ابن عباس رضى الله عنهما

٣ قوله يقول الذى فى صحيح البخارى فقوله اه

لتعدل ثلث القرآن (فان قيل) لم كانت تعدل ثلث القرآن (أجيب) بان القرآن أنزل أثلاثا ثلث أحكام وثلث وعد ووعيد وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الاثلاث وهو الاسماء والصفات وقيل انها تعدل القرآن كله مع قصر متنها وتقارب طرفيها وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى بذلك دليلا لمن اعترف بفضلها * ومنها ماروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ فى صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاى شئ يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن فانا أحب أن أقرأ بها فقال صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله تعالى يحبه * ومنها مارواه الترمذى عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال صلى الله عليه وسلم وجبت قلت ماوجبت قال الجنة * ومنها ماروى أنس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت ذنوبه * ومنها ماروى سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور فى الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك * ومنها مارواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح ثنتى عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الارض يومئذ اذا اتقى وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله احد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة باكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفى هذا القدر كفاية لاولى الالباب * ولها اسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى احدها انها سورة التفريد ثانيها سورة التجريد ثالثها سورة التوحيد رابعها سورة الاخلاص خامسها سورة النجاة سادسها سورة الولاية سابعها سورة النسبة لقولهم انسب لنا ربك ثامنها سورة المعرفة تاسعها سورة الجمال عاشرها سورة المقشقشة حادى عشرها سورة المعوذة ثانى عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد رابع عشرها المانعة لانها تمنع فتنة القبر ونفحات النار خامس عشرها سورة المحضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت سادس عشرها سورة المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة لانها براءة من الشرك ثامن عشرها المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها سورة النور لانها تنور القلب المكمل للعشرين سورة الانسان قال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الله قال الله دخل حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى فنسأل الله تعالى ان يجيرنا من عذابه ويدخلنا الجنة نحن وجميع الاحباب بغير حساب لانه كريم حليم وهاب وما رواه البيضاوى من انها تعدل ثلث القرآن فرواه البخارى ومن انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرؤها الخ فرواه الترمذى والنسائى وغيرهما

لافرق بينهما فى المعنى واختاره ابو عبيدة ويؤيده قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم وعليه فلا يختص

سورة الفلق مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية في قول ابن عباس وقتادة
وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع الحول (الرحمن) الذي استجمع كمال الطول (الرحيم) الذي أنعم على أهل وده بجميع النول واختلف في سبب نزول سورة (قل أعوذ برب الفلق) فقال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه وأعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت هذه وقل أعوذ برب الناس فيه وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم طب أي سحر حتى كانه يخيل اليه انه صنع شيأ وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتاني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة رضي الله عنها وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في ذروان وذروان بئر في بني زريق قالت عائشة رضي الله عنها فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله هل اخرجته قال اما انا فقد شفاني الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم قال سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى ذلك اياما فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال قال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رأى وجهه قط وروي انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيها مشاطة من راسه صلى الله عليه وسلم واسنان مشطه وعن مقاتل والكلبي كان ذلك في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابرة فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروي انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان وروي انه كان يخيل له انه يطأ زوجاته وليس بواطئ قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر وعن ابي سعيد الخدري ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد والله يشفيك بسم الله ارقيك (فان قيل) المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره اولا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف امر بالاستعاذة مع ان ما قدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة (اجيب) بان كل ما وقع في الوجود فهو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله يدل على صحة

احدهما بجعل دون آخر وان اشتهر استعمال احدهما في النفي والآخر في الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن المشهور هنا رعاية للفاصلة
بهد

ذلك ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل يرد من قضاء الله شيأ قال هو من قدر الله قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ومعنى أعوذ أستجير وألتجئ وأعتصم وأحترز والفلق الصبح في قول الاكثرين ومنه قوله تعالى فالق الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم القيامة الذي هو أعظم فالق يشق ظلمة الفناء والهلاك بالبعث والاحياء وقال الماوردي الفلق بالسكون والحركة كل شئ انفلق عنه ظلمة العدم وأوجد من الكائنات جميعا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سجن في جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك يعني الخلق وقيل المطمئن من الارض وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه اي تنشق وقيل هو التفلق بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب هنا أوقع من سائر اسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية * ولما كانت الاشياء قسمين عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا في عالم الخلق خصه بالاستعاذة فقال تعالى معمما فيها (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه والشر يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالكفر والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقيل المراد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله تعالى خلقا شرا منه ولان السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقوله تعالى (ومن شر غاسق اذا وقب) فيه أوجه احدها ما روى عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر اذا خسف واسود وذهب ضوءه او اذا دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيها ما روى عن ابن عباس أن الغاسق الليل اذا وقب اي اقبل بظلمته من المشرق وسمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمرنا بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وفيه يتم السحر وأسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه ثالثها انه الثريا اذا سقطت وغابت ويقال ان الاسقام تكثر فيه عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمرنا بالتعوذ من الثريا عند سقوطها رابعها انه الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد ولما كان السحر اعظم ما يكون لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) اي النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللواتي تعقد عقدا في خيوط وينفثن عليها او يرقين عليها والنفث النفخ مع ريق وقال ابو عبيدة النفاثات من بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) ما معنى الاستعاذة من شرهن (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك ثانيها ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن

(سورة الفلق)

(قوله من شر) كرر اربع مرات لان شر كل منها غير شر البقية (فان قلت) فما فائدة اعادتها (قلت) فائدتها تعظيم شرها ودفع اولها يشمل البقية

ثالثها أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن قال الزمخشري ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله تعالى ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك *(تنبيه)* اختلف في النفث في الرقى فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذتين وروى محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وروى ان قوما لدغ رجل منهم فأتوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هل فيكم من راق فقالوا لا حتى تجعلوا لنا شيأ فجعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقى ويتفل حتى برئ فأخذوه فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريك أنها رقية خذوا واضربوا لي معكم بسهم وأنكر جماعة النفث والتفل في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق وقال عكرمة لا ينبغي للراقي أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل ان النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان فلا يضر فليس بمذموم ولا مكروه بل هو مندوب اليه * ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود للحاسد أو غيره قال تعالى (ومن شر حاسد) أي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه وأعظم الحساد الشيطان الذي ليس له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى (اذا حسد) أي اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد وفي اشعار الآية ادعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لان خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا (فان قيل) لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (أجيب) بأن النفاثات عرفت لانه كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين الحديث وقال أبو تمام

*وما حاسد في المكرمات بحاسد * وقال آخر * ان العلا حسن في مثلها الحسد *(فائدة)* قال بعض الحكماء الحاسد بارز ربه من خمسة أوجه أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها انه ضاد فعل الله تعالى ان فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله تعالى رابعها أنه خذل أولياء الله تعالى أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم خامسها انه أعان عدوه الله ابليس والحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة ولا ينال في الدنيا الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله تعالى الا بعدا ومقتا وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الآية اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل)

توهم انه لا شر لها الا فانه فيها (ان قلت) كيف عرف النفاثات ونكر ما قبلها وما بعدها (قلت) لان كل نفاثة لها شر وليس كل غاسق وحاسد له شر والغاسق الليل

قوله تعالى من شر ما خلق تعميم فى كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (أجيب) بانه قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء امرهم وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كانما يغتال به وقالوا شر العداة المداجى الذى يكيدك من حيث لا تشعر وأخرج الامام احمد عن الزبير بن العوام أنه صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء ألا والبغضاء هى الحالقة فنسأل الله تعالى ان يحفظنا ويجيرنا منه انه كريم جواد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال وانك أن تقرأ سورتين لا احب ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا أخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وما رواه الزمخشرى ولم يقله البيضاوى هنا لكن قال فى آخر السورة الآتية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى فهو حديث موضوع

(سورة الناس) ذكر فيها الناس خمس مرات تجليلا لهم اولا نفصال كل آية منهم فيها عن الاخرى بعدم العاطف اوالمراد بالاول الاطفال بقرينة معنى الربوبية وبالثانى الشبان بقرينة ذكر الملك الدال على السياسة وبالثالث الشيوخ بقرينة ذكر الاله الدال على

سورة الناس مكية

وهى ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله) المحيط بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر (الرحمن) الذى عمت نعمته كل باد وحاضر (الرحيم) الذى خص اهل وده باتمام النعمة فى جميع أمورهم الاول منها والاثناء والآخر ولما امر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تقدم امره أن يستعيذ من شر الوسواس بقوله تعالى (قل) اى يا أشرف المرسلين (اعوذ) اى اعتصم والتجئ (برب) اى ملك وخالق (الناس) وخصهم بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لامرين احدهما ان الناس يعظمون فاعلم بذكرهم أنه رب لهم وان عظموا الثانى انه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم انه هو الذى يعيذ منهم قال الماوردى والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والارض وانقاذها ودفع الشرور ورفعها والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتتميم على المربوب وقوله تعالى (ملك الناس) اشارة الى ان له كمال التصرف ونفوذ القدرة وتمام السلطان فاليه المفزع وهو المستغاث والملجأ والمنجا والمعاذ وقوله تعالى (اله الناس) اشارة الى انه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه فى ذلك احد فكذلك هو وحده الههم لا يشركه فى ألوهيته احد وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معانى أسمائه تعالى الحسنى فان الرب هو القادر الخالق الى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذى هو بمعنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال والملك هو الآمر الناهى المعز المذل الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى العظمة والجلال وأما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الاسماء الحسنى واتضمنها لجميع معانى الاسماء الحسنى كان المستعيذ جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الاكمل الدال على الوحدانية لان من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا درج فى

العروج فى درج معارفه سبحانه علم أنه غنى عن الكل والكل اليه محتاج وعن أمره تعالى تجرى أمورهم فيعلم انه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ابداعهم أنه المستحق للالهية بلا مشارك له فيها * (فائدة) * قد أجمع جميع القراء فى هذه السورة على اسقاط الالف من مالك بخلاف الفاتحة كما مضى لان المالك اذا أضيف الى اليوم أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة فى شئ من ذلك وهو معنى الملك بالضم واما اضافة المالك الى الناس فانها لا تستلزم أن يكون ملكهم فلو قرئ به هنا لنقص المدح بالضم واطبقوا فى آل عمران على اثبات الالف فى المضاف وحذفها من المضاف اليه لان المقصود من السياق أنه سبحانه يعطى الملك من يشاء ويمنعه من يشاء والملك بكسر الميم اليق بهذا المعنى واسرار كلام الله تعالى أعظم من أن تحيط بها العقول وانما غاية اولى العلم الاستدلال بما ظهر منها * (تنبيه) * يجوز فى ملك الناس واله الناس أن يكونا وصفين لرب الناس وان يكونا بدلين وأن يكونا عطف بيان واقتصر عليه الزمخشرى قال كقولك سيرة أبى حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان (فان قيل) هلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة (أجيب) بان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار (من شر الوسواس) وهو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به شيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه اوارا يد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ويقال لحس الصائد والكلاب واصوات الحلى وسواس والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما فى الصحيح فهو الذى يوسوس بالذنب سرا ليكون احلى ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية اليه حتى يوقع الانسان فاذا أوقعه وسوس لغيره ان فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك فاذا افتضح ازداد جراءة على امثال ذلك كأنه يقول قد وقع ما كنت احذر من ايقاعه فلا يكون شئ غير الذى كان فيجترئ على الذنب * ولما كان الله تعالى لم ينزل داء الا انزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى فانه يطرد الشيطان وينير القلب ويصفيه وصف سبحانه الموسوس عند استعماله الدواء بقوله تعالى (الخناس) اى الذى عادته أن يخنس اى يتوارى ويتأخر ويختفى بعد ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه فالذكر له كالمقامع التى تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا كما حكى عن بعض السلف أن المؤمن يضنى شيطانه كما يضنى الرجل بعيره فى السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله تعالى خنس ورجع ووضع رأسه فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس) اى يلقى المعانى الضارة على وجه الخفاء والتكرير (فى صدور الناس) اى المضطربين اذا غفلوا عن ذكر ربهم من غير نفاع وقال مقاتل ان الشيطان فى صورة خنزير يجرى من ابن

العبادة وبالرابع الصالحون بقرينة وسوسة الخناس وهو الشيطان المولع باغوائهم وبالخامس المفسدون بقرينة عطفه على الجنة المعوذ منهم (فان قلت) لم خص الناس بالذكر فى الثلاثة الاول

آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله تعالى على ذلك وقال القرطبي ووسوسته هي الدعاء الى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت *(تنبيه)* يجوز في محل الذي يوسوس الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين وقوله تعالى (من الجنة) أي الجن الذين هم في غاية الشر والتمرد والخناس (والناس) أي أهل الاضطراب والذبذبة بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني وانسي كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويجوز ان يكون بدلا من الذي يوسوس اي الموسوس من الجن والانس وأن يكون حالا من الضمير في يوسوس أي حال كونه من هذين الجنسين وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فيأتي علانية وقال قتادة ان من الجن شياطين وان من الانس شياطين فنعوذ بالله من شياطين الجن والانس وعن أبي ذر قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس فقال أو من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الآية وذهب قوم الى ان المراد بالناس هنا الجن سموا ناسا كما سموا رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وكما سموا نفرا في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن وكما سموا قوما نقل الفراء عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا ناس من الجن فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنة جمع جني كما يقال انس وانسي والهاء لتأنيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن الجنة والناس بيانا لما يوسوس في صدورهم وقيل معنى من شر الوسواس الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها مالم تعمل او تتكلم به وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر آيات نزلت الليلة لم ير مثلهن قط أعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس وعنه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذ قلت بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرؤهما عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وعن ابي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله لأحد ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به *(لطيفة)*

قوله بدلا من الذي الخ كذا في النسخ وهو غير ظاهر والصواب حالا من الذي اه

مع انه تعالى رب كل شئ وملكه والهه (قلت) تشريفا لهم وتفضيلا على غيرهم (قوله الذي يوسوس في صدور الناس) أي قلوبهم (قوله من الجنة والناس) بيان للشيطان الموسوس فهو جني وانسي

فختم بها كما ختم بها الفخر الرازي رحمه الله تعالى تفسيره وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاث وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الموضعين ان الثناء يجب ان يقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت أعظم من مضار الدنيا وان عظمت ۞ وهذا آخر ما يسره الله تعالى من السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير فدونك تفسيرا كأنه سبيكة عسجد اودر منضد جمع من التفاسير معظمها ومن القراآت متواترها ومن الاقاويل أظهرها ومن الاحاديث صحيحها وحسنها محرر الدلائل في هذا الفن مظهر الدقائق أستعملنا الفكر فيها اذا الليل جن فاذا ظفرت بفائدة شاردة فادع لي بالتجاوز والمغفرة او بزلة قلم او لسان فافتح لها باب التجاوز والمعذرة

فلابد من عيب فان تجدنه • فسامح وكن بالستر أعظم مفضل
فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الـ • ـمحاسن قد تمت سوى خير مرسل

وأنا أعوذ بجميع كلمات الله الكاملة التامة والوذ بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين او يعود في العاقبة بالندم او يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكرم مستشفعا اليه بنوره الذي هو الشيبة في الاسلام متوسلا اليه بسيد الانام عليه الصلاة والسلام وبالتوبة الماحية للآثام وبما عنيت به من مصابرتي على تأكل من القوى وتنعل من الخطا ثم أسأله بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين في عمل هذا التفسير المبين عن حقائقه الخاص عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت في مداحضه المكتنز بالفوائد التي لا توجد الا فيه المحيط بما لا يكتنه من بديع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول وتجنب المستكره المملول متوسط الحجم وخير الامور أوساطها لا تفريطها ولا افراطها هذا وان لساني لقصير في طول مدحه قصير

أعيذه بالمصطفى • من حاسد قد هما
بذمه وقد غدا • من أجله مذمما
فليس يبغي ذمه • الا بغيض أعمى
كفاه ربي شرهم • وزان منه لرسما
وزاد في تدبيرهم • تدميرهم والغما
وردهم بغيظهم • فلم ينالوا غنما
وزاده سعادة • ولازمته النعمى

فنسأل الله الكريم الذي به الضر والنفع والاعطاء والمنع أن يجعله لوجهه خالصا وان

قوله تعالى شياطين الانس والجن واعترض بان الناس لا يوسوسون في صدور الناس انما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بان الناس يوسوسون في صدور الناس أيضا بواسطة وسوستهم اياهم

يداركني بالطافه اذا الطفل أضحى في القيامة فاصلا وأن يتجاوز عني انه هو السميع العليم وأن يرفع به درجتي في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وأن ينفع به من تلقاه بالقبول انه جواد كريم وان يخفف عني كل ذنب ومؤنه وأن يمدني بحسن المعونه وان يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء وان يتجاوز عن فرطاتي يوم التناد ولا يفضحني بها على رؤس الاشهاد انا ووالدي وأولادي وأقاربي ومشايخي وأحبابي ويحلهم دار السلام من فضله بواسع طوله وسابغ نوله فهو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وهذا شيء ما كان في قدرتي فاني والله معترف بقصر الباع وكثرة الزلل ولكن فضل الله تعالى وكرمه لا يعلل بشيء من العلل والله رجوت ان أكون متصفا باحدى الخصال الثلاث التي اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا منها وارجو من الله الكريم اجتماعها انه جواد كريم حليم (قال) المؤلف رحمه الله تعالى وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك ثالث عشر صفر الخير من شهور سنة ثمان وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد مؤلفه وفقير رحمة ربه القريب محمد بن أحمد الشربيني الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه وستر له عيوبه والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين والصحابة والتابعين اجمعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن ربيت معالم القلوب بانوار العرفان وحليت الصدور من جواهر فوائد العرفان ونشكرك أن انزلت كتابا احكمت آياته اى احكام لا تلحق معجزاته على ممر الدهور والايام ونصلي ونسلم على السراج المنير الذي جاء بالتبصير والتيسير الكشاف عن اسرار التنزيل بروح البيان المودع معالم التأويل تبيان كل شيء وأي تبيان سيدنا محمد المؤيد بالفتح المبين المبعوث رحمة الى كافة العالمين المؤيد بكتاب أعجز البلغاء ان يحوموا حول سرادقاته وأخرس الفصحاء عن محاكاة قصر سوره ومضاهاته وعلى آله الطاهرين وصحابته [illegible] (وبعد) فيقول المتوسل الى النبي الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم ان اعظم ما تبتهج به نفوس العقلاء واجلى ما تنشرح له الصدور والبال [illegible] فهم كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس [illegible] الاعلام التفسير المتلقى عن أكابر الائمة النحارير اذ هو الكاشف عن حقائقه المبرز مكانه ودقائقه المعرب عن غرائبه المشير الى بدائعه وعجائبه وان التفسير المسمى بالسراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للعلامة الامام والفهامة الهمام من بزغت [illegible] العرفان محرز قصب السبق في مضمار المعاني والبيان سيدنا ومولانا محمد الشربيني الخطيب متعه الله تعالى بمشاهدته في دار التقريب كتاب قد اشرقت شمس التحقيق من مطالع عباراته وازهرت انوار التدقيق من اكمام اشاراته كم ابرز فيه ابريز معان تاخذ بالنفوس طربا ويقضي الفطن

يعني يلبق بهم في الظاهر حتى تصل وسوستهم الى الصدور والله أعلم بالصواب

اللبيب من حسن صوغ مبانيها عجبا وناهيك بتفسير استخرج زبدة الكشاف طارحا ما به من زبد الزيغ والاعتساف واجتلب من اسرار التنزيل للقاضي البيضاوي أخلاف دره وانتقى من مفاتيح الغيب للامام الرازي فرائد درره وقصارى التعبير قصر لسان البليغ عن حصر محاسن هذا التفسير كما يشهد بذلك العالم النحرير ويعترف به هنالك الناقد البصير فكان حريا بان يطبع الطبعة الثانيه لفوائده التي هي لغلة الصادي شافية وافيه مرصعة في هذه المرة هوامشه الحسان بفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لملك العلماء وامام الاجلة الفضلاء خاتمة المحققين وطراز عصابة المدققين شيخ الاسلام وحبر الانام قاضي القضاة مولانا زكريا الانصاري امطره بهوامع احسانه الكريم الباري ولعمري انه الكتاب عديم المثال بعيد المنال احرز من الدقائق القرآنيه وابرز من نكات الآي الفرقانيه مع الوجازة والاختصار ما خلت عنه اسفار التفاسير الكبار فما ابدع فوائده وغرره وما أثمن فرائده ودرره هذا وكان طبعه الناضر ووضعه الانيق الباهر بمطبعة بولاق التي أينعت ثماره بالآفاق مقابلا على عدة نسخ قلم مع نسخة الطبع الاولى فجاء بحمد الله تعالى مكرره احلى واعلى وذلك في ظل من نضرت به الايام وغمر بحار فضله الانام صاحب السعاده وكوكب افق السيادة والمجاده من هو بحسن الثناء عليه حقيق الخديو الاعظم محمد توفيق متعه الله تعالى بوجود انجاله الكرام وجعله غرة حسنة في جبين الليالي والايام مشمولا طبعه بادارة صاحب نظارتها المشمر عن ساعد الجد في تحرير نضارها ونضارتها من به جودة المعارف الى اوج الكمال رقت سعادة مديرها علي بك جودت وقد طلع بدر تمامه وفاح مسك شذى ختامه في اواخر محرم الحرام عام تسع وتسعين ومائتين والف من هجرة من هو للانبياء ختام صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وكان تمامه حسنى

١٢٩١